دير القديس أنبا مقار

الإنجيل

بحسب القديس مرقس

دراسة وتفسير وشرح

أول وأقدم الأناجيل

الأب متى المسكين

كتاب: **الإنجيل بحسب القديس مرقس؛**
دراسة وتفسير وشرح
المؤلف: **الأب متى المسكين**
الطبعة الأُولى: **1996**
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون.
صندوق بريد 2780 القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 96/9224
رقم الإيداع الدولي: 5-054-240-977
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

اعتراف بالفضل لذويه

لقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب بداية من النسخة الخطِّية وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله؛ ثم إخراجه على آلة الكمبيوتر ثم الطابعة بالليزر، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتحميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات المحسَّسة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأُوفست، ثم تطبيق أفرخ الورق المطبوع كملازم، ثم تخييط الملازم معاً ثم التجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم وهم في غِنىً عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارئ بهذا الإخراج البديع. كان هذا في فاتحة كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا» وقد تابعوا إخراج هذا الكتاب لشرح إنجيل القديس مرقس بنفس الروح وبدافع شركة المحبة التي تجمعنا دائماً.

(الآباء بحسب ترتيب أقدميتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

الأب إرميا:	مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.
الأب يوحنا:	مراجعة البروفات، وصياغة الفهرس الموضوعي.
الأب وديد:	تنقيح النسخة الخطية ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله.
الأب باسيليوس:	المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.
الأب ديمتري:	نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلِّف.
الأب برتي:	جمع النص على الكمبيوتر.
الأب لونجينوس:	آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.
الأب دوروثيئوس:	آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.
الأب أخنوخ:	جمع النص على الكمبيوتر.
الأب يسطس:	جمع النص على الكمبيوتر.
الأب دوماديوس:	مضاهاة بروفات الجمع على الكمبيوتر على الأصول المنسوخة للكتاب.
الأب زكريا:	تجهيز لوحات الطباعة.
الأب إبيفانيوس:	مراجعة البروفات وعمل فهرس الآيات وفهرس أقوال الآباء.
الأب جيروم:	آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.

وأخيراً ـ نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارئ، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخدمه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

دير القديس أنبا مقار

تذكار شهادة القديس مار مرقس الرسول

8 مايو سنة 1996م. الموافق 30 برمودة سنة 1712ش.

المحتويات

أقوال مأثورة عن إنجيل القديس مرقس 17
تقديم: من إنجيل القديس مرقس إلى إنجيل القديس يوحنا 22
أولاً: كاتب الإنجيل: القديس مرقس الرسول
اسم صاحب الإنجيل: يوحنا مرقس 23
موطن القديس مرقس الأول الذي وُلِدَ وتربَّى فيه 24
نزوح عائلة ق. مرقس إلى الأرض المقدَّسة 27
القديس مرقس في أُورشليم 28
أين ومتى كتب القديس مرقس إنجيله؟ 30
التقليد القديم الخاص بكتابة إنجيل ق. مرقس 31
مؤهلات القديس مرقس للتعليم والكرازة 37
القديس مرقس يخدم في قبرس مع القديسَين برنابا وبولس 38
بدء التقليد الشرقي لكرازة مرقس الرسول في كل من الخمس مدن والإسكندرية 39
الزيارة الأُولى للمدن الخمس 42
دخول القديس مرقس الإسكندرية لأول مرَّة 44
أعمال القديس مرقس في الإسكندرية 45
زيارة القديس مرقس للإسكندرية للمرَّة الثانية 49
سرقة جسد القديس مرقس الرسول 50
تكريم الرأس الطاهرة 51
صور القديس مرقس في كنائس أوروبا 52
ثانياً: مميزات إنجيل القديس مرقس 53
كلمة ''الإنجيل'' وأول استخدامها بواسطة القديس مرقس 53
ما انتهى إليه العلماء في تقييم إنجيل القديس مرقس 54
منابع إنجيل القديس مرقس 55
ما يراه القديس مرقس نفسه في إنجيله: لفظة ''الإنجيل'' وما تعنيه عند ق. مرقس 55

شخصية القديس مرقس في إنجيله وأسلوبه في الكتابة 58
إيمان القديس مرقس بأن المسيح هو ابن الله يملأ الإنجيل من أوله إلى آخره 59
محور إنجيل ق. مرقس: آلام الرب وقيامته 61
إنجيل القديس مرقس مرتَّب ترتيباً منهجياً متكاملاً 62
موقف إنجيل القديس مرقس من اليهود 67
التوقيع التاريخي في إنجيل القديس مرقس 69
وصف القديس مرقس لشخصية المسيح دون توصيف 70
إنجيل القديس مرقس للكرازة والحياة 71
موقف إنجيل القديس مرقس من ميلاد المسيح من العذراء 71
ثالثاً: تعاليم المسيح في الأناجيل عامة وفي إنجيل ق. مرقس بصفة خاصة
العناصر الأساسية في تعاليم المسيح في الأناجيل: 76
(أ) أبوَّة الله 76
(ب) ملكوت الله 83
(ج) الأخلاقيات في تعاليم المسيح: الأخلاقيات التي تليق بطالبي الملكوت 94
(د) "ابن الإنسان" في تعاليم المسيح 99
(هـ) سلطان المسيح كما أوضحه إنجيل القديس مرقس 101
رابعاً: صورة إنجيل القديس مرقس على مدى العصور
(أ) عصر الآباء الأُول 107
(ب) عصر النقد الشديد (القرنين الثامن عشر والتاسع عشر) 108
(ج) خروج إنجيل ق. مرقس إلى النور كأقدم إنجيل 108

الأصحاح الأول

مقدمة الإنجيل 116
1 ـ ظهور المعمدان ورسالته بحسب النبوات كسابق والذي يعد الطريق قدَّامه 119
2 ـ عماد المسيح 132
3 ـ التجربة على الجبل 137
4 ـ بدء الكرازة بملكوت الله والدخول في خدمة الجليل 140
5 ـ دعوة التلاميذ الأوائل 145
االخدمة في كفر ناحوم 151

6 ـ إخراج الشيطان داخل المجمع 152
7 ـ شفاء حماة سمعان 156
8 ـ الشفاء عند غروب الشمس (بدء اليوم الجديد بعد السبت) 158
9 ـ الخروج إلى الخلاء ليصلّي 161
10 ـ شفاء الأبرص 163

الأصحاح الثاني

11 ـ المشلول والخطية 168
12 ـ دعوة لاوي بن حلفى 174
13 ـ الأكل مع العشّارين والخطاة 176
14 ـ سؤال المسيح: لماذا لا يصوم تلاميذه؟ 179
15 ـ السبت وأكل السنابل 182

الأصحاح الثالث

16 ـ السبت وشفاء اليد اليابسة داخل المجمع 186
17 ـ الازدحام الهائل من الجليل وأُورشليم وأدومية وعبر الأُردن وحول صور وصيدا 191
18 ـ اختيار الاثني عشر 194
19 ـ عثرة الأقارب ومقاومة الكتبة 203
20 ـ القوي الذي رُبط ونُهب بيته 206
21 ـ أقارب المسيح الجدد والعائلة المقدَّسة الكبيرة 210

الأصحاح الرابع

التعليم بالأمثال: 216
22 - مَثَل الزارع: 217
23 - نصائح وتحذيرات 241
24 ـ مَثَل البذرة التي تنمو سرًّا 248
25 - مَثَل حبة الخردل 252
26 - حديث عن الأمثال 256
27 - معجزة البحر الهائج: عاصفة فوق البحيرة 257

الأصحاح الخامس

28 – الإنسان الذي به شياطين كثيرة 268
29 – إقامة ابنة يايرُس: 274
30 – شفاء المرأة نازفة الدم 277

الأصحاح السادس

31 – الناصرة ترفض 290
32 – إرسالية الاثني عشر 299
خدمة ما وراء الجليل 310
33 – مخاوف هيرودس أنتيباس 311
34 – قصة استشهاد يوحنا المعمدان 313
35 – عودة التلاميذ والذهاب إلى موضع خلاء وإطعام الخمسة آلاف 320
36 – عبور البحيرة إلى بيت صيدا: المسيح الماشي على المياه 328
37 – في أرض جنيسارت 335

الأصحاح السابع

38 – من جهة التطهيرات 340
39 – فتوى القربان 346
40 – عن النجاسة 348
41 – المرأة الكنعانية 354
42 – شفاء الأصم الأخرس 358

الأصحاح الثامن

43 – إشباع الأربعة آلاف 364
44 – الفريسيون يطلبون آية من السماء 367
45 – خمير الفريسيين وسر كسر الخبز في المعجزتين 370
46 – أعمى بيت صيدا 374
بداية إنجيل الآلام: ....

47 – اعتراف ق. بطرس وتنبؤ المسيح عن آلامه للمرَّة الأُولى 379
48 – التوعية بالطريق: شرط التبعية والتلمذة الصحيحة للمسيح: حمل الصليب 386

الأصحاح التاسع

49 – التجلِّي 398
50 – النزول من جبل التجلِّي 407
51 – الصبي المصاب بشيطان الصرع 409
52 – رحلة عبر الجليل: تنبؤ المسيح عن آلامه للمرَّة الثانية 417
53 – قضايا مسيحية هامة: 419
(أ) الأعظم: «أيهما أعظم» داء الإنسان الوبيل 419
(ب) الانقسامات: المسيح يقف ضد الانقسامات العقائدية 423
(ج) عدم إعثار الصغار (احترام الأولاد) 426
(د) العثرات المهلكة 426
(هـ) التقوى كملح 428

الأصحاح العاشر

الرحلة عبر اليهودية: المسيح يثبِّت وجهه نحو أُورشليم 430
قضايا مسيحية ساخنة:
54 – قضية الطلاق والزنا 430
55 – مركز الأولاد في ملكوت الله 437
56 – الغني وميراث الحياة الأبدية 442
57 – الترك من أجل اتّباع يسوع 448
مع آخر رحلة إلى أُورشليم
58 – التنبؤ الثالث بالآلام 451
59 – ترجِّي يعقوب ويوحنا 453
60 – تذمُّر العشرة على يعقوب ويوحنا وعودة إلى مَنْ هو الأعظم 455
61 – شفاء الأعمى في أريحا 458

الأصحاحان الحادي عشر والثاني عشر

62 - دخول أُورشليم 464
63 - لعن شجرة التين 473
64 - تطهير الهيكل 475
65 - شجرة التين التي جفَّت وأحاديث عن الإيمان والصلاة 478
التعاليم في أُورشليم: 482
المناقشة الأُولى: مع أعضاء المجمع اليهودي:
66 - بأي سلطان تفعل هذا 483
67 - مَثَل الكرَّامين الأردياء 485
المناقشة الثانية: مع الفريسيين والهيرودسيين:
68 - الجزية لقيصر 491
المناقشة الثالثة: مع الصدوقيين:
69 - من جهة قيامة الأموات 494
المناقشة الرابعة: مع واحد من الكتبة:
70 - أية وصية هي أول الكل 489
المناقشة الخامسة: مناقشة يبدأها المسيح نفسه:
71 - ابن داود كيف يكون رب داود 505
72 - تحرَّزوا من الكتبة 507
73 - المرأة التي ألقت في الخزانة كل معيشتها 509

الأصحاح الثالث عشر

الأحاديث التنبؤية عن الحوادث الأخروية: 514
74 - خراب الهيكل 515
75 - سؤال التلاميذ الأربعة عن: متى؟ وما العلامة؟ 517
76 - ظهور المضلين. حروب وأخبار حروب. زلازل ومجاعات 518
77 - أقوال عن الاضطهاد 521
78 - رجسة الخراب 525
79 - مسحاء وأنبياء كذبة 527

80 – تزعزع الطبيعة ومجيء ابن الإنسان 528
81 – أقوال وأمثال عن السهر واليقظة 531

الأصحاح الرابع عشر

الحوادث التي انتهت بالقبض على المسيح:

82 – مؤامرة رؤساء الكهنة 536
83 – الامرأة صاحبة الطيب الكثير الثمن 538
84 – خيانة يهوذا 542
85 – الاستعداد للفصح 544
86 – نبوَّة التسليم الأخيرة 549
87 – العشاء الأخير 553
88 – النبوَّة بخصوص إنكار المسيح 551
89 – جثسيماني 565
90 – قبلة الخائن والقبض 574

محاكمة المسيح:

91 – المحاكمة أمام رؤساء الكهنة 579
92 – إنكار بطرس 585

الأصحاح الخامس عشر

93 – المحاكمة أمام بيلاطس 590
94 – استهزاء العسكر 596
95 – الطريق إلى الصليب 599
96 – الصلب 601
97 – الثلاث ساعات الأخيرة والظلمة تغطِّي الأرض 610
98 – الدفن 617

الأصحاح السادس عشر

القيـــامة: 622
99 – زيارة النسوة للقبر الفارغ 623

100 - رؤية القيامة 627

الفهارس

فهرس الآيات الكتابية 634
فهرس أقوال الآباء أو الكُتَّاب 643
الفهرس الموضوعي 645

Bibliography
On the Gospel of St. Mark

Alexander, J. A., *The Gospel according to Mark,* 1858, reprinted in Thornapple Commentaries, (Grand Rapids, 1980).

Bartlet, J. V., *St. Mark,* Century Bible, (Edinburgh, 1922).

Best, E., *Mark, the Gospel as Story*, (Edinburgh, 1983).

Blunt, A. W. F., *The Gospel according to St. Mark,* Clarendon Bible, (Oxford, 1929).

Branscomb, B. H., *The Gospel of Mark,* Moffatt New Testament Commentary, (London, 1937).

Burkill, T. A., *Mysterious Revelation: An Examination of the Philosophy of St. Mark's Gospel,* (New York, 1963).

Cole, A., *The Gospel according to Mark,* Tyndale Bible Commentary, (London, 1960).

Cranfield, C. E. B., *The Gospel according to St. Mark,* Cambridge Greek Testament, (Cambridge, 1963).

Evans, C. F., *The Beginning of the Gospel,* S. P. C. K., (London, 1968).

Grant, F. C., *The Earliest Gospel,* Abingdon, (New York, 1943).

——, *The Gospel according to St. Mark,* The Interpreter's Bible, Vol. VII, pp. 627-917, (New York, 1951).

Harrington, W., *Mark,* New Testament Message, (Wilmington, 1982^2).

Johnson, S. E., *A Commentary on the Gospel according to St. Mark,* (New York,

1960[1]); reprint. Harper's New Testament Commentaries, (Peabody, 1988).

Kealy, Seán P., *Mark's Gospel, a History of its Interpretation,* (New York, 1982).

Lagrange, M. J., *The Gospel according to St. Mark,* (New York, 1930).

Lane, William L., *The Gospel of Mark,* New International Commentary, (Grand Rapids, 1974).

Lohmeyer, E., *Das Evangelium des Markus,* (Göttingen, 1937).

Loisy, A. F., *Les Evangiles Synoptiques,* Ceffonds, (Paris, 1907.

——, *L'Evangile selon Marc,* (Paris, 1912).

Luccock, H. E., *The Gospel according to St. Mark*, The Interpreter's Bible, Vol. VII, pp. 627-917, (New York, 1951).

Manson, T. W., *The Teaching of Jesus,* (Cambridge, 1931[1], 1959[8]).

Manson, W., *Jesus the Messiah,* (Westminster Press, Philadelphia, 1946).

Martin, Ralph, *Mark, Evangelist and Theologian,* (Grand Rapids, 1972).

Mc Birnie, William Steuart, *The Search for the Twelve Apostles,* Tyndale, Illinois, (no date).

Michie, D., & Rhoads, D., *Mark as Story,* (Philadelphia, 1982).

Moule, C. F. D., *The Gospel according to Mark,* (Cambridge, 1965).

Nineham, D. E., *Saint Mark,* The Pelican Gospel Commentaries, 1963.

Plummer, Alfred, *The Gospel according to St. Mark,* (Cambridge, 1914), reprinted Thornapple Commentaries, (Grand Rapids, 1982).

Rawlinson, A. E. J., *Saint Mark,* (London, 1925, 1956[8]).

——, *Christ in the Gospels*, (Oxford University Press, 1952).

Ryle, J. C., *Expository Thoughts on Mark,* 1857, reprinted 1985.

Schlatter, A., *Die Evangelium nach Markus und Lukas,* (Stuttgart, 1947).

Schweizer, Eduard, *The Good News according to Mark,* transl. by D. H. Madvig, (M. E. Bratcher, 1970).

Streeter, Burnett Hillman, *The Four Gospels, A Study of Origins,* (London, 1961).

Swete, Henry Barclay, *The Gospel according to St. Mark,* (London, 1898[1], 1909[3]), reprinted by Kregel Publications (Grand Rapids, 1977, 1981).

Taylor, Vincent, *The Gospel according to St. Mark,* (London, 1952, 1959[5]).

——, *Jesus and His Sacrifice,* (London, 1937, 1951[5]).

Turner, C. H., *The Gospel according to St. Mark,* (New York, 1946).

Weiss, J., *Das älteste Evangelium,* (Göttingen, 1903).

——, *Das Markusevangelium in Die Schriften des Neuen Testament,* (Göttingen, 1917).

Wellhausen, J., *Das Evangelium Marci,* (Berlin, 1909[2]).

أقوال مأثورة عن إنجيل القديس مرقس

[إن عظمة إنجيل مرقس ـ أقدم الأناجيل ـ في تاريخ الكنيسة، هي في تميُّزه كونُه قد أعطى لمرَّة واحدة وبلمسات حيَّة، النموذج الوحيد لكل مَنْ جاء بعده. ومن واقع وجود المسيح على أرضنا فقد حفر في مخيلة الكنيسة صوراً للمسيح لن تمحى.] جوانس فايس(1)

[إن إنجيل مرقس هو وثيقة تاريخية، وثيقة هي حقًّا ناطقة بالحقائق التي منها نتعرَّف على يسوع المسيح كيف كان وأي عملٍ عَمِلَ على أرضنا، وسجله تاريخياً، بحيث أصبح قاعدةً ينطلق منها أيُّ عمل آخر يهدف إلى إعطاء صورة حية للمسيح.] بوركت(2)

[إلى أن تتأقلم أعيننا على جو الإنجيل الثاني، سيصعب علينا التعرف على شخصية المخلِّص المألوفة بوجهه الوديع غير المتقسِّم، تلك الصورة السرية ذات الملامح القوية التي تعصف العينين في إنجيل مرقس.] بوركت(3)

[إنجيل مرقس عبارة عن تجميعات متواضعة لمذكرات سبق أن سجلت حقائق إرسالية الجليل، ثم مخاطر ورحلات أُورشليم الماسيَّانية بنهايتها على الجلجثة.] لوازي (4)

[إن إنجيل مرقس هو كتاب أسرار استعلانات يسوع.] ديبليوس(5)

[إن استعلانات المسيح في إنجيل مرقس تتعقبها النفس بصعوبة، فهي مختصرة يجيء سردها متعرجاً يعلوها غلالة من السرية في أوصافها أو تحركاتها، حتى إن استعلاناتها يجيء نصف مكشوف ونصف مخفى.] ديبليوس(6)

هام: ق. مرقس تبع المسيح كتلميذ ملاصق:

[إن إنجيل ق. مرقس يعتبر سرًّا فريداً من نوعه، مسجَّل لنا بلا مواربة ممَّنْ هو صاحب خبرة

---

(1) J. Weiss (1903), cited by Kealy, *op. cit.*, p. 101.

(2) F. C. Burkitt (1906), cited by Kealy, *op. cit.*, p. 102.

(3) Ibid., p. 103.

(4) A. Loisy (1907), cited by Kealy, *op. cit.*, p. 103.

(5) M. Dibelius (1919), cited by Kealy, *op. cit.*, p. 118.

(6) Ibid.

عينية كمشاهد ورفيق مخلص للمسيح على مدى خدمته بطولها.] ترنر[7]

[إن إنجيل مرقس إذا نظرنا إليه تاريخياً فهو **أهم كتاب كُتب بالدرجة الأُولى** بين الكتب قاطبة.] ترنر[8]

[إن إنجيل مرقس كُتب أصلاً باللاتينية وإن ترجمته إلى اليونانية جاءت بلغة عامية.] كوشو[9]

[إن أخبار آلام المسيح في إنجيل مرقس تُحسب واحدة من أعظم الإبداعات في الأدب النثري، وهذا بسبب موضوعيتها وهدوئها.] هنري كادبري[10]

[إن إنجيل مرقس هو تجميع ثلاثة أناجيل تباعاً: الأول فلسطيني أرامي كتبه سنة 40م للخدمة مع بطرس، والآخر أُممي كتبه سنة 50م لخدمة الأُمم مع بولس. والأخير في الشتات كتبه في الإسكندرية سنة 67م.] كادو[11]

[في مجموع حاصل كتابة الثلاثة أناجيل المتوازية نجد متى ولوقا عبارة عن محاولة لاستخلاص إدراك لشخص المسيح الفائق الإدراك، فلم يستطيعوا أن يضيفوا على مرقس شيئاً أو يُخفوا شيئاً من مرقس من جهة الإيمان المسيحي الذي يطفح على قسمات وجه المسيح لدى مرقس. هم حاولوا أن يبسطوا إنجيل مرقس ولكنه أكثر صعوبة مما عندهم.] هوسكنز[12]

[في إنجيل مرقس كلمة "إنجيل" مختفية نوعاً ما، لأن المسيح في مرقس يعلن عن نفسه أنه هو الأخبار السارة، أمَّا الكشف المسيحي العجيب القائم في إنجيله عن "ابن الإنسان" فهو ليس من اختراع مرقس ولا هو نتيجة تناول تقليد آخر أخذ منه، غير أن كافة المنابع للتقليد تؤكِّد على أمرين: الأول من جهة التواضع الذي ركَّز عليه مرقس، والثاني من جهة المحبة المعلنة، وكلاهما حملهما المسيح في نفسه تحت اسم ابن الإنسان!! اللقب الذي تردَّد في مرقس 14

(7) C. H. Turner (1924), cited by Kealy, *op. cit.*, p. 128.

(8) Ibid.

(9) P. L. Couchoud (1926), quoted by Kealy, *op. cit.*, p. 131.

(10) Henry J. Cadbury (1927), quoted by Kealy, *op. cit.*, p. 133.

(11) A. T. Cadoux (1930), quoted by Kealy, *op. cit.*, p. 133.

(12) E. C. Hoskyns (1931), cited by Kealy, *op. cit.*, p. 136.

مرَّة.] هوسكنز(13)

[إن بلوغ القمة في تنسيق مرقس لإنجيله جاءت في اعتراف قائد المئة: «حقًّا كان هذا الإنسان ابن الله» ولكن الأعجب أن يأتي هذا اللقب عينه في افتتاحية إنجيله.] هوسكنز(14)

[إن معرفة مرقس الحقيقية أن المسيح «ابن الله» بلغها بالتعرُّف على اتضاعه الذي أكمله بصليبه وتأكدت له بقيامته من الأموات. ففي هذا الدرب الطويل القائم على التواضع جاءت في النهاية مماثلة الابن للآب واتضحت في مثل الكرَّامين الأردياء.] هوسكنز(15)

[يمكننا أن نتتبع في إنجيل مرقس خيطاً متماسكاً يمتد خلال معظم الرواية، له من الملامح ما يشابه مختصر قصة المسيح في سفر الأعمال (10:37-41)، (13:23-31).] دود(16)

ويرى دود(17) إنجيل مرقس إنجيلاً متفوقاً بالدرجة الأُولى في وصف آلام الرب، لا لأن قصة الآلام تحتل حيزاً كبيراً (خُمس مساحة الإنجيل) ولكن لأنها تُحسب أكثر من نصف الإنجيل إذ تبدأ من منتصف الأصحاح الثامن حيث يلقي الصليب ظِلَّه بكثافة على باقي الإنجيل.

[وبنظرة متسعة نرى أن منهج مرقس إنما يمثِّل ترتيباً رتيباً لحوادث يتخللها حركة ونمو ملحوظ.] دود(18)

ويعتبر ليتفوت إنجيل **ق. مرقس** ذا امتياز خاص من حيث المستوى التاريخي، ولكنه يرى أن ليس هناك في الإنجيل ما يمكن أن يسمَّى تاريخاً بالمعنى الكامل، ولكنها خيوط تاريخ منسوجة باللاهوت سدة مع لحمة، ويعتبره ـ وهو محق ـ أنه كتاب سر ''المسيَّا''، ويستشف من إنجيله غايات لاهوتية.

تعليق ليتفوت على إنجيل ق. مرقس (وهو في ذلك يتفق مع العالِم الألماني لوهمير E. Lohmeyer):

[من جهة إنجيل مرقس، يُحسب فيه الجليل كمحطة للتعليم عن الفداء، والأعمال الإلهية، في حين أن اليهودية كانت المكان الذي بادره بالعداوة والإعثار والمقاومة والمأساة الأخيرة

(13) Ibid., p. 137.
(14) Ibid.
(15) Ibid.
(16) Ibid.
(17) Ibid., p. 138,139.
(18) Ibid., p. 139.

(وكما يقول لوهميير: إن إنجيل مرقس كتب في الجليل حيث كانت الكنيسة تعيش في البدء ولها إفخارستيتها) والجليل أكدت على لقب ابن الإنسان في حين أكدت أُورشليم على حقيقة المسيَّا. الجليل احتفلت بكسر الخبز وأُورشليم بشركة العشاء السرِّي. ومرقس كان يعرف أن الجليل تحدَّد ليكون مكان رؤيا عودة ابن الإنسان! ذلك قبل الاستعلان الكلي في أُورشليم. والجليل ترتفع في أهميتها لأنها مكان كتابة إنجيل مرقس وكان لها تأثيرها على الخط اللاهوتي للإنجيل.][19]

ولكن هذه الأفكار الخاصة لليتفوت لم تأخذ وضعها الرسمي في شرح الإنجيل:

[إن قصة الآلام في إنجيل مرقس تقع موقع الحدث الأعلى والفائق في الإنجيل، يقابلها ويشرحها حقيقة أن يسوع هو مسيَّا.] ليتفوت[20]

تاريخ كتابة إنجيل القديس مرقس للعالِم توري:

العالِم توري سنة 1947 يتحدّى جميع المؤرخين ليضع تاريخ كتابة إنجيل ق. مرقس بين سنة 39-40م. فقول الرب: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة حيث لا ينبغي (في الهيكل)، ليفهم القارئ، حينئذ فليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال ...» (مر 14:13)، يؤكِّد العالِم توري بناءً على هذا القول أن مرقس كتب إنجيله قبل أن تحدث حادثة قتل الامبراطور كاليجولا في 24 يناير سنة 41م[21].

ويمتدح العالِم فارر، زميله ليتفوت في تقريظه للقديس مرقس ويضيف:

[إن القديس مرقس صاحب فكر مسيحي حي وعقل ذي طاقة جبَّارة. كما نجد أن مرقس قد احتفظ بوحدة الشرح اللاهوتي للإنجيل، وإنجيله أصيل وذو وحدة متماسكة عميقة.] فارر[22]

هام: جحد العالم فارر لرأي الأسقف بابياس صاحب النظرية بأن مرقس لم يَرَ الرب وأن إنجيله إملاء من بطرس:

[إن التقليد المنحدر لنا من بابياس ينبغي بكل بساطة التخلِّي عنه لأنه يعتبر تأليفاً مزيفاً.] فارر[23]

(19) Ibid., p. 142.
(20) Ibid.
(21) C. C. Torrey (1947), quoted by Kealy, *op. cit.*, p. 148.
(22) A. Farrer., *A Study in St. Mark* (1951), pp. 7-22 f.
(23) Ibid., p. 20, cited by Kealy, *op. cit.*, p. 150.

[إن إنجيل مرقس هو حصيلة حياة الكنيسة الأُولى الملهمة بروح الله.] فنسنت تايلور[24]

[نحن لـدينا الأسـباب الصـحيحة لنقـرِّر أن اللغـة الأرامية هـي الخلفيـة الحقيقيـة وراء يونانيـة مرقس، كما لدينا القناعة أن هناك وراء النصوص مصادر أرامية ربما كانت شفاهية، كما يحق لنا أن نقول إن مرقس استخدم تقليد الكنيسة الذي يتحتَّم أن يكون أرامياً أيضاً.]
فنسنت تيلور[25]

(24) Vincent Taylor, *The Gospel. acc. to St. Mark*, p. 104.
(25) Ibid., p. 56.

تقديم

من إنجيل القديس مرقس إلى إنجيل القديس يوحنا

يلاحظ القارئ الذي تتبَّع دراساتنا في الإنجيل أننا ابتدأنا بإنجيل القديس يوحنا باعتباره يحمل الصورة الكاملة للإيمان بالرب يسوع المسيح كما عاشته الكنيسة حتى نهاية القرن الأول تقريباً، لأن إنجيل ق. يوحنا كُتب سنة 95م[26]. لذلك بدأنا بهذا الإنجيل الثمين الذي حفظ لنا التراث المسيحي الرسولي بأكمله كما وضعه وعاشه الرسل أجمعون، لأن ق. يوحنا آخر مَنْ سلَّم الكنيسة بذخائرها لجيل ما بعد الرسل.

لذلك رأينا بعد أن قدَّمنا أيضاً شرحَ كثيرٍ من الرسائل وسفر الأعمال، أن نقدِّم شرح إنجيل ق. مرقس باعتباره أول الأناجيل قاطبة بل ربما أول وثيقة مسيحية وصلت أيدينا. وهو بحسب العلماء المحدثين يُحسب أنه الوثيقة التي تحمل لنا البدايات الأُولى جداً لرؤية المسيح كابن الله وأعماله ومعجزاته، من منظار رسول انفتح وعيه بالروح القدس ليسجِّل هذا الإنجيل، بفعل إيمان الكنيسة الأُولى التي كانت تعيش في سنة 43م، وهو زمن كتابة هذا الإنجيل.

فالآن عندنا في إنجيل ق. مرقس أول صورة للتقليد المسيحي بحسب إيمان الكنيسة ورؤيتها للمسيح، وهي تحمل الانطباعات الأُولى للرسل ومفهوماتهم اللاهوتية التي صاغوا بها إيمانهم.

وفي المقابل عندنا إنجيل ق. يوحنا بالصورة الكاملة لإيمان الكنيسة بعد أن أكملت استعلاناتها لشخصية المسيح حتى نهاية القرن الأول بالخبرات الإيمانية المتراكمة عبر ثلاثة أجيال.

وهكذا أصبح لدى القارئ تاريخٌ إنجيليٌّ حافلٌ بالخبرات التي استوعبتها الكنيسة وأكملت بها وعيها اللاهوتي على مدى خمسين سنة بالتمام، من أول إنجيل ق. مرقس سنة 43م إلى إنجيل ق. يوحنا سنة 95م.

---

(26) سرعان ما انتشر إنجيل القديس يوحنا بصورة عامة حتى بلغ أقصى صعيد مصر في منتصف القرن الثاني. انظر:
Leitzmann; *Geschichte der Alten Kirche* I, pp. 134, 273, 301

أولاً – كاتب الإنجيل: القديس مرقس الرسول

اسم صاحب الإنجيل: يوحنا مرقس:

اسم مرقس اليهودي الأول هو يوحنا ومعناه: ''الله تحنَّن''، وأخذ اسم مرقس اللاتيني بحكم البيئة والتعليم، إذ تربَّى في مدرسة كيريني (القيروان) ودرس في مدارسها اليونانية واللاتينية. ومرقس تعني باللاتينية: ''المطرقة الثقيلة'' – وتُدعى: ''المرزبَّة''. واسم مرقس يُنطق على نطقين: الأول مَرقس بفتح الميم Marcos والثاني بالألف بعد الميم Máarcos كما وُجِد في بعض الحفريات وذلك عن العالِم ألفريد بلومر (صفحة x). وكان هذا الاسم كثير الشيوع بالنسبة للحكّام والقادة لأنه يعني: ''الشدَّة والهيبة'' – ويبدو أن ق. مرقس قد مارس هذه الشدة على الوثنيين في الإسكندرية، فقد انقضَّ عليهم في عظاته بطرَقات عنيفة مما أثار حفيظتهم وأربك علماءهم وألَّب عليه الشعب الوثني فلم يحتملوا طرقاته الهاوية على أصول ديانتهم الواهية. وصحيح أنهم قتلوه ولكن بعد أن حطَّم آلهتهم وجرَّهم كخراف للحظيرة، هم أطفأوا شعلة حياته الأرضية ولكنه أشعل النور في ظلمات حياتهم الروحية، حقًّا إن مرقس أتى بنور(27)!

لماذا الأسد رمزٌ للقديس مرقس؟

ما من صورة للقديس مرقس إلاَّ ويُرسم الأسد تحت قدميه وهو يكتُب إنجيله، وكأنما الأسد ينتظر نهاية الكتابة لكي يأخذ جناحين ويطير بالإنجيل يوزِّعه على كل المسكونة. ولكن من أين جاء هذا التقليد؟

للرد على هذا نقول: إن العلاَّمة هنري باركلي سويت(28) في بحثه التاريخي انتهى إلى أنه بحسب كتابات العلاَّمة فيكتورينوس(29) الذي من بيتو، الذي شرح سفر الرؤيا، عندما جاء على ذِكر

(27) عن ترنيمة كنسية: ''كنيستي القبطية''، وأيضاً عن ذكصولوجية القديس مرقس:
[أتيتَ **وأنرتَ علينا** بواسطة إنجيلك ... وأخرجتنا من الظلمة إلى **النور** الحقيقي.] (الأبصلمودية المقدَّسة السنوية)

(28) Swete, H. B., *The Gospel acc. to St. Mark* (1909), p. XXXVII.

(29) St. Victorin (*c.* 304), Bishop of Pettau (Martyr) [*Oxford Dictionary of the Christian Church*, ed., F. L. Cross & E. A. Livingstone, p. 1438].

وفيكتورينوس هو أول شارح إنجيل للكنيسة الكاثوليكية (اللاتينية) ولم يبقَ من كل كتاباته إلاَّ شرح سفر الرؤيا.

الشاروبيم (بالجمع) ذوي الأوجه الأربعة، النسر والأسد والعجل والإنسان: «وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مملوءةٌ عيوناً من قدَّام ومن وراءٍ. والحيوان الأول شبه أسد، والحيوان الثاني شبه عجل، والحيوان الثالث له وجهٌ مثل وجه إنسان، والحيوان الرابع شبه نسرٍ طائر» (رؤ 4: 6و7)، شرح فيكتورينوس المغزى بأن هؤلاء هم رمزٌ للإنجيليين الأربعة (الذين يحملون استعلان عمل الله في الخليقة). وأعطى الأول للقديس مرقس وهو الأسد. والثاني وهو العجل للقديس لوقا والإنسان للقديس متى والنسر الطائر للقديس يوحنا[30]. وعلى هذا الرمز بدأ الآباء يعلقون على مدى مناسبة كل رمز لصاحبه فقالوا الأسد لمرقس لأنه بدأ إنجيله كأسدٍ يزمجر في بريةٍ «صوتُ صارخ في البرية ...» (مر 3:1)

موطن القديس مرقس الأول الذي وُلِدَ وتربَّى فيه:

كانت عائلة ق. مرقس من مستوطني مقاطعة الخمس مدن الغربية وهي في إقليم برقة بليبيا الآن. ولم تكن في الحقيقة مدناً بل مقاطعات شاسعة، كانت تقطنها جاليات، الأُولى رومانية وهي ذات السلطان لأن المقاطعات كانت تحت الحكم الروماني ويحكمها حاكم روماني، والثانية يونانية وهي ذات كثرة وسيادة علمية، والثالثة كانت يهودية حيث كانت الجالية اليهودية من أكبر الجاليات في إفريقيا. وكانت عائلة ق. مرقس متركزة في أغنى هذه المقاطعات وهي مدينة كيريني أو سيريني وهي المسمَّاه بمدينة القيروان "Cyrene" أو "Cyrenaica" (كيرناؤس).

وفي هذه المدينة وُلِدَ ق. مرقس ودخل المدارس وتعلَّم تحت أيدي أساتذة يونان ورومان (لاتين) فأتقن اليونانية واللاتينية. وقد لاحَظ العلماء في دراستهم لإنجيل ق. مرقس أن لغته اليونانية مختلفة جداً عن لغة الأناجيل الأخرى، سواءٌ في أدبياتها أو أسلوبها أو لهجتها أو نحوها. وقد وصفوها أنها عامية. ولكن في الحقيقة أن اللغة اليونانية واللاتينية أيضاً كالعربية تماماً تختلف كثيراً باختلاف البلاد والمناطق، حتى يكاد الإنسان لا يفهم منها شيئاً إن بعدت الأقطار بسبب التحام اللغة بما هو حولها من لهجات؛ حتى إنهم من لغته استطاعوا أن يعرفوا ما هو من كتابته وما هو الدخيل عليها. فأصبح إنجيل ق. مرقس وكأنه وثيقة لغوية فريدة في كلماتها وأسلوبها ونحوها اللغوي، تحمل التراث المسيحي والكنسي الأول والأقدم.

أمَّا القيروان فهي واقعة في بقاع خصبة وعلى مستوى عالٍ من الغنى وتسمَّى الآن بالجبل الأخضر. وهذه المدن الخمس كانت في أيام ق. مرقس داخل حدود مصر الشمالية الغربية، وكانت

(30) وقد وضعهم سفر الرؤيا بحسب ترتيب زمن كتابتهم.

جميعها تحت الحكم الروماني. وبالتالي دخلت المدن الخمس بدخولها المسيحية تحت رعاية الكنيسة القبطية التي أسسها ق. مرقس نفسه، وظلت خاضعة لها لعدة قرون تالية(31). وكانت كنيسة الإسكندرية ترسم لها الأساقفة وترسلهم، وفي البداية كانوا مصريين؛ ولكن بعد أن رسخت المسيحية هناك صارت الرسامة من الوطنيين. ومن أبحاث د. ميخائيل مكسي(32) يمكن جمع المعلومات الآتية:

صفحة 78و79: أن اليهود بدأوا يتوافدون على ليبيا مع الإسكندر الأكبر حينما زحف بجيشه على مصر سنة 332 ق.م وازدادوا على يد خلفائه. ويروي يوسيفوس المؤرِّخ أن بطليموس الأول المدعو سوتير أرسل فريقاً من اليهود ليستقرُّوا في كيريني لأنه كان مهتماً بتشديد قبضته على المدن الخمس.

صفحة 66: ودخل بعدهم الرومان على يد قائدهم لوكللوس Lucullus وبسطوا نفوذهم على المدن الخمس وأُقيمت ولايتهم على كيريني سنة 75 ق.م.

صفحة 68و69: ولم يعد اليونان (الأغريق) يشعرون بعد أنهم على قدم المساواة مع السادة الرومان.

صفحة 68: وقد تمتعت كيريني برخاء نسبي في القرن الأول المسيحي متبوعاً بالأمن والسلام، ونتج عن ذلك نهضة عمرانية وزراعية وعلمية. وهي المدة التي وُلِدَ فيها ق. مرقس وعاش في أحضان أسرته التي كانت من أكبر أغنياء الجالية هناك.

ولكي يُدرك القارئ مدى المستوى الثقافي والعلمي واللُّغوي لتلك المناطق، عليه أن يُدرك أنها كانت مهد الترجمة اللاتينية للعهد الجديد التي بُدئت هناك. وهذا هو تقرير قاموس هاستنج عن ذلك:

[كان يوجد إقليم على درجة كبيرة من الأهمية لم يكن فيه لليونانية مكان، حيث كانت اللاتينية هي **اللغة الوحيدة للكلام** والأدبيات المكتوبة، وكان هذا الإقليم يسمَّى إفريقيا، وهي المنطقة التي تُدعى الآن تونس ـ الساحل المطل على البحر الأبيض المتوسط ـ فكانت مأهولة بشعب عظيم يتكلَّم اللاتينية. وكانت المسيحية هناك مزدهرة جداً وبُدئ السماع عنها من بداية القرن الثاني الميلادي. فقد سُمع عن ترتليان كأكبر مدافع عن الإيمان بغيرة وحرارة نادرة (150ـ 220م). والمعروف أن أقدم نسختين للعهد الجديد باللغة اللاتينية

(31) Butcher, E. L., *The Story of the Church of Egypt*, London, 1897, Vol I, p. 2.

(32) د. ميخائيل مكسي اسكندر، تاريخ كنيسة بنتابوليس المدن الخمس الغربية ـ القاهرة 1987.

كانت مستقرة في إفريقيا هذه. وأول نسخة لاتينية للعهد الجديد كانت بحوزة ترتليان، وبعده كبريانوس (200-258م)، كما أنه لا يوجد قط أي نسخ أو أجزاء من العهد الجديد باللغة اللاتينية في أي مكان من العالم حتى يمكن أن تُعمل لها مقارنة مع نسخ إفريقيا.](33)

والمعروف أن إقليم الخمس مدن هو الامتداد الطبيعي لهذا الإقليم وينطبق عليه نفس الكلام.

من هذا نفهم أن تعليم ق. مرقس كان على هذا المستوى العالي في اللاتينية واليونانية، لأن أسرة ق. مرقس كانت على ثراء كبير وكانت قادرة أن تعلِّم ابنها على هذا المستوى.

ويعتقد البعض أن عائلة ق. مرقس قَبِلَت الإيمان المسيحي أثناء وجودها بأُورشليم وذلك في يوم الخمسين حينما حضر رؤوس العائلات عيد الفصح وتعوَّقوا ليوم الخمسين، وكانت جاليتهم من أبرز الجاليات الحاضرة في هذا اليوم:

+ «وكان يهودٌ رِجالٌ أتقياء من كل أُمةٍ تحت السماء ... فرتيُّون وماديون وعيلاميون، والساكنون ما بين النهرين، واليهودية وكبدوكية وبُنتُس وأسيَّا وفريجية وبمفيلية ومصر، **ونواحي ليبية التي نحو القيروان**، والرومانيون المستوطنون يهودٌ ودخلاء، كريتيون وعرب.» (أع 2: 5و9-11)

والرؤوس التي تنصَّرت هناك معروف منها لوقيوس القيرواني (أع 13:1) ويُعتقد أنه صار أسقفاً على كيريني (القيروان)، كذلك **سمعان المدعو بالقيرواني**، ويذكر القديس مرقس في إنجيله اسم ولديه ألكسندرُس وروفُس (مر 15:21)، وهو الذي حمل صليب المسيح، وسمعان الذي يُدعى نيجر ومناين (مناحم) (أع 13:1)، هؤلاء يُعتقد أنهم بعدما تنصَّروا رجعوا وبشَّروا إقليم الخمس مدن مع ق. مرقس قبل أن ينزحوا من الإقليم بعد غارة البربر.

ويؤيِّد هذا الكلام العالِم موريه إذ يقول:

[إن يهوداً متنصِّرين عادوا من فلسطين بعد يوم الخمسين إلى كيريني حاملين معهم بشارة الإنجيل.](34)

ونشأ القديس مرقس وسط عائلة متديِّنة، وتربَّى على الإيمان المسيحي بغيرة حتى إنه دُعي في بعض المخطوطات بالزيلوطي Zealot أي الغيور. واستناداً إلى رواية ساويرس أسقف الأشمونين

(33) James Hastings, *Dict. of the Bible*, 1909, art. Text of the N. T. (19).

(34) Mouret, *Histoire Générale de l'Eglise*, 1906, Tom 1, p. 69.

(أواخر القرن العاشر) المنقولة من مصادر مصرية قديمة، نعلم أن أسرة القديس مرقس هاجرت إلى أُورشليم بعد هجوم البربر على القيروان (سيرينيكا) في أواخر عهد أغسطس قيصر الذي حكم بين 30 ق.م ـ 14م وحملت معها ثروتها إلى الأرض المقدَّسة[35].

نزوح عائلة ق. مرقس إلى الأرض المقدَّسة:

نزحت عائلة ق. مرقس مبكِّراً مع جالية كبيرة من يهود كيريني واتجهت إلى فلسطين حسب الروايات المذكورة سابقاً. ويقول د. ميخائيل مكسي في كتابه: إن يهود بنتابوليس (الخمس مدن) كان لهم صلة قوية بفلسطين وبهيكل أُورشليم، وكانت الرحلة إلى هناك سهلة سواء عن طريق دلتا النيل أو عن طريق البحر. وقد هاجر أعداد من يهود ليبيا إلى الأرض المقدَّسة في القرن الأول بحسب العالِم الألماني شورر[36] واستقروا بها، وشيَّدوا لهم مجمعاً في أُورشليم (أع 9:6)، ومن هؤلاء المهاجرين أسرة ق. مرقس. كما يقول يوسيفوس[37] المؤرِّخ أن سكان سيرين (القيروان) من اليهود كانوا يشكِّلون جالية مستقلة واضحة عن غيرها، وكان لهم امتيازات خاصة دون جميع الجاليات في أيام يوليوس قيصر بسبب مساعدتهم له في حروبه ضد مصر، ومن هذه الامتيازات اشتراكهم ـ كأعضاء ـ في مجلس الشيوخ الروماني[38] المعروف بالسناتو Senato، كما أصبح لهم نفس حقوق اليونان (الأغريق) في التمثيل في المجالس المحلية[39]، كما أصبحت لهم مؤسساتهم الثقافية المستقلة. وقد عُثر على نقش بسيرينيكا يرجع إلى أيام المسيح ويتضمن قائمة بأسماء أعضاء منظمة رياضية للشباب اليهودي[40]، وكان يهود سيرينيكا يمثِّلون نصف سكان المقاطعة. وهجرتهم إلى فلسطين تمَّت في العقد الثاني من القرن الأول وكان عمر ق. مرقس آنئذ حوالي 18 سنة.

(35) ساويرس بن المقفع، مخطوط سير البطاركة رقم 553 بالبطريركية والسنكسار جزء 2 صفحة 103، ومخطوط سير الرسل الاثني عشر تاريخ رقم 547 بالبطريركية، E. L. Butcher, *op. cit.*, I, p. 141.

ولهذا يُحسب القديس مرقس أنه ليبي الموطن يهودي الجنسية.

(36) E. Schürer, *Geschichte des jüdischen Volkes im Zeitalter Jesu Christi*, (Leipzig, 1909), Vol III p. 73.

(37) Joseph., *Antiq.* XIV, VII, II, p. 295.

(38) Cambridge, *Ancient Hist*., Vol. XI, p. 671.

(39) من هذا نفهم أن عائلة ق. مرقس كان لها حيثية على المستوى الحكومي والسياسي، وقد أهَّل هذا القديس مرقس أن يحضر المحاكمات التي أُجريت في أُورشليم لمحاكمة المسيح سواء لدى السنهدريم اليهودي أو المحكمة الرومانية، لا كشاهد وحسب ولكن كمتابع عن قرب لدرايته باللغة الرومانية.

(40) Butcher, E. L., *op. cit.*, Vol. I, p. 2.

القديس مرقس في أورشليم:

واستناداً إلى رواية ساويرس أسقف الأشمونين (أواخر القرن العاشر) المنقولة عن مصادر قبطية قديمة، يتضح أن أسرة القديس مرقس هاجرت إلى أُورشليم بعد هجوم البربر على سيرينيكا Cyrenaica وذلك في أواخر عهد أغسطس قيصر (الذي حكم من سنة 30 ق.م إلى 14 ميلادية) وحملت معها ثروتها إلى الأراضي المقدَّسة[41].

ويقول الدكتور عزيز سوريال عطية إن مرقس آنئذ كان قد أكمل 15 سنة من عمره. ولكن يقول الدكتور ميخائيل مكسي إنه كان قد ناهز 18 سنة. علماً بأن المعروف أن ق. مرقس وُلِدَ بعد ميلاد المسيح بثلاث سنوات[42] وأنه تعرَّف على المسيح عن طريق زيارات المسيح للعليَّة في صهيون في بكور خدمته، حيث لم تكن هذه العليَّة سوى بيت عائلة القديس مرقس (أع 12:12). أي أن القديس مرقس قد عاين أعمال المسيح منذ البداية. ويؤيِّد هذا الكلام أسقف مدينة كليفتون[43] الإنجليزي (1901) الذي يقول:

[إن بداخل إنجيل ق. مرقس ما يؤيِّد أنه كتبه كشاهد عيان لأعمال المسيح].

ويؤكِّد ساويرس ابن المقفَّع وابن كبر عن مصادر قديمة أن ق. مرقس حضر حفل العُرس في قانا الجليل وكان مع الذين يملأون الأجران، كما حضر العشاء الأخير وسمع كلام سر الإفخارستيا[44].

وتقول بعض المصادر القديمة إن سمعان القيرواني أبا ألكسندر ورُوفس وولديه كانوا يقيمون في منزل ق. مرقس، وكان السيد المسيح يتردد على هذا البيت طبقاً لما ذكره أبو المكارم سعد الله في مخطوط تاريخ الكنائس[45].

ويقول دكتور عزيز سوريال إن ق. مرقس كان **أقرب شاهد لحياة المسيح** (صفحة 25). ويقول التقليد الكنسي إن المسيح اختاره مع السبعين رسولاً وذلك منذ البدء، يذكر هذا ساويرس ابن المقفع (القرن العاشر في كتابه سير الآباء البطاركة). وقد تقبَّلت الكنيسة هذا التقليد الثابت

(41) ساويرس بن المقفع مخطوطة رقم 553 تاريخ البطاركة بالدار البطريركية.

(42) Aziz S. Atiya, *History of Eastern Christianity*, London, 1968, p. 25.

(43) Bishop of Clifton, *The Earl. Hist. of the Church of God*, 1901, pp. 44, 45. وهذا المرجع ذكره د. ميخائيل مكسي، تاريخ كنيسة بنتابوليس صفحة 106 هامش 45.

(44) الدكتور ميخائيل مكسي اسكندر، تاريخ كنيسة بنتابوليس صفحة 107.

(45) مخطوط بالبطريركية ورقة (121)، وابن كاتب قيصر في تفسير سفر الأعمال ورقة (201)، وابن المقفع صفحة 14، ويوساب أسقف فوه القرن 13 صفحة 4، وابن كبر في مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة الباب الرابع.

ووضعت اسمه مع قائمة أسماء السبعين رسولاً باللغة القبطية عن الأصل اليوناني عن ابن كبر (مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، الكتاب الرابع). كما يذكر العالِم الكاثوليكي ابن الصليبي في تفسيره لإنجيل مرقس، أن مرقس [دُعي للتلمذة برفقة السبعين تلميذاً وسمِّي: الثيئوفورُس أي حامل الإله]. والكنيسة القبطية تدعوه عن حق وجدارة بالمعلِّم والرسول وناظر الإله.

ومعلوم أن عائلة ق. مرقس كانت من أثرياء الجالية اليهودية في القيروان ولما هاجرت إلى الأرض المقدَّسة، استوطنت أُورشليم. وأقام والد ق. مرقس– والذي ذكر الأسقف ساويرس ابن المقفع (من القرن العاشر) أن اسمه أرسطوبولس ـ أقام بيته الكبير الذي اتسع لكل الرسل والتلاميذ للإقامة يوم الخمسين، مع عليَّة أعلى البيت كانت المكان المفضَّل للمسيح. والمظنون بالتالي أنه اشترى قطعة أرض في منحدر جبل الزيتون وهي التي سميت ببستان جثسيماني أو معصرة الزيت لتعيش منها الأسرة. ولكن لا نعلم متى توفِّي أرسطوبولس وحل القديس مرقس محلَّه كرب البيت.

بهذا يكون القديس مرقس الرسول بصفته صاحب العليَّة قد حضر ليلة تأسيس العهد الجديد، واستقى الدم من يد الفادي، وخدم غسل الأرجل، ونظر اتضاع المخلِّص وصار الاتضاع حياته. وأنه صاحب بستان جثسيماني وحضر كل حوادث القبض كشاهد عيان، ورأى قُبلة يهوذا وتبع المسيح إلى المحاكمة، وسجَّل دقائق ألاعيب رؤساء الكهنة واستحضار شهود الزور، وعاين الآلام الأُولى من الخدم من لَكْمٍ وبصاق، وشاهد وشهد على إنكار ق. بطرس ثلاثاً على صياح الديك وحضر البكاء. وتابع أعمال بيلاطس كمراقب عن كثب يشاهد ويسمع ويفهم، لأنه كان متضلِّعاً في اللغة الرومانية (اللاتينية)، وسجَّل تحركاته القلقة في محاكمة الرب وهو غير راضٍ عن القضية بجملتها. وأخيراً عمل بيلاطس «ما يرضيهم» ورأى ق. مرقس الآلام المروعة قبل الصليب، ورأى خشبة الصليب، وشاهد سمعان قريبه قادماً بوحي إلهي ليحمل على كتفه صليب مَنْ حمل العالم في قلبه، وعاين الصلب مع أُمه مريم وعاد معها مكسور القلب، وعاش أحلك أيامه حتى رأى الرب قائماً في العليَّة حيًّا ممجداً مفتتحاً بجسده القائم من الأموات الخليقة الجديدة لإنسان العالم الجديد، فدخل فرحة القيامة وقَبِلَ مع التلاميذ نفخة الروح ونال قوة الكرازة للعهد الجديد.

ومكث ق. مرقس في العليَّة كوصية الرب لا يفارقها مع المتعاهدين على الصلاة والصوم مع كل التلاميذ ومع مريم أم يسوع وإخوة الرب، ورأى الروح كألسنة نار استقرت على رؤوس الحاضرين الاثني عشر وامتلأ بالروح مع الذين امتلأوا وتكلَّم بالروح مع المتكلمين وانطلق يكرز مع الكارزين.

أين ومتى كتب القديس مرقس إنجيله:

لم يُعطِ التاريخ المسجَّل زمن كتابة الإنجيل بتحديد سواء في الإنجيل نفسه أو في أعمال الرسل، لذلك تكاثرت التخمينات سواء من جهة زمان كتابته أو المكان الذي خَلَدَ إليه ق. مرقس ليكتب إنجيله. فمن جهة الزمان اختلف بين المبكِّر(46) سنة 45م والمتأخر سنة 60م وما بعد ذلك. أمَّا المكان فقيل إنه كُتب في روما وقيل لا بل في الإسكندرية، كما قيل أيضاً إن مرقس الرسول **جاء إلى مصر وإنجيله في يده** (د. عزيز سوريال عطية).

ولكن بالاستقراء المتأني وبفحص الإنجيل آية آية انتبهنا إلى أن الإنجيل هو عبارة عن تسجيلات متتابعة عن رؤية وسمع، والقليل منها نقلاً شفاهياً من بطرس الرسول أو نقلاً كتابياً من المخطوطات الأقدم جداً مثل المكني عنها في أبحاث الكتاب المقدَّس بالحرف Q وهو ضائع وغير موجود.

لذلك يتعذَّر بل ربما يستحيل أن يُقال إنه كُتب سنة كذا أو في مدينة كذا، فهو حصيلة التسجيلات الفورية التي تأتي متقطعة ومتباعدة لا يربطها إلاَّ كلمات ربط، تضغط على الزمان ضغطاً ليبدو وكأنه استمرار، مع أن الحوادث تنطق أنها متباعدة مكاناً وزماناً.

وربما جرى قلم القديس على بعض الكلمات يفسِّرها لاتينياً من وضعها العبري بدافع عرض إنجيله على أهل روما عندما كان هناك. ويقول المؤرِّخ د. عزيز سوريال عطية عن مؤرخين آخرين إنه كتبه إمَّا باللاتينية أو اليونانية أو ربما باللغتين(47). ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم إنه كتبه باليونانية في مصر.

وردًّا على الذين يقولون إن الإنجيل من تأليف متأخِّر في الستينات، يقول المؤرخون: إن **إنجيل ق. مرقس ظهر بعد اثنتي عشرة سنة من حادث الصلب**، وهذا يطابق سنة 45م. كما يطابق ميعاد دخول ق. مرقس الإسكندرية للبشارة بالإنجيل. كما يقولون: كان إنجيله بين يديه. وغيرة ق. مرقس على نشر إنجيله في باقي إقليم مصر بين غير المتكلِّمين باليونانية كانت واضحة منذ بداية خدمة التبشير إذ طلب أن يُترجم بلغة أهل مصر وهي القبطية البحيرية أولاً وبعدها بمائة سنة تقريباً تُرجم الإنجيل إلى اللهجة الصعيدية.

---

(46) يقول العالِم: ك. ك. توري C. C. Torrey (1947م) متحدياً الذين يُعطون تواريخ متأخرة، إنه كُتب سنة 39 أو 40م مبرهناً على أبحاثه من داخل الإنجيل، علماً بأن هذا العلاَّمة أرجع الإنجيل إلى أصله الأرامي في ترجمة أصدرها سنة 1912م.
C. C. Torrey, quoted by S. P. Kealy, *op. cit.*, p. 148.

(47) Aziz S. Atiya, *op. cit.*, p. 26.

ومن هذه الحقائق يتبيَّن بُعد المسافة عن حقيقة إنجيل ق. مرقس وما نسبه إليه بعض المؤرخين نقلاً عن بعضهم دون تفحُّص دقيق لمادة الإنجيل الذي يتكلَّمون عنه.

التقليد القديم الخاص بكتابة إنجيل القديس مرقس بما له وما عليه من علاّت:

1 ـ تقليد بابياس أسقف هيرابوليس:

أول مَنْ افتتح هذه الروايات الخيالية عن الإنجيل هو بابياس أسقف هيرابوليس (60ـ130م) في آسيا الصغرى، وقد فُقدت كتاباته ولكن أقواله وصلت إلينا عن طريق يوسابيوس في كتاب تاريخ الكنيسة. ولم يكن بابياس نفسه يتكلَّم عن معرفة شخصية، بل كان ينقل ـ حسب قوله ـ عن الكاهن المكرَّم (؟)، ويُعتقد أنه كان يتكلَّم عن يوحنا الشيخ (قد يكون هو يوحنا الرسول):

[وقال الشيخ هذا أيضاً: إن مرقس وإذ أصبح المفسِّر (rmhneut«j˜) لبطرس، دوَّن بدقة كل الذي تذكَّره من الأمور التي قالها وعملها الرب. ولكن ليس بترتيب، لأنه لم يسمع الرب ولا تبعه، ولكن فيما بعد ـ كما قلت ـ تبع بطرس الذي جعل تعاليمه توافق السامعين ولكن دون أن يقدِّم تقريراً متماسكاً عن أقوال الرب. هكذا وبالتالي، لم تبدُ من مرقس أخطاء وهو يسجِّل الأشياء كما تذكرها هو الآخر، لأنه جعل همَّه أن لا يسقط منه شيء مما سمع حتى لا يسجِّل حقائق مزيَّفة في إنجيله] انتهى[48].

وواضح من هذا التسجيل أن الجملة الأُولى فقط هي المنسوبة للشيخ (يوحنا) وهي هكذا: [وإذ أصبح مرقس المفسِّر لبطرس دوَّن بدقة كل الذي تذكَّره من الأمور التي قالها وعملها الرب] انتهى. والباقي هو تعليق من بابياس.

وهذا الذي ينقله بابياس عن الشيخ لا يتوافق مع كل ما نعرفه عن شخص ق. مرقس كما تسجِّله له الرسائل، فهو كارز ومعلِّم وليس مجرد مترجم أو مفسر بل هو «نافع للخدمة» (2تي 11:4)، «والعامل معي في ملكوت الله» (كو 11:4). إذاً، نفهم من هذا أن التقرير الذي ينقله بابياس عن "الشيخ" لا يعطي الصورة الصحيحة عن القديس مرقس.

كذلك حينما نأتي إلى تقرير بابياس الذي يقول إن ق. مرقس لم يَرَ الرب ولا سمعه ولا تبعه، نجده مخالفاً تماماً لحقيقة ق. مرقس كصاحب العليَّة بل وصاحب ضيعة جثسيماني. وهذا الأمر ينفيه قول أسقف كليفتون السابق ذكره: [إن بداخل إنجيل مرقس ما يؤيد أنه كتبه كشاهد عيان لأعمال المسيح].

(48) Eusebius, *H. E.* iii. 39. 15.

ولكننا لا نُعْدَم شهادة حسنة من تحت قلم بابياس فيما يخص إنجيل ق. مرقس، إذ يقول مدافعاً عنه هكذا: [لم تبدُ من مرقس أخطاء وهو يسجِّل الأشياء كما تذكَّرها لأنه جعل همَّه أن لا يسقط منه شيءٌ مما سمع حتى لا يسجِّل حقائق مزيفة في إنجيله]. وهذه الشهادة نأخذها نحن بدورنا ونطبقها على كيف كان يسجِّل ق. مرقس إنجيله بدقة متناهية حادثة بحادثة وخبراً بخبر كما شاهده وسمعه دون زيادة أو نقصٍ، فجاء إنجيله إنجيلاً تسجيلياً بالصوت والصورة كما يقولون أي عن رؤيا وسمع.

2 ـ تقليد مقدِّمة إنجيل مرقس الموجهة ضد ماركيون:

كان من دأب الذين ينسخون أسفار العهد الجديد قديماً أن يفتتحوها بمهاجمة ماركيون الهرطوقي. وقد وصلنا من هذه المقدمات وصف لإنجيل القديس مرقس ضائع منه بعض سطوره الأُولى ولكنه يستمر قائلاً:

[مرقس أعلن ... وكان يسمَّى ذا "الإصبع الصغير" Colobodactylus (لاتيني) Kolobod£ktuloj (يوناني)، لأنه كان له أصابع قصيرة، وكان مترجماً (مفسِّراً) ـ interpres ـ لبطرس، وبعد موت بطرس كتب إنجيله في أماكن بإيطاليا.](49)

ويوافق العالِم المؤرِّخ هارناك(50) على صحة هذه المقدِّمة ويحدِّد زمانها بسنة 160ـ180م. وبفحص هذه المقدِّمة يظهر أنها مأخوذة من قول بابياس، ولكنها تعطي معلومة جديدة وهي أن القديس مرقس كان له أصابع صغيرة. هذه معلومة متأخرة تاريخياً نوعاً ما عن بابياس، وقد ذكرها هيبوليتس. ولكن بسبب ذِكرها في مقدمة من القرن الثاني موجهة ضد مارقيون، أصبحت ذات وزنٍ تاريخي عالٍ.

كذلك تضيف هذه المقدمة "ضد ماركيون" أن ق. مرقس كتب إنجيله في إيطاليا وليس في روما بالذات **وبعد موت بطرس في روما**. هذا يجعلنا نلتفت إلى ما سجَّله التاريخ لنا أن ق. مرقس بشَّر في مدينة أكويلا وفينيسيا بإيطاليا، وأن اسمه مذكور هناك وقد أُقيمت كنيسة عظيمة باسمه مع تماثيل وصور بلا عدد. هذا بحد ذاته هو الذي دعا كاتب المقدمة ضد ماركيون أن يقول إن ق. مرقس كتب إنجيله "في إيطاليا". وهذه المعلومة تأتي مبكِّرة عن ما قدَّمه إيرينيئوس بعد ذلك.

(49) De Bruyne, D., *Les plus anciens prologues latins des Evangiles, Revue Benedict.* XL. 193-214 (July 1928), cited by V. Taylor, *op. cit.*, p. 3.

(50) Vincent Taylor, *The Gospel According to St. Mark*, p. 3 n.1.

3 – يوستين الشهيد(51):

ولو أنه لم يذكر إنجيل ق. مرقس مباشرة ولكنه تكلَّم عن معلومة لا توجد إلاَّ في إنجيل ق. مرقس (17:3): «ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخا يعقوب، وجعل لهما اسم **بوانرجس أي ابني الرعد**» ولكنه لم ينسب هذا القول إلى إنجيل ق. مرقس بل إلى: [مذكرات بطرس ¢pomnhmoneÚmata Pštrou](52). ويعود أيضاً ويذكر في نفس المرجع عبارة اقتبسها مما جاء في إنجيل ق. مرقس (3:6): «أليس هذا هو **النجَّار** ابن مريم، وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان؟ أوليست أخواته ههنا عندنا؟ فكانوا يعثرون به» فيذكر منها كلمة: tšktonoj nomizomšnou "أي المحسوب نجَّاراً"(53) وهذه الصفة للمسيح لم يذكرها إلاَّ مرقس.

4 – إيرينيئوس:

جاء ذكر إنجيل ق. مرقس في كتاباته عن الأناجيل، فبعد أن ذكر أن إنجيل القديس متى كُتب أثناء ما كان القديسان بطرس وبولس على قيد الحياة يبشِّران بالإنجيل وينشئان كنيسة رومية (هكذا):

[**وبعد أن استشهد كلاهما**، قام تلميذ بطرس والمترجِم له لينقل لنا كتابة الأمور التي بشَّر بها بطرس.](54)

5 – القانون الموراتوري:

وهو الذي طبعه ل. أ. موراتوري سنة 1740م وهو في أجزاء شديدة التلف من مخطوط يرجع تاريخه إلى القرن السابع أو الثامن في مكتبة أمبروزيان في ميلانو. وهو يحوي الأسفار المعروفة في روما في الفترة بين سنة 170ـ190م. وجملة الافتتاح جاءت ناقصة وهي تعني إنجيل مرقس إذ أنها متبوعة "بالإنجيل الثالث بحسب لوقا"، وهي تقص نفس قصة بابياس أن الأشياء التي قالها ق. بطرس سجَّلها ق. مرقس.

6 – كليمندس الإسكندري:

ثلاث صفحات من كتابات كليمندس تدعو للإلتفات، منها صفحتان ينقلها عنه يوسابيوس والثالثة متداولة باللاتينية:

(أ) [حينما أكمل بطرس كرازته في روما جهاراً وأعلن الإنجيل بالروح، فالحاضرون وكانوا

(51) Just. Mart. *Dial*. (before A. D. 161).

(52) Just. *Dial*. (106).

(53) Ibid., (88).

(54) Iren. *A. H*. iii 1,2.

كثيرين ترجوا مرقس كونه كان مرافقاً لبطرس مدة طويلة ويذكر كل ما قاله أن يسجِّل لهم كلماته. ومرقس عمل هذا ونسب إنجيله إلى الذين ترجوه. وحينما علم بطرس بذلك لم يتحمَّس في ممانعة ذلك ولا هو شجَّع العمل.] (55)

(ب) [ويقولون إن بطرس حينما سمع ما قد عمل (مرقس) كما أعلن له الروح سُرَّ بغيرة الأشخاص الذين طلبوا منه ذلك وصادق على الكتابة لقراءتها في الكنائس.] (56)

(ج) [مرقس الذي تتبع بطرس بينما كان بطرس يكرز علناً بالإنجيل في روما في حضرة بعض قادة قيصر، وقد قدَّم شهادات كثيرة بالنسبة للمسيح، تقدَّم هؤلاء برجاء أن يكون لديهم ما يتذكرونه من هذه الشهادات التي قيلت إليهم، فكتب لهم الإنجيل المذكور حسب مرقس.] (57)

في هذه الصفحات وخاصة ب ، ج نجد أن التقليد المنسوب للقديس بطرس بدأ ينمو ويُزاد عليه. والكلام يناقض بعضه، فالقول إن القديس مرقس كتب إنجيله في حياة بطرس يناقض ما جاء في إيرينيئوس والمقدِّمة ضد ماركيون.

7 – أوريجانوس:

حينما كان يصف الأربعة أناجيل يعيد مؤكِّداً ما قاله بابياس ويوثِّقه بما جاء في رسالة بطرس الأُولى:

[وثانياً هذا الذي حسب مرقس الذي عمل كما علَّمه بطرس الذي يعترف به كابن في الرسالة العامة بقوله: «تسلِّم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقس ابني» (1بط 13:5).] (58)

8 – جيروم:

يكتب: [والثاني مرقس مترجم بطرس الرسول وأول أسقف على الإسكندرية الذي نفسه لم يَرَ المخلِّص ولكنه قصَّ الأمور التي سمع معلِّمه يعظ بها مع أمانة للأعمال ذاتها أكثر من ترتيبها.] (59)

وهذه الشهادة واضحة أنها نقلاً عن بابياس. والنقطة الجديدة الوحيدة أن مرقس **كان أول**

(55) Euseb., *H. E.* vi, 14.6f.
(56) Ibid., *H. E.* ii, 15.2.
(57) *Adumbr. in I Pet.* V. 13.
(58) Euseb., *H. E.* vi. 25. 5.
(59) Jerome, *Comm. in Matt.*, Prooemium.

أسقف على الإسكندرية وهذا التقليد نسمعه لأول مرَّة هنا من جيروم (342-420)، لأنه غير مذكور في أي من السابقين، لا في بابياس ولا إيرينيئوس ولا كليمندس مع أنه إسكندري، ولا حتى أوريجانوس الذي تربَّى في المدرسة التي أنشأها ق. مرقس.

ولكن من المستحيل أن يتوافق هذا مع التقليد الروماني الذي سار كل السابقين على أساسه، خاصة وأنه منذ جيروم فصاعداً اهتم الكتَّاب الكنسيون بالقول أن ق. مرقس استشهد في السنة الثامنة من حكم نيرون (54-68) أي سنة 62م في الإسكندرية، وذلك يكون قبل موت بطرس وبولس، فجيروم يقول بالحرف الواحد في كتابه عن مشاهير الرجال(60):

[mortuus est autem octavo Neronis anno et sepultus Alexandriae succedente sibi Anniano. أي: تنيَّح في السنة الثامنة لحكم نيرون، ودُفن بالإسكندرية، وخلفه إنيانوس].

ويحذو حذوه كل من يوسابيوس والمراسيم الرسولية وإبيفانيوس(61).

ومن هذه التحقيقات يتضح لنا أن كل المؤرِّخين القدامى أخذوا عن بابياس أخذاً أعمى دون تحقيق أو مضاهاة هذه الأقوال على واقع الإنجيل نفسه، وانتحوا جميعاً ناحية بطرس وروما. فبطرس هو الذي أملى الإنجيل على تلميذه في روما، والبعض يقول قبل موته والبعض الآخر بعد موته. ويخرج عن هذا التقليد الغربي الصرف جيروم العالِم الإنجيلي. وهو بهذه المناسبة مولود في المدينة نفسها التي بشَّر فيها ق. مرقس أكويليا Aquileia بإيطاليا ودرس في روما؛ ولكنه انحدر إلى الشرق وعاش في أنطاكية وارتحل إلى صحاري سوريا عابداً متنسكاً لما يقرب من خمس سنوات، وأمضى بعض الوقت في القسطنطينية، ثم انطلق إلى روما وعمل مع البابا داماسوس كسكرتير له، وبعد وفاته انحدر إلى الإسكندرية ومصر ثم فلسطين واستقر في بيت لحم وعاش بقية حياته راهباً دارساً للإنجيل. وهو الذي ترجم الإنجيل إلى اللاتينية من اللغات الأصلية. وهو الذي ترجم أعمال يوسابيوس إلى اللاتينية وأكملها، وترجم مؤلفات أوريجانوس وديديموس وتحقيقاته التاريخية على غاية من الدقة. ومن الطرائف أنه يصوَّر دائماً وتحت قدميه أسد(62).

واضح أن تقليد جيروم شرقي وأنه من أكويليا التي كرز فيها ق. مرقس وأنه عاش في مصر وفلسطين وأنه مؤرِّخ مدقِّق. لهذا نأخذ بتحقيقه بكثير من الثقة وهو يطابق تقليدنا القبطي إلى حد كبير.

---

(60) *De Vir. Ill.* 8.

(61) Euseb. *H. E.* ii, 16 & 24; *Const. Ap.* vii, 46; Epiph. *Haer.* li, 6.

(62) *Oxford. Dict. of Christian Church*, p. 731.

أمَّا تقليد جميع المؤرخين القدامى الآخرين الذين سجلنا أقوالهم فهي نسخة من أقوال بابياس الذي بقوله أن ق. مرقس لم يَرَ الرب ولا سمعه يكون قد ألغى كل مصداقية أقواله فيما يخص القديس مرقس وإنجيله. هذا الأسقف الذي تسبب في حجب قيمة إنجيل ق. مرقس عنَّا كل القرون السالفة.

ولكن لا ينبغي أن ننفي عن إنجيل ق. مرقس بعض الاعتماد على كل من القديسيْن بطرس وبولس، فقد خدم معهما. وهو وإن كان قد أخذ شيئاً من ق. بطرس فقد أعطى أشياءً للقديس بولس. إذ كان ق. مرقس هو المصدر الدائم والمرافق لبولس ليتعلَّم منه ماذا قال الرب وماذا عمل وخاصة فيما سجله ق. بولس:

+ «فإنني سلَّمت إليكم في الأول **ما قبِلته أنا أيضاً**: أن المسيح مات مِنْ أجل خطايانا **حسب الكتب**، وأنه دُفِنَ، وأنه قام في اليوم الثالث **حسب الكتب** ...» (1كو 15: 3و4)

ومعروف أن ما قبله ق. بولس قبله من الرسل وبالأخص ق. مرقس، ولم يكن موجوداً من الكتب أثناء خدمة ق. بولس إلاَّ إنجيل ق. مرقس.

ولكن الانطباع العام الذي انتهى إليه جميع العلماء والنقَّاد في السنين الأخيرة أن ق. مرقس هو كاتب إنجيله كشاهد عيان ومسجِّل لما كان يرى ويسمع عن قرب من الحوادث ومن الرب نفسه. لذلك أصبحت التقاليد القديمة التي تداولت في الكنيسة على مدى العصور السالفة وأخذ بها كل الكتَّاب المنحازين لروما وللقديس بطرس أخذاً بلا تحفظ تعتبر الآن على غير ذي صحة ولا تفيد القارئ والمتتلمذ لحق الإنجيل بحسب ق. مرقس، لأن شهادة شاهد العيان تنقل الحق كما هو، حيًّا ينبض بالحياة، خاصة إذا كان الشاهد يهدف إلى استعلان الحق دون أن يتدخل في استعلانه.

هذا هو الإنجيل بحسب ق. مرقس كما نراه من خلف هذه الشواهد التي طوَّحت به بعيداً عن واقعه وحجبت تعليمه عنَّا كل القرون السالفة ظلماً وبدون معرفة بسبب هذا البابياس.

هذا هو مرقس الذي اعتاد أن يتقابل مع المسيح حينما كان يذهب للصلاة (ربما في بستان جثسيماني الخاص بالأسرة) في بيت مرقس، وهكذا تقبَّل مرقس التعليم وأصول الإيمان وأيضاً كان يتبع المسيح أينما سار ليسمع تعاليمه السماوية[63].

(63) راجع المراجع المذكورة في صفحة 28 هامش 44و45.

مؤهلات القديس مرقس للتعليم والكرازة:

لأن القديس مرقس له معرفة متقدِّمة في اللغة اليونانية واللاتينية بجوار العبرية، كانت له خلفية قوية في الشرح والتأويل والتعبير مع الترجمة بهذه اللغات، لذلك سُمِّي ق. مرقس في خدمته مع كل من القديسيْن بطرس وبولس بالمفسِّر rmhneut»j˜ وهي تفيد الترجمة والتفسير (أي الشرح) معاً. بمعنى أنه كانت له القدرة على شرح وتفسير الإنجيل باللغة اللاتينية لأهل روما وباليونانية للعالم اليوناني آنئذ في كل مكان. معنى هذا أن ق. مرقس كان ذا موهبة إنجيلية عالية القدر وبالتالي كان قديراً في الشرح وتعليم المؤمنين، مما كان يسمَّى في الكنيسة بالكاتشيزم Catechism. وهو على نوعين: **النوع الأول:** تعليم المتقدِّمين إلى المعمودية ليكونوا على مستوى المعرفة والإيمان الصحيح بالمسيح والخلاص بحسب الإنجيل، **والنوع الثاني:** تعليم المسيحيين عموماً أصول الإيمان المسيحي تعليماً صحيحاً مدرسياً. وكلمة كاتشيزم هي أصلاً من كلمة kathcšw = يجعله يسمع، أي يسمع الإنجيل، أي يتعلَّم.

وأول استخدامها كان على المستوى الشفاهي الذي كان يقوم به ق. مرقس للمؤمنين بعد أن يسمعوا عظات القديسيْن بطرس وبولس ويتأثروا ويطلبوا الإيمان والمعمودية. وهذا كان عمل ق. مرقس الأساسي بعد التعليم الأوَّلي ثم الخدمة diakon…a أي خدمة المعمودية للمؤمنين، وبعدها تكميل المعرفة شفاهياً. ولكن بعد أيام ق. مرقس أصبحت هناك كتب خاصة للتعليم ـ كاتشزم ـ وكتب للصلوات بالنسبة للمؤمنين مقرَّرة عليهم.

+ «خذ مرقس وأحضره معك **لأنه نافع لي للخدمة** = diakon…an. » (2تي 11:4)

وكان الذين يتعلَّمون مبادئ الإيمان قبل المعمودية يسمّون بالموعوظين ـ كاتيخوميني kathcoÚmenoi ـ وكان لهم مكان خاص في الكنيسة، ولكن قبل التناول مباشرة كانوا يخلون مكانهم ويخرجون خارج الكنيسة. وكان لهم قدَّاس خاص بهم يسمَّى قدَّاس الموعوظين ـ الكاتيخوميني ـ وكان يخلو من صلوات وأعمال الإفخارستيا. أمَّا معلِّم الكاتشزم أو مدرِّس التعليم الإيماني للمبتدئين فكان يسمَّى كاتشست Catechist (= kathcist»j). وقامت في الكنائس الأُولى مدارس خاصة بالموعوظين وكانت تسمَّى مدارس الكاتشسيز Catechese = kat»chsij.

والمعروف أن ق. مرقس أول رسول أسس مدرسة من هذا النوع في الإسكندرية وطوَّرها قبل استشهاده لتصير أول مدرسة لاهوت لتخريج الأساقفة. وقد تخرَّج منها بعد ذلك أعاظم اللاهوتيين والمعلِّمين على مدى العصور.

القديس مرقس يخدم في قبرس مع القديسَين برنابا وبولس:

+ «فهذان (القديسان برنابا وبولس) إذ أُرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية، ومن هناك سافرا في البحر إلى قبرس. ولما صارا في سلاميس ناديا بكلمة الله **في مجامع اليهود**. وكان معهما يوحنا (مرقس) خادماً Øphrěthn.» (أع 13: 4و5)

والكلمة يقابلها في العبرية حازان Hazzan وتعني معلِّم مدرسة أي كاتشست في المجامع. فالخدمة مع ق. بولس كانت مكمِّلة للوعظ أي تختص بتكميل التعليم والإعداد للمعمودية ثم المعمودية في مجامع اليهود. ويلاحَظ أن ق. مرقس كان من سبط **لاوي**، وكان يتقن العبرية أي يتقن التعليم والطقس معاً، وكان مترجماً لليونانية بالنسبة لليونان، واللاتينية بالنسبة للرومان. وهكذا برزت مواهبه في التعليم والتفسير. وهذه كلها استخدمها في كتابة إنجيله لتقديم بشارة متكاملة هادفة.

القديس مرقس يكرز مع القديس برنابا في قبرس:

ولكن ق. مرقس لم يشأ أن يكمِّل مع القديسيْن بولس وبرنابا الرحلة الأُولى صوب آسيا، ففارقهما وانحدر إلى أُورشليم. ولكن بعدها: «برنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرس» (أع 15:39). **وهنا يختفي اسم ق. مرقس من سفر الأعمال على مدى حوالي عشر سنوات**، ليظهر اسمه بعد ذلك في رسالة كولوسي (4:10) وفليمون (24) إذ عاد يطلبه ق. بولس باعتباره أنه عامل معه في الكرازة بملكوت الله:

+ «يسلِّم عليكم أرسترخس المأسور معي، **ومرقس ابن أخت برنابا**، الذي أخذتم لأجله وصايا. إن أتى إليكم فاقبلوه. ويسوع المدعو يسطس، **الذين هم من الختان**. **هؤلاء هم وحدهم العاملون معي** sunergo... **لملكوت الله**، الذين صاروا لي تسلية.» (كو 4: 10و11)

وهذه العشر سنوات تبدأ من رحلة ق. بولس الأُولى التي تخلَّف ق. مرقس في منتصفها سنة 45م حتى الرحلة التبشيرية الثالثة (انظر شرح رسالة رومية صفحة 28 رقم 18و19). وتلمِّح إلى ذلك المؤرِّخة بوتشر هكذا:

[وتوجه برنابا مع ق. مرقس إلى قبرس وإلى هنا لا يُذكر عنهما شيء في سفر أعمال الرسل، ولكن يرجح كثيراً أن مرقس ذهب حينئذ إلى كيريني (في المدن الخمس) ثم عاد القديس مرقس ماراً بالمدن الخمس (على الساحل) إلى الإسكندرية. ويؤيِّد هذا الرأي بعض تلميحات وردت عرضاً في العهد الجديد وكذلك ما ورد في التواريخ المصرية أن مارمرقس أسس خمس كنائس أخرى (على الخمس مدن) بين زيارتيه الأُولى والثانية إلى الإسكندرية ومن ضمنها

كنيستي كيريني وليبيا.](64)

بدء التقليد الشرقي لكرازة مرقس الرسول في كل من
الخمس مدن الغربية والإسكندرية على مدى هذه العشر سنوات:

المدن الخمس الغربية Pentapolis:

وهي في أيام حكم بيزنطة تُعرف بالمقاطعات الخمس: كيرين أو سيرين Cyrene (Kirawan) بتولمايس أو برقة Ptolemais = Barca، أرسينوي أو توشيرا Taucheira، برنيس Hesperides = Berenice وأبولونيا Apolonia هذا بحسب أبحاث العالمة بوتشر.

وقد أمضى القديس مرقس سنتين في الخمس مدن الغربية. ثم انحدر إلى الإسكندرية وكرز فيها لمدة سبع سنوات حسب التقليد. وبعدها عاد إلى أُورشليم وانطلق لملاقاة ق. بولس في رومية. ويوجد لدينا بحسب تسجيلات المؤرخين ثلاث روايات عن زيارة ق. مرقس للإسكندرية ولكلٍّ منها ما يؤيِّدها:

الرواية الأولى:

وتقول إن ق. بطرس أخذ زوجته مع ق. مرقس وقاموا برحلة إلى مصر للبشارة وافتقاد الجالية اليهودية الموجودة في بابليون مصر، والجالية الأخرى في الإسكندرية. أمَّا الجالية اليهودية في بابليون فكانوا من اليهود المستوطنين في مصر منذ مئات السنين ولا يتكلَّمون اليونانية، هؤلاء خدم ق. بطرس بينهم وهناك كتب رسالته الأُولى: «تسلِّم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقس ابني» (1بط 13:5). والمعروف أن أساس هذه الرحلة إلى الجنوب كان تكميلاً للهروب الذي بدأه ق. بطرس من أُورشليم إلى أنطاكية خوفاً من هيرودس. ثم من بابليون انطلق ق. بطرس وزوجته إلى أُورشليم عبر الصحراء الشرقية حيث طريق القوافل الدائم والمؤمَّن عليه في طرق ممهدة تحت الحراسة الرومانية. أمَّا ق. مرقس فانطلق إلى الإسكندرية للبشارة وتأسيس الكنيسة.

وإليك ما قالته المؤرِّخة بوتشر عن زيارة القديسين بطرس ومرقس لمصر:

[قد ثبت بالإجماع أن مؤسِّس كنيسة مصر هو القديس مرقس الإنجيلي، غير أن السنة التي جاء فيها إلى مصر لأول مرَّة لم يُتَّفق على تعيينها اتفاقاً تاماً. والظاهر أن ق. بطرس الرسول

(64) E. L. Butcher, *op. cit.*, vol. I, pp. 36,37.

"بوتشر": مؤرِّخة بروتستانتية زارت مصر حوالي سنة 1890م. وعسكرت بخيمتها بجوار دير القديس أنبا بيشوي وساعدها في ذلك مرقس بك سميكه في ذلك الوقت وكتبت كتابها قصة الكنيسة القبطية وهي مؤرِّخة منصفة إلى حدٍّ كبير وطبعته سنة 1897م.

رافقه إلى بابليون وهناك كتب رسالته الأُولى للأُمم كما أشار إلى ذلك في آخر تلك الرسالة. والباحث لا يستطيع أن يأتي بدليل قاطع أن بابل المذكورة في رسالة ق. بطرس هي بابليون المصرية، فضلاً على أن مؤرِّخي الغرب كثيراً ما حاولوا أن يثبتوا أن مدينة بابل هذه في أشور أو رومية عن طريق المجاز. غير أن العدالة توجب علينا ترجيح القول بأنها مصر وهو الأقرب إلى الصواب، لأن ق. بطرس كتب رسالته في مدينة مأهولة باليهود وكانت ملجأ لسيِّدِهِ (الطفل يسوع وأمه القديسة). علماً بأن أشور آنئذ كانت خارج الولاية الرومانية ... ويصعب علينا التصديق بأن بطرس الرسول استخدم كلمة بابل مجازاً للدلالة على رومية ... على أنه (يلزم الأخذ في الاعتبار) أن الكنائس الغربية كانت لا تعرف شيئاً عن بابليون مصر ـ بل والحديثين أيضاً من رجال الغرب ـ لأن كنيسة مصر تُعرف بكنيسة الإسكندرية.](65)

الرواية الثانية:

وفيها يُقال إن ق. برنابا أخذ مرقس ابن اخته وانحدر من قبرس نحو الإسكندرية وكرزا معاً في الإسكندرية.

والذي يلمِّح على ذلك المؤرِّخ نياندر المشهور:

[ومن بين الغيورين الأوائل الذين كرزوا بالإنجيل في الإسكندرية نجد أشخاصاً تثقفوا في الإسكندرية مثل أبولوس الإسكندري وأيضاً **برنابا القبرصي** ... وبحسب التقليد مرقس الإنجيلي كمؤسِّس كنيسة الإسكندرية ... ومن الإسكندرية إلى المدن الخمس وخاصة كيريني وذلك بسبب اتصالهما وتداخلهما معاً ووحدة الروح بين الاثنين. ولكن بالرغم من أن الإنجيل وجد طريقه مبكِّراً في الوجه البحري الذي كان يقطنه كثرة من اليونان واليهود المتكلِّمين باليونانية، إلاَّ أن الإنجيل لم يجد طريقه إلى مصر الوسطى والعليا بسهولة بسبب شيوع اللغة القبطية فقط وكثرة كهنة الأوثان وعدم ثقافة المواطنين هناك. إلاَّ أننا نسمع عن اضطهاد المسيحيين في صعيد مصر في أيام الإمبراطور سبتيموس ساويرس(66) أي في أواخر القرن الثاني! وقد حازت هذه المناطق في بكور القرن الثالث على نسخة من الإنجيل باللهجة الصعيدية.](67)

(65) E.L. Butcher, *op. cit.*, pp. 33, 34.

(66) Eusebius *H. E.*, VI, 1

(67) A. Neander, *General History of the Christian Religion and Church*, E. T., Edinburgh, 1847, Vol. I, p. 113.

الرواية الثالثة:

وفيها نعرف أن ق. مرقس انحدر وحده من قبرس إلى المدن الخمس في شمال إفريقيا، وركَّز كرازته في كيريني بالذات لأنها وطنه الأصلي والمدينة التي وُلِدَ فيها، وقد أسس فيها أول كنيسة. وبعدما كرز في المدن الخمس وأسس فيها كنائس ورسم أساقفة ومكث فيها سنتين، اتجه إلى الإسكندرية عن طريق الساحل الشمالي وكرز فيها وأسس الكنيسة وبقي فيها سبع سنوات. ثم غادر الإسكندرية وأكمل أسفاره مع ق. بولس وبقي معه في روما حتى استشهاده. ثم اتجه جنوباً إلى أكويلا أي فينيسيا(68) ومنها إلى المدن الخمس للمرَّة الثانية ثم الإسكندرية لثاني زيارة وفيها استشهد سنة 68م.

وهذه الرواية سنتعرَّض لها كما ذُكرت في التقليد القبطي بحسب المراجع الكثيرة الموغلة في القدم. ولكن تختلف المراجع في التاريخ ما بين المبكِّر فيها جداً والمتأخِّر. وهنا اختلفت آراء المؤرِّخين بالنسبة للبداية والنهاية. والتواريخ كالآتي:

1 ـ يوسابيوس القيصري المؤرِّخ يعطي تاريخاً لذهاب ق. مرقس إلى الإسكندرية في السنة الأُولى لحكم كلوديوس قيصر سنة 42م(69). ولكن تعلِّق على ذلك بعض المراجع المصرية المسمَّاه Chronicon Alexandrinum وتقول: بل مبكِّراً عن ذلك أي سنة 39م(70).

2 ـ تعلِّق المؤرِّخة بوتشر أنه بمقتضى البحث في سفر الأعمال يمكن أن نحددها بسنة 45م. وتقول إنه استمر في الإسكندرية حوالي سبع سنوات. وانطلق إلى أُورشليم سنة 50م ليحضر مجمعاً هناك. وتقول هذه المؤرِّخة إنه على أكثر ترجيح كتب إنجيله في بابليون مصر أثناء ما كان مع بطرس الرسول وزوجته(71). وتكتفي هذه المؤرِّخة برحلة واحدة لم تذكر غيرها في كتابها. غير أنها تعطي زمن استشهاد ق. مرقس سنة 62م.

3 ـ العالِم لاجرانج يعطي تاريخ مجئ ق. مرقس إلى الإسكندرية أثناء حكم كاليجولا (39ـ 40م).

4 ـ مخطوطة أثرية نشرها العالِم كيرستينوس Kirstenius تعطي تاريخ السنة السابعة لحكم

(68) مدينة **أكويلا** على البحر الأدرياتيكي في شمال شرق إيطاليا، هدمها Attila سنة 452م وسكَّانها بنوا بدلاً منها **فينيسيا** في نفس المكان تقريباً (قاموس LAROUSSE).

(69) Eusebius, *Chronic*. 2, PG 19, 539.

(70) *Chronicon paschale* = *Chronicon Alexandrinum*, PG 92, 559.

(71) E. L. Butcher, *op. cit.*, p. 21.

كلوديوس أي سنة 48م[72].

5 ـ د. عزيز سوريال عطية عن مؤرِّخين قدامى (كامل صالح نخلة والأسقف إيسيذوروس) يعطي تواريخ سنة 48 أو 55 أو 58 أو 61م[73].

6 ـ إيريس حبيب المصري أعطت تاريخ سنة 61م[74].

ولكن يبدو أن الذين أعطوا تواريخ متأخرة لم ينتبهوا إلى أن ق. مرقس قام بزيارتين للمدن الخمس والإسكندرية، وأن التواريخ المتأخرة تختص بالزيارة الثانية وليست الأُولى.

الزيارة الأُولى للمدن الخمس:

على أية حال وصل القديس مرقس إلى ساحل إفريقيا الشمالي ونزل في إقليم المدن الخمس واتجه إلى كيريني موطنه ومسقط رأسه. واستقبله اليهود هناك بالترحاب واستجابوا لدعوة الإنجيل دخلاء ووثنيون، يونانيون ورومانيون، وكلَّم الجميع كل جماعة بلغتها. وبحسب التقليد أن الله آزره بعمل آيات كثيرة حسب الوعد فتشدَّدت الكرازة وآمن واعتمد المئات والألوف. ويُقال أنه صنع أشفية كثيرة وأقام ميتاً ابن أرملة وحيداً لأمه فآمن بالمسيحية نحو خمسة آلاف. وقد ذكر هذه المعجزات الأب شينو في كتابه (قديسو مصر)[75]. وأقام أول كنيسة في كيريني ورسم عليها أسقفاً يُدعى ألينوس وجعل ابنه الأكبر قساً والأصغر شماساً ودعاهما أقاديوس وفيلبُّس حسب رواية أسقف نستروه (ميمر نشره بارجيه[76]). وأقام كنيسة أخرى في مارمريكا في النصف الشرقي للجبل الأخضر وكنيسة ثالثة في درنة[77]. ويقول د. زاهر رياض إنه أسس أربع كنائس، ويقول إن

(72) P. Kirstenius, *Vitae Evangelistarum quatuor*, Breslau, 1606, p. 325, cited by J.-J. L. Bargès, *Homélie sur S. Marc*, p. 187.

(73) Aziz S. Atiya, *History of Eastern Christianity*, p. 27.

وكامل صالح نخلة، تاريخ القديس مار مرقس البشير (1949م) صفحة 57و58.

والأسقف إيسيذوروس، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة (1923 ـ أُعيد طبعها سنة 1964م) صفحة 60.

(74) إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية الجزء الأول الطبعة الأُولى صفحة 19.

(75) Cheneau, Les Saints d'Egypte I, p. 500.

(76) J.- J. L. Bargès, *Homélie sur S. Marc*, Texte arabe et trad. française (Ernest Leroux, Paris 1877), p. 51.

وتقابلها صفحة 61 من النص العربي وهو ميمر عن مار مرقس لأنبا ساويرس أسقف نستروه.

(77) ابن الراهب مخطوط في المكتبة البطريركية باب 50 ورقة 207.

المسيحية لاقت انتشاراً سريعاً في المدن الخمس[78]. غير أن المؤرِّخ ساويرس ابن المقفع[79] يقول إنه لم يرسم أساقفة في زيارته الأُولى لليبيا لأن ق. مرقس كان يتطلَّع أن تكون أسقفيات المدن الخمس تابعة لكرسي الإسكندرية، لأن ليبيا في الإقليم المذكور كانت تخضع آنئذ تحت الحكم الروماني الذي كانت عاصمته في الجنوب هي الإسكندرية، ولذلك كانت هذه البلاد معتبرة أنها قطعة من مصر وتتبعها سياسياً. ومن هنا جاءت علاقة الكنيستين معاً. ويقول د. زاهر رياض إن ق. مرقس اكتفى أولاً بأنيانوس رئيساً لإيبارشيتي مصر وسرنيكا. ولكن هذا لا يستقيم مع الواقع إذ قامت بالفعل بحسب نصوص التاريخ كنائس لها أساقفة.

وفي الزيارة الثانية للمدن الخمس انطلاقاً من الإسكندرية أخذ ق. مرقس بعض العاملين معه من مصر ليخدموا في الخمس مدن الغربية ويساعدوه في الكرازة وفي تنظيم الكنيسة هناك. وقد رسم لوقيوس القيرواني كأول أسقف هناك. وقد جاء هذا الأسقف إلى مصر واستشهد فيها في نفس الوقت الذي استشهد فيه ق. مرقس 25 إبريل سنة 68م[80]. ومعروف أن ق. مرقس ترك لأهل المدن الخمس نسخة من إنجيله باللغة اليونانية وربما باللاتينية أيضاً لأن معظمهم كانوا من الرومان المستوطنين[81] كما ترك لهم نسخة من قدَّاسه الذي خدم به في الإسكندرية.

كذلك من المعروف أن ق. مرقس خدم في إيطاليا بعد روما في مدينة أكويلا التي صارت فينيسيا فيما بعد وأقام كنيسة هناك وثبَّت الإيمان وعمَّد أهلها وذلك حسب التقليد الروماني[82].

والمعروف أن بعض أساقفة المدن الخمس كانوا من المصريين ـ وقد بلغنا عن العالِم هارناك اسم متروبوليت مصري على كنائس المدن الخمس الغربية في أيام بطريركية ديونيسيوس الإسكندري (241ـ261م). وكان اسمه باسيليدس وكتب له ديونيسيوس رسالة[83].

لذلك بعد عودة مرقس الرسول إلى المدن الخمس لثاني مرَّة وسَّع جداً من خدمته هناك في المقاطعات الخمس، ويُقال إنه أقام هناك أربع كنائس وأقام عليها أساقفة وكهنة وشمامسة. وقد وطَّد القديس مرقس العلاقات بين الإسكندرية والمدن الخمس وخاصة كيريني وأصبحت تدين مع مصر

(78) د. زاهر رياض. القديس مرقس 1968م صفحة 31.

(79) ساويرس بن المقفع. سير الآباء البطاركة.

(80) د. ميخائيل مكسي، تاريخ كنيسة بنتابوليس المدن الخمس الغربية (1987) صفحة 131.

(81) د. ميخائيل مكسي، شرحه صفحة 132.

(82) Aziz S. Atiya, *op. cit.*, p. 27.

(83) A. N. F., Vol VI, pp. 94-96. Cf. Harnack, *Expansion of Christianity*, p. 322.

بوحدة الإيمان والمودة وتبادل العلم بل وتعيين الأساقفة من مصر على تلك المدن كما سبق.

ويُقال إنه بقي في ليبيا من سنة 56م إلى سنة 60م حيث بدأ زيارته الثانية لمصر سنة 61م.

دخول القديس مرقس الإسكندرية لأول مرَّة:

كان ذلك عن طريق الساحل الشمالي، ويقول يوسابيوس المؤرِّخ إن ذلك كان في السنة الأُولى من حكم كلوديوس قيصر سنة 42م أو ربما سنة 45م بعد سنتين قضاهما في المدن الخمس. وهذا ما تقول به المؤرِّخة بوتشر. وأنه مكث في الإسكندرية سبع سنوات وغادرها سنة 49م وحضر مجمع أُورشليم سنة 50م. وعلى أي حال دخل القديس مرقس الإسكندرية من الناحية الغربية عبر الصحراء بعد رحلة شاقة للغاية، وحتماً يكون قد أخذ استراحة عند جماعة الثرابيوتا[84] اليهودية القاطنة في مريوط والذين كانوا يمثِّلون القسم الأكثر نسكاً من جماعة الأسينيين المعتبرين أكثر فلسفة، والذين كانوا يعيشون في وادي قمران شرق إسرائيل. ويُعتقد أنهم كانوا قد قبلوا الإيمان المسيحي على يد الذين ذهبوا إلى أُورشليم لحضور الفصح ومكثوا إلى يوم الخمسين وعادوا يحملون نور الإيمان. لذلك لم يجد ق. مرقس صعوبة من أن يسلِّمهم الإيمان المسيحي ليكونوا نواة الحياة النسكية التقوية في مصر على الساحل. وبالفعل فإن مريوط وما حولها صارت تعج في القرن الثالث والرابع بالأديرة المسيحية وكان يُقدَّر عددها بخمسين ديراً تسمَّى على أسماء الأرقام: الدير الأول ... الدير السابع ... إلخ. بدءاً من الإسكندرية حتى حدود ليبيا.

وعبر القديس مرقس الشريط الساحلي حتى الإسكندرية ودخل من باب شرق[85] ومكانه الآن قرب محطة الرمل، ثم اتجه شمالاً قاصداً حي اليهود وكان يحتل خُمس المدينة وفي أجمل مواقعها[86]. وهناك على باب الحي وجد إسكافياً اسمه إنيانوس فجلس عنده ليصلح سيور حذائه التي بليت من طول الرحلة[87]. وكان قد عيَّنه الله لا ليصلح سيور حذائه بل ليصلح به هيكلاً له في مصر. الذي آمن واعتمد بعد أن رأى آية صنعها ق. مرقس معه إذ شفا يده من جرح عميق أثناء ما كان يصلح له حذاءه، فاستدعاه إنيانوس لزيارته في بيته، وأصبح بيته فيما بعد كعليَّة صهيون. وكان أن عيَّنه ق. مرقس أسقفاً على كنيسة الإسكندرية وذلك بعد سنتين من حضوره، كما عيَّن معه ثلاثة كهنة وسبعة شمامسة. أمَّا الكهنة فهم ميليوس Milius، وكوردونوس Kordonus، وبريموس Primos

(84) Euseb. *H. E.* ii. 17.

(85) Aziz S. Atiya, *op. cit.*, p. 27.

(86) E. R. Hardy, *Christian Egypt., Church and People*, New York, 1952, p. 7.

(87) د. ميخائيل مكسي المرجع المذكور، صفحة 118.

كما هو مكتوب في مخطوط سير الرسل والبشيرين[88]. وهكذا ومنذ البدء تأسست في كنيسة الإسكندرية هيئة الإكليروس بأقسامها الثلاثة أساقفة وقسوس وشمامسة، وكل هيئة ذات كيان مستقل ولكن خاضعة بالترتيب: الشمامسة خاضعون للقسوس، والقسوس خاضعون للأساقفة، والكل في طاعة الإنجيل وبحسب القوانين الكنسية. ولكن حتَّمت الضرورة بعد ذلك قيام طبقة أقل من الأساقفة دعيت الخوري إبيسكوبوس أي أسقف الأقاليم وهو غير أسقف المدن الكبرى[89].

وتقول المؤرِّخة بوتشر:

[أمَّا الكنيسة القبطية المصرية التي أسسها ق. مرقس فقد حافظت **إلى الآن** على أنظمتها وطقوسها التي كانت لها منذ مؤسسها أكثر مما حافظت أي كنيسة أخرى (إلى هذا اليوم)، وفيها بقيت سلسلة المراتب الكهنوتية الثلاث متصلة بغير انقطاع إلى يومنا هذا، وهي الأسقفية والقسوسية والشمّاسية. وقد حافظت أيضاً على الأسرار السبعة ولكنها تعتبر اثنين منها ضروريين للخلاص وهما المعمودية والعشاء الرباني (مع ملاحظة أن المؤرخة بوتشر كانت بروتستانتية.)][90]

أعمال القديس مرقس في الإسكندرية:

1 ـ القداس الإلهي:

وضع القديس مرقس قدَّاس خدمة الذبيحة المقدَّسة وهو ذو طابع خاص (انظر كتاب الإفخارستيا والقداس للمؤلِّف ففيه وصفٌ مسهبٌ لكل دقائق هذا القداس)، وقد صلَّى به القديس أثناسيوس وسجله كتابة كما سلَّمه للأسقف فرومنتيوس الذي عيَّنه على الحبشة ليصلِّي به. وقد أضاف إليه ق. كيرلس الكبير بعض الزيادات فسُمِّي باسمه ظلماً.

وقد تُرجم إلى اللغة القبطية ويُعتبر أقدم قداس في الكنيسة القبطية بعد "قداس الرب" الذي اكتشفنا وجوده ضمن طقس تقديم الحمل وعلَّقنا عليه في الكتاب المذكور (الإفخارستيا والقداس).

والمعروف أن هذا القداس انتشر في مواضع أخرى ولكن أصابه كثير من التغيير.

2 ـ المدرسة اللاهوتية:

أول رسول كارز يُنشئ مدرسة لاهوتية في المدينة التي كرز بها وأسَّس الإيمان فيها وعمَّد، وكان

(88) سير الرسل والبشيرين مخطوط 2 تاريخ بالدار البطريركية صفحة 164 وجه، ذكره كامل صالح نخله صفحة 76.

(89) M. Fowler, *Christian Egypt: Past, Present and Future*, London, 1901, p. 4.

(90) E. L. Butcher, *op. cit.*, pp. 38,39.

القصد الأول منها هو تعليم المعمَّدين ثم الإكليروس ثم الأساقفة. ولكن سرعان ما شملت كل المؤمنين وصارت بمثابة مدرسة الكاتشزم أي تعليم أصول الإيمان وتلقين مبادئ الإنجيل والعبادة والطقس، فجاءت منافسة لمدرسة الإسكندرية الوثنية الفلسفية المشهورة التي ورثت الفلسفة عن أثينا وحلَّت محلَّها. ولكن ما عتمت المدرسة المسيحية اللاهوتية حتى صارت منارة وبزَّت الوثنية شهرة وتأثيراً وصيتاً ونوَّعت العلوم فيها حتى شملت الطب والهندسة والفنون والموسيقى، وكان التعليم الفلسفي يقوم على الحوار كنظام أثينا الأول المعروف عندنا بالكاتشزم ـ السؤال والجواب.

ونحن نعلم أن ق. مرقس بحد ذاته عالم إنجيلي ولغوي أتقن لغات العالم الثلاث العبرية واليونانية واللاتينية، فكان اتساع أفقه غير متناه في استيعاب المعارف والتخطيط لأسس التعليم المسيحي التقليدي في مصر. وتلاميذ المدرسة من الرجال والشيوخ فيما بعد، كانوا عُلماءَ وفلاسفة من مصر وفلسطين وسوريا حتى وأثينا، ومنهم فلاسفة وثنيون، إذ تتلمذ فيها العالم الوثني أمونيوس صقاس أعظم فلاسفة الوثنيين في عصره.

وقد تخرَّج منها بعد ذلك بعض من بطاركة مصر، وكانوا على مستوى رفيع من العلم والتقوى والحكمة في إدارة شئون الكنيسة في أصعب الظروف، كما شهد لهم يوسابيوس المؤرِّخ(91). وقد بلغت أوج شهرتها في أواخر القرن الثاني. إذ نسمع عن عظماء فلاسفتها:

أثيناغوراس: وهو من المدافعين عن الإيمان المسيحي، وقد سُمِّي مجازاً فيلسوف أثينا المسيحي إذ قدَّم أعظم دفاع عن المسيحية سنة 177م إلى مرقس أوريليوس وابنه كومودس، وقدَّم مقالة ضافية عن قيامة الأموات. وكان في زمانه أعظم المدافعين عن الإيمان بأسلوبه السهل الدفَّاق وكان أول مَنْ قدَّم توضيحاً فلسفياً عن الثلاثة أقانيم في وحدانية الله(92).

القديس بنتينوس: سنة 190م. أول مدير للمدرسة اللاهوتية Catechetical School التي أنشأها مرقس الرسول في الإسكندرية، وقد تحوَّل من الوثنية إلى المسيحية، ويُقال إنه كان من جزيرة صقلية، وبرع في الإيمان والمعرفة وعلَّم في المدرسة ثم ترأسها.

(91) التاريخ الكنسي 10:5، وكذلك يشهد لهم جيروم قائلاً:
[منذ أيام مرقس الإنجيلي كان رجال الكنيسة في الإسكندرية علماء ذوي حكمة عالية ومعرفة متسعة سواء كان في الكتب المقدَّسة أو في العلوم الدنيوية]. مشاهير الرجال 36. De vir. ill. 36.

(92) *Oxford Dictionary of the Christian Church*, p. 103.

وكـان لـه أعظـم الأثـر في بـزوغ شخصيـة كليمنـدس الإسـكندري وذلـك في المـدة بـين 180 حتى وفاته. ويقول يوسابيوس إنه بشَّر بالإنجيل في الهند[93]. وتعيد له الكنيسة القبطيـة في 22 يونيـو مـن كـل عـام. ومعـروف أنـه نقَّـح اللغـة القبطيـة وسـاعد على انتشارها.

القـديس كليمنـدس الإسـكندري: (150ـ210م) يُقـال إنـه مـواطن أثيـني جذبتـه مدرسـة الإسكندرية وتتلمذ على مديرها بنتينوس، وصار مديراً لمدرسة الإسكندرية بعد بنتينوس سنة 190م. وقد أُجبر على الهروب بسبب عنف الاضطهاد سنة 202م. وأعظم كتبه: ''نصائح لليونان''، ''المربي'' عن الحياة المسيحية و''المتنوعات (الستروماتا)''، وتمشَّى مع الغنوسيين ولكن كانت أعظم معرفة عنده هي معرفة الإيمان المسيحي.

أوريجانوس[94]: مفخرة العلم والمعرفة المسيحية القبطية وأشهر فلاسفة المسيحية قاطبة (185ـ254). وهـو يُحسـب أول ناقـد مسيحي على مستوى إيجـابي وأعظـم شـارح للإنجيل والكاتب الروحاني الملهم. وقد أسهب المؤرِّخ يوسابيوس في شرح ترجمة حياته. استشـهد والـده ليونيـداس في الاضـطهاد الـذي وقـع على الإسـكندرية سـنة 202م، وقـد مُنـع أوريجـانوس وكـان ابـن 17 سـنة مـن الاستشـهاد بـدموع أمـه. وبعـد الاضـطهاد عيَّنـه ديمتريوس بابا الإسكندرية مديراً للمدرسة اللاهوتية بعد كليمندس الذي كان قد هرب من المدينة. وسيرة أوريجانوس رهبانية نسكية شديدة التقشُّف يعجز عن وصفها القلم. فكـان أمثولـة في النسـك والعلـم معـاً. وأمثولـة في الوقـوع تحـت اضـطهاد الرؤسـاء. ومـن أروع أعمالـه المدرسـية ''الهكسـابلا'' أي وضـع الإنجيـل في سـتة أعمـدة كـل عمـود بـه أحد النصوص باللغات القديمة للكتاب المقدَّس مع شروحات وهوامش وتعليق. وكتـب مـا يقـرب مـن 600 كتـاب. والمجـال هنـا لا يتسـع لأوريجـانوس واضـطهاده ونفيـه الاختياري على يدي الأسقف ديمتريوس الكرَّام (فلاَّح يزرع العنب).

(93) Ibid., p. 1027. وقد رجع بنتينوس من الهند ومعه نسخة من الإنجيل المقدَّس الذي للقديس متى باللغة العبرية. (Euseb, *H. E.* V, 10; Jerome, *De vir. ill.* 36).

(94) *Oxford Dictionary of the Christian Church*, p. 1008.

ديونيسيوس الكبير(95): (توفِّي سنة 264م) تلميذ أوريجانوس، ترأَّس على مدرسة الإسكندرية سنة 233م ثم صار بطريركاً سنة 246، وهو الرابع عشر في عداد البطاركة، وأثناء الاضطهاد سنة 250م هرب من المدينة ولكن قبض عليه، ولكنه هرب من معتقليه واختبأ ثم عاد سنة 251م. ولكن عاد فاليريان ونفاه سنة 257م. ولما عاد واجه الحرب والمجاعة والطاعون ومات شيخاً سنة 264م. وتعيِّد له الكنيسة الغربية في 17 نوفمبر ولكن عيده في الكنيسة القبطية هو في 3 توت (31 أغسطس حسب التقويم اليولياني). كان لاهوتياً بارعاً. ولكن كانت له نظرة خاطئة نحو الإنجيل الرابع والرؤيا.

أثناسيوس الرسولي(96): (296ـ373) بابا الإسكندرية العشرين. أبو اللاهوت المسيحي ومنقذ العقيدة والإيمان من براثن أريوس وأتباعه. وزعيم المدافعين عن الإيمان في مجمع نيقية. أمضى حياته كلها مؤلِّفاً لأعظم ذخائر الإيمان المسيحي على خُطَى الهروب من مدينة لمدينة ومن صحراء لصحراء. عاصر القديس أنطونيوس وصادقه وخدمه وغسل يديه وكتب سيرته فتعانقت الأرواح وتآخى كرسي مار مرقس الرسول مع جُبّة الراهب وتوافقا وتواعدا، وصار البطاركة يتخرَّجون من البرية عوض مدرسة الإسكندرية. وكان أول راهب يعتلي كرسي مار مرقس الرسول هو البطريك الرابع والعشرين المدعو كيرلس الكبير الذي ترهَّب في دير القديس أنبا مقار واختير بطريركاً سنة 412م وكان خاله هو البابا ثاؤفيلس السابق له على ذات الكرسي.

والذي ينبغي أن نوضِّحه ونؤكِّده أن مدرسة الإسكندرية رفعت من مستوى الإيمان والمعرفة والعلم لدى البطاركة والأساقفة وأئمَّة الكنيسة وأراختنها والشعب أيضاً، ولكن في دائرة الإسكندرية ـ لأن مصر والصعيد كانت تعاني من تعاليم أخرى واردة ـ فكانت عاملاً من العوامل الأساسية في رفع الروح القومية للشعب القبطي وإحساسه بالتفوق على العناصر البيزنطية الدخيلة التي كانت مسيطرة على السياسة وبالتالي على مقدَّرات الشعب. ولقد كان ق. مرقس العامل الأول في تحويل تيار الفلسفة البحتة إلى فلسفة إيمان ودين وعقيدة. وهكذا فلتت مدرسة الإسكندرية من سيطرة الفكر الفلسفي الملحد. وباختصار أصبحت مدرسة الإسكندرية البؤرة أو النواة الأُولى التي

(95) Ibid., p. 406.
(96) Ibid., p. 101.

تجمَّعت حولها مشاعر الوطنية الحرة على أساس من الكرامة الدينية والعلمية بآن واحد.

وقد كانت المدرسة اللاهوتية حتى أيام أوريجانوس مدرسة حرَّة، ولكن بعد رحيل أوريجانوس عنها وذهابه إلى قيصرية دخلت تحت تدبير الأساقفة. وبين أعاظم فلاسفتها بعد ذلك هيراقلاس (231ـ 233م) وثيؤغنسطس (248ـ 282م) وبيريوس (282ـ290م) ثم بطرس خاتم الشهداء (295ـ 300م)، وفي القرن الرابع نسمع عن ديديموس الضرير. وكان لمدرسة الإسكندرية القدح المعلَّى في ازدهار اللاهوت المسيحي في كل أنحاء المسكونة بواسطة الذين جاءوا لينهلوا من علمائها مثل غريغوريوس العجائبي أي الثافماتورغوس الذي آمن على يد أوريجانوس وتتلمذ له. وغني عن البيان ما كان لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية من تأثير مباشر على مستوى الإيمان والمعرفة والخدمة للكنيسة القبطية الأمر الذي جعلها تتبوأ في العصور الأُولى المركز الأول في العالم بالنسبة للعلوم الكنسية واللاهوتية.

3 ـ كتب التعليم الكاتشزم:

معروف أن ق. مرقس كان يباشر خدمة المعمدين في ترحاله مع كل من ق. بطرس وق. بولس بالنسبة للتعليم والإعداد للمعمودية، هكذا بدأ في الإسكندرية بوضع أول مناهج الكاتشزم التي تطورت ووصلت لنا في كتاب الديداخي أو في الديداسكاليا وهي تحمل خطوط الإيمان وأصوله الأُولى لتعليم المؤمنين، ونظام الكنيسة كما سبق القول.

ومن المقطوع به أن ق. مرقس كما دوَّن تسجيلات إنجيله عن سماع ورؤيا دوَّن بالضرورة تعاليم الرسل والأمور التي كانت تُعرض عليهم فيأخذون فيها أحكاماً:

+ «وإذ كانوا يجتازون في المدن **كانوا يسلِّمونهم القضايا التي حكم بها الرسل والمشايخ الذين في أُورشليم ليحفظوها**.» (أع 4:16)

وطبعاً واضح أنها كانت مكتوبة وكانت تُملى على المسئولين في كل كنيسة لتكون تحت يدهم. ويقيناً أن ق. مرقس احتفظ بها وزاد عليها وسلَّمها للكنيسة علماً وعملاً إذ كان يعمِّد بنفسه فقد عمَّد إنيانوس. وهكذا استلمت الكنيسة طقس العماد من يد ق. مرقس الرسول.

زيارة القديس مرقس للإسكندرية للمرة الثانية:

يقول المؤرخون إن ق. مرقس ترك روما بعد أن قَبِلَ ق. بولس الاستشهاد، وهنا تختلف الروايات بالنسبة للتاريخ، إذ ظن بعض المؤرخين أن القضية بالنسبة لموت بولس خرجت بعد المحاكمة الأُولى سنة 63م وبذلك يكون قد ترك روما سنة 63م. والبعض الآخر يظن أن المحاكمة

الأُولى انتهت بالبراءة وذهب ق. بولس يكمِّل كرازته حسب مشتهى نفسه في أسبانيا، ولكنه أُستدعي مرَّة أخرى لإعادة المحاكمة في سنة 67م، والتي انتهت بخروج القضية لحساب الملكوت واستشهد حبيب المسيح في شهر يونيو من سنة 68 أي قبل انتحار نيرون بشهر واحد. ولكن هنا يصبح التاريخ ضيقاً للغاية ليكون ق. مرقس قد اتجه مباشرة إلى الإسكندرية حيث استشهد هناك في نفس السنة مع أن التقليد يقول: إنه قَبِلَ إكليل الشهادة في 25 إبريل سنة 68م. لذلك كان التاريخ الأول هو الأكثر اتساعاً لاحتواء الأحداث أي أنه جاء إلى الإسكندرية سنة 63م.

ولكن الأكثر مناسبة أن ق. مرقس ترك ق. بولس بعد أن ودَّعه في روما أثر وصوله إلى هناك وذلك في خريف سنة 60م، ثم انحدر إلى أكويلا وزار أبناءه وتفقَّد الكنيسة التي بنيت على اسمه وغادرها إلى شمال إفريقيا ومكث بها سنتين أكمل فيها أعماله الرعائية وبناء الكنائس وتعيين الأساقفة، ورحل إلى الإسكندرية التي دخلها سنة 61 حسب معظم المؤرخين وأكمل تعاليمه وإقامة الإكليروس وتفقُّد المؤمنين. ويُقال إنه نزل إلى بابليون أيضاً وهكذا فرح بشعبه الذي تكاثر جداً ونمى سريعاً وعاين نشاطاً كبيراً في بناء الكنائس إذ بُنيت كنيسة بوكاليا (وموضعها الآن بجوار حمامات الشاطبي) أي "حوش البقر"، وهي الكنيسة التي استودع فيها جسد القديس مرقس. ونقرأ في سيرة القديس بطرس خاتم الشهداء (311م) أن أعداءه جرُّوه إلى الموضع المدعو بوكاليا حيث كان جسد القديس مرقس وأنه قبل استشهاده تبارك من جسد هذا القديس وأجساد البطاركة خلفائه المدفونين معه[97]. وقد آلت كنيسة بوكاليا بعد مجمع خلقيدونية للخلقيدونيين أي الملكيين فاستولوا على الجسد الذي باعوه أو سرق منهم واستقر في كنيسة البندقية أي فينيسيا وسيأتي الكلام عنه. وبُنيت كنيسة أخرى على الشاطئ ربما تكون مكان الكنيسة المرقسية الكبرى الحالية وتسمَّى كنيسة القمحة التي استودع فيها رأسه الطاهر تحت المذبح بسرداب عميق ـ الآن بلغ 31 درجة (سُلَّم حجري) تحت الأرض. والكاتب عاينه أيام كنت وكيلاً للبطريركية هناك، وعاين السرداب الذي يحوي 48 جسداً لبطاركة استودعت أجسادهم في هذا السرداب[98].

سرقة جسد القديس مرقس الرسول:

يقول المؤرخون، غربيون وأقباط، إن تجَّاراً من البندقية جاءوا ليلاً سنة 828م، واحتالوا على حرَّاس الكنيسة واستولوا على الجسد الطاهر دون الرأس. واستودعوه في عامود رخام مفرَّغ وحملوه

(97) A. N. F. VI, 265, 266.

(98) سليم سليمان: مختصر تاريخ الأُمة القبطية صفحة 283.

وأقلعوا إلى فينيسيا حيث استقبلوه هناك استقبالاً مهيباً بصفته كاروز فينيسيا الأول الذي سلَّمهم الإيمان وعمَّدهم. وظلت البندقية أي فينيسيا تحت حماية شفيعها القديس مرقس والأسد تحت رجليه! وليس البندقية فقط بل وكل إيطاليا تحتفظ للقديس مرقس بكرامة كبيرة(99).

أمَّا عن تفصيل حادث السرقة فقد جاءت في كتاب: "ناظر الإله القديس مرقس الرسول" لقداسة البابا شنودة الثالث: بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية هكذا:

[كتبها الاستاذ راداميس سنى اللقاني أمين صندوق الجمعية الأثرية بالإسكندرية في جريدة البروجريه إيجيبسيان ونقلته جريدة وطني عدد 1965/6/27م فقال: إنه في عهد الدوق جستنيان بارتيسبانو الذي تولى منصبه سنة 823م نقل إلى البندقية من مصر جسد مار مرقس الإنجيلي الذي كان موضوعاً تحت حراسة اثنين من الكهنة اليونانيين في إحدى كنائس الإسكندرية (وهي كنيسة بوكاليا أو التي شيِّدت موضعها والتي كانت تابعة لطائفة الروم الأرثوذكس الملكانيين) وكان في ميناء الإسكندرية عشر من سفن البندقية، فاتصل ربَّان إحدى السفن بالكاهنين اليونانيين واتفق معهما على أخذ رفات القديس، ففتحا بحذر شديد اللفائف التي تغطي جسد القديس دون أن يمسّا الأختام التي عليه ونُقل الجسد إلى السفينة فأخفي بين طيات الأشرعة (وكان العرب حكاماً على مصر) ونُقل جسد القديس للكنيسة الدوقية وسط حماس شديد وقد أصبح اسمه شعاراً التفَّت حوله مشاعر القومية.](100)

ويكمِّل قائلاً: وقد بنيت كنيسة كبيرة تكريماً لجسد ق. مرقس في عهد حاكمها جوستنيان تطل على خليج البندقية. وبعد أن احترقت سنة 977م جدَّد عمارتها الدوق بطرس أورسيلو، ثم بنيت سنة 1052 كنيسة فخمة مكانها بُدِئ بها سنة 1052 في أيام الدوق دومينيكو كونتاريني وأكملت كما هي الآن في القرن الثامن عشر. وفي بداية القرن العشرين أُجريت ترميمات استمرت عشر سنوات حيث أقيم احتفال تكريسها في 25 إبريل سنة 1912 حضره نائب عن ملك إيطاليا. ويروي أن البابا ليو التاسع ذهب في القرن الحادي عشر ليسجد عند قبر القديس مرقس.

تكريم الرأس الطاهرة:

اعتبرت الرأس الطاهرة بمثابة الحضور الشخصي للقديس مرقس فكان الباباوات يزورون الرأس

(99) ابن كبر، مصباح الظلمة، الباب الرابع (طبعة 1971 صفحة 89) وسيرة الآباء البطاركة سيرة البابا كيرلس الثالث (75) وبتلر في الترجمة العربية لفريد أبو حديد صفحة 322 عن راهب فرنسي اسمه برنار زار مصر سنة 870م.
راجع: DHGE, t. II, p. 292 (art. Alexandrie); Bernard, *Itinerarium*, 6, P. L. 121, 570.

(100) كتاب ناظر الإله الإنجيلي مرقس القديس والشهيد لنيافة الأنبا شنودة صفحة 65.

بعد رسامتهم ويقدمون السجود والكرامة وبعدها يُبدأ بالصلاة ورفع البخور أمام الرأس ثم يُقرأ مقدِّمة الإنجيل للقديس مرقس ويُختم بالصلاة والتحليل:

[ثم يُحجب بينه وبين سائر الإكليروس ويأخذ الرأس المقدَّسة ويضعها في حجره ويغيِّر من عليها الكسوة بكسوة جديدة من حرير، ثم يظهر للناس وهي في حجره ليقبِّلوها واحداً واحداً حسب رتبهم وبهذا يُدعى البابا الجديد خليفة مار مرقس.](101)

وكان الباباوات يعتبرون أنفسهم وارثين للكرسي المقدَّس لناظر الإله، والناطق بالإلهيات وحامل الإله وهي كلها ألقاب مرقس الإنجيلي بحسب التقليد.

صورة القديس مرقس في كنائس أوربا:

احتفظت كنائس إيطاليا وميونخ وباريس بصور فنية نادرة للقديس مرقس الرسول والأسد تحت رجليه رمز القوة والبأس. وكأنما أرادت الكنيسة أن تعوِّض عن إغفال حق القديس بسبب اتضاعه الشديد وإنكاره لذاته، بأن وضعت له هذا الشعار وهو الذي بدأ إنجيله بصراخ في البرية.

ولكن بحسب التقليد الكنسي المتوارث أن الأربعة حيوانات حاملة أربعة أوجه الإنجيل:

+ «وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من قدَّام ومن وراء (المعرفة المحيطة). والحيوان الأول شبه أسد (رمز القديس مرقس)، والحيوان الثاني شبه عجل (رمز القديس لوقا)، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان (رمز القديس متى)، والحيوان الرابع شبه نسر طائر (رمز القديس يوحنا).» (رؤ 4: 6-7)

وهكذا جعلت الكنيسة لكل إنجيلي رمزه في السماء والعجيب أنها دوِّنت حسب تواريخ كتابة الإنجيل وصفاته تقريباً.

(101) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة لابن سباع الباب 87.

ثانياً – مميزات إنجيل القديس مرقس

كلمة "الإنجيل eÙaggšlion" وأول استخدامها بواسطة القديس مرقس:

يعجب القارئ حينما يعلم أن القديس مرقس هو أول مَنْ نطق وكتب كلمة "**الإنجيل**" والتي أخذها عنه جميع الرسل. وهذا بحسب الأبحاث ومراجعة جميع المصادر حتى والتي يظن إنها سابقة على إنجيل القديس مرقس كالتي يكني عنها بحرف Q:

[إن الأبحاث الحديثة عن كلمة "**الإنجيل**" فيما استخدمت فيه من الأناجيل الثلاثة المتوازية Synoptic انتهت إلى الحقيقة أن ق. مرقس هو الذي نحت هذه الكلمة (أي ابتدعها من عنده) إذ لا يوجد أي دليل في كل ما رجع إليه مرقس من التقاليد، ولا حتى في ما قيل عنه إنها ''كتابات ما قبل لوقا''، ولا أي تقاليد يهودية شفاهية استقى منها أحد الإنجيليين مثل ق. يوحنا، ذكرت فيها هذه الكلمة. وبالدرس والتدقيق نجد كلمة ''الإنجيل'' بصورتها (كاسم) غائبة تماماً عن إنجيل يوحنا، ولا حتى ق. لوقا استخدمها، هذا من جهة الأناجيل جميعاً. أمَّا وجودها النادر في سفر الأعمال (فيقال إنها تسرَّبت أيضاً من تقليد مرقس).](102)

وقد وردت في إنجيل **ق. مرقس في 1:1**، كذلك في **14:1و15** ولكن للأسف جاءت في الترجمة العربية: ''بشارة'':

+ «وبعدما أُسلِمَ يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يَكرزُ **ببشارة** ملكوت الله (وهي في اليونانية: ''يكرز **بإنجيل** = eÙaggšlion'' ملكوت الله) ويقول: قد كَمَلَ الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا **بالإنجيل**.» (مر 14:1و15)

كذلك جاءت في (35:8): «من أجلي ومن أجل الإنجيل» وفي (29:10): «لأجلي ولأجل الإنجيل» وفي (10:13)، (9:14): «يُكرز بهذا الإنجيل» وفي (15:16): «أكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» وتكرار ق. مرقس لكلمة الإنجيل يكشف عن مدى حبه وتعلقه بها وما تحويه من معانٍ كثيرة في نفسه. إذ وازنها بالمسيح نفسه. ولا عجب فالإنجيل هو كلمته. وقد عبَّر عنه ق.

(102) Ralph Martin, *Mark Evangelist and Theologian*, p. 24; H. Conzelmann, *The Theology of St. Luke*, E. T. 1961, p. 221.

مرقس: «بالتعليم الجديد» (مر 27:1). وكان تقليد الكنيسة يعتبر مضمون كلمة الإنجيل منذ البدء هو: [قوة الله للخلاص وإعطاء الحياة الأبدية][103]. ويقول رالف مارتن في تعليقه على افتتاح ق. مرقس لإنجيله بقوله «إنجيل يسوع المسيح ابن الله» إنه يحدِّد دون أن يدري أنه هو إنجيلي بالدرجة الأُولى ولاهوتي أيضاً[104].

ما انتهى إليه العلماء في تقييم إنجيل القديس مرقس:

إن كان المؤرخون والعلماء المحدثون جميعاً قد اتفقوا على أن إنجيل ق. مرقس هو أقدم الأناجيل الأربعة، فهذا يحمل تقييماً آخر لهذا الإنجيل بالنسبة للأناجيل الأخرى جميعاً.

وفي هذا **يقول العالِم ستريتر**: إن إنجيل ق. مرقس هو السابق على كل من إنجيل ق. متى وإنجيل ق. لوقا، وقد تقاسما معاً إنجيل ق. مرقس بأجمعه ولم يتركا من نصوصه إلاَّ 32 آية وحسب[105]**!!**

إن تسعة أعشار إنجيل ق. مرقس نُقلت بحذافيرها في إنجيل ق. متى**!!**

وأكثر من نصف إنجيل ق. مرقس احتواه إنجيل ق. لوقا**!!**

ويمكننا أن نصف الوضع هكذا:

إن إنجيل ق. متى يعتبر نسخة مزادة لإنجيل ق. مرقس**!!**

وإنجيل ق. لوقا ولو أنه يبدو حرًّا، إلاَّ أنه ضمَّ إلى أصوله أجزاءً هامة كثيرة من إنجيل ق. مرقس[106].

ويقول العالِم مانسون[107]: وهكذا بعد أن جازت الدراسات الإنجيلية كل السنين الماضية غير مهتمة بإنجيل ق. مرقس فأُغمط حقه وحق كاتبه، فقد ثبت حديثاً أنه يقع في القمة بالنسبة لتسجيل حياة المسيح وتعاليمه. وقد كشفت دراسات إنجيل ق. مرقس حديثاً عن تفوُّق موقع إنجيل ق. مرقس عن قناعة كبار العلماء، وهكذا استعاد الإنجيل مركزه الأصيل.

والعجيب أن ما وصل إليه العلماء حديثاً لم يخرج عن ما قيل في بداية القرن العشرين بقلم **العالِم بوركت**[108] هكذا:

(103) Ralph Martin, *op. cit.*, p. 28.

(104) Ibid.

(105) B. H. Streeter., *The Four Gospels*, p. 195.

(106) Ibid., p. 151.

(107) Manson, T. W., *The Teaching of Jesus*, 1931, p. 22.

(108) Burkitt, *Earliest Sources for the Life of Jesus*, 1922, p. 97.

[إن الإنجيل بحسب ق. متى يُعتبر نسخة أحدث لإنجيل ق. مرقس السابقة عليه، إنما معادة ومنسَّقة ومضافة بمادة جديدة، أمَّا الإنجيل بحسب ق. لوقا فهو عمل تاريخي مركَّب من أجزاء من إنجيل ق. مرقس وأجزاء من وثائق أخرى].

منابع إنجيل القديس مرقس:

كان الطابع الذي يسيطر على الذين كانوا يدرسون الأناجيل في البداية هو الطابع التاريخي، باعتبار الأناجيل وثائق تاريخية أكثر منها مكتوبات للتعليم. وهكذا وقع إنجيل ق. مرقس في حقبة نسيان وإهمال كونه لا يمت إلى التأليف التاريخي. وخرج من هذه الأزمنة بصعوبة ليحتل في النهاية موضعه الصحيح باعتباره المرجع الأول الذي يصوِّر حياة المسيح وتعليمه.

بل وتأكد لدى الباحثين أن القديس متى اختار إنجيل القديس مرقس كأساس لعمله، أمَّا القديس لوقا فقد اعتبر إنجيل ق. مرقس الوثيقة الأكثر امتيازاً ليكتب منها قصته التي تحرَّى فيها الحقيقة بالتدقيق.

ونحن إذا تغاضينا عن معلومة بابياس المبتورة التي نفى فيها أن يكون للقديس مرقس معرفة أو مقابلة للمسيح، نقول إن ق. مرقس بما كان له من معرفة ورؤية ومتابعة للرب يسوع المسيح، وتسجيله إنجيله عن مشاهدة وسماع ومتابعة، إن كان قد ضاهى معرفته هذه بما سمعه وتعلَّمه من ق. بطرس الرسول نكون قد حصلنا على وثيقة ذات اعتبار كبير، ممتدة وقادرة أن تغطِّي غالبية مجال حوادث الإنجيل وتعاليمه.

ويؤيدنا في ذلك عالِم الإنجيل الشهير ترنر إذ يقول:

[إنه بدراسة الإنجيل تنكشف تفاصيل تؤكِّد أن الإنجيل تسجيل هادف لمختبر يكتب عن **مشاهدة عينية شخصية، كرفيق** لصيق جداً للمسيح على مدى كل خدمته.](109)

ونحن نرى هذا الكلام ينطبق على بطرس الرسول أيضاً وبكل تأكيد، ولكن يشترك ق. مرقس في هذا الاعتبار إلى حد كبير خاصة في الحوادث الأخيرة للإنجيل.

ما يراه القديس مرقس نفسه في إنجيله:

لفظة "الإنجيل" وما تعنيه عند ق. مرقس:

يظهر المعنى الكامل لهذه الكلمة من الآيات التي وردت فيها في إنجيل مرقس هكذا:

(109) C. H. Turner, *The Gospel According to St. Mark*, London, 1928, p. 45,48.

(أ) **هو بشارة لكل العالم:**

+ «الحق أقول لكم حيثما **يُكرز** بهذا **الإنجيل في كل العالم** يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها.» (مر 14:9)

(ب) **هو لكل الأُمم بلا تفريق:**

+ «وينبغي أن **يُكرز** أولاً **بالإنجيل في جميع الأمم**.» (مر 13:10)

(ج) **هو بشارة لخلاص النفس:**

+ «فمَنْ أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها ومَنْ يهُلك نفسه من أجلي **ومن أجل الإنجيل فهو يخلِّصها**.» (مر 8:35)

(د) **هو دعوة للترك والغاية من كل ترك:**

+ «الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلي **ولأجل الإنجيل** إلاَّ ويأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان ...» (مر 10: 29و30)

(هـ) **هو ختم تكميل زمان الغربة للإنسان ودعوة للتوبة والإيمان وباب مفتوح لملكوت السموات:**

+ «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا **وآمنوا بالإنجيل**.» (مر 1:15)

بهذا يصوِّر القديس مرقس إنجيله بأقدس ما تحويه الأرض والسماء للإنسان من قِبَل الله. لذلك ومن البداية نحس أن ق. مرقس لم يقصد بكتابة إنجيله أن يقص لنا حياة المسيح كإنجيل ق. متى، أو يسرد مجرَّد أخبارٍ محققة كإنجيل ق. لوقا، ولكنه قصد بما جمعه من فم المسيح وما عمله أن يقدِّم للقارئ في كل العالم وكل الأُمم ما يكرز به، وهي البشارة المفرحة (الإنجيل) التي فيها خلاص الإنسان وانفتاح ملكوت الله.

إذن، فالتاريخ بمفهومه الإنساني غير وارد في ذهن ق. مرقس[110]، لأن التاريخ مربوط بالماضي، والماضي لا يدخل مجال الله الأزلي ولا يستطيع أن يحصر الروح. فالله والمسيح حقيقة وحياة وروح، والروح في الإنجيل حركة مستقبلية دائمة الشخوص إلى الأبدية. ومحتواها هو استعلان ابن الله ”المسيَّا“ في هذا الدهر.

أي أن الإنجيل بحسب مرقس الرسول هو بشارة استعلان يسوع أنه ”مسيا“. وعلى القارئ أن

(110) انظر: التوقيع التاريخي في إنجيل القديس مرقس، صفحة 69.

يلتزم بهذا المفهوم منذ لحظة البدء في قراءته.

فإنجيل ق. مرقس هو إنجيل استعلاني يبتدئ بيسوع ابن الإنسان مركزاً على بشريته قبل أن يستعلن ملء لاهوته. كله حقائق يكتبها ق. مرقس ونظره مثبَّت على ابن الله أي المسيَّا منذ أول آية. لذلك لم يَرِد فيه أي محاولة لتأكيد ما يُقال، فالقول نفسه يؤكِّد نفسه؛ بل ولم يحاول ق. مرقس أن يشرح ولا مرَّة واحدة ما قصد أن يقوله، لأنه يطرح حقائق روحية يخاطب بها روح الإنسان، فمن يقبلها يحيا فيها بلا أي جهد فكري. وكأن لسان حال ق. مرقس الرسول وهو يكتب إنجيله أن يخاطب القارئ: حينما أكتب لك ما قاله المسيح وما عمله فليس عندي مزيد من قول على قوله، لأن كل ما قال المسيح وعمل فيه الكفاية، وأنا لا أفترض أنك تعرف ذلك مسبقاً، لذلك أكتب لك حقيقة كل الدهور السالفة والآتية أيضاً لتكون هي حقيقة حياتك ونفسك. وكل الأسماء التي ذُكرت في إنجيلي هي لاستعلان ''المسيَّا''، منذ بدء الإنجيل، منذ يوحنا المعمدان حتى بيلاطس البنطي، وذلك لاستعلان اكتمال الخلاص بالمسيَّا على الصليب، «**قد أُكمل**»، حيث ألغى المسيح حكم الموت بموته فانكسرت شوكة الخطية وَوُهبت لنا الحياة الأبدية بالقيامة. فأنا لا أذكر لك الأشخاص والحوادث إلاَّ لأُوقِّع عليها سر استعلان ''مسيَّا'' والخلاص الذي أكمل.

واهتم ق. مرقس أن يفتتح إنجيله بإبراز المعمدان لأن دوره بحسب الأنبياء هو بدء استعلان مسيَّا بإعلان واضح من السماء «هذا هو ابني الحبيب» كما يجيء بيلاطس كآخر الأسماء الذين من فمهم استُعلن المسيَّا واضحاً وصريحاً: «إني لم أجد فيه علَّة للموت... لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً» (لو 22:23؛ مر 10:15). وهذا الإعلان على فم قاضي المحكمة الرومانية هو شهادة عالية تفوق اختصاص القضاء عامة، فهي شهادة تصلح أن تكون أمام الله.

وهكذا يختار ق. مرقس الأسماء والأماكن والأحوال والظروف التي تؤكِّد استعلان مسيَّا. وحينما يقدِّم إنجيل ق. مرقس شخصية بطرس الرسول يقدِّمها في وضع اعتراف بالمسيح فائق القيمة في نظر المسيح نفسه، إذ يشهد ليسوع أنه هو «المسيح ابن الله» [111] (مر 29:8)، فجاء هذا الاعتراف كأول شهادة استعلان اعتبرها الرب يسوع أنها بإملاء الآب السماوي. ولو دقق القارئ يجد أن ق. مرقس جعل اعتراف ق. بطرس الذي جاء كأول استعلان أن يسوع هو المسيح ابن الله نقطة محورية يدور عليها الإنجيل كله كما سنرى في الشرح. ويكفي أن نذكر أن ق. مرقس لا يذكر يسوع قط إلاَّ معرَّفاً بالمسيح أي ''مسيَّا''. كما نجد أن ق. مرقس لا يهتم أن يحدِّد لكل حادث زمانه، فالزمان عند

(111) «المسيح **ابن الله**» جاءت هكذا في مر 29:8 في النسخة السينائية ونُسخ أخرى قديمة.

ق. مرقس لا يزيد حق المسيح حقًّا؛ بل العكس فحق المسيح يلغي قيمة الزمان ليغرس عوضها الخلود.

شخصية القديس مرقس في إنجيله وأسلوبه في الكتابة:

يصف العلماء إنجيل القديس مرقس بصفة العمل الذي لا تبرز فيه شخصية كاتبه. فهو يخفي شخصيته تماماً، ويتمادى في ذلك حتى إنه لم يوجِّه ولا مرَّة واحدة الكلام للقارئ كما صنع ق. لوقا في مقدِّمة إنجيله وكما صنع ق. يوحنا في ختام إنجيله. بل ولم يلمِّح قط في أي موقف من المواقف أنه كان حاضراً أو سامعاً. والمرَّة الوحيدة التي يُستشف منها أنه لمح عن نفسه كموجود هي في (51:14)، غير أنه يصعب جداً على أي قارئ أن يدركها إلاَّ إذا كان ذا إلهام وبصيرة.

كما لا يذكر ق. مرقس أي شخصية كان على اتصال بها، أو حتى يلمِّح عن أي مصدر التجأ إليه في تدوين إنجيله. وهذا يهدف ضمناً إلى أنه لا يفترض في نفسه ولا في قارئه أن يشك فيما يكتب وكأنه يحتاج إلى تحقيق. هذا كله يخرج نهائياً عن هدف إنجيله من الأول إلى الآخر. ويقول العالِم جوانس وايز إنه لا يصعب على القارئ المدقِّق أن يشعر فيما يخص إنجيل ق. مرقس، وما يخص صاحبه أيضاً، أنه كان محمولاً على التقليد الثابت في الكنيسة، وأنه كان مدفوعاً بالروح ليقول ويسجِّل ويعلِّم ويختم على كلام الله. وكأن ق. مرقس نفسه جزء حي في الإنجيل لا يمكن فصله عن إنجيله. لذلك لا يشعر القارئ أن ق. مرقس يكتب ليكسب القارئ للمسيح أو ليقنعه بما يقول، فلسان حاله في سرد الواقعة أو القصة كقصة قائد المئة أنه إن كنت تشك في ذلك فاذهب لقائد المائة اسأله. أو إن كنت تشك في قيامة الرب اذهب وعاين القبر الفارغ أو حقِّق مع التلاميذ والخمسمائة شاهد.

ورُبَّ سائل هنا يسأل: إذن، ألم يكتب ق. مرقس للأجيال؟ أمَّا الجواب فهو أن ق. مرقس مقتنع تماماً أنه يكتب الحق كما سمعه ورآه، والحق يجعل التاريخ حياة ويربط الأجيال كلها برب الحياة وبالحق الواحد.

ومرَّة واحدة فلت القلم من يد ذلك العملاق الصامت عن الحديث فيما يخصه لكي يوضِّح ضمناً شخصية مَنْ حمل الصليب عن المسيح عندما ناء به الحمل، فذكر اسم سمعان القيرواني، وأردف متمادياً في التعريف به ليقول إنه أبو ألكسندروس وروفس. وبالبحث في أصول عائلة ق. مرقس نعرف أنها كانت أصلاً من القيروان، إذن، فهما زميلا الصبا، ويُقال إنهما كانا قاطنين في نفس بيت مريم أم مرقس إذ يُعتقد أنهما من صميم عائلة ق. مرقس. وهكذا ودون أن يدري أعطى لحادثة الصليب شهادة عيان إذ كان حاضراً بالضرورة ورأى وسجَّل. وبذلك يعتبر ق. مرقس ضمن

الذين حضروا حادثة الصلب ورأوا المسيح مصلوباً، وكانت معه مريم أُمه التي كانت ضمن المريمات الواقفات بعيداً. ولكن ق. مرقس كان عن قرب وشاهد وشهد وسمع قائد المائة وهو يقول شهادة ختام الإنجيل: «ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله (مقابل الصليب) أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان **ابن الله**.» (مر 39:15)

إيمان القديس مرقس بأن المسيح هو "ابن الله" يملأ الإنجيل من أوله إلى آخره:

يعطي العالِم كرانفيلد تقريراً أن إنجيل مرقس على مستوى إنجيل يوحنا، وأن العقيدة المسيحية Christology التي في إنجيل مرقس هي على أعلى مستوى بالمقارنة والمشابهة مع إنجيل يوحنا، الأمر الذي يؤكِّد إيمان الكنيسة الأُولى أن المسيح هو الرب. ولولا أن مرقس شارك في هذا الإيمان ما كان كتب إنجيله(112).

ويقول العالِم جوانس وايز فيما يخص ق. مرقس كمسجِّل عن شهادة عيان هكذا:

[ليس لدينا أي سبب أن نشك أن ق. مرقس هو الذي كتب عنوان إنجيله: «بدء إنجيل يسوع **المسيح ابن الله**» وكتابته لاسم المسيح بالكامل «يسوع المسيح» وأنه «ابن الله» على أن ق. مرقس لا يكتب تقريراً عن تعليم يسوع، ولكنه يبشِّر بشخص يسوع المسيح ابن الله ... وهذا يتضح لنا في تقديمه ليوحنا المعمدان لا كأنه ينادي أساساً بالتوبة والمعمودية؛ بل بشهادته عن القوي الآتي بعده الذي هو أقوى وأكرم وأكثر هيبة وقداسة، حتى إنه يعتبر نفسه ليس أهلاً أن يحل له سيور حذائه (3:1).](113)

وهكذا تبدأ حياة مسيًّا في إنجيل ق. مرقس بإعلان من السماء أنه «**ابن الله**» (11:1)، وتنتهي حياته بشهادة قائد المئة أنه «**ابن الله**» (39:15). وأمَّا أعلى نقطة في إنجيله فتجيء أيضاً باعتراف ق. بطرس أنه المسيح **ابن الله** (29:8)(114) وهي بالفعل تتوسَّط إنجيله ذي الستة عشر أصحاحاً. وفوق ذلك كله تأتي من السماء شهادة الآب لتوثيق الاستعلان رسمياً (7:9)، وقد جاء استعلاناً خاصاً بالتلاميذ وليس كلهم؛ بل للأخصاء جداً بطرس ويعقوب ويوحنا الثلاثة المختارين لدى الرب.

ولكن كان مرقس الرسول شديد الوعي منفتح البصيرة إذ أدرك مدى خصوصية استعلان المسيح، وأدرك ضرورة كتمانها عن الناس كطلب المسيح: «فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه: (أنه

(112) C. E. B. Cranfield, *The Interpreter's Dictionary of the Bible,* art. "Mark", 1962, quoted by S. P. Kealy, *op. cit.*, p. 172.

(113) Johannes Weiss, *Early Chr.*, II, p. 691.

(114) انظر حاشية (111) في صفحة 57.

المسيح)» (مر 30:8). ولكنه أدرك أيضاً أن زمان كتمانها انقضى بتكميل عمل التجسُّد والفداء باكتمال الصلب والقيامة، وقد أصبح الآن أوان الشهادة والكرازة والإعلان والاستعلان على الملأ. نعم صحيح أن التلاميذ وحدهم هم الذين آمنوا به (29:8)، فلهم وحدهم كان يلزم أن تستعلن أسرار ملكوت الله (11:4)، وللأخصاء منهم استعلن المسيح نفسه متجلياً بنور لاهوته وبهاء مجده (3:9)، ورأوا مجده وسمعوا صوت الآب من السماء يعلن أنه بالحقيقة هو ابن الله. ولكن ق. مرقس الآن يثق ويؤمن أن على عاتقه انعقد لواء استعلان المسيح وإنجيله للأُمم، فلم يألُ جهداً إذ سلَّط أيضاً كل نور معجزاته على بؤرة سلطانه ومجده ولاهوته ومقدرته ليثبِّت إيمان الناس كما تثبَّت إيمانه هو في المسيح. وأحطُّ من استعان بشهادتهم بلاهوت المسيح هم الشياطين إذ كشف علمهم أنه «المسيح ابن الله.» (24:1و34 و11:3 و7:5)

وإن كان ق. مرقس قد اشتغل باهتمام في معجزات المسيح الخاصة بإخراج الشياطين، فنحن نَلْمَح القصد واضحاً وهو استعلان سلطان المسيح الفائق على الأرواح الشريرة؛ بل وإعطاء الروح القدس في المقابل إمعاناً في إظهار سلطانه الإلهي. وبالتالي فكل معجزة نرى وراءها إعلاناً واستعلاناً، فإعطاء البصر للعميان تحمل سر إعطاء الإنسان الجديد انفتاح بصيرة الروح. وكون المسيح يجعل الأخرس ينطق متكلِّماً مهلِّلاً فهي إشارة بليغة تكشف عن سر إعطاء ابن الله لسلطان كلمة الله الحية التي بها نكرز ومنها نُولد. ومعجزة السمع تحكي أن المسيح ابن الله هو الذي أعطى الإنسان الأُذن المفتوحة على صوت الله: «ومَنْ يسمع فليقل تعالَ» (رؤ 17:22). وإطعام المسيح الخمسة آلاف رجل بنسائهم وأطفالهم من خمس خبزات وسمكتين حتى شبعوا وفاض عنهم الكثير جداً، فهو بهذا يوجِّه تعليمه بالفعل كيف أنه هو كفيل بإطعام العالم كله لا بالخبز وحده بل بكلمة البركة التي يبارك، والتي تفيض شبعاً، فهو وحده مصدر الشبع للجسد والروح. وحديثه المتكرر عن موت ابن الإنسان وقيامته حيًّا والذي حقَّقه جسدياً هو بحد ذاته تسليم سر الإفخارستيا: «فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو 57:6). وأعمال شفائه للمرضى التي بلا حدود والتي ألمح أن الخطية هي علتها الأُولى والأخيرة هذه قدَّمها كلها في وقتها لتبقى شاهدة لسلطانه على مغفرة خطايا الإنسان وبالتالي إعطاء الحياة الأبدية: «لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا.» (مر 10:2)، «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا.» (يو 25:11)

وهكذا في إنجيل ق. مرقس يعمل المسيح دون أن يفصح أنه إنما يمارس آلامه وموته وقيامته في

صميم حياة الإنسان، لتصبح في النهاية هي بذاتها خبرات الإنسان التي تؤهِّله بكل حق ويقين لقبول الحياة الأبدية مع الله.

فمرقس الرسول لا يقدِّم في إنجيله دفاعاً عن حقيقة المسيح؛ ولكنه يقدِّم حقيقته مستعلنةً بالآية والكلمة، لتكون هي قوة الحقيقة المقنعة تنطق بنفسها بلا برهان. لذلك لم ينشغل ق. مرقس بإقناع المتشككين والمقاومين، ولكنه اكتفى بتقديم المسيح بشخصه كما هو ليتكلَّم بنفسه، عالماً أنه إذا تكلَّم المسيح فهو كفيل أن يُخضع أعتى العتاة، بل إن نظرة عينيه هي بحد ذاتها إنجيل الحياة.

محور إنجيل القديس مرقس: "آلام الرب وقيامته":

لهذا كان تخصُّص إنجيل ق. مرقس في أعمال المسيح **الأخيرة** في الآلام والموت والقيامة والظهور المتكرِّر، هي الأمور التي وضع فيها ق. مرقس أقصى ثقله، عالماً أنها تحمل في ذاتها قوة استعلان كل أعمال المسيح وأقواله وآياته السالفة موقَّعة على شخصه الحي القائم والمنظور كابن الله، وهذا هو كل الإنجيل.

وإذا دقَّق القارئ للإنجيل يجد أن ق. مرقس قد أسهب في سرد حوادث آلام المسيح بأقصى تدقيق كشاهد عيان، أو كمسجِّل يكتب بإملاء الروح، فجاء أقوى جزء مبهر في الإنجيل. وقد أعد لهذا السرد والتدقيق منذ بدء الإنجيل منذ الأصحاح الثاني (20:2) بقول المسيح نفسه: «ولكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام» الأمر الذي نعيشه بملء زخمه الروحي في أسبوع الآلام في كل سنة. والمسيح لم يسرد حوادث آلامه الآتية كتاريخ مُسْبَق لحياته، ولكنه كان يستعلنها كضرورة حتمية لابد واقعة ولحساب الجميع: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع» (يو 22:12). ومن لحظة اعتراف ق. بطرس (29:8) بشخص يسوع أنه هو هو المسيَّا ابن الله، بدأ المسيح على التو يستعلنها بلا حرج درجة درجة حتى دخوله مدينة آلامه، حيث رفع الغطاء عن كل ما سبق أن قال وعمل كغاية لمجيئه ومعناه، حينما صرَّح علانية بمضمون مجيئه وسببه ومعناه: «لأن ابن الإنسان أيضاً لم **يأتِ ليُخدَم**، **بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**» (مر 45:10). وهكذا استعلن مبكراً معنى الصليب وقوته كقيمة عليا ونهائية وضرورة حتمية سبقت وحتَّمت التجسُّد**!!**

وهكذا وبهذا أعطى المسيح بنفسه معنى صليبه وكشف عن قوته حيث اذّخر في صليبه ـ الذي كان رمز الهوان ـ كل مجده وافتخاره. وبهذه الرؤية وضع لنا المسيح سر إفتخارنا بالصليب كقوة الله للخلاص، وقد صار بحد ذاته سر المسيحية التي لم تُقهر أبداً.

ومن لفتات المسيح السرية والعظيمة حقًّا في إنجيل ق. مرقس كيف أنه ربط من البداية صليبه بصليب كل مَنْ أراد أن يتبعه على ذات الدرب المؤدي إلى السماء بين آية (مر31:8) وآية (مر34:8) هكذا:

+ «وابتدأ يعلِّمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألَّم كثيراً، ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم.» (مر 31:8)

+ «ودعا **الجمع** مع تلاميذه وقال لهم: مَنْ أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن مَنْ أراد أن يخلِّص نفسه يُهلِكُها، ومَنْ يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلِّصها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟ لأن مَنِ استحي بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ، فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين.» (مر 8: 34ـ38)

وهنا يبلغ ق. مرقس قمة الرؤية المحيطة التي يربط بها الإنجيل ككل، حيث يرتبط المسيح بالإنسان فيصير صليب المسيح هو بعينه صليب البشرية التي جاء ليرفعها في نفسه على ذات الخشبة. فصار وتحتَّم كما أصبح صليب المسيح الذي حمل فخراً له ومجداً، أن يكون الصليب بذاته القوة والغاية للإنسان الذي يحمل!! وكأن آلام الصليب وعاره هي شركة جديدة افتتحها المسيح باسم الآب ليدخل فيها كل مَنْ اختار أن يكون للمسيح والآب. وهكذا تتلاقى البشرية مع المسيح في الصليب بذات الاضطهاد لحساب الآب والمجد الواحد: «أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا» (مر 10: 38). فهذا قانون العهد الجديد وسر المسيح والآب، والخلاص المعد!! لا بإرادة مغشوشة واعتداد كاذب بإيمان غير موجود كالذي عرضه ق. بطرس: «فقال بأكثر تشديد: ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك. وهكذا قال أيضاً الجميع» (مر 31:14). ولكن بإرادة صادقة مستمدة من مشيئة الآب والخضوع له: «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو 42:22)!! فهكذا كان الصليب وكانت القيامة من بعده حتماً!! وكان مجد الآب!!

ووراء الآلام والصليب والكأس الحتمية والصبغة الواحدة تلمع أضواء القيامة وفرحها الذي لا يُنطق به ومجيد: «متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين» (مر 38:8)، فـ«مَنْ يُهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلِّصها.» (مر 35:8)

إنجيل القديس مرقس مرتَّب ترتيباً منهجياً متكاملاً:

بخصوص نقد الأسقف بابياس لعدم ترتيب إنجيل القديس مرقس وذلك عن الشيخ يوحنا: [وقال

الشيخ (يوحنا) هذا أيضاً: وإذ أصبح مرقس المترجم لبطرس، دوَّن بدقة كل الذي تذكَّره من الأمور التي قالها وعملها الرب ... **ولكن ليس بترتيب**]. يقترح العالِم ستريتر[115] إن عدم الترتيب هذا هو في الحقيقة في نظر يوحنا الشيخ بالنسبة لإنجيله الرابع. وفعلاً هناك عدم تقابل صارخ في الترتيب بين إنجيل ق. يوحنا وإنجيل ق. مرقس.

ولكن بالبحث والدراسة يقول العلماء وخاصة ستريتر: إن ق. مرقس كتب إنجيله بانسجام كقصة، وخاصة بالنسبة لتعليم الرب. فإن بحثنا الأمر بحثاً دقيقاً لكل كلمة وخاصة ما جاء منها بالإلهام، فإننا نجد تواصلاً منسجماً وترتيباً واضحاً، وهذا الترتيب والتواصل يفرض نتيجة أن ق. مرقس سجَّل تعليماً يضاهي تماماً الترتيب الذي صدر به!

ونحن نقدِّم هنا عيِّنة من البحث التحليلي الدقيق **للعالِم مانسون** لإثبات صحة الكلام الذي قيل أعلاه، إذ السؤال: هل يوجد في إنجيل ق. مرقس ما يثبت حقًّا أصالة التسجيل ودقة النظام والترتيب أكثر من كل الأناجيل الأخرى؟

يتَّخذ **العالِم مانسون** قطاعاً خاصاً من الإنجيل وهو اعتراف ق. بطرس بأن يسوع هو المسيح (المسيَّا) ابن الله. وفيه يحدِّد العالم مانسون صفةً أو اسماً قاله المسيح عن نفسه ـ كاستعلان لشخصه أنه هو المسيَّا وإنما في قالب مستتر ـ وهو لقب «**ابن الإنسان**». فهذا اللقب يُذكر في إنجيل ق. مرقس 14 مرَّة، اثنان منها يجيئان قبل اعتراف ق. بطرس بأنه المسيَّا (مر 2: 10و28)، ولكن في هاتين المرتين لا يعتبر اسم ابن الإنسان أنه يتجه نحو استعلان المسيَّا. وأمَّا الاثنتا عشرة مرَّة الأخرى التي أتت بعد اعتراف ق. بطرس فكلها استعلانية تكشف أن المسيح يقصد بها استعلان نفسه أنه المسيَّا. وإذا فحصنا الموقع الذي اعترف فيه بطرس بأن يسوع "هو المسيح" نجده يجيء في إنجيل القديس مرقس في منتصف الأصحاح الثامن، أي في منتصف الإنجيل تماماً. فالإنجيل كله يحوي 16 أصحاحاً. فإذا دقَّقنا وجدنا أن ق. مرقس خصَّص **النصف الأول من إنجيله للتعليم فقط** دون ذكر لآلام الرب أو موته، وبعد الاعتراف مباشرة خصَّص **النصف الثاني للآلام والصليب والقيامة**.

نفهم من هذا أن إنجيل مرقس إنما خُطط له بوعي روحي وإلهام فائق، خاصة أن هذا الترتيب عينه يُضاهي تقسيم الليتورجيات القديمة إلى جزء أول تعليمي وإلى جزء ثانٍ ذبائحي ـ هذا التقسيم نجده غائباً تماماً عن بقية الأناجيل. فبعد اعتراف ق. بطرس بأن المسيح هو المسيَّا، انفتح الباب أمام المسيح

(115) B. H. Streeter, *The Four Gospels*, p. 20.

لكي يتكلَّم مع تلاميذه علانية على هذا الأساس **أنه المسيَّا**، وهو عالِم أنهم أصبحوا بعد اعتراف ق. بطرس على وعي بأنه حقًّا هو المسيَّا.

إذن، فكاتب الإنجيل على وعي فائق لمفهوم الكلمات ومقاصدها وترتيبها، وخاصة أسماء المسيح، بصورة لا يمكن أن ننسبها إلى نوع من البصيرة الشخصية بل هو إلهام، وإلهام فائق القدرة والغاية، إنه الإنجيل!!

ووعي ق. مرقس بمفهوم ''المسيَّا'' هو بالحقيقة عامل هام في حصر كل ما جاء عن ''ابن الإنسان''، كاستعلان شخصي للمسيح، بعد اعتراف ق. بطرس وليس قبله. ولكن توجد حقيقة أخرى قوية للغاية، وهي أن ق. مرقس كان يلتزم بحصر تسجيله للإنجيل أولاً بأول بحسب ترتيب الحركة الزمنية. فلأنه التزم بما يقوله المسيح، كل قول في مكانه وزمانه بدقة مدهشة، لذلك لم يحدث خلط في وقوع لفظة ''ابن الإنسان'' في غير موضعها من الإنجيل إلاَّ كما يشاءها الرب!!

هذا مرَّة أخرى هو الإنجيل!!

وقيمة ما جاء في إنجيل ق. مرقس تتضح لنا حينما نأتي إلى كلٍّ من إنجيل ق. متى وإنجيل ق. لوقا:

فإنجيل القديس متى: يأتي فيه لقب «ابن الإنسان» عشر مرات قبل اعتراف ق. بطرس بيسوع أنه **المسيَّا**. وبعد الاعتراف 21 مرَّة.

إنجيل القديس لوقا: يأتي فيه لقب «ابن الإنسان» أربع مرَّات في البداية قبل اعتراف ق. بطرس، وبعد الاعتراف 22 مرَّة.

وهكذا بينما يقدِّم ق. مرقس منهجاً واضحاً مدروساً عن ابن الإنسان يمكن أن نفهمه ونشرحه باعتبار أنه معلن بعد اعتراف ق. بطرس العلني أن يسوع هو المسيَّا ـ فهو يقدِّم شهادة من الإنجيل أن **المسيح إنما استخدم هذا الاسم في مفهومه الماسيَّاني** الواضح البسيط موجهاً الكلام إلى التلاميذ ـ نجد أن هذا الاسم يأتي في كلٍّ من إنجيل ق. متى وق. لوقا، بالمقارنة مع ق. مرقس، بدون تركيز واضح على مفهومه الماسياني.

ثم ألا يتضح من هذا أن ق. مرقس سجَّل إنجيله على الواقع المسموع من المسيح بترتيبه الزمني وبمنتهى الحرص والفهم فجاء بحد ذاته منهجاً مدروساً مهيئاً للشرح واستخراج النتائج؟

ثم ألا يتضح أيضاً من واقع إنجيل ق. متى وق. لوقا أنهما أخذا من ق. مرقس ولكن دون الانتباه إلى دقة مواقع الكلمات والتعبيرات مما ضيَّع رتابة المنهج الفكري الذي يقصده القديس مرقس؟

بالنسبة لله كآب:

نقدِّم هنا مقارنة أخرى ذات أصالة في إنجيل ق. مرقس وهي تختص بكلمة "**الآب**" بالنسبة لله في فم المسيح. ولو أن هذا بحث قائم بذاته سنعود إليه (انظر صفحة 76ـ83). ولكن يكفي هنا أن نسجِّل لإنجيل ق. مرقس أن المسيح استخدم لفظ "**الآب" كاسم لله**، (مر 11:25ـ26 و32:13 و36:14)، **فقط بعد اعتراف ق. بطرس**: أن يسوع هو ''مسيًّا''. وبهذا يتكشَّف أمامنا في الحال في إنجيل ق. مرقس المنهج الاستعلاني الذي أدخله المسيح في وعينا بواسطة مخاطبة الله "**كآب**"، بعد أن اطمأن أن التلاميذ قد أدركوا أنه ''مسيًّا'' أي **ابن الله** فحتماً يكون الله "**أباه**". وهو المعيار الأول الذي وضعه ق. مرقس كعنوان لإنجيله «إنجيل يسوع المسيح **ابن الله**»

فقولنا إن إنجيل ق. مرقس هو إنجيل استعلاني هو عن دراسة وأصالة ووعي لاهوتي عالٍ.

فإذا جئنا إلى إنجيل ق. متى نجده يتمادى في تشكيل الوصف فهو آب، والآب الذي في السموات، والآب السماوي، دون أي التزام بالمنهج الذي يقصده ق. مرقس، بل جاءت الإشارات لله الآب مبعثرة في إنجيله دون تركيز على مناسبتها الاستعلانية.

وأيضاً بالنسبة لملكوت الله:

إذ يوجد تحديد معين وواضح وملتزم باستخدام **ملكوت الله** في إنجيل ق. مرقس: ففي الجزء الأول من كرازة المسيح يتكلَّم عن ملكوت الله «أنه قد **اقترب**» (مر 15:1). ولكن في الكرازة المتقدِّمة فالمسيح يقدِّم ملكوت الله أنه **معدٌّ للقبول والدخول** (مر 15:10). وهذا يعني أن كرازة المسيح قد فتحت الباب والطريق، وأن المسيح أثبت بكرازته أنه حقًّا الطريق والحق والحياة والباب الذي انفتح ليدخل منه الإنسان إلى الآب وإلى **ملكوت الله**.

إذن، فاستخدام كلمة ملكوت الله بوضعها في موضعها الإلهي من الإنجيل أنشأ في الحال كرازة بمنهج خلاصي.

فإذا جئنا لكل من إنجيل ق. متى وإنجيل ق. لوقا نجد أنه ينقصهما هذا المنهج بالنسبة لاستخدام كلمة ملكوت الله في موضع معين، فلا تقع هذه الكلمة في موضع يُستشف منه معنى جديد بل جاءت أينما جاءت، لا فرق.

ولا داعي الآن ونحن في المقدِّمة لكي نقدِّم أمثلة أكثر من ذلك لأنها كثيرة، ولكن يكفي هذا لنكشف أمام عيني القارئ بما لا يقع في مجال الشك أن إنجيل ق. مرقس وحده ـ بالنسبة لكل من

الإنجيلين للقديسين متى ولوقا ـ يحمل ترتيباً ونظاماً واضحاً يمتد ويرتقي بالتعليم مستنداً ومتلاصقاً مع الحوادث والحركات في حياة المسيح.

هذا الترتيب والنظام الواعي والمنهجي نجده غائباً عن إنجيلي القديسين متى ولوقا. وهذا يوضح بشدة أن ذلك إنما هو راجع إلى أنهما كانا يجمعان المعلومات من أي مصدر موثوق به دون التزام بترتيب معين، والمصادر نفسها أيضاً على هذا المنوال.

بل وإليك أيها القارئ ما يكشف هذه الحقيقة بأوضح بيان على المستوى العلمي والعملي معاً، إذ صار لدى العلماء بالتحليل الدقيق ما يعتبر ذا مغزى خطير. إذ لما جرَّد العلماء الباحثون الأجزاء المزادة شرحاً للأصل في إنجيلي ق. متى وق. لوقا وجدوا أن المنابع أو الأصول الأُولى تدين بصورة طاغية لإنجيل ق. مرقس[116].

وهذا يعني أن أي دراسة مثمرة وناجحة لحياة الرب **يلزم أن تتابع الخطوات التي وردت** من إنجيل ق. مرقس في إنجيل ق. متى وق. لوقا.

نخلص من هذا أنه أمامنا الآن ومنذ البداية، يكشف إنجيل ق. مرقس عن ترتيبٍ واضح يزداد وينمو بالنسبة لكل من حوادث حياة المسيح واستخلاص مدركات قائده من تعليمه.

والأمر في المقارنة مع إنجيلي ق. متى وق. لوقا في هذا الخصوص لا يقف عند التفضيل للقديس مرقس عن القديسين متى ولوقا، **ولكنه يصل إلى أن ق. مرقس وحده هو الذي يحمل في إنجيله هذا الترتيب والنظام التكاملي التعليمي والمنهجي** [117]**!!** وأن ما استقر من إنجيل ق. مرقس داخل إنجيلي ق. متى وق. لوقا أصبح الآن لا يمت إلى مجرد نظرية أو تصوير بل واقع حقيقي ملموس، وبهذا ترتفع فائدة إنجيل ق. مرقس العملية إلى غايتها العظمى[118].

وعلى هذا الأساس تنكشف لدى القارئ المدقِّق أهمية إنجيل ق. مرقس وتبوئه للمرتبة الأُولى فيما أوضحناه، والتي ينبغي أن تثبت في الذهن عند بحث الإنجيل ودراسته.

أمَّا بخصوص **نقد ما جاء في بابياس** أسقف هيرابوليس بخصوص أن حوادث إنجيل ق. مرقس

---

(116) مع إنجيل ق. مرقس كوثيقة أُولى للأساس يؤكد العلماء وجود ثلاث وثائق أخرى المكني عنها بحرف M, L, Q على أن إنجيل ق. متى وإنجيل ق. لوقا أخذا من هذه الوثائق كما أخذا من إنجيل مرقس وإنما على مستوى أقل.

(117) T. W. Manson, *op. cit.*, p. 26.

(118) Ibid.

[ليس لها ترتيب] في حياة وتعليم المسيح، **فهي تهمة تنفيها الفحوص والبحث العلمي الموثوق به، وهي تهمة لا وجود لها**(119) وهذا بالتالي يخلخل كل ما جاء عند بابياس ومَنْ أخذ منه. **لأن نظام وترتيب الحوادث والأقوال في إنجيل ق. مرقس واضحة ومفهومة وأنها في ترتيبها الصحيح**(120).

ولكن ليس معنى هذا أنه يمكننا الاكتفاء بما جاء في تقليد إنجيل ق. مرقس، وإلاَّ فسوف نفقد الجواهر الإنجيلية التي جاءت في تقاليد ق. متى وق. لوقا الفائقة الجمال، مثل العظة على الجبل والابن الضال والعشر وزنات وغيرها.

ولكن ق. مرقس قدَّم إنجيله، الذي يُعتبر الآن أنه بمثابة تحديد الخطوط الأُولى التي يثق فيها الآن العلماء ثقة عظمى، باعتباره الإطار الذي يشمل بجدارة صورة التعليم الذي قدَّمه المسيح ككل خلال كرازته، وقد أخذ بقية الإنجيليين هذا الإنجيل كأساس لتدويناتهم.

على أن إنجيل ق. مرقس يقدِّم لنا صورة للمسيح يكشف فيها عن شخصيته ويستعلنه كأعظم من أن يقاس بمعاييرنا مهما بلغت من الأصالة والدقة. وعند هذه الصورة الجليلة نقف ولا يمكن أن نتعدَّاها، إنما يمكن فقط أن نملأ جوانبها بحواشي الأناجيل الأخرى. ولكن إن أردنا أن نبقي على صدق وأصالة هذه الصورة كحياة للرب يلزمنا أن نحافظ قدر ما أوتينا من إخلاص لخطوط إنجيل ق. مرقس(121).

موقف إنجيل القديس مرقس من اليهود:

جاء موقف إنجيل القديس مرقس من اليهود على مستوى المقاطعة الكاملة، لذلك جاءت الأمثلة بل وفُصِّلت تفصيلاً لكي لا يفهمها اليهود. فملكوت الله ينبغي أن يبقى مكتوماً وغير معلن لليهود، لأن قصد المسيح مبيَّت أن لا يدخله اليهود المتعالون والمعجبون بأنفسهم، المتمسِّكون بوصايا الناس والمربوطون بالأرض وبذواتهم وأموالهم ونسبهم. لذلك جاءت الأمثلة غامضة كألغاز: «وبدون مثل لم يكن يكلِّمهم، وأمَّا على انفراد - (بعيداً عن اليهود) - فكان يفسِّر لتلاميذه كل شيء» (مر 34:4). والغرض من هذا النموذج التعليمي كان ليهيئ للتلاميذ تعليماً يصلح للإرساليات في كنائس الأُمم كمعرفة متوفرة لديهم يوضحون بها حق الأُمم في ميراث الملكوت، ويقطعون بها حجج اليهود ومماحكاتهم الكاذبة أنهم هم وحدهم وارثو الخلاص والحياة الأبدية.

(119) Ibid.

(120) Ibid.

(121) Ibid., p. 26,27.

فجاء الإنجيل مدعَّماً بأقوال المسيح وتعليمه كأسلحة مشهَّرة ضد اليهود، ويحمل اتهاماً قاطعاً لليهود أنهم هم ورؤساؤهم أسلموا المسيح لقضاء الأُمم ليقتلوه، مع أنه هو مسيَّا الآتي لليهود، ابن الإنسان الذي جاء ليخلِّص العالم.

+ «ها نحن صاعدون إلى أُورشليم، وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويسلِّمونه إلى الأُمم، فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم.» (مر 10: 33و34)

وهكذا يضع المسيح في يد كل كارز الحوادث قبل أن تتم، فإذا تمَّت يكون المؤمن على بيِّنة أن الرب كان عالماً بكل ما سيأتي عليه، ويعرف نيَّات اليهود التي دبَّرت الصليب ومارست تأليمه. وأنه عن حقد وحسد أسلموه، وهذا ما اكتشفه بيلاطس بسهولة: «لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً» (مر 10:15). كما تبرهن بفم القاضي الروماني عن فحص وتحقيق دقيق أنه لم يعمل شرًّا يستوجب الحكم الذي طلبه اليهود: «فقال لهم بيلاطس: وأيَّ شرٍّ عَمِلَ؟» (مر 14:15). وكان حاكماً بإطلاقه كبريء من كل التهم: «أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود» (مر 9:15). وبهذا حقَّق إنجيل ق. مرقس مسئولية اليهود الكاملة في موت المسيح. الأمر الذي اعترفوا به علناً فبرَّأوا بيلاطس من وزر الحكم بالموت ظلماً ووضعوه على أنفسهم: «دمه علينا وعلى أولادنا» (مت 25:27). فورَّثوا صلب المسيح لكل الأجيال الآتية، كل مَنْ رضي بصلب المسيح هكذا. ولم يكن من سبب واضح لكل اتهاماتهم وحكمهم بالموت إلاَّ أنه أعلن صراحة أنه ''مسيَّا'' ابن الله. «أأنت المسيح ابن المبارك؟» فلمَّا أجاب بالإيجاب احتسبوها له تجديفاً «قد سمعتم التجاديف، ما رأيكم، **فالجميع** حكموا عليه أنه مستوجب الموت» (مر 61:14و64). وهكذا حكموا عليه وهكذا نفَّذوا الحكم: «فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطُّون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ، وكان الخدَّام يلطمونه (أيضاً)» (مر 65:14 و29:15-32).

هكذا سلَّم ق. مرقس الإنجيلي وثيقة اتهام اليهود وإدانتهم الشخصية بالصلب - عن وعي وإصرار - ليد التلاميذ وكل الكارزين من بعدهم، ليكرزوا بإدانة اليهود وحدهم، وبالتالي براءة الله مما عملوه. فالله أرسل لليهود ماسياهم وملكهم الأبدي، فبدلاً من أن يقبلوه ويكرِّموه أهانوه ونكَّلوا به وأذلُّوه وقتلوه. وكان هذا هو الذي سبق الله وأعلنه حسب المشورة العلوية (49:14)، وكان أيضاً هو الذي عيَّرهم به المسيح نفسه ساعة الحكم: «كل يوم كنت معكم في الهيكل أُعلِّم ولم تمسكوني! **ولكن لكي تُكمَلَ الكتب**» (مر 49:14). وهكذا يشتد وضوح إنجيل ق. مرقس،

فهو يكتب ما سبق أن كُتب بيد الأنبياء وما سبق أن أعلنه المسيح. لذلك فإنجيل ق. مرقس يُحسب أنه إنجيل المشورة العلوية وكإملاء لمقاصد الله الأزلية.

وكان من المدهش أن تُخفى عن عقول اليهود كل هذه الاستعلانات بسبب غلاظة قلوبهم، لذلك كان لا بد أن يدفعوا ثمن غلاظة قلوبهم وشر أعمالهم: «لكي يبصروا مبصرين ولا ينظروا، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا، لئلاَّ يرجعوا فتُغفر لهم خطاياهم» (مر 12:4). وهكذا كان، فقد أُغلق عليهم في العصيان وبقوا فيه، لهذا صمَّم ق. مرقس أن يقطع اليهود قطعاً من إنجيله ويستثنيهم من الأخبار السارة. فصار إنجيل ق. مرقس حكراً على الأُمم: «وينبغي أن يُكرز **أولاً** بالإنجيل في جميع الأمم» (مر 10:13). لأن الكرازة لليهود تمَّت وخُتمت بقتل المسيح صاحب الكرم: «فأخذوه وقتلوه وأخرجوه خارج الكرم. فماذا يفعل صاحب الكرم؟ يأتي **ويُهلك الكرَّامين، ويعطي الكرم إلى آخرين** ... فطلبوا أن يمسكوه، ولكنهم خافوا من الجمع، لأنهم عرفوا أنه **قال المثل عليهم** ...» (مر 12:8-12). وبهذا انتهى زمان إسرائيل بالنسبة لإنجيل ق. مرقس: «فأجاب يسوع وقال لها (شجرة التين غير المثمرة): لا يأكل أحد منكِ ثمراً بعد إلى الأبد» (مر 14:11). علماً بأن الشجرة لا تعيش إلاَّ سنين قليلة، فكلمة إلى الأبد مسلَّطة على إسرائيل ولكن يستثنى منها كل الذين يقبلون المسيح تائبين.

التوقيع التاريخي في إنجيل القديس مرقس:

لم يهتم القديس مرقس أن يوقِّع قصة ظهور المعمدان أو بداية خدمة المسيح أو أي مرحلة من مراحل حياة المسيح على أي وقائع أو حوادث مدنية كما تسنَّى للقديس لوقا. فالقديس لوقا رصد بداية خدمة يوحنا المعمدان ووقَّعها على السنة الخامسة عشر من حكم طيباريوس قيصر (الذي بدأ في 19 أغسطس سنة 14م)، حيث كان بنتيوس بيلاطس (الذي حكم من 26-36م) والياً على اليهودية، وكان هيرودس رئيس ربع على الجليل (من سنة 4 ق.م إلى سنة 39م)، وفيلبس أخو هيرودس رئيساً على إيطورية ومنطقة تراخونيتس (من 4ق.م إلى 34م)، وليسانيوس رئيس ربع على أبيليه Abilene (قُتل سنة 34م)، وفي أيام رئيس الكهنة حنَّان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية (لو 1:3-3). وهكذا وقَّع ق. لوقا العلاقة الزمنية التاريخية بالتحديد المدني والديني على رواية المعمدان الإنجيلية وبالتالي بداية خدمة الرب يسوع.

أما ق. مرقس فقد أغفل هذه العلاقة عمداً، إذ وضع في نفسه منذ بدء الإنجيل أن يقدِّم للكنيسة قصة الإنجيل على الواقع الروحي كما استلمه هو وكما عاشه ورآه. ولو أن تسجيل ق. مرقس

لتعليمه الجديد جاء مخالفاً لكل ما عرفه الناس عن العهد القديم وعالياً فوقه علواً ساحقاً، فهو بذلك يكون قد انتقل بالضرورة بالكنيسة من تحت ظل القديم إلى نور الجديد الباهر، الذي يحسب بحد ذاته حركة تركت واقعاً تاريخياً إنما على مستوى الروح واللاهوت. لذلك يُحسب أن إنجيل ق. مرقس قد أنشأ تاريخاً جديداً للكنيسة على مستوى الروح والحياة.

وصف القديس مرقس لشخصية المسيح دون توصيف:

كذلك فإن تسجيل ق. مرقس لكلمات المسيح وتعاليمه وهو يحرِّك بها القلوب ويستحدث مبادئ وأفكاراً وسلوكاً جديداً، جاءت كلها فائقة المستوى وذات تأثير بالغ القوة والقدرة على تغيير أفكار وحياة الناس ـ ذلك كله على قاعدة منظورة جسدياً ومحسوسة روحياً ونفسياً إنما ذات انطلاقة سماوية نحو مركزها ـ ملكوت السموات، وقد أنشأت في وعينا عفوياً لقطات فوتوغرافية صوَّرت لنا المسيح صوراً حيَّة ناطقة، جاءت بجوار بعضها وكأنها فيلماً سينمائياً أعطانا كل ما يمكن أن يكوِّن ملامح شديدة الوضوح والهيبة والتأثير لشخص المسيح.

فالقديس مرقس لم يحاول أن يكدِّس لنا المعلومات والأعمال ليثبت بها مَنْ هو المسيح، ولكنه اكتفى أن يسجِّل الكلام في مواقفه الصحيحة والمناسبة جداً، كما وصف الأعمال في مواضعها. ومن هذه وتلك ظهر سلطان المسيح الفائق على تغيير أعماق الإنسان، ولكن كان هدف المسيح فوق تغيير الإنسان أن يسلِّمنا ذات السلطان الذي يتكلَّم ويعمل به: «الأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً (المؤمن) ويعمل أعظم منها» (يو 12:14). فمثلاً، حينما استعلن لنا سلطانه الفائق على الشياطين ليخرجها من دائرة إتلافها لحياة الإنسان، كان هدفه الأعظم من ذلك أن يسلِّمنا ذات السلطان الآمر والناهي على طغمة الشياطين، ليس لغرض عرض العضلات والقوة، بل تمهيداً جيداً لحلول الروح القدس ومباشرة أعماله فينا. هذا بسلطان المسيح نفسه الذي انتقل لنا بالإيمان والعماد الذي لبسنا فيه المسيح وولدنا له جديداً: «يكون لهم سلطان على الأمراض وإخراج الشياطين» (مر 15:3)، «يخرجون الشياطين **باسمي**.» (مر 17:16)

وموت المسيح على الصليب محكوماً عليه، وإن ظهر إلى لحظة وكأن الشيطان طوَّح بالمسيح وسلطانه منهزماً، لكن بقيامة المسيح من الأموات بمجد وسلطان الألوهة اندحر الشيطان بالنهاية مقهوراً تحت سلطان المسيح الإلهي الفائق، ومعه الخطية التي كانت سلاحه المسموم، وحكم الموت الذي كان في قبضته وقد مزَّقه المسيح على الصليب ثم ألغاه بقيامته علناً. ولكن لم يكن استعلان سلطان المسيح الإلهي الفائق على الشيطان مجرَّد استعراض لتفوُّق المسيح، بل العجيب والمذهل حقاً

أن المسيح سلَّمنا هذا السلطان عينه، إذ منحنا الشركة الكاملة في الموت والقيامة بذات المجد والنصرة، فتسجَّل موت المسيح أنه كان من أجلنا وكذلك القيامة أنها لنا.

وهكذا أُضيفت كل صور المسيح الفاخرة والمبدعة لحساب كل من يقتني هذا الإنجيل، وكأن كل واحد منَّا يظهر في كل صورة بجانب المسيح والمسيح واضع يده عليه كابن له ووريث.

إنجيل القديس مرقس للكرازة والحياة:

إنجيل القديس مرقس ركيزة للكارزين لاستعلان المسيَّا ابن الله بقوته وأعماله، وبالنسبة للكنيسة قاعدة مبادئ للحياة بسلطان المسيح الممنوح رسمياً لكل مَنْ آمن بالمسيح وأحبه. وهكذا، ودون أن يشاء ق. مرقس، دخل المسيح تاريخ حياة كل أحد ليوقِّع عليها أعماله وأقواله يوماً بيوم في عمق الزمن، ومن جيل إلى جيل، ومن فرد إلى فرد.

فالمسيح في إنجيل ق. مرقس الذي عاش ملء الحياة البشرية وتسجَّلت أقواله الإلهية بعمقها الفائق وآياته ومعجزاته يوماً بيوم، والذي صُلب ومات وقام في عمق الزمن وفي ساعات النهار وأمام أعين الناس، وتبرهن أنه مسيَّا ابن الله بالحق، وصعد، هو الآن في السماء ينفِّذ جميع وعوده لأحبائه ولمتَّقيه، ويطبِّق منهج حياته ومماته وقيامته بكل سلطانه لكل مَنْ آمن وأحب (مر 16: 16–20). وهكذا أصبح إنجيل القديس مرقس كتاب الحياة الأبدية الحامل لكنز التقليد الذي عاشه الرسل ومارسته الكنيسة، وكان أول وثيقة مسيحية ظهرت في أفق الكنيسة بعد اثنتي عشرة سنة من صلب المسيح، حاملة لصورة المسيح الحية في ملء ناسوته وملء لاهوته بآن. وهذه هي شهادته عن نفسه عندما سأله رئيس الكهنة علناً: « أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء» (مر 14: 61و62). وهكذا رآه استفانوس!!

موقف إنجيل القديس مرقس من ميلاد المسيح من العذراء:

ولو أن إنجيل ق. مرقس لم يذكر ميلاد المسيح من العذراء واكتفى بأن يبدأ قصة المسيح من المعمودية، إلاَّ أنه يستحيل علينا أن نشرح إنجيلاً دون أن نمتِّع القارئ بقصة الميلاد العجيبة التي ذكرها إنجيل ق. لوقا بالتفصيل الدقيق وبالوضوح أيضاً، كما ذكرها أيضاً ق. متى باختصار ولكن بسموها الإلهي الفائق.

فالميلاد بالنسبة للمسيح جاء في إنجيلي القديس متى والقديس لوقا كحدث سماوي، ينهي على تسلسل المواليد التاريخي عن آدم وحواء، لينطلق بميلاد الإنسان الجديد يسوع من الله رأساً وبواسطة عذراء قديسة حملت به بالروح القدس، فتعيَّن أن الله أبوه ودعي ابن الله عن حق وأصالة ليصير

للبشرية آدم الثاني من السماء، فكان بكر الخليقة الجديدة أبا البشرية ومتبنِّيها لله أبيه.

وقد يتهيأ للقارئ لأول وهلة أن هذا الميلاد قد غاب عن إنجيل ق. مرقس، ولكن ق. مرقس أدرك عن إيمان ووعي وشهد وسجَّل أن المسيح هو «**ابن الله**»، وهو جوهر الميلاد الإلهي من العذراء، وصيَّر هذا الإيمان والاعتراف والشهادة رأساً لإنجيله وألفه ومبتداه، فسجَّلها أول آية فيه: «إنجيل **يسوع** المسيح **ابن الله**» لذلك وإن غابت عنه القصة إلاَّ أنه لم يغب عنه مضمونها الإلهي وجوهرها اللاهوتي.

ولكن يعزّ علينا ونحن بصدد شرح إنجيل أن نغيِّب قصة الميلاد عن القارئ وقد استعلنها لنا الله ببريقها السماوي وبشهادة ملائكة وملوك.

فهو حدث سماوي بالدرجة الأُولى، ولأول مرَّة نسمع ونرى أن يكون للسماء أحداث منظورة وأفعال ملموسة، فالله أزلي ومطلق الكيان منزَّه عن الأفعال الزمنية والأرضية. ولكن كان حلم الإنسان كما جاء على لسان إشعياء النبي مخاطباً الله في وجوده واختفائه المطلق: «حقًّا أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص» (إش 15:45)، «ليتك تشق السماء وتنزل» (إش 1:64). وهو حلم كحلم طفل أن تكتحل عين الإنسان برؤية الله وهو معنا، ولكن الله لم يكن أبداً بعيداً عن أحلام الطفولة، فهي القامة الأقرب إلى قلبه التي فتح لها ملكوت الله عن تخصيص. فصمَّم عن رضى أبيه أن يتراءى لنا في هذه القامة عينها أول ما يتراءى وكأنه نزل حالاً من ملكوته.

ولكن قبل أن يصير الكلمة جسداً وقبل أن يكون (الكلمة) للإنسان ابناً، كان يتحتَّم أن يكسر قانون المواليد والمواريث من آدم ليولد المسيح منزَّهاً عن الخطية مبرَّأً من آدم وعصيانه وخطيته، ويظل هو ابن الله كما هو حتى وإن صار ابن الإنسان. فاختار أن تكون العذراء أمًّا له وبقي الله أباه لما حملت العذراء من الروح القدس، فبقي ابنَ الله صاحب الميراث الأبوي كما هو وهو بآن واحد ابن الإنسان حامل الجسد:

+ «الروح القدس يحل عليكِ، وقوة العلي تظللكِ، فلذلك أيضاً القدوس **المولود** منكِ يُدعى **ابن الله**.» (لو 35:1)

وهكذا أصبح ابنُ الله وقد صار ابنَ الإنسان بآن واحد، أبًّا للبشرية الجديدة، آدم الجديد، وبواسطته أيضاً صار الله أبوه أباً للبشرية الجديدة فيه.

ومن هنا جاء ميلاد يسوع المسيح ابن الله بدء اللاهوت المسيحي بنوع فريد للغاية من جهة

تلاحم الطبيعتين البشرية والإلهية معاً وبآن واحد في شخص يسوع المسيح، ومنه انطلقت البشرية بطبيعة منتسبة لله في طريقها إلى السماء، محمولة على الروح القدس ومولودة منه، لترث مع ابن الله ما له من مخصصات لدى الآب. وهكذا وبالنهاية انتقل مركز البشرية الجديدة مولداً وميراثاً وانتساباً من الأرض إلى السماء لنقف أمام الله قديسين وبلا لوم في المحبة لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب (أف 1: 1-6).

أمَّا روايات الميلاد الإلهي للمسيح بالجسد، كما جاءت في إنجيلَي القديسيْن لوقا ومتى، فهي حقائق روحية جاءت على مستوى الغزو السمائي لعقل الإنسان وحواسه، لم يُستطع أن يسجَّل منها إلاَّ وقائع تتوالى مع كلمات ونشيد ملائكي آتٍ من فوق كان على المستَهْدَفين أن يقبلوها دون نقاش. إذ لما بشَّر الملاك العذراء بهذا الحبل الإلهي والميلاد الملوكي وسألت كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً ـ بنوع الاستفسار ـ **كان الجواب أن هذا عمل الروح القدس** لا نعرف من أين يجيء ولا أين يذهب.

ولكن بالمقابل لما سأل زكريا الكاهن ـ ولكن بنوع من عدم التصديق ـ في أمر ميلاد المعمدان من امرأته أليصابات وهي عقيمة تجاوزت السن كثيراً وهو شيخ، لم يفسِّر له الملاك الأمرَ، إذ أنه كاهنٌ وكان عليه أن يلتزم بالخبر دون نقاش، لذلك وبَّخه الملاك معلناً مصدر الخبر: «أنا جبرائيل الواقف قدَّام الله، وأُرسلت لأُكلِّمك وأبشِّرك بهذا» وإزاء قصوره في تقبُّل الرسالة كانت النتيجة «ها أنتَ تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلَّم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا **لأنك لم تصدِّق كلامي** الذي سيتم في وقته» (لو 1: 18-20). وهكذا تكون الاستعلانات السماوية تحتمل الاستفسار باستعداد الإذعان والتصديق، ولا تحتمل عدم التصديق.

والله لم يطالب الناس أن يؤمنوا بمعجزة الميلاد، ولكن إن هم آمنوا توضَّحت أمامهم الحقائق السماوية وأدركوا سر الله والإنجيل والمسيح، وأُسعدوا وامتلأوا فرحاً وتسبيحاً. ولكن إن هم رفضوا الحقائق واستكثروا الإيمان بها فلن يُنقِص عدم إيمانهم شيئاً من الحقيقة أو يؤخِّر المواعيد عن اكتمال زمانها. ولكن على وزن زكريا الكاهن سيصاب ذهنهم بالصمت والعالم من حولهم يضج بالرجاء والأمل، وتتوالى الحقائق أمامهم وهم لا يدركون. لأن اللاهوت استعلان هو، لا يتم إلاَّ في جو من الإيمان والتصديق، وانفتاح الذهن رهنٌ لهذا التصديق: «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.» (لو 24:45)

فأي مرصد في علم اللاهوت يستطيع أن يرصد اختراق الأزلي للزمن وتصوير اللاهوت وهو يملأ

الحشا البتولي؟ وأي عقل قادر أن يجمع الله بإنسان في جسد واحد؟ فالمسيح لم يطلب من أحد أن يؤمن أنه مولود من العذراء، ولكنه يطالب كل مؤمن أن يدرك أنه ابن الله**!!**

فالمسيح سأل تلاميذه: مَنْ يقول الناس إني أنا؟ فلمَّا قالوا: واحد من الأنبياء، لم ينكر على الناس قولهم، ولكن التفت إلى تلاميذه وهم المؤمنون به وسألهم: وأنتم مَنْ تقولون؟ فقال بطرس: «أنت هو المسيح **ابن الله** الحي» (مت 16:16)، «تهلَّل يسوع بالروح وقال أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك.» (لو 21:10)

المسيح هنا لم يحزن لقول الناس الذين عثروا فيه، ولكنه فرح بالتلاميذ الذين آمنوا بسر الله**!**

القديس مرقس آمن واعترف بسر الله وافتتح إنجيله بهذا الإعلان:

+ «إنجيل يسوع المسيح **ابن الله**.» (مر 1:1)

✞

ثالثاً – تعاليم المسيح في الأناجيل عامة وفي إنجيل القديس مرقس بصفة خاصة

لكي نلقي نظرة فاحصة وشاملة لتعاليم المسيح يتحتَّم علينا أن ندرس الأربعة أناجيل: إنجيل ق. يوحنا والثلاثة أناجيل الأخرى المسمَّاه ''سينوبتك **synoptic**''، وسوف أسميها: "**المتناظرة**". ولكن إذ نحن بصدد تقديم شرح إنجيل ق. مرقس، نحاول أن نحدِّد نظرتنا العامة تجاه ما جاء في الثلاثة أناجيل ككل من جهة العناصر الأساسية في تعاليم المسيح، وبعدها نقدِّم من إنجيل ق. مرقس ما يوضِّح هذه العناصر.

وفي البداية نقول: إن الإنجيل في صورته العامة ليس هو مجموعة عقائد ولا هو دستور أو شريعة أخلاقية، وإنما بمقتضى الفكر المسيحي هو شخص المسيح نفسه وحياته، لأن غرض حياة المسيح من أقواله وأعماله هو بحد ذاته تعاليمه، وتعاليمه هي نفسها استعلان شخصه. فالمسيح قدَّم نفسه للعالم، وهذا هو الإنجيل والأخبار السارة. وهذا على وجه التحديد ما التزم به ق. مرقس وجعله عنوان إنجيله وملخَّص كل ما جاء فيه هكذا: «إنجيل يسوع المسيح ابن الله» (مر 1:1)، مما يجعل دراسة تعاليم المسيح على إنجيل ق. مرقس بالذات ذات تخصص ومناسبة.

والآن وبعد أن أوضحنا للقارئ أسبقية إنجيل ق. مرقس بحسب أبحاث العلماء الكبار منذ مطلع القرن العشرين، سواء بوركت أو ستريتر أو سويت أو راولنسن أو مانسون الذين استعنَّا بهم، الذين أثبتوا بما لا يقبل الشك أن إنجيل القديس مرقس هو أقدم الأناجيل جميعاً وأساسها الذي أخذ عنه كل من ق. متى وق. لوقا، بل وأثبت أيضاً العالِم ستريتر أن إنجيل ق. يوحنا نفسه أخذ عن ق. مرقس هكذا:

> [أخذ ق. يوحنا بدوره من إنجيل ق. مرقس كثيراً من المواضيع حرفياً، فقد أخذها بكلماتها وحروفها، حتى إن 20% من الكلمات التي وردت في إنجيل ق. يوحنا في المواضيع التي أخذها عن ق. مرقس هي نفسها وطبق الأصل الواردة في إنجيل ق. مرقس.][122]

(122) E. G. Streeter, *op. cit.*, pp. 151, 349, 400.

ويقول ستريتر إن بعض الألفاظ التي أخذها ق. يوحنا عن ق. مرقس أخذها بتركيباتها اللغوية الخاصة، وصار هذا دليلاً قاطعاً على استعانة ق. يوحنا بالقديس مرقس دون فحص. وانتهى ستريتر بأن:

[إنجيل ق. مرقس كان معروفاً لدى ق. يوحنا أكثر من إنجيلي القديسين لوقا ومتى، كما أن ق. يوحنا كان يقدِّر أهمية إنجيل ق. مرقس أكثر من الاثنين الآخرين.](123)

أمَّا ما جاء من تعاليم المسيح في إنجيل ق. يوحنا فقد استوفينا دراسته وتحليله في كتاب: "المدخل إلى شرح إنجيل القديس يوحنا" الذي سبق إصداره سنة 1990، ولكن ننتهز الفرصة هنا لنقدِّم أهم المواضيع التي سجلتها الأناجيل عن تعاليم المسيح عامة.

العناصر الأساسية في تعاليم المسيح في الأناجيل:

نستطيع أن نقدِّم العناصر الأساسية التي انطوت عليها تعاليم المسيح في الأناجيل كالآتي:

(أ) **أبوَّة الله.**

(ب) **ملكوت الله.**

(ج) **الأخلاقيات في تعاليم المسيح.**

(د) **«ابن الإنسان».**

(هـ) **سلطان المسيح الفائق.**

أ ـ أبوَّة الله

إن العالِم مانسون ـ الذي نقدِّره أعظم تقدير ـ عندما أراد أن يُعطي فكرة عن مفهوم ومضمون الأبوة بالنسبة لله في تعاليم المسيح، قدَّم لها بمقدِّمة قال فيها: قبل اليهودية كان الله معروفاً لدى البشرية في **فكرها** أنه أب، كذلك في اليهودية وخاصة عند الأنبياء فقد استقر **فكرهم** عن الله كأب للشعب اليهودي. ويقول إن المسيح لم يستحدث هذا اللقب وهذه الصفة أي "الأبوَّة" لله بل على حد قوله:

[عندما قدَّم يسوع الله **كأب** لم يكن يقدِّم تجديداً أو انقلاباً في المفهوم العام عن أبوَّة الله، ولكنه كرَّس شيئاً كان في إيمان الأنبياء وأصحاب المزامير والحكماء لقرون سالفة، ومع أن هذا التعليم الذي قدَّمه المسيح عن الله كأب لم يكن جديداً ولا مستحدَثاً ولا خاصاً

(123) Ibid.

بالمسيحية إلاَّ أنه صار أساسياً في الإيمان الجديد.][124]

ونحن نأسف أشد الأسف إذ نحن مضطرون أن نردّ على هذا التهوين والانحراف الخطير في معنى أبوَّة الله للمسيح، سواء بالنسبة للمسيح نفسه أو بالنسبة للذين آمنوا بالمسيح. فإن كانت البشرية ممثَّلة في الحكماء والشعراء نادت بأبوَّة الله للإنسان، فإنهم قالوا ذلك لمجرَّد تكريم أو تمجيد الله. وأما عند اليهود فإن ما استقر في فكر الأنبياء عن الله كأبٍ للشعب اليهودي فإنما كان على أساس علاقة خلعها الله على الشعب بنوعٍ من العطف يستحقها الشعب طالما كان طائعاً لله، ولكن بمجرد أن انحرف الشعب عن عبادته لله فَقَدَ هذا العطف وسُحبت منه هذه العلاقة ولم يصر الله أباً بل مؤدِّباً ومذلاً لهذا الشعب الذي سخط عليه الله وطرده من أمام وجهه.

ولكن لا الأبوَّة بالنسبة لله ولا البنوَّة حدثٌ هي، بل هي طبيعة أصيلة متأصلة أزلية وأبدية. فالله في ذاته الواحدة آب هو وابن معاً، لأن ذات الله كاملة في الله كمالها المطلق، لا تحتاج لمَنْ يحبها ولا تحتاج لمَنْ تحبه، فالله مُحب ومحبوب معاً، له وفيه كمال الحب الأبوي وكمال الحب البنوي بآن واحد، لأن ذاته منبع وأصل كل أبوَّة في العالم، وبآن واحد منبع وأصل كل بنوَّة في العالم أيضاً. وكما أن الله وحدة واحدة غير منفصمة، كيان واحد مطلق ومتحد في ذاته وبذاته، لهذا خلق عالماً واحداً متحداً لا ينفصم، عماده أبوَّة متلاحقة وبنوَّة متلاحقة، وبالأبوَّة والبنوَّة في الخلائق طرًّا وقف العالم متحداً مترابطاً تتوالى الأبوَّة فيه وتتلاحق البنوَّة، وبمحبة الأبوَّة للبنوَّة فيه ومحبة البنوَّة للأبوَّة يتماسك العالم ويمتد. ولأن كلا المحبتين غريزية شديدة التأصُّل عنيفة التفاعل، يظهر العالم وحدة مترابطة متوالية تستمد ثباتها ودوامها من الله الذي خلقها.

هذا هو وضع العالم الطبيعي بمخلوقاته الجسدية المادية، وهو صورة باهتة لما هو قائم في عالم الروح، فالله روح هو وهو أبو الأرواح التي آمنت به والتصقت، تستمد كيانها ودوامها ووجودها منه بل وحبها وسلامها وفرحها، حيث غنى أبوَّة الله الروحية شيء يفوق العقل. فكل مَنْ آمن بالابن ورث مخصَّصات الابن في ميراث غنى الآب ودخل تحت سقف الآب في بيته الأبدي:

+ «فلستم إذاً بعد غُرباءَ ونُزلاً، بل رعيَّةٌ مع القديسين وأهلِ بيتِ الله.» (أف 19:2)

ويُلاحَظ أن المسيح عندما بدأ يعلِّم تلاميذه، سألوه أن يعلِّمهم كيف يصلُّون صلاة خاصة كجماعة خاصة به ـ أي بالمسيح ـ دون كافة الناس واليهود الآخرين، فعلَّمهم صلاة: «أبانا الذي

(124) T. W. Manson, *op. cit.*, p. 94.

في السموات» أي أن المسيح أعطى تلاميذه سر معرفة الله كأب حسب قوله بعدما اعترف ق. بطرس اعترافه الخطير، وذلك عندما سأل المسيح تلاميذه: مَنْ يقول الناس عني؟ فلمَّا قالوا «أحد الأنبياء» سألهم أيضاً: «وأنتم مَنْ تقولون إني أنا» «فأجاب بطرس أنت هو المسيح ابن الله الحي» فردَّ المسيح عليه قائلاً: «إن لحماً ودماً لم يُعلن لك لكن أبي الذي في السموات» (مت 16: 16و17). وبعدها ـ ليس مباشرة[125] ـ صلَّى المسيح وقال: «أحمدُكَ أيها الآب، ربُّ السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب، لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك ... كلُّ شيء قد دُفِعَ إليَّ من أبي. وليس أحدٌ يعرف مَنْ هو الابن إلاَّ الآب، ولا مَنْ هو الآب إلاَّ الابن، ومَنْ أراد الابن أن يعلن له» (لو 10: 21و22). إذن، فالمسيح لما علَّم تلاميذه صلاة «أبانا الذي في السموات» كان الله قد نوى أن يُعلن للقديس بطرس أن يسوع هو المسيح ابن الله، فابتدأ المسيح يعلِّمهم عن الآب السماوي وعن علاقته به كابن الله الوحيد. إذن، فأبوَّة الله لم تُعلَن إلاَّ للأخصاء جداً، وتكاد تكون هذه المعرفة هي مفتاح الدخول إلى الله الآب. فمعرفة الله الآب ليست مجرَّد معرفة بل استعلان ورؤيا، وهي غير ممنوحة للعلماء والحكماء بل محصورة في الأطفال، أي بسطاء القلوب والقديسين بالروح.

أمَّا أبوَّة الله للمؤمنين باسم المسيح في المسيحية فهي هبة المسيح لحساب المؤمنين به كما جاءت في تعاليمه، فهي مستمدَّة أو هي امتداد لأبوَّة الله للمسيح نفسه كابن الله. وهذا واضح ولا يحتاج إلى برهان، فهو القائل للمجدلية: «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى **أبي وأبيكم** وإلهي وإلهكم »(يو 17:20). ويكفي أن يفصح المسيح عن سر هذه العلاقة مرة واحدة لكي تكون هي المضمون الذي كان يضمره المسيح في كل تعاليمه كون الله أباه، كما أن الله بواسطته سيكون أباً للمؤمنين به. وهذا هو التعليم الذي علَّم به بولس الرسول الذي تلقَّى رسوليته وتعليمه من المسيح رأساً كما قال وأوضح ذلك:

+ «لأن كل الذين ينقادون بروح الله (الروح الذي يناله المؤمنون بالمسيح في المعمودية ويطيعونه) **فأولئك هم "أبناء الله"**، إذ لم تأخذوا (في المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس) روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم "**روح التبني**" الذي به نصرخ "**يا أبَّا الآب**". الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا "**أننا أولاد الله**"، فإن كنَّا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون (كأبناء الله) مع المسيح (ابن الله)**!!**» (رو 8: 14ـ17)

(125) وذلك بحسب ترتيب القديس لوقا المعروف بدقة تأريخه للأحداث. فهو الوحيد الذي أورد قول الرب: «أحمدك أيها الآب» (لو10: 21ـ22) بعد اعتراف بطرس بقليل (لو 20:9).

هذا هو تعليم المسيح بكل يقين الروح عن وضعنا كأبناء الله في المسيح ابن الله، وبالتالي وضع الله بالنسبة لنا كأبينا السماوي كما هو أبو يسوع المسيح.

فإن كان المسيح في الثلاثة أناجيل الأُولى لم يفصح عن المصدر الذي سيجعل الله بالفعل والقوة والمحبة معاً **أباً لنا بالحقيقة**، فذلك عن أسباب غاية في الأهمية. فمثلاً أفصح المسيح في إنجيل ق. يوحنا عن الدرجة الأُولى في تعليمنا التي تُلغي كوننا عبيداً ونأخذ لقب الأحباء هكذا: «لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سميتكم أحباء لأني **أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي**.» (يو 15:15)

أمَّا الدرجة الأخيرة والكاملة في التعليم فأعلنها المسيح هكذا: «عرَّفتهم اسمك (الآب السماوي) وسأعرِّفهم ليكون فيهم (كأبناء) الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم» (يو 26:17). هذا معناه واضح أن المسيح لما عرَّف تلاميذه كل ما عند الآب بتعليمه الأول، انتقلوا نقلة إلهية من عبيد إلى أحباء، وهذا تحقيق لقوله: «تعرفون الحق والحق يحرِّركم» (يو 32:8). أي يحرِّرهم من عبيد للخطية والشيطان إلى أحرار، حيث الحق هو الله. ثم عاد وشرح الوسيلة الوحيدة التي يتم بها هذا: «إن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو 36:8). بمعنى أنه عندما يقدم المسيح تعليماً جديداً هو بحد ذاته استعلان لنفسه كابن الله، وبالتالي أن الله أبوه، فإن هذا التعليم يحوِّلهم من عبيد للشيطان والخطية إلى أحرار وأحباء لله والمسيح. ولكن في الدرجة العظمى سيعرِّفهم معرفة جديدة أخرى فيما بعد الإنجيل، التي جاءت بعد كلمة «عرَّفتهم» بقوله: «**وسأعرِّفهم** أيضاً اسمك (الآب السماوي)» هنا المعرفة الجديدة هي استعلان ما بعد الموت والقيامة، وهي معرفة الفداء الذي سبق أن عرفوه وأخذوه بالموت والقيامة، وهو استعلان الموت على الصليب والقيامة، حيث استعلنوا العلاقة السرية الجديدة التي ربطتهم بالمسيح والآب إذ صاروا شركاء موته وقيامته وصعوده ودخوله إلى الآب. هذه الشركة في الطبيعة الجديدة هي التي أعطتهم شركة حقيقية في بنوَّة المسيح للآب وفي أبوة الآب للابن، وبهذا نالوا حق التبني للآب وصاروا بالحقيقة والفعل ورثة مع الابن لله الآب، أي تسجَّلت بنوتهم في كل ما لأبوَّة الله للمسيح من حق البنين وإلى الأبد.

هذه هي حقيقة **أبوَّة الله للإنسان الجديد** بالروح والحق التي تمَّت بالتعليم الأول، أي الإنجيل، وبالاستعلان الثاني الذي تمَّ بالموت والقيامة وميراث الحياة الأبدية مع الآب والابن: «وأمَّا شركتنا نحن فهي مع **الآب** ومع ابنه يسوع المسيح ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (1يو 1: 3و4).

علماً بأن التعليم الثاني والأعظم الذي تمَّ باستعلان حقائق الموت والقيامة من الأموات هو الأساس الكامل والخلفية الوحيدة التي كان المسيح يعلِّم بمقتضاها على مدى تعليمه كله في الإنجيل عن الله **كآب**.

والآن نود أن نسأل سؤالاً استنكارياً: هل عندما يقول المسيح لنا إذا أردتم أن تصلُّوا فقولوا «يا **أبانا** الذي في السموات» فهل مخاطبتنا لله هنا تكون على مستوى خطاب الأنبياء أو كما جاءت في المزامير، كما يقول علماء الغرب؟ هل يغفل هؤلاء العلماء أن الابن هنا هو الذي أعطانا **دالته الخاصة** أن نخاطب أباه على أساس ما يخاطبه هو كابن؟؟

فهنا نحن نخاطب الله ''بأبينا'' بتوسط الابن الوحيد المحبوب، والابن بدالته يفتح لنا الطريق الموصِّل لله أبيه على أساس ما سيقدِّمه، مدشِّناً هذا الطريق بجسده المذبوح على الصليب والممسوح بالدم. نحن هنا لا نخاطب الله في السماء كمجرد خطاب للتقرب عن بُعد، بل هي مسيرة حية بالروح إليه، بل هي وصول وتراءٍ أمامه وحديث الحب والود والألفة، فالابن يحمل صلاتنا بروحه ويقدمنا فيه إلى الآب قديسين وبلا لوم في المحبة:

+ «ومتى وقفتم تصلُّون، فاغفروا إن كان لكم على أحد شيءٌ، لكي يغفر لكم أيضاً **أبوكم الذي في السموات**(126) زلاتكم. وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر **أبوكم الذي في السموات** أيضاً زلاتكم.» (مر 25:11)

والعجيب أن يزيد العالِم مانسون في تحويل أبوَّة الله إلى مجرَّد اسم هكذا:

[إن كتابات يوحنا هي التي جعلت ''الآب'' اسماً طبيعياً لله عند الشعب المسيحي، كذلك العظة على الجبل أيضاً مع سبعة عشر ذكر لله كآب في ثلاثة أصحاحات، هذه كانت لها الأثر الكبير في جعل **فكرة** الأبوَّة لله (كذا!!!) عادية (familiar).](127)

ولكن ردنا على هذا أن أبوَّة الله ليست فكرة عادية عند ق. يوحنا، بل أن ''**أبوَّة** الله'' عند القديس يوحنا هي التي نولد منها جديداً ميلاداً ثانياً لله وللملكوت: «إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» (يو 3:3)، ويكمِّل ق. يوحنا في رسالته الأُولى هكذا:

+ «كل مَنْ هو مولودٌ من الله لا يفعل خطيةً، لأن زرعه (الله) يثبتُ فيه، ولا يستطيع أن يُخطئَ لأنه مولودٌ من الله.» (1يو 9:3)

+ «أيها الأحباءُ، الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنَّه إذا أُظهر (المسيح) نكون مثله، لأننا سنراه كما هو.» (1يو 2:3)

---

(126) هنا يسجِّل ق. مرقس لأول مرَّة لب صلاة: «أبانا الذي في السموات» التي أخذ عنها بقية الإنجيليين تسجيلها.
(127) T. W. Manson, *op. cit.*, p. 99.

+ «أيها الأحباءُ، لنحبَّ بعضنا بعضاً، لأن المحبةَ هي مِنَ الله، وكل مَنْ يحبُّ فقد وُلِدَ مِنَ الله ويعرف الله.» (1يو 7:4)

+ «كل مَنْ يؤمن أن يسوعَ هو المسيح **فقد وُلِدَ من الله**. وكل مَنْ **يُحبُّ الوالد** (الآب) يُحبُّ المولود منه (المؤمنين) أيضاً.» (1يو 1:5)

+ «لأن كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الله يغلبُ العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا.» (1يو 4:5)

إذن، فالله أبٌ لنا لأنه ولدنا بالروح ثانية لرجاء حي. الله أبونا السماوي لأنه يحبنا حقًّا باعتبارنا أبناءً حقيقيين له، ونحن نصلِّي لأبينا الذي في السماء لأننا وُلِدنا منه بإيماننا بالمسيح ابنه، والله أبونا لأننا نحيا معه في شركة الروح في المسيح ابنه للحياة الأبدية. إذن، كيف بعد هذا يقال إن القديس يوحنا ثبَّت بكتاباته أبوة الله كاسم له؟ مع أن الصحيح والحقيقي هو أن ق. يوحنا أثبت أن الله أبٌ لنا لأنه أثبت أننا مولودون منه بالروح من فوق ومن الماء والروح كقول يسوع المسيح نفسه!!

وهكذا تتلخَّص تعاليم المسيح من حيث أبوَّة الله أن الله أبٌ ليسوع المسيح لأنه الوحيد المحبوب الذي يملك كل حب الآب، وأن الله أبٌ لكل مَنْ آمن بالمسيح واعتمد لأنه يصير بالروح مولوداً من الله ومحبوباً في المسيح. على أن فعل الولادة من الله هو فعل روحاني محض حسب مقولة المسيح: «المولود من الجسد جسد هو **والمولود من الروح هو روح**.» (يو 6:3)

فالولادة بالروح في المسيحية هي الحصول على وجود جديد غير وجود الجسد، أي كيان روحي جديد أو آخر له صلة بالله كصلة المولود بالوالد أو صلة الابن بالآب إنما على المستوى الروحي الخالص.

عودٌ على ذي بدء:

والآن هل نستطيع أن نأخذ الخمس آيات وحسب، التي جاءت في إنجيل ق. مرقس عن "**أبوَّة الله**"، أو حتى الثلاث والعشرين آية التي جاءت في إنجيل ق. متى ومعها الست آيات التي جاءت في إنجيل ق. لوقا عن "**أبوَّة الله**" لنستخلص منها حقيقة أبوَّة الله لنا، أو المضمون اللاهوتي الضخم الذي يختبئ في لفظة أبوَّة الله وفعلها وأثرها في حياتنا الآن وإلى الأبد؟ هذا أمر يكاد يكون مستحيلاً، فأبوَّة الله للمسيح نفسه لم تُستعلن إلاَّ بقيامة المسيح يسوع من الأموات، لما استعلنت بنوَّة المسيح في ذات القيامة من الأموات، الذي «تعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة

بالقيامة من الأموات» (رو 4:1). أمَّا أبوَّة الله للذين آمنوا بالمسيح فاستُعلنت يوم حلَّ الروح القدس يوم الخمسين وبدأوا يعمِّدون الشعب، فحلَّ عليهم الروح القدس واشتركوا في سر الجسد والدم، فتغيَّروا تغيّراً شديداً وواضحاً وعلنياً، وتكلَّموا بلغات جديدة، وأخذوا قوة روحية ومقدرة جديدة على الفهم وعمل المعجزات والشهادة للمسيح أنه ابن الله، فشهد الروح القدس أنهم اتحدوا في المسيح ووُلدوا جديداً وصاروا أولاد الله: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو 16:8)

إذن، فاستعلان أبوَّة الله للمؤمنين بالمسيح لم تكمل إلاَّ بعد يوم الخمسين بعد أن أكمل المسيح كل أعماله وتعليمه في الأناجيل الأربعة!

إذن، أصبح من الواضح أنه من القصور أن نكتفي أو نلتزم بإنجيل ق. مرقس، أو حتى الأناجيل كلها، لكي نشرح أو نوضِّح "أبوَّة الله" كما جاءت في تعاليم المسيح في الإنجيل وحسب. لهذا استحسنا أن نتعرَّض لشرح العناصر الأساسية التي جاءت في إنجيل ق. مرقس قبل أن نخوض بالشرح للإنجيل بحسب آياته.

ولكن الذي يهمنا أن نوضحه للقارئ هو أن المسيح لما قال في إنجيل ق. مرقس: «ومتى وقفتم تصلُّون، فاغفروا إن كان لكم على أحد شيءٌ، لكي يغفر لكم أيضاً **أبوكم الذي في السموات** زلاتكم» (مر 25:11)، هنا قال كلمة: «**أبوكم** الذي في السموات» على أساس وبمقتضى ما سيتم في موته وقيامته، وتكميل مغفرة خطايانا، ومصالحتنا مع الله، وحصولنا على الروح القدس والتبني، واتحادنا بالمسيح وصيرورة الله **أباً لنا**. وهذه كلها لم يسجِّلها الإنجيل بل كانت نتيجة مباشرة لكل ما جاء في الإنجيل.

وهكذا، وعلى أصول عميقة وشاملة للإنجيل كله ولكل الحوادث فيما بعد الإنجيل أيضاً، من حلول الروح القدس وتأثيره في تجديد خلقة الإنسان، وظهور الرب للقديس بولس من السماء، واستعلان أسرار الحياة الأبدية لتصبح من صميم تعاليم المسيح؛ نقول على أساس هذا كله تصدَّرت "**أبوَّة الله**" تعاليم المسيح في كل الأناجيل.

أبوَّة الله بالنسبة للمسيح:

تجيء في إنجيل ق. مرقس مفاجأة: «وقال: **يا أبَّا الآب** كل شيء مستطاع لك ...» (مر 36:14). ولكن سبق ق. مرقس وأعطى للمسيح لقبه الذي يكشف عن أبوَّة الله له بنوع ممتاز « إنجيل يسوع المسيح **ابن الله**» حيث أورد اسم الميلاد بالجسد "**يسوع**"، واللقب الكاشف عن

أبوَّة الله الفائقة للمسيح وهو "**المسيَّا**" (المسيح). وكأن ق. مرقس يُصدِّر إنجيله بتنبيهٍ في قوله: «المسيح ابن الله» وكأنه يقول: ارجع لسر الميلاد الإلهي من العذراء بالروح القدس، وسر استعلان مسيَّا من السماء «ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو 13:3)، «خرجت من عند الآب» (يو 28:16). "فأبوَّة الله" لم يتعرَّض لشرحها الإنجيل سواء في إنجيل ق. مرقس أو في غيره لأنها سابقة على الإنجيل، وقد كشفها الآب من السماء عند عماد المسيح بالصوت الآتي من السماء: «**أنت ابني** الحبيب الذي به سررت» (مر 11:1)، فكان هذا هو إعلان بدء الإنجيل أو استعلان ظهور المسيَّا أو كشف واقع المسيح السماوي أن الله أبوه.

لذلك اعتبرنا من واقع الحال أن أبوَّة الله للمسيح هي العنصر الأول والأساسي في تعاليم المسيح والإنجيل، بل وفي خلق العالم ومنتهاه: «أنا هو الألف والياء البداية والنهاية» (رؤ 8:1). وهي الحقيقة التي أخفاها المسيح في اللقب الذي وضعه لنفسه وهو «ابن الإنسان» وهو الاسم أو اللقب الذي عبَّر به الروح في نبوَّة دانيال عن ابن الله مسيَّا الآتي صاحب مملكة أبيه (دا 13:7).

ب – ملكوت الله

هذه هي الركيزة الثانية أو العنصر الآخر في تعاليم المسيح.

وفي بداية إنجيل ق. مرقس تنكشف في الحال المادة التي طغت على تعاليم المسيح هكذا:

+ «وبعدما أُسلِمَ يوحنا جاء يسوع إلى الجليل **يكرز ببشارة ملكوت الله**.» (مر 14:1)

بمعنى أن البشارة المفرحة التي ابتدأ المسيح يعلِّم بها كانت هي أخبار ملكوت الله.

ولكن الذي يفهم ويتحسَّس الركيزة أو العنصر الأول، يُدرك تماماً أن الملكوت ليس ركيزة ولا عنصراً ثانياً، بل هو يخص في حقيقته العنصر الأول: من حيث غناه واتساعه اللامحدود وعطاياه وذخائره وميراثه الفائق العظمة والجمال. فالله أبٌ، ولكنه أبٌ يجلس على عرش ملكه الإلهي الأبدي. فهو أبٌ من فوق عرش، فأبوَّة الله تملك، لذلك فهي حتماً تملك على أبناء، فكل من انضوى تحت لواء عرش الله وملكوته فهو حائز على عطف الأبوَّة الإلهية وحبها وحنانها. فملكوت الله ملكوت محبة تملك لتفيض من أعماق وذخائر الأبوَّة، وبهذا بمقتضى الحال يكون الابن الوحيد موضوعه الأول بلا نزاع. وأول ما بشَّر المسيح العالم بشَّره بقرب ملكوت الله، هذا اعتنى جداً ق. مرقس أن يوضِّحه ويحدِّد بدء هذه الكرازة هكذا: «وبعدما أُسلِمَ يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز

(يعلِّم ويبشِّر) ببشارة ملكوت الله ويقول: قد **كَمَلَ الزمان واقترب ملكوت الله**، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل »(مر 1: 14و15). وهذا الموضع بهذه الكيفية يكشف تماماً أن إعلان يسوع المسيح بأن الملكوت قد اقترب، يأتي مقترناً بإعلان بدء خدمة المسيح لاستعلان الآب واستعلان نفسه كابن مُرسَل من لدن الآب. **فقرب الملكوت كان تورية لقرب المسيح الابن** من الإنسان. ويقرِّر المسيح هنا الشرط الأساسي لاستعلان الملكوت الذي اقترب، وهو نفس الشرط اللازم لاستعلان أبوَّة الله، وبآن واحد بنوَّة المسيح لله. وهذا الشرط هو التوبة، وتعني العودة إلى الله من العبادات الكاذبة وضلال العالم، ثم الإيمان بالإنجيل، ويعني الإيمان بأبوَّة الله وبنوَّة المسيح التي بدأ المسيح يكرز بها بالفعل.

نخرج من هذا بحقيقة واضحة للغاية وهي أن استعلان الملكوت هو نفسه استعلان الآب، بل واستعلان الابن بآن واحد. ومفتاح استعلان الآب هو الإيمان بالإنجيل أي الإيمان بابن الله، وهو الوحيد الذي يستعلن الملكوت لأنه الوحيد الذي يعرف الآب وبالتالي الوحيد الذي يستعلن الآب، لأنه ابن الله الوحيد والمحبوب.

ومن هذا يتحقَّق أمامنا أن استعلان ملكوت الله يتعلَّق أساساً باستعلان الآب والابن عن طريق الإيمان بالإنجيل، على أساس أن ‘‘الآب’’ هو صاحب الملكوت، وأن الابن هو الوحيد العارف بالآب والملكوت، والمنوط به تعريف الناس بالآب وبالتالي بالملكوت وتأهيلهم لبلوغ حالة البنوَّة أو التبني لله حتى يصيروا مؤهَّلين للحياة مع الآب والابن، أي في الملكوت.

كذلك نفهم من هذا أن قبل أن يجيء المسيح ابن الله إلى العالم وقبل أن يكرز باقتراب ملكوت الله كان الملكوت مغلقاً في وجه الإنسان. وهذه حقيقة مؤكَّدة، لأنه قبل مجيء ابن الله لم تكن تُعرف ‘‘أبوَّة’’ الله الفعلية، فلمَّا انفتح على الإنسان سر أبوَّة الله في شخص ابنه يسوع المسيح انفتح سر الملكوت بالتالي وبالضرورة.

والأصل في إرسال الله الآب لابنه يسوع المسيح إلى العالم هو محبة الآب للعالم وقصده الواضح وعزمه الشديد أن لا يهلك الإنسان تحت عبث الشيطان وأعماله الضالة الشريرة، وهذا كلَّف الآب أن ينزل ابنه إلى العالم متجسِّداً وينقذ الإنسان من براثن الشيطان وعقوبة الهلاك والموت الروحي، ثم يهبه أن يحيا معه في ملكوته في حالة من البرارة والقداسة يسبحِّه ويمدح مجده. وهذا أوضحه ق. يوحنا في آية رائدة:

+ «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (الملكوت)، لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليَخلُص به العالم.»

(يو 3: 17و18)

إذن، لو سألنا سائلٌ: ما هو ملكوت الله بالنسبة للإنسان عملياً. نقول: إنه العلاقة الجديدة التي أنشأها المسيح ابن الله بين الإنسان والله الآب، وهي علاقة حيَّة على مستوى التبني لله الآب، ذلك بالإيمان بالمسيح أولاً أنه ابن الله، وأنه **مات بجسدنا** من أجل خطايانا فدفعنا بموته بالجسد الذي لنا ثمن خطايانا وأكملنا معه عقوبة الموت، فرُفعت عنَّا لعنة الخطية، ثم أقامنا معه بالجسد فأخذنا بجسده جسداً جديداً حيًّا به ونلنا فيه بنوّة الله على مستوى التبني، وهكذا أهَّلنا المسيح للحياة الأبدية التي هي الملكوت.

فبالاختصار الشديد يكون عمل المسيح ابن الله فينا هو تخليصنا نهائياً من مملكة العالم والشيطان والخطية وسلطان الموت، وتبنينا لله أبيه باتحادنا به أي بالمسيح لنحيا في ملكوته.

فإذا قلتَ إن هذه نقلة كبيرة للغاية لا نستحقها ولن نستطيع أن نفعل شيئاً يستحقها، كان الجواب: هذه هي محبة الله الآب نحو العالم وهذا هو ملكوت حب الله الفائق على العقل. فإن كان المغناطيس يجذب إليه أصغر ذرة حديد، فهكذا ملكوت الله له القدرة بسلطان المحبة الفائقة التي للآب أن يجذب أحقر قلب بشري ينادي باسم الآب. فسر الجذب موجود في قلب الله الآب الذي ينفتح على أصغر إيمان به.

وقد لمح المسيح في إنجيل ق. مرقس إلى أن الملكوت قائم في جوهره على علاقة الحب التي تربط الإنسان بالله، ذلك عندما سأله أحد الكتبة عن أعظم الوصايا واستحسن إجابة المعلِّم قائلاً: «جيداً يا معلِّم. بالحق قلت، لأنه الله واحدٌ وليس آخر سواه. ومحبته من كل القلب، ومن كل الفهم، ومن كل النفس، ومن كل القدرة، ومحبة القريب كالنفس، هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح. فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل، قال له: **لست بعيداً عن ملكوت الله**» (مر 12: 32-34). بمعنى أنه طالما أدركت أولوية وصية محبة الله من كل القلب فقد صرت قريباً جداً من ملكوت الله القائم أساساً على علاقة الحب المتبادل بين الإنسان والآب السماوي.

والمسيح اختص بتعاليمه ملكوت الله وشَرَحَه ووصف عمله بأمثلة كثيرة.

ملكوت الله والمسيح:

ملكوت الله وسلطانه ومجده هي كلها مخصصات الابن بالطبيعة، وقد أُعطي الملكوت للمسيح ليؤسِّسه على الأرض بتعاليمه واستعلان ذاته وبالتالي استعلان الآب. فبظهور المسيح أعلن اقتراب

ملكوت الله، ثم بانتصاف تعاليمه بحسب إنجيل ق. مرقس بلغ تلاميذه الرؤية الصحيحة له عندما أُعلن للقديس بطرس من قِبَل الآب أن يسوع هو المسيح ابن الله، فانفتح الباب للمسيح ليعلن ذاته عندما أدرك أن ‘‘الآب’’ أعلن للقديس بطرس سر المسيح «أن لحماً ودماً لم يعلن لك ولكن أبي الذي في السموات» (مت 16:16). وهكذا وباطمئنان شديد بدأ المسيح يعلن ذاته أنه مسيًّا الآتي، ولكن تحت لقب «ابن الإنسان» الذي سبق أن استخدمه دانيال للتعبير عن المسيًّا. وقد اختار المسيح هذا اللقب لعلاقته الشديدة بملكوت الله الذي سُلِّم لابن الإنسان في رؤيا دانيال وذلك ليفهم تلاميذه: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرَّبوه قدَّامه، فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض» (دا 7: 13و14). هكذا من بعد إعلان ق. بطرس الذي استلمه من الله الآب أدرك المسيح أن الآب بدأ يستأمن التلاميذ على سر الملكوت، فأعلنها صراحة: «قد أُعطي لكم أن تعرفوا سرَّ ملكوت الله، وأمَّا الذين هم من خارج فبأمثال يكون لهم كل شيء» (مر 11:4)، وسر معرفة الملكوت هو بمثابة دخول وامتلاك.

ولكن ينبغي أن ننبِّه ذهن القارئ أن المسيح أُعطي أن يؤسِّس ملكوت الله على الأرض لغرض أساسي هو أن المؤمنين بالآب والابن الذين وُلِدُوا من الروح واتحدوا بالمسيح الابن يصيرون بالنهاية مواطني ملكوت الله تماماً كما رأى ذلك دانيال في رؤياه العجيبة:

+ «**أمَّا قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين.**» (دا 18:7)

وفي الرؤيا يضم دانيال قديسي العلي مع صاحب الملكوت هكذا:

+ «والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطى لشعب قديسي العلي: **ملكوته** ملكوت أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون.» (دا 27:7)

وهذا نسمعه من فم المسيح هكذا في إنجيل القديس متى:

+ «الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني، في التجديد، **متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً** على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر.» (مت 28:19)

وجاءت في إنجيل القديس لوقا هكذا:

+ «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا علىكراسيَّ تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر.»

(لو 22: 28-30)

مؤهلات دخول ملكوت الله:

هذه أوضحها ق. مرقس بقوله في مستهل إنجيله:

+ «قد كَمَلَ الزمان واقترب ملكوت الله **فتوبوا، وآمنوا بالإنجيل**.» (مر 1:15)

ولكن يهمنا جداً أيها القارئ العزيز أن نفسِّر ما وراء هذه الدعوة، فعلى أي أساس يتوب الناس كشرط أساسي لقبول الملكوت؟ وما هو محتوى الإنجيل بالنسبة للتوبة؟ والجواب يمكن أن يستشفه القارئ مما قدَّمناه سابقاً أن ملكوت الله معروض للناس أصلاً على أساس أبوَّة الله الفائقة المحبة، كما أسلفنا القول بالآية الرائدة: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» التي هي "ملكوت الله". إذن، فمحبة الله هي ذات المبادرة على أساس أبوَّة الله الحانية على حياة الإنسان. إذن، فدعوة المسيح للتوبة متوقفة بالدرجة الأُولى على استعداد الآب لمغفرة خطية الإنسان من واقع المحبة المتحفزة للتغاضي عن ضعف الإنسان ومسح خطيته، توطئة لإعطائه الملكوت كهدية أبوية بغير ثمن، لأن «المحبة لا تطلب ما لنفسها» (1كو 13:5). وهذا نسمعه من المسيح وهو يتكلَّم بفم الله الآب هكذا:

+ «لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت.» (لو 12:32)

فالخلاص الذي شكَّله الآب على حساب دم الابن هو في أساسه ومنشئه ومبناه هدية من نعمة الله لا يستطيع الإنسان أن يكافئ الله عنها مهما بلغت قدرته، إلاَّ أن يأخذها ويشكره وحسب. وهذا الوضع يشرحه المسيح بوضوح هكذا: «وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات. اشفوا مرضى. طهِّروا برصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم مجاناً أعطُوا» (مت 10:7و8). مجاناً مجاناً.

عندما تبلغ المجانية عند المسيح حد العنف:

لسان حال الخاطئ الآن في ردِّه على هذه الدعوة المجانية هو: كيف أقترب من الملكوت وأنا خاطئ وليس لي قوة ولا قدرة على التوبة. هنا يكون ذهن الخاطئ لا يزال متأثراً بناموس موسى والعهد القديم وتلح عليه أعمال الجسد التي يظن أنه بها يتطهَّر، وأنه بعد ذلك يتجرَّأ على الاقتراب من الملكوت وطلبه.

هنا رد المسيح والإنجيل أن التوبة ليست من أعمال الإنسان، بل هي عهد يقطعه الإنسان في القلب مخلصاً فيقف أمام الله بقلب تائب، له ماضٍ في الخطية ولكن له حاضر في التوبة. ولذلك

يردف المسيح الدعوة بالتوبة مع الإيمان بالإنجيل: «توبوا وآمنوا بالإنجيل» أي اقطعوا عهد توبة وآمنوا بالخلاص والغفران الكلي والمجاني الذي أكمله المسيح على الصليب. لذلك قالها ق. بولس بالقطع: « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت» (رو 9:10). ويكمِّل القول: «لأن القلب يُؤمَنُ به للبرِّ والفم يُعترَف به للخلاص» (رو 10:10) = هذا هو توبوا وآمنوا بالإنجيل!!

ولكن – بيني وبينك أيها القارئ العزيز – لا يزال هناك فراغ وهوَّة بين الخاطئ والملكوت، وهذه وضعها المسيح في الحسبان وأعطى لها نصيحة ذهبية كل مَنْ جرَّبها فاز بالعبور كجبَّار مثل جدعون. يقول المسيح وعينه على قلب الخاطئ الخائف: «ملكوت السموات **يُغصب والغاصبون يختطفونه**» (مت 12:11). فمَنْ الذي يغتصب الملكوت إلاَّ الخاطئ!! ومَنْ يختطفه إلاَّ الذي نسي أنه خاطئ!!

هذه هي وَصْفَة المسيح ابن الله للخطاة الخائفين المترددين!! قالها المسيح وهو يُسِرُّ في أُذن الخاطئ: خطيتك عليَّ وقد رفعتها عنك في جسدي على صليبي إلى الأبد، تشجَّع واغلب نفسك، أنا معك!! وها ملكوتي بين يديك.

إن اغتصاب أموال الناس وخيراتهم حرام، وأمَّا اغتصاب ملكوت الله فهو دعوة المسيح والإنجيل، بل هي مشيئة الله ومسرَّته. وإمعاناً في سرعة البت في أمر اغتصاب ملكوت الله يشدِّد المسيح: ''إن ملكوت الله لا يأتي بمراقبة'' (لو 20:17). فلا تنتظر أن يأتي إليك بل أنت مدعو لاقتحامه، فهو هدية من الآب مكتوب عليها **اسمك** وختم **دم** المسيح يتصدرها.

عندما منع التلاميذ صغار الأولاد من أن يقتحموا حضرة المسيح ظنًّا منهم أن جلال حضرة المعلِّم ليس للصغار والأولاد، احتجَّ المسيح بشدة وانتهر تلاميذه وقال قولته الإلهية: «دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحق أقول لكم: مَنْ لا يقبل ملكوت الله مثل ولدٍ فلن يدخله» (مر 10: 14و15). أمَّا الأولاد الصغار فلم يكن لهم شيءٌ يقدِّمونه للمسيح والله بل طلبوا أن يذهبوا إليه ليروا وجهه ويفرحوا بقربه وينالوا بركته، لهذا طلبهم المسيح ليعطيهم حبَّه وبركته. والمسيح يقول هذا بالنسبة لملكوت الله، ليس لدى أي إنسان شيءٌ ليعطيه ثمناً للملكوت، العكس هو الصحيح، مَنْ يتقدَّم يأخذ، فالآب غني ومحب جداً: «فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم» (مر 16:10). هذا هو عمل الآب لكل الذين يجترئون ويدخلون إليه. وعلى هذا القياس قرَّر المسيح «مَنْ لا يقبل ملكوت الله مثل ولدٍ فلن يدخله» وهنا لا يطلب المسيح سذاجة الأولاد بل شوقهم الشديد مع إرادتهم وإحساسهم بالعدمية ورغبتهم في الأخذ وتصديق الدعوة. وأشد

الذين يشبهون الأطفال في عدميتهم وشعورهم بالصغر والحقارة وشهوتهم لمنْ يحتضنهم ويباركهم هم العشارون والخطاة والمنبوذون في نظر أنفسهم والآخرين، لذلك لم يتأخر المسيح في أن يدعوهم، وكانوا بالفعل هم الذين يجرون وراءه ويسمعون تعاليمه ويتزاحمون ليدخلوا بيته ويأكلوا معه، وكان هذا يضايق الكتبة والفريسيين جداً:

+ «وفيما هو مجتاز رأى لاوي بن حلفى جالساً عند مكان الجباية (عشَّار)، فقال له: اتبعني. فقام وتبعه. وفيما هو متكئٌ في بيته **كان كثيرون من العشارين والخطاة يتكئون مع يسوع وتلاميذه، لأنهم كانوا كثيرين وتبعوه**. وأمَّا الكتبة والفريسيون فلمَّا رأوه يأكل مع العشارين والخطاة، قالوا لتلاميذه: ما باله يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة؟ فلما سمع يسوع قال لهم: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة.» (مر 2: 14-17)

+ «فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله.» (مت 31:21)

واضح أن المسيح يحكم على الإنسان أنه يستحق الملكوت بقدر حاجته وعوزه واشتياقه إليه، مع عجزه الفاضح عن أن يعمل ما يساويه وقد سحقه الخجل واشتهى التوبة بدموع:

+ «وأمَّا العشار فوقف من بعيد (في حضرة الله)، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني أنا الخاطئ. أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبرَّراً دون ذاك (الفريسي)!!» (لو 18: 13و14)

وعلى هذا المنوال علَّم المسيح كثيراً وبتشديد أن الذي يحتاج إلى الله والذي يحب بشدة هو الذي يفوز بالغفران، وبالتالي يستحق الملكوت: «وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية، وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبِّل قدميه وتدهنهما بالطيب ... ثم قال لها مغفورة لك خطاياك» (لو 7: 37و38و48)، «من أجل ذلك أقول ... قد غُفِرَت **خطاياها الكثيرة** لأنها **أحبت كثيراً**.» (لو 47:7)

لذلك، يا قارئي العزيز، هكذا علَّم المسيح أنه بقدر عظمة ملكوت الله فإن المسيح حقَّق لنا أن مداخله متواضعة للغاية، وهي كثيرة: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت 29:11)، وكأنه يصف الملكوت. ولكن ليسمح لي القارئ العزيز أن أكشف تمادي المسيح في

شرح صفة الآب العجيبة من جهة اهتمامه وبحثه عن الخطاة والضعفاء وغير الموجودين والمذلّين بهذا المثل المذهل:

+ «أية امرأةٍ لها عشرة دراهم، إن أضاعت درهماً واحداً، ألا توقد سراجاً وتكنُس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده؟ وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة: افرحن معي لأني **وجدت الدرهم** الذي أضعته. هكذا أقول لكم يكون فرحٌ قدَّام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب.» (لو 15: 8-10)

والخاطئ هنا هو المكافئ للدرهم**!!** فعند رجوع أقل خاطئ تُنصب له وليمة في السماء.

هذه الصورة الفريدة يصوِّرها لنا المسيح عن حركات السماء والآب والملائكة من جهة الخطاة المستضعفين والمنسيين الذين تاهوا في خضم حركات الدنيا: قلت هذا لأحد الرهبان فردَّ عليَّ يا أبي أنت جعلتني أفرح بأني خاطئ وأَغْبِطُ ضعفي!

ولكن كل هذه الدعوات الملحَّة من الله للخطاة ليطمئنوا إلى أبوته وحبه وغفرانه ليأتوا إليه بإرادتهم تُعطي لله صورة المحب والمخلِّص البديع. ولكن أن يبدأ الله يستخدم سلطانه ويكشف عن عنف محبته من نحو الخطاة، ويجذبهم إليه غصباً، ويسد أذنيه عن سمع أعذارهم وإلحاحهم في طلب إعفائهم من الدخول إلى ملكوته لشعورهم بالضعف والذلة وعدم استحقاقهم، فهذه هي صورة الحب الأبوي القاهر الذي لا يقيم أي وزن لخطية الخاطئ وضعف الجبلة التي أذلها الشيطان ظلماً وعدواناً. وهذه هي القصة من فم المسيح:

+ «إنسانٌ صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين، وأرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوِّين: تعالوا لأن كل شيءٍ قد أُعِدَّ. فابتدأ الجميع برأي واحدٍ يستعفون. قال له الأول: إني اشتريت حقلاً، وأنا مضطرٌّ أن أخرج وأنظره. أسألك أن تعفيني. وقال آخر: إني اشتريت خمسة أزواج بقرٍ، وأنا ماضٍ لأمتحنها. أسألك أن تعفيني. وقال آخر: إني تزوجت بامرأة، فلذلك لا أقدر أن أجيء. فأتى ذلك العبد وأخبر سيده بذلك. حينئذٍ غَضِبَ ربُّ البيت، وقال لعبده: اخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وأزقتها، وأدخِل إلى هنا **المساكين والجدعَ والعُرجَ والعُميَ**. فقال العبد: يا سيد، قد صار كما أمرتَ، ويوجد أيضاً مكانٌ. فقال السيد للعبد: اخرج إلى الطرق والسياجات (سكان الشوارع والعشوائيات) **وألزمهم بالدخول** حتى يمتلئ بيتي ...» (لو 14: 16-23)

وهكذا وصل تودد الله نحو الخطاة ودعوتهم إلى حد **العنف**، لأنه يعلم كيف أسدل الشيطان

على عين الخاطئ ستاراً كثيفاً من الخوف والرعبة من الله ليحرمه من حبه، وهكذا يمزق الله ستار الخوف والرعبة من نحوه بأن يمسك بيد الخاطئ ويجذبه إلى قلبه. وليس الخاطئ وحده هو الذي يصاب بالخوف والتردد من المجيء إلى الله، بل أصبح على الآب أن يستخدم سلطانه في جذب الإنسان إليه ليدخله عنوة إلى بيت محبته، وهذا أمر أعلنه المسيح صراحة: «لا يقدر أحد أن يقبل إليَّ إن لم **يجتذبه الآب**»(يو 44:6). لذلك لولا أن الآب يستخدم هذه القوة الإلهية النابعة من شدة محبته في جذب الإنسان بشدة إليه لما استطاع أحد أن يعبر الهوة التي تفصلنا عن الله!

ولكن هل يعني هذا أن ملكوت الله للخطاة، أم يلزم أن نكون خطاة لندخل ملكوت الله؟ حاشا لله أن يهادن الخطية، فهو الذي بذل ابنه للموت على الصليب ليكون فدية للخطاة. فالخطية هي التي قتلت المسيح، ولكن المسيح يدافع في الإنجيل عن موقف الخطاة الذين وقعوا فريسة ظلم الإنسان لأخيه الإنسان واستبداده وقسوته من نحو المستضعفين، كما وقعوا أيضاً فريسة لظلم الشيطان في الإغراء للإيقاع بالإنسان الساذج الذي بلا أب ولا معلِّم في فخاخه المحبوكة ولم تتلقّفه يد رحيمة تقوده إلى التوبة. هنا تنبري أبوَّة الله لتحتضن مَنْ رذلته البشرية وأهملته. ولنا في ذلك قصة السامري الصالح التي ساقها المسيح ليوضِّح بها دور الله بالنسبة للإنسان الواقع على الأرض مضروباً بين حي وميت، بعد أن عبر عليه اللاوي (الشماس) والكاهن وأعرضا عنه وتركاه في دمائه ومرَّا دون لفتة معونة أو حتى كلمة عزاء. هنا بدأ الله يكشف عن حنان أبوته في صورة سامري صالح لما حمله على ذراعيه واعتنى به وتعهده حتى الشفاء. هذا يعني أن الخاطئ الذي آذته البشرية بكل مؤسساتها وأهملته يتلقفه الله كأب ويحنو عليه.

ولكن وَضَعَ المسيح معيار التأهيل لدخول ملكوت الله عندما قال: «ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (مت 21:7). هنا نفى المسيح أن يكون ملكوت السموات ذا امتياز أو مقراً للأبرار والمصلِّين وذوى الكفاءات، بل وضعه المسيح وكأنه بيت الآب السماوي، ملجأٌ مجانيٌّ لكن يحكمه الحب والطاعة والإخلاص للآب، لأن إرادة الآب لا تطلب من أهل بيت الله إلاَّ الحب والأمانة والطاعة. ويصف بولس الرسول هذا البيت السماوي هكذا:

+ «فلستم إذاً بعد غرباءَ ونزلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف 19:2)

وفي تعليم المسيح عن ملكوت الله وخبراته، وَضَع الذات البشرية بأطماعها وشهواتها في التمسُّك بالعالم وملكه وملكوته في مضادة مع ملكوت الله وتسليم الذات لسلطان محبة الآب

السماوي للحصول على الخيرات السماوية هكذا:

+ «مَنْ أراد أن يأتي ورائي فليُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإنَّ مَنْ أراد أن يخلِّص نفسه يُهلكها، ومَنْ يُهلك نفسه (ذاته الطموحة) من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلِّصها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه (بالحرمان من الحياة الأبدية)؟ أو ماذا يُعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟ (المسيح وحده هو الذي فداها مجاناً من الهلاك الأبدي). »(مر 8: 34-37)

فإما الذات ومعها خيرات الدنيا وشهواتها، وفي المقابل خسارة الحياة الأبدية (الملكوت)، وإمَّا إنكار الذات وتنكرها لمسرات هذا الدهر الزائلة، وفي المقابل ربح الملكوت ومحبة الآب السماوي وتأمين النفس إلى الأبد.

ويُلاحظ أن ليست الذات وحدها التي تُحسب محبتها هكذا عداوة لله، لذلك انتبه المسيح إلى ما تحبه الذات على مستوى الذات. فالإنسان إن كان مربوطاً بحب ذاته يكون مربوطاً بحب أهله، فإن كانت محبة الذات قادرة أن تحرم الإنسان من محبة الله، فمحبة الأهل قادرة بالتالي أن تلهي الإنسان عن محبة الله والتعبُّد الصادق له. لذلك وضعها المسيح هكذا: «إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يُبغض أباه وأُمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لو 26:14). وليس الأهل وحدهم هم مَنْ يقفون في طريق الإنسان الذي يريد أن يلتصق بالرب فيصبح عليه أن يقطع **أي علاقة تحجزه وتعوقه عن أن يهب ذاته لله** وملكوته، بل وينص المسيح أن حتى أعضاء الإنسان إن أصبحت عائقاً في طريق أمانته لله يقطعها عنه: «إن أعثرتك يدك فاقطعها. خيرٌ لك أن تدخل الحياة (الملكوت) أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم، إلى النار التي لا تُطفأ. حيث دودهم لا يموت والنار لا تُطفأ ... ورجلك ... وعينك» (مر 9: 43-48). وهكذا يعلو الملكوت فوق كل متعلقات الإنسان لأنه يُبقي على حياة الإنسان الأبدية، لذلك أصبح كل ما يعوق الملكوت خسارةً ونفايةً كما رآها ق. بولس الرسول (في 3: 7و8).

لذلك وضع المسيح معياراً للدخول في ملكوت الله هكذا:

+ «ادخلوا من الباب الضيِّق، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدِّي إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه! ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدِّي إلى الحياة (الملكوت)، وقليلون هم الذين يجدونه!» (مت 7: 13و14)

"الضيق" هنا بمعنى أنه لا يسع دخول الذات باتساعها في التملك والشهوة، و"الباب الضيق" هو التوبة

بمعنى التخلي عن كل ما يقف في طريق خلاص الإنسان، والباب الضيق هو: «أقمع جسدي وأستعبده حتى ... لا أصير أنا نفسي مرفوضاً» (1كو 27:9). فملكوت الله لا يناسب الذات المتسعة المشتهية لملذات الدنيا وأمجادها والجري وراء شهوة المال: «لا يقدر خادمٌ أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (لو 13:16). والمال هو سيد العالم المعبود بنشاط في مواجهة الله السيد الآب القدوس. وهكذا يقف كنز الله في مواجهة كنوز العالم، لذلك أعطى المسيح هذا المثل الشائع: «أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مُخْفى في حقل، وجده إنسان فأخفاه، ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل» (مت 13: 44-46). فالحقل هو الحياة مع الله والكنز هو الله.

ولكن كشف المسيح في تعاليمه أيضاً مقدار المصاعب التي تواجه بعض الداخلين أو الطالبين الدخول إلى ملكوت الله:

+ «فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه: ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله! فتحيَّر التلاميذ من كلامه. فأجاب يسوع أيضاً وقال لهم: يا بَنِيَّ، ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله! مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله! ... فنظر إليهم يسوع وقال عند الناس غير مستطاع، ولكن ليس عند الله، لأن كل شيء مستطاع عند الله.» (مر 10: 23-25)

من السهل أن نقتني الأموال، ولكن من العسير أن نتخلَّى عنها من أجل ملكوت الله. ولكن إذا بلغ الإنسان درجة الغنى استحال الدخول. ولكن الله يستطيع أن يذلِّل الصعاب أمام مختاريه.

النعمة لها دور عظيم في تسهيل الدخول لدى الراغبين إن هم اتكلوا عليها وطلبوها:

+ «فمتى ساقوكم ليسلِّموكم، فلا تعتنوا مِن قبل بما تتكلَّمون ولا تهتموا، بل مهما أعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلَّموا. لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس.» (مر 11:13)
+ «لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر، لتُعلم طلباتكم لدى الله.» (في 6:4)

أمَّا قدرة الآب على حل صعاب الإنسان الراغب في دخول ملكوت الله - لأنه ليس شيء مستحيلاً لدى الله - فهي قدرة الله الخاصة على مغفرة خطايا الخطاة الضعاف:

+ «الحق أقول لكم: إن جميع الخطايا تُغفر لبني البشر، والتجاديف التي يجدفونها. ولكن مَنْ جدَّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد.» (مر 3: 28و29)

وهكذا يتحقق لدى القارئ الذي يستوعب إنجيل ق. مرقس أو حتى الأناجيل عامة أن أهم تعاليم المسيح تنجمع تحت هذين العنصرين الأساسيين: **أبوّة الله، وملكوت الله**، وهذان العنصران يلمحهما القارئ بسهولة في الصلاة التي علَّم المسيح تلاميذه أن يصلُّوا بها.

ج ـ الأخلاقيات في تعاليم المسيح

الأخلاقيات التي تليق بطالبي الملكوت:

إذا استثنينا عمل المعجزات والاتجاه نحو استعلان ابن الإنسان، ينحصر الإنجيل بعد ذلك في التعليم الأخلاقي الذي يجمع واحدة من أعظم المجاميع الأخلاقية التي ظهرت في العالم، بحسب كلاوزنر، وهو عالم يهودي غير مسيحي ضليع، إذ يستطرد مقرِّراً:

[إن يسوع بالنسبة للأمة اليهودية يُعتبر معلِّم الأخلاقيات العظيم وفنان الأمثال المبدع، وتعليمه الأخلاقي على مستوى السمو المتميِّز والأصالة بصورة لا تُجارى إذا قورن بأي نظام أخلاقي آخر. فإذا حدث في يوم ما أن هذا الدستور الأخلاقي استُخلص من بين تغليفه في طيات المعجزات والحديث المستيكي الآخر، فسوف يظهر كتاباً في الأخلاق ليسوع على مستوى الكنز المختار في أدبيات إسرائيل ليغطي كل الأحقاب.][128]

هذه الرؤية بعينها تظهر لدى كل الأوساط غير اليهودية وخاصة ما حوته عظة الجبل، كما جاءت في إنجيل ق. متى، ولكن ليس كما يروي العالِم اليهودي كلاوزنر، الذي تصوَّر أنه يمكن أن نجرِّد أخلاقيات المسيح عن ملابسات أحاديثه وأمثاله وخاصة حينما يتكلَّم عن ملكوت الله، وهو المصدر الوحيد الذي يحوِّل تعاليم المسيح من الرؤية الأخلاقية إلى واقع حياة عُليا تسمو فوق الحياة بما لا يُقاس، الأمر الذي يجعل من العناء المبذول في تنفيذ هذه العناصر الأخلاقية ثمناً تافهاً في سبيل الفوز بالحياة الأبدية، حيث يتحوَّل العناء الوقتي بالجسد إلى راحة أبدية للروح والنفس. حتى إننا لو أمضينا العمر كله ـ كما في الحياة الرهبانية ـ صائمين متعبدين الليل والنهار، منكرين لذواتنا وكل مسرات الحياة، تاركين الأب والأم والزوجة والأولاد والإخوة والأخوات حتى النفس ـ تكون مثل هذه الحياة بطول عمرنا ثمنا بخساً لنحظى بالملكوت وسعادة الحياة الأبدية.

(128) J. Klausner, *Jesus of Nazareth* (London, 1929). pp. 381, 414, cited by T. W. Manson, *op. cit.*, p. 285.

لذلك نحن نرى أن كل التعاليم الأخلاقية التي صنَّفها المسيح هي أصلاً لتليق بالملكوت، فهي لا تشكِّل لنا حينئذ عناءً بل هناءً، ولا هي تدخل في مستوى الحرمان بل هي حقًّا وبالحقيقة تحويل تفاهات الدنيا إلى عظائم روحية تُدخلنا الآن في حيز العزاء وسبق الرؤيا لأمجاد سماوية، بل وتُجَهِّز النفس لزمالة أرواح عظمى، بل للمسيح نفسه والآب:

+ «أمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (1يو 3:1)

لذلك نحن نوجِّه نظر الأفراد والكنيسة كلها إلى المنهج الأخلاقي في تعليم المسيح، أنه لو نُظر إليه وكأنه منهج أخلاقي كامل بذاته كوصايا مجرَّدة عن الهدف وهو الملكوت، تصبح من الصعوبة بمكان كبير ويصعب على المتتلمذ للإنجيل قبولها وتنفيذها. ولكن إن كان هدف الوصية هو أصلاً وبالنهاية أن نقبل ملكوت الله ونصبح حاصلين على الزمالة مع بني الملكوت أي القديسين، بل وفي شركة روحية مع الآب والابن، فإن الوصية الأخلاقية تبدو هيِّنة، بل إذا وُزِنَت بميزان الحق والروح تُرى وكأن ما ندفعه فيها من عناء وحرمان أمرٌ جِدّ تافه في سبيل الحصول على نعمة الملكوت.

لذلك ينبغي كضرورة ذات أهمية أن ننسب كل الوصايا الأخلاقية وخاصة ذات المتطلبات العنيفة منها لعلة الحصول على **ملكوت الله ومحبته**، باعتبار أن امتلاك حب الله وملكوته يتعارض مع عبوديتنا تحت ملكوت العالم ومحبة الأشياء التي فيه. على هذا الأساس جاءت الوصايا التي تحث على التجرُّد من مسرات هذا الدهر وإغراءاته كوصية المسيح بترك الأب والأُم والأولاد والزوجة والإخوة والأخوات من أجل المسيح والإنجيل، وأيضاً الوصية الأخرى التي تحض على البغضة، حيث المقارنة تكون بين محبة العالم وحب أب جسدي وعشرة زمانية فانية وسط الأسرة وبين محبة الآب السماوي **وحياة أبدية** وسط أسرة القديسين.

وملكوت السموات لا ينبغي أن يُنظر إليه أنه أمرٌ أخرويٌ وموضوع المستقبل البعيد، بل هو موضوع الحياة الحاضرة والآتية بآن واحد، لأن «ها ملكوت الله داخلكم» (لو 21:17). لأننا صرنا متحدين بالمسيح والمسيح فينا رجاء المجد (كو 27:1)، «إن كنت بإصبع الله أُخرج الشياطين فقد **أقبل عليكم ملكوت الله**» (لو 20:11). فملكوت الله بدأ وانفتح علينا بقيامة المسيح من الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمين الآب بجسدنا، وبالإيمان بالآب والابن والروح القدس واعتمادنا للمسيح وتناولنا من الدم والجسد خُتمنا بختم الحياة الأبدية وحُسبنا أبناء الله الحي وأبناء الملكوت وخلعنا شكل هذا الدهر. إذن، فكل الوصايا الأخلاقية التي وهبنا إيَّاها المسيح هي بمثابة الأردية الخاصة بمواطني السماء أي بني الملكوت، وهي المكني عنها بلباس العرس، وإن لم نـدَّثر

بها الآن نوجد عُراة أمام الملائكة والله. والإنسان الذي وُجِدَ عارياً منها في حفلة عشاء الملك زُجر وطُرد وجُوزي بصرامة. علماً بأننا بالمعمودية حسب بولس الرسول «قد لبسنا المسيح» (غل 27:3)، وهذا هو لباس العرس. فصرنا بالضرورة أبناءً لله وورثةً لله مع المسيح في الملكوت المعد:

+ «أنا أمضي لأُعِد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.» (يو 14: 2و3)
+ «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو 24:17)

ويوضحها بولس الرسول هكذا:

+ «لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد (آدم)، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البرِّ، **سيملكون في الحياة** (الأبدية) بالواحد يسوع المسيح.» (رو 17:5)
+ «إن كنَّا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه، إن كنَّا نصبر **فسنملك أيضاً معه**.» (2تي 2:11و12)

فإن صرنا لابسين المسيح بالمعمودية ومتحدين به بتناول الجسد والدم، فقد صرنا كما المسيح بالنسبة للآب، وأصبح تعليمه لنا يشمل حتماً طاعة المسيح بغير تحفُّظ للآب فهذا صدى حياته الخاصة التي يحياها في الآب ومعيارها: «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو 42:22). وأصبحت بالضرورة المطالب الأخلاقية التي يحياها بالجسد وفي العالم وبين الناس هي حتماً مطالبه التي يطالبنا بها «كما هو في هذا العالم هكذا نحن أيضاً» (1يو 17:4)، وقد صرَّح بها: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب ... احملوا نيري عليكم ... لأن نيري هين وحملي خفيف» (مت 11: 29و30). بل وأعطانا رؤية كيف هو يحيا: «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت 48:5)، «بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة، لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (1بط 1: 15و16)، تلك القداسة التي قررها لنفسه: «لأجلهم أقدِّس أنا ذاتي» (يو 19:17). وبالرؤيا العالية نظر حوله وقال: «ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: ها أمي وإخوتي لأن مَنْ يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي» (مر 3: 34و35). وطبعاً غني عن القول إنه يقصد أُولئك السامعين له بالقلب والروح المستجيبين لوصاياه الأخلاقية ومطالبه الروحية. لذلك فالذي يستمع لوصايا المسيح الأخلاقية ويميل إليها بقلبه وروحه هو في الحقيقة إنسان اختار أن يكون للمسيح أُماً وأخاً وأختاً، حيث وصايا المسيح إنما يطرحها مسنودة بروحه القدوس لأنها ليست مجرد كلام تعليم بل دعوة قلبية ذات كلمات إلهية مُخصبة بالروح القدس

قادرة أن تلد الإنسان بالروح جديداً:

+ «مولودين ثانية، لا من زرع يفنى (زرع الرجل)، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد.» (1بط 1:23)

لذلك حُسب تعليم المسيح الأخلاقي أنه بالدرجة الأُولى لبناء جسده ـ الكنيسة ـ لتشكيل ملكوت الله على الأرض، جماعة الذين قَبِلوا تعليمه متشبهين به، الحائزين على نعمته المتسلحين ضد ملكوت العالم بأخلاق المسيح التي صارت كسمة على جباههم علامة بني الملكوت. هكذا أرسى المسيح بتعاليمه الأخلاقية ملكوت الله على الأرض، تلك الغاية الحية للصلاة التي علَّمها لأولاده والتابعين له:

+ «ليتقدَّس اسمك (بسيرتنا) ليأتِ ملكوتُك. لتكن مشيئتك (سائدة في حياتنا) كما في السماء كذلك على الأرض (ليُستعلن ملكوتك فينا) ...» (مت 6:10)

ولا يفوت على القارئ أن المسيح أعطى نفسه في تعاليمه كنموذج واضح ناطق عن ما يجب أن تكون عليه أخلاق بني الملكوت. وكل مَنْ يقرأ قصة السامري الصالح يلمح مهارة المسيح (إن جاز هذا التعبير) وهو يبني قصة من الخيال على أساس وصية محبة القريب حينما ركَّز المسيح على محبة القريب كأرفع مستوى لأخلاق بني الملكوت، وأعطى فيها دور رجل سامري أخلاق المسيح نفسه لينال أشد الإعجاب، وليس دور رجل يهودي. وبهذا أعطى نفسه نموذجاً رائعاً حقًّا لتنفيذ وصية أخلاقية تقوم على أساس وصية المحبة: «اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا» (لو 10: 25ـ37). ونخرج من هذه القصة بأن الذي عمل الوصية الأخلاقية على أجمل وجه ليس يهودياً بالمرة؛ بل وَضَع اليهودي واللاوي والكاهن كمخالف لأمر الوصية ومتعالٍ على عمل المحبة والرحمة للغرباء عن اليهودية، فالرحمة والمحبة صنعها السامري لرجل يهودي، رغم أن السامري عدو اليهودي ومكروه لديه بل ومحسوب أنه نجس. وهكذا ارتفع المسيح بالوصية الأخلاقية المعمولة بالرجل السامري فوق الناموس وفوق اليهودية، لتقف الوصية الأخلاقية «تحب قريبك كنفسك» على مستوى العالم كله بكل أجناسه. وبهذا رفع المسيح الوصية الأخلاقية لتصلح لكل إنسان في كل زمان دون التحيُّز والتعالي، ووضع نفسه فيها النموذج الأعلى لإنسانٍ يطيع الله كأب ليستعلن أخلاق بني الملكوت كيف تكون.

ويُلاحَظ هنا أن وصية موسى في الناموس أن يحب الإنسان قريبه كانت تلتزم بأن يكون قريبه هو اليهودي فقط، ولكن عند المسيح الذي افتتح ملكوت السموات واستعلن أن الآب السماوي هو الجالس على عرش ملكه، يرى أن الكل إذ قد صاروا أبناء الآب السماوي فقد صار «قريبي» هو

أحوج الناس إلى محبتي ومساعدتي. على هذا المستوى العالي وضع المسيح الوصايا الأخلاقية في المحبة والرحمة والعطف والبذل على مستوى المسحوقين والأذلاء في بني الإنسان، الذين وصفهم المسيح بأنهم "إخوته الأصاغر"، والمثل معروف:

+ «ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني. مريضاً فزرتموني. محبوساً فأتيتم إليَّ. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب، متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه **بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم**.» (مت 25: 34-40)

وهكذا يحقق المسيح ملكوت الله القائم على المحبة في تعليمه بالوصايا الأخلاقية على أساس نموذجه الشخصي وسلوكه الذي بلغ القمة في قبول الصليب ليكمِّل محبة الله للعالم.

وبالنهاية يطرح المسيح الوصية الأخلاقية التي قام على أساسها الملكوت وانفتح لنا، وهي التي وضعها في قالب الصلاة المعتبرة دستور الصلاة للراغبين في ملكوت الله: «أبانا الذي في السموات. ليتقدَّس اسمك. ليأتِ ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض ... **اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا**» (مت 6: 9-11). هنا الوصية الأخلاقية وُضعت تكميلاً لشرط طلب غفران الآب لخطايانا، وهي أن "نغفر نحن للمذنبين إلينا". وهنا أيضاً هذه الوصية مصبوغة بدمه لأنه أكمل مشيئة الآب وصعد على الصليب ليموت من أجل غفران خطايانا. فإن كانت وصيته الأخلاقية أن "نغفر للمذنبين إلينا" تبدو بلا عائد على الأرض، إذ علينا أن نغفر للعدو والصديق بلا تفريق ودون أن ننتظر جزاءً ولا شكوراً، إلاَّ أن المسيح قد سبق أن أكمل الوصية عينها عن العالم كله عن حب حقيقي صادق وليس تفضُّلاً، إذ جاء الصليب تكميلاً لمحبة الله الآب للعالم وتنفيذاً لمشيئته. لذلك أصبحت وصية غفران خطية من أذنب إلينا، غفراناً عن حب صادق وطاعةً لمشيئة المسيح والله، تُحسب على مستوى الصليب وشركةً فيه وحقاً لنا في انفتاح ملكوت الله في وجهنا. ولكي تظهر قوة مغفرة ذنوب الآخرين لنا أصدقاءَ كانوا أو أعداءً بلا مقابل أو عائد، فلننظر إلى عكس هذه الوصية حينما يرفض الإنسان أن يغفر لمنْ أساء إليه، إذ يعني هذا مباشرة انعدام المحبة. وهنا يبرز الموت «كل مَنْ يبغض أخاه فهو قاتل نفس!!» (1يو 3:15) إذن، فالمحبة معها غفران وحياة أبدية (ملكوت) والبغضة معها قتل وحرمان من الحياة!!

د – "ابن الإنسان"(129) في تعاليم المسيح

يعتبر لقب ابن الإنسان أحب الألقاب وأهمها بالنسبة للمسيح في التعبير عن ذاته وإرساليته "كمسيًّا". وقد تكرر هذا اللقب 71 مرّة في الأناجيل الثلاثة المتناظرة وثلاث عشرة مرّة في إنجيل ق. يوحنا، أما خارج الأناجيل فيوجد أربع مرات فقط في العهد الجديد: في سفر أعمال الرسل (56:7)، وفي الرسالة إلى العبرانيين (6:2) حيث يستشهد بمزمور (5:8)، وفي سفر الرؤيا (13:1؛ 14:14) وهو المقابل لدانيال (13:7). وهذا اللقب يحمل مفتاح معرفة المسيح ورسالته. وهو اللقب الذي جاء في الأناجيل على لسان المسيح متكلِّماً عن نفسه. وقد جاء معبِّراً عن أوضاع معينة كالآتي:

(أ) معبِّراً عن شخص المسيح وبلسانه كما في (مت 19:11)، (لو 34:7)، (مر 28:2)، ومعبِّراً عن رسالته.

(ب) متحدِّثاً عن آلامه المزمعة باعتباره المسيًّا في الموت والقيامة مثل (مت 22:17)، (مر 31:8)، (يو 14:3).

(ج) معلناً مجيئه الثاني في النهاية آتياً على السحاب (مر 62:14)، وعلى أساس الدينونة (يو 27:5)، وباب البحث في هذا اللقب هو العهد القديم وأوضحها ما جاء في دانيال (13:7).

ويتبارى العلماء في التخمين بماذا يعني هذا اللقب وما هو معناه عند المسيح. فبعضهم قال: إن هذا اللقب يعني مجرَّد إنسان أو كائن بشري أو حتى ملاك ... إلخ. وبعضهم بعد بحث في المصادر الأرامية يقول إنه مجرد إشارة إلى المتكلِّم كما نقول نحن (العبد لله): العبد لله قال ويقول والعبد لله عمل ويريد ... إلخ. ولكن هذه نعتبرها تخرج جميعها عن جلال هذا اللقب الذي كان المسيح يقدِّسه، ويكفي أن يقول المسيح إن ابن الإنسان سوف يأتي على السحاب ...، وهو تعبير عن الحضرة الإلهية بكل تأكيد، خاصة أنه قالها رداً على رئيس الكهنة وهو يسأل: «أأنت المسيح ابن المبارك؟» (مر 61:14) قاصداً مسيًّا، فكان ردّه: «أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء »(مر 62:14)، هذا يعني بوضوح أنه كشف ضمناً أن ابن

(129) راجع ما جاء عن لقب ابن الإنسان صفحة 63 و64.

الإنسان هو بعينه ابن المبارك وهو مسيًّا بكل تأكيد.

ولكن في رأينا الخاص أن المسيح قصد بهذا اللقب أن يلمِّح على بشريته إنما خلواً من آدم، فأصل اللقب الموازي هو ابن آدم، ولكن المسيح غيَّره عن قصد إلى ابن الإنسان إشارة سرية لمولده من الإنسان وهي العذراء مريم دون رجل، فهو ابن إنسان ولكن ليس ابن آدم. وتركها للقلوب الواعية بعد أن ينكشف سر ميلاده العذري. كذلك نعتقد أن المسيح عبَّر عن نفسه بهذا اللقب عن شعور شخصي واقتناع أنه صاحب طبيعة بشرية واضحة لنفسه في أعماقه، ولكن احتجز لنفسه معرفته الذاتية أنه ابن الله فأعلن عن الظاهر فيه وهو ابن الإنسان، ولكنه أجَّل استعلان جوهر بنوَّته الذاتية لله ليدركها التلاميذ والمؤمنون به بالاستعلان وليس بالإعلان، وتركها للتعليم وللمعجزات لتنطق بها لذوي القلوب المفتوحة. ويُلاحَظ أن «ابن الإنسان» تأتي معرَّفة بالألف واللام لتفيد أنه الابن الوحيد الذي للإنسان، فهي ليست «ابن للإنسان» ولكن ترجمتها الحرفية ”الابن الذي للإنسان“. لأن التعريف في اليونانية واقع على ”الابن“. فهي تعني ضمناً أنه ابن وحيد معرَّف ليتوازى مع ابن الله الوحيد. وباتحاد اللقبين يستعلن في الحال مسيًّا رجاء الدهور والمخلِّص والحامل أعباء الفداء والخلاص للإنسان. على أن لقب ابن الله وحده لا يفي بحقيقة المسيح ولا لقب ابن الإنسان فهو ابن الله المتجسِّد وهو ابن الإنسان الحامل لشخص ابن الله.

وكان يتحتَّم على المسيح أن يمرّ في قامة الضعف والمسكنة والتواضع البشري الصادق التي تتناسب مع ابن الإنسان، لأنه منوط به أن يعلِّم الناس ذلك حتى يقودهم إلى بنوَّة الله الصحيحة. لذلك نسمعه يقول: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت 29:11)، وصرَّح: «إن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم، وليبذِل نفسه فدية عن كثيرين» (مت 28:20)، و «أنا غسلت أرجلكم» (يو 13:13). وهكذا كان يتحتَّم أن تُستعلن بنوَّة الله في هذه المستويات الضعيفة والحقيرة والمتواضعة والمهانة حتى يستطيع المسيح أن يوصِّل بنوَّته ويحققها في ضعف الإنسان ومذلته.

والحق أن هذا اللقب يعلن شخص المسيح ورسالته حتى إلى السماء، بمعنى أن ناسوته لن يفارق لاهوته، وهذا ما تبيِّنه الآية: «وأقول لكم: كل مَنْ اعترف **بي** قدَّام الناس، يعترف به **ابن الإنسان** قدَّام ملائكة الله» (لو 8:12). كذلك: «فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك. فقال يسوع أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء» (مر 14: 61و62). وهنا يقرِّر يسوع أنه هو مسيًّا ابن المبارك وهو ابن الإنسان الواقف أمامهم والذي سيأتي على سحاب السماء (المنظر الخاص بالله وحده). وإمعاناً من المسيح في أن

يعلن بشريته أعلن ذلك في المشابهة بينه وبين يوحنا المعمدان هكذا:

+ «لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فيقولون: فيه شيطان، وجاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فيقولون: هوذا إنسان أكول وشريب خمرٍ، محب للعشارين والخطاة. والحكمة تبررت من بنيها.» (مت 11: 18و19)

ومعنى قول المسيح «والحكمة تبررت من بنيها» هو أن الذين يقولون هذا هم جهلة وغير حكماء، لأنهم لم يفرِّقوا بين النسك في يوحنا وتزييف النسك بعمل الشيطان، وبين المحبة والتواضع عند المسيح وبين أعمال المجون. أمَّا يوحنا فجاء بشكل الأنبياء النسَّاك لذلك أهانوا النبوَّة بإهانته، وأمَّا ابن الإنسان فجاء ليعلن محبة الله وعطفه على خليقته الضعيفة فأهانوا الله بإهانة ابن الإنسان.

وفي نفس الوقت يرفع إنجيل ق. مرقس من شخصية المسيح إلى مستوى الله بكل سهولة وعملياً في الآية: «ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا. قال للمفلوج: لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك» (مر 2: 10و11). وكان قد سبق أن قال له مغفورة لك خطاياك: «فلما رأى يسوع إيمانهم (الذين حملوه إليه)، قال للمفلوج: يا بني مغفورة لك خطاياك» (مر 5:2). فكان ردّ فعل الكتبة والفريسين على قول المسيح أن ابن الإنسان يقدر أن يغفر الخطايا هكذا: «لماذا يتكلَّم هذا هكذا بتجاديف؟ مَنْ يقدر أن يغفر خطايا **إلاَّ الله وحده**.» (مر 7:2)

هـ – سلطان المسيح
كما أوضحه إنجيل القديس مرقس

لقد استطاع القديس مرقس أن يسجِّل من ردود المسيح ما يكشف عن ماذا كان المسيح يعتبر نفسه بالنسبة للواقع والتاريخ.

السلطان العام: (مر 11: 27–33)

+ «وفيما هو يمشي في الهيكل، أقبل إليه رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، وقالوا له: بأي سلطان تفعل هذا، ومَنْ أعطاك هذا السلطان (إثر حادثة تطهير الهيكل) حتى تفعل هذا؟ (متحدياً رؤساء الهيكل). فأجاب يسوع وقال لهم: وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة. أجيبوني، فأقول

لكم بأي سلطان أفعل هذا. معمودية يوحنا **من السماء** كانت أم من الناس؟ أجيبوني. ففكروا في أنفسهم قائلين: إن قلنا من السماء، يقول: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا من الناس. فخافوا الشعب. لأن يوحنا كان عند الجميع أنه بالحقيقة نبي. فأجابوا وقالوا ليسوع: لا نعلم. فأجاب يسوع وقال لهم: ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا»

يُلاحَظ في الأصل اليوناني أن جملة: «بأي سلطان تفعل هذا» هي في الترجمة الصحيحة: ''تفعل هذه الأمور''، أي أنهم لم يقصدوا تطهير الهيكل فقط بل كل أعمال المسيح. ونفس الأمر في الجملة الإيجابية للمسيح «ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل (هذا = taàta)؟» كانت أعمال المسيح لها ظاهرة واحدة غريبة جداً وهي أنه كان يفعل ويقول بسلطان يختلف عن كل طبقات الرؤساء والكتبة والفريسيين، وكان سؤال هؤلاء السائلين من رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ إسرائيل داخل الهيكل سؤالاً رسمياً استنكارياً بمعنى: مَنْ أنت ومَنْ تفكِّر في نفسك لكي تعمل هذه الأمور؟ وفي مرَّة أخرى عبَّر التلاميذ عن اقتناعهم أنه ذو سلطان إلهي «فخافوا خوفاً عظيماً وقالوا بعضهم لبعض: مَنْ هو هذا فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه» (مر 41:4). كذلك رؤساء الكهنة والكتبة ورؤساء الشعب واجهوه وهم على حذر وخوف منه لأنه حتى في ردِّه ألمح أن مصدر سلطان المعمدان هو نفسه مصدره الذي يعمل به وله أي ''السماء''.

السلطان على الشياطين والأرواح الشريرة: (مر 27:1و32-34، 1:5-13)

سلطان المسيح على الشيطان والأرواح الشريرة أوضحه ق. مرقس بصفه خاصة، وذلك بتعليق الناس هكذا:

+ «فانتهره يسوع قائلاً: اخرس واخرج منه! فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه. فتحيَّروا كلهم، حتى سأل بعضهم بعضاً قائلين: ما هذا؟ ما هو هذا التعليم الجديد؟ لأنه **بسلطان** يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه! فخرج خبره للوقت في كل الكورة المحيطة بالجليل.» (مر 1: 25-28)

+ «ولما صار المساء، إذ غربت الشمس، قدَّموا إليه جميع السقماء والمجانين. وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب. فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراضٍ مختلفة، وأخرج شياطين كثيرة، ولم يدع الشياطين يتكلَّمون لأنهم عرفوه.» (مر 1: 32-34)

+ «... إنسان به روح نجس ... فلم يقدر أحد أن يذلِّله ... فلما رأى يسوع من بعيدٍ ركض وسجد له، وصرخ بصوت عظيم وقال: ما لي ولك يا يسوع ابن الله العلي! أستحلفك بالله

أن لا تعذبني! لأنه قال له: اخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس ...» (مر 5: 1-13)

وقد أعطى المسيح هذا السلطان عينه لتلاميذه، وهذا بحد ذاته يكشف أنه أعلى من السلطان إذ له سلطان أن يسلِّم هذا السلطان. وهذا بحد ذاته يكشف لماذا جاء ولماذا استخدم هذا السلطان إلاَّ لكي يمنحه للإنسان:

+ «ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين.» (مر 15:3)
+ «وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة ... أخرجوا شياطين كثيرة.» (مر 6: 7و13)

السلطان على رئيس الشياطين: (مر 27:3)

+ «لا يستطيع أحد أن يدخل بيت قوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً وحينئذ ينهب أمتعته.» (مر 27:3)

قالها يسوع لما اتهمه الكتبة أنه يعمل المعجزات ويخرج الشياطين لأن به شيطان. فكان رد المسيح يُفهم منه أنه له السلطان على رئيس الشياطين، وقد ربطه، لذلك يُخرج أتباعه بقوة. وهنا يتميز المسيح عن تلاميذه الذين أعطاهم سلطاناً أن يخرجوا شياطين، بأنه هو صاحب السلطان الأعظم الذي به ربط رئيس الشياطين نفسه. وهذا تلميح أنه الرب الإله.

سلطان المسيح على شفاء الأمراض لم يكن له مثيل: (مر 2: 12، 37:7)

+ «وقال للمفلوج لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك. فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدَّام الكل حتى بُهت الجميع ومجدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط.» (مر 2: 10-12)
+ «وللوقت انفتحت أذناه، وانحل رباط لسانه، وتكلَّم مستقيماً. فأوصاهم أن لا يقولوا لأحدٍ ... وبهتوا إلى الغاية قائلين: إنه عمل كل شيء حسناً! جعل الصم يسمعون والخرس يتكلَّمون!» (مر 7: 35-37)

وفي الحقيقة إن سلطان المسيح الفائق سواء على شفاء الأمراض أو إخراج الشياطين مصدره أن عنده السلطان لمغفرة الخطايا، وهي العقدة المستعصية المتسببة في الأمراض والمتسببة في تسلُّط الشيطان.

السلطان على مغفرة الخطايا: (مر 2: 5-7)

+ «فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: يا بنيَّ، مغفورة لك خطاياك. وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكِّرون في قلوبهم. لماذا يتكلَّم هذا هكذا بتجاديف؟ مَنْ يقدر أن يغفر خطايا إلاَّ الله وحده؟ فقال لهم ... ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان **سلطاناً** على الأرض أن

يغفر الخطايا ...» (مر 2: 5-10)

إنجيل ق. مرقس وسلطان المسيح الذي فوق الناموس: (مر 10: 2-9)

ولو أن المسيح في إنجيل ق. متى وضعها صريحة صارخة: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء (بالناموس): لا تقتل، ومَنْ قتل يكون مستوجب الحكم. وأمَّا أنا فأقول لكم: إن كل مَنْ يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم» (مت 5: 21و22)، ولكن في إنجيل القديس مرقس، عندما علَّم المسيح ما يتنافى مع ناموس موسى، علَّل السبب الذي من أجله جاء الناموس منحرفاً عن الحق هكذا:

+ «فتقدَّم الفريسيون وسألوه: هل يحلُّ للرجل أن يطلِّق امرأته؟ ليُجرِّبوه. فأجاب وقال لهم: بماذا أوصاكم موسى؟ فقالوا: موسى أَذِنَ أن يُكتب كتاب طلاق، فتُطلَّق. فأجاب يسوع وقال لهم: من أجل قساوة قلوبكم كَتَبَ لكم هذه الوصية، ولكن من بدء الخليقة، ذكراً وأنثى خلقهما الله. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمَّه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحدٌ. فالذي جمَّعه الله لا يفرِّقه إنسانٌ.» (مر 10: 2-9)

لذلك فنحن لا نستطيع أن نقول: إن المسيح ألغى الناموس الأخلاقي بل ارتقى به بمقدار ما جاء ليرتقي بالإنسان. فإن كان الناموس قد عَمَل لقساوة قلب إسرائيل حساباً وهوَّن في حق الحد الأخلاقي فالمسيح جاء ليزيل قساوة قلب الإنسان وليعيد للناموس الإلهي حد الحق.

لذلك نجد القديس مرقس في إنجيله كان أكثر فهماً للاتجاه بأن سلطان المسيح فوق الناموس: «إذن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً.» (مر 2:28)

إنجيل ق. مرقس وسلطان كلمة المسيح القاطعة والمانعة: (مر 10: 29و30)

+ «فأجاب يسوع وقال: **الحق أقول لكم**: ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أُمًّا أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً، لأجلي **ولأجل الإنجيل**، إلاَّ ويأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان، بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً، مع اضطهادات، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية.» (مر 10: 29-31)

«الحق أقول لكم» = (آمين أقول لكم في الأصل).

إن استخدام المسيح لهذه العبارة: «الحق أقول لكم» هو في الواقع جديدٌ تماماً لم يسبقه فيه آخر وليس له مثيل قط في كل الآداب اليهودية أو بقية العهد الجديد، وقد وردت في إنجيل ق. مرقس 13 مرَّة، وإنجيل ق. متى 30 مرَّة، وإنجيل ق. لوقا 6 مرَّات، وإنجيل ق. يوحنا 25 مرَّة

ومزدوجة. على أن ورودها في الأناجيل وأولها ق. مرقس ولم يسبقها قط أي مثيل، يؤكد لدى العلماء أصالتها بلا نزاع.

والمسيح في استخدامه لهذه العبارة الفريدة: «الحق أقول لكم» إنما يشدِّد على صدق وحقيقة وتأكيد ما يقوله بنفسه ولأول مرَّة، وهي تحمل القطع بأن لا بعدها ولا قبلها قولٌ آخر في هذا الموضوع، وهي نابعة من إحساسه بذاته: «أنا الأول والآخر» (رؤ 17:1). فهي «الحق أقول لكم» لأني أنا أقول!! علماً بأنه قال: «أنا هو الطريق **والحق** والحياة.» (يو 6:14)

وكما سبق وقلنا أن تعليم المسيح هو استعلان لحقيقة شخصه.

إنجيل ق. مرقس وسلطان المسيح الذاتي الفائق والكلي القدرة: (مر 34:8)

\+ «ودعا الجمع مع تلاميذه وقال لهم: مَنْ أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن مَنْ أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها، **ومَنْ يُهلك نفسه من أجلي** ومن أجل الإنجيل فهو يخلِّصها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟ لأن مَنْ استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ، فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين.» (مر 8: 34-38)

المسيح هنا يقيم نفسه أعلى من كل نفس من جهة قدرته على حفظ النفس من كل مَكَارِهِ الحياة وحملها ليضعها أمام الله في شركة الحياة الأبدية. فهو أعلى من كل قوة وقدرة وهدف ومعونة للإنسان. فالمسيح يرى نفسه أنه الأمان الوحيد لكل نفس ضد العالم والقوة الوحيدة القادرة على فداء النفس وحفظها للحياة الأبدية. هنا يضع المسيح بكل ثقة في ذاته أنه:

(أ) أمان ضد الضعف والمرض والكوارث والخسارات وكل مخاوف الحياة الأرضية إذا تخلى الإنسان عن ذاته والتصق بالمسيح.

(ب) وإنه مهما نجح الإنسان ونمى وامتد وكسب الصحة والغنى والقدرة والقوة في هذا العالم فهو لا يضمن خلاص نفسه، فتصبح مكاسب كل الدنيا لا شيء بل كارثة، حينما يرى نفسه في النهاية فاقد الأمان لنفسه فاقد الرجاء في الحياة الآتية حيث لا يوجد في كل مكاسبه وغناه ما يعطيه ليفدي نفسه من الهلاك الآتي المحتَّم.

(ج) الذي يعترف بالمسيح هنا ويؤمن ويشهد، مهما كلَّفه من عنف واضطهاد وهلاك يكون قد كسب اعتراف المسيح به في السماء قدَّام كل ملائكة الله. وكسب الحياة الأبدية.

إذن، فالمسيح بهذه الأقوال التي يزكي بها نفسه إنما ليس من أجل نفسه بل من أجل أن نثق به ونلقي كل رجائنا عليه، لأنه واثق من نفسه أنه ضمين الخلاص والحياة الأبدية للإنسان. بهذا يصبح كل الجهاد الموضوع أمامنا مهما كان ثقله فهو تافه لا يساوي أن يضع المسيح نفسه بكل ثقله لحسابنا الآن وفي السماء ونوال حب الآب بالنهاية.

ويا ويل مَنْ ينكر المسيح هنا قولاً أو عملاً أو سلوكاً أو شهادة فيكون قد خسر الحياة «وطوبى لمِنْ لا يعثر فيَّ.» (مت 6:11)

رابعاً – صورة إنجيل القديس مرقس على مدى العصور

أ – عصر الآباء الأُول:

سبق أن أوردنا آراء الآباء الأُول بخصوص إنجيل القديس مرقس[130]. وكلهم ينقلون بلا حذر شهادة بابياس غير الدقيقة. ونلخِّص آراءهم فيما يأتي:

1 – بابياس (60–130م):

وقد وصلت شهادته إلينا عن طريق يوسابيوس القيصري ومجملها أن ق. مرقس كان ''مترجماً'' لأقوال بطرس الرسول. ولكن العلماء الآن يشكُّون في صحة شهادة بابياس بل منهم مَنْ يرى أنه [ينبغي بكل بساطة التخلِّي عنها لأنها تُعتبر تأليفاً مزيفاً.][131]

2 – أيام ق. يوستين الشهيد: (حوالي 165م):

ينقل عن بابياس ومجمل تعليمه عن إنجيل مرقس أنه مذكرات ق. بطرس.

3 – أيام ق. إيرينيئوس (130–200م):

أسقف ليون بفرنسا. ينقل عن بابياس.

4 – ق. كليمندس الإسكندري (150–215م):

لاهوتي تلميذ بنتينوس أول مدير كلية لاهوت الإسكندرية. ينقل عن بابياس.

5 – أوريجانوس (185–254م):

عالِم إنجيلي ولاهوتي، منارة الشرق. ينقل عن بابياس بلا حذر.

6 – ق. جيروم = "يوسابيوس إيرونيموس" (342–420م):

عالم إنجيلي **ذكر أن ق. مرقس هو أول أسقف على كنيسة الإسكندرية** – وللأسف نقل عن بابياس بدون حذر ولكنه أول مَنْ ثبَّت تقليد الكنيسة الأُولى أن ق. مرقس أسَّس كنيسة الإسكندرية فكان أول أسقف عليها. الأمر الذي لم يذكره بابياس ولا إيرينيئوس

(130) انظر صفحة 31.

(131) A. Farrer, *A Study in St. Mark*, 1951, p. 20, cited by S. P. Kealy, *op. cit.*, p. 150.

ولا كليمندس ولا أوريجانوس، وقد ثبت أن مرقس مات بالإسكندرية في السنة الثامنة لحكم نيرون أي سنة 62م.

وللأسف لا نجد أحداً من الآباء حتى نهاية القرن الخامس لا في الشرق ولا في الغرب قد قام بشرح إنجيل ق. مرقس، وحتى العظات المنسوبة للقديس جيروم الخاصة بهذا الإنجيل قد تبيَّن أنها غير أصيلة وإنما ترجع للقرن السابع[132].

ب ـ عصر النقد الشديد (حتى منتصف القرن التاسع عشر):

بات إنجيل ق. مرقس من بعد عصر الآباء مجهول القيمة، إذ صارت الفكرة الشائعة عنه طوال العصور الوسطى ـ وهي التي ابتدرها ق. أغسطينوس[133] ومن بعده إيسيذورس[134] ـ أنه منقول من إنجيل ق. متى بل ويعتبر مجرَّد تلخيص له abbreviator. وقد كان لإيسيذورس هذا (560ـ680م) التأثير الأكبر على العصور الوسطى اللاحقة له[135]. واستمرت هذه الفكرة عند بداية قيام الدراسات النقدية الحديثة في القرن الثامن عشر إذ نجد العلماء أمثال Wittstein (1751م)، Griesbach (1774م)[136] لا يزالون متأثرين بها ويعتبرون إنجيل ق. مرقس منقولاً من إنجيل متى.

ج ـ خروج إنجيل ق. مرقس إلى النور كأقدم إنجيل:

(ابتداءً من العالِم الألماني هولتزمان حتى الآن).

هولتزمان H. J. Holtzmann (1832ـ1910م):

عالم ولاهوتي بروتستانتي ألماني ناقد إنجيلي ولكنه كان على مستوى التحفُّظ والاعتدال. وفي سنة 1863 دافع بشدة عن صحة إنجيل ق. مرقس. ويهمنا دفاعه هذا لأنه قاوم أفكار وأعمال النقّاد السلبيين في أوربا.

وأهم ما سجَّله هولتزمان عن إنجيل ق. مرقس إنه أثبت أنه "وثيقة أصلية Grundschrift" التي على أساسها كُتبت بقية الأناجيل ـ وبهذا يكون أول مَنْ وضع إنجيل مرقس في موضعه الإلهي

(132) PL 30, 560-645; Cf. Wohlenberg, *Neue kirchlische Zeitschrift*, XVIII (1905) p 457 s. cited in *Dictionnaire de la Bible, Supplément*, V, 862.

(133) Augustine, De Consensu Evangelistarum, 1. 2. 4.

(134) PL. 83, 175.

(135) S. P. Kealy, *op. cit.*, p. 27.

(136) Ibid., pp. 55, 60.

الصحيح كأقدم وثيقة مسيحية. وهكذا سجَّل لتقليد الكنيسة الأُولى أعظم شهادة.

ويشهد العلاَّمة الألماني الآخر (الناقد المرير) البرت شفيتزر لهولتزمان فيقول:

[لقد أظهر هولتزمان هذه المهارة العجيبة في كيفية استخلاص هذه النظرية التي فرضت نفسها على روح العصر كله في الستينات.](137)

وهكذا بدأ يدخل إنجيل ق. مرقس في معمعة النقد برأس مرفوعة بسبب نظرية هولتزمان هذه ـ بعد مئات السنين من الإهمال والتجاهل حتى من أعظم آباء الكنيسة في القرون الأُولى.

إنجلترا تدخل في الحلقة الجديدة:

تلقَّف نظرية هولتزمان العلماء الإنجليز وأولهم وليم سنداي(138) وهو عالِم إنجيلي ولاهوتي عميد درهام. إذ اعتبر أن ما وصل إليه هولتزمان الألماني [كان نقطة تحول كبرى في تاريخ النقد للأناجيل الثلاثة].

وبعده دخل العالِم الإنجليزي بوركت(139) ـ وهو عالِم في اللغات السامية ـ نفس السباق الذي بدأه هولتزمان، ففي سنة 1906 كتب بحثاً عن حياة المسيح معتمداً على منجزات هولتزمان.

سقوط نظرية أن إنجيل ق. مرقس هو مذكرات بطرس الرسول:

[أمام الأبحاث النقدية الدقيقة خرج إنجيل ق. مرقس من القرن التاسع عشر خالياً من أي علاقة لبطرس الرسول.](140)

دفاع العالِم رايزنفلد Riesenfeld (**1954م**):

عالِم سويدي قدَّم دفاعه ضد النقد الذي يقول بتعدد المحررين لإنجيل ق. مرقس في كتاب أسماه "التقليد والتحرير في إنجيل مرقس". بمعنى أن كاتب الإنجيل هو الذي يقوم بتحريره حسب التقليد الموروث، مؤكداً أن ق. مرقس كتب إنجيله بأكمله مرَّة واحدة كاملة بنفسه. وأن ترتيب إنجيل ق. مرقس هو نتيجة رؤية مرقس اللاهوتية. وأن خطة ق. مرقس في إنجيله هي خطة عقائدية قائمة على أساس هذه الآيات الثلاث:

(137) Albert E. Schweitzer, *The Quest of the Historical Jesus*, pp 203 ff., cited by Ralph Martin, op. cit., p. 36.

(138) William Sanday (1843-1920).

(139) Francis Cranford Burkitt (1864-1935).

(140) Ralph Martin, *op. cit.*, p. 42.

(8: 27-30): «وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم: مَنْ يقول الناس إني أنا؟ فأجابوا: يوحنا المعمدان. وآخرون إيليا. وآخرون واحد من الأنبياء. فقال لهم: وأنتم مَنْ تقولون إني أنا؟ فأجاب بطرس وقال: أنت المسيح! فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه»

ونحن قد قمنا بشرح هذه النظرية وأفرزنا لها شرحاً كثيراً تحت عنوان: ''إنجيل ق. مرقس مرتَّب ترتيباً منهجياً متكاملاً'' (انظر صفحة 62).

وقد ألَّف رايزنفلد كتاباً آخر للدفاع عن التقليد وبداياته مؤكِّداً أن شركة المسيحيين الأوائل إنما كانت لهم باعتبارها روح تسليم رسالة المسيح كتقليد مقدَّس على مستوى تقليد الربيين تماماً في نقل الأصول الأُولى. فالتلاميذ كانوا يعيدون تدوين تعليم المسيح كما هو بدقة متناهية. هذه النظرية هامة وخطيرة في فهم كيف دُوِّنت الأناجيل جميعاً دون النظر إلى أي خلافات لفظية بين إنجيل وإنجيل. وهكذا لا تبالي هذه النظرية بالفروقات التي جاءت بالنسبة لتدوين قيامة المسيح. وكانت هذه البراهين التي قدَّمها هذا العالِم رايزنفلد لها تأثيرها الشديد على شرود النقَّاد.

ماركسين W. Marxsen:

إمام التقليد التحريري، ألَّف كتابه في شرح إنجيل القديس مرقس سنة 1956 ثم 1959 ثم 1969. وأعطى في أبحاثه ردوداً حاسمة على النقد الذي يقول بتعدُّد التحرير للإنجيل وأكَّد أن مرقس كان له هدف يتجه إليه منذ بدء الإنجيل أوضحه في أول آية (1:1). وواضح أن الاتجاه الذي اتخذه ثابت أمام الحوادث والأشخاص، فكلها تعمل معاً من أجل استعلان شخص المسيح، ويكاد يكون مفتاح إنجيل ق. مرقس كله ينحصر في الآية (6:16) «أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. **قد قام! ليس هو ههنا**. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه كما قال لكم» بمعنى أن القيامة ووجود المسيح الفعلي بعد القيامة هو كل إنجيل ق. مرقس. أمَّا عن الآلام فيقول عنها: [إن **قصة الآلام** (عند ق. مرقس) تقدِّم النص الأول للتقليد الخاص بإنجيل المسيح موقَّعاً كتابة. ولكن هذه القصة - أي قصة الآلام - تبدأ من أول الإنجيل!!] وكأن هذا العالِم يريد أن يقول: إن إنجيل مرقس كُتب ليقدِّم ويسجِّل التقليد أن المسيح تألَّم ومات ثم قام.

ولهذا العالِم نظرات واقعية شديدة الإلهام فيقول مثلاً:

[إن البرية ليست مكاناً جغرافياً يحتاج أن نحدِّده، فلم يقل مرقس: «صوت صارخ في البرية»

لكي يعطي مكاناً أو موضعاً لعمل المعمدان، ولكن كمَنْ يقول: إن في البرية يستعلن المعمدان كمَنْ جاء **ليكمِّل نبوَّة العهد القديم!!** فربما لم يكن المعمدان له معرفة بالبرية ولا له فيها بيت ولكن كان له فيها عملٌ استعلاني].

كذلك يقول:

[إن الجليل ليست مكاناً جغرافياً وليس قصد مرقس أن يقول: إن المسيح ذهب للجليل. ولكن قصد مرقس أن يقول في الجليل اختفى المسيح (يقصد احتجب عن العقول والعيون غير المفتوحة)، لمدَّة، ليُستعلن بالتالي فيها أي في الجليل. فالجليل كانت بيتاً للمسيح (لاهوتياً) وليس جغرافياً ولا تاريخياً].

يقصد هذا العالم أن يقول: إن كل الأعمال والمواضع والأشخاص في قصة الإنجيل ليست إلاَّ وسائل ليستعلن بها شخص المسيح. لذلك كان ماركسين شديد الوطأة على النقَّاد الذين يقولون: إن إنجيل ق. مرقس عبارة عن أجزاء أو وحدات منفصلة، فهو هنا يجمِّع ويوحِّد ويرتفع بالأشكال والوحدات كلها لتجد قوتها ومعناها في المسيح. وأقصى ما بلغه هذا العالِم في كيفية التجميع والتوحيد للانطلاق بالوحدات إلى الكل قوله:

[كيف استطاع مرقس أن يستبدل المسيح بالإنجيل]!! «من أجلي ومن أجل الإنجيل.» (مر 25:8)، «ينبغي أن يُكرز أولاً بالإنجيل في جميع الأُمم» (مر 10:13) ومعروف أن الكرازة بالإنجيل هي الكرازة بالمسيح.

ونحن هنا نرى في هذا بلاغة غير عادية بمعنى أنه جعل الإنجيل بكل أجزائه وأعماله ووحداته معبِّراً تعبيراً واحداً شاملاً جامعاً موحداً ’’هو المسيح‘‘.

ويقول العالِم سيان ب. كيلي عن ماركسين:

[لقد فتح طاقات سماوية جديدة في دراسة إنجيل مرقس ولكن قلَّ مَنْ استطاع أن يتابعه بقدر ما امتد، وخاصة في جمع الإنجيل كله في آيتين: «ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل» (مر 28:14)، «اذهبن وقُلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه كما قال لكم» (مر 7:16).](141)

أمَّا تعليقنا على ذلك: فما الجليل إلاَّ جليلنا «جليل الأمم» وهو دائماً يسبقنا للالتقاء عندما نبحث عنه.

(141) Seán P. Kealy (C. S. Sp.) (Seán is John), *op. cit.*, p. 164.

كرانفيلد[142]:

ألَّف كتابه في شرح إنجيل ق. مرقس سنة 1959م ورفع مستوى إنجيل مرقس في تقديمه للمسيح ليصبح على مستوى إنجيل يوحنا. والقديس مرقس أول مَنْ قدَّم المسيح باعتباره ''ربّ''. ويقول: إن مرقس شارك وعاش هذا الإيمان، وإلاَّ كان لا يمكن أن يحرِّر إنجيله. ويبتدئ كرانفيلد يشرح كيف قدَّم مرقس المسيح كرب على مستوى:

1 ـ كيف **صار الرب فقيراً**.

2 ـ كيف ارتفع الرب بالقيامة.

3 ـ كيف أن الرب آت.

ومن تعبيرات كرانفيلد البديعة قوله: إن مرقس كان يتنفس برجاء المسيح الآتي!! كذلك يقول: كيف شرح مرقس في إنجيله كيف وضع الله ناموسه الإلهي الملكي في يسوع كياناً وكلاماً وفعلاً، ولكن تحت غلالة سرِّية لا يخترقها إلاَّ مَنْ كان له إيمان!: «لقد أُعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله.» (مر 11:4)

وما المثل الذي ضربه المسيح عن البذرة التي أُلقيت في الأرض فنمت وأعطت حصيدها إلاَّ المسيح نفسه في ميلاده الذي انتهى بالاستعلان الظافر المجيد!

مانسون[143] (**1962م**):

في شرحه للإنجيل يُدافع عن وجهة نظر العالِم ستريتر (سبق أن لمحنا إليه) أن الإنجيل يحتفظ لنا بتقليد كنسي محلِّي:

[إن الإنجيل يعطي شرحاً حيًّا مطابقاً لما تحياه الكنيسة، وكل ما جاء في الإنجيل من أمثال وتعاليم وأقوال وقصص ما هي إلاَّ طاقات نرى من خلالها ملكوت الله، كما أطل موسى حسب أمر الرب على أرض الموعد من فوق جبل الفسجة!] (صفحة 11 وما يليها)

أدوارد شفيتزر E. Schweizer[144]:

وهو غير ألبرت شفيزر. ألَّف شرحاً لإنجيل ق. مرقس ينفي فيه قطعاً أي صلة للقديس بطرس

(142) C. E. B. Cranfield, *The Gospel According to St. Mark*, Cambridge Greek Testament (Cambridge 1959, 1963^2).

(143) T.W. Manson, *The Foundation of the Synoptic Tradition: The Gospel of Mark*, 1962.

(144) Eduard Schweizer, *The Gospel According to Mark* (SPCK, London, 1970).

بإنجيل مرقس ويعطي أسباباً لذلك: أن أول اعتراض (بالبحث في إنجيل مرقس) أنه لا يوجد هناك أي تقليد معيَّن عن بطرس في إنجيل مرقس(145).

كونزلمان H. Conzelmann (**1967م**):

كانت له ملاحظات هامة على إنجيل مرقس، فهو أولاً ينقد كل الذين وضعوا تاريخاً متأخراً لكتابة إنجيل ق. مرقس ويقول: إن روح الإنجيل هادئة للغاية فمرقس كان بعيداً زمانياً من اضطرابات اليهود التي بدأت سنة 66م. ثم يقول: إن مرقس كتب التقليد المناسب لحماية ناسوت المسيح أي بشرية الرب محقِّقاً أدوات الخلاص التي تتناسب مع بشريته من آلام وصلب، كما يثبت حقيقة بشرية المسيح تجاه الذين خرجوا لينكروا تجسده! وإنجيل ق. مرقس يتركز في الاستعلانات المناسبة للمسيح منذ المعمودية حتى الصليب، وهذا من ناحية أخرى يؤكِّد سمو تعليم مرقس اللاهوتي، ويعتبره كونزلمان ''لاهوتي مدهش'' كفؤاً من جهة أفكاره اللاهوتية. وكونزلمان يوافق العالِم دبليوس من جهة اعتبار إنجيل مرقس ''كتاب ظهورات وتجليات''.

كما يقول: إن افتتاح مرقس لإنجيله بقوله: ''إنجيل يسوع المسيح ابن الله'' يعطي قناعة تامة أنه يكتب بروح ''إيمان القيامة''، وأن إنجيله عبارة عن شرح التعليم المسيحي (للكنيسة)، ويقدِّم مرقس في الأسابيع الأخيرة من حياة المسيح ما يكفي ليساوي الخدمة بأكملها!! وهذا ما يجمله بطرس في خطابه التاريخي في يوم الخمسين هكذا:

+ «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال (إنجيل مرقس): يسوع الناصري رجلٌ قد تبرهن لكم من قِبَلِ الله بقوات وعجائب وآياتٍ صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضاً تعلمون. هذا أخذتموه مسلَّما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه.» (أع 2: 22-24)

ونحن نحسب هذه اللفتة لهذا العالِم كونزلمان رؤية ماهرة تؤكِّد أنه باحث مقتدر ومُلهَم! ثم يرى أن سرد مرقس لقصة إخفاق المسيح في الجليل ما هو إلاَّ بسبب قدرة المسيح الفذَّة في إخفاء ماسيَّانيته!! ثم يعلِّق كونزلمان على ''سرِّية الماسيَّانية'' التي كان يحافظ عليها المسيح: إنها لم يكن ممكناً أن تُعلن إلاَّ بالقيامة!! وأخيراً يعلِّق هذا العملاق على واقع صلة المسيح بنا:

[وماذا يمكن أن يصنع بنا هذا القائم من الأموات في وقتنا هذا ''الوسيط''؟ ليس إلاَّ أن يقوِّي

(145) Ibid., cited by Seán. P. Kealy, *op. cit.*, p. 189.

ويشدِّد هؤلاء الذين يعترفون به تحت الاضطهاد!!] (146)

يوسي أوكالاجان Jose O’callaghan (**1972م**):

راهب يسوعي S. J. عالِم برديات من معهد دراسات الكتاب المقدَّس بروما، أحدث ضجة في محيط الأبحاث بالنسبة لإنجيل ق. مرقس إذ عثر في الكهف رقم 7 بوادي القمران على قصاصتين من إنجيل ق. مرقس 6:52ـ53، 28:4 ولكن أهم نقطة في الموضوع أنه جرت الأبحاث الضوئية الدقيقة على الرقعتين فتحدَّد زمانهما مبدئياً بسنة 50 ميلادية(147) وهكذا يؤكِّد لنا تاريخنا المبكِّر الذي وضعناه لكتابة إنجيل ق. مرقس.

سنة 1969 سنة إحياء إنجيل مرقس في الليتورجيا الكاثوليكية(148):

لقد تأخَّرت الكنيسة الكاثوليكية جداً في رد اعتبار إنجيل القديس مرقس. ففي هذه السنة فقط [زادت الكنيسة في ليتورجيتها عدد القراءات من إنجيل ق. مرقس في أيام الآحاد وأيام الأسابيع والأعياد في جدول القراءات الكنسية الجديد. Ordo lectionum pro Dominicis, Feriis et Jestis Sanctorum ذلك بعد خمس سنوات دراسة وتحضير والاستعانة بكثير جداً من المراجع الليتورجية والتعليمية والإنجيلية بالإضافة إلى 6600 صفحة نقدية أُرسلت إلى اللجنة من كافة أنحاء العالم. واستجابت اللجنة في مجمع الفاتيكان الثاني، لتعديل دستور القراءات الكنسية. لأن إنجيل ق. مرقس كان قد أُهمل بشدة في جدول القراءات. فكانت قراءاته لا تزيد عن 15 مرَّة فقط في قراءات القداس على مدار السنة. وكانت قد عملت روما ليتانيا Litaniae Majores بمعنى صلاة كبيرة تكرَّر مراراً وتسمَّى بالعربية وردية، ذلك باسم القديس مرقس الرسول. ولكن عادت سنة 69 وحذفتها. ولكنه احتل بعد ذلك مكانته الكاملة على السواء مع إنجيل ق. متى وق. لوقا].

وعلى ما يُقال إن الكنيسة المشيخية، والكنيسة الأسقفية واللوثرية ـ في الغرب ـ حذت حذوها قبل سنة 1977(149).

(146) H. Conzelmann, *An Outline of the Theology of the New Testament*, cited by S. P. Kealy, *op. cit.*, p. 193.

(147) Seán P. Kealy, *op. cit.*, p. 208. (Seán تعني يوحنا).

(148) Ibid., p. 198.

(149) Ibid., p. 252 n. 238.

الأصحاح الأول

+ مقدمة الإنجيل تتضمن 1و2و3 (1:1-13):

1 -	ظهور المعمدان ورسالته بحسب النبوات كسابق للمسيح والذي يعد الطريق قدامه	(1:2- 8)
2 -	عماد المسيح	(1:9- 11)
3 -	التجربة على الجبل	(1:12و13)
4 -	بدء الكرازة بملكوت الله والدخول في خدمة الجليل	(1:14و15)، (6:3)
5 -	دعوة التلاميذ الأوائل	(1:16-20)

+ الخدمة في كفرناحوم تتضمن 6و7و8و9 (1: 21-39):

6 -	إخراج شيطان داخل المجمع	(1:21-28)
7 -	شفاء حماة سمعان	(1:29-32)
8 -	الشفاء عند غروب الشمس (بدء اليوم الجديد بعد السبت)	(1:32-34)
9 -	الخروج إلى الخلاء ليصلِّي	(1:35-39)
10-	شفاء الأبرص	(1:40-45)

مقدمة الإنجيل

[13-1:1] (مت 3:1-17، 4: 1-11)، (لو 3:1-21، 4: 1-13).

يبدأ القديس مرقس إنجيله بما يشبه المقدِّمة، فبعد الآية الأُولى التي يُعنون بها الكتاب واسمه وصاحبه: «إنجيل يسوع المسيح ابن الله» يُدخل القارئ في بانوراما ـ أي في منظر أو مشهد متَّسع ـ يظهر فيه يوحنا المعمدان على شاطئ الأُردن ينادي ببوق النبوَّة بصراخ تُردِّد أصداءه البرية فتتجاوبه السماء: أن قد بدأ العهد الجديد.

ومدخل القديس مرقس للقارئ مدخل طقسي بالدرجة الأُولى، بديع محبَّب للكنيسة وعماد تقليدها الأول. إذ يبدأ بعهد المعمودية بالماء كأساس لاهوتي للتوبة، ولكن توبة جديدة تعني الكف عن عبادة الأصنام ونجاساتها، والأصنام ألوان، وذلك ليؤهِّل الإنسان للدخول في عهد النعمة واتباع الرب.

ثم يرتفع المنظر فجأة بظهور المسيح نفسه قادماً ليعتمد من يوحنا في الأردن، إحراج ما بعده إحراج! ولكن يرتفع الحرج وينكشف الإلتباس، فمَنْ يعتمد على يد مَنْ؟ حينما يعرف القارئ أن المسيح الحامل البشرية في ذاته، قادم ليعتمد بها كلاً وفرداً بصفته ابن الله وابن الإنسان الذي آل على نفسه أن يجدِّد لله خلقة إنسانية جديدة تعبده بالروح والحق. وسرعان ما يختفي هذا المنظر بكامله، وتنطفئ أضواؤه الوهَّاجة ومعانيه المترامية، ليسلِّط الضوءَ على المسيح وحده وهو منطلق بعد أن امتلأ بالروح ليواجه عدو البشرية الأول الذي أسقط رأس جنسنا وأحدره إلى الأرض، وقد ربح لنفسه اللعنة بسبب التعدي على أوامر الله. وهناك على جبل التجربة تمَّت أول صفعة للشيطان على مستوى القوي عندما يواجه الأقوى. فكانت الكسرة الأُولى، أمَّا الثانية فتأجَّلت إلى الصليب.

والقديس مرقس يقدِّم هذه الآيات الثلاث عشرة كمقدِّمة هامة للدخول في خدمة المسيح في منطقة الجليل، وهو بهذا إنما يتبع تقليد الكنيسة الذي يعتبر أن خدمة المسيح إنما تبدأ من المعمودية، حسب سفر الأعمال الذي يقول: «فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج، **منذ معمودية يوحنا** إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنَّا» (أع 1: 21و22). والقديس مرقس بهذا إنما يحضِّر القارئ لفهم قصة المسيح بكاملها، ولكن لينتبه القارئ إلى تعليم ق. مرقس فهو إنما يطبع ذهن القارئ منذ البدء بالطابع اللاهوتي ليبلغ في النهاية إلى قامة المسيح. إنما

يكتفي هنا أن يعطي كيف بدأت الأخبار السارة أي الإنجيل.

1:1 «**بَدْءُ إِنجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابنِ اللهِ**».

«**إنجيل**»: eÙaggel…ou

إن المقدِّمة التي وضعها ق. مرقس لإنجيله بحسب كلمة «إنجيل» ـ التي استخدمها ق. مرقس وكان أول مَنْ استخدمها في العهد الجديد، وقد وردت في إنجيله سبع مرات، وكلها جاءت على لسان المسيح ما عدا (1:1و14) ـ تفيد عَرْضاً لحياة المسيح وأعماله، وهذا بعينه تعليمه المكني عنه بالبشارة المفرحة التي دخلت قلب العالم بعد عصور العهد القديم المملَّة بظلامها القاتم، وبعد صمت الله وعزوفه عن التكلم بفم الأنبياء قرابة 400 سنة من ملاخي النبي حتى المعمدان.

وقول الإنجيل عن يسوع إنه «**المسيح ابن الله**» يقدِّم أول اسم ليسوع وَرَدَ بالكامل على مستوى الإعلان عن شخصه في إنجيل ق. مرقس، وهو خلاصة تحقيق الإنجيل كله أو حياة المسيح برمتها. ويا لفرحة قلوبنا أن نستقبل بداية إنجيل ق. مرقس بالإعلان عن قمة استعلان يسوع أنه هو ''المسيَّا'' الذي بالضرورة يكون هو ابن الله. والإنجيل عند ق. مرقس هو التعبير عن شخص المسيح.

وقد جاء هنا في الآية الأُولى اللقبان: "**الإنجيل**" و"**يسوع**" في محتوى واحد على مستوى «مَنْ يُهلِك نفسه **من أجلي** ومن **أجل الإنجيل**» (مر 35:8)، وأيضاً في موضع آخر: «لأجلي ولأجل الإنجيل» (مر 29:10). وهكذا يكرر ق. مرقس التساوي في المضمون الاستعلاني بين الإنجيل والمسيح. فالإنجيل عند ق. مرقس هو قوة الخلاص الذي في المسيح يسوع. وهذه لمحة بديعة عن أيديولوجية ق. مرقس أو نظريته التعليمية. فالقديس مرقس معلِّم إنجيلي.

علماً بأن ق. مرقس هو أول مَنْ ألَّف كتاباً يحمل سيرة المسيح وأعماله وأسماه ''الإنجيل''!! وطرحه للكنيسة لتبشِّر به عن الخلاص، ليس لكنيسة روما كما يقول بعض العلماء المتحيزين لبطرس الرسول، بل لكنيسة الأُمم التي خدمها مع بولس الرسول وأتقن خدمتها باعتراف بولس الرسول نفسه «**لأنه نافع لي للخدمة**» (2تي 11:4). وكما ختم ق. بولس رسالته بالدم هكذا ختم مرقس الرسول شهادته بالدم على أرض مصر بعد أن أنشأ فيها أول كنيسة وبذرة أول مدرسة لاهوت في العالم.

وفي البداية يلزم أن نعرف أن ق. متى بدأ إنجيله بسلسلة نسب المسيح كيهودي يجري وراء الأنساب والأسباط وبعدها ميلاد المسيح. ثم نجد ق. لوقا يبدأ بسيرة الأب والأم للمعمدان وميلاده كسابق للمسيح، وذلك كمؤرِّخ وطبيب. أمَّا ق. يوحنا فيبدأ إنجيله في سابق وجود المسيَّا ككلمة

الله بصفته الرائي المهتم بالروح. أمّا قديسنا مرقس الرسول فنراه هنا يبدأ مباشرة بالخدمة الشعبية للمعمدان كون ق. مرقس معلّماً إنجيلياً والمهتمَّ بتقليد الكنيسة. ويؤكّد العالِم المشهور سبتّا Spitta(1) أن هناك صفحات ضائعة من مقدِّمة إنجيل ق. مرقس تحتوي قصة ميلاد المسيح، ولكن هذا التأكيد غير مأخوذ به.

(1) **F. Spitta** عالم ألماني لاهوتي (1852ـ1924) في كتابه: "لوقا في إنجيل مرقس" صفحة 115ـ122.

1

ظهور المعمدان ورسالته بحسب النبوات كسابق للمسيح والذي يعد الطريق قدّامه

[1: 2-8]

(مـت 3: 1ـ 12)،
(لو 3: 1ـ 6)،
(يو 1: 6ـ 31)

يفتتح ق. مرقس إنجيله، كما قلنا، بمشهد تاريخي يظهر فيه يوحنا المعمدان معلناً عن مجيء مَنْ هو أقوى منه. ولكن ق. مرقس لم يُقحمه على مسرح الحوادث فجأة، بل مهَّد له بما جاء عنه في النبوات خاصة ما جاء في (مل 3:1): «ها أنذا أُرسل ملاكي فَيُهيِّء الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرُّون به، هوذا يأتي قال رب الجنود» أمَّا ''ملاكي الذي يهيئ الطريق'' فيصفه إشعياء النبي هكذا:

+ «صوتُ صارخٍ في البرية أعدُّوا طريق الرب. قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاءٍ يرتفع وكل جبلٍ وأكمَةٍ ينخفض ويصير المعوَجُّ مستقيماً والعراقيب سهلاً. فيُعلَن مجدُ الرب ويراه كل بشرٍ جميعاً لأن فم الرب تكلَّم.» (إش 40: 3-5)

وهكذا يتضح أن ق. مرقس جمع نبوَّة ملاخي النبي من الأصل العبري (1:3)(2) على نبوَّة إشعياء النبي لأنهما فعلاً يكمِّلان ما حدث بالفعل على يد المعمدان، ويزداد حبك إنجيل ق. مرقس واقعية ووضوحاً إذا أضفنا ما جاء في نبوَّة ملاخي أيضاً هكذا:

+ «هأنذا أُرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف. فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلاَّ آتي وأضرب الأرض بلعنٍ.» (مل 4: 5و6)

ويصف ق. مرقس الملابس التي يلبسها المعمدان وإذ هي لباس نبي الصحراء إيليا، كما جاء في (2مل 8:1) هكذا، لما سأل أخزيا الملك عن شكل ذلك النبي (إيليا): «فقالوا له إنه رجلٌ أشعر متنطِّقٌ بمنطقةٍ من جلدٍ على حقويه. فقال: هو إيليا التِّشبيُّ» ويبدو أن هذه النبوات لم تكن خافية

(2) Vincent Taylor, *The Gospel According to St. Mark*, London, 1959 p. 153.

على ق. مرقس وكل الذين استقبلوا علامات العهد.

أمَّا إرسالية المعمدان فكانت هي التوبة تماماً كما وصفها ملاخي النبي في آخر نبوَّته: فإمَّا التوبة ومصالحة قلوب الآباء على الأبناء وقلوب الأبناء على الآباء وإلاَّ آتي وأضرب الأرض باللعن! وتسجيل ق. مرقس لمدى عمل المعمدان في خدمة التوبة بالمعمودية لمغفرة الخطايا، كونها شملت كورة اليهودية وأهل أُورشليم، يكون قد حصر دعوة التوبة في كل إسرائيل أي جميع الشعب.

ويخصِّص ق. مرقس التوبة على يدي المعمدان بالمعمودية بالماء لتسبق معمودية الآتي بعده، الذي قال عنه المعمدان إنه ليس أهلاً أن ينحني ويحل سيور حذائه، الذي سيُعمِّد بالروح القدس.

ويُلاحَظ في ذكر إنجيل ق. مرقس كلمة تهيئة الطريق، أنها جاءت في ملاخي «يهيىء الطريق أمامي» فحوَّلها ق. مرقس بذكاء نادر لتُقرأ: «يهيىء طريقك قدَّامك» منبهاً بقوة أن الرب في العهد القديم قد استُعلن الآن بيسوع المسيح في العهد الجديد.

وهكذا فبظهور الروح القدس حالاًّ على المسيح(3) في نظر المعمدان يكون قد تمَّ الوعد بيوئيل النبي القائل: «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشرٍ ... وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام» (يؤ 2: 28و29). لأن المعمودية بالروح القدس هي بعينها انسكاب الروح القدس على الإنسان.

2:1 «كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي، الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ».

«كما هو مكتوب في الأنبياء»:

«كما»: kaqèj

كلمة «كما» (كاثوس باليونانية) تأتي دائماً في محاولة اقتباس قول عن صحة وتأكيد، والقديس مرقس هو الوحيد الذي يكرر بكثرة هذا الاصطلاح: «**كما هو مكتوب**» (2:1 و6:7 و13:9 و21:14). أما تكملة القول: «كما هو مكتوب **في الأنبياء**» فهو تعديل قديم في أصل الآية: «كما

(3) ننبِّه باستمرار أن حلول الروح القدس على المسيح لم يكن حلولاً جوهرياً لأن المسيح لم يكن قط بدون الروح القدس منذ حُبل به في البطن. بل هو حلول ما للابن على الابن المتجسِّد، فالذي له حلَّ عليه للاستعلان كما جاء بصوت الآب: «**هذا هو ابني الحبيب**». وقول ق. لوقا: «أمَّا يسوع فرجع من الأُردن ممتلئاً من الروح القدس ...» (لو 1:4) فكلمة ممتلئ هذه لم ترد في الأناجيل الأخرى ولكن جاءت هنا كحال ‘‘رجع ممتلئاً’’ والمسيح لم يكن قط غير ممتلئ بالروح القدس.

هو مكتوب **في إشعياء»** لأن النص مأخوذ أيضاً في بدايته من (ملاخي 3:1). والقصد من هذه البداية هو الاستشهاد بالأنبياء عن صحة خدمة المعمدان ووعظه كتتميم النبوّة، وبالتالي فهذا يتسحَّب بالضرورة على صحة بدء خدمة يسوع باعتباره مسيًّا الموعود به.

«ها أنذا أرسل أمام وجهك ملاكي»:

الله هنا هو المتكلِّم على فم النبي، وكلمة ''الملاك ¥ggeloj'' في إنجيل ق. مرقس، وخاصة في هذه الآية، تجيء بمعنى رسول من الله. ولكن نعود ونقابلها في (13:1) بمعنى ملائكة الله. والملاك هنا يُقصد به أنه مُرسل خاص من الله، وهكذا عبَّر المسيح في سؤاله للكتبة والفريسيين: «معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس؟» (مر 30:11)، بمعنى أن المسيح يؤكد أن المعمدان أخذ رسالته كرسول من الله ـ لذلك نجد في التقليد التصويري الطقسي أن بعضَ الفنانين الكنسيين يرسمون يوحنا المعمدان كشخص بأجنحة وكأنه ملاك فعلاً مُرسل من السماء.

«أمام وجهك»: prosèpou

كلمة ''الوجه'' تعني: ''الظهور الإلهي'' أو ''الحضرة''. وتعني باللغة اللاتينية: ''الشخص persona''(4). ويلزم هنا أن نقرر أن ق. مرقس أتى بهذه الجملة معبِّراً عن أصل معناها الخفي الخاص بمجيء المسيَّا، علماً بأن كلمة ''بروسبون = وجه'' استُخدمت في اللاهوت بمعنى: "**أقنوم**"، وهي الكلمة السريانية المساوية "**للشخص**"، ولكنها تعني الشخص في معناه العالي أو الرفيع جداً. لذلك نحت منها الكتَّاب المتملقون كلمة ''وجيه'' بمعنى شخص ذي حضرة سامية، وحتى في اللغة العادية يُقال: ''حضرة'' فلان تكريماً لشخصه.

«يهيئ طريقك قدَّامك»:

أصلها في النص في نبوَّة ملاخي هكذا: «**يهيئ الطريق أمامي**» باعتبار أن المتكلِّم هو الله يهوه، ولكن ق. مرقس وجهها لمخاطبة ''المسيح'' مباشرة بقوله: «**يهيئ طريقك قدَّامك**». وهذا يُظهر مدى السهولة والتعوُّد الذي اعتاده الإنجيليون لنسب كل ما ليهوه للمسيح بلا حذر. فالكلام في سفريْ إشعياء وملاخي موجَّه ليهوه نفسه، وهنا الكلام موجَّه لابنه!! متأثراً بواقع مجيء المسيح فعلاً وظهوره، وأن يوحنا المعمدان قائم بالإعداد للطريق فعلاً. حيث بدأ المعمدان يعظ الشعب ويوبِّخه على خطاياه لكي يعترف بها ويعتمد للتوبة لمغفرة خطاياه.

(4) الشخص أو الأقنوم فيما يخص الله هو الصفة الذاتية، فالآب والابن والروح القدس هي صفات متخصصة في الذات الواحدة لله.

3:1 «**صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً**».

وهذه الآية هي تقريباً بنصها من إشعياء النبي (3:40): «صوتُ صارخ في البرية أعدُّوا طريق الرب قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا» والعبارة الأخيرة جاءت في السبعينية: «اصنعوا سبل إلهنا مستقيمة» ولكن يحاول هنا ق. مرقس أن يضعها في موضعها الماسياني الحادث على يدي المعمدان، فبدلاً من « اصنعوا سبل إلهنا مستقيمة» في السبعينية، قالها ق. مرقس: «اصنعوا سبله مستقيمة» حيث كلمة «إلهنا »هو المسيح هنا. وواضح هنا مناسبة كلمة الإعداد والتقويم بالنسبة لكلمة «القفر» و «البرية» فسواء في نظر النبي قديماً أو ق. مرقس حديثاً، يُعتبر وضع العالم بالنسبة لمجيء المسيح قفراً قاحلاً ماحلاً. والمعمدان يصنع طريقاً لا بمعاول الهدم بل بالصراخ والتعليم في شعب أصم قفل أذنيه لكي لا يسمع، وبالغسيل والتطهير من أعمال فاحشة وعقول مرذولة.

ف''الصراخ'' يجيء في عبارة «صوتُ صارخٍ » fwn¾ boîntoj على مستوى طَبَقَة الصوت التي صرخ بها المسيح على الصليب: «صرخ بصوتٍ عظيمٍ» fwn¾n meg£lhn (مر 37:15)، فهو نفس المصطلح «fwn وهكذا ابتدأ إنجيل ق. مرقس وانتهى بالصراخ، صراخ المعمدان في البرية وصراخ المسيح على الصليب. وبهذا ابتدأت البشارة وبهذا انتهت، بالصراخ، لتستيقظ البشرية النائمة واللاهية. وكما جاء المعمدان من الله ''ليُعدَّ toim£zw˜'' مكاناً للمسيح وسط العالم، هكذا جاء المسيح ليعدَّ لنا toim£zw˜ مكاناً في السماء: «أنا أمضي لأعدَّ لكم مكاناً» (يو 2:14). ومن كثرة الصراخ في إنجيل ق. مرقس رسموا القديس مرقس وبجواره أسد!

4:1 «**كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوبَةِ لِمَغْفِرَةِ الخَطَايَا**».

«**يوحنا المعمدان**»:

جاء اسمه في إنجيل ق. مرقس 16 مرَّة، وق. مرقس كان متأثراً بيوحنا المعمدان وخدمته. لم يلتفت إلى قصة ميلاده العجيبة من أليصابات العاقر وزوجها الشيخ. فهي ولو أنها أقل إعجازاً بغير مقارنة بالنسبة لميلاد المسيح، إلاَّ أن الملاك في رواية ق. لوقا ذكرها كمعجزة إذ اعتبرها تصلح لإقناع العذراء بقدرة الله على المستحيل. فيوحنا ظهر في التاريخ المسيحي جزءاً من معجزة تسخير المستحيلات لظهور العهد الجديد، فكما كان يوحنا سابقاً لخدمة الرب جاء أيضاً سابقاً في الميلاد والكرازة لقرب الملكوت. لهذا لم يكن القديس مرقس مبالغاً في جعل خدمة المعمدان وصراخه في الشعب بقرب ملكوت السموات بداية لإنجيل يسوع المسيح ابن الله! فصراخ المعمدان في برية الأُردن ـ وهو الأمر الذي سمعته كل اليهودية وجميع أُورشليم وكل الكورة المحيطة بالأُردن، كل

فئات شعب إسرائيل ـ هو هو بدء حقيقي للبشارة المفرحة بالعهد الجديد، وقد قبله وانصاع له كل الشعب واعتمد، إلاَّ الكتبة والفرّيسيون ومعهم الكهنة ورؤساؤهم الذين احتجوا عليه: «فما بالك تعمِّد »(يو 25:1)، فخاطبهم المعمدان ساخراً منهم لما رأى كثيراً منهم يقبلون إليه عن غير إيمان وعقيدة: « يا أولاد الأفاعي مَنْ أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم» (مت 3: 7ـ9). وهو نفس ما قاله المسيح لهم لما أرادوا أن يمنعوا الأطفال من أن يسبِّحوا ويهللوا عند دخوله إلى أُورشليم (لو 40:19). وكانت عين المعمدان مفتوحة فرأت مقدَّماً مصيرهم القادم عند رفضهم للمسيح: «والآن قد وُضِعَت الفأس على أصل الشجر (ادعاؤهم أنهم طبقة الأساس في شعب إسرائيل) فكل شجرة لا تصنع ثمراً **جيداً** تُقطع **وتُلقى في النار**» (مت 10:3). ويعود المعمدان يقارن النسبة والعلاقة والمستوى الإلهي بين معموديته بالماء ومعمودية المسيح بالروح القدس، فالماء يغسل كمجرد إعداد، أمَّا الروح القدس فهو نار يطهِّر إلى درجة **الإحراق ويضيء** ليعلن النقاء، **يبيد** الإثم **ويجلّي** البر:

+ «أنا أُعمِّدكم بماءٍ للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمِلَ حذاءَهُ. هو سيعمِّدكم بالروح القدس "**ونارٍ**". الذي رفشه في يده، **وسيُنقِّي** بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، **وأمَّا التبن فيُحرقه بنارٍ لا تُطفأ**.» (مت 3: 11و12)

ومن هذا نرى أنه في الوقت الذي فيه معمودية الماء للتوبة لا ترتقي بصاحبها إلى شيء من البر أو النعمة، نرى أن الذي اعتمد بالروح القدس ينال بر المسيح ونعمة الله، ويرقى حتى إلى الشركة مع المسيح والجلوس معه عن يمين الآب.

وحينما أُعطي للمعمدان فرصة ليتكلَّم عن نفسه في إنجيل ق. يوحنا ـ علماً بأن ق. يوحنا كان تلميذاً للمعمدان سابقاً وسمع وشاهد ـ قال:

+ «وأنا لم أكن أعرفه، لكن ليُظهَر لإسرائيل لذلك جئتُ أُعمِّد بالماء.» (يو 31:1)

+ «ينبغي أن ذلك يزيدُ وأني أنا أنقص. الذي يأتي من فوق (المسيح) هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضيٌّ، ومن الأرض يتكلَّم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به يشهد ... لأن الذي أرسله الله يتكلَّم بكلام الله. لأنه ليس بكيلٍ يعطي الله الروح.» (يو 3: 30ـ32 و34)

وعندما أُعطي للمسيح فرصة في إنجيل القديس متى ليتكلَّم عن المعمدان قال:

+ «ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أقصبةً تحركها الريح؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أإنساناً لابساً ثياباً ناعمةً؟ هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هُم في بيوتِ الملوك. لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبيًّا؟ نعم أقول لكم، **وأفضل من نبيٍّ**. فإن هذا هو الذي كُتب عنه: ها أنا أُرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك. الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه. ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يُغصَب، والغاصبون يختطفونه. لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأُوا. وإن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي. مَنْ له أُذنان للسمع فليسمع.» (مت 11: 7-15)

وفي إنجيل القديس يوحنا قال:

+ «كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة.» (يو 35:5)

يوحنا المعمدان ومعمودية التوبة لمغفرة الخطايا:

لقد اقتبل المسيح الرب الإله معمودية التوبة لمغفرة الخطايا تحت يد المعمدان، بصفته حامل البشرية وهو القدوس الذي لم يقترف خطية ولم يكن في فمه غش. والمسيح ضمَّ في تعليمه عن الملكوت عماد الماء للتوبة مع عماد الروح القدس من السماء، في قوله لنيقوديموس عن ميلاد الإنسان الجديد هكذا: «الحق الحق أقول لك: إن **كان أحد لا يولد من الماء والروح** لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو 5:3). هنا جمع المسيح طقس المعمدان وهو التعميد بالماء وأكمله بالعماد من فوق من السماء بالروح!!

ولا يمكن أن يغيب عن بالنا ما حدث على الصليب حينما خرج من جنب المسيح ـ بحسب رواية ق. يوحنا وشهادته ـ لما طعنه الجندي في جنبه بالحربة، كيف خرج من الجنب المقدَّس للجسد «**دم وماء**» (يو 34:19)، حيث الماء هنا كناية عن المعمودية تحقيقاً عجيباً سرياً للخليقة الجديدة التي خرجت من جنبه، بشبه حواء التي خرجت من جنب آدم، حيث عُرف يقيناً أنها الكنيسة «أم كل حي» وكما خرجت حواء وآدم واقع في سبات عميق، هكذا خرجت الكنيسة من جنب المسيح وهو كان قد أسلم الروح ودخل في سبات الموت الإرادي. أمَّا الدم فهو كناية عن الفداء وأمَّا الماء فهو المعمودية.

وقد صحَّ قول المعمدان: «أنا **عمَّدتكم بالماء** وأمَّا هو فسيعمِّدكم بالروح القدس.» (مر 8:1)

القيمة اللاهوتية للعماد بالماء:

لابد أولاً أن نخضع لسؤال المسيح: «معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس؟ أجيبوني؟»(مر 11:30). ويكفي أن يكون المسيح اعتمد من يديه كبرهان إلهي أن معمودية يوحنا كانت من السماء، وأن معموديته كانت ذات فعل وسلطان إلهي لقبول توبة المعترفين بخطاياهم على يديه.

القيمة اللاهوتية لمغفرة الخطايا بالعماد بالماء والتوبة:

هنا تتوقف القيمة اللاهوتية لمغفرة الخطايا على معنى التوبة لاهوتياً أولاً. فالتوبة تعني تغيير الفكر، وإن تمادينا في معناها فهي تعني تغييراً في السلوك. فلو عرفنا أن المعمدان أرسله الله لتنبيه الشعب بمجيء المسيَّا الذي بواسطته يتمُّ العهد الجديد بين الله والشعب، العهد الذي يقوم على مأساة صلب الابن وسفك دمه كذبيحة كفَّارة لغفران خطايا الشعب، إذا فهمنا ذلك أدركنا بغير أي مجال للشك أن التوبة على يدي المعمدان وغفران الخطايا كانت تمهيدية تؤهِّل الشعب للدخول ـ مجرد الدخول ـ في مجال عمل الابن الكفاري لنوال مغفرة الخطايا بالدم.

إذن، فالتوبة على يدي المعمدان والتغطيس في الماء كانت هي بمثابة العودة من عبادات الأوثان والشياطين وكل أعمالها وعاداتها التي استشرت في كل شعب إسرائيل. أي أن التوبة هي مجرد **الرجوع أو العودة ثانية** إلى الله الحيّ. وتغطيس الماء هو غسيل الجسد وبالتالي غسيل الضمير من نجاسات الأوثان وعباداتها المرذولة. ويكون الغفران بالتالي هو غفران خطايا البعد عن الله وخيانته من كل الأباطيل التي علَّمتها عبادة الأوثان للشعب. هذا يعني أن عملية العماد على يد المعمدان برمتها من التغطيس في الماء والاعتراف بخطايا نجاسات ماضي عبادات الأوثان وقبول الغفران عن كل الماضي المظلم كان تأهيلاً **للدخول في الإيمان** بيسوع المسيح لقبول الفداء والخلاص وغفران الخطايا برمتها التي اقترفها الشعب بكسره ناموس موسى ووصايا الله، حيث يقبل الإنسان المؤمن بالمسيح الروح القدس الذي هو روح التجديد للخليقة الجديدة الروحية المعدَّة لقبول ملكوت الله.

العماد بالماء لمغفرة الخطايا في طقس الكنيسة:

لأن المسيح قَبِل هذا الطقس تماماً على يدي المعمدان، وعاد واشترط على الذي يريد أن يولد من جديد أن يولد ثانية كخليقة جديدة **من الماء** والروح معاً، لكي يؤهَّل لدخول ملكوت الله، لذلك رسمت الكنيسة هذا الطقس المهيب ليجريه الكاهن (كان الأسقف هو الذي يجريه في العصور الأولى، بل والرسل أنفسهم ـ ارجع لحوادث يوم الخمسين)، إذ يُطلب مِنْ المعمَّد أن يعترف بخطاياه التي تتركز كلها في أعمال وأقوال وسلوك ما قبل الإيمان بالمسيح، وأهمها أن يجحد الشيطان ثلاث

مرات، وحينئذ يُغطَّس في الماء ثلاث مرات وبعدها يقبل طقس العماد بالروح القدس بالكلمة والدعاء ودهن الزيت لحلول الروح القدس.

وإذا رغب القارئ في المزيد من معرفة دقائق سر العماد بالماء قبل نوال العماد بالروح القدس، يمكنه أن يعود إلى كتاب الديداخي وهو تعليم الرسل للمعمَّدين الجدد، ليجد فيه نفس النصوص التي كانت تقولها وتمارسها الكنيسة في القرن الأول المسيحي.

ومن روائع طقس العماد التمثيلي الحي أنه في لحظة خروج المعمَّد من تحت الماء يُرتِّل خورس الشمامسة: «استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيئ لك المسيح» (أف5 :14). كذلك كان يقدَّم للذي قام من جرن المعمودية وقَبِل مسحة دهن الروح القدس ولَبِسَ الثوب الأبيض رمز الولادة الجديدة أو الخلقة الروحية السماوية وتأهيله للملكوت، وأيضاً رمز لِبْسِه المسيح يسوع (غل3: 27)، كان الشمامسة يقدمون له كوباً من اللبن الدافئ ليشربه تحقيقاً لولادته طفلاً جديداً لملكوت الله وابناً لله، وفيها يقول بطرس الرسول: «كأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به (يقصد الإنجيل)، إن كنتم قد ذقتم أن الرب صالح» (1بط2: 2و3). وكانت حفلة العماد من أبهج ساعات الكنيسة وكأنما فيها ينفتح حقاً باب السماء ليدخل العضو الجديد في ملكوت الله.

فعماد الأردن على يد يوحنا كما تحققه الكنيسة هو فعل زمني في الحاضر؛ لكنه ذو هدف إسخاتولوجي مستقبلي. إذن، فقد دخل يوحنا المعمدان بطقسه السمائي في صميم حياتنا الجديدة عن طريق المعمودية بالتغطيس في الماء. وقد وصف بطرس الرسول هذا الطقس، وهو نفس طقس المعمدان تماماً عندما التجأ إليه الشعب باكين لما رأوا حلول الروح القدس على الرسل، هكذا:

+ «فلما سمعوا (الشعب) نُخسوا في قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة فقال لهم بطرس توبوا **وليعتمد كل واحد منكم** على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس... فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.» (أع2: 37–42)

والآن يمكن أن نفهم لماذا بدأ القديس مرقس إنجيله بمعمودية يوحنا بالماء للتوبة ومغفرة الخطايا، إذ دخل طقس هذا العماد في حياة الكنيسة كأول إجراء طقسي للميلاد الجديد، ومعروف أن القديس مرقس نفسه اعتمد من يد بطرس الرسول يوم الخمسين، لذلك سمعنا بطرس الرسول يقول عن ق. مرقس: «مرقس ابني» (1بط 13:5)، كأنه وُلد من الماء والروح على يديه يوم الخمسين.

5:1 «وَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمِيعُ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ».

قول ق. مرقس هنا: «**جميع** كورة اليهودية وأهل أُورشليم» ليس هو تهويل أو إفراط في الوصف. ولكن القصد واضح، فهو يقصد جميع الطبقات سواء في العاصمة أُورشليم (المدينة) أو الريف (الكورة)، فهنا المقارنة بين المدينة والريف، وأهل المدينة وأهل الريف. وطبعاً جاء الاستثناء واضحاً في جماعة الكتبة والفريسيين الذين قال عنهم المسيح في وجههم: «لم تؤمنوا به» ولو أن بعضاً منهم جاء إلى المعمدان فقابلهم بتعنيف شديد وأسماهم أولاد الأفاعي. كذلك نلاحظ أن أهل الجليل وخاصة الجليل الأعلى لم يسمعوا ولم يحضروا، ولو أن المسيح انحدر من الجليل هو وتلاميذه، لأنه من المعروف أن تلاميذ المسيح اعتمدوا جميعاً من يوحنا، بل والمعروف أن أندراوس أخا بطرس ويوحنا (يو 40:1) كانا من تلاميذ المعمدان وانتقلا من تلمذة المعمدان إلى التلمذة للمسيح. وواضح أن هناك استحالة عملية لإمكانية الاعتراف الفردي لكل الشعب مئات الألوف وكذلك الاعتراف المسموع للمعمدان، ولكن كان الوعظ الذي يقدمه المعمدان هو الذي يجعل السامعين يئنون من خطاياهم، فيعترف بعضهم على المعمدان، ولكن معظمهم كانوا يعتمدون أمامه معترفين بكل الخطايا التي كشفها لهم المعمدان في وعظه. لذلك كان عامل النية بالتوبة ذا أهمية مطلقة، وكان هو قصد يوحنا المعمدان الأساسي. الأمر الذي لاحظه المعمدان ــ في رواية إنجيل ق. متى ــ إذ شعر بغياب نية التوبة عند الكتبة والفريسيين، لذلك وبَّخهم وواجههم بالحقيقة: «مَنْ أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي» (مت 7:3)، بمعنى أن مجيئهم كان خوفاً من الوعيد الذي كان يكيله المعمدان: «لا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً» (مت 9:3)، وكشَفَ أعمالهم بوعيد مزمع أن يصير على المرائين منهم: «فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار» (مت 10:3). هكذا كان المعمدان يعمل عمل النبي على مستوى إيليا تماماً في قدرة مواجهته للخطاة حتى الملوك دون أن يهاب، الأمر الذي عجَّل باستشهاده على يد هيرودس الملك إثر توبيخه المستمر له على زواجه من امرأة أخيه المحسوب أنه عمل زنا.

وليس عبثاً تقرير المسيح عنه أنه أفضل من نبي، وأنه لم يقم مولود من النساء أعظم منه، فقد فاق إيليا النبي في عنفه ونسكه وإصراره لمواجهة الخطاة حتى الموت، ولكن بالأكثر لأنه رأى المسيح وشاهد الروح القدس نازلاً عليه وسمع شهادة الله من السماء وشهد له واعترف أنه ابن الله.

وكل نبي قام في إسرائيل كان أقصى ما استطاع أن يعمله هو أن يوبِّخ أفراداً أو ملوكاً، أمَّا

المعمدان فقد توَّب الأُمة وألبسها ثوب الندم على خطاياها وقرّبها إلى يوم فدائها، وفوق الكل افتخر المعمدان أنه صديق العريس وكفاه أن يراه ويفرح به وله. وكان مصباحاً منيراً يتقدمه أمام شعب كان جالساً في الظلمة وظلال الموت.

وعلى العموم فإنه يوجد لدى بعض العلماء مثل هـ. هـ. راولي(5) قناعة أن في خدمة المعمدان (المحسوبة أنها من السماء) **سرًّا أخروياً** يختص بانفتاح ملكوت الله. وهذا نستطيع أن نقبله بارتياح لأن المعمدان لا يمكن أن ينادي باقتراب ملكوت الله إن لم يكن قد استؤمن على هذا السر الخاص بآخر الأيام، الذي عبَّر المسيح عنه بنفس هذا المعنى بقوله: «**قد كَمَلَ الزمان واقترب ملكوت الله**» (مر 15:1). وهكذا يعتبر أن سر انفتاح ملكوت الله أُعلن للمعمدان فبشَّر به معمِّداً ومعدًّا للشعب، وكرز به المسيح محققاً أن هذا بالحقيقة سر استعلان مجيء أواخر الأيام التي تكلَّم عنها جميع الأنبياء وأنه هو صاحب الملكوت المعد.

ومن شدة تأثر الشعب بيوحنا المعمدان وانتشار تعاليمه واقتدار توبيخه للتوبة، تشيعت له جماعة من تلاميذه وأذاعوا أنه هو مسيَّا الآتي، وهكذا بدأت أول هرطقة مسيحية في اليهودية(6) وانتشرت واستمرت دهوراً بأكملها، الأمر الذي حذَّر منه المعمدان:

+ «أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت: لستُ أنا المسيح بل إني مرسل أمامه. مَنْ له العروس فهو العريس.» (يو 3: 28و29)

6:1 «**وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ وَيَأْكُلُ جَرَاداً وَعَسَلاً بَرِّيّاً**».

في الحقيقة يحتار الإنسان بين إيليا وبين يوحنا المعمدان، لأن القوة الروحية واحدة، والشجاعة الإلهية واحدة، وتوبيخ الخطاة وتعنيفهم واحد، حتى اللبس واحد، فأيهما صورة للآخر؟ هل جاء إيليا كنبي قبل الميعاد ليتنبأ عن شخصية المعمدان نصاً وحرفاً وشخصاً؟ أم أن يوحنا جاء على نمط إيليا تحقيقاً لوعد الله وتذكيراً وتوثيقاً لصحة وصدق العهد القديم؟ ونفس هذا الأمر المحيِّر سجَّله العهد القديم والعهد الجديد بآن واحد، فالعهد القديم قال: «ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب ...» (مل 5:4). والجميل في هذا التسجيل أنه آخر ما قيل في النبي ملاخي الذي هو بدوره آخر أنبياء العهد القديم. فلو لم ينتبه القارئ وهو يقلب آخر صفحة في العهد القديم ليقرأ

(5) **H. H. Rowley cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 155.**

(6) وهي هرطقة المانديين (راجع المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا صفحة 385).

العهد الجديد، فإنه يجده في أول صفحة وكأن إيليا الأمس حضر اليوم، لولا أن الزمان يحتج، إذ بينهما حوالي 400 سنة، كان الله يعدّ فيها افتتاح العهد الجديد بتحركات سمائية وأرضية غير عادية، بسقوط ملوك وقيام ملوك وسقوط ممالك وقيام ممالك وتعديلات جدّ خطيرة على خريطة العالم ليجعل القارات الثلاث القديمة آسيا وأوربا وأفريقيا وكأنها قرية واحدة ذات دروب ومدقات متداخلة وممتدَّة تحت رجلي المسافر، لا يحمل همّ زاده ولا غربته عن بلاده، حتى جاء المسيح. وفي يوم الخمسين يوم أن احتفلت السماء بتكميل رسالة ابن الإنسان، دعا الله مندوبين عن الثلاث قارات ليجتمعوا معاً في مدينة الملك العظيم ويستلموا جميعاً رسالة مختومة بيد الروح القدس فيها دعوة صريحة لسكان المعمورة باسم الآب ودم المسيح، ليتقابلوا عنده في السماء لتكميل حياة سعيدة بروح جديدة وأعمار مديدة في أزلية امتدت إلى الأبدية بلا حدود. والرسالة توزع مجاناً، وعلى باب الملكوت يقف إيليا يعانق المعمدان وكل منهما صورة طبق الأصل شكلاً وموضوعاً، صنعها الله ليطابق القديم على الجديد ويصل الليل بالنهار والحلم باليقظة.

والإنسان ليعجب أشد العجب لقول المسيح عن المعمدان أنه هو هو إيليا جهاراً نهاراً: «فسألوه قائلين: لماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغي أن **يأتي** أولاً؟ فأجاب وقال لهم: إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء ... لكن أقول لكم: إن إيليا أيضاً قد **أتى**، وعَمِلُوا به كل ما أرادوا، كما هو مكتوبٌ عنه» (مر 9: 11–13). فهو بعين الإنسان **يأتي** بحسب النبوَّة، وبعين الله **أتى** وإن تغيّر الاسم والزمان، فالماضي والمستقبل بعين الله حاضر وحركة الزمان ما هي إلاَّ خداع رؤيا خلقها الله للإنسان ليبني بها معرفته بفكره الوئيد.

7:1 «**وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً: يأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ**».

يركِّز القديس مرقس هنا كل كرازة المعمدان في موضوع واحد هام، هو في الحقيقة محور رسالته كلها: أنه سيأتي بعده مَنْ هو أقوى منه. ولكي يعطي صورة كاملة لذلك القويّ الآتي بعده عمل مقارنة من جهة الكرامة والمجد للشخصية المهيبة للآتي بعده، مع حاله هو وفقره الشخصي على مستوى السيد العظيم العالي والعبد المنحني يحل سيور حذاء سيده، وقانعاً بأن هذا شرفٌ كبيرٌ له. وفي الحقيقة قد أبدع المعمدان في رؤيته للمسيَّا الآتي أبدع رؤية. لأنه ليس في ذلك أي مغالاة ولا حتى اتضاع بل هي تحصيل الحاصل، والحقيقة وعين الأمر، فالمسيح أعظم من سيد والمعمدان أقل من عبد. وهل حينما ينحني إنسان ويسجد تحت قدمي الرب الإله المبارك والمخلِّص يُحسب اتضاعاً

أو حتى يدخل في مستوى اللياقة أياًّ كانت؟ إذن، فرؤية المعمدان للآتي بعده كانت صحيحة أشد الصحة وَوَضع نفسه بالنسبة له أصح الوضع!

ويمكن للقارئ أن يلحظ شعور ق. مرقس نفسه وهو يسرد قول المعمدان، إذ يبدو أنه كان يشارك المعمدان في هذا الفكر وهذا التعبير، لأنه تلهّى عن كل ما قيل عن المعمدان في عمله وكرازته، إذ أسقط غضبه في الوعظ الذي وعظ، والفأس التي وُضِعت على أصل الشجرة، والبحث عن الثمر الجيد والتبن الذي تذريه المذراه في مهب الريح واتقاد النار التي أنيط بها إحراقه، وتغاضى عن الغضب الآتي على الكتبة والفريسيين ومصيرهم الذي لن يزيد عن مصير التبن المذكور، أو عن الشجرة والفأس على أصلها، نعم نسي أو تناسى ذكر ذلك كله ولم يرَ إلاَّ نفسه المنحنية على حذاء ذلك الكبير والسيد المهاب.

وفي الحقيقة، يا قارئي العزيز، فمهما كان قد قال ق. مرقس وأسهب فيما قاله المعمدان في وصف المسيح فلن يقع في صدورنا ما يثير الرهبة من جهة شخص المسيَّا أكثر من إنحناء «نبي وأعظم من نبي» تحت رجلي السيد؛ إذ لا يكون ذلك السيد إلاَّ الله آتياً في جسد!

فمن لي بهاتين القدمين لأقبلهما وأبلهما بدموعي، ومَنْ لي بهذه السيور لأحُلَّ بها كبريائي وأفك بها عبوديتي وأنال شرف خدمته.

المعمدان في إنجيل ق. مرقس نسي كل ما قاله للعسكر والكتبة والفريسيين والشعب الذي تكالب عليه بلمس يديه أو رجليه ليفتكر شيئاً واحداً: ماذا يفعل لو رآه قادماً إليه؟ لم ترتفع عيناه عن رجليه ولا اهتم إلاَّ بأن يَحُلَّ سيور حذائه. ولم يكن ق. مرقس يصف حال المعمدان بل حاله هو، وتصوَّر نفسه مرَّة أخرى أمامه يطلب لنفسه الحل من رباطه والانعتاق من حاله. ألاَ إنّ فِكْرَ ق. مرقس كان مزدحماً برباط الخطية الذي انحلَّ على الصليب، أو لعازر الذي حلُّوه ودعوه يذهب، فإن استطاع هو أن يفوز بفك السيور عن رجليه يكون قد فاز بأمانة العبد.

8:1 «**أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ**».

لا يزال المعمدان متأثراً بالمقارنة بين نفسيته المنحنية فيه حتى الأرض والسيد الشامخ بالروح حتى السماء، وهويته المنحصرة في الغسل بالماء وهوية السيد بالتطهير بالروح السمائي، وخدمته قد تمت وعبرت «**عمَّدتُكُمْ**»، أمَّا عمل السيد فآتٍ إذ له كل الزمان والخلود «**فسيعمِّدكُم**». فالماء على كل حال للغسيل أمَّا الروح فللتقديس.

على أن مغفرة الخطايا لا تأتي هنا كنتيجة للاعتراف بالخطايا بل كنتيجة للمعمودية. فالمعمودية تأتي كختم على الاعتراف.

في إنجيليْ القديس متى والقديس لوقا جاء أن: «الآتي بعدي سيعمِّدكم بالروح القدس **ونار** = ™n pneÚmati ¡g…J ka^ pur…». أمَّا القديس مرقس فاختص عماد المسيح بالروح القدس فقط ¡g…J pneÚmati أمَّا النار فجعلها لحريق التبن. أي جعل العقوبة بعد التقديس لمنْ لا يحفظ القدس. ويبدو أن ق. مرقس يتفق مع بولس الرسول: «لأن أرضاً قد شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة وأنتجت عشباً صالحاً ... تنال بركة من الله، ولكن إن أخرجت شوكاً وحسكاً فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها **للحريق**.» (عب 6: 7و8)

ودائماً ينتقل القديس مرقس في رواية المعمدان من العمل الذي وُكِّل إليه في ضعف إلى عمل القوي الآتي بعده صاحب القوة والروح القدس. فكان في منهجه الإنجيلي ملتزماً بروح الحوادث وأهدافها. فكان في هذه الثماني آيات ملتزماً بالصفة الرسمية للقديس يوحنا المعمدان كونه الصابغ (المعمدان) السابق للمسيح، إنما في اختصار غير منقوص الدعائم الأساسية في كل نقطة ينتقل إليها. ولكن سريعاً ما تذوب معمودية يوحنا ويوحنا نفسه بعد البدء بالمسيح كما قال هو: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو 3:30). هذه النبوَّة نجدها محققة في إنجيل ق. مرقس.

2 عماد المسيح

[1: 9-11]

(مت 3: 13-17)،
(لو 3: 21 و22)،
(يو 1: 32-34).

في كل ما قدَّمه ق. مرقس عن المعمدان في الآيات السالفة كان تركيزه الواضح على الآتي بعده، فأول شيء طرحه هو كونه «أقوى مني» والأمر الثاني أنه «سيعمِّد بالروح القدس» وبعدها، أي بعدما يجمع قمحه ويضعه في المخزن ويطمئن على محصول تعبه وجهاده، يحرق التبن الذي ذرَّته الريح وفصلته عن القمح. وهكذا رفع أعيننا نحو الأفق باستعداد رؤية القادم الذي من أجله جاء المعمدان ليهيئ طريقه - طريق الرب - قدامه. كما قدَّم لنا المعمدان من إحساسه بصغره واتضاعه وانحنائه على سيور حذاء الآتي أن هذا الآتي هو مسيًّا رجاء الأُمم ورب الكل!

والمرجو من القارئ أن ينتبه إلى رواية مرقس الرسول، فهو لا يقص أحداثاً تاريخية ولكنه يهيئ قلوبنا لاستقبال المسيح على نمط ما يكرز به يوحنا لشعب إسرائيل. فأرجوك أيها القارئ أن تلتفت إلى تسجيل ق. مرقس عن المعمدان كيف لا يستحق أن ينحني ليحل سيور حذائه، وكيف خرجت إليه كل كورة اليهودية وجميع شعب أُورشليم. إنها فرصة لنا نحن أيضاً أن نشارك الإنجيل في ذات الرواية، أن نخرج إليه نحن أيضاً لنقبل منه تأهيلاً لاستقبال ''القويّ'' الآتي الذي يعمِّد بالروح القدس، علماً بأننا تعمَّدنا بالماء والروح وصرنا مؤهلين فعلاً لاستقباله بالحق والفعل وقبول تجديدٍ لعمل الروح في قلوبنا وحياتنا.

9:1 «**وَفي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا في الأُرْدُنِّ**».

«**وفي تلك الأيام**»:

يريد القديس مرقس أن يؤكِّد الحدث الإلهي الذي تمَّ في صميم الزمن وفي صميم أيام يوحنا المعمدان.

«**جاء يسوع**»: ka` ™gšneto Ãlqen

الترجمة العربية اختزلت النطق اليوناني وهو روائي جميل وهو يأتي هكذا: «**وحدث أن** أتى»

ونفس الاصطلاح الروائي جاء في الأصحاح الرابع: «**وحدث أن** سقط بعضٌ على الطريق» (مر 4:4) وهو الأسلوب الروائي الشرقي.

واسم «يسوع» يُنطق في أصله العبري: ''ياهوشعا'' ومعناه: ''يهوه يخلِّص''. ولكنه يأتي هنا بنطقه المختصر: ''يوشوع'' وإنما ببساطة متناهية دون معنى أو تعريف أو تخصُّص كعادة زمانه. ولكن واجبنا نحن في أيامنا هذه ما يصح إطلاقاً نطقه هكذا مختصراً مبهماً دون تعريف أو تخصيص، إذ وضعته الكنيسة رسمياً هكذا: «يسوع المسيح» بمعنى يسوع الذي مسحه الله بالروح القدس والقوة، يسوع المخلِّص.

«**من ناصرة الجليل**»:

وهو مكان إقامته، والجليل كان أعلى أجزاء أرض إسرائيل ـ وكان أرضاً خليطاً مع الأُمم ـ وقد سبق أن ذكره الأنبياء أن منه سيخرج نور الأُمم:

+ «وأتى فسكن في كفرناحوم (بعد أن ترك الناصرة) التي عند البحر في تخوم زبولون ونفتاليم، لكي يتمَّ ما قِيلَ بإشعياء النبي القائل: ''**أرض** زبولون، وأرض نفتاليم، طريق البحر، عَبرُ الأُردن، **جليل الأُمم**. الشعب الجالس في ظلمةٍ أبصرَ نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نورٌ''.» (مت 4: 13ـ16)

«**واعتمد من يوحنا في الأُردن**»:

وهنا نواجه أسلوب ق. مرقس شديد الاختصار كثير الوضوح وفي غاية البساطة دون أي تردد، إذ يقابل هذا الأسلوب في إنجيل ق. متى وصف الحرج الشديد الذي وقع فيه يوحنا المعمدان لما رأى المسيح قادماً إليه وجهاً لوجه، وتحيَّر وطلب من المسيح أن يعفيه من هذا الحرج، والمسيح يواجه هذا الحرج بطلبه السماح: «اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمِّل كل برٍّ» (مت 15:3). بمعنى لا تحرمني من أن أحصل على بر الاتضاع بالانحناء تحت يديك. وهنا يقف القارئ مشاركاً القديس يوحنا الحرج. ولكن ق. مرقس يخرج من الموقف كالسهم، معطياً لكل منهما قبول الوضع ببساطة رائعة: «واعتمد من يوحنا» ولم يَفُتْ على ق. مرقس قدر المسيح وهيبته وقداسته. وواضح في ذهن ق. مرقس أن المسيح لم يعتمد لنفسه وإنما هو اعتمد لنا ولحسابنا، فأكمل لنا البر ببره، ورفع عنَّا خطية ماضينا عندما دخل الماءَ وخرج ليؤهلنا في جسده لقبول الشركة في صليبه! والنزول معه إلى القبر لتكميل عقوبة الموت التي تنازل وقبلها من أجلنا معنا، لنستطيع ونحن مبرَّأون بعد أن نقوم معه في قيامته أن ننال الحياة بحياته ونُحسب معه أبناءً لله بالتبني.

إن عماد المسيح في الأُردن هو أول حدث لاهوتي أتمَّه المسيح لأجلنا ليؤهلنا للتقديس بدمه: « لأجلهم أقدس أنا ذاتي.» (يو 17:19)

ويكفي أن نسرد أمام القارئ ماذا كنَّا قبل عماد المسيح وقبل الصليب وماذا صرنا، كما قال بولس الرسول:

+ «لذلك أذكروا أنكم أنتم الأُمم قبلاً في الجسدِ، المدعوِّين غُرلَةً مِنَ المدعُوِّ ختاناً مصنوعاً باليدِ في الجسدِ، أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيحٍ، أجنبيِّينَ عن رعويَّة إسرائيلَ (الله)، وغُرباءَ عن عهودِ الموعدِ، لا رجاءَ لكم، وبلا إلهٍ في العالمِ. ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدينَ، صرتُم قريبينَ بدمِ المسيحِ.» (أف 2: 11-13)

أتوسَّل لدى القارئ أن يعتبر الإنجيل إنجيله والعهد القديم عهده والجديد حياته، لقد جُزنا العبودية في مصر مع أننا كنَّا وقتها أسياداً فيها، وتبدَّينا في سيناء وتُهنا 40 سنة وعبرنا الأُردن مع الشعب ويشوع كان قائدنا ودخلنا الأرض البهية، وإننا أكملنا في أُورشليم غربتنا، ومع المسيح اعتمدنا وفي المسيح صُلبنا وتألمنا بل متنا ومعه قمنا وارتفعنا. وكَمُلَ فينا رجاء العهد والوعد أنتم الذين كنتم غرباء وبلا إله «فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله» (أف 19:2). نحن الذين اشتركنا في الزيتونة صرنا شركاء في فروعها وجذورها وزيتها، فنحن إسرائيل الجديد وإبراهيم أبونا ولو لم يَرَنا أو نَرَه. وأُورشليم السماوية هي أُمنا لأنه جعل الاثنين واحداً بالصليب.

10:1 «وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ، وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ».

«وللوقت»: eÙqÚj

اصطلاح ق. مرقس المحبوب جداً لديه الذي كرره في إنجيله 41 مرَّة، في حين أنه تردد في إنجيل ق. متى 18 مرَّة وفي إنجيل ق. لوقا 7 مرات وفي إنجيل ق. يوحنا 6 مرات فقط. فأصبح سمة إنجيل ق. مرقس المعروفة والتي تتناسب مع سرعته في الرواية والاختصار. ومعناه (وفي الحال)، ولكنه يأتي أحياناً في الكلام بمعنى: ''وبعد ذلك''.

«رأى السموات قد انشقَّت»:

رؤية مهيبة ومنظر لا يحتمله إنسان. فالسماء هنا لم تنفتح كرواية الأناجيل الأخرى، بل انشقت علامة الجبرؤوت. الحدث هنا يرويه ق. مرقس دون أن يكون قد رآه، فهو يرويه عن المسيح، لذلك

فهو يصف ما وصفه المسيح، لأن الرؤيا أو المنظر كان خاصاً بالمسيح(7). علماً بأن أي رؤيا إلهية يراها أكثر من إنسان واحد مهما كان عدد الرائين، فكل إنسان يرى بقدر ما يُسمح له من الانكشاف، ولا يمكن أن يرى إنسان ما يراه الآخر بنفس القدر ونفس الوضوح ونفس المعنى والفهم. لذلك تأتي الروايات عن الرؤيا الواحدة مختلفة تماماً الواحدة عن الأخرى. لأنه إن كان على مستوى الأرض والعيون الجسدية لا ترى العين الواحدة كالأخرى، فلكل عين قوة ومستوى ومهارة غير الأخرى. فما بالك في الرؤيا الروحية التي تعتمد على عشرات العوامل أهمها قوة الإيمان والحب والرجاء والانتماء والإفراز والتمييز والفهم الروحي ومدى الإعلان والاستعلان ومدى الدراية بالإنجيل والخبرات الروحية السابقة، شيء لا ينتهي. ولكن المسيح هو الذي رأى وهو الذي بلَّغ الرؤيا، فنجدها تجيء هنا بهيبة وقوة. فإن كان المسيح هو الذي رأى السماء قد انشقَّت فهو حتماً رأى كمن يرى موطنه ومن أين أتى: «ابن الإنسان الذي هو في السماء.» (يو 13:3)

«**انشقَّت**»: scizomšnouj

في الأصل اليوناني تفيد عملاً ممتداً، أي أن السموات انفتحت شيئاً فشيئاً. وهو اصطلاح أبوكاليبتي، أي خاص بالرؤى غير العادية حيث يحدث انفصال واضح بين ما هو أرضي وما هو سماوي.

ومن هذه الكلمة يتضح لنا بالإحساس المستيكي (أي السري التصوفي *mystical*) أنه ليست السماء هي التي انشقت؛ ولكن العين الروحية هي التي انفتحت فجأة لتظهر لها السماء في واقعها الروحي المفتوح الذي يفوق العقل والوصف والكلام، فيقف الإنسان مذهولاً مما يرى ويسمع، ويصعب عليه بل ويستحيل الكلام والتوضيح، لأن الأمور السماوية ليست ذات حدود ولا صور سبق للإنسان أن رآها أو عرفها وليس لها ألفاظ توصف بها. قال عنها ق. بولس: «لا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها »(2كو 4:12). وهذا الانفتاح الذي رآه المسيح هو في الحقيقة علامة خطيرة أن رسالة الخلاص والسماء دخلت بكل ثقلها في رسالة الابن، وأن دور الإعداد الجسدي وقف عند هذا الحد، وبدأ الروح القدس يعلن حقيقة الابن الذي كُنِيَ عنه بمسحة الابن بالروح القدس. أمَّا قبل انفتاح السماء وقبل حلول الروح القدس وإعلان الآب من السماء فكان الابن المتجسِّد في حالة إخلاء، أي أن اللاهوت القائم فيه غير مستعلَن لحساب اكتمال صورة العبد.

أمَّا الآن، فنسمع صوت الآب من السماء أن هذا هو ابني الحبيب الذي فيه مسرَّتي، والروح

(7) في إنجيل ق. يوحنا (32:1) يذكر أن يوحنا المعمدان رأى أيضاً. ولكن الرؤيا والصوت كانا للمسيح أصلاً.

القدس يحل علناً على الذي هو مملوء منه. فهو لم يحل على فراغ ليملأه بل حلَّ على الملء ليعلنه. وكان رد الفعل المباشر لبدء استعلان ابن الله ــ وبعد مناوشات مع الشيطان ــ ذهابه مسوقاً بالروح القدس إلى مجمع الناصرة ليجد السفر مفتوحاً على نبوَّة إشعياء، فقرأها، وكان خطاب العرش:

+ «ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل، وخرج خبرٌ عنه في جميع الكورة المحيطة. وكان يُعلِّم في مجامعهم ممجَّداً من الجميع. وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى. ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ، فدُفِعَ إليه سفر إشعياء النبي. ولما فتح السفر (بإلهام الروح) وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: **روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأُبشِّر** المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأُنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأُرسِلَ المنسحقين في الحرية، وأكرزَ بسنةِ الربِّ المقبولة. ثم طوى السفر وسلَّمه إلى الخادم وجلس. وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصةً إليه. فابتدأ يقول لهم: إنه **اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم**.» (لو 4: 14-21)

وهكذا يا قارئي العزيز، كان يوم عماد المسيح من يوحنا المعمدان يوم تنصيب ملك السماء ملكاً لملكوت الله على الأرض، بشهادة السماء وصوت الآب وحلول الروح القدس ظاهراً. وتمَّت رؤيا دانيال النبي المحبوب التي قال فيها بالنص:

+ «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرَّبوه قدَّامه فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض.» (دا 7: 13-15)

«**والروح مثل حمامة نازلاً عليه**»:

لم يُعطَ المسيح الروح القدس كهدية، ولكن نزل الروح نزول المثيل على المثيل، فلم يزد شيئاً، ولكن استعلن ما له أصلاً!! كان المسيح قبل حلول الروح القدس في حالة إخلاء ولما كمل زمان الجسد وحل الموعد بدأ المسيح يسترد ما له. وكونه مثل حمامة فهي محاولة للتعبير عن الحياة التي فيه، ولعل الحمامة تحكي عن الوداعة التي له. ونزولها عليه كان برفرفة كما كان الروح يرفُّ على وجه المياه إيذاناً بالحياة لتدب في الماء (تك1: 2)، فكانت للمسيح هنا بمعنى الخلق الجديد بالروح، وقد جمعها المسيح معاً في تعاليمه عن الميلاد الجديد هكذا: «إن كان أحد لا يُولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو 5:3). حيث يكون الماء بالعماد والروح بالإيمان بالمسيح لنوال شركة الروح والحياة.

11:1 «**وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَوَاتِ: أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ!**».

«**ابني الحبيب**»: Ð ¢gaphtÒj

وترادفها أحياناً: «الوحيد» = الـ"مونوجانيس monogen»j" وهو لقب للمسيح ويعبِّر عن المسيَّا وعلاقته بالله علاقة فريدة.

ويقول العالِم المتحفِّظ ألفرد بلومر(8) أنه من الواضح أنه لم يكن هناك في منظر الروح النازل أو في الصوت المسموع من الآب أي هلوسة بمعنى تزييف عقلي، ولكن استقبال حقيقي لروح الله وكلمة منه. وكان هذا الصوت المسموع من السماء هو الأول في استعلانات المسيح، والثاني جاء في التجلي (7:9) والثالث قبل الآلام مباشرة (يو 28:12).

كان هذا هو **الإعلان الأعظم**، الذي استعلن به جهاراً من السماء أن **الله ظهر في الجسد**، إذ الآب يعترف بابنه متجسِّداً. فالتجسُّد أضيف إلى اللاهوت دون أن ينقص منه أو يستزيده. فالآب احتسب التجسُّد لحسابه بل ولمسرته!! والروح والصوت هنا كانا إيذاناً بأن ينطلق الابن يبشِّر توًّا بملكوت الله، فقد تُوِّج بصوت الآب.

«**الذي به سررت**»:

المعنى هنا لا زمني، لا يتبع ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً ؛بل هو واقع ذاتي لاهوتي.

3 التجربة على الجبل

[1: 12و13] (مت 4: 1-11)، (لو 4: 1 - 13)

يقدِّم ق. مرقس التجربة متصلة بالمعمودية وتالية عليها، لأنه يقدِّم بالاثنين تقليداً كنسياً جوهرياً بالنسبة للمؤمنين. لأن من صميم تقليد المعمودية في الكنيسة أن يجحد المعمَّد الشيطان وكل أعماله. وهذا معناه أنه سيدخل معه في تحدٍّ، فبعد أن كان خادماً مطيعاً لأفكاره وتصوراته ومشوراته

(8) **Alfred Plummer, *The Gospel According to St. Mark*, (1914[1], 1982) p. 57.**

سيصبح ندًّا عنيداً له يقاوم كل أعماله وأفكاره ومشوراته. من هنا ينفتح على الإنسان المسيحي باب التجربة على طول المدى، وهذا يعني أن بالمعمودية ندخل حتماً إلى التجارب. ومن هنا دخل المسيح بعد العماد إلى التجربة من أوسع أبوابها وبيد «المجرِّب» والقصد أن يقدِّم لنا من حياته خبرة النصرة على العدو باستخدام الإنجيل. فبخبرة المسيح في التجربة على الجبل ضد الشيطان وبالغلبة التي فاز بها ثم أكملها على الصليب ورَّثنا المسيح سلطان النصرة على التجارب كميراث البنين فيما لله من واقع شركتنا معه بالروح.

إذن، معمودية المسيح جزءٌ حيٌّ في حياتنا وإيماننا ونحن نجوز المعمودية كشركة في معمودية المسيح لنوال سلطان الغلبة على التجربة، كحق من حقوق إيماننا بالمسيح والشركة معه.

12:1و13 «وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلى الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ هُنَاكَ في الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ. وَصَارَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَخْدِمُهُ».

إن الاختصار الشديد المتعمَّد في رواية تجربة المسيح لفت نظر جميع العلماء وحيَّرهم، ووضعوا لها تفسيرات جاءت كلها لا تتمشَّى أبداً مع أسلوب ق. مرقس ومنهجه في تقديم تعاليم المسيح وحوادث حياته. فإذا عدنا إلى نظرية ق. مرقس في معالجته للحوادث الهامة والخطيرة نطمئن جداً أنه لم يكن أبداً هيَّاباً تجاه الخوض في إعلانها بدقائقها. إذن، فما السر في قصة تجربة المسيح الذي حتَّم عليه أن يلمسها لمسات خفيفة ويتركها دون الخوض في دقائقها التي حتماً بَلَغَتْه على ألسنة الآخرين؟

إذا فحصنا قصة تجربة المسيح نجد أنها مستهدفة حتماً لكي يكتنفها الغموض، فهي أكبر وأخطر من أن يفترض فيها الإنسان الوضوح والفهم البسيط. فالتجربة كانت أخطر مواجهة يتقابل فيها المسيح، وهو قد استلم على التوِّ الرسالة من الآب التي تدور كلها حول كسر طوق العبودية الذي أحكمه الشيطان حول عنق الإنسان وتحريره من سلطانه نهائياً، وهذا معناه الإنهاء على كل أسلحته وإغراءاته وأكاذيبه وإسقاطه عنوة من رتبته.

ولكن مَنْ هو الشيطان في أبسط تعريف له يمكن أن نحيط به، وإن كان من الصعب الإحاطة بهوية رئيس روحي له سلطان الوقوف بكبرياء لمعاندة الله وإظهار العداء الرسمي له ولكل خلقته، ولكن المسيح أعطانا صورة نسبية بالنسبة لنفسه وهذا العدو المارد في قوله في إنجيل ق. مرقس وفي إنجيل ق. لوقا بوضوح هكذا:

+ «فإن كنتُ أنا ببعلزبول أُخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يُخرجون، لذلك هم يكونون قضاتكم. ولكن إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله. حينما يحفظ **القوي** داره متسلِّحاً تكون أمواله في أمان، **ولكن متى جاء مَنْ هو أقوى منه،** فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزِّع غنائمه ... متى خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ...» (لو 11: 19-24)

إذن، أمامنا الآن نفس الصورة التي نحن بصددها ـ الشيطان ومركزه البرية، الأماكن التي ليس فيها ماء ـ والمسيح يقبل أن ينازل الشيطان ويقبل دعوته المتحدِّية بعد أن أُعلنت بنوَّته لله وامتلك الروح القدس علناً، وهناك في البرية مارس المسيح سلطانه وقوته. ولكن أن ندرك ونحيط علماً بما تمَّ في هذه المعركة فهذا الأمر هو المستحيل بعينه، لأن نوع الأيديولوجية التي بارز بها الشيطان المسيح، وأسلحته التي ليست على مستوى عقولنا ومداركنا، ونوع ردود المسيح وأسلحته التي استخدمها كانت تفوق حتماً قدراتنا الفكرية ومداركنا. أمَّا ما سجَّله كلٌّ من القديس متى والقديس لوقا من أسئلة الشيطان وأجوبة المسيح التي التقطها كلٌّ منهما وكأنها من فم الشيطان ورد المسيح عليها، فهي لم تكن أكثر من مجرد مَثَلٍ، كقول المسيح: «يشبه ملكوت السموات ...» أو «وكان يُكلِّمهم بأمثال» فجاءت مصغَّرة معقولة للعقول البسيطة(9). وقد تغاضى مرقس الرسول عن هذه التشبيهات وضرب الصفح عنها واكتفى بمفهوم التجربة بالنسبة لابن الله على مدى الأربعين يوماً من أولها إلى آخرها وما أرعب ما كانت! واكتفى ق. مرقس في الختام بأن يورد صورة معيشته هناك مع الوحوش كتلميح ذكي أنها أيام كانت أكثر فظاعة من مساكنة الوحوش، وأمَّا خدمة الملائكة في النهاية فجاءت علامة النصرة إذ حضروا ليعلنوا نصرة خالقهم وسيدهم.

هكذا دخل الأقوى دار القوي (البرية) وربطه، تهيئة لكي ينهب أمتعته ويفك أسراه ويشفي فرائسه. أمَّا نتيجة هذه المعركة فقد ألمح عنها المسيح بقوله: «رأيتُ الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو 18:10). وختامها كان على الصليب، فإلى هناك.

(9) انظر إنجيل ق. متى (4: 1-11)، ق. لوقا (4: 1-13).

4 بدء الكرازة بملكوت الله
والدخول في خدمة الجليل

[14:1و15،6:3] (مت 4: 12ـ17)، (لو 4: 14 و 15).

لقد حدَّد القديس مرقس بداية خدمة المسيح بالقبض على المعمدان مباشرة حيث انسحب إلى الجليل لبدء الخدمة. وفي سرد أخبار خدمة الملكوت والمناداة بها قدَّم ق. مرقس حقائق مختصرة يمكن أن تحيط بالإنجيل كله. فجاءت رواية شاملة محصورة بدءاً بالآية (14:1) ـ وتنتهي في (6:3)، وفيها يفتتح ق. مرقس الخدمة العامة للمسيح بدءاً من القبض على المعمدان ومناداة المسيح بالكرازة بقرب ملكوت الله، دون أن يحدِّد ق. مرقس أين كان هذا ومتى، ولا حتى الظروف المحيطة التي بدأ المسيح الخدمة فيها. وواضح جداً من هذا أنه اعتبر هذه الأمور ثانوية بالنسبة لدخوله في واقع الخدمة نفسها. فالتاريخ الزمني الذي يسير عليه المسيح ليس هو زمن العالم وتاريخه، ولكن زمن العمل الروحي في الكنيسة وبدء حركة طقوسها ولاهوتها. فالقديس مرقس يتبع تاريخ التقليد الكنسي وحركته وقد رصدها سفر الأعمال بدقة:

+ «الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشِّر بالسلام بيسوع المسيح: هذا هو رب الكل. أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية مُبتدئاً من الجليل بعد المعمودية التي كرز بها يوحنا، يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلِّط عليهم إبليس لأن الله كان معه.» (أع 36:10ـ 38)

هذا هو التطابق البديع مع القديس مرقس في روايته التي سنستمتع بدقائقها معاً.

14:1 «**وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ**».

واحدة من محطات قصة الإنجيل عندها يتحوَّل الحديث كليةً ونهائياً من العلاقة بيوحنا المعمدان إلى الحديث عن كرازة المسيح. والمحطات عند القديس مرقس الرسول إما قصيرة صغيرة يخرج منها بسرعة ليكمِّل المسيرة بقوله: «وفي الحال» التي تعني الانتقال السريع من وضعٍ لوضعٍ، أو الانتقال

من قولٍ لقولٍ. أو تأتي المحطة كبيرة نوعاً مثل (14:1) أو مثل قوله: «ثم قام من هناك ومضى ... »(24:7)، أو قوله: «وكانوا في الطريق صاعدين ...» (32:10)، أو قوله: «وكان الفصح وأيام الفطير ...» (1:14)

والموضوع الذي سيدخل فيه هنا هو بدء خدمة المسيح في الجليل، وقد وجد حدًّا واضحاً لها وهو القبض على المعمدان، والذي وضعه إنجيل ق. متى هكذا: «ولما سمع يسوع أن يوحنا أُسلم انصرف إلى الجليل» (مت 12:4). والقديس مرقس لم يطرق موضوع سجن يوحنا المعمدان واستشهاده هنا ليدخل مباشرة في خدمة المسيح التي بدأت بنهاية خدمة المعمدان، ولكنه لم يغفل قصة سجن وموت المعمدان إذ ذكرها كاملة في (6: 17ـ29) الذي أورد فيه ق. مرقس مقدار احترام هيرودس القاتل وتوقيره الشديد للمعمدان: «لأن هيرودس كان يهاب يوحنا عالماً أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه. وإذ سمعه فعل كثيراً وسمعه بسرور» (مر 20:6). ولكن للأسف فقد قام بقتل المعمدان بسبب امرأة زانية.

وقد عَبَرَ ق. مرقس على إقامة المسيح في الناصرة وذكر فقط تركه لها واتجاهه إلى كفرناحوم، لأن اهتمام ق. مرقس كان منحصراً في تسجيل بدء الخدمة بقوله: «يكرز ببشارة (أي بإنجيل) ملكوت الله» التي اختصرها من نص دعوة المسيح: «قد كمل الزمان واقترب **ملكوت الله**، فتوبوا وآمنوا **بالإنجيل**» (مر 15:1). ومن الملاحَظ هنا كما في أماكن كثيرة من إنجيل ق. مرقس أنه اعتاد أن يبدأ الكلام بجملة مختصرة يجمع فيها المبدأ العام أو خلاصة العمل أولاً، ثم يفرده بعد ذلك على الآيات والأصحاحات الأخرى. أمَّا هنا في مرحلة ما بعد القبض على يوحنا فكانت معظم أقواله بالأمثال، كذلك حديثه عن ابن الإنسان، وكانت تدور كلها حول ملكوت الله فعلاً.

«**بعدما أُسلم يوحنا**»:

يهمنا هذا الاصطلاح ـ إذ هو مبني للمجهول ـ لذلك يُحسب أنه تعبير لاهوتي بمعني أن الله هو الذي يتمِّم مشيئته في الموت وليست مجرد حادثة. ومنها يتضح أن ق. مرقس ملتزم بتقليد كنسي لاهوتي مستقر.

«**يكرز ببشارة (إنجيل) ملكوت الله**»: TÕ eÙaggšlion tÁj basile…aj toà Qeoà

وهي نفس المقولة التي بدأ التلاميذ يعلِّمون بها (مت 7:10، لو 9:10). وتعني يعلِّم

بالأخبار المفرحة المختصَّة بملكوت الله. وفي بعض المخطوطات وردت: «يكرز بإنجيل الله» (10). و « إنجيل الله» اصطلاح تقليدي أول مَنْ قال به هو بولس الرسول، ونحن نعلم أن ق. مرقس كان رفيقه في الأسفار والكرازة أيضاً: «جاهرنا (كرازة) في إلهنا أن نكلِّمكم **بإنجيل الله**» (1تس 2:2)، «لأني بشرتكم مجاناً **بإنجيل الله**.» (2كو 7:11)

ويلاحظ أن هناك علاقة هامة وعملية بين انشقاق السماء للمسيح في المعمودية ورؤية الروح نازلاً عليه وصوت الآب له مخاطباً إياه بالابن صاحب المسرة الأبوية، وبين الكرازة أي البشارة بالصوت العالي بملكوت الله، أو علىحسب نطق ق. متى ملكوت **السموات**، فالسموات وملكوت الله قد انفتحت مغاليقه واستُعلنت أسراره للابن المتجسد لتصبح جاهزة للتعليم والتخبير بأمجادها وأفراحها.

15:1 «**وَيَقُولُ: قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ**».

«**قد كمل الزمان**»: pepl»rwtai Ð kairÒj = The time has been fulfilled

والزمان هنا أو الوقت «وقتي قريب» (مت 18:26)، «زمان افتقادك» (لو 44:19)، هو تعبير اسخاتولوجي أي مستقبلي يفيد الوقت الذي سبق الله وحدَّده في مشورته، ويكون قد حدَّده بعلامات ونبوات تحدث قبلها أو فيها. وفي الحقيقة إن تحديد زمان مجيء الملكوت كان في جميع النبوات مرهوناً بمجيء الابن ''مسيَّا'' صاحب الملكوت، وكانت تحيطه في جميع النبوات أوصاف وعلامات وأحاديث كلها مفرحة خاصة للنفوس المطحونة بضيقة هذا الزمان.

«**الملكوت**»: basile…a

جاءت في إنجيل ق. مرقس 20 مرَّة. وهي بالعبرية: ''مَلْكُوت malkuth''. والكلمة تفيد: ''الحكم الملكي لله'' فهو حكم أو سيادة على أو في مجموع من أخصائه. ويأتي دائماً «ملكوت الله» في ''مستقبل حاضر'' أو محقق في صميم الزمن ومحقق فيه مشيئة الله. ويُعبَّر عنه في الحاضر بالاقتراب والقبول والأخذ، وفي المستقبل بالدخول. فالأطفال ومَنْ هم على قامتهم في الوداعة والحب وبساطة القلب يقبلونه من الآن (مر 15:10). أما الدخول في المستقبل (47:9) فهو للذين فضَّلوا الخسارة والعذاب الآن في أمانة الله أكثر من راحة وأمجاد الدنيا. وعلى العموم

(10) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 166.**

فقد اتفق العلماء على أن تقديم ملكوت الله في تعاليم المسيح عامة يهدف لتحقيق المستقبل منذ الآن. على أن المسيح ذكر القبول والدخول في آية واحدة أوضحت العلاقة بينهما في قوله: «من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد (الآن) فلن يدخله (أخيراً)» (مر 15:10). على أساس أن الفترة بين القرب والدخول هي فترة مهملة في التعريف. على أنه يُستشف من كلام المسيح أنه يضمر أن الملكوت يعبّر به عن شخصه، فهو في التجسد أصبح على قرب at hand بل وممسوك باليد « ولمسته أيدينا» (1يو 1:1)، ولكننا لن نحصل عليه إلاَّ بالإيمان والاعتراف والمعمودية وتعاطي الجسد والدم حيث يصبح الملكوت فينا، ولكن أن يُستعلن الملكوت الذي فينا فلا يتم خلال الزمن.

أمَّا ملكوت الله "**الآن**" الذي فينا وعلى الأرض وفي صميم الزمان فهو بالفعل قائم ومنظور وفعَّال بكسر سلطان الشيطان وإخراجه عنوة، وتبديد سلطانه بتوبة الناس وبالإيمان بالمسيح والحياة الأبدية وبمغفرة الخطايا والتوبة الدائمة بمناداة الإنجيل، وعلامة الملكوت الفرح والتهليل الذي يعيشه أبناء الله المخلصون وشكر الله وتسبيحه وتمجيده.

«**اقترب**»: ½ggiken

واضح أن كلمة «اقترب» «وعلى الأبواب» أو كما يعبِّرون عنها بالإنجليزية at hand كلها تفيد مجرد الرؤية عن قرب، كما يتفق علماء كثيرون مثل: سويت وراولنسون وبارتلت ودود ولاجرانج، ولكن يوجد علماء آخرون مثل: ولهوزن، جوانس وايز وكلوسترمان وكادو وسمث (ب.ت.د) واسترلي ومارتن وهم من أعاظم وأدق المعلِّمين يتفقون في ترجمتها est arrivé بمعنى ''قد حضر''، وهذا في نظرنا أقرب للواقع والحقيقة لأن كل الاصطلاحات الأخرى تفيد ذلك مثل ملكوت الله في وسطكم أو داخلكم (لو 21:17). ويُصر العالِم ك. هـ. دود والعالِم لوهمير وبرايسكر على المعنى الأخير أي أن ملكوت الله قد حضر(11).

«**فتوبوا**»: metanoe‹te

قالها المسيح: «توبوا وآمنوا بالإنجيل» على أساس مناداته بقرب ملكوت الله، أي مجرد إعلان المسيح بقرب ملكوت الله، هذا يستدعى مباشرة الإيمان به وببشارته.

ومن هذه الآية نلمح في ربطه بين التوبة وقرب الملكوت وظهوره ما يوحي تماماً أن بقرب المسيح

(11) **Cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 166.**

قَرُبَ الملكوت، وأن التوبة تتعلَّق أساساً به هو إذا أدركنا أن التوبة تعني تغيير التفكير وبالتالي السلوك ـ أي أنه بوضوح يطالب الشعب أن يغيِّر ما كان له من إيمان وسلوك ليقبل الملكوت، أي المسيح ويؤمن به، أي بكرازته. أو بمعنى آخر (لأني قد جئت إليكم فعليكم أن تغيِّروا كل ما لكم فكراً وسلوكاً وتؤمنوا بي وبتعليمي).

ويخطئ بعض العلماء(12) في قولهم أن المسيح كان يكرِّر تعليم المعمدان، وفات عليهم أن تعليم المعمدان بالتوبة وقرب الملكوت كان على أساس يهودي، ومغفرة الخطايا كانت على أساس يهودي نبوي، كتمهيد لتعليم المسيح القائم بعد تعليم المعمدان والمكمِّل له. وهذا أمر حتمي، لأن المعمدان كانت وظيفته الأساسية التمهيد للمسيح وإعداد الطريق قدَّامه. لذلك جاءت دعوة المسيح وكرازته مركَّبة فوق تعاليم المعمدان كتاج لها هكذا: توبوا (توبة المعمدان بالاعتراف والغسل بالماء) وآمنوا بالإنجيل، وهذه هي كرازة المسيح. وهكذا تنحصر كرازة المعمدان في التوبة تمهيداً لكرازة المسيح بالإيمان بالأخبار السارة.

ومنذ أن طرح المسيح هذه الدعوة المباركة بعد أن أُسلم المعمدان، انفتح العهد الجديد بالمسيح، وظلّ المسيح هو كما هو "قريباً" دائماً أبداً «**الرب قريب**» (في 4:5)، بل وقريبٌ جداً كما قالها ق. بولس إذا قَبِل الناس الإيمان به: «الكلمة **قريبة** منك، في فمك وفي قلبك. أي كلمة الإيمان (بالمسيح) التي نكرز بها، لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خَلَصْتَ.» (رو 10: 8و9)

توبة المعمدان وتوبة المسيح:

واضح أن التوبة في فم المعمدان كانت قائمة على الاعتراف بالخطية والعماد من الماء، فالخطية كانت متصلة بالجسد والماء مؤثر بالغسيل، لذلك كانت توبة المعمدان توصِّل فقط أو تؤهل للإيمان بالمسيح.

أمَّا التوبة في فم المسيح فهي لضمان التغيير الذي نصَّ عليه المعمدان، وهي وحدها لا تفيد شيئاً إذ يتحتم بعد التوبة الإيمان بالإنجيل أي بكرازة المسيح. وشرحها كأن المسيح ينادي الذين اعتمدوا ليوحنا بالماء ويقول لهم تعالوا آمنوا بالإنجيل: لأن المسيح نفسه لم يكن يعمِّد (بالماء) ولكن جاء ليعطي الروح القدس للذين تابوا: «توبوا وآمنوا بالإنجيل» وهذه هي حقيقة قول النبوَّة: «يهيئ

(12) **A. E. J. Rawlinson, *St. Mark*, p. 13.**

طريقك قدَّامك» فتهيئة الطريق أمام المسيح كانت وعظ الشعب وتعريفهم بخطاياهم وقبول توبتهم وتعميدهم بالماء كختم توبة فقط، وهذا بحد ذاته كان يؤهِّل للإيمان بالمسيح والبشارة المفرحة أي بالخلاص الذي بالصليب والموت والقيامة.

«**وآمنوا بالإنجيل**»: pisteÚete

حيث الإنجيل هنا هو "الأخبار المفرحة" بالخلاص، وهذا ما يوحي إليه مباشرة قول المسيح قد اقترب ملكوت الله، حيث توبوا تفيد الحزن على ما فات: «لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة، وأمَّا حزن العالم فينشئ موتاً» (2كو 10:7)، حتى يستحقوا الفرح الدائم الآتي والذي أتى. وهذا هو نموذج وعظ المسيح وكرازته في الجليل.

والإيمان هنا هو "الارتباط" بالإنجيل أي بالأخبار المفرحة، وهي رسالة المسيح التي جاء من أجلها. لذلك إن كانت التوبة أساسية في منهج المعمدان، فمنهج المسيح أساسه هو الإيمان. وإن كان الاعتراف بالخطايا يؤدي إلى المعمودية، فالمعمودية تؤدي إلى الإيمان بالمسيح.

5 دعوة التلاميذ الأوائل

[1: 16- (مت 4: 18-22)،

20] (لو 5: 1 - 11)

هذه الرواية تحوي قصتين: الأُولى: (16-18) والثانية (19و20)، ويلزم أن نضم إلى هاتين القصتين قصة اختيار لاوي (14:2) لتكوِّن ثلاث قصص تكمِّل رواية اختيار التلاميذ. وهذه الثلاث ولو أنها بحد ذاتها تحكي عن أعظم أعمال المسيح والكنيسة وهي "اتِّباع الرب"، إلاَّ أنها بآن واحد تمهد للخدمة في كفرناحوم (1: 21-39).

وكأنما ق. مرقس كان يحمل في فكره دعوة إيليا لأليشع النبي، وهكذا يجدِّد التاريخ المقدَّس نفسه:

+ «فذهب (إيليا) من هناك ووجد أليشع بن شافاط يحرث واثنا عشر فدان بقرٍ قدَّامه (12 زوج) وهو مع الثاني عشر، فمرَّ إيليا به وطرح رداءَه عليه. فترك البقر وركض وراءَ إيليا وقال: دعني أُقبِّل أبي وأُمي وأسير وراءك، فقال له: اذهب راجعاً (إلى بقرك: منتاش نافع)

لأني ماذا فعلت لك (أي كأني ما دعوتك). فرجع من ورائه (مصمماً أن يبيع ويترك كل شيء) وأخذ فدَّان بقرٍ (زوج) وذبحهما وسلق اللحم بأدوات البقر (المحراث) وأعطى الشعب (فرَّق وأعطى المساكين) فأكلوا، ثم قامَ ومضى وراء إيليا وكان يخدمه.» (1مل 19: 19-21)

ونقطة التلاقي هي أن التلاميذ تركوا كل شيء وتبعوا المسيح. وق. مرقس مصوِّر ماهر له لقطات مذهلة، فلم يَفُتْ عليه منظر المسيح وهو سائر على شاطئ البحيرة وزبدي مع أولاده والخدَّام يصلحون الشباك، وهذه المناظر هي التي طبعت الرواية في ذهن التقليد الحي الذي يُنقل من جيل إلى جيل. وهكذا يُدخلنا ق. مرقس داخل دائرة الصيادين ونعايشهم كصيادين قبل أن نعيش على تعاليمهم كرسل. أمَّا «هلما ورائي فأجعلكما صيادي الناس» فهي درة الإنجيل التي لن تمحى من فكر الكنيسة إلى الأبد. ويدخل ابن الإنسان هذه الدائرة بصفته معلِّم صيَّادي الناس!

16:1 «وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبصَرَ سِمْعَانَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَةً في الْبَحْرِ، فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ».

«**بحر الجليل**»:

هو بحيرة مقفلة من جميع الجهات في جبال الجليل، وقد ذكر ق. لوقا اسماً حديثاً لها وهو بحيرة جنيسارت، وقد سمَّاها ق. يوحنا بحيرة طبرية، وهي تبلغ 12 ميلاً طولاً وستة أميال عرضاً في أوسع مناطقها، وتُحسب طريقاً بحرياً يصل الجليل بمنطقة بيريه، وتربط جميع المدن على شواطئها، وهي جيدة في صيد الأسماك وقراها كثيرة أهمها بيت صيدا وكفرناحوم ومجدل وطبرية(13).

«**أبصر**»: e

المسيح أبصر كما يُبصر كل إنسان، ولكنه أبصر ماضي الإنسان، حاضره ومستقبله، أبصر مدى أهلية هذين التلميذين لدخول الملكوت، بل ليكونا عاملين فيه وعاملين من أجله. إن رؤية المسيح تخترق حجب الواقع والماضي والمستقبل، بل وأعماق ما في الإنسان. انظر أنت أيها القارئ العزيز لبطرس الرسول وكفاءته، وبالنهاية كيف شهد للمسيح وصُلب وأنت تعرف ماذا أبصر المسيح في بطرس. لقد رأى المسيح في بطرس أنه لا يصلح لصيد السمك بل يصلح لصيد الناس. إنه بصرٌ يجمع الحواس كلها ومعها تمييز إلهي ليرى كل شيء لا كما هو تماماً بل كما ينبغي أن يكون. إنها دعوة المسيح لمنْ كان له أُذنان للسمع وعينان للنظر لينظر، لأنها آذان وعيون سيعمل بها المسيح.

(13) انظر الخريطة.

هذه الصفحة مخصَّصة

لخريطة بحر طبرية

(أنظر الحاشية)

لولم يبصر المسيح بطرس ويدعوه ليتبعه لبقي بطرس صياداً للسمك حتى إلى نهاية حياته ومات وصار نسياً منسياً. المسيح لا يزال يدعو ويدعو لنتبعه، ويا سعد مَنْ يتبعه.

ويحكي ق. مرقس ببساطة أنه بينما كان المسيح ماشياً على شاطئ البحيرة رأى سمعان. وقد ذكر ق. مرقس اسم سمعان 7 مرَّات ولم يستخدم أبداً الاسم مع اللقب ''سمعان بطرس''، ولكنه ذكر اسم بطرس 19 مرَّة. وق. مرقس أكثر من ذكر هذا الاسم بين الإنجيليين. أما نطق ''سمعان'' باللغة العبرية فهو ''شمعون''. وهذه الأسماء عند المسيح توضح مدى العلاقة الوطيدة مع تلاميذه. أمَّا اسم أندراوس أخي سمعان بطرس فهو اسم يوناني علماني، وكان أندراوس وبطرس يعيشان في كفرناحوم، وأندراوس صار واحداً من الاثني عشر.

«**يُلقيان شبكة** ¢mfib£llontaj **في البحر**»:

«يلقيان شبكة» في اليونانية كلمة واحدة. من هذه الآية نُدرك أن ق. مرقس كان مغرماً بهذه المشاهد وهي فعلاً بديعة، وقد نقلها إمَّا عن رؤية أو عن شهود عيان. كذلك من هذه المقدِّمة ندرك أيضاً أن المسيح كان مهتماً بالتعليم أكثر من عمل المعجزات، وهكذا ابتدأ عمله باختيار تلاميذه ليعلِّمهم. ويلاحَظ أن المسيح بدأ يتلمذهم قبل أن يعدَّهم ليكونوا رسلاً. وهنا تظهر قيمة التلمذة قبل أخذ المسئوليات في الكنيسة.

«**فإنهما كانا صيادين**»:

يذكرها ق. مرقس مربوطة ببحر الجليل الآن، ليُظهر نية المسيح أن يجعلهما صياديْن للناس.

17:1 «**فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا تَصِيرَانِ صَيَّادَيِ النَّاسِ**».

«**هلمَّ ورائي**»: Deàte Ñp…sw mou

المسيح هنا يعطي أمراً صريحاً بالتبعية لا كسيِّد يأمر عبداً؛ بل كمعلِّم يدعو تلميذاً بسلطان المعرفة الأفضل.

[Comment [CB1:

«**صيادي الناس**»: ¡lie‹j ¢nqrèpwn

مهنة سماوية شغلها الروح القدس.

هنا المسيح يكشف عن منهجه الروحي الذي نوى أن يصنعه مع تلاميذه، إذ سيعطيهم حرفة سماوية هي اقتناص الأرواح لا اقتناص الأسماك. صيد السمك يحتاج إلى مهارة وذكاء وحيلة لكي يعرف الصياد طبيعة السمك، ثم من نوع سلوك السمك يرتب له الطُّعْم. وعلى نفس المنوال سيعلِّم المسيح تلاميذه كيف يكتشفون طبيعة الناس ويرتبون لهم الطعم الحقيقي، لاقتناص الناس من بحر الخطية وفك أسرهم من

عبودية الشيطان، وذلك بكشف سر الصليب وفعله الجبَّار في النفوس، لذلك سُمِّي الصليب بصنارة أو هلب الخلاص. وما ألذ منظر المعلِّم بين التلاميذ وهو يعلِّمهم أصول مهنة الصيد الجديدة وأجرها العظيم في ملكوت الله! فقط اتبعني! ولكن ويل للذي يتبع وعينه إلى الوراء «لم نأخذ شيئاً»

18:1 «**فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا شِبَاكَهُمَا وَتَبِعَاهُ**».

شباكهما وليس مجرد الشباك، رأس مالهما، صنعتهما، تاريخ حياتهما، كل آمالهما في الحياة. تماماً كأرملة بيت صيدا:

+ «هاتي لي كسرةَ خبزٍ في يدك. فقالت حيٌّ هو الرب إلهك إنه ليست عندي كعكة، ولكن ملء كفٍّ من الدقيق في الكوَّارِ وقليلٌ من الزيت في الكوز، وهأنذا أَقشُّ عودَين لآتي وأعمله لي ولابني لنأكله ثم نموت. فقال لها إيليا: لا تخافي ادخلي واعملي كقولكِ، ولكن اعملي لي منها كعكة صغيرةً **أولاً** واخرجي بها إليَّ، ثم اعملي لك ولابنك **أخيراً**. لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل إن كوَّار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص ...» (1مل 17: 11-14)

وهكذا حينما يُعطي الإنسان أول ما له لله، يُعْطَى ما لله عند الله!! (ملكوت الله). لأن مقياس الله ليس كمقياس الناس، إنه مدهش بل مذهل. إن مالك في يدك، إن احتفظت به لنفسك ذهب من يدك وذهبت يدك معه، وإن سلَّمته ليد الله انضم إلى ما لله وصار مال الله مالك وعاشت نفسك إلى الأبد.

«**فللوقت**»: eÙqÚj

ترجمتها الصحيحة بحسب اللغة اليونانية "**في الحال**" Immediately.

لم يفكِّر بطرس ولا أندراوس أخوه ولم يتشاورا، وجدا أن الدعوة صفقة تساوي الصنعة والعمر كله. نظرا للشباك والمركب والبحر فوجدا أنها نفاية، بل خسارة، أمام خفقة القلب الذي انفتح أمامه الإحساس الغامر بحياةٍ جديدة يضيئها نور الله وبهجةٍ تفوق الوصف. إن السماء التي انفتحت لعين المسيح استطاع أن ينقلها كما هي لكل مَنْ يسمعه ويطيعه ويتبعه:

+ «الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين **تبعتموني**، في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسيِّ مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًّا ...» (مت 28:19)

هي لحظة صغيرة جداً من الزمان حينما يسمع الإنسان صوت الدعوة، فإن ناقشها أو بدأ يزنها تضعف وتتلاشى، وإن هو استجاب سريعاً **وفي الحال** تضخّم الصوت واندفقت الحياة كلها برمتها في قلبه، وانفتحت السماء، وأحس الإنسان أنه بلغ شاطئ الأمان قبل أن يضع رجليه في طريق الله.

ويظل نور هذه اللحظة قائماً لا يمكن أن يخبو أو ينطفئ، وكلما سار الإنسان في الطريق وذاق المصاعب والمقاومات والاضطهادات، كلما شعر أنه بالكاد قد قرب من هذه الرؤية التي رآها في تلك اللحظة، وفي النهاية جداً يقول: «قد أكمل» !

يقول العلماء(14) الذين لم يختبروا ولا سمعوا: إن استجابة ق. بطرس وأخيه بهذه الصورة وفي الحال غير معقولة ويتحتم أن يكون قد سبقها معرفة بالمسيح وحديث وتشويق.

ولكن الدعوة لا تتبع المنطق، مَنْ يترك ماله وحاله وأهله وبيته ليسير وراء المسيح في الأزقة متعباً جائعاً، أي منطق هذا!! لهذا يلزم أن يفهم القارئ أن الدعوة تأتي ومعها كل اقتناعاتها ولا يستطيع أحد لا أب ولا أم ولا صديق ولا رئيس مهما تذللوا للمدعو أن يثنوه عن دعوته. وإن هم أثنوه تحت إغراءات وتهديدات يأخذون دينونة لأنفسهم:

+ «مَنْ أحب أباً أو أمًّا أكثر مني فلا يستحقني.» (مت 37:10)

+ «مَنْ ينكرني قدَّام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات.» (مت 33:10)

19:1و20 **«ثُمَّ اجْتَازَ مِنْ هُنَاكَ قَلِيلاً فَرَأَى يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَهُمَا فِي السَّفِينَةِ يُصْلِحَانِ الشِّبَاكَ. فَدَعَاهُمَا لِلْوَقْتِ فَتَرَكَا أَبَاهُمَا زَبْدِي فِي السَّفِينَةِ مَعَ الأَجْرَى وَذَهَبَا وَرَاءَهُ»**.

القصة مكررة ولكن الدعوة هنا تأتي ليتركا أباهما في المركب وحده يصلح الشباك ويصطاد ويجاهد لإطعام الأسرة وحده. إنها تبدو نوعاً من القسوة، لذلك فدعوة يعقوب ويوحنا أخيه نموذج لتحدِّي العلاقات الأسرية، مؤلمة شكلاً ولكنها تتضمن سمواً فائقاً في تقدير الله ودعوته. هذا التحوُّل صار في المسيحية شهادة فاخرة لموضع الله من الأسرة والحياة اليومية. إن هذه الحركة بحد ذاتها تنطق بغلبة العالم، لأن أقوى ما في العالم هي المشاعر الأسرية والعلائق الإنسانية التي تربط الإنسان بأبيه وأمه وإخوته وأخواته. فالذي استطاع أن يخلخل هذه المشاعر ويغلبها ويتسامى فوقها بروحه حبًّا في المسيح والله يكون قد عبر العالم عبوراً رائعاً مشهوداً له من الله والملائكة. التلاميذ فازوا بشهادة المسيح في صَلاته أمام الله الآب: «لأنهم ليسوا من العالم» (يو 14:17)، لذلك حقَّ للمسيح أن يطلب من الآب أن «يكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم» (يو 26:17). ونُلفت نظر القارئ أن يعيد قراءة هذه الآية مرَّة أخرى، فالمسيح يطلب من الآب أن يسكب على تلاميذه نفس الحب الأبوي الذي يحب به الابن. ما هذا؟ وماذا بقي عند الآب وعند المسيح؟؟

(14) **McNeile, 46; Bartlet, 103; Branscomb, 28; cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 169.**

الخدمة في كفرناحوم

[1: 21- 39]

- **إخــراج الشــيطان داخــل المجمع** (:

6 إخراج الشيطان داخل المجمع

[1: 21-28] (مت 7: 28و29)، (لو 4: 31-37)

قصة معجزية لشاهد عيان، لذلك فنحن نعوِّل كثيراً على المشاعر التي أثارها تعليم المسيح في الشعب: «**فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلِّمهم كمَنْ له سلطان وليس كالكتبة**» (22). هذا تقرير شعبي يُحسب بحسب الإنجيل كوثيقة شرف واعتراف بمدى فاعلية العنصر الإلهي في الشعب. أمَّا تعليق السامعين الأخير الذي خرجوا به فهو تقرير عن تعليم العهد الجديد بأكمله:

+ «فتحيَّروا كلهم، حتى سأل بعضهم بعضاً قائلين: ما هذا؟ ما هو هذا التعليم الجديد؟ لأنه بسلطانٍ يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه! فخرج خبره للوقت في كل الكورة المحيطة بالجليل.» (مر1: 27و28)

وهكذا يحكي ق. مرقس ما نظره وما سمعه شاهد العيان ببساطة دون تعليق، والكلام نفسه يقرِّظ نفسه. وحتى في سرده لقصة إخراج الشيطان نجدها تخلو من أي عوامل الارتباك أو الحيرة، بل بكلمة يخرج الشيطان صارخاً. فالسلطان هنا يكشف مستوى المسيح الفائق، كما لم يُحدث أيَّ عثرة أو خوف للشعب. فالقديس مرقس قادر أن يذلل صعاب السرد والرواية لتصير تعليماً كنسياً سليماً مقطوعاً به. فالقصة بقدر ارتفاع مستوى خطورتها ولكن تنتهي بالإشارة إلى صانع المعجزة وحده. وهكذا كل تعاليمه فائقة عن مستوى الطبيعة تنطق بالمصدر الذي يُخرجها، وكأن السماء تتكلَّم، والأرض بكل ما فيها تخضع وتطيع، أمَّا الشر والشرير فيخضع ويختفي ويبقى المسيح. وفي كل هذا يقف ق. مرقس كراوي تقليد ومعلِّم لاهوت في هدوء دون أن يتدخَّل أو يعلِّق، وهو يُرسي في خزانة الكنيسة تقليدها الإلهي من فم المسيح!

1:21و22 «ثُمَّ دَخَلُوا كَفْرَنَاحُومَ، وَلِلْوَقْتِ دَخَلَ الْمَجْمَعَ فِي السَّبْتِ وَصَارَ يُعَلِّمُ. فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّهُ كَانَ يعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ».

وجه بديع من حياة المسيح، وهي تأتي بحسب إنجيل ق. لوقا (4:16) هكذا: «ودخل المجمع

حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ» كان المسيح يحتفظ بأوجه العبادة التي لإسرائيل حسب العادة، علماً بأن التعليم والوعظ كانا بعيدين عن الأصول، ولكن الرب حفظها لتصلح أن يبدأ منها التجديد وخدمة العهد الجديد واستعلان المسيَّا، مهما كانت البداية قليلة ولكن كاملة ونموذجية. أربعة صيادين سمك بدأ بهم المسيح وضع أساس العهد الجديد.

وكانت خدمة المجامع منتشرة في كل مدينة وقرية لتقديم التعليم العام، وليسمع الشعب التوراة مع شرح كتابي على يد الكتبة. وكانت خدمة السبت عبارة عن صلاة يتبعها قراءة من الناموس ثم الأنبياء، وكانت تُقرأ باللغة العبرية الفُصحى. وعندما ضَعُفت هذه اللغة صارت القراءة والتعليم تتم بالترجمة للغة الأرامية العامية وبعدها الشرح والعظة. وكان رئيس المجمع (السيناجوج) يعزم على أحد الوجهاء أو الأشخاص البارزين ليعظ.

«وصار يعلِّم»: ™d…dasken

يحتل التعليم في إنجيل ق. مرقس جزءاً هاماً من الإنجيل (13:2، 1:4و2، 6: 2و6و34)، وقد استُخدم هذا الفعل did£skw (يُعلِّم) 17 مرّة. وكان تعليم المسيح ''بسلطان''، وتعني هنا الاعتماد المباشر على شخصه في التوضيح والشرح دون الرجوع إلى مصادر خارجية، بالإضافة إلى أن كلام المسيح كان له قوة خاصة آمرة، لا يستعطف الناس بل يوبخ بنعمة، لهذا لم تحتمله الشياطين. فلمَّا قام المسيح ليعظ بدأ يقدِّم تعليمه الروحي الإلهي الواضح المؤثِّر جداً واللائق للنفس ولحاجة الشعب؛ ولكن بسلطان النعمة وقوة الروح القدس الذي فيه، فاندهش الجميع لأن النبرة كانت نبرة الأنبياء.

وهنا يلزمني أن أنبه ذهن القارئ أن تعاليم المسيح كلها ملهَمة وملهِمة، فإذا كانت الأذن مفتوحة للروح القدس يستطيع الإنسان أن يستقبل كلام المسيح بوعي روحي، فتدخل الكلمات القلب وتهزُّه هزًّا، ويشعر الإنسان في الحال أن الكلام مصوَّب له لأن كلام الروح يخاطب كل روح. وكلمة الله من فم المسيح يستحيل أن ترتد فارغة بل لابد أن تصيب هدفها الذي هو خلاص الإنسان مهما كان الموضوع ومهما كانت المناسبة.

23:1و24 «وَكَانَ فِي مَجْمَعِهِمْ رَجُلٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ، فَصَرَخَ قَائِلاً: آهِ مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا. أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ قُدُّوسُ اللهِ».

هذه أول حالة إخراج شياطين وردت في إنجيل ق. مرقس. ويستخدم ق. مرقس كلمة ''الأرواح النجسة'' 11 مرة، وكلها حالات استحواذ الأرواح الشريرة على ضعاف الشخصيات، بمعنى انتهاز الأرواح الشريرة لضعف الإنسان وبُعده عن الله لاحتلال شخصيته وإملاء إرادتها وسلطانها على

فريستها بأوجه عديدة ومحزنة. حتى إن الإنسان يفقد شخصيته وإرادته ويبدأ الروح يتكلَّم بلسان المِسْتَحوَذ عليه ويغيِّر من صوت الإنسان الطبيعي ويعطيه صوتاً آخر قد يكون لذكرٍ أو أنثى، وأحياناً كثيرة يبوح الشيطان باسمه. وبالتحقيق مع أحد الأرواح الشريرة علمنا أن هذا الاسم هو اسم إنسان كان قد استحوذ عليه الروح الشرير وقتله. وقد يكون الروح الشرير أجنبياً فيتكلَّم بلغة بلده الأجنبية إنما عن غير صحة ووضوح. ولكن الشيطان يخضع لسلطان المسيح ويرتعب من اسمه وصليبه، وهنا في هذه الآية يقول: «صرخ» وهذه عادة الأرواح الشريرة فوضوية وصاخبة، ولكن بالأمر تصمت وينخفض صوتها. وإذا كان الاستحواذ تمَّ بواسطة عدة شياطين أو أرواح شريرة فهم يتكلَّمون واحداً واحداً ويخرجون أيضاً واحداً واحداً. والإنسان بعد شفائه وخروج هذه الأرواح الشريرة لا يعي ما كان يتكلَّم به ولا يذكر شيئاً مما كان يعمله، مما يدل على أن الروح يحتل المخ والمنطق وكل الجسم، ويستعبد الإنسان بالأمر والإنسان لا يملك إلاَّ أن يطيعه مهزوماً. وقد عبَّر المسيح عن الإنسان المستحوَذ عليه أنه يكون « بيتاً» خاصاً للروح الشرير (مر 27:3).

والأرواح الشريرة ضعيفة وجبانة ترتعب من سلطان المسيح إذا استطاع الإنسان أن يسلِّطه عليها، فبمجرَّد أن سمع الروح النجس صوت المسيح وهو يعظ لم يطق أن يسمع الوعظ فقاطع المسيح وشوشر على الجماعة، لذلك أخرسه المسيح.

25:1و26 «فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: اخْرَسْ وَاخْرُجْ مِنهُ! فَصَرَعَهُ الرُّوحُ النَّجِسُ وَصَاحَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَخَرَجَ مِنْهُ».

الأرواح الشريرة لا تحتمل اسم المسيح من أفواه أُناس قديسين، ولا تطيق سماع صوت الإنجيل أو علامة الصليب من إنسان قديس. وأحياناً تطلب الخروج وتنتظر كلمة الأمر: «اخرج منه» لأنها بعد أن تدخل هيكل الإنسان يصعب عليها تركه، لذلك تلتمس قوةً من المعزِّم، لأن الأمر الصادر من إنسان فيه روح الله يُلزم الروح الشرير بقوة ضاغطة على الخروج. والصوت العظيم الذي يصرخ به الروح عند الخروج هو انهزام وشوشرة. وقول الآية إنه «صرعه» يوضح أن هذه حالة الانفكاك من رباط الروح الشرير التي لا يحتملها جسم الإنسان، لأن استحواذ الروح على الإنسان يُفقد الإنسان حرية حركته، وخروج الروح يمزِّق النفس ويتركها مهدودة. إنها سكنى حقيقية مؤذية قد تترك في الإنسان عاهات عند خروج الروح، إذا لم يكن المعزِّم قويًّا وله سلطان. والأرواح الشريرة تعيش جماعات جماعات ولها قيادة ورئاسات، والروح لا يعرف إلاَّ رئيسه فلا يعرف رئيس رئيسه.

شكراً لله بيسوع المسيح الذي أعطى الإنسان السلطان لإخراج هذه الأرواح:

+ «يُخرجون الشياطين باسمي!» (مر 17:16)

27:1 «**فَتَحَيَّرُوا كُلُّهُمْ، حَتَّى سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ: مَا هذَا؟ مَا هُوَ هذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟ لأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتُطِيعُهُ!**».

«**فتحيَّروا كلهم**»: qamb»qhsan™

المعنى بحسب الكلمة اليونانية وبحسب الترجمة الإنجليزية: ‘‘اندهشوا amazed’’ والتي تعني: ‘‘شدَّة الاندهاش’’. والاندهاش الشديد هنا راجع إلى أن المسيح أخرج الشيطان بالأمر بكلمة واحدة، في حين أن إخراج الشياطين عند اليهود كان يحتاج إلى أعمال وأقوال كثيرة، ولكن هنا اعتمد إخراج الشيطان على تأثير المسيح بشخصه فقط. والإخراج كان واضحاً ومباشراً دون أي محاولة ماكرة أو ألاعيب كما تعوَّد المشعوذون.

«**التعليم الجديد لأنه بسلطان** ...»:

الجديد هنا بمعنى نوعية التعليم. فتعليم المسيح مؤيَّد بسلطان، وهذا بحد ذاته لم يروه أو يسمعوه سابقاً، لأن إخراج الشيطان لم يكن بمحاولات ولكن بأمرٍ مباشر، والأمر واضح أنه بسلطان مَنْ هو أقوى من الشيطان، كما أوضح المسيح ذلك قائلاً:

+ «حينما يحفظ القوي داره متسلِّحاً تكون أمواله في أمان، ولكن متى جاء **مَنْ هو أقوى منه** فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزِّع غنائمه.» (لو 11: 21و22)

نشكر الله بيسوع المسيح الذي جعلنا في حِمَى الأقوى وهزم مَنْ سبق واستعبدنا.

28:1 «**فَخَرَجَ خَبَرُهُ لِلْوَقْتِ فِي كُلِّ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْجَلِيلِ**».

كان خروج خبر يملأ كل الجليل وما يحيطه بخصوص المسيح قائماً على أمريْن واضحين: الأول مستوى تعليمه الجديد، والثاني تفوقه على الشياطين على مستوى يفوق الطبيعة وباقتدارٍ سماوي، وهنا تلميح من ق. مرقس لبدء استعلان المسيَّا بين جميع الناس.

7 شفاء حماة سمعان

[1: 29- (مت 8: 14و15)،
31] (لو 4: 38و39)

هي أيضاً قصة معجزية تقف أيضاً لتشهد لشاهد عيان، وتفاصيلها ذات قيمة روائية كبيرة. فالبيت بيت سمعان وأندراوس أخيه، وتصادف وجود يعقوب ويوحنا أخيه، وبمجرَّد أن أبلغوه عن مرضها تقدم في الحال. وهنا لم يتكلَّم المسيح بشيء ولكنه مدَّ يده وأقامها، والنتيجة بسيطة وقويَّة وفي كلمتين: « **فتركتها الحمى** وقامت وخدمتهم» وبهذا يُظهر ق. مرقس كيف بكلمات خاطفة يوفي أركان الرواية، في حين في رواية القديس متى والقديس لوقا رفعوا من قيمة المعجزة وحذفوا التفاصيل وكأنها لا لزوم لها، مع أن التفاصيل التي أعطاها القديس مرقس هي التي أعطت القصة حيويتها التي انطبعت على التقليد ودخلت كأدوات حفظ. وهذه هي قدرة ق. مرقس الفذَّة في رواية القصة وجعلها كأنها أنشودة أو بيت شعر قابل للحفظ والرواية. ويقول أحد العلماء النقَّاد وهو لوهميير(15) إن في جميع قصص ق. مرقس لا يوجد مثل هذه القصة التي تحفظ ذكر القصة من على بعد وتجعلها هكذا قريبة وكأنها قصة أمس.

1:29و30 «**وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ المَجْمَعِ جَاءُوا لِلْوَقْتِ إلى بَيْتِ سِمْعَانَ وَأَنْدَرَاوُسَ مَعَ يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَكَانَتْ حَمَاةُ سِمْعَانَ مُضْطَجِعَةً مَحْمُومَةً، فَلِلْوَقْتِ أَخْبَرُوهُ عَنْهَا**».

من القصص النادرة في إنجيل ق. مرقس التي تصف حادثة خاصة جداً بأحد التلاميذ وهو ق. بطرس، فهي تختص بحماته ومرضها وهي ملقاة على الأرض بحمى شديدة. والوصف دقيق ولشاهد عيان والحادثة بعيدة زمنيًّا، فقد مضى عليها نحو 15 سنة عند تدوين ق. مرقس لإنجيله، والوصف يأتي بدقة كما يصف الإنسان شيئاً قد حصل أمس. هذا يوحي أن ق. بطرس هو صاحب هذه الرواية التي نقلها للقديس مرقس شفاهاً، ولكن يُستفاد من هذه الملابسات أن هذه الحادثة كانت ذات تأثير

(15) **E. Lohmeyer, *Das Evangelium des Markus* (Göttingen, 1937) p. 40, cited by W. Lane, *The Gospel of Mark*, 1974, p. 77 n.**

شديد جداً على نفسية ق. بطرس، حتى إنه يتذكرها بهذه الدقة ويذكرها بعد سنين كثيرة.

والملاحَظ أن هذه الحادثة أتت بعد رواية دخولهم المجمع وممارسة شفاء الذي كان عليه روح نجس. فالتلاميذ الأربعة كانوا حاضرين: بطرس وأندراوس ويوحنا ويعقوب. ويبدو أنهم كانوا متأثرين جداً بقوة الشفاء التي أجراها المسيح على مَنْ كان عليه الروح النجس. فبمجرَّد أن دخلوا بيت سمعان بطرس وسمعوا بمرض حماته تقدَّموا للمسيح بطلب شفائها.

ويبدو من قول القديس مرقس أنهم توجهوا إلى بيت سمعان بعد خروجهم من المجمع مباشرة، أنهم حضروا لتناول الطعام بعد الصلاة. والدليل على ذلك أن هذه الحماة بعد أن شُفيت قامت وأعدَّت لهم الطعام. فالرواية شديدة الحبك، ومنها نستدل أن بيت ق. بطرس كان محطًّا للمسيح والتلاميذ لتناول الطعام كلما سنحت الفرصة عند الاقتراب منه.

31:1 «**فَتَقَدَّمَ وَأَقَامَهَا مَاسِكاً بِيَدِهَا، فَتَرَكَتْهَا الْحُمَّى حَالاً وَصَارَتْ تَخْدِمُهُمْ**».

القديس لوقا يزيد أن الحمَّى كانت شديدة، ويظهر ذلك في إنجيل ق. مرقس إذ أنها لم تستطع أن تقوم لاستقبال المسيح، فلمَّا حاولت ولم تستطع، مسك بيدها فقامت في الحال وقامت بصحة وراحت الحمى. وهنا من القول بأن الحمَّى كانت شديدة وأن حماة بطرس قامت في الحال يأتي معنى الشفاء الإعجازي، إذ بمجرد أن أمسك صاحب الحياة بيد المريضة دخلت إليها الحياة وهربت الحمى الشديدة التي كانت تحمل معها التهديد بالموت. وكان هذا في الحقيقة علة كل الأشفية التي صنعها يسوع ولا يزال، أنه بمجرَّد أن يمسك أو يأمر المسيحُ ـ صاحبُ الحياة ـ أيَّ مريض مهما كان مرضه مميتاً تدخله الحياة بصحتها. فالمسيح لا يشفي فقط بل يعطي روح الحياة بصحتها. وهذه القوة المحيية وضحت جداً عند المسيح في إقامة لعازر من الموت، فحتى الميت حينما تلقَّى كلمة من صاحب الحياة قهر الموت وقام صحيحاً. وقد ربط المسيح المرض بالخطية حينما قال للمريض مغفورة لك خطاياك، فمهما كان المرض وبأي نوع كان، فهو مربوط أصلاً بالخطية كمسبِّب مبدئي وأساسي، والمسيح جاء ليعطي الحياة الأبدية عن طريق مغفرة الخطايا، فبالأقل جداً الحياة الأرضية يتحتَّم أن تستعاد قوتها بغفران الخطية. وحتى الطفل إذا مرض بأي مرض فهذا أصلاً وبالأساس بسبب خطية الإنسان ونتائجها الموروثة والمسببة للموت. فالخطية هي اللعنة التي ورثناها من آدم، وهذه لعنة الموت بحد ذاتها التي لما رفعها المسيح نلنا في الحال الحياة الأبدية، رغماً عن الخطية ورغماً عن المرض ورغماً عن الموت بأي صورة كانت، لأنه تعامل مع هذه اللعنة بكل موروِّثاتها بأن أخذها في جسده واستهلك قوتها وأبادها. فأصبحت **الخطية فاقدة حكم اللعنة والمرض فاقداً حكم اللعنة**

والموت الجسدي فاقداً حكم اللعنة. فبالبرغم من هذه كلها يأخذها الإنسان في جسده وبالرغم منها يحيا الحياة الأبدية. فشفاء المسيح للحمى الشديدة التي كانت في جسد حماة بطرس وإقامتها بصحة هو في الحقيقة المسيحية صورة عملية تطبيقية لنوال القيامة من الأموات للحياة الأبدية. فيمكن أن نرى كيف أقام المسيح هذه المرأة من الحمَّى حالاً - بصورة مختصرة - **بأن أخذ حُمَتها في جسده واستهلكها وأبادها فقامت المرأة حالاً صحيحة معافة**: «**هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا**» (مت 17:8 نفس قصة شفاء حماة سمعان). وبصورة أكثر توضيحاً: المسيح أخذ الخطية التي سببت الحمى في جسده على الصليب مع كل الخطايا وأبادها بموت الجسد القدوس ثم أقام هذه المريضة الميتة معه في قيامته للحياة.

8 الشفاء عند غروب الشمس

(بدء اليوم الجديد بعد السبت)

[1: 32- 34] (مت 8: 16و17)، (لو 4: 40و41)

هنا تذكار يوم تاريخي من أيام المسيح. فقد ملأ يومه بالأعمال والأشفية في داخل بيت ق. بطرس، ولكن لم يستطع أن يصنع معجزات شفاء خارج البيت **لأن اليوم كان سبتاً**(16). وهذه هي العلَّة في قول ق. مرقس: «**ولمَّا صار المساء**»، أي عند لحظة انتهاء السبت إذ يحل فيه السير وحمل المرضى. لذلك بحضور المساء تجمَّع جمع غفير على باب بيت ق. بطرس يطلبون الشفاء. وتعليق ق. مرقس جاء ببساطة هكذا: «فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة» ومن الذين استحوذ عليهم الشيطان، **وكان يُخرس الشيطان حتى لا يتكلَّم** ويشوِّش على عمل المسيح. أمَّا ق. لوقا فيرفع من صورة المعجزات ويسجِّل أن المسيح كان يضع يده على كل واحد. كذلك في إنجيل ق. لوقا ترك الشياطين تصيح وتعترف: «أنت هو ابن الله» (لو 4: 40و41) قبل أن ينتهرهم، مع أن ق. مرقس اهتم كثيراً بأمر المسيح للشياطين حتى لا تتكلَّم لأنهم كانوا يعرفونه. وطبعاً هذا المبدأ

(16) هذا الأمر غاب عن كثير من العلماء والشرَّاح الذين لم يوقظ قريحتهم ما ذكره القديس مرقس أنهم لم يقدموا المرضى إلا بعد ''غروب الشمس''، وما يعني ذلك من جهة حفظ الناموس.

عند ق. مرقس قائم على أساس سرية استعلان المسيَّا.

32:1و33 «وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ، إِذْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَدَّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ والْمَجَانِينَ. وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا مُجْتَمِعَةً عَلَى الْبَابِ».

يؤكِّد العلماء أيضاً أن هذه الرواية منقولة عن شهود عيان، غير أنها لا تُحسب عجائبية، والجديد فيها ربطها **بالوقت** من النهار عند غروب الشمس، وبالمكان **عند الباب** أي بيت سمعان بطرس. فهي ختام يوم تذكاري هو يوم شفاء حماة بطرس، لذلك يُرجَّح أنها من إملاء ق. بطرس. والملاحَظ جداً في هذه الرواية الميعاد عند غروب الشمس، لماذا ذكر ق. مرقس هذا الميعاد؟ واضح أنه في نهاية يوم السبت حيث يمكن للناس أن يسيروا من أماكن بعيدة دون كسر الناموس. وهذا يوضح لنا عَرَضاً مقدار حفظ الشعب لنظام الناموس بالرغم من حاجتهم الملحّة للشفاء. وأيضاً ذكر «على الباب» يكشف أن المسيح ومعه الأربعة تلاميذ كانوا داخل البيت وربما كان في نيتهم المبيت، لذلك تكاثر الشعب المريض عند الباب بإلحاح أن يخرج ويشفيهم. كذلك نستشف من هذه القصة أن أخبار المسيح كانت تُذاع بسرعة التليفون عندنا، فكيف عرف الشعب المكان الذي فيه المسيح إلاَّ بتناقل الأخبار بمنتهى السرعة. إذن، صحَّت المقولة السابقة أن خبر المسيح في عملية الشفاء الذي تمَّ للذي به الروح النجس ذاعت في كل نواحي الجليل؛ هي صادقة وها هو البرهان. إذن، فالرواية التي يرويها ق. مرقس في إنجيله متماسكة ومعتمدة بعضها على بعض بصورة تكاد تكون إعجازية لإنسان يكتب إنجيلاً.

34:1 «فَشَفَى كَثِيرِينَ كَانُوا مَرْضَى بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَخْرَجَ شَيَاطِينَ كَثِيرَةً، وَلَمْ يَدَعِ الشَّيَاطِينَ يَتَكَلَّمُونَ لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ».

يكشف القديس مرقس هنا القوة الماسيَّانية التي للمسيح عن طريق الشفاء للأمراض المختلفة مع إخراج الشياطين. غير أن المسيح نفسه لكي لا يُفصح عن القوة الماسيَّانية التي يمارس بها عمله في الشفاء، كان يُخرس الشياطين التي تعوَّدت الإعلان عن حقيقته. فلأنهم تمادوا في الصراخ باسمه ولقبه كان يشترط عليهم في الخروج أن لا ينطقوا باسمه. كما انتهر تلاميذه أن لا يقولوا لأحدٍ عنه أنه المسيَّا ابن الله. لأنه لا يريد أن يُلزم الناس بالإيمان به بل كان يترك حاسة الإيمان تعمل حرَّة دون إيعاز أو ضغط.

هكذا كان العالم الذي جاءه المسيح: مرضى كثيرون، وكثيرون استحوذت عليهم الأرواح

الشريرة، عالَم يئن تحت ثقل الخطية وآثارها المدمِّرة. وهكذا جاء ابن الله طبيباً مداوياً ومعلِّماً يعلِّم الحق، ليشفي الأجساد والأرواح.

اكتظت طرقات كفرناحوم وأزقتها بالمشلولين محمولين على الأيدي، بالعرج، بالعمي، بالصم، بالموجوعين بكل أنواع الأمراض. منظر حزين وكئيب، مرضى محمولين ومرضى يزحفون ومرضى يصرخون، بشرية مضروبة بضربة بلا شفاء. بعضهم بات على أسوار المدينة وبعضهم ما أن غربت الشمس حتى تسابقوا يتزاحمون ويتساقطون ولا مِنْ معين ولا مَنْ يرحم. وأخيراً وصلوا إلى الباب، الباب الوحيد المفتوح للبشرية في السماء والأرض. خرج يسوع وما أن هلَّ بحضرته حتى شفى البعض، وصرخت الشياطين وخرجت، لم تطق رؤياه، والبعض لمسهم، والبعض بمجرد أن نظروه عوفيت أجسادهم وأرواحهم. وبعكس ما جاءوا بالحزن والألم والأنين والصراخ، ذهبوا بالفرح يجرون ويتسابقون ويهلِّلون. صورة واقعية أشد ما تكون الواقعية للبشرية في بُعدها عنه ثم في قُربها منه. وهذا هو المسيَّا شهدت له أعماله قبل أن تشهد له أقواله. وهذا هو ق. مرقس كيف في صورة واحدة جعل الواقع الحي ينطق بالمسيَّا، وكأنما كل مجموعة آيات تقف لتردِّد: «إنجيل يسوع المسيح ابن الله» !

ليست كفرناحوم والجليل وما حواليها هي التي انفردت بالمرضى والمعذبين من الشياطين، بل العالم كله. العالم يدفع كل يوم ضريبة البعد عن المسيح ولا يريد أن يتقدَّم إليه لينال الصحة والحياة: المسيح يرى ذلك فارداً ذراعيه: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت 28:11). ولكن كما قالها الله في القديم: «بسطتُ يديَّ إلى شعبٍ معاند ومقاوم» (رو 21:10)، وهم «أعطوا القفا لا الوجه» (إر 24:7)، ذهبوا «كل واحد إلى طريقه» (إش 6:53)، و «تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشقَّقة لا تضبط ماءً» (إر 13:2)، «تركوني أنا الحبيب مثل ميتٍ» «نُسيت من القلب مثل الميت» (مز 12:31)، و «لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة!!» (رو 29:9).

9 الخروج إلى الخلاء ليصلِّي

[1: 35-39] (لو 4: 42-44)

قصص المسيح في إنجيل ق. مرقس تختلف عن جميع القصص الأخرى، فهي ليست على مستوى الذات بمعنى أنها دائماً مفتوحة على الآخرين، إذ أن المسيح لم يعمل ولم يتحرك ولم يتكلَّم لذاته، فكل ما يُحكى عنه هو للآخرين. فمن العجب حقًّا أن يذهب المسيح إلى الخلاء ليصلِّي فيلاحقه تلاميذه بالقول: «الجميع يطلبونك» فلا نسمع منه ''اتركوني في خلوتي لأصلِّي''؛ بل ''لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك''. نعم حياته وراحته وخلوته وصلواته كانت ليست له!! وهو نفسه يعطي العلَّة لذلك: «لأني لهذا خرجت» (مر 1:38). وفي آية واحدة جمع ق. مرقس خدمة أيام كثيرة بجملتها: «فكان يكرز في مجامعهم في كل الجليل ويخرج الشياطين.» (مر 1:39)

35:1 «**وَفِي الصُّبْحِ بَاكِراً جِدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ، وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ**».

القصة لشاهد عيان من داخل البيت، لأن وصف الصباح الباكر جداً يعني: وبقايا الليل لا تزال، أو يُقال: باكراً والظلام باقٍ. هذا التحديد يحكي على أن الذي يروي كان قد استيقظ في آخر الليل فبحث عن المسيح ولم يجده في البيت، فعرف أنه ذهب خارجاً، ويبدو أن هذه كانت عادته، يذهب إلى مكان خلاء ليصلِّي. وقد حددت الكنيسة صلاة باكر بحسب هذا التحديد والظلام باقٍ!!

«**قام وخرج ومضى**»:

يلزم أن الذي نقل هذه الرواية عن المسيح كان يرصد تحركات المسيح وأحس به لما قام في صمت وهدوء وخرج من الباب ومضى في طريق الخلاء ـ غالباً خارج المدينة ـ والناس نيام.

والمسيح كان يحب الصلاة في الأماكن الخالية والجبال. ويبدو أن عدد المرات التي استطاع الإنجيل أن يرصدها في إنجيل ق. لوقا هي ثماني مرات وفي إنجيل ق. مرقس أربع مرات.

وهذه الآية متصلة بالآية السابقة اتصالاً سريًّا، فخدمة مرضى المدينة كلها إلى ساعات متأخرة من الليل يتحتَّم أن يقابلها في الصباح الباكر خلوة وصلاة وعرض الحياة على الآب السماوي.

فالصلاة هي الينبوع السري الذي يمْنح للخدمة والعمل والوعظ قوتها وفاعليتها. فسر اندهاش الناس من السلطان والقوة التي كان يعلِّم ويعمل بها المسيح، كان منبعه الصلاة السرية التي كان يتحدَّث فيها مع الآب حيث القوة والسلطان ورفع الفكر والإرادة لتتعادل مع الذي للآب. لأن في الصلاة ترتفع قوى العقل والروح لتبلغ كمالها **فيما هو للآب**: «ينبغي أن أكون فيما لأبي» (لو 49:2). أمَّا الخلاء بالنسبة للصلاة فهو للحديث سرًّا مع الآب ولا رقيب ليسخِّن قوى النفس في الهدوء بلا انزعاج، ولتشبع الروح من منابع الصفاء الإلهي. وبقدر التعمق في هدوء الخلوة بقدر ارتفاع سعة الصلاة وعلوها وامتدادها.

وهنا تأتي نصيحة المسيح الذهبية: «وأمَّا أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك واغلق بابك» (مت 6:6)، فالذي ليس له باب يُغلَقْ ليست له صلاة تُسمع، وفي الخفاء يرى الله ما لا يراه الناس.

إن صورة المسيح الواقف على قمة التل خارج المدينة يصلِّي هي الصورة الحية التي لا تزال قائمة تفيض على العالم قوة وسلاماً، ويستمد منها كل مَنْ وقف يصلِّي قوة وسلاماً وحياة.

36:1و37 «**فَتَبِعَهُ سِمْعَانُ وَالَّذِينَ مَعَهُ. وَلَمَّا وَجَدُوهُ قَالُوا لَهُ: إِنَّ الْجَمِيعَ يَطْلُبُونَكَ**».

سعى سمعان بطرس وأخوه أندراوس ويعقوب ويوحنا سعياً حثيثاً خلف المسيح يطلبونه بعد أن وجدوا الجموع قد تزاحمت مرَّة أخرى حول البيت، مرضى ومعذبون بالأرواح الشريرة. ولكن لم يستطع الأربعة أن يدركوا أن لولا الصلاة ما كانت خدمة وما كانت قوة على الخدمة.

ألحُّوا على المسيح بالعودة إلى البيت ليصنع رحمة وشفاء لتلك الجموع المتراصة؛ ولكن رأى المسيح أن لا يركز عمله في مدينة واحدة، فهو جاء من أجل الجميع.

38:1و39 «**فَقَالَ لَهُمْ: لِنَذْهَبْ إِلى الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لأَكْرِزَ هُنَاكَ أَيْضاً، لأَنِّي لِهذَا خَرَجْتُ. فَكَانَ يَكْرِزُ فِي مَجَامِعِهِمْ فِي كُلِّ الْجَلِيلِ وَيُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ**».

لقد استوفت خدمة الشفاء ومعجزاتها حدها، وبدأت الكرازة بالأخبار السارة تضغط على نفسه لأنها أساس خروجه من عند الآب، الذي فيه قمة سعادته لاستعلان الآب والحياة الأبدية. لأن المقارنة حادة: هل يشفى الإنسان أم يفتح روحه للحياة الأبدية؟ فهل ننسى أن المسيح فضَّل أن يدخل الإنسان أَعْوَرَ أو أقطعَ ملكوت الله مِنْ أن يكون صحيحاً معافىً ويُلقَى في جهنم؟ أم ننسى بولس الذي ألحَّ ثلاث مرَّات على الله أن يُشْفَى من لطمة الشيطان فكان رد المسيح أن: «تكفيك

نعمتي: لأن قوتي في الضعف تُكْمَلُ» (2كو 9:12). علماً بأن المسيح استخدم المعجزة والأشفية لغرض الإيمان وقبول نعمة الخلاص والحياة الأبدية، وليس كمجرد عمل رحمة بحد ذاتها، أو لاستظهار قوته على الشياطين. فإذا استخدم السلطان علناً فذلك لكي يعلن مجيئه كمسيَّا، وإذا كان قد تحنن وشفاهم فذلك لكشف عمل محبة الله عبر الابن الوحيد.

10 شفاء الأبرص

[1: 40- 45] (مت 8: 1 - 4)، (لو 5: 12-16)

لا نعثر هنا على أسماء أشخاص أو مواضع، فهي كلها شهادات في التقليد رسخت منذ البدء لا كقصص متكاملة بل حوادث متفرقة يجمعها ق. مرقس دون أن يعطيها شكل القصة. وقول المسيح للأبرص بعد أن شُفي: «أرِ نفسك للكاهن» يُحسب لفتة عظيمة للغاية بالنسبة لليهود المتنصرين حديثاً، إذ يعطي للناموس مكاناً: «وقدِّم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم» (44:1). ولأول وهلة يظن القارئ أن المسيح يرتد إلى بقايا العهد القديم وفرائض الناموس؛ ولكن الحقيقة أعمق من ذلك. فالأبرص المعروف أنه صار أبرصَ لسنين طويلة يستحيل عليه بعد أن شُفي بواسطة المسيح أن يمشي بين الناس أو يتعامل مع أحد إلاَّ بعد أن يمنحه الكاهن شهادة موثَّقة أنه صار طاهراً، لأنه معروف وسط الحي وجميع الناس، ويستحيل على الكاهن أن يعطيه هذه الشهادة دون أن يقدِّم الذبائح المفروضة على الأبرص حينما يُشْفَى. فالمسيح بنصيحته هذه للأبرص الذي شُفي إنما يسعى لضمان صحة نفسه وسط الجماعة وقبول المجتمع له. غير أن الأبرص صار طاهراً بمجرد قول المسيح له: «**أريد فأطهر**». هنا الكلمة ذات قوة تطهير، أمَّا ”لمسة“ المسيح فهي لتسريب قوة شفاء للجسد وتطهيره بالروح. وقد أخطأ العلماء عندما احتسبوا هذه القصة أنها ليست معجزة لأن المسيح استعان بالناموس، هذا غباء لأن المعجزة قد تمَّت بالكامل ولم ينقصها شيء بالنسبة للناموس؛ ولكن الأبرص نفسه هو الذي يحتاج إلى شهادة من الكاهن، وشهادة الكاهن ستُثبت معجزة المسيح لأنه سيعترف له أنه قد شُفي!

40:1-44 «**فَأَتَى إِلَيْهِ أَبرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِياً وَقَائِلاً لَهُ: إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِر أَنْ تُطَهِّرَنِي! فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: أُرِيدُ، فَاطْهُر. فَلِلوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرصُ وَطَهَرَ.**

فَانْتَهَرَهُ وَأَرسَلهُ لِلْوَقْتِ، وَقَالَ لَهُ: انْظُرْ، لاَ تَقُلْ لأَحَدٍ شَيْئاً، بَلِ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ للكَاهِنِ وَقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ مَا أَمَرَ به موسَى، شَهَادةً لَهمْ».

معروف أن هذا المرض شديد العدوى وهو ينتقل وينتشر بالملامسة. وفي وصايا العهد القديم كان على الأبرص أن يسير وحده، وإذا رأى أحداً مقبلاً نحوه يصيح: «نجس نجس» حتى لا يقترب منه أحد (لا 13: 45و46)(17). له رائحة كريهة ومنظرٌ كريهٌ وآلام مبرِّحة ويُكتَب على المريض به أن يعيش منعزلاً، وفي الوقت الحاضر توجد معازل خاصة بالمرضى بهذا المرض. وكان يلذ لله أن يُظهر قوته في الإبراء منه، فأليشع النبي شفى نعمان السرياني من البرص بمجرد نزوله في الماء في الأُردن عدة مرَّات. أمَّا المسيح فقد أجرى أشفية كثيرة لهؤلاء المرضى. وظاهرة جديدة بديعة ظهرت في سلوك المسيح ومشاعره تجاه هذا الأبرص، إذ تقول القصة إن المسيح تحنَّن عليه، ولكن ليس لمجرَّد الحنان كعاطفة؛ بل حنان البذل والحب الفائق إذ مدَّ إليه يده **ولمسه**، وهناك خطورة العدوى، ولكن المسيح رحَّب بالعدوى لأنه أخذ مرضه بالسر الإلهي واستهلكه وأباده في جسده المقدَّس فشفى المريض في الحال: «لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل: هو **أخذ أسقامنا** وحمل أمراضنا.» (مت 8:17)

هو سر مهول ومخوف جداً: على أي أساس يتحنَّن المسيح وما الثمن الذي يدفعه حينما يلمس أبرص ليُشفى؟ قد يبدو بسذاجة أن الشفاء حدث من تلقاء نفسه، ولكننا عرفنا مؤكداً ومن فم المسيح السرَّ الذي كشفه عفوياً: أن «قوة تخرج منه» ليتم شفاء المرأة نازفة الدم (مر 5:30)، والأبرص بالضرورة. إنه خارج عن إمكانية تصوُّرنا وفهمنا وإدراكنا كيف ”أخذ“ سقم البرص في جسده وماذا تمَّ حتى لاشاه من جسد المريض؟ إنه لمن السذاجة أن نعتبر أن الأشفية تمت بمجرَّد كلام وبمجرَّد لمس اليد! إن الجسد المقدَّس الذي للمسيح تحمَّل عبئاً مريعاً لكي يتم غفران خطايا العالم: آلاماً مروعة قبل وعلى الصليب، فليس بسهولة وليس بلا ثمن ولا ألم ولا عناء يتم الشفاء؛ ولكن قوة إحراق الخطية في جسده المقدَّس لا نستطيع أن ندركها ولا هي تتم على مستوى آلام البشر أو تترك أثرها كما في أجسام الناس. لأن نار اللاهوت قوة مطهِّرة فائقة العمل والوصف والسرعة تحرق كل ما هو سلبي، ولكنها لا تحرق قط بل وتشدِّد كل ما هو مقدَّس. اسمع ما قاله النبي لما استشفّ السر: «أحزاننا حملها وأوجاعنا **تحمَّلها**» ... «**مسحوق** لأجل آثامنا» ... «الرب وضع عليه إثم جميعنا» ... «أثامهم هو يحملها» ... «**حمل** خطية كثيرين.» (إش 53: 4و5و6و11و12)

---

(17) وكان إذا طَهُر الأبرص بأي وسيلة فكان عليه أن يذهب للكاهن ليفحصه ويعمل له طقس تطهير ويسلِّمه شهادة بُرءٍ (لا 14).

صحيح أننا على الصليب وما قبله رأيناه وشاهدناه ولمسناه وشعرنا به وتأكدنا منه، ولكن مَنْ يعرف ومَنْ يدري أنه وُلِدَ مصلوباً وعاش مصلوباً وهو مصلوب منذ إنشاء العالم. المسيح كان كل مرَّة يشفي فيها مريضاً كان يمارس صليبه، كان يتجرَّع كأس آلامه، وكأنه يذوق موته مسبقاً.

يا قارئي العزيز ليس مجَّاناً غُفرت خطايانا ولا مجَّاناً نتنعَّم الآن بنعمة المسيح!!!

[أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فلنسبحه ونباركه ونزيده علواً].

(التسبحة السنوية ــ مرد ثيئوتوكية الجمعة)

لذلك إن لم نفرح بغفران خطايانا ونتهلَّل بحياتنا الجديدة ونستمتع بنعمته ونفرح بالروح كل يوم، يكون المسيح كأنه تألم بعيداً عنَّا وذُبح بدوننا مع أننا تألمنا وصُلبنا ومتنا معه!!

الجديد والعجيب في هذه القصة أن يقترب أبرص من المسيح، كاسراً قانون عزل الناموس، ويبادر بإحراج المسيح كاشفاً رحمة المسيح ومستوى إرادته من نحوه!! وكأنها جاءت كمحاولة لاستعلان ألوهية المسيح. لأن الأبرص لم يسأل المسيح ولا هو توسَّل من بعيد أو ترجَّى بالإشارة؛ بل هو تحدَّى الناموس وتحدَّى مرضه وتحدَّى حب المسيح معاً. وترجمة هذه المبادرة من جهة الأبرص هكذا: ''هل عندك إرادة لتشفي مريضاً أبرص؟ وإن أردت هل لديك قدرة أن تشفيني؟''. والجديد في الأمر أن المسيح قَبِل التحدِّي. فمن جهة الإرادة قال له أريد! ومن جهة القدرة لمسه، فطهر!! هذا عجب المسيح والإنجيل والقديس مرقس الذي يحبك هذه القصة بهذا القدر ليكشف ماسيانية المسيح، ويحقق ما تعهَّد به في أول الإنجيل: «إنجيل يسوع المسيح ابن الله» فهذه القصة تقول إن يسوع هو حقًّا المسيح. ولكن المسيح يتمادى في إنكار ذاته ويختفي وراء الناموس ويقدِّم الهيكل والكاهن ويؤخِّر نفسه، فيقول للأبرص:

أولاً: انظر لا تقل لأحد شيئاً.

ثانياً: اذهب أرِ نفسك للكاهن.

ثالثاً: قدِّم قربانك حسب الناموس.

رابعاً: اعترف للكاهن شهادةً لحق الناموس وموسى أنك طُهِّرت وها أنت عملت بحسب كلام موسى.

وتمَّ قول المسيح الذي قاله يشرح نفسه والإنجيل:

+ «ما جئت لأنقض (الناموس) بل لأكمِّل.» (مت 17:5)

45:1

«**وَأَمَّا هُوَ فَخَرَجَ وَابْتَدَأَ يُنَادِي كَثِيراً وَيُذِيعُ الْخَبَرَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ** (المسيح) **يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَدِينَةً ظَاهِراً بَلْ كَانَ خَارِجاً فِي مَوَاضِعَ خَالِيَةٍ وَكَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ**».

فبالرغم من توصية المسيح للأبرص وتحذيره له أن لا يقول لأحد شيئاً خاصة عن مَنْ شفاه، إلاَّ أنه لم يُطع أمر المسيح بل تمادى في الصياح من كثرة انفعاله، وأسند ما حدث له وكيف حدث إلى المسيح باعتباره (الشفاء) معجزة حياته. وواضح أن المسيح كان يطالب التلاميذ أن لا يقولوا عنه، وأمَّا الشياطين فكان ينتهرهم ويأمرهم بالصمت، وهذا الأبرص أيضاً أن يكتم سر شفائه، كل هذا حتى يستطيع المسيح أن يخدم في هدوء ولا يضطر للخروج خارج المدن حيث يزداد تعبه وتعب الناس. ولكن المسيح على كل حال كان يمارس حنانه وحبه للخطاة والمرضى ويكرز في كل وقت وكل مكان دون ملل. وبعد شفاء الأبرص اضطر أن يخرج بعيداً خارج المدن وكان الشعب يتقاطر نحوه من كل مكان.

الأصحاح الثاني

11	المشلول والخطية	(2: 1 ـ 12)
12	دعوة لاوي بن حلفى	(2: 13 و14)
13	الأكل مع العشارين والخطاة	(2: 15ـ17)
14	سؤال المسيح: لماذا لا يصوم تلاميذه؟	(2: 18ـ22)
15	السبت وأكل السنابل	(2: 23ـ 28)

11 المشلول والخطية

[2: 1-12]

(مت 9: 1ـ 8)،

(لو 5: 17-26)

[مصادمات مع الكتبة والفريسيين:

أ ـ لماذا يتكلَّم هذا بكلام تجاديف؟]

قصة مركبة ذكرها ق. مرقس ليوضِّح علاقة الإيمان بالشفاء ثم علاقة المرض بالخطية، ثم إعلان المسيح لنفسه لأول مرَّة أنه هو ابن الإنسان الذي جاء ـ من عند الله ـ محمَّلاً بقوة غفران الخطايا.

وبعد ذلك نرى كيف دعا عشَّاراً من مكان جبايته ودخل بيته وعلَّم، وكان معه تلاميذه وجمع غفير، فيهم عشَّارون وخطاة، وكان المسيح يأكل معهم في وقت الأكل. ووصف نفسه في وسط التلاميذ كعريس مع بني العرس، أي أنه شبَّه وجوده مع التلاميذ على مدى الأيام كلها كأنها حفلة عرس تنتهي بغياب العريس وحينئذ يحل الصوم. كما شبَّه المسيح محاولة مزج تعاليم الكتبة والفريسيين بتعليمه كوضع رقعة من قماش جديد على ثوب قديم، أو كوضع خمر جديد في زق جلد مشقَّق عتيق لا يضبط ما فيه. فالثوب القديم لا يحتمل ترقيع الجديد، والخمر الجيدة الجديدة يلزم أن توضع في زق جلد جديد، كناية عن أن تعاليم العهد الجديد لا تحتمل إضافات من تعليم الكتبة والفريسيين، وأن تعليم العهد الجديد قوي بالروح يلزمه فكر جديد قوي بالروح أيضاً. ثم وصف المسيح نفسه أنه ''ابن الإنسان''، على أن الإنسان عموماً هو أصلاً غاية الناموس كله الذي من ضمنه السبت. فالناموس وُضِعَ للإنسان وليس الإنسان هو الذي خُلق للناموس، وعليه يكون ''ابن'' الإنسان هو رب السبت بصفته أنه هو الواضع للناموس الذي يكرم السبت، وهنا إشارة واضحة لله.

1:2و2 «ثُمَّ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ أَيضاً (ثانية) **بَعْدَ أَيَّامٍ، فَسُمِعَ أَنَّهُ في بَيْتٍ. وَلِلوَقْتِ اجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ وَلا مَا حَوْلَ البَابِ. فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالكَلِمَةِ».**

ظلَّ المسيح خارج المدينة يكرز ويشفي، ثم عاد ثانية (أيضاً) إلى المدينة بعد أيام. ودرى الناس أنه التجأ إلى بيت أحد أولاده فتجمهر الشعب كالعادة. وكفرناحوم كانت إحدى المراكز التي أقام فيها المسيح وعمل كثيراً من معجزاته، وذلك حسب إنجيل ق. لوقا، إذ حينما كان يكرز في الناصرة

قيل له: «كم سمعنا أنه جرى في كفرناحوم فافعل ذلك هنا أيضاً في وطنك» (لو 23:4). ويعتقد العلماء أن هذا البيت كان بيت ق. بطرس، لذلك ينبغي أن نقرأ الآية الأُولى هكذا: «ثم دخل كفرناحوم أيضاً بعد أيام فسُمع أنه في البيت» والحقيقة حتى اليوم أنه إذا سُمع أن يسوع يعمل في بيت أو كنيسة فالعالم كله يتقاطر عليه، فهو لا يزال ملجأ خلاص للبشرية المتعبة أينما كانت. وحيثما كان يجتمع الناس، كان المسيح يبدأ بالكرازة، ولكن سرعان ما كانوا يأتون بالمرضى.

5-3:2 «وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجاً يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ. وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ، كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: يا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ».

واضح من دقائق المنظر أن الراوي كان شاهد عيان. أمَّا المفلوج فهو المصاب بمرض الفالج وهو الشلل. والشلل أصناف، فيه مَنْ يستطيع أن يمشي على رجل واحدة وعكاز، وفيه مَنْ لا يستطيع أن يمشي على الإطلاق، وهذا هو مريض هذه الآية. ولما لم يستطيعوا أن يقرِّبوه من الزحام، صعدوا على السلم وفتحوا غطاء المنور أو الرَّوْشَن ودلوُّه بالحبل فكان أمام المسيح. نوع من الإصرار الذي يزكيه الإيمان واللهفة على نوال لمسة يد المسيح للشفاء. من أجل هذا قدَّم ق. مرقس هذه العينة من الرواية ليوضِّح شدة إيمان الشعب مع قوة الشفاء الإعجازي التي للمسيح. وهنا يقصد الإنجيل أن يضع معادلة في غاية الأهمية بين الإيمان والشفاء التي طالما أكدها المسيح مراراً وتكراراً، أنه بقدر الإيمان يكون الشفاء. ولكن الجديد في هذه القصة أن المسيح وضع معلومة جديدة وخطيرة كنا قد سبقنا وشرحناها (في شرح آية 31:1)، وهي أن المرض ليس أصلاً من طبيعة الإنسان المخلوق على صورة الله، ولكن لما أخطأ الإنسان نحو الله فقدت طبيعته العناية الحافظة من سلبيات الحياة ومداهمة الأعداء والأمراض، حتى إن الطبيعة وكل مكونات الأرض أظهرت له العداء: «ملعونة الأرض بسببك» (تك 17:3). الأمر الذي فسَّره ق. بولس الرسول هكذا:

+ «إذ أُخضعت الخليقة للبُطل ـ ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها (الله) ـ على الرجاء (أي لعنها لزمن محدَّد). لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد (اللعنة) إلى حرية مجد أولاد الله ـ (لأن انتظار الخليقة يتوقَّع استعلان أولاد الله) ـ فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخَّض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح (الذين خلصنا بنعمة الله)، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا (لأن اللعنة تعمل في العالم وفي الجسد الطبيعي)، متوقعين التبني فداء أجسادنا (منتظرين نهاية هذا العالم الطبيعي لنأخذ ميراث

الروح كأبناء الله). لأننا **بالرجاء خلصنا** (فقط). ولكن الرجاء المنظور (ونحن في الجسد) ليس رجاءً، لأن ما ينظره أحدٌ (الإنسان) كيف يرجوه أيضاً؟ ولكن إن كنَّا نرجو ما لسنا ننظره (أي ما ليس في العالم) فإننا نتوقعه بالصبر.» (رو 8: 19-25)

إذن، فخطية الإنسان الأُولى تسبَّبت في لعنة الأرض ومعها الجسد حتماً وبالضرورة، أمَّا ما قبل الخطية الأُولى فكان الإنسان يحيا مع الله وينظره وجهاً لوجه، والعالم حوله على مستوى الروح يطيعه ويخضع له، وليس مرض ولا حزن ولا كآبة ولا تنهد ولا موت، فكل هذه دخلت على الإنسان ـ مؤقتاً ـ إلى أن تُرفع اللعنة عنه، لعنة الخطية وآثارها في الأرض والجسد.

لذلك حينما يقول المسيح: «**مغفورة لك خطاياك**». فالمعنى يغطي الخطية وأصلها وتفرعاتها في الإنسان، وقد قالها المسيح في زمن الحاضر المستمر: "في هذه اللحظة صارت خطاياك مغفورة لك". وقالها بسلطان مَنْ هو قابض على الدينونة والغفران معاً وبآن واحد، ومن هو قابض على الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله معاً!! لذلك بمجرد أن نطق المسيح بالغفران دبَّت الحياة والصحة في المفلوج، لذلك أعطاه المسيح الأمر بالوقوف. وليس الجسد فقط نال هذه النعمة بل الفكر والضمير والنفس والروح معاً.

إذن، فالمسيح بالتالي يرفع عنه المرض وكل متعلقاته؛ ولكن يضيف المسيح أحياناً الأمر «فلا تخطئ أيضاً (ثانية) لئلاَّ يكون لك أشر» (يو 14:5)، إذ تعود حالة الإنسان تحت اللعنة من جديد. وقد جعل المسيح هذه العينات من الشفاء نموذجاً تعليمياً ليوضح أثر الخطية في حياة الإنسان، ويوضح بالتالي كيف ولماذا جاء هو ليغفر خطايا الإنسان لينقله إلى وضع مبرَّر إعداداً لنوال الحياة الأبدية.

ويُلاحَظ في الآية (5:2) أن المسيح ناداه «يا بنيَّ» ـ يا ابني أو أيها الابن، فهذا النداء بهذا اللقب يعني ويساوي تماماً مغفورة لك خطاياك. فنهاية غفران خطايانا هي أننا نصير أبناء الله، وقد قالها المسيح «يا بنيَّ» قبل أن يقول له مغفورة لك خطاياك . والسبب أنه لم يصر بعد صليب ولا سفك دم، الذي يؤهِّل للتبنِّي. فهنا المسيح وهبه التبنِّي من عنده كعطية حاضرة فيه، لكي يحل عليه غفران الخطية.

وعلى هذا يظهر كيف أعطى المسيح بنوَّته لكل الذين يؤمنون بموته وقيامته. إذ لكي يعطي المسيح بنوَّته للناس يلزم أن يعطيهم حياته التي هي علاقته مع الآب. وكيف يعطيهم حياته إلاَّ بسفك دمه لأن «الحياة في الدم» ولكن لا الصليب ولا سفك الدم كان محصوراً في زمن قيافا

وبيلاطس بل كان قائماً قبل إنشاء العالم:

+ «بل بدمٍ كريمٍ، كما من حملٍ بلا عيبٍ ولا دنسٍ، **دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم**، ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم.» (1بط 1: 19و20)

وعلى مثال ووزن الإيمان الكثير الذي زكَّى شفاء الأبرص، كان الحب الكثير الذي زكَّى غفران خطايا المرأة الخاطئة: «قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً» (لو 7:47). فالحب يوازن الإيمان ويتفوق عليه ولكن يتولد منه. فالمرأة آمنت وأحبت وهذا منتهى الإيمان.

وقد يظن بعض العلماء أن الإيمان في معجزة المشلول هو إيمان الأربعة الذين حملوه وقدَّموه، ولكن في الحقيقة يستحيل أن يكون الأربعة قد قدَّموه إلاَّ بناء على إلحاح المشلول وبكائه وتوسلاته التي تذيب قلب الإنسان، فالأربعة في الحقيقة لم يحملوا المفلوج بل حملوا إيمانه وقدَّموه للمسيح!

ويلاحَظ أخيراً أن القديس مرقس قدَّم هذه المعجزة ليقدِّم برهاناً موثَّقاً بالشهود والعمل الجهاري أن يسوع هو المسيح ابن الله!

2:6و7 «وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هذَا هكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ؟».

قدَّم الكتبة والفريسيون هنا أنفسهم كحفظة للناموس والشريعة، ولو أن تفكيرهم لم يخرج عن دائرة عقولهم، ولكن المسيح شعر بروحه بما يفكرون. وكان تفكيرهم قد انتهى إلى الحكم بأن هذا تجديف، وطبعاً حكم التجديف هو الرجم. ولكن المسيح استطاع أن يرد عليهم برد عملي ليثبت لهم أنهم على حق في قولهم إن الله وحده هو الذي يغفر خطايا، ولكنه أثبت لهم أنه هو بالفعل غفر الخطايا.

2:8و9 «فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيُّمَا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟».

هكذا أثبت المسيح لهم أول ما أثبت أنه قرأ ما في قلوبهم وأفكارهم، وهذا تمهيد للكشف الأقوى عن هويته الحقيقية كابن الله. ثم وضعهم في حرج الموازنة بين سلطان مغفرة الخطايا وسلطان إقامة مشلول من مرضه العضال الذي لا يُشفى، ولكنه شُفي وحمل سريره فوق ظهره!

ومعروف في تعاليم الربيين أن الإنسان لا يمكن شفاؤه من مرضه إلاَّ إذا غُفرت خطاياه كلها(1).

فالآن بعد أن سألهم هذا السؤال الذي جوابه بالضرورة هو أن الأسهل القول بغفران الخطايا، لأنه أمر مستور لا يمكن لأحد أن يتحقق منه. فالمدَّعي بأنه يغفر الخطايا ليس مَنْ يحاسبه، ولكن أن يقيم المشلول ليقف ويحمل سريره ويمشي هنا الصعوبة البالغة التي لا يقوى عليها إلاَّ الله وكلمته.

10:2و11 «وَلكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لاِبْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الخَطَايَا. قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ».

هنا أظهر المسيح سلطانه بالأمر المباشر للمشلول الراقد على سريره «لك أقول قم» وبذلك برهن المسيح على أنه قادر أن يغفر الخطايا كالله، لأنه برهن قدرته على مغفرة الخطايا بإعطاء الشفاء والقوة على حمل السرير وعلى الذهاب إلى بيته. وبهذا انتهى المسيح إلى تلقين الكتبة والفريسيين درساً لا يُنسى، لأنهم قرَّروا أن الذي يغفر خطايا هو الله فغفر المسيح الخطايا وبرهن على ذلك بإعطاء الشفاء والقوة للمفلوج.

هنا وضحت الرواية بأجلى وضوح، أن ق. مرقس سجَّلها لكي يُعلن للمعاندين، الكتبة والفريسيين، حقيقة يسوع أنه المسيح ابن الله.

12:2 «فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ، حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هذَا قَطُّ!».

بمجرَّد أن أعطاه المسيح الأمر قام في الحال، وكان من القوة والصحة التي له في حالته الطبيعية وأكثر، لأنه ربما قبل أن يمرض لم يكن يقدر أن يحمل سريره. إذن، فهو شفاء عاجل وصحة كاملة، هي حالة تشبه الخلق الجديد. المسيح هنا يمارس عملية تطهير من خطايا وإعادة الطبيعة إلى أفضل ما تكون جسداً ونفساً وروحاً. وهذه هي الصورة المجسَّمة للخلاص العتيد أن يمارسه المسيح على الصليب للخلق الجديد للإنسان الروحي، ليصير فعلاً صورة الله في القداسة والحق.

«**حتى بُهت الجميع**»: éste ™x…stasqai

الكلمة اليونانية تفيد الاندهاش الشديد (الخروج عن الوعي) لشدة الإعجاز في المعجزة واستحالة نسبتها لإنسان عادي، ففي الحال مجَّدوا الله العامل والفعَّال فيها بتدخله الشخصي.

(1) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 197.**

«**ما رأينا مثل هذا قط!**»:

خروج المعجزة عن طاقة عمل البشر على طول خبرة الإنسان رؤيةً ومعرفةً، فهي هنا شهادة فائقة للمسيح أنه ينطق بفم الله «مغفورة لك خطاياك» ويعمل بيد الله بإقامة المشلول ليمشي ويحمل سريره ويذهب. وكأنما يقول ق. مرقس هذا هو إنجيل يسوع المسيح ابن الله فآمنوا بالإنجيل.

لقب ابن الإنسان في إنجيل القديس مرقس:

واضح للقارئ هنا في هذه المعجزة كيف يقرن ق. مرقس بين اسم **ابن الإنسان** وبين «لا يغفر الخطايا إلاَّ الله وحده» مربوطة بـ «لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك» ثم «بُهت الجميع ومجَّدوا الله» ثم «ما رأينا مثل هذا قط!» هذا هو «ابن الإنسان» عند ق. مرقس في أوضح وضع ماسيَّاني، الذي فسَّره بكل وضوح أنه «يسوع المسيح ابن الله» والقديس مرقس ينقل لنا تقليد الكنيسة بكل أمانة ودقة.

ولكن يقول العالِم لاجرانج الفرنسي(2): إن المسيح هنا أثبت أنه المسيَّا بكل تأكيد، ولكنه لا يُريد أن يعلنها صراحة لأن رأيه في الإنجيل كله أن يجعل الآخرين هم الذين يقررونه وليس هو. وهذا بعينه ما حرص القديس مرقس أن يبرزه في الإنجيل ليكون لنا نحن أيضاً نفس التمييز والفهم والاختيار.

مفهوم مغفرة الخطايا في إنجيل القديس مرقس:

يُلاحِظ القارئ المدقِّق أن إنجيل ق. مرقس يورد قول مغفرة الخطايا بطريقة غير ما قاله لشفاء المفلوج، ففي مغفرة الخطايا يقول المسيح: «يا بنيَّ، مغفورة لك خطاياك» إذ يبني الفاعل هنا للمجهول، غير أنه ليس مجهولاً حقيقة بل هو معروف تماماً لأنه هو الله أبوه. وهذه هي الوسيلة التي حاول بها المسيح أن يخرج عن مفهوم قول الفريسيين أن ليس لأحد أن يغفر الخطايا **إلاَّ الله وحده،** ولكن إذ قالها المسيح نيابة عن الله بصورة حادة وآنيّة ومطلقة، أفاد أنه ضمناً هو الممسوح المرسل، أي المسيَّا في صورة ابن الإنسان. وحين قال للمريض: «لك أقول قم» أثبت أنه أُعطي السلطان المطلق ليشفي علناً كمدخل للإيمان أن له قوة الله وفاعلية كلمته.

---

(2) **Cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 200.**

12 دعوة لاوي بن حلفى

[2: 13و14] (مت 9: 9ـ13)، (لو 5: 27ـ32)

هي قصة تنضم إلى قصة دعوة المسيح لتلاميذه، وقد أتت هنا مؤخراً، والمدعو هنا عشَّار جالس في مكان الجباية ''مصلحة الضرائب'' وكانت تُدعى تهكُّماً: ''المسلخة''. وتقبَّل هذا اللاوي فجأة من المسيح الواقف أمامه دعوة «اتبعني» فكان الجواب أن قام في الحال وتبعه. جملة قصيرة للغاية: « اتبعني، فقام وتَبِعَهُ» والقصة هنا ذات جمال رائع إذ اهتم ق. مرقس لا بقول المسيح ولا بقبول المدعو، ولكن بالصورة الخاطفة للدعوة نفسها وظرفها البديع: مكان جباية بمعنى بؤرة اختلاسات وسرقات، غزتها دعوة للملكوت واستجابة لحظية، صورة مبدعة لانتشال إنسان من وسط النار، ليكون كارزاً بملكوت الله:

+ «وأراني يهوشع الكاهن العظيم قائماً قدَّام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه، فقال الرب للشيطان: لينتهرك الرب يا شيطان، لينتهرك الرب الذي اختار أُورشليم. **أفليس هذا شُعلة منتشلة من النار**.» (زك 3: 1و2)

منظر دعوة لاوي من أمام مكان الجباية وبالسرعة الخاطفة التي أَنقذت واختارت وكرَّست بآن واحد، هي صورة من الصور النادرة للقديس مرقس يمكن أن تُعنوَنْ: ''صورة للدعوة المسيحية''. وربما تأخذ الجائزة الأُولى في معرض صور الإنجيل. على أثرها حضر الرب وليمة وكأنها احتفاء بعضو بارز جديد من أعضاء الملكوت. والأعجب من الكل يبدو أن لاوي تزعَّم دعوة العشارين: «وفيما هو متكئٌ في بيته (بيت العشَّار لاوي) كان كثيرون من العشَّارين والخطاة يتَّكِئُونَ مع يسوع وتلاميذه **لأنهم كانوا كثيرين وتبِعُوهُ**» (مر 2:15). وهذه إضافة جمالية للصورة السابقة والمسيح جالس وسط عشَّارين وخطاة كلهم مدعوون للملكوت!! سجِّلي يا سماء!! وأصحاب الملكوت القدامى المرفوضون واقفون يتحرَّقون غيظاً وينفثون سمًّا: «ما باله يأكل ويشرب مع العشَّارين والخطاة.» (مر 2:16)

2:13و14 «**ثُمَّ خَرَجَ أيْضاً إِلَى الْبَحْرِ. وَأَتَى إِلَيْهِ كُلُّ الْجَمْعِ فَعَلَّمَهُمْ. وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى لاَوِيَ**

بْنَ حَلْفَى جَالِساً عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، فَقَالَ لَهُ: اتْبَعْنِي. فَقَامَ وَتَبِعَهُ».

قصة من حياة المسيح اليومية يقدِّمها ق. مرقس مختصرة أشد الاختصار، ويبدو أنها كانت قصة مطوَّلة وجميلة ولكن اختزلها ق. مرقس لكي يستخلص منها ما يتفق وخط فكره في عرض إنجيله. ويراها العالِم بولتمان(3) إنها نوع من الأبوفثجما (أي قول حكيم جامع) مصوّر بحياة شخصية، أو ترجمة حياة شخص، في وضع يصلح أن يكون قولاً متداولاً، وذلك بسبب اختصارها وقوة الحركة فيها التي لا تزيد عن كلمة واحدة أنشأت حياة جديدة جليلة «اتبعني» وصارت الكلمة شعاراً للطاعة الكاملة الناجحة والجريئة. وكلمة «اتبعني» أعطت مشهداً كاملاً في الإنجيل، بل قصة مثيرة لاستجابة مسيحية نموذجية. وهي تشبه إلى حد ما روايات دعوة بقية التلاميذ، إلاَّ أن هذه الرواية تمتاز بأن المدعو عشَّارٌ وهو مرفوض عند الكتبة والفريسيين، ويعتبرونه هو ومهنته غير مقبول بسبب تعامله مع الأجانب، بالإضافة إلى أن مهنته تقوم على الظلم والمغالاة في تقدير الضرائب واستخدام القوة وربما الابتزاز. واللاوي أصلاً من عائلة كهنوتية.

وقد قامت منازعة بين الآباء القدامى والعلماء المحدثين أيضاً: هل لاوي الذي لم يذكر اسمه هنا هو متى صاحب الإنجيل؟ أو هو آخر ذُكر اسم لاوي عوض اسمه، وهل حُسب بين الرسل أو لم يُحسب؟ فأوريجانوس(4) يقول: "إنه لم يكن من التلاميذ إلاَّ أن إنجيل ق. مرقس يضعه بين التلاميذ"، وهذا الظن يقوم على يقين الدعوة التي دعاها المسيح له مثل باقي التلاميذ: «اتبعني» هذا يحتم أن لاوي تبع المسيح كتلميذ والمسيح أيضاً دخل بيته وأكل عنده كما صنع مع ق. بطرس. والمأخذ الوحيد الذي يؤخذ على إنجيل ق. مرقس أنه ذكر اللقب «لاوي» دون الاسم، ولكنه عاد وصحَّحه في الأصحاح الثالث (18:3): «برثلماوس **ومتى** وتوما ...» ويعتقد العلماء أن لاوي هذا أو متى العشَّار الذي كان بيته في كفرناحوم الواقعة في أرض هيرودس أنتيباس كان يجمع الضرائب لحسابه!

ويُلاحَظ أن دعوة لاوي «اتبعني» قبلها في الحال فقام وتبعه. وهذه الاستجابة أهَّلته بالفعل أن يكون تلميذاً ورسولاً. وبهذا يُعتبر لاوي ـ متى ـ أقوى من كرَّم الدعوة في الحياة المسيحية، خاصة أنه كان يتعامل مع المال بإغراءاته وهمومه وتعلقاته التي لا تنتهي. كيف قطع كل شيء وقام ولم ينظر وراءه. على هؤلاء قامت المسيحية بل قام ملكوت الله.

---

(3) **Bultmann, cited by Vincent Taylor, *op. cit.* p. 201.**

(4) **Origen, *Contra Cels.*, i. 62.**

13 الأكل مع العشَّارين والخطاة

[2: 15- 17] (مـــت 9: 10- 13)، (لـــو 5: 29 - 32)

[مصادمات مع الكتبة والفريسيين:

ب - لماذا يأكل مع العشَّارين والخطاة؟]

15:2 «**وَفِيمَا هُوَ مُتَّكِئٌ في بَيْتِهِ كَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَتَّكِئُونَ مَعَ يَسُوعَ وَتَلاَمِيذِهِ، لأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرِينَ وَتَبِعُوهُ**».

كانت هذه القصة بكل مناظرها ودقائق روايتها أكبر ملهم للتلاميذ والرسل وكل الكارزين في كل أنحاء العالم. فإن كان المسيح كأعظم كارز بملكوت الله توَّج حياته وخدمته بجلوسه مع العشَّارين والخطاة - حثالة القوم - وأكل معهم، فقد صارت هذه إحدى فضائل الخدمة التي يفتخر بها كل خادم وكارز بملكوت الله. لقد أوضح المسيح في هذا اليوم وفي بيت لاوي العشَّار أعظم وأفخم إطار لمستوى الخدمة لحساب ملكوت الله وباسم المسيح. لم تعد الخدمة والكرازة تتنجَّس بمعاملة الزناة والزواني والمستهزئين والمنحلين وذوي السمعة السيئة؛ بل تتكرَّم وتتقدَّس على غرار المسيح في بيت لاوي العشَّار والخطاة يحيطون به، يتكلَّمون معه ويسمعون له ويكشفون له ضمائرهم وهمومهم ونقائصهم. لقد احْتلَّ بيت لاوي العشَّار، بالخطاة الذين الْتفوا حول المسيح، أعظم أركان الخدمة في كنيسة الله الحي. لقد أسقط المسيح في بيت لاوي في ذلك اليوم الحاجز المصطنع الفاصل بين العظماء والصعاليك، بين المعتزِّين بطهارتهم وكرامتهم ومستواهم العالي والراقي وبين الخطاة والمذلين والمنجَّسين وكبار اللصوص وحثالة القوم المرفوضين من المجتمع الراقي. لقد جاءت هذه القصة على مستوى ما صنع المسيح يوم غسل أرجل تلاميذه ونشَّفها بالمنشفة.

نعم لقد لاق بالمسيح أن يُدعى ابن الإنسان حتى يجد فيه كل إنسان ما يعوِّض نقصه ويكمِّل طهارته ويجد فيه أخاً يتكرَّم به ويتمجَّد. لم يعد ق. بطرس وحده هو الذي يفتخر قائلاً نحن الذين أكلنا معه وشربنا؛ بل العشارون والخطاة والزواني بكل صنف لهم ذات الفخر. فهو

الأخ الأكبر للإنسانية بأجمعها والكل يفتخر بأنه أكل وشرب معه. لقد حطَّم المسيح قانون النجس والطاهر حينما قال لبطرس: «ما طهَّره الله لا تدنِّسه أنت» (أع 15:10). فليس فقط مَنْ يأكل بل مَنْ يلمس المسيح يُطهَّر ويقف نزف خطيته.

في هذه القصة الفريدة تخرج أول أيديولوجية لمفهوم الاشتراكية الصادقة أو الروح الشعبية. والمسيح هنا يُعتبر أول ثائر في العالم على نظام الطبقية، وأول مَنْ هدَمَ روح التحفُّظ المتعالي لعلية القوم والتباهي بنقاوة الجنس وطهارة العنصر. فقد صنع المسيح من الخطاة والزناة والأنجاس وكبار اللصوص وحثالة الناس ضيوفاً على مائدته، وفتح لهم قلبه للحديث والشكوى، وتعرَّف على أوجاعهم وطيَّب قلوبهم وجبر كسر نفوسهم. ولا يمكن أن ننسى يوم أن شبَّه الملكوت بأنه عَمِلَ وليمة عظيمة ولم يحضر أحد من المدعوين العظام، فأرسل الخدم ليدعوا الذين خارج السياجات، مثل هؤلاء القوم الخطاة، ولما استكثر الخطاة والمذلون الدعوة قال للخدم: «ألزموهم بالدخول» ! (لو 23:14). وهل يمكن أن ننسى قوله «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت 40:25). هكذا ساواهم بنفسه ليرثوا منزلته بين الناس!!

انظر أيها القارئ العزيز كيف كان المسيح يصلب نفسه كل يوم ليرتقي بالبشرية حتى إلى قامته.

16:2 «وَأَمَّا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ يَأْكُلُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ، قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ: مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟».

هي العنصرية بعينها والطبقية المتعالية بقيمها ومميزاتها التي أضافوها إلى أنفسهم. فبدل أن يعطيهم اشتغالهم بالدين روح القربى من الشعب، استغلّوه للتعالي والكبرياء عليه. وعوض أن تقرِّبهم معرفتهم بالله بالضعفاء والخطاة والمساكين، عزلتهم عنهم وأسكنتهم في بروجهم. وهكذا أصبح الدين وسيلة لركوب طبقة على طبقة وسبباً في انقسام الشعب وعزلة المساكين والخطاة. وكأنَّ الله أصبح وقفاً على الأغنياء والعلماء والأدعياء والأصحاء، ولم يعلم هؤلاء الكتبة والفريسيون أنهم من أجل تعاليهم عن الشعب وإفرازهم لأنفسهم كطبقة متميزة بمعرفتهم، وافتخارهم بمعرفتهم واحتقارهم لبقية الشعب وخاصة العشارين والخطاة، جاء المسيح ليرد لهؤلاء حقوقهم عند الله التي سلبها منهم الكتبة والفريسيون. لهذا أحبَّه هؤلاء الخطاة واللصوص والزناة والمستضعفون والتفوا حوله، ساروا معه وجروا وراءه أينما ذهب ووجدوا عنده في قلبه وفي بيته وعلى مائدته مكاناً يسعهم، وصارت لهم دالة عليه يتحدَّثون معه

ويسمعون إليه، وفهموا رسالته وقرأوا إنجيله قبل أن يقرأه هؤلاء الكتبة والفريسيون، وآمنوا به وأحبوه وتابوا على يديه ونذروا حياتهم له. لذلك خاطب المسيح هؤلاء المتعظمين بعلمهم ومعرفتهم، الذين ظنوا أنهم أقرب إلى الله من الخطاة، وأنهم أحق بملكوت الله من كل الشعب، وقال لهم: «الحق أقول لكم **إن العشَّارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله،** لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به، وأمَّا العشَّارون والزواني فآمنوا به» (مت 21: 31و32). وزاد أيضاً على ذلك وقال: «أقول لكم: **إن ملكوت الله يُنزع منكم** ويُعطَى لأُمةٍ تعمل أثماره ... ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيُّون أمثاله، عرفوا أنه يتكلَّم عليهم.» (مت 21: 43و45)

17:2 «**فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ**».

نظرة المسيح للخطاة والعشَّارين واللصوص والزواني لم تكن أكثر من أنهم مرضى، ونظرته إلى نفسه كانت أنه هو الطبيب وحده الذي يعرف أصل المرض وعلة سقم النفوس وعلاجها وشفاءها. هذه نظرة الله للمجتمع أي للناس والشعب. كانت نظرة الله للشعب في البرية (في العهد القديم) كمشرِّع يضع لهم القوانين ويسن لهم نواميس الأخلاق، أمَّا نظرة الله لنفسه في العهد الجديد بالنسبة للعالم فهو الطبيب والمخلِّص. في القديم كان يمسك العصى ويؤدِّب، وفي الجديد يحمل المشرط ليقطع أصول الداء كما يحمل كأس الدواء ووسائل نقل الدم. فالله الذي سنَّ القانون وحمل عصى التأديب هو هو الذي أتى بالضمادة وحنان الطبيب. أمَّا الكتبة والفريسيون فظنوا أن بالقانون والعصى يحيا الإنسان، أمَّا الضعيف والمريض والخاطئ والزاني فليس له إلاَّ القبر، ولم يدروا أنهم بقانونهم حكموا على أنفسهم، والعصى التي في أيديهم سقطت على أعناقهم «ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون»

+ «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيُّون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدَّام الناس (بقوانينكم) فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون.» (مت 23:13)

«**لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة**»:

قالها المسيح للكتبة والفريسيِّين الذين اعتبروا أنفسهم أنهم أكملوا الناموس وبذلك صاروا أبراراً بالناموس. يقول المسيح: إنه لم يأتِ لمثل هؤلاء الأبرار أي الكتبة والفريسيين؛ ولكن جاء للذين احتُسبوا لدى الكتبة والفريسيين أنهم خطاة وأنجاس لأنهم لم يحفظوا الناموس ولا عملوا به. وقول المسيح واضح أن التوبة لا تصح للبار: سواء الصادق فهو تائب بالضرورة، ولا تصح

للبار عند نفسه لأنه لا يؤمن بأنه خاطئ ليتوب. أمَّا الذي لا يحتسب نفسه باراً لا بالصدق ولا بالكذب فهو الذي يحتسب نفسه أنه خاطئ بالفعل ومستحق الرحمة، وهؤلاء لما سمعوا المسيح يقول ويعلِّم بالتوبة طلبوها فنالوها.

هنا يقدِّم لنا مرقس الرسول إنجيله على أساس أنه للخطاة عند أنفسهم الطالبين التوبة، وأن هؤلاء هم الذين استمعوا للأخبار السارة وآمنوا بها وقبلوها وتابوا ونالوا إكليل الحياة الأبدية.

وقبول المسيح للمرأة الخاطئة وغفران خطاياها الكثيرة هو أحد التطبيقات العملية لمنهج المسيح في دعوة الخطاة، كذلك دعوة متى العشَّار (لو 7: 36-50) ودعوة زكا العشَّار (لو 19: 1-10). ولقد وافق المسيح على ما قيل عنه لأنه كان كذلك بالفعل «صديق للعشارين والخطاة» (لو 7:34)، (مت 11:19).

والمسيح قالها جهاراً نهاراً: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت 11:28). ومَنْ يكون المتعب وثقيل الحمل أكثر من الخاطئ الذي أعيته الحيل للتوبة واحتاج إلى طبيب؟ وأيضاً: «ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلِّص ما قد هلك.» (لو 19:10)

14 سؤال المسيح: لماذا لا يصوم تلاميذه؟

[2: 18-22] (مت 9: 14-17)، (لو 5: 33-39)

[مصادمات مع الكتبة والفريسيين:

ج - لماذا لا يصوم تلاميذ المسيح؟]

18:2-20 «وَكَانَ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ يَصُومُونَ، فَجَاءُوا وَقَالُوا لَهُ: لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ، وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَلاَ يَصُومُونَ؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا وَالْعَرِيسُ مَعَهمْ؟ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا. وَلكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَامِ».

كان هناك صومٌ جارٍ عرفي عند اليهود هو يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع. ويبدو أن هذا

كان مطلوباً من التلاميذ الذين يتتلمذون على أيدي الربيين، وقد أخذ به المعمدان وبقية زعماء الفريسيين. وقد اتخذ هذا الأمر الذين يترصَّدون للمسيح للمُساءَلة. وقد أورد ق. مرقس في إنجيله هذه الرواية ليكمِّل بها موضوع المصادمات مع الكتبة والفريسيين: «أمَّا الفريسي فوقف يصلِّي هكذا: ... أصوم مرتين في الأسبوع وأعشِّر كل ما أقتنيه ...» (لو 12:18). علماً بأن الكنيسة وقت كتابة هذا الإنجيل كانت قد استقرت على الصوم يومي الأربعاء والجمعة بحسب الديداخي (1:8)، والأربعاء هو اليوم الذي تمَّت فيه المشورة لصلب الرب والجمعة تمَّ الصلب، وكأن صوم الكنيسة في هذين اليومين هو للمشاركة في آلام الرب «إن كنَّا نتألم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه» (رو 17:8). ولكن هذه الآية تشير إلى آلام الاضطهادات وليس آلام الصوم. فالصوم المسيحي جزء لا يتجزأ من فرح الملكوت، ووصية المسيح للصوم هي أن نغسل الوجه وندهن الرأس حتى لا نبدو صائمين (مت 17:6).

والصوم عموماً في العهد القديم سواء بحسب الناموس أو كما وضعه الربيون في زمن العهد الجديد هو الرقعة الغريبة التي إذا أُدخِلَت في نسيج ثوب النعمة تمزِّقه، لأن صوم العهد القديم بكل صوره حركة حزن تليق بغياب الله عن الإنسان. أمَّا نحن في العهد الجديد فقد صرنا متحدين بيسوع المسيح ابن الله، وقد صارت لنا شركة مع الآب والابن كتحقيق القديس يوحنا في رسالته الأُولى: «أمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (1يو 3:1)، فكيف نحزن ونحن نعيِّد كل يوم لعيد الأبدية «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا» (في 4:4). ولكن إن صُمنا الأربعين المقدَّسة فنحن نشارك المسيح في صومه الانقطاعي الذي بدأ به عهد النعمة، وإن صُمنا الجمعة فنحن نعيِّد لصليب المجد، وإن تألَّم الجسد منَّا وتعب فالروح تهلِّل، فأصوامنا بهجة للروح. ولما رُفع العريس رُفعنا معه فكيف نحزن والمسيح فينا والروح داخلنا. أصوامنا صارت ذبائح شكر وتسبيح واعتراف لفضل الله وشركة مع المسيح، والصوم الوحيد الذي صامته الكنيسة مجتمعة رسمياً بعدما رُفع العريس عنهم يوم الأربعين ـ حسب قول الرب ـ هو صوم العشرة أيام وهم في العُليَّة يصلُّون بانتظار عودة العريس الذي أرسل الروح القدس ليُعِد ويُرتِّب سكناً له في قلوب أولاده إلى الأبد.

أمَّا الأصوام الفردية فهي مفتوحة بلا حدود لكل إنسان، فالقديس بولس كان يصوم أصواماً كثيرة، والمسيح استحسن الصوم حينما نكون في مواجهة الشيطان العنيد: «أمَّا هذا الجنس فلا يخرج إلاَّ بالصلاة والصوم.» (مت 21:17)

21:2و22 «لَيْسَ أَحَدٌ يَخِيطُ رُقْعَةً مِنْ قِطْعَةٍ جَدِيدَةٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ، وَإِلاَّ فَالْمِلْءُ الْجَدِيدُ يَأْخُذُ مِـــــــــنَ

الْعَتِيقِ فَيَصِيرُ الْخَرْقُ أَرْدَأَ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْراً جَدِيدَةً في زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ، لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ، فَالْخَمْرُ تَنْصَبُّ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً في زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ».

يحمل مفهوم المثل كما قاله المسيح أن الخمر الجديدة قد مزَّقت الزق القديم فلم يعد يصلح لها، والرقعة الجديدة التي ظهرت في نسيج تعليم الله أتلفت الثوب القديم بأكلمه، فلم يعد يصلح للترقيع وإلاَّ يصير إلى أردأ.

هنا اعتبر المسيح مبدأ الصوم تعبيراً عن الحزن لا يتناسب أن يندس في تعليم العهد الجديد القائم على الفرح بالأخبار السارة أي الإنجيل. والقصد النهائي أنه لا يمكن الجمع بين القديم والجديد في وحدة واحدة، القديم بقدمه يبقى كما هو قديماً ليُترك جانباً ويأتي الجديد بجدّته وحده دون الخلط بين القديم وبينه.

ويعلِّق العالِم راولنسن(5) على هذا المثل بأنه ساطع وذو تأثير نفسي لأنه من واقع الحياة المنزلية. وفي الحقيقة يتسحب هذا المثل على كل وصايا وتعاليم الناموس القديم فيما لا يخص المسيَّا بالذات، فقد كانت كوعاء يدَّخر في داخله الكنز أي ''المسيَّا''، فلما جاء الزمن واستُعلن الكنز لم يعد للصندوق أو الوعاء أو اللفافة التي كان الكنز مُخفَى فيها قيمتها الأُولى؛ بل واستخدامها يتلف الكنز نفسه بمعنى أنها ستخفيه، فلابد من التخلُّص من الأغلفة التي كانت تحوي سر المسيَّا من تطهيرات وأصوام وذبائح وعادات بجميع أصنافها. فالكنز (المسيَّا) لم يعد يوضع في لفائف أو صناديق لأن مكانه الجديد هو القلب وليس خارجه بأي حال من الأحوال «الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرج الصالحات» (مت 35:12)، كذلك: «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (مت 21:6). وهذا هو الكنز الوحيد والفريد الذي بعنا كل شيء واشتريناه، ولكي لا يسرقه اللصوص خبأناه في قلبنا.

(5) **A. E. J. Rawlinson, *St. Mark*, p. 32.**

15 السبت وأكل السنابل

[2: 23-28] (مت 12: 1-8)، (لو 6: 1 - 5)

[مصادمات مع الكتبة والفريسيين:

د - لا يحل لكم]

23:2-28 «**وَاجْتَازَ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزُّرُوعِ، فَابْتَدَأَ تَلاَمِيذُهُ يَقْطِفُونَ السَّنَابِلَ وَهُمْ سَائِرُونَ. فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: انْظُرْ. لِمَاذَا يَفْعَلُونَ فِي السَّبْتِ مَا لاَ يَحِلُّ؟ فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ احْتَاجَ وَجَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ فِي أَيَّامِ أَبِيَأَثَارَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلاَّ لِلْكَهَنَةِ، وَأَعْطَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَيْضاً؟ ثُمَّ قَالَ لَهُمُ: السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ، لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ. إِذاً ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً**».

لقد ركَّز الفريسيون انتقادهم للمسيح على بندين: الأول أن التلاميذ كسروا قانون عدم العمل في يوم السبت، والثاني وهو مترتب على الأول أنهم استهتروا بقيمة السبت.

أمَّا بالنسبة لقانون العمل في السبت فقد وضع الربيون الكبار في المشناه تصنيفاً للأعمال الممنوعة، وعددها 39 عملاً، ومن بينها حصاد القمح في البند الثالث(6)، وهنا اعتبر الفريسيون عمل التلاميذ كونهم يقطفون السنابل بمثابة عملية حصاد. وطبعاً لم يقبل المسيح أصلاً تأويلات الفريسيين - ولا المشناه لأنها ليست ملزمة - التي وضعوها من عندهم بخصوص هذه العمليات. وأعطى الدليل على عدم أهمية هذا العمل وكأنه كسر للقوانين الموضوعة بما صنعه داود النبي(7) لما جاع ودخل بيت الله وأكل الخبز المقدَّس الموضوع أمام وجه الله (خبز الوجوه). والمعنى أن الوصايا

---

(6) **William Lane, *The Gospel of Mark*, p. 115.**

(7) «والآن فماذا يوجد تحت يدك. أعط خمس خبزات في يدي أو الموجود. فأجاب الكاهن داود وقال: لا يوجد خبز محلَّل تحت يدي ولكن يوجد خبز مقدَّس إذا كان الغلمان قد حفظوا أنفسهم لا سيما من النساء. فأجاب داود الكاهن وقال له: إن النساء قد مُنعت عنَّا منذ أمس وما قبله عند خروجي وأمتعة الغلمان مقدَّسة وهو على كل نوع محلَّل واليوم أيضاً يتقدَّس بالآنية» (1صم 21: 3-5). وهنا يُلاحظ أن الكلام يرجَّح أنه كان يوم **السبت** «واليوم أيضاً يتقدَّس بالآنية».

الخاصة بتقديس الأشياء والأماكن والزمان فالإنسان في حل من كسرها عند الحاجة، لأن عبرة الوصايا جميعاً بكل درجاتها حتى المهمة منها هي أصلاً جُعلت لصالح ومنفعة الإنسان، حتى السبت نفسه جُعل أصلاً لراحة الإنسان، والوصية أُعطيت من أجله ليلتزم الإنسان بإراحة نفسه من العمل. ولكن لو كان العمل أثناء السبت هو لراحة الجائع والتعبان فيحل كسره(8). وهنا وضع المسيح القانون الذي يضبط كافة الوصايا وهو أن الوصية جُعلت للإنسان وليس الإنسان جُعل للوصية.

ولم يترك المسيح مهاجمة الفريسيين دون أن يشير إلى نفسه مَنْ هو: «وابن الإنسان هو رب السبت أيضاً» بمعنى إن كان كل الكلام الذي قاله يصلح للرد عن التلاميذ، أمَّا الرد عن نفسه فهو رب السبت، بمعنى إن كان السبت قد وُضع للإنسان أي للتلاميذ، فابن الإنسان يكون هو خالق السبت والزمان.

وعلى القارئ اللبيب أن ينتبه إلى تلميحات المسيح كون داود ومَنْ معه حينما دخلوا بيت الله يوم السبت أنهم أكلوا خبز الوجوه، حيث خبز الوجوه لم يكن إلاَّ رمزاً للخبز الحي النازل من السماء. ثم عودة إلى سنابل الحنطة، فالحنطة أيضاً هي الخبز وهي إشارة دائمة إلى خبز الحياة. هنا أصبح أكل التلاميذ لسنابل القمح هو رمز مبكِّر لأكل خبز الحياة النازل من السماء، والسبت لم يكن في القديم إلاَّ يوم الرب أي يوم المسيح. إذن، أصبح نسيج هذه القصة كله رؤيوي بالدرجة الأُولى ومن صميم التعبير عن لاهوت المسيح وعلاقة الإنسان بالله. إذن، نحن في إنجيل ق. مرقس وفي هذه القصة أمام يسوع المسيح ابن الله(9).

وواضح أن ق. مرقس قدَّم لنا هذه القصة ليعلن بها للكنيسة موقف المسيح من السبت وهو موقف قاطع يتسحب على كل الوصايا التي على مستوى تقديس الزمن كالسبت.

كذلك وبالدرجة الأُولى تأكيد المسيح على تحليل أكل خبز الوجوه "الذي لا يأكله إلاَّ الكهنة" كيف أكله الرجال الذين مع داود تلميحاً على أكل التلاميذ لسنابل القمح في مفهومها الاسخاتولوجي (المستقبلي)، الذي سيستعلن بخبز الحياة "الخبز المقدَّس"، الذي يتضمن أن الله لم

(8) يلاحظ القارئ قول المسيح: «ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه».

(9) أمَّا مؤاخذة العلماء في أن المسيح قال: «في أيام أبيأثار رئيس الكهنة» وأن هذه القصة كانت في أيام أخيمالك رئيس الكهنة وليس أبيأثار، فيرد العلماء أن في إنجيل ق. متى (12: 1-8) وفي إنجيل ق. لوقا (6: 1-5) أن الإشارة إلى أبيأثار رئيس الكهنة غير موجودة أصلاً، كما أنها غائبة في المخطوطات الأُولى لإنجيل ق. مرقس. كما يقول بعض العلماء إن ق. مرقس يشير بذلك إلى الدَرَج الخاص بصموئيل النبي المعَنون بأبيأثار.

يدِن داود على أكله خبز الوجوه الذي لا يحل أكله إلاَّ للكهنة. وهذا ما أكد عليه المسيح الذي يكشف أن تدقيقات الكتبة والفريسيين في شرح الوصايا لا تقف دائماً مع فكر الله في الأسفار. ومرَّات كثيرة ركَّز المسيح على جهالة وضيق فكر الكتبة والفريسيين في شرح الوصايا.

ملاحظة:

على القارئ أن ينظر ما يحدث في هذه الأيام بالنسبة لليهود كتبة وفريسيين وكهنة وحاخامات كيف امتهنوا السبت ووصايا السبت، وهذا وحده يعطي هذا التعليم الوزن العالي جداً كونها أنها وصايا استهلكها الزمن حيث صرَّح ق. بطرس بكل علانية:

+ «فالآن لماذا تجرِّبون الله بوضع نير (الوصايا السلوكية) على عنق التلاميذ (الذين آمنوا بالمسيح من الأُمم) لم يستطع **آباؤنا، ولا نحن** أن نحمله.» (أع 10:15)

الأصحاح الثالث

16– السبت وشفاء اليد اليابسة داخل المجمع (3: 1 – 6)

17– الازدحام الهائل من الجليل وأُورشليم وأدومية وعبر الأُردن وحول صور وصيدا (3: 7 – 12)

18– اختيار الاثني عشر (3: 13–19)

19– عثرة الأقارب. النقد المتهوِّر والسلطان القاهر (3: 20–26)

20– القوي الذي رُبط ونُهب بيته (3: 27–30)

21– أقارب المسيح الجدد والعائلة المقدَّسة الكبيرة (3: 31–35)

16 السبت وشفاء اليد اليابسة داخل المجمع

[3: 1-6]

(مت 12: 9-14)،
(لو 6: 6 - 11)

[مصادمات مع الكتبة والفريسيين:

هـ - لا يحل لك]

1:3و2 «**ثُمَّ دَخَلَ أَيْضاً إِلَى الْمَجْمَعِ، وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ**».

هذه هي القصة الخامسة التي يرتبها ق. مرقس في إنجيله تباعاً، وتجمع معاً أنواع الصدام مع الكتبة والفريسيين. وهي هنا تنتهي بأنهم بلغوا الذروة في الهياج حتى وضعوا خطة مع جماعة الهيرودسيين "لإهلاك" يسوع. وتمتاز هذه القصة بأن المسيح هو الذي يبادرهم بالسؤال والتحدِّي ويفحمهم بعمل المعجزة وفي يوم السبت، واضعاً هنا مبدأً جديداً يختص بالسبت وهو عمل الخير وتخليص النفس.

والمجمع المذكور هنا هو مجمع كفرناحوم، لأنها كانت موضوع الحديث في الأصحاح السالف مباشرة (1-7). وكان رؤساء المجامع يضجُّون من عادة المسيح الذي كان يلاحقه المرضى في يوم السبت، فيضطر أن يشفيهم رغماً عن العرف اليهودي الجاري. وقد صرَّح بهذا أحد رؤساء المجامع صارخاً في الشعب والمرضى الذين تزاحموا حوله في المجمع يوم السبت:

+ «فأجاب رئيس المجمع، وهو مغتاظٌ لأن يسوع أَبرأَ في السبت وقال للجمع: هي ستة أيام ينبغي فيها العمل، ففي هذه ائتوا واستشفوا، وليس في يوم السبت. فأجابه الرب وقال: يا مُرائي، ألا يحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه؟» (لو 13: 14و15)

«**فصاروا يراقبونه هل يشفيه في السبت**»:

«**يراقبونه**»: paret»roun

الكلمة اليونانية تفيد التربُّص والملاحظة الدقيقة مع تحفز لضبطية بالنسبة لعدو. وقد أوردها ق. مرقس هنا ليوضح حال الكتبة والفريسيين المعتادة تجاه المسيح، الأمر الذي حرمهم تماماً من الفهم

الصحيح التلقائي لأعمال المسيح. كان هذا داخل المجمع، وقد جلسوا متربصين وهم على يقين أن المسيح لابد□ّ◌ً◌ سيجري عمل الشفاء، مما يعطينا نحن إحساساً بقدرة المسيح على الشفاء بصورة دائمة وتلقائية.

والعجيب أن التربُّص بالمسيح كان على أساس جمع الأدلة لتقديم التهم التي تصلح للشكوى ضدَّه. والعقدة المستعصية التي أصابت نفوس الكتبة والفريسيين بالعمى من جهة رؤية أعمال المسيح التي تنطق بيد الله هي الناموس والسبت، كما قال بولس الرسول عن خبرة شخصية: «فوُجِدَت الوصية التي للحياة هي نفسها للموت» (رو 10:7). فالسبت ـ وهو الوصية التي جُعلت للإنسان للحياة السعيدة والراحة من العمل ـ صار هو العائق الخطير في عقول الكتبة والفريسيين: كيف يعمل فيه المسيح للخير ويشفي المرضى. إذن، بذلك يكون قد كسر الناموس، إذن، هو ليس من الله، إذن، ينبغي أن يُقتل.

3:3 «**فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ: قُمْ فِي الْوَسَطِ!**».

عَلِمَ المسيح ما يدور في صدور الكتبة والفريسيين فَقَبِل التحدي، والذي نووا عليه بالصمت أخرجه علانية. فدعا الرجل ذا الذراع اليابسة (المشلولة) أن يقوم ويقف في وسط المجمع لكي يكون ظاهراً أمام الجميع بيده المدلاَّة المشلولة. منظر يكسر القلوب الرحيمة ويستدر الدمع من العيون الوديعة، فما ألعن الشلل وما يعمله في صحة الإنسان ليحوِّله إلى عاطل حزين كئيب لا حول له ولا قوة، له حياة وهو فاقد نضارتها، وكل هذا لا يحرِّك قلب هؤلاء الكتبة والفريسيين، إنهم يوافقون على أن يبقى هذا الإنسان مشلولاً ويموت بشلله ولا يُكسر السبت. هنا المسيح دخل ليكسر هذا الجحود الديني ويقلب موازين الرياء والتدين الفاسد والمفسد.

4:3 «**ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟ فَسَكَتُوا**».

الجميل في اللغة اليونانية أن عبارة فعل الخير وعبارة فعل الشر تأتي ككلمة واحدة لكل منهما:

فعل الخير = ¢gaqopoiÁsai، **فعل الشر** = kakopoiÁsai.

تخليص نفس = yuc¾n sîsai ولكن القتل ليس قتل نفس بل مجرَّد قتل ¢pokte‹nai حيث خلاص النفس تفيد أيضاً الخلاص من المرض أو المحن. ولكن أقوى معنى لها هو خلاص من الدينونة المزمعة.

لا يتكلَّم المسيح هنا عن حالة هذا المريض فقط، لأنه يمكن أن يُرضي الكتبة والفريسيين بأن

يؤجّل عمل الشفاء للغد. ولكن المسيح هنا يطرح مبدأً شاملاً في الحال الواقع: هل يمكن عمل الخير في السبوت عامة أم لا؟ هل يمكن تخليص النفوس في السبوت أم لا؟ أمَّا الرد فيقوله المسيح ليكون قانون الخير والسبت والحياة. فالسبت والناموس بأجمعه يستحيل أن يعارض ويقاوم خلاص النفس.

هنا المسيح أوقع الكتبة والفريسيين في حيرة من أنفسهم وواجههم بعمى قلوبهم وتعصبهم الأعمى ضد الخير والحق والصلاح والحياة.

وبهذا أنقذ المسيح الناموس والسبت وكل الوصايا من تحت وصاية الكتبة والفريسيين ليعطيها معناها الجديد لخدمة خلاص النفس. وهكذا سيوظف المسيح الناموس كله بكل وصاياه لخدمة خلاص النفس؛ بل وسيقدم نفسه وحياته فدية لخلاص نفس الإنسان. وهكذا يطوِّع المسيح عظمة السبت وكرامته لخلاص نفس الإنسان.

5:3 «**فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ، حَزِيناً عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: مُدَّ يَدَكَ. فَمَدَّهَا، فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى**».

«**بغضب**»: met' ÑrgÁj

لم يذكرها كل من إنجيل ق. متى وق. لوقا تحاشياً من ذكر هذا الشعور بالنسبة للمسيح؛ ولكن ق. مرقس ركَّز عليها ولم يستكثر أو يستصغر على المسيح أن ينظر بغضب. أليس هو الرب والحمل، ومَنْ يطيق غضبه؟ فغضب الحمل سيكلِّفه دمه على الصليب، والمسيح لا يغضب لنفسه ولا هو متأثِّر بداخله؛ ولكن غضبه على الخطاة والمعاندين الذين لو سمعوا وأطاعوا ما كلَّفوه عناء الجلجثة ولخلصوا هم وربحوا الحياة. فالمسيح غضب غضب الله نفسه «لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم.» (رو 18:1)

«**حزيناً على غلاظة قلوبهم**»: sullupoÚmenoj

هنا حزن المسيح يعبَّر عنه بالكلمة اليونانية ما يفيد بالإنجليزية utterly distressed وترجمتها متضايق ومكروب للغاية أو مغتم للغاية. وحزن المسيح حزنان، حزن على المرضى الذين لا يقابلون قلوباً رحيمة من رجال الدين، وحزنٌ على رجال الدين الذين فقدوا الرحمة في سبيل ممارسات طقسية لا تشفي ولا تغني عن موت. هنا حزن المسيح بهذا القدر وعلى هذا المستوى يشرح لنا غضبه، فغضبه ارتد على نفسه حزناً من أجل وعي الإنسان الذي أفسده عدم فهم مقاصد الله من ناموسه. وهكذا انسدت قلوبهم عن قبول التعليم والعمل الذي لخلاصهم.

«غلاظة pwrèsei قلوبهم»:

الكلمة تفيد عدم الحساسية وعمى القلب حسب كثرة العلماء المتخصصين في اللغة.

فلمَّا مدَّ الرجل يده وعادت صحيحة، شرح المسيح عملياً ما هو عمل الخير في السبت وما هو خلاص النفس. وبهذا أعلن عن فكر الله كيف نكرِّم سبت الله بإدخال الفرح والحياة في قلوب الناس. كما أثبت أنه أحكم وأحقّ من الناموس وأقوى وأقدر!!

6:3 «فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ».

«فخرج الفريسيون للوقت»:

لقد امتلأ الفريسيون سخطاً وهياجاً لأن تحدِّي المسيح لهم أوقعهم في ضيق ومأزق إذ انتهت هيبتهم بين الشعب. ويقول ق. مرقس إنهم خرجوا للوقت eÙqÚj أي في الحال، أي لم يتركوا فرصة للانتظار، فقد صمَّموا على الخطة التي ملأت ذهنهم، فلابد من هلاكه، وبخروجهم اتصلوا بالهيرودسيين ليدبروا الخطة.

«الهيرودسيون»:

لم يكن الهيرودسيون شيعة ولا نظاماً خاصاً، ولكنهم أتباع هيرودس أنتيباس(1). ولم يكن بين الهيرودسيين والفريسيين صداقة، ولكن جمعهما الحقد على المسيح. فالعداوة تجمع القلوب الساخطة لعمل الشر والنقمة. وكانوا ذا مركز مرموق بسبب عميدهم(2)، ولكن كانت خطورتهم وقوتهم الغاشمة راجعة إلى صلتهم بالرومان واعتمادهم على سلطان روما(3).

«وتشاوروا sumboÚlion عليه لكي يهلكوه»:

الكلمة اليونانية تفيد اتحدت إرادتهم، وهي تفيد أكثر من المشاورة؛ بل هي مشاورة انتهت إلى إرادة واحدة. وهكذا تكثَّفت السحب القاتمة فوق مسيرة المسيح في الخدمة. والقديس مرقس يقدِّم هذه القصة داخل مجمع كفرناحوم كآخر أعمال المسيح في الجليل، بعد أربعة مواقف أخرى مماثلة في تصادم مع الفريسيين من جهة الناموس الشفاهي ويتركز في مراعاة

---

(1) **Josephus, *Ant.* XIV. 15.10.**

(2) **H. H. Rowley, *"The Herodians of the Gospel"*, *JTS* 41 (1940), p. 14-47, cited by W. Lane, *op. cit.*, p. 125 n.**

(3) **A. E. J. Rawlinson, *op. cit.*, p. 36.**

السبت. والخطأ الشنيع الذي وقع فيه الكتبة والفريسيون أنهم ظنوه كأحد الكتبة وصاحب آراء حرَّة في المبادئ والقوانين الثابتة والتقليدية الدهرية عندهم. وبذلك اعتبروه مركز تهديد مباشر وخطير للعقيدة والتقليد والديانة اليهودية بأكملها، مع أن المسيح كان يعترف بالناموس اعترافاً عملياً وقوياً، غير أنه كان يوضِّح بتعاليمه مشيئة الله الأساسية في الناموس ويستعرض عملياً المعنى الحقيقي للناموس مؤِّيداً تعاليمه الإلهية بالمعجزة الباهرة حتى يصدِّق الفريسيون تفسيره المنحاز للحق والمعرفة الإلهية الصحيحة للناموس. ولكن لمَّا لم يخضع المسيح للتخريجات التي بناها الكتبة والفريسيون خصوصاً بالنسبة للسبت، التي كادت تشل معرفة الناس لقصد الله الحقيقي من السبت، اعتبروا أنه قد كسر الناموس نفسه وألغى التقاليد الموروثة وعارض السلطة الروحية بسلطة من عنده تقف ضدها وفي مواجهتها.

وهكذا تولَّد الصدام كحقيقة يومية، فلمَّا صمَّم الفريسيون بالاستعانة بالهيرودسيين لإهلاكه كان الهدف الأساسي التخلُّص من التهديد الذي يواجه الناموس والتقليد والسلطان الديني معاً.

وهكذا انتهت خدمة المسيح في الجليل بهذه الصورة الحزينة والكئيبة، لذلك أعطى المسيح الويل لكفرناحوم قائلاً إنها بقدر ارتفاعها (مبنية على ربوة) فستهبط إلى الجحيم، كذلك أيضاً بقية مدن الجليل التي عمل فيها معجزاته وتعاليمه ككورَزين وبيت صيدا.

هكذا وضح أن رفض كرازة المسيح وإن كانت قد شكَّلت صورة الصليب لكنها جلبت عليهم الهلاك. رفضوا الحياة من يد رئيس الحياة، فاكتسبوا اللعنة والموت، وعاشوا القلق والحيرة تائهين على وجه كل الأرض.

لقد حزن المسيح على غلاظة قلوبهم لأنه رأى الثمن على رؤوسهم، ودفع حياته على الجلجثة ثمناً لحماقتهم وجنونهم.

وهكذا ترك المسيح مجمع كفرناحوم على أن لا يعود إليه مرَّة أخرى.

17 الازدحام الهائل

من الجليل واليهودية وأُورشليم وأدومية وعبر الأُردن وحول صور وصيدا

[3: 7-12]

يهمنا هنا أن نوضِّح الفاصل بين (1:1-6:3)، وما يأتي بعده (7:3-13:6).

أمَّا الجزء الأول من الإنجيل وهو (1:1-6:3) فهو امتداد (14:1و15) الذي يقول فيه: « وبعدما أُسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله .... إلخ»

أمَّا الجزء الثاني مباشرة من الإنجيل وهو (7:3-13:6) بما فيه من اختيار الاثني عشر فهو امتداد (16:1-20) الذي يقول فيه: «وفيما هو يمشي عند بحر الجليل أبصر سمعان وأندراوس أخاه ... إلخ»

وبهذا يتضح أمامنا المنهج التنسيقي في ذهن ق. مرقس عند كتابة إنجيله، فهو كأنه وضع في الأصحاح الأول فهرساً توضيحياً لما سيجئ حتى أصحاح (13:6).

وهنا في (7:3-12) يبدأ ق. مرقس يجمع مختصراً بلغته، فيبدو أسلوبه هنا مميَّزاً عن كل المرَّات التي جمَّع فيها بعض الحوادث والأخبار مثل (14:1 و15)، (1:2 و2)، (1:4 و2)، (24:7و31 ... إلخ) فيأتي هنا التجميع مطولاً وبدون وصلات. وهنا يذكر ق. مرقس أن سبب انطلاق المسيح من مدينة كفرناحوم إلى البحيرة هو كثرة الازدحام بسبب كثرة المعجزات التي بهرت الشعب وجعلته يلتف حوله ويجري وراءه ويزحمه، أمَّا ق. متى في هذا الموضع فيذكر أن السبب تربُّص الفريسيين به (مت 15:12). على أن ق. مرقس يذكر هذا الزحام الشديد كمقدِّمة لبدء تعليمه الذي ابتدأه في (1:4.. إلخ) على شاطئ البحيرة.

وفي هذا المختصر يركز ق. مرقس على قوة المسيح وسلطانه على الشياطين المذكور في (11:3 ... إلخ)، وهو التطبيق العملي على قوله في القصة بالنسبة للشيطان (27:3): «لا يستطيع أحد أن يدخل بيت قوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً وحينئذ ينهب بيته (الذي فيه الشياطين)» مما يعطي للقارئ لمحة عن حبك ق. مرقس وربطه بين الأقوال والأفعال في حياة المسيح.

كذلك يلاحِظ القارئ كيف يذكر ق. مرقس في هذا المختَصَر بخصوص طلب المسيح من التلاميذ أن يعدّوا له مركباً (سفينة) لكي تلازمه بسبب الزحام. ثم هناك في أول الأصحاح الرابع يقول: «وابتدأ أيضاً يعلِّم عند البحر فاجتمع إليه جمع كثير حتى إنه دخل السفينة ... إلخ» (1:4) ومن هذا التطابق يظهر بوضوح كيف يسبق ويرتِّب هذا القديس إنجيله بدقة قبل أن يدونه.

ولكن من المؤكَّد أن ق. مرقس جمع هذا كله من شهود العيان الأوائل جداً، ولم يُدخل فيها أبداً شيئاً من تصوُّره الخاص، مما يعطينا احتراماً شديداً لهذا الكاتب الإنجيلي الأمين والدقيق.

7:3و8 «فَانْصَرَفَ يَسُوعُ مَعَ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْبَحْرِ، وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْجَلِيلِ وَمِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ وَمِنْ أَدُومِيَّةَ وَمِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ. وَالَّذِينَ حَوْلَ صُورَ وَصَيْدَاءَ، جَمْعٌ كَثِيرٌ، إِذْ سَمِعُوا كَمْ صَنَعَ أَتَوْا إِلَيْهِ».

«فانصرف يسوع مع تلاميذه»: ¢necèrhsen

كلمة انصرف لا تفي بإعطاء الصورة التي قصدها ق. مرقس من هذه الكلمة باليونانية، لأنها كلمة لُغوية ينـدر استخدامها إلاَّ في حـالات الخطـر، فهـي تعـني ”انسحب“، لأن الفريسيين والهيرودسيين بدأوا يخططون لقتله، فترك المسيح كفرناحوم هو وتلاميذه والتجأ إلى البحيرة ليتَّقي مؤامراتهم. وهذا يوضحه ق. متى في إنجيله بقوله: «فعلم يسوع وانصرف من هناك» (مت 15:12).

وذِكر ق. مرقس لأنواع هذه المجموعات التي تبعته من كل البلاد يوضِّح القصد، وهو الكشف عن اتساع خدمة المسيح في كل هذه النواحي وانتشار الكرازة والأخبار السارة في كافة أرجاء البلاد: «إذ سمعوا كم صنع أتوا إليه» وهنا يذكر ق. مرقس اليهودية وأُورشليم لأول مرَّة، كذلك إلى أقصى الجنوب: أدومية التي كان سكانها من اليهود منذ يوحنا هركانوس(4)، ومن مناطق بيريه التي هي عبر الأُردن، كذلك في أقصى الشمال الغربي للبلاد حول صور وصيدون وهي المتاخمة لأعلى الجليل. ولم تُذكر هنا السامرة والمدن العشر التي ذُكرت فيما بعد في (20:5).

وواضح أن هذا الجمع الغفير قد جذبته أخبار معجزات المسيح وخاصة الأعمال المقتدرة فجاءوا من قريب ومن بعيد. أعظم دعاية للمسيح والمسيحية والإنجيل: الوصول إلى قلب الفقير وجسمه وعقله بالعمل والحب.

(4) **Josephus, *Ant.* xiii, 9.1.**

9:3و10 «فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ أَنْ تُلاَزِمَهُ سَفِينَةٌ صَغِيرَةٌ لِسَبَبِ الْجَمْعِ، كَيْ لاَ يَزْحَمُوهُ، لأَنَّهُ كَانَ قَدْ شَفَى كَثِيرِينَ، حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ لِيَلْمِسَهُ كُلُّ مَنْ فِيهِ دَاءٌ».

منظر شديد الأثر في الوعي وفي القلب قد حفظه لنا ق. مرقس حيًّا وكأنه يمر الآن أمام مخيلتنا، إذ لم تكن الرغبة في الشفاء فقط بل كانت القوة الخارجة منه لشفاء السقماء ذات جَذب شديد للقلوب أيضاً. فقد تعدَّت معجزات الشفاء التي كان يعملها بنفسه للمرضى بأن ينتهر المرض أو الحمى أو الشياطين، فصارت مجرَّد أن يرمي الإنسان نفسه عليه ليلمسه يُشفَى «فللوقت التفت يسوع بين الجمع شاعراً في نفسه بالقوة التي خرجت منه وقال: مَنْ لمس ثيابي؟» (مر 30:5). كان يحيط بالمسيح مجال قوة إلهية كل مَنْ دخلها تعاملت مع مرضه وتعبه وهمِّه وآلامه، فشفته وأفرحته وأعطته قوة تبقى معه. لذلك فكل مَنْ شُفي جرى وراءه، وكان عامل الإيمان به في قلوبهم والرجاء والحب العامل في أنفسهم هو الدافع الذي جعلهم يتدافعون نحوه، لأنه يقيناً إن أي إنسان لم يكن يؤمن به في قلبه ما كان يمكن أن يُشفى. فقوة المسيح لا تتعامل أبداً إلاَّ مع الإيمان والحب.

وبسبب هذا التزاحم الشديد لجأ المسيح إلى مركب صغير يجري بجوار الشاطئ حتى يستطيع أن يتعامل مع المرضى بالكلمة دون أن يزحموه.

11:3و12 «وَالأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ حِينَمَا نَظَرَتْهُ خَرَّتْ لَهُ وَصَرَخَتْ قَائِلَةً: إِنَّكَ أَنْتَ ابْنُ اللهِ! وَأَوْصَاهُمْ كَثِيراً أَنْ لاَ يُظْهِرُوهُ».

تجبَّر الشيطان على الإنسان بقوته الفائقة عن ما للبشر. فكانت الأرواح النجسة إذا دخلت إنساناً تسوقه، كما يسوق الإنسان البهيمة، ليسير إلى ما لا يريد أن يذهب ويعمل ما لا يريد أن يعمل ويقول بغير ما يشاء أن يقول، يضحك ويبكي بغير هواه لأنها ذات طبيعة متسلِّطة أقوى من طبيعة الإنسان. فالروح النجس إذا دخل إنساناً يمتلك كل ملكاته، لذلك يُقال عن الذي به روح نجس إنه مسكون، وهي باللغة الإنجليزية Possessed أي مملوك، فهو محسوب ضمن ‘‘مال وحوزة’’ الشيطان. وهذا نسمعه من قول المسيح في تعريفه لعمل الشيطان وكيفية ربطه ونصرة المسيح عليه كما سيجيء في الآية (27) من هذا الأصحاح: «لا يستطيع أحد أن يدخل بيت قوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً وحينئذ ينهب بيته» (مر 27:3). هنا الشيطان معبَّر عنه بـ‘‘القوي’’ ولكن المسيح هو الأقوى «حينما يحفظ القوي (الشيطان) داره متسلِّحاً تكون أمواله في أمان، ولكن متى جاء مَنْ هو **أقوى منه** (المسيح) فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزِّع غنائمه (الإنسان الذي اغتنمه)» (لو 21:11)، «سبى سبياً وأعطى الناس عطايا» (أف 8:4).

ولكن جاء الأقوى الذي يستطيع أن يربطه ويخرجه مرغماً صارخاً منهزماً ويسوقه حيث لا يشاء، إلى الظلمة والمصير المشئوم. فالأرواح النجسة عندما كانت تنظر إلى المسيح كانت ترتعب وتقع على الأرض وتصرخ معترفة بقوته وسلطانه «أنت ابن الله» الأمر الذي كان يشعر به ق. مرقس وهو يدوّن هذا الاعتراف الخطير في مبدأ إنجيله: «إنجيل يسوع المسيح **ابن الله**» وشهادة الأعداء من واقع الحال تحت إرغام واضطرار. ولكن المسيح لم يكن في حاجة إلى شهادة الشياطين، لأن أعماله وأقواله كانت تشهد له، لذلك فكان يتحتَّم عليهم أن لا يُظهروه لئلاَّ يفسدوا طريقته في الكرازة بأعماله وأقواله، وهكذا أخرسها بسلطانه.

18 اختيار الاثني عشر

[3: 13-19]

(مت 10: 1-14)،

(لو 6: 12-16)،

لقد كان من التقليد الكنسي المبكِّر جداً أن يدعى الذين تبعوا المسيح بالاثني عشر، ولم يُعطَ اسم "الرسل" إلاَّ للاثني عشر في الجيل الثاني بعد أن دخلت الكرازة بين الأمم(5). أمَّا بولس فتسمَّى بالرسول منذ أن دعي، وهو الذي سَمَّى نفسه بهذا اللقب، فتحت هذه الكلمة دخل بولس الرسول "**كرسول**" وليس كتابع أو تلميذ. والدليل على لقب "الاثني عشر" ما جاء على لسان ق. بولس: «وإنه ظهر لصفا ثم **للاثني عشر**» (1كو 15:5). فكانوا اثني عشر تلميذاً اختارهم يسوع. وقد اختارهم الرب اثني عشر ليكونوا على مستوى الاثني عشر سبطاً، بمعنى أن يكرزوا لإسرائيل جميعاً: «فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين **تبعتموني**، في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (مت 19:28). وهكذا يمثِّلون خدمة المسيح نفسه لكل شعبه. ومن جهة أسمائهم التي ذكرها هنا مرقس الرسول فهي في الواقع الأسماء المسيحية التي صارت لهم في الكنيسة، ولكنه ذكرها هنا أثناء اختيارهم، مع أن أسماءهم أثناء الاختيار كانت أرامية صرف.

(5) **C. H. Turner, Church Quarterly Review, july 1920, p. 338, cited by A. E. J. Rawlinson, *op. cit.*, p. 39.**

وإذا جمعنا الأسماء بحسب الأناجيل الثلاثة المتناظرة مع ما جاء مبكِّراً جداً في سفر الأعمال عنهم (أع 12:1)، نجد أن الأسماء متفقة بالنسبة لأحد عشر منهم، ولكن إنجيل ق. متى ينفرد بإعطاء اسم لبَّاوس Lebbaeus ويقول عنه إنه ملقَّب تدَّاوس Thaddeus الذي جاء أيضاً في إنجيل ق. مرقس هكذا. ولكن ق. لوقا ليس فيه هذان الاسمان ولكنه يتفق مع الإنجيل الرابع للقديس يوحنا في إعطاء اسم يهوذا لآخر غير الإسخريوطي الخائن (يو 16:6، ثم 22:14)، كما يزيد الإنجيل الرابع بين أحباء يسوع الأخصاء جداً اسم نثنائيل Nathanael الذي كان صديقاً لفيلبُّس Philip (يو 45:1 ثم 2:21)، مع أنه لم يظهر هذا الاسم على الإطلاق في أي من الأناجيل الثلاثة المتناظرة.

13:3ـ15 «ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَدَعَا الَّذِينَ أَرَادَهُم فَذَهَبُوا إِلَيْهِ. وَأَقَامَ اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونُوا مَعَهُ، وَلِيُرْسِلَهُمْ لِيَكْرِزُوا، وَيَكُونَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى شِفَاءِ الأَمْرَاضِ وَإِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ».

«**صعد إلى الجبل**»:

ليس في المنطقة جبل إنما مسطَّح عالٍ نوعاً ما. ولكن ق. مرقس يستوحي التقليد القديم الذي فيه كانت كل العمليات الإلهية الكبرى تتم على الجبال. فالجبل في العهد القديم والجديد أيضاً مكان الإلهام والوحي بالفداء. هكذا يعطينا ق. مرقس في اختيار وتعيين التلاميذ إيحاءً إلهياً أنها عملية إلهام وفداء تمَّت مع الاثني عشر، واستعلان المسيح كمشرِّع العهد الجديد. والقديس مرقس يستمر في نظرته إلى الجبل نفس النظرة على مدى إنجيله:

+ «وبعدما ودَّعهم مضى إلى الجبل ليصلِّي.» (مر 46:6)

+ «وفيما هو جالس على جبل الزيتون تجاه الهيكل.» (مر 3:13)

«**وأقام اثني عشر**»: kaˆ ™po…hsen dèdeka

هنا كلمة ''أقام'' باللغة العربية ليست مطابقة للكلمة اليونانية التي تميل أكثر إلى عملية ''الصُنع = he made أو he created twelve'' وذلك حسب رأي العالِم الألماني ج. شنيوند(6). ويستقرئ هذا العالِم من هذا الاصطلاح أن المسيح قام بالفعل بعملية تجديد لرؤوس الاثني عشر سبطاً القدامى، أو تجديد شعب الاثني عشر سبطاً بواسطة هذه الرؤوس الجديدة. وترددت مرَّة أخرى: «فأجعلكما صيَّادي الناس» (مت 19:4). أي أجدِّد لكم مهنة صيد جديدة.

وواضح من استقراء إنجيل ق. مرقس أن بدء اختيار التلاميذ وتعيينهم للخدمة يفتتح به المسيح

(6) **J. Schniewind, cited by William. L. Lane, *op. cit.*, p. 132, n. 45.**

إرساليته الماسيَّانية وامتدادها في كل الأنحاء المذكورة سابقاً التي خدم فيها: «ودعا الاثني عشر وابتدأ يُرسلهم اثنين اثنين، وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة، ... فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا ... »(مر 6: 7ـ12). ومع أن ق. مرقس يركِّز على الاثني عشر هنا، ولكننا من نفس الكلام نستطيع ان نتصوَّر بسهولة عدداً كبيراً آخر كان يتبعه، والذي ألمح إليه بأنه اختار منهم الاثني عشر ليبقوا معه. أمَّا التلاميذ الآخرون الذين كانوا يأتون إليه ويسيرون معه فإنه لم يذكر منهم أحداً، ولكن هؤلاء الاثني عشر هم الذين تبعوه منذ الابتداء. والقديس مرقس ركَّز على الاثني عشر في إنجيله حوالي عشر مرَّات، علماً بأن كلاًّ من ق. متى وق. لوقا أخذ بما سجَّله ق. مرقس، ولكنهما معاً ذكرا الاثني عشر ست مرَّات فقط وق. يوحنا أربع مرَّات، ومرَّة واحدة في سفر الأعمال، وفي رسائل ق. بولس الرسول ذُكروا مرَّة واحدة. ومن ذلك نفهم أن تقليد ق. مرقس من جهة التلاميذ هو أقدم وأصل كل ما جاء عنهم في الأناجيل(7) وذلك بحسب العالِم ر. ب. مايي الذي يقول: إن إنجيل ق. مرقس هو أول مَنْ سجَّل عبارة يسوع المسيح على أنه ابن الله في إنجيله، وأول مَنْ شدَّد على عبارة الكنيسة وعمل الاثني عشر(8).

أمَّا قصد المسيح من العدد اثني عشر فهو قائم أساساً على مفهوم العهد الجديد وشعب المسيح، فهو المقابل للاثني عشر سبطاً، بل والمقابل لكل شعب إسرائيل في العبادة الجديدة القائمة على استعلان ملكوت الله. وبينما كان الاثنا عشر رأساً للأسباط مجرَّد نسل ليعقوب المبارك، إذ بالاثني عشر تلميذاً محسوبون الاثني عشر باباً لأُورشليم السماوية، وهم أيضاً الاثنا عشر أساساً المحسوبون رُسُل الخروف (رؤ 21: 12و14). وهم أيضاً المحسوبون في أُورشليم السماوية الاثني عشر لؤلؤة واثني عشر حجراً كريماً بألوانها السمائية. الذين سيجعل لهم المسيح أن «يجلسوا على كراسي يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (لو 28:22)، وهم الذين فتح المسيح ذهنهم ليفهموا المكتوب، الذين تنبأ عنهم دانيال بأنهم الفاهمون الذين يضيئون كضياء الجلد، الذين ردّوا كثيرين إلى البر، ويضيئون كالكواكب إلى أبد الدهور (دا 3:12)، كما سبق يوسف حبيب يعقوب أبيه أن رآهم في الرؤيا (تك 9:37).

بدأوا حياتهم ملتصقين بمعلِّمهم كتلاميذ، وظلَّ يكشف عن أعينهم أسرار ملكوت الله بسعة: « فقال لهم: قد أُعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله» (مر 11:4)، إلى أن اشتد عودهم وتعبوا

(7) R. P. Meye: ***Jesus & the Twelve*****, (1968), pp. 88-191.**

(8) **Ibid., cited by William L. Lane, *op. cit.*, P. 45.**

معه في تجاربه، فكانوا أول مَنْ ظهر لهم بعد قيامته ونفخ فيهم من روحه القدوس وأرسل لهم المعزي ثم أرسلهم ليضيئوا المسكونة وليملِّحوا كل الأرض! وعلى أساسهم نحن مبنيون الآن ولنا شركة مع الآب والمسيح: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف 20:2)

ويُلاحِظ القارئ بسهولة كيف صار الصيَّادون وجباة الضرائب تلاميذ ثم رسلاً مفتوحي العينين حكماء مقتدرين، يشفون المرضى، ويخرجون الشياطين بل ويقيمون من الموت، ويعلِّمون أسرار الملكوت والمسيح، ويمنحون الروح القدس للكنائس بوضع اليد. وبهذا يؤمِّن المسيح عمله الماسيَّاني وقدرته الإلهية على تجديد البشرية ومنحها المواهب الإلهية الفائقة. وهكذا صار الاثنا عشر نموذج العمل الماسيَّاني الجديد، والخميرة الإلهية التي خمَّرت عجينة البشرية، وتلمذوا شعوب الأرض لحساب المسيح والملكوت، وألقوا شبكة الخلاص على وجه الأرض كصيادين مهرة، وأتوا للمسيح والآب بصيد عظيم لا يزال يتزايد حتى يجمع المسكونة في شبكة المحبة التي أحب بها الله العالم.

16:3-19 **«وَجَعَلَ لِسِمْعَانَ اسْمَ بُطْرُسَ. وَيَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ، وَجَعَلَ لَهُمَا اسْمَ بُوَانَرْجِسَ أَيِ ابْنَيِ الرَّعْدِ. وَأَنْدَرَاوُسَ، وَفِيلُبُّسَ، وَبَرْثُولَمَاوُسَ، وَمَتَّى، وَتُومَا، وَيَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى، وَتَدَّاوُسَ، وَسِمْعَانَ الْقَانَوِيَّ، وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ الَّذِي أَسْلَمَهُ. ثُمَّ أَتَوْا إِلَى بَيْتٍ».**

الأول: «وجعل لسمعان اسم بطرس»:

وفي بعض المخطوطات تُقرأ: الأول سمعان (وجعل لسمعان اسم بطرس = S…mwni Pštron) سمعان وحدها ثم بين قوسين سمعان بطرس.

وكلمة "بطرس" تجيء هنا في إنجيل ق. مرقس لأول مرَّة، إذ ذكرت سابقاً سمعان فقط، مما يبدو أن المسيح لما جمعهم معاً بعد أن اختارهم بدأ يعطيهم أسماءهم الجديدة: «وجعل لسمعان اسم بطرس» واسم بطرس مذكور في إنجيل ق. مرقس 19 مرَّة باسم بطرس فقط، ما عدا في (37:14): «فقال لبطرس: ياسمعان أنت نائم؟!!» وبطرس هي أصلاً بالأرامية Khf£j وتعني: "صخرة"، ونقرأها في إنجيل ق. يوحنا هكذا: «وقال أنت سمعان بن يونا (حمامة) أنت تُدعى صفا الذي تفسيره بطرس» (يو 12:1). وعُرف بطرس بين التلاميذ باسم صفا، كما عَلِمَها ق. بولس هكذا: «فأنا أعني هذا: أن كل واحد منكم يقول: أنا لبولس، وأنا لأبلُّس، وأنا لصفا، وأنا

للمسيح ...» (1كو 12:1)، وكذلك: «ألعلَّنا ليس لنا سلطان أن نجولَ بأُختٍ زوجةً كباقي الرسل وإخوة الرب **وصفا**؟» (1كو 5:9)، كذلك: «وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر.» (1كو 5:15). ولكن عاد ق. بولس وأعطى اسم بطرس بوضوح: «ثُمَّ بعد ثلاثِ سنين صعِدتُ إلى أُورشليم لأتعرَّف ببطرس، فمكثتُ عنده خمسةَ عشرَ يوماً.» (غل 18:1). ولكنه عاد يذكر اسم صفا: «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأُمم، وأمَّا هم فللختان.» (غل 9:2). وهكذا ندرك أن إنجيل ق. مرقس لم يذكر اسم صفا ولا كيفا (مترادفاً) على الإطلاق. والمعتقد بحسب العلماء أن اسم كيفا أو صفا يُقال له عندما يراد التلميح إلى أخلاقه(9).

الثاني والثالث: «**ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخا يعقوب وجعل لهما اسم بوانرجس**»:

«**بوانرجس**»: Boanhrgšj

الاسم هنا بهجاء يوناني ويعتقد البعض أنه منقول مغلوطاً من الأرامية التي تُقرأ Banhregej وبمعنى اختلف فيه العلماء، ولكن أصحهم هو العالِم تورّي(10) الذي يعطي المعنى بالعاصفة الرعدية thunderstorm فتكون ابن الرعد.

وهكذا يبدو أن المسيح أعطاهم أسماءً جديدة مستمدة من طباعهم.

الرابع: «**وأندراوس**» 'Andršan = Andrew

نجد في الترتيب هنا أن أندراوس يأتي مباشرة بعد يعقوب ويوحنا، وهذا موافق لما جاء في سفر الأعمال (13:1). ولكن في إنجيلي ق. متى ولوقا يأتي أندراوس بعد بطرس. ولكن المقبول لدى العلماء هو ترتيب ق. مرقس حيث تقرَّر وضع أندراوس بعد يعقوب ويوحنا. ونلمح قصد ق. مرقس من ذلك أن يجمع الثلاثة تلاميذ الأساسيين بطرس ويعقوب ويوحنا معاً بالترتيب، كما ذكرهم في عدة مواضع من إنجيله (37:5)، (2:9)، (33:14). ومن هنا يفهم القارئ أن مرقس الرسول منسِّق إنجيله على مبادئ قوية وثابتة.

الخامس: «**وفيلبُّس**»: F...lippon

كل من اسم أندراوس وفيلبُّس أسماء يونانية صرف، وبالرغم من أن اسم فيلبُّس تكرر في إنجيل

(9) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 231.**
(10) **C. C. Torrey, *The Four Gospels*, p. 298.**

ق. يوحنا، إلاَّ أننا لا نعثر على هذا الاسم إلاَّ في مجموعة الأسماء للاثني عشر فقط في الثلاثة أناجيل وسفر الأعمال، ولكن اسم فيلبُّس الرسول هنا غير اسم فيلبُّس الذي جاء في سفر الأعمال بين أسماء السبعة شمامسة (أع 25:6) الذي بشَّر في السامرة (أع 7: 5ـ40) والمعتبر تحت لقب ''إنجيلي'' في (أع 8:21). ويلزم أن نحترس من اختلاط الاسمين كما حدث بين الكتَّاب الأوائل.

السادس: «**وبرثولماوس**»: Barqoloma‹on وبالإنجليزية Bartholomew

واسمه ''أبوي'' بمعنى ''ابن فلان'' كما في العربية، فهو ابن ثالماي Qalmai وهو مشابه لاسم بارثيماوس Bartˆma‹oj ''ابن طيما'' الأعمى (مر 46:10). وبارثولماوس يُظن ربما خطأ أنه هو أيضاً نثنائيل المذكور في إنجيل ق. يوحنا (45:1) ويميل لهذا الرأي العالِم سويت(11) والعالِم وستكوت أيضاً.

السابع: «**ومتَّى**»: Maqqa‹on

والكلمة اختصار للنطق الصحيح Mattaq…a كما جاءت بهذا الهجاء في سفر أخبار الأيام الأول (21:15) ''متّاثيا'' ومعناها هدية أو عطية. وفي إنجيل ق. متى أضاف إلى اسم متى كلمة العشَّار (مت 3:10)، وهكذا جاء الاسم ليوضِّح به اسم لاوي عند ق. مرقس (14:2) بلا أي لبس: «وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى فقال له اتبعني فقام وتبعه» (مت 9:9)، وهكذا نعرف أن متى الرسول هو لاوي.

الثامن: «**توما (توماس)**»: Qwm©n

وهو المدعو في إنجيل ق. يوحنا (16:11) «الذي يُقال له التوأم Ð legÒmenoj D…dumoj» واسمه وارد في إنجيل ق. يوحنا (5:14) مع فيلبُّس (يو 8:14) ويهوذا ليس الإسخريوطي (يو 22:14) ضمن الذين سألوا الرب أثناء أحاديث الوداع.

التاسع: «**ويعقوب بن حلفى**»: 'I£kwbon tÕn toà Alfa…ou

وأعطاه هذا اللقب حتى يُفرِّق بينه وبين يعقوب بن زبدي. وهو المذكور هنا في إنجيل ق. مرقس وفي (مت 3:10)، (لو 15:6)، (أع 13:1). وهو يُعرف أحياناً بيعقوب الصغير كما جاء في (مر 40:15): «وكانت أيضاً نساءٌ ينظُرن من بعيد، بينهُنَّ مريم المجدلية، ومريم أم **يعقوب الصغير** ويوسي، وسالومة»

(11) **H. B. Swete, *The Gospel According to St. Mark* (London 1913, reprinted 1981), p. 60; & Westcott, cited by Swete.**

ويقول العالِم ترنر: إنه ربما يكون أخا «لاوي بن حلفى» الذي ذكره في (مر 14:2).

وقد عُرف مرَّات كثيرة باسم كلوباس Klwp©j كما جاء في (يو 25:19) وكذلك كليوباس KleÒpaj كما في (لو 18:24) حسب أبحاث العالِم ليتفوت(12).

ويقول ليتفوت أيضاً إن اسمه الحقيقي كان كلوباس بالأرامية ولما تحوَّلت إلى اليونانية أخذت رنة اليوناني فصارت كليوباس.

العاشر: «**وتدَّاوس**»: Qadda‹on

وجاء في إنجيل ق. متى: «لباوس الملقَّب تداوس» (مت 23:10). وهذا الاسم قريب في النطق من ثوداس Qeud©j الوارد في (أع 36:5)، وهو مختصر لاسم ثيؤدوسيوس QeodÒsioj وثيؤدوتوس QeÒdotoj وأحياناً ثيؤدوروس QeÒdwroj وذلك بحسب تحقيق العالِم دالمان(13).

ويقول التقليد الكنسي: إن أعمال هذا التلميذ القديس كانت في نواحي أديسا Edessa (الرها)، وهو المذكور في (لو 15:6)، (أع 13:1) باسم يهوذا أخي يعقوب، وأيضاً ذكر باسم لبايوس Lebba‹oj في إنجيل القديس مرقس في بعض المخطوطات، ووجد في إنجيل ق. متى باسم لبايوس (مت 3:10).

أمَّا الكتاب الكنسيون المتأخرون نوعاً فيجعلون تداوس ولبايوس ويهوذا أخا يعقوب اسماً واحداً متبادلاً. ويقول العلاَّمة أوريجانوس في ذلك: إن اليهود اعتادوا أن يعطوا للشخص الواحد اسمين أو ثلاثة مثل هذا التلميذ. ويقول العالِم ستريتر(14): إن في إنجيل ق. مرقس جاء إمَّا لبايوس أو تداوس كقراءة أصيلة، حيث يقول البحَّاثة إن اسم لبايوس يعني القلب (اللب باللغة العربية).

الحادي عشر: «**وسمعان القانوي**»: S…mwna tÕn Kanana‹ou

وهو المدعو بالغيور zhlwt»j وواضح أن اسم كانيناوس من ''قانون'' أي المتمسِّك بالناموس، لذلك دعاه ق. لوقا مباشرة بالغيور zhlwt»j . وهو ليس له علاقة بقانا الجليل كما يخطئ بعض العلماء. والغيورون أو الزيلوتيون هم الذين اشتهروا بعد ذلك بتحريض الشعب لحمل السلاح للثورة ضد الرومان حسب تاريخ يوسيفوس، وهم الذين تبعوا يوداس الجليلي وكان منهم الفريسيون أتباع الجناح اليساري

(12) **Lightfoot, *On Galat.*, p. 267 n.**
(13) **G. Dalman, *The Words of Jesus*, Eng. Tr., p. 50.**
(14) **B. H. Streeter, *The Four Gospels*, p. 145.**

بتشددهم الوطني. ولكن في سمعان القانوي هنا فإن الغيرة محصورة في الدين وحسب.

الثاني عشر: يوداس الإسخريوطي: 'IoÚdan 'Iskarièq' أو 'Iskarièthj'

وإسخريوطي تُفهم على أنها رجل من بلدة قريوت Kerioq وهي إما قريوت حصرون المذكورة في (يش 25:15) على بعد 12 ميلاً جنوب حبرون، أو قريوت موآب المذكورة في (إر 24:48). ويتعجَّب العلماء أن مرقس الرسول ترك كلمة الإسخريوطي دون تعليق.

ويتعجَّب جميع العلماء كيف صار يُذكر يهوذا الإسخريوطي هنا بين التلاميذ حتى بعد الخيانة دون كشف شخصيته، مما يعطي لتاريخ إنجيل مرقس أصالة فائقة في أمانة النقل والتدوين والتقليد الإنجيلي.

والآن يقع هذا الفصل في إنجيل ق. مرقس (13:3-19) موقعاً هاماً ومتميزاً، لأن اختيار الاثني عشر خطوة أساسية في بروجرام أو خطة إنجيل ق. مرقس الذي يبدأ إعلانه في الأصحاح الأول عند ذكر بدء اختيار سمعان وأندراوس أخيه ليكونا صيادي الناس. وهنا بدء رفع الستار عن قصة الكرازة "صيد الناس" بواسطة التلاميذ، التي أُكملت حلقتها الأُولى عند الأصحاح السادس هكذا: «واجتمع الرسل إلى يسوع وأخبروه بكل شيء كل ما فعلوا وكل ما علَّموا» (مر 30:6). أمَّا بعد ذلك التاريخ فمسيرة التلاميذ مع المسيح كانت للمرافقة والمشاهدة في امتداد كرازة المسيح مع التلاميذ، والتي خُتِمَتْ بعد قيامة الرب من الأموات في (مر 28:14): «ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل» الذي تمَّ بالتحقيق في (مر 7:16): «لكن اذهبن وقُلنَ لتلاميذه (المتكلِّم هو الملاك) ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم»

ويا عزيزي القارئ، إن فصل اختيار وتعيين المسيح للتلاميذ الاثني عشر يحسب بالنسبة لنا قلب الإنجيل، فبواسطة هؤلاء صرنا نحن الآن مسيحيين بل وتلاميذ الرب، ليس عن طريق كرازتهم وحسب بل وثمرة لسفك دمائهم. فالعالم وكل فرد مدين لهذه الأسماء التي تقدَّست من فم المسيح. جماعة صيادين يحوِّلهم المسيح في دعوة للاجتماع بعدها يخرجون وقد انتهوا من مهنتهم وبيتهم وحياتهم السابقة، ليتعلَّموا بالروح كيف يطرحون شباك النعمة على الناس في كل الأُمم لحساب ملكوت الله. والشبكة ظلت مطروحة إلى اليوم أجيالاً وراء أجيال لتمتلئ كل يوم وتُخرج سمكاتها المقدَّسة من سلطان بحر هذا العالم لتدخل في سلطان ملكوت المسيح والله: ملايين ملايين بلا عدد في كل الأرض. مَنْ يصدِّق أن صيادي الجليل ومَنْ احترفوا حرفتهم بعدهم يصطادون هكذا كل أُمم العالم.

دُعيوا فلبُّوا الدعوة فصاروا تلاميذ وحفظوا أمانة التلمذة فصاروا رسلاً، وكما استلموا هذا التراث المقدَّس لا يزالون يطرحونه على الناس: دعوة فتلمذة فأمانة فرسالة. وكأن الاثني عشر خميرة الملكوت التي خمَّرت عجنة البشرية كلها. وإن لم "يتغيَّر" المدعو من صيد التوافه إلى مستوى صيد السموات فلا نفع له مهما علت درجاته. فإن لم يقبل الإنسان الروح القدس فلن يكون له عمل في ملكوت الله. فحتمية التغيير تسبق التعيين في الخدمة، وإلاَّ فلن تكون خدمة. فالخدمة نعمة، فكيف تكون خدمة بدون نعمة، كيف يبشِّر الإنسان بالخلاص وهو لم يختبره، كيف ينادي بالملكوت وهو لم يذقه، كيف يشهد للمسيح وهو لم يشاهد، بل كيف يستحث النفوس على التغيير عن شكل العالم وهو لا يزال يحمل شكله، بل كيف يدعو للولادة من فوق وهو لم يجُز مخاضها؟ خطر هو الاشتغال باسم المسيح اكتفاءً بالاسم والشكل واللقب. المنبر في محنة لأن الذين ينادون من فوقه لم ينادِهم الله ولا هم سمعوا صوته. رعبة أن يحمل الخادم مسئولية شعب وهو لا يزيد عن واحد من أفراده، كيف ينطق بالحق وهو لا يعيشه؟

انظروا التلاميذ كيف ساروا وعاشوا ملاصقين للمسيح الليل والنهار: «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي» (لو 28:22)، «أنتم الذين تبعتموني» (مت 28:19). ثمَّ أخيراً: «قد أُعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله» (مر 11:4)، «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.» (لو 45:24). فخدموا المسيح وخدموا الملكوت. فالذي لم يتتلمذ للمسيح والإنجيل كيف يخدم المسيح والإنجيل؟ والذي لم تنفتح بصيرته ويفهم المكتوب كيف يشرح المكتوب؟ ثم كيف يدعو للشركة مع الله الآب والمسيح وهو لا يعرفها ولا يفهمها ولا يعيشها ولا يؤمن بها؟ «أمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (1يو 1: 3و4)، كيف ندعو لفرح المسيح ونحن لا نعيشه؟ بل كيف نقيم الشركة في الجسد والدم على المذبح ونحن لم نمارس الشركة في الجسد والدم في حياتنا.

إذا وقف الخادم، أي خادم، ليعظ على المنبر كيف يبلِّغ الناس رسالة المسيح إن لم يكن له خبرة الرسالة: «الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا» (1يو 4:1). يتحتم على الخادم أن يدرك ويثق ويؤمن أنه يخدم النور، والذي يخدم النور ومصباحُه الداخلي مُطفأ يصير منارة بلا نور، ومنادياً بلا صوت. الخادم الذي يتأفف ويتعالى على غسل الأرجل لا يأتمنه المسيح على خدمة بيته:

+ «فلمَّا كان قد غسل أرجُلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضاً، قال لهم: أتفهمون ما قد صنعت

بكم؟ أنتم تَدْعُونَني معلِّماً وسيِّداً، وحسناً تقولون، لأني أنا كذلك. فإن كُنت وأنا السيد والمعلِّم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأني أعطيتكم مثالاً، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله. إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه.» (يو 13: 12-17)

عزيزي القارئ المعلم والسيد والكاهن، إن هذا التعليم العملي الفائق القيمة هو لك. اسمع ما يقوله معلم الكنيسة الأول بعد سيده:

+ «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع»(2كو 5:4)

19 عثرة الأقارب ومقاومة الكتبة

النقد المتهوِّر والسلطان القاهر

[3: 20-26] (مت 12: 24-28)، (لو 11: 15-20)

نقطة الاشتعال:

3: 20و21 «... ثم أتوا إلى بيتٍ. **فَاجْتَمَعَ أَيْضاً جَمْعٌ حَتَّى لَمْ يَقْدِرُوا وَلاَ عَلَى أَكْلِ خُبْزٍ. وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرِبَاؤُهُ خَرَجُوا لِيُمْسِكُوهُ، لأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّهُ مُخْتَلٌّ!**».

واضح أن سرد هذه الواقعة جاء كوصلة بين عملين: الأول اختيار الاثني عشر وتكريسهم للخدمة، والحدث الآخر هو موقف الكتبة من تعليم المسيح وعمله المعجزات. والقارئ يندهش كيف يسجِّل ق. مرقس في إنجيله هذه الحادثة التي تُضعف الإيمان بالمسيح وتحط من مستواه ومن كرامته ومن هيبته. ولكن اعتنى ق. مرقس أن يذكر هذه الحادثة المهينة للمسيح التي تكشف بحد ذاتها عن أمانة في السرد وإمعاناً في تصوير الوقائع كما هي، وهو واثق أن مثل هذه الوقائع تدخل في تكميل صورة المسيح والكرازة، إذ اعتبرها جزءاً حيًّا من الإنجيل الذي

يبلِّغنا ما جرى للمسيح وهو عتيد أن يجري علينا: «لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس» (لو 31:23). وتُعتبر هذه القصة كما صوَّرها ق. مرقس من أهم وأخطر البراهين التي توثِّق إنجيل ق. مرقس وتكشف عن تمسُّك شديد وأمين بالتاريخ الملقَّن من واحد لواحد والمدوَّن من يد ليد.

لما اجتمع المسيح مع تلاميذه الاثني عشر في بيتٍ - ربما بيت ق. بطرس - على أثر تكريسهم للخدمة، كانت مفاعيل النعمة في ذلك اليوم فائقة الحد، أحسَّ بها كل الذين لهم حساسية الروح، وكل الذين يطلبون وجه الله ولهم عنده سؤال وطلبة ومذلَّة إثر أعواز الدنيا وبلايا الجسد. تنادوا وتجمَّعوا وأحاطوا بالبيت ثم دخلوه، فالمسيح هو الملكوت، يُغتصب والغاصبون يختطفونه، فلا سؤال ولا استئذان. فحيثما يكون الكنز يكثر الغاصبون ويتربَّص المختطفون، حتى ضاق البيت وخارجه وتعذَّرت الحركة وتعذَّر على أهل البيت ترتيب المعيشة حتى ولا على أكل الخبز. فبقدر ما كانت مسرَّة القادمين من قريب ومن بعيد لما رأوه مع تهليل القوم وراحة المتألمين، بقدر ما تضجَّر مَنْ في البيت.

وما أمرَّ على الإنسان الذي يصنع الخير ويبذر الحب والسلام ويبذل الحياة لخدمة الآخرين، حينما لا يُفهم ولا يُقدَّر حُبُّه ولا يُصدَّق صدقه، ويتعامى الناس عن النعمة التي فيه والنور الذي ينبثق من قلبه وعينيه، ولكن أمرَّ المر أن يكون هؤلاء الناس العاثرون هم الأقارب وأهل البيت « لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به!!» (يو 5:7). فأن يجوز الإنسان محنة الأعداء أمر يهون، ولكن أن يخرج الأقارب بغرض احتجازه لما شاع عنه أنه مختل، فهذا شيءٌ لا يهون ولا يكون حينما يكون هذا الإنسان هو المسيح وهو الحق والحياة.

آه يا أهلي ويا إخوتي وأحبائي، يقول قائل: «ما هذه الجروح (التي) في يديك (بل في قلبك)؟ فيقول: هي التي جُرحت بها في بيت أحبائي» (زك 6:13)، والذين باعوا يوسف باعوني: «أمَّا إليكم يا جميع عابري الطريق (أسمعتم أقاربي وإخوتي)، تطلَّعوا وانظروا إن كان حزنٌ مثل حزني ... »(مرا 12:1)، «الذي وثقت به آكل خبزي (معي) رفع عليَّ عقبه.» (مز 9:41)

لقد جاز المسيح عثرة الأقارب، وعثرة الإخوة والذين عاشوا معه وأكلوا الخبز والملح معاً وجاز قلبه الحزين الألم كما يجوز في النفس سيف.

وما قاله الأقارب بموارية

قاله الكتبة على المكشوف

22:3 «وَأَمَّا الْكَتَبَةُ الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ فَقَالُوا: إِنَّ مَعَهُ بَعْلَزَبُولَ، وَإِنَّهُ بِرَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ».

إن كان الأقارب قد قالوا إنه مختل العقل، فليس بكثير أن يقول الكتبة إن معه بعلزبول. يا لصبرك العجيب يا ابن الله، يا لوداعتك واتضاعك، فأنت وأنت قادر أن تُنزل ناراً من السماء وتفنيهم تكتفي بأن تكشف لهم عظم الجرم الذي اقترفوه ومدى علو سلطانك فوق كل سلطان. وتشرح لهم فساد ظنهم وشر اتهامهم وتعدِّيهم على حق الله وإهانة ابنه القدوس المبارك.

«**وأمَّا الكتبة الذين نزلوا من أُورشليم**»:

هم بعثة مُرسلة على عجل عندما بلغت أسماع السنهدريم أعمال المسيح الفائقة وخاف الرؤساء لئلاَّ يذهب الشعب وراءه، فجاءت البعثة محمَّلة بخطة ماهرة لوقف عملية الانبهار بالإيمان بالمسيح. والخطة تقوم على الحط من سلطان المسيح الذي يستخدمه في إخراج الشياطين، بأن يلوِّثوا سمعته بين الشعب بأن المسيح يستخدم رئيس الشياطين لإخراج الشياطين، وهكذا يبطلون الإيمان به ويحقِّرون من شخصه لينفضَّ الناس عنه. ولكن فاتهم أنهم بهذا الاتهام يكونون قد جدَّفوا على الروح القدس الذي يعمل به المسيح وأهانوا القدير وأغلقوا ملكوت الله أمام وجوههم:

+ «إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله.» (مت 28:12)

«**برئيس الشياطين يخرج الشياطين**»:

يلاحِظ القارئ أن الجزء الأول من الآية يقول فيه الكتبة إن **معه** بعلزبول أي أن الشيطان مُستَحوِذ عليه، وفي النصف الآخر من الآية يقولون إنه برئيس الشياطين يُخرج الشياطين. وهذا القول ينقض بعضه كما ردَّ المسيح، إذ كيف والمسيح مُستحوذ عليه بواسطة الشيطان يعود ويُخرج الشيطان من الآخرين، هذا أمر مستحيل لأن إخراج الشيطان من إنسان هو بمثابة هزيمة منكرة للشيطان وعملية فاضحة له. فكيف شيطان يصنع هذا بشيطان؟

23:3-26 «فَدَعَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ بِأَمْثَالٍ: كَيْفَ يَقْدِرُ شَيْطَانٌ أَنْ يُخْرِجَ شَيْطَاناً؟ وَإِنِ انْقَسَمَتْ مَمْلَكَةٌ

عَلَى ذَاتِهَا لاَ تَقْدِرُ تِلْكَ الْمَمْلَكَةُ أَنْ تَثْبُتَ. وَإِنِ انْقَسَمَ بَيْتٌ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَقْدِرُ ذلِكَ الْبَيْتُ أَنْ يَثْبُتَ. وَإِنْ قَامَ الشَّيْطَانُ عَلَى ذَاتِهِ وَانْقَسَمَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَثْبُتَ، بَلْ يَكُونُ لَهُ انْقِضَاءٌ».

بوداعة المسيح وحلمه دعا الكتبة الذين شتموه وأهانوا عمله ونعتوه بفعل شيطان وبدأ يشرح لهم بأمثال، وأمثال هنا تعني باللغة الأصلية ''المثل إزاء المثل''، أي بالمقارنة والتطبيق، كيف أن شيطاناً يُخرج شيطاناً؟ لأن إخراج الشيطان كما يعرفه المسيح ويعمله يحتاج إلى قوة إلهية، إذ الإخراج هو حكم طرد بالقوة المقتدرة فيها يخرج الشيطان منهزماً صارخاً، كما كان يحدث تحت يديه، فإن حدث حقًّا أن شيطاناً أخرج شيطاناً فهذا معناه أن الشيطان قد انقسم على نفسه وكان هذا نذيراً بخراب مملكته.

20 القوي الذي رُبط ونُهب بيته

[3: 27-30] (مت 12: 29-32)، (لو 11: 21-22)

27:3 «**لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ قَوِيٍّ وَيَنْهَبَ أَمْتِعَتَهُ، إِنْ لَمْ يَرْبِطِ الْقَوِيَّ** (الشيطان) **أَوَّلاً، وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ**».

هنا أعظم الأمثال التي قالها المسيح وفيها يشرح فِكْرَهُ عن الشيطان ومنهَجه الكامل الذي جاء ليكمِّله خطوة خطوة للإنهاء على هذه القوة الشريرة. ففي هذا المثل نقرأ بوضوح وقوة عن ''السلطان الأقوى'' الذي جاء المسيح به ليهدِم به سلطان القوي! وعن قدرة المسيح الفائقة في اقتحام بيت الشيطان وجبرؤوته التي يربطه بها فيوقف حركته ويسلبه قوته وسلطانه ويسترجع منه أسلابه التي سلبها من بني الإنسان: «سبى سبياً وأعطى الناس عطايا» (أف 8:4). بمعنى أن المسيح لما نزل إلى الجحيم حيث أسر الشيطان كثيرين من أبرار العهد القديم بحكم سلطان الموت الذي له وسباهم ظلماً، كسر المسيح مصاريع الهاوية وأخرج أسرى الرجاء، فقيل إنه «سبى سبياً» فمعركة المسيح الأُولى التي بدأت مع الشيطان كانت بعد المعمودية مباشرة، بعد أن تأكد الشيطان أن يسوع المسيح هو ابن الله. لذلك تركَّزت تجربته للمسيح في «إن كنت أنت ابن الله» لقد دخل المسيح بدعوة جريئة

من الشيطان لدخول بيته، وهي البرية التي بلا ماء حيث راحته، وهناك حدثت المناظرة بل المبارزة التي نجهل ثقلها، والتي استلزمت من المسيح أن يصوم أيامها كلها، والتي خرج منها الشيطان مربوطاً فاقداً حريته المطلقة التي كانت له على بني الإنسان. لأن المسيح حارب كابن الإنسان عن دائرة الإنسان، وخرج منها المسيح وله صورة مرعبة على كل مملكة الشيطان وأعوانه.

وهكذا بدأ المسيح يكرز بملكوت الله، وكانت الشياطين ترتعب منه وتخرج صارخة، لأن رئيسها رُبط تحت سلطان المسيح. وهكذا بعد أن رَبَطَ المسيح الشيطان بدأ ينهب بيته بإخراج الأرواح الشريرة وهي صاغرة، إلى أن أكمل النصرة على الشيطان، لما نزل إلى الهاوية وفك أسرى الرجاء، كل الذين سباهم الشيطان: فلمَّا قام المسيح بعد أن كسر مصاريع الهاوية خرج ومعه كل المسبيين ظلماً وعدواناً «سبى سبياً وأعطى الناس عطايا»

28:3-30 «**الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ جَمِيعَ الْخَطَايَا تُغْفَرُ لِبَنِي الْبَشَرِ، والتَّجَادِيفَ الَّتِي يُجَدِّفُونَهَا. وَلكِنْ مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَيْسَ لَهُ مَغْفِرَةٌ إِلَى الأَبَدِ، بَلْ هُوَ مُسْتَوجِبٌ دَيْنُونَةً أَبَدِيَّةً. لأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ مَعَهُ رُوحاً نَجِساً**».

«**الحق**»:

هي "**آمين**" في أصلها العبري، وهي تختص جداً بأقوال المسيح ولا يشترك في قولها آخر. وهذا جيد وصدق، لأن المسيح هو هو الحق، فإن قال فهو الأمين والحق بالدرجة الأُولى، والمسيح يقولها ليعطي لكلامه بعدها القوة الإلهية النافذة والمنفِّذة. وهي تكررت في إنجيل ق. مرقس ثلاث عشرة مرَّة، أمَّا في إنجيل ق. متى فثلاثين وفي إنجيل ق. لوقا ست مرَّات وفي إنجيل ق. يوحنا «الحق الحق» مكرَّرة خمساً وعشرين مرَّة.

«**إن جميع الخطايا تُغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدِّفونها. ولكن مَنْ جدَّف على الروح القدس ...**»:

وقد جاءت في إنجيل ق. متى هكذا:

+ «كل خطية وتجديف يُغفر للناس، وأمَّا التجديف على الروح فلن يُغفر للناس.» (مت 31:12)

وأمَّا في إنجيل ق. لوقا فقد جاءت هكذا:

+ «وكل مَنْ قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له، وأمَّا مَنْ جدَّف على الروح القدس فلا يُغفر له.» (لو 10:12)

وواضح أن قوله في إنجيل القديس لوقا: "ابن الإنسان" أنه يعني وضع المسيح في نظر الناس، أي

في وضعه غير المستعلن أنه مسيَّا ابن الله، وبذلك يكون التجديف ناشئاً من اختباء المسيح في صورة إنسان بسبب اتضاعه، فهي عثرة في اتضاع ابن الله لذلك لا تُحسب. ثم عاد المسيح ورجع على مَنْ يجدِّف على الروح القدس نفسه، أي على من يعتبره روحاً نجساً، فهذا قد عثر في الله ككل. ففرق هائل بين مَنْ يجدِّف على «ابن الإنسان» باعتباره إنسان عادي دون أن يدري، ومن يجدِّف على روح الله باعتباره روح نجس.

والذي يلفت نظر العلماء جداً هذا الوضع الشمولي: «**جميع الخطايا والتجاديف**». وواضح أن ما جاء في إنجيل ق. متى هو مدوَّن على أساس ما جاء في إنجيل ق. مرقس مع تعديل طفيف لإصلاح اللغة فقط. أمَّا ما جاء في إنجيل ق. لوقا فهو تحديد ما قيل في إنجيل ق. مرقس بصورته الشمولية «جميع الخطايا والتجاديف» إذ حدَّده ق. لوقا بمن قال كلمة (رديئة) على ابن الإنسان، حيث التخصيص هنا هو التجاوز من الشمولية البشرية إلى تخصيص ابن الإنسان، وهي أقصى صورة للخطية والتجديف، ولكن بسبب الجهالة فإنها تُغفر. أمَّا التجديف العمد على الروح القدس فعقوبته الهلاك الأبدي، لأن أعمال الروح القدس كانت واضحة وناطقة حتى على فم الأرواح النجسة نفسها.

وواضح أن إنجيل ق. مرقس يعلِّق على جحود أقارب المسيح الذين نعتوه بمختل العقل، فهذه هي خطية وتجديف، ويحصرها إنجيل ق. مرقس في الوضع الشمولي الذي قاله المسيح «جميع الخطايا تُغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدِّفونها» ولكن رجعته على الكتبة المعتبرين معلمي إسرائيل فوضَعَهم في حالة منفردة واستثنائية، لأن هؤلاء قالوا إن به روحاً نجساً، وهم يعلمون أن ما يعمله المسيح يعمله باسم الله وبروحه القدوس. هنا جعل خطيتهم وتجديفهم على الروح القدس غير مغفورة بصورة أبدية لأنهم عثروا في الذي يغفر الخطايا والتجاديف نفسه.

فإن كان لنا درس وموعظة في هذه الآية: أن جميع خطايا وتجاديف بني البشر مغفورة، فهي اتساع رحمة المسيح وقدرته أن يقول ويفعل. أمَّا خطية الكتبة والتجديف على الروح القدس فلا تستهوينا قط أن نفتِّش عنها بين الناس، ولكن فرحنا وبهجة قلوبنا ورجاؤنا يشتعل ناراً ونوراً حينما نتمسَّك بقول الذي قال ـ وهو قادر دائماً أبداً أن يفعل ـ **إن جميع خطايا بني البشر وتجاديفهم مغفورة لهم**. **هكذا قيَّم المسيح دمه على الصليب قبل أن ينسكب**. فيا لعظم رحمة ونعمة المسيح بعد أن انسكب، إذ لا يوجد ولن يوجد خاطئ مهما جدَّف عن جهالة، لا يجد لخطيته عند المسيح صفحاً وغفراناً، بل وحبًّا وعفواً ونسياناً، إن هو ندم وتاب وعفَّر وجهه بالتراب. ومَنْ آمن بالروح

القدس ومجده فقد انفتح أمامه باب الغفران بل باب قلب المسيح، وصار كارزاً بالغفران الشامل والخلاص المجاني. اسمع ق. بولس الذي كان أكبر مجدِّف ثم أصبح أكبر كارز وهو يقول:

+ «أنا الذي كنت قبلاً **مجدِّفاً** ومضطهداً ومفترياً ولكنني رُحمت لأني **فعلت بجهل في عدم إيمان**.» (1تي 1:13)

آيتان في الإنجيل يلزم أن نلهج بهما الليل والنهار:

+ «**تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم**.» (مت 11:28)

+ و«**جميع الخطايا تُغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدِّفونها**.» (مر 3:28)

وإن أردت أضف هذه الآية الصغيرة:

+ «**الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي**.» (غل 2:20)

لاحِظ هنا أيها القارئ السعيد أنه ليس عبثاً أن المسيح استهان بالخطية بل بجميع الخطايا؛ أو بالتجديف بل بجميع التجاديف؛ لكن لكي يحصر جميع الخطاة في قلبه ويصطاد جميع المجدفين بشبكة حبه.

فكِّر جيداً، اجلس وامسك كراسة كبيرة واكتب فيها جميع خطاياك وأقبحها، بل وجميع الخطايا التي سمعتها أو رأتها عيناك، فهذه كلها احتواها دم المسيح وغسلها فابيضَّت أكثر من الثلج. فهل تستطيع أن تتحدَّاني وتذكر لي خطية ما لا يقوى عليها دم المسيح:

+ «هلم نتحاجج يقول الرب: إن كانت خطاياكم كالقرمز(15) تبيض كالثلج، إن كانت حمراء كالدودي(16) تصير كالصوف.» (إش 1:18)

إذاً، فلماذا الأنين بعد؟ ولماذا التخوُّف والبعاد وخطاياك جميعها مغفورة واسمك منقوش على كفه وفي قلبه؟

ألا تعلم أن ألوفَ ألوفٍ وربوات ربواتٍ يقفون الآن حول العرش، كلهم كانوا خطاة ومن عتاة صانعي الإثم، وقد لبسوا تيجان الخلاص ولا يكفون عن الشكر والتسبيح!! فلماذا تتوانى؟ أَقْدِمْ وامسك بالدم واخطف لك نصيباً في ملكوته.

(15) القرمز هو الحرير الأحمر المصبوغ **purple** الأرجوان.
(16) الدودي أي أحمر غامق جداً.

21 أقارب المسيح الجدد والعائلة المقدَّسة الكبيرة

[3: 31-35] (مت 12: 46-50)، (لو 8: 19-21)

3: 31-35 «**فَجَاءَتْ حِينَئِذٍ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ وَوَقَفُوا خَارِجاً وَأَرْسَلوا إِلَيْهِ يَدْعُونَه. وَكَانَ الجَمْعُ جَالِساً حَوْلَهُ، فَقَالُوا لَهُ: هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ خَارِجاً يَطْلُبُونَكَ. فَأَجَابَهُمْ قَائِلاً مَنْ أُمِّي وَإِخْوَتِي؟ ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى الْجَالِسِينَ وَقَالَ: هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي، لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي**».

للمرَّة الثانية يعمل ق. مرقس موازنة، أولاً بين الأقارب وما يقولونه من جهة أنه مختل العقل، وبين الكتبة الذين يقولون إن به روحاً نجساً. ثم هنا مقارنة بين الأهل الذين جاءوا يطلبونه وهم لا يؤمنون به وبين الذين جاءوا يطلبونه وهم يؤمنون به فاحتسبهم أهله وأقاربه. وهذا شيء في الحقيقة مُخْزٍ!! ولكن لا يمضي هذا التعليم دون أن نستوعبه، فنحن الذين كنَّا غرباء عن العهود والموعد وبلا إله في العالم، دعانا برحمته من فوق صليبه لنصير له أهلاً وأقرباء بل وشركاء بل وأعضاء في جسمه الإلهي الحي كنيسة الله. فكم يكون إيماننا بل حبنا بل تعلقنا بالروح والنفس والجسد. ولكن ليس ذلك فقط، فهذه الإجابة التي أجابها المسيح «مَنْ أُمي وإخوتي» كشف فيها مدى تعلُّق الإنسان في المسيح يسوع بالنسبة لأُمه وإخوته وأخواته، إذ قد تقطَّعت أوصال قربى الجسد لتلتحم الروح بقربى المسيح وأولاد الله الحي. هذه كانت إجابة المسيح التلقائية فيما يخصه سريعاً، ثم حوَّلها بعد ذلك إلى تعليم وإلى وصية وإلى رؤية جديدة لحال الإنسان المولود من فوق، بما له من الداخل والخارج معاً، وصيَّر هذا إنجيلنا الذي نسير عليه ونحيا (مر 10: 28-30). والذين يتماحكون في ضرورة التعلُّق والحب بالأم والأخ والأخت فنحن لا ننكر عليهم ما للجسد، ولكن الروح لا تخضع لموحيات الجسد ونوازعه وإلحاحاته الميتة، وإليك قول الله في العهد القديم الذي نطق به الله على فم موسى بالنسبة لبركة سبط لاوي المنوط به خدمة الله والكهنوت:

+ «وللاوي قال تُمِّيمُكَ وأُوريمك "**لرجلك الصدِّيق**" الذي جرَّبته في مسَّه وخاصمته عند ماء مريبة، **الذي قال عن أبيه وأُمه: لم أرَهُما، وبإخوته لم يعترف وأولاده لم يعرف بل حفظوا كلامك**

وصـــانوا عهـــدك. يعلِّمـــون يعقـــوب أحكامـــك وإســـرائيل ناموســـك، يضـــعون بخـــوراً في

أنفك ومحرقات على مذبحك. بارك يا رب قوته وارتض بعمل يديه. احطم متون مقاوميه ومبغضيه حتى لا يقوموا.» (تث 33: 8-11)

هذه من أروع توصيات موسى لشعب لاوي المخصَّصين لله ولخدمته. فبمجرد أن صار سبط لاوي وتخصَّص لله يقول له موسى بلسانه: «**يقول عن أبيه وأُمه لم أرهما وبإخوته لم يعترف وأولاده لا يعرف**». ثم يزيد في ناحية الله هكذا: بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك، أي لم يعودوا ينظرون إلى عائلاتهم سواء الأُم أو الأولاد أو حتى الإخوة والأخوات بل تكرَّسوا لحفظ كلام الله وصون عهوده!!

ويا قارئي العزيز، مَنْ نحن المسيحيين إلاَّ لاويي العهد الجديد جميعاً «الذين وُلِدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» (يو 1:13)، لخدمة الله وحفظ كلامه وصون عهوده. ولا يوجد في العهد الجديد غير بني الله إلاَّ بني بليعال أي بني الشيطان، ولا غير الخليقة الجديدة إلاَّ الخليقة العتيقة المرفوضة من الله والتي عليها غضب الله باقٍ واللعنة الأُولى كما هي.

وإليك هذه التجربة الاختبارية التطبيقية العجيبة التي صنعها موسى ليختبر بني لاوي هل هم لله أم لازالوا متعلقين بالأم والإخوة والأولاد: ذلك بعد أن عبدوا العجل في البرية، وقد نوى موسى أن يعاقب الشعب بأن يطعن كل واحد الآخر بالسيف «كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه» (خر 32:27): «وقف موسى في باب المحلة وقال: **مَنْ للرب فإليَّ: فاجتمع إليه جميع بني لاوي** ...»(خر 32:26). وهكذا ترك اللاويون أمهاتهم وإخوتهم وأخواتهم وأولادهم للطعن بالسيف. انظر أيها القارئ وتعجَّب، فهنا لم يقل الله أن يترك الإنسان أباه وأُمه ... إلخ، بل قال اتركوا الأُم والإخوة والأولاد ليُطعنوا بالسيف، فأطاع بنو لاوي وأثبتوا فعلاً أنهم لله!! إذن، فوصية العهد الجديد بترك الأُم والأخ والأخت مستمدَّة من صورتها الأقوى والأعلى في العهد القديم:

+ «وأمَّا أنتم **فجنسٌ مختارٌ**، وكهنوتٌ ملوكيٌّ، **أُمَّةٌ مقدَّسةٌ، شعبُ اقتناءٍ**، (شعب مخصص لله) لكي تُخبِروا بفضائل الذي دعاكم مِنَ الظلمةِ إلى نورهِ العجيب.» (1بط 2:9)

انظر للرب، أيها القارئ العزيز، وخذ لنفسك منه منهجاً وطريقاً، الذي ترك إخوته الذين لم يكونوا يؤمنون به وعلماء اليهود وكهنتهم ورؤساءهم وانطلق وحيداً مهاناً، وحتى التلاميذ أخيراً تركوه وهربوا، حتى صعد على الصليب ليؤدِّي مهمته العظمى. فلا الأسرة ولا الأعداء ولا الأصدقاء استطاعوا أن يثنوه عن العمل العظيم الذي صمَّم أن يكمِّله: «لي صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل» (لو 12:50). إذن، فلا يثنيك أيها الحبيب أي ترغيب أو تهديد أو وعيد عن الطريق الضيق الذي اخترته لنفسك ولله، لا تدع أي أمر مهما كان، يجعلك تنظر إلى الوراء أو

ترخي جهادك حتى إلى الموت، ومهما عانيت لا تقل قط قد مللت، فهي خطوة أو خطوات لا تُحسب أبداً بحساب الزمن، فهي كطرفة عين وترى النصرة والرب واقف والإكليل بيديه. ولا تسمح لصوت الأدعياء الناصحين بالكذب والمشيرين بالخبث كمشيري نحميا العظيم:

+ «أرسل سنبلط وجشم إليَّ قائلين: هلم نجتمع معاً في القرى في بقعة أونو، وكانا يفكران أن يعملا بي شرًّا. فأرسلت إليهما رُسلاً قائلاً: إني أنا عامل عملاً عظيماً فلا أقدر أن أنزل ...» (نح 2:6و3)

وأخيراً، أيها القارئ المحبوب أتمنَّى أن تدرك أن شهادة المسيح نحوك: هذا هو أخي وهذه هي أختي وأمي، قد حُسبتَ يوم اعتمدتَ للمسيح أنك صرت «رعيَّة مع القديسين وأهلِ بيتِ الله» (أف 19:2). أي عزاء وأي رجاء هذا.

"إخوة يسوع"(17)

معلوم أنه قامت تحليلات ونظريات كثيرة عن علاقة المسيح بهؤلاء المدعوين أخوة يسوع، ولكن المعروف في التاريخ ومن قديم الزمان أن الكنيسة المرتشدة بالروح استقرت على أن الإخوة والأخوات هم أولاد ليوسف من زوجة سابقة، ويقف وراء هذا المبدأ كل من العلماء والقديسين إبيفانيوس، كليمندس الإسكندري، أوريجانوس، يوسابيوس، هيلاري، امبروزياستر، كذلك غريغوريوس النيسي وأمبروسيوس وكيرلس الكبير. ويقف مع هذا الشرح كل من العلماء المحدثين ليتفوت، هاريس وبرنار(18)، تأكيداً لدوام بتولية العذراء القديسة مريم.

وواضح من هذا الحل أن إخوة يسوع كانوا جميعاً أكبر منه سنًّا، وربما يكون هذا هو السبب الذي وقف ليجعلهم لا يؤمنون به: «لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به» (يو 5:7). حالهم حال إخوة يوسف بن يعقوب وغيرتهم المرَّة من نحوه حينما رأوه محبوباً وذا رؤى وأحلام فاضطهدوه وباعوه!!

أمَّا موقف العذراء من حركة هؤلاء الإخوة الذين قالوا إنه مختل، فكان الخوف على ابنها فخرجت معهم لتطمئن عليه، ويستحيل أن تكون قد شاركتهم في نظرتهم الحاقدة على المسيح ولا

(17) راجع شرح الرسالة إلى أهل غلاطية للمؤلِّف (شرح الآية 19:1) صفحة 120

(18) **Cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 248.**

إلى لحظة. فحنان الأمومة هو الذي قادها لكي تطلب أن ترى الذي قال لها يوماً: «ينبغي أن أكون فيما لأبي.» (لو 2:49)

ولنا في إنجيل القديس لوقا ما يغنينا عن الشكوك، فهي الأُم البتول والعذراء النبية التي قالت بفم الروح القدس: «تُعظِّم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلِّصي، لأنه نظر إلى اتضاع أمته. فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني، لأن القدير صنع بي عظائم، واسمه قدوس، ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يَتَّقُونَه» (لو 1: 46-50). التي سمعت من فم الملاك: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله ... هذا يكون عظيماً، وابن العلي يُدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية.» (لو 1: 35و32و33)

فإن كان ق. مرقس قد دوَّن لنا ما سمعه من آخرين، فالقديس لوقا الذي سمعه من فم العذراء قاله، لأنه "تتبَّع كل شيء من الأول بتدقيق، **كما سلَّمها إلينا** الذين كانوا **منذ البدء معاينين** وخدَّاماً للكلمة" (لو 1: 3و2). ومَنْ الذي عاين سرَّ الله عياناً إلاَّ التي استأمنها الله على سرِّه. فهي أول نبي وأول بشير لعصر النعمة وأول مَنْ حمل لواء العهد إذ حبلت بكلمة الله، وغير المحوي حوته في بطنها وأخرجته للعالم روحاً متجسِّداً، وظهر الله في الجسد ورُؤي الذي لا يُرى واستُعلنت فيه الحياة الأبدية التي كانت مخفية عند الآب، وانسكبت على الإنسان واشترك فيها وصارت مسرَّة للناس. ولولاها ما كتب القديس مرقس إنجيله وهو أول مَنْ دوَّن للإنجيل.

الأصحاح الرابع

التعليم بالأمثال (4: 1–34):

22– مَثَل الزارع: (4: 1–20)

- **المَثَل** (4: 1 – 9)
- **الغرض من المثل** (4: 10–12)
- **شرح مثل الزارع** (4: 13–20)

23– نصائح وتحذيرات (4: 21–25)

24– مَثَل البذرة التي تنمو سرًّا (4: 26–29)

25– مَثَل حبة الخردل (4: 30–32)

26– حديث عن الأمثال (4: 33و34)

27– معجزة البحر الهائج: عاصفة فوق البحيرة (4: 35–

(41

التعليم بالأمثال

(4: 1-34)

المفهوم الحرفي للمثل:

العنصر الأساسي في هذه الأمثال هو التعليم، ولو أنه بين الحين والحين يُلحقها بعنصر تاريخي كأن يبتدئ هكذا: «وابتدأ أيضاً يُعلِّم عند البحر، فاجتمع إليه جمعٌ كثير» (مر 4:1). وفي العدد (10) يقول: «ولما كان وحده سأله الذين حوله مع الاثني عشر» وفي الآية (33و34) يقول: «وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلِّمهم حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا، وبدون مَثَلٍ لم يكن يكلِّمهم. وأمَّا على انفراد فكان يفسِّر لتلاميذه كل شيء» (مر 4: 33و34). وهذا العنصر التاريخي لشاهد عيان إمَّا مرقس الرسول نفسه أو عن مرافق آخر للمسيح.

والأمثال هي من واقع اسمها إعطاء مَثَل لأمر صَعُبَ فهمه، قد يكون مجرَّد تشبيه، أو قصة من الواقع اليومي لتوضيح حقيقة روحية أو أخلاقية كتطبيق واضح عليها.

- فهناك مَثَلٌ للمشابهة كمَثَل رقعة الثوب الجديد على الثوب القديم، أو الزقاق القديم والخمر الجديد، فكما يتلف هذا وذاك، هكذا تتلف مبادئ العهد الجديد لو رقَّعناها ببعض مبادئ من العهد القديم. فالقديم قديم والجديد جديد.
- وهناك مَثَلٌ للمناسبة كمَثَل الزارع، والحبة المزروعة التي تنمو سرًّا، وحبة الخردل.
- وهناك مَثَلٌ بالقصة الموضِّحة والشارحة للمعنى مثل السامري الصالح، والغني الغبي، ولعازر والغني، والفرِّيسي والعشَّار، وصديق نصف الليل، وقاضي الظلم.

وهنا شكل القصة غير متحد ولا متماثل لبعضه البعض كما يخطئ بعض العلماء.

وعلى العموم فالمثل عند المسيح يختلف عن الرمز في أمر هام جداً، فالرمز يشرح مدلول الشيء بدقة ولكن المثل لا يعتني بالتفرعات، فهو يعطي معنى واحداً أو يبرز عاملاً واحداً في الموضوع، وذلك حسب العالِم الألماني أ. يولخر A. Jülicher المتخصِّص في شرح الأمثال والتعليق عليها، والذي أخذ العلماء عنه(1). فهو

---

(1) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 249.**

يقول بعد فحص ودراسة: إن المثل يمتاز بأنه يعطي معنىً واحداً أو يشرح نقطة واحدة رئيسية في الموضوع، وهو المبدأ الصحيح الذي يلغي كل محاولات الشرّاح والمجتهدين الذين يحاولون تفسير المثل بعدَّة تفاسير لكل فروعه، في حين أن المسيح أعطى المثل ليشرح معنىً واحداً يقصده.

وواضح أمام القارئ الباحث المدقِّق أن جميع الأمثال جميلة وموضَّحة بسهولة ومشروحة وظاهرة المعنى، فهل هذا ينفي قول المسيح: إن الأمثال وُضِعَت لغير المختارين حتى يسمعوا ولا يفهموا؟ إذن، فكيف نشرح هذا القول؟

واضح لنا أن الأمر تغيَّر بين لحظة قول المسيح للمثل ولحظة تدوينه. فالذي دوَّنه القديسون كاتبو الأناجيل الثلاثة، وبالأخص الإنجيل الأول تاريخياً أي إنجيل ق. مرقس، إنه دوَّن ما فهمه وسجَّل شرح المثل، أي أن المثل الذي قاله المسيح أصلاً لم يكن مشروحاً، مِثْل قوله: يشبه ملكوت السموات زارعاً خرج ليزرع، أو يشبه ملكوت السموات صيَّاداً خرج ليصطاد بالشبكة، وهكذا ...، ثم احتجز الشرح لتلاميذه على انفراد، ثم دونوا هذه الأمثال مع شرحها. لذلك تُحسب الأمثال الواردة في الأناجيل أنها أمثال مشروحة من المعلِّم نفسه، أي المسيح، مضافاً إليها ما فهمه الإنجيليون أيضاً. لذلك تغيَّرت الأمثال عن شكلها الأول المبهم. وهذا هو الذي أربك القرَّاء والعلماء والشرَّاح في التعرُّض لفهم الأمثال وشرحها.

22 مَثَل الزارع

[4: 1-20]

(مت 13: 1-9)،
(لو 8 : 4-8)

4: 1-3 «وَابْتَدَأَ أَيْضاً يُعَلِّمُ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جمعٌ كَثِيرٌ حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى الْبَحْرِ، وَالْجَمْعُ كُلُّهُ كَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ عَلَى الأَرْضِ. فَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيراً بِأَمْثَالٍ. وَقَالَ لَهُمْ فِي تَعْلِيمِهِ: اسْمَعُوا. هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ».

هذا هو أول الأمثال وأطولها وقد ورد باهتمام في الأناجيل الثلاثة المتناظرة، وواضح أنه مأخوذ من حياة فلسطين وظروفها وطبيعة أرضها. ويهمنا جداً في بداية شرح هذا المثل أن نعلِّق أولاً على

قول المسيح لتلاميذه لما سألوه أن يشرح لهم هذا المثل، بقوله: «ثم قال لهم: **أما تعلمون هذا المثل؟ فكيف تعرفون جميع الأمثال؟**» (مر 13:4). وهذا يعني بوضوح أن هذا المثل، أي مثل «خرج الزارع ليزرع» هو مفتاح جميع الأمثال والنموذج الكامل الحامل لكل معاني المعرفة الخاصة بسر ملكوت الله، والذي تخرَّجت منه باقي الأمثال.

لذلك لا نندهش أن يبدأ ق. مرقس في سرد هذا المثل الخاص والهام بقوله: «**فكان يعلِّمهم كثيراً بأمثال**. وقال لهم في تعليمه: اسمعوا (هذا المثل). هوذا الزارع قد خرج ليزرع ...» (مر 3:4). وهذا يفيد مباشرة أن تعليمه الكثير بالأمثال يبدأ وينتهي بهذا المثل.

وسوف نعرف في شرح هذا المثل كيف أن العالِم دروري اكتشف أن ما جاء من التعليم بعد هذا المثل – مثل الزارع – هو تطبيق مبني عليه. إذن، فمثل الزارع يلزم أن نعتبره مركز إشعاع تعليمي للإنجيل على مستوى القاعدة والأساس. ولهذا جاء هذا المثل كأطول أمثال المسيح وأكثرها ثراءً.

والكنيسة القبطية المرتشدة بالروح القدس قدَّمت مَثَل الزارع في قراءاتها الليتورجية في الأحد الأول والثاني على التوالي من شهر هاتور، وهما آخر حدَّين قبل صوم الميلاد، كاستعداد لاستقبال ميلاد "الكلمة" اللوغس ابن الله، إذ يقول ق. لوقا: إن «الزرع هو **كلمة** الله» (لو 11:8) الذي زُرع زرعاً سماوياً في تربة الإنسان الصالحة، أي أحشاء العذراء القديسة مريم، وقد «أعطى ثمراً يصعد وينمو »(مر 8:4) وهو ابن ثلاثين سنة. ثم لا يغيب عن ذهن الفلاح القبطي أن شهر هاتور الذي نعيِّد فيه لمِثَل الزارع هو شهر زراعة القمح حيث المِثِل الشعبي: "هاتور أبو الذهب المنثور".

وهكذا ركَّزت الكنيسة في فكرنا وقلبنا أن مثل الزارع هو بدء تقابلنا مع الكلمة اللوغس – أي الإنجيل – ورأس ماله غنانا من ذهب الكلمة المزروعة.

يقول الباحثون إنه بالعودة إلى ذات المِثِل في الأناجيل الأُخرى يظهر بوضوح أصالة المِثِل كما جاء في إنجيل ق. مرقس، إذ تسجَّل بكل الدقة والأمانة. وقد لاحظ العلماء أن ما جاء باليونانية في إنجيل ق. مرقس هو ترجمة عن الأصل الأرامي(2)، كما اتضح للمحللين أن العمق السرِّي الذي يجري تحت أجزاء المثل يناسب جداً قول المسيح أنه يتكلَّم على مستوى الألغاز بالنسبة لغير تلاميذه. ويقول العالِم متّي بلاك:

(2) **M. Black, *An Aramaic Approach to the Gospels & Acts,* 1946, p. 45.**

[في إنجيل ق. مرقس نحن نقول عن ثقة: إن هناك ترجمة حرفية باليونانية عن الأرامية من فم المسيح.](3)

وقد تبارى العلماء في إعطاء المعيار الشرحي العام لمثَل الزارع، فالعالِم أوسترلي(4) يقول: إن هذا المثل يعطي تشجيعاً للتلاميذ. ويرى عالِم آخر إنه يعلِّم المسئولية عند السامع، وهناك علماء كثيرون ينحازون لكل من الاتجاهين. ولكن يعلِّق البروفيسور فنسنت تايلور بأنه يشك في صحة هذين الاتجاهين إذ لا يزال ينقصهم الهدف الأساسي، وآخرون مثل راولنسن وولهاوزن ومنزيس وبارتلت وماك نيل وبوركت يقولون: إن المسيح بهذا المثل يشرح تجربته الخاصة مع السامعين. ولكن يقول آخرون: إن هذا الحل ليس كفيلاً بأن يعطي كل الحقيقة. وفي النهاية يعتقد فنسنت تايلور نفسه أن هذا المثل يقصد به المسيح كيفية استقبال الناس للكرازة بملكوت الله التي شغلت بال المسيح في التعليم منذ البداية في الجليل، مع أن ق. مرقس لم يشر إلى الملكوت في هذا المثل.

وللعالِم شفايتزر رأي يرجِّحه بقية العلماء وهو أن المسيح يتكلَّم اسخاتولوجياً عن النهاية، وهذا الاتجاه يوضِّحه العدد (8) في المثل إذ يقول: «وسقط آخر في الأرض الجيدة **فأعطى ثمراً يصعد وينمو**» (مر 8:4). إذن، فليس هناك رد فعل سريع بل نمو وئيد ينتهي بالحصاد.

ولكن العالِم دوود ومعه علماء آخرون يعتبرون هذا المثل مَثَلاً لكل ساعة، فالحصاد كَمُل والوقت هو لجمع الحصاد، ويركِّز على البذور الواقعة على الأرض الجيدة وعلى الثمار المتكاثرة، ولا يلقي بالاً على الأرض المحجرة ولا الأشواك، فهي تتبع بلاغة المثل فقط ولكن لا تدخل في القصد الأساسي المتركِّز على الحصاد نصيب الذي قَبِلَ الدعوة ـ ‘‘توبوا’’ ـ باهتمام.

ويقول العالِم برنار براندون سكوت في كتابه(5): إن موضوع الزارع والزرع إنما هو الشكل الظاهري المخفَى فيه سر الملكوت الذي أُعطي للتلاميذ سرًّا. وواضح أن كلام هذا العالِم جيد وحكيم، لأن في الحقيقة سر الملكوت الذي أُعطي للتلاميذ هو الإيمان السريع والاستجابة الحاضرة «للكلمة» التي استودعها الله في قلوبهم، والتي على أثرها أعلن الله أسرار ملكوته لهم:

+ «إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات.» (مت 17:16)

---

(3) **Ibid.**

(4) **W. O. E. Oesterley, *The Gospel Parables in the Light of their Jewish Background*, London, 1936, p. 41.**

(5) **Bernard Brandon Scott, *Hear Then the Parable*, p. 55.**

+ «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه (على الطريق والأرض المحجرة والأشواك) عن الحكماء والفهماء (عند أنفسهم) **وأعلنتها** للأطفال (الأرض الجيدة، التلاميذ) نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك.» (مت 11: 25و26)

فواضح في مَثل الزارع الذي ألقاه المسيح في وسط الجموع أن تفسيره العملي كان في قلب التلاميذ. فلو نظرنا إلى إنجيل ق. مرقس نجد في الحقيقة أن مفهوم مثل الزارع هو المسيح، أو بالتالي هم التلاميذ أنفسهم الحاملون سر الملكوت أساس الإنجيل والأمثال كلها، أو إن شئت هي الكنيسة التي ستُعطى حالاً ودوماً حسب ثقل ما استودعها الرب من سر النعمة ثلاثين وستين ومائة.

وواضح أن سر الملكوت مُخفى في الكنيسة، وهي دائماً مبيضّة بحصيدها على ممر الأيام والدهور، ومنجل الروح القدس يعمل فيها ويحصد كل يوم ثمراً وفيراً للملكوت.

لذلك فمثل الزارع من أشد الأمثال تعلقاً بحياة الكنيسة، فهي المنوط بها لا الشرح فقط ولا التعليم فقط بل العطاء والتسليم لسر الملكوت المودع فيها تحت حراسة الروح القدس. وهي تسير دوماً بكل كيانها وتاريخها وقديسيها وشعبها نحو الأفق المنظور لها، أفق ملكوت الله الذي تراه وتسعى نحوه، ولكنه يظل دائماً بالنسبة لها في الأفق مهما جرت نحوه، فهو دائماً قريب وسيظل قريباً (at hand) ولكن لن يكون أبداً في اليد (in hand) حتى تَكمُل الكنيسة ويكمِّل كل مَنْ فيها سعيه. فنحن الآن «نسعى نحو الغرض» (في 14:3)، معنا السر: («ملكوت الله داخلكم» لو 21:17) ولكنه غير متحقِّق. فملكوت الله هو الذي يربط في قلوبنا بين حاضرنا الذي نعيشه الآن بأتعابه وبين الدهر الآتي بأمجاده. فهو الآن قريب (at hand) وفي الدهر الآتي يكون في اليد (in hand). الآن أوان الزرع الجيد في الأرض الجيدة وهناك الحصيد المتكاثر. علماً بأن أوان الزرع هو من أعظم وأسعد أيام الإنسان على الأرض، هو صناعة الملكوت على الأرض، فنحن نزرع على الرجاء. بدموعنا نزرع زرعنا وفيها عزاؤنا الوحيد وهناك يكون الابتهاج:

+ «الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج. الذاهب ذهاباً بالبكاء حاملاً مِبذَر الزرع (الإنجيل) مجيئاً يجيء بالترنُّم (إلى الملكوت) حاملاً حزمه.» (مز 126: 5و6)

+ «ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون (السماوية) بالترنُّم وعلى رؤوسهم فرحٌ أبديٌّ، ابتهاجٌ وفرحٌ يدركانهم، يهرب الحزن والتنهُّد.» (إش 11:51)

وقد استرعى مَثَل الزارع الكنيسة منذ البدء كالعمود الفقري لفلسفة الشرح والكرازة، فهو في الحقيقة يشجِّع ‘‘السامع’’ ليفتح قلبه لقبول سرّ الإنجيل. فالمثِل بجملته يتعلَّق أساساً بالسامع، وقد ركَّز

المسيح على الأُذن الروحية التي تميِّز ‘‘السر’’ الذي للحياة من خلال السمع، وقد قالها صراحة: «مَنْ له أُذنٌ (للسمع) فليسمع» (رؤ 7:2). ثم عاد سفر الرؤيا فأعطاها سرَّها الإلهي: «مَنْ له أُذنٌ (للسمع) فليسمع ما يقوله الروح للكنائس» أي أن السَمَع الصحيح هو السمع الروحي، وهو مربوط حتماً بالإيمان، لأن «**الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله**» (رو 17:10). والكلمة هي هي ‘‘سر الحياة الأبدية’’. فالزارع هنا أصلاً هو المسيح الذي جاء بالخبر (السرّ) من الآب: «الله لم يره أحدٌ قط. الابن الوحيد الذي هو في حضنِ الآب هو خَبَّرَ» (يو 18:1). فالمسيح جاء بالخبر اليقين من الآب وهو نفسه ‘‘كلمة الله’’ والحامل لسرّ الله. إذن، فملكوت الله يتعلَّق أولاً وآخيراً ‘‘بالسمع للكلمة’’. لهذا لا نتعجَّب حينما يبدأ ق. مرقس خبر الزارع بقوله: «وابتدأ (يسوع) أيضاً يعلِّم عند البحر، فاجتمع إليه جمعٌ كثيرٌ ... فكان يكلِّمهم بأمثالٍ. **وقال لهم في تعليمه: اسمعوا**» (مر 4: 1-3). وبدأ يقص لهم مثل الزارع. هنا أمر المسيح السري: «**اسمعوا**»، وهو بمثابة الأمر: افتحوا قلوبكم لتقبلوا الروح، أو ليكن لكم الآن أُذن روحية لتميِّز قوة الروح في الكلام لتقبلوا السر، لأن الذي لا ينتبه سيكون هو نفسه البذار التي وقعت على الطريق. إذن، الأمر بقول المسيح: «**اسمعوا**» كان فيه سر مفتاح المثِل.

وطبعاً هذا ينقلنا حالاً حالاً إلى ‘‘الشِمَع’’ قلب التوراة وروحها. وهي بداية الفرائض والأحكام التي أملاها الله على شعب إسرائيل:

+ «فالآن يا إسرائيل "**اسمع**" الفرائض والأحكام التي أنا أعلِّمكم لتعملوها لكي تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرب إله آبائكم يعطيكم.» (تث 1:4)

إذن، فالسمع هنا من فم المسيح هو في الحقيقة بداية تعليم سر الملكوت للعهد الجديد.

وكذلك ‘‘الشِمَع’’ الكبرى التي يتلوها الشعب الإسرائيلي ثلاث مرات يومياً سواء في الهيكل أو المجمع:

+ «**اسمع** يا إسرائيل، الرب إلهنا ربٌ واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك.» (تث 6: 4و5)

وإشعياء يعود ويذكِّر بها شعب إسرائيل لفتح الأُذن والقلب بالمودّة لتثمر كلمة الله في قلوبهم:

+ «أميلوا آذانكم وهلمُّوا إليَّ، **اسمعوا** فتحيا أنفسكم ... لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتُعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل. هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سُررت به وتنجح فيما أرسلتها له.» (إش 55: 3و10و11)

ولكن يوجد مَنْ يسمع للكلمة، وهؤلاء ذوو القلوب الجيدة والصالحة. ويوجد مَنْ لا يسمع الكلمة، وهؤلاء ذوو القلوب والنيات الرديئة التي أضمرت الرفض بسلوكها. وهنا يأتي أيضاً إنذار الله للشعب العاصي على فم إشعياء:

+ «اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وابصروا إبصاراً ولا تعرفوا، غلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّل أُذنيه واطمس عينيه لئلاَّ يبصر بعينيه ويسمع بأُذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيُشفَى.» (إش 6: 9و10)

ويُلاحِظ القارئ أن قول الله بأن يغلِّظ ويثقِّل ويغمِّض ليس تجنياً ولا قسوة، بل هو تحصيل حاصل. فغليظ القلب زِده غلاظة = غلِّظ، وثقيل الأُذنين زِده ثقلاً = ثقِّل، والذي غمَّض عينيه زِده تغميضاً = غمِّض، لأن التشديد على الكلمة هنا يفيد المزيد من الشيء.

ومعنى قول الله: «اسمع يا إسرائيل» أو قول المسيح للتلاميذ: «اسمعوا» هي دعوة للاستعداد للأخذ، «لأن كل **مَنْ له يُعطى** فيزداد **ومَنْ ليس له** فالذي عنده يؤخَذ منه» (مت 25:29). وهذا الشيء هو "الاستعداد للسمع"، فمفتوح القلب على استعداد دائماً لسماع الكلمة، يقبلها في الحال ويمتلك سرَّها. فمَنْ يلوم الله إن كان واحد يأخذ ويزداد والآخر لا يأخذ وينقص؟

لذلك في يقيني أن الكنز الصالح في القلب الصالح هو بعينه انفتاح القلب لله، الذي إذا عدمه إنسان أصبحت أسرار الملكوت كلها عنده كأمثال على مستوى الألغاز، لا يقوى على فهمها وبالتالي لا ينال من ورائها منفعة، ويصبح الإنجيل كله كتاباً ثقيلاً غير محبوب، ويا للحزن ويا للأسف والحسرة! من أجل هذا امتلأ هذا الجيل عباقرة في الرياضة والطب والعلوم والفلسفة والتكنولوجيا وهم أمام الإنجيل يحتاجون إلى معلِّم!

ولا يزال الشماس حتى اليوم يصرخ في الكنيسة قبل قراءة الإنجيل بكل وضوح ورهبة: "اسمعوا" أو اصغوا بخوف الله لسماع الإنجيل المقدَّس، ثم يبدأ الكاهن القراءة!! ومن وسط القراءة تلتقط الأُذن المفتوحة الكلمة المرسلة الحاملة لسرّ الحياة.

إذن، فمَثَل الزارع يدخل في صميم روح الكنيسة وطقسها، وهل في مفردات الكنيسة أقوى من "السمع للكلمة" حيث يكون السماع بخوف الله لكي تنزل الكلمة في قلب جيد.

ويعلِّق على هذا الوضع القديس كليمندس أسقف روما (سنة 96م) بقوله:

[ذهب الزارع يُلقي بذاره على الأرض حيث تسقط حبَّة عارية فتتعفَّن (تفقد شكلها)، ومن

ثمَّ تشملها عناية السيد الفائقة لتقيمها نامية، والحبة تنمو وتعطي ثمراً](6) .

وهذا هو التقليد الشفاهي المتناقل في الكنيسة الأُولى المأخوذ مباشرة من فم الرب كما جاء في إنجيل القديس مرقس.

والجدير بالذكر أن الكنيسة أخذت هذا المثل وأوصلته بالأقوال الأخرى المشابهة، التي فيها **سقطت الحبة وماتت** في الأرض (يو 24:12) ثم قامت واستقامت بجسم آخر كقول القديس بولس الرسول (1كو 15: 36-38)، وذلك **لتعطي معنى القيامة من الأموات**. وهذا يُعتبر الثمر النوعي الفائق القيمة فوق الثمر العددي.

وهكذا، فإن كلمة الله التي تقع في قلب جيد إن لم يلفّها الإحساس بالموت عن العالم فهي لن تنشيء قيامة من الأموات ولن تثمر ثمراً قط. فالرباط الإلهي الذي يربط الكلمة بالحياة الأبدية في قلب الإنسان إنما يتأسَّس على سر الموت. فإن لم تمت الحبَّة بإرادتها الطبيعية وتتعفَّن وتخرج من قشرتها، فلن تنبثق من الأرض. إنه قانون الوجود الجديد الأعلى!! فلا حياة إلاَّ من بعد موت، وهو يتم على أشد وأقوى صورة بموت الجسد لتنطلق الروح. والمسيح أعطانا موتاً إرادياً عن الذات والوجود الزائل لينبثق في أعماقنا وجودٌ روحي آخر!!

وهنا وبعد هذا الإلمام الروحي بالمثل نستطيع أن نقول، كما قال المسيح لتلاميذه باستغراب لما طلبوا منه الشرح: «أما تعلمون هذا المثل، فكيف تعرفون جميع الأمثال؟» (مر 13:4). بمعنى أنه لا ينبغي للمؤمن المنفتح على الروح أن يرتبك بشرح دقائق المثل كبقية غير الفاهمين للروح، وإلاَّ يتوه عن السرّ. فسرّ الملكوت في مَثَل الزارع ليس في شرحه على أوضاع سقوط البذار، بل سر الملكوت فيه ككل هو في كلمة واحدة: انفتاح السمع لقبول السر. فيمكنك أن تسأل كختام لكل ما قيل عن مثل الزارع: ما الذي يقصده مَثَل الزارع؟ والجواب يقصد أن تنفتح الأُذن لسماع الروح في الإنجيل.

وقد أتحفنا العالِم جون دروري(7) بنظرية خاصة بمَثَل ''خرج الزارع ليزرع'' في إنجيل ق. مرقس مؤداها أن ق. مرقس إنما اتخذ مثل ''خرج الزارع ليزرع'' وشَرَحَه كمَثَل يبني عليه بقية التعاليم، وربما حتى الأمثال الأخرى:

---

(6) I *Clement* 24, 5.

(7) John Drury, *Parable*.

(أ) فمثلاً يربط هذا العالِم بين مفردات شرح المثل هكذا: بالنسبة للذي سقط على الطريق وأكلته طيور السماء، الذي عاد المسيح وشرحه هكذا: «وهؤلاء الذين على الطريق: حيث تُزرع الكلمة، وحينما يسمعون يأتي الشيطان للوقت وينزع الكلمة المزروعة في قلوبهم» (مر 15:4)، يستمر ق. مرقس في التعليم حتى يأتي إلى الأصحاح الثامن (27:8) وهنا يعطي تعليماً عن الذي سقط على الطريق هكذا: «ثم خرج **يسوع** وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبُّس. **وفي الطريق** سأل تلاميذه ... **وابتدأ يعلِّمهم** أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألَّم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتَل، وبعد ثلاثة أيام يقوم. وقال القول علانية. فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره. فالتفت وأبصر تلاميذه، فانتهر بطرس قائلاً: اذهب عني يا شيطان. لأنك لا تهتم بما لله (الزرع الجيد) لكن بما للناس (الطريق).» (مر 8: 27 و31-33)

ويأتي التطبيق هنا في عُرف ق. مرقس محكماً: ''خرج يسوع - وفي الطريق - ابتدأ يعلِّمهم - يا شيطان''!! وهكذا أعطى ق. مرقس في تصرُّف بطرس نموذجاً للزرع الذي سقط على الطريق فاختطفه الشيطان!

(ب) ثم يُعطي إنجيل ق. مرقس للجزء الثاني من عملية الزرع: «وسقط آخر على مكان مُحجر، حيث إذ لم يكن له تربة كثيرة، فنبت حالاً إذ لم يكن له عمق أرض. ولكن لما أشرقت الشمس احترق، وإذ لم يكن له أصل جف» (مر 4: 5و6). هذا الوضع أعطى المسيح له الشرح الآتي: «وهؤلاء كذلك هم الذين زُرِعُوا على الأماكن المحجرة: الذين حينما يسمعون الكلمة يقبلونها للوقت بفرح، ولكن ليس لهم أصل في ذواتهم، بل هم إلى حين. فبعد ذلك إذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة، فللوقت يعثرون» (مر 4: 16و17). بهذا المثل أعطى ق. مرقس المقابل التطبيقي في (14: 49-52) هكذا: «كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلِّم ولم تمسكوني! ولكن لكي تُكْمَل الكتب. فتركه الجميع (التلاميذ جميعاً) وهربوا» وحتى ق. مرقس نفسه: «وتبعه شابٌّ لابساً إزاراً على عريه، فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عارياً» وهذا التصرُّف يوضح بكل بيان أن التلاميذ، وحتى ق. مرقس نفسه، لم يكونوا في ذلك الوقت قد ضربوا بجذورهم في تربة الملكوت. ولو لم يَقُم المسيح من الأموات ويهبهم روح الحياة الأبدية لجفُّوا وهلكوا.

(ج) ويعطي ق. مرقس للجزء الثالث من عملية الزرع: «وسقط آخر في الشوك، فطلع الشوك

وخنقه فلم يعط ثمراً» (مر 7:4)، وهذا الوضع شرحه المسيح بقوله: «وهؤلاء هم الذين زُرِعوا بين الشوك: هؤلاء هم الذين يسمعون الكلمة، وهموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر.» (مر 4: 18و19)

هذا الوضع شرحه المسيح هكذا: «وفيما هو **خارج إلى الطريق**، ركض واحد وجثا له وسأله: أيها المعلِّم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: ... اذهب بع كل مالك واعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني حاملاً الصليب. فاغتمَّ على القول ومضى حزيناً، لأنه كان ذا أموال كثيرة. فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه: **ما أعسر دخول ذوي الأموال** (= الأشواك) إلى **ملكوت الله**.» (مر 10: 17-23)

وهكذا يكشف لنا ضمناً أن شرح المسيح للمثل مع تلاميذه هو في الحقيقة جزء من سر ملكوت الله؛ ولكن يظل سر ملكوت الله أعلى جداً من المثل وشرحه وهذا السر أُعطي للتلاميذ بصورة ممتازة.

مثل الزارع في إنجيل القديس متى:

فإذا عدنا لنفس المثل في إنجيل القديس متَّى نجد أنه يبني على ما أخذه من ق. مرقس مع بعض توضيحات جديدة:

(أ) أوضح نوع الكلمة المزروعة: «كل مَنْ يسمع **كلمة الملكوت** ولا يفهم، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زُرع في قلبه. هذا هو المزروع على الطريق.» (مت 19:13)

(ب) أعطى الطوبى لمنْ كانت لهم عيون تبصر وآذان تسمع وتفهم في مقابل الذين ليس لهم: «ولكن طوبى لعيونكم لأنها تُبصر، ولآذانكم **لأنها تسمع**» (مت 16:13)، الأمر الذي اشتهاه الأنبياء والأبرار في القديم ولم ينالوه، لأن الذي ينظرونه ويسمعونه هو هو المسيَّا الذي ظهر والذي كانت تشتهيه الأجيال السابقة: «فإني الحق أقول لكم: إن أنبياءَ وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، وأن **يسمعوا** ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا» (مت 17:13). وقد تمسَّكت الكنيسة بهذا الوعد المحقَّق والطوبى الممنوحة لأجيال الخلاص، تقولها الكنيسة في أول قراءة الإنجيل كلما قُرئ الإنجيل مراراً وتكراراً بلا ملل، لعلَّ تنفتح القلوب مع الآذان ويُستعلن الملكوت لطالبيه.

أمَّا قول المسيح ومن بعده الكنيسة: «طوبى لأعينكم لأنها تُبصر» حيث الذي تبصره هو المسيح بعينه، فالشماس يقف وراء المذبح رافعاً الصليب صارخاً: "أيها الإكليروس وكل الشعب، بطلبة وشكر، بهدوء وسكوت، ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق **لتنظروا** المذبح وجسد ودم

عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه. الملائكة ورؤساء الملائكة قيام، السيرافيم ذوو الستة أجنحة والشيروبيم الممتلئون أعيناً يسترون وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور ولا منطوق به".

وهكذا إذ يتحقَّق السمع لكلمة الإنجيل يتحتَّم أن يتحقَّق معه النظر لصاحب الإنجيل.

وهذا التطويب للنظر والسمع، يجيء في إنجيل ق. لوقا بصورة باهرة وإبداعية للغاية إذ يقدِّمها بقوله:

+ «وفي تلك الساعة تهلَّل يسوع بالروح وقال: أحمدك أيها الآب، رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه (أسرار الملكوت) عن الحكماء (الكتبة) والفهماء (الفريسيين) وأعلنتها للأطفال (التلاميذ). نعم أيها الآب، لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك ... والتفت إلى تلاميذه "**على انفراد**" وقال: طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه، لأني أقول لكم: إن أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا.» (لو 10: 21-24)

والآن انظروا يا إخوة، فالمسيح يتهلَّل بالروح لأن ملكوت الله استُعلن للأطفال، ورأى الإنسان ما لا يُرى وسمع بأذنيه صوت الله. فغاية المسيح أن **نعاين** مجد الله **ونحيا** أمامه قديسين وبلا لوم في المحبة.

مثل الزارع في إنجيل ق. لوقا:

يبدأ الأصحاح **بكرازة المسيح بملكوت الله**، ثم تتبعه نسوة كثيرات قال عنهن في نهاية مَثَل الزارع: «وقال لهم أُمي وإخوتي هم الذين **يسمعون كلمة الله ويعملون بها**.» (لو 8:21)

والقديس لوقا يشدِّد جداً على كلمة "**السمع**" في هذا المثل:

(8 : 8): «ونادى من له إذنان للسمع **فليسمع**»

(10:8): «حتى إنهم مبصرين لا يبصرون **وسامعين** لا يفهمون»

(12:8): «الذين **يسمعون** ثم يأتي إبليس وينزع الكلمة»

(13:8): «متى **سمعوا** يقبلون الكلمة ... وفي وقت التجربة يرتدون»

(14:8): «الذين **يسمعون** ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة»

(15:8): «الذين **يسمعون** الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح ويثمرون»

(18:8): «فانظروا كيف **تسمعون**»

(21:8): «أمي وإخوتي هم الذين **يسمعون** كلمة الله ويعملون بها»

وهكذا استخدم ق. لوقا "**السماع**" كأنه السلم الذي في برج الزارع الذي بني بالكلمة حتى

طال السماء ودخل الملكوت.

والملاحَظ روحياً في تقييم مثل الزارع أنه يقدِّم لنا ثلاثة إخفاقات تبدأ باختطاف الشيطان الكلمة من قلب السامع، ثم تتدرَّج إلى جفاف الكلمة إذ ليس لها عمق في القلب، ثم الاختناق والموت بسبب هموم العالم وغناه، يقابلها ثلاثة نجاحات متضاعفة مستبشرة الأول ثلاثين ضعف والثاني ستين والثالث مائة. والذي يسترعي انتباهنا هنا أن تجربة الحبات التي هلكت نُسيت ونُسي ذكرها ولفَّها ظلام اللاموجود، أمَّا التي أعطت ثمراً يصعد وينمو حتى الإثمار فدخلت مناطق الحياة والوجود الباقي إلى الأبد.

فبقدر الحزن والأسى المريع على الهالك، أُعطينا رجاءً حيًّا ينمو ويتجدَّد.

فهنا يا صديقنا العزيز نحن أمام المعادلة الإلهية ذات الحدين:

+ «قد جعلت قدَّامك الحياة والموت، البركة واللعنة. فاختْر الحياة لكي تحيا.» (تث 19:30)

كذلك بالرؤيا الروحية نحن نرى أن قوة النمو وقوة الصعود وقوة الإثمار موجودة حتماً في كل حبة ـ أي الكلمة ـ ولكن الذي صنع هذه المفارقة العظمى بين الهلاك والحياة هو: أين أُسقطت الحبة؟ أي: أين دخلت الكلمة؟ إذن، المفارقة العظمى هي وحدها في نوع القلب الذي احتواها.

والآن، عودة إلى المفردات:

3:4 «**اسْمَعُوا. هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ**».

«**اسمعوا**»: 'AkoÚete

في هذه الكلمة «**اسمعوا**»، يعطي المسيح تشديداً واضحاً، يزيده وضوحاً ما ألحقه بالنسبة لهذه الكلمة هناك في الآية (9) حيث يقول: «**مَنْ له أُذنان للسمع فليسمع**». ومنها يتضح أن المسيح من بداية المثل يود أن يؤكِّد بهذا المثل تعليمه ويوضِّحه. وفي موقف آخر أوضح فيه ضرورة السمع بتأكيد: «ثم دعا كل الجمع وقال لهم: اسمعوا مني كلكم وافهموا» (مر 14:7)، وهي صيغة يهوه في العهد القديم. ولكن هنا يقولها المسيح خاصة لأنه مزمع أن يتكلَّم عن سر ملكوت الله، فالسمع مطلوب بشدة لأن المسيح أخفى السر عمداً في داخل المثل. وهذا هو واقع الإنجيل كله، فالكلمات تحوي بداخلها أسرار الله، والذي لا يعطيها كل سمع القلب والذهن بانفتاح تعبر من أمام عينيه ولا يلتقطها القلب. فالإرادة الصالحة التي أسماها الأرض الجيدة: «قلب جيد صالح» (لو 15:8)، هي عماد السامع للإنجيل.

«هوذا الزارع قد خرج ليزرع»:

يعطي المسيح بأقل تعبير تصويراً طبيعياً حيًّا للزارع الذي خرج من بيته ومعه بذاره ليزرع أرضه. ومعروف أن الفلاح في فلسطين يبدأ الزراعة مباشرة قبل هطول الأمطار في فصل الخريف وبدء الشتاء، يحرث الأرض أول حرثة ثم يسير فوقها يبذر بذاره دون أن ينتبه إلى ما يقع منها على المدقات الضيقة (الطريق) أو الذي يقع على بعض الأحجار الصغيرة، ولكن عينه على الأرض كلها يبذر بذاره ثم يعود يحرثها حرثة سطحية ليغطِّي البذار بانتظار ماء المطر. منظر متكرِّر كتكرار الأيام والليالي والمواسم والسنين.

والاصطلاح الذي اختاره المسيح هنا: «هوذا الزارع قد خرج ليزرع» ينطبق على ما أضمره المسيح في نفسه ومن واقع حاله، فهو يقول في موضع آخر: «خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم ...» (يو 28:16)، حاملاً بذار الملكوت، «لأني لم أتكلَّم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية: ماذا أقول وبماذا أتكلَّم» (يو 49:12). فالمسيح هو الزارع الأول والأعظم.

4:4 «وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَتْ طُيُورُ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ».

في فلسطين حيث صيغ المثل على واقع أرضها وتربتها، لا يوجد طُرق بالمعنى الصحيح في وسط الحقول، ولكن مجرَّد مدقّات كثيرة مدكوكة، ومن كثرة السير عليها أصبح مسطَّحها مستوياً وليس فيها تربة بل كلها صلبة. لذلك وحينما يبذر الباذر حبَّاته الثمينة يقع بعضها عفواً على الطريق حيث تبقى عارية لا تجد لها تربة تحتها ولا فوقها، يأتيها المطر في أوانه فلا يؤثِّر فيها. وهكذا تبقى عارية إلى أن تراها طيور السماء فتلتقطها بعد أن يكون قد داس فوقها الرائح والغادي. مصير محزن للحبَّات الثمينة التي كانت وهي في خزانتها ذات قيمة ورجاء ومستقبل، سبق أن جُمعت بحذر وجهد وتعب ودموع.

شرح المسيح: كشف السر:

15:4 «وَهؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ عَلَى الطَّرِيقِ: حَيْثُ تُزْرَعُ الْكَلِمَةُ، وَحِينَمَا يَسْمَعُونَ يَأْتِي الشَّيْطَانُ لِلْوَقْتِ وَيَنْزِعُ الْكَلِمَةَ الْمَزْرُوعَةَ فِي قُلُوبِهِمْ».

هنا كشف المسيح سر المثل إذ أعطى المقابل الإلهي للبذرة، فجعلها هي كلمة الله! وأعطى المقابل لطيور السماء إذ جعلها هي الشيطان نفسه.

والعجيب أن المسيح أعطى هنا المقابل للطريق ـ حيث يدوس الناس وهو مكشوف للرائح والغادي ـ فجعله قلب الإنسان. وهنا تبدأ تدخلنا الرهبة من قوة حبك المثل وعمق معناه وبُعد مرماه، وتبدأ المفارقة الصارخة الحزينة تظهر بين جلال كلمة الله وبين جحدها، كيف احتواها قلب خالٍ من تربة الحياة، مكشوف عريان لكل غادٍ ورائح، مدوس من الناس، بمعنى الاستهانة والاحتقار أو الهبوط إلى مستوى صداقات أهل الهزء والمجون من كل صنف، أي أهل السير والجلوس والسهر والمنادمات على قارعة الطريق!! أو ما هو دون الطريق!! وكيف بعد ذلك تدخل كلمة الله بسرّها ونعمتها وكرامتها قلب ذلك الإنسان لتستقر فيه، والقلب لا يستقر في ذاته أبداً، وحتى ولو وافقها القلب واستراح لها لحظة لا يجد له فيها مسرَّة، إذ مع كلمة الله تدخل كلمات العالم وأحاديث اللهو ومناظر وروايات وتسالي بلا حصر، فلا تجد كلمة الله لها مكاناً. وهكذا يكون الشيطان قد نجح في أن يرفعها من القلب بلا عناء.

ونحن لو تكلَّمنا بلغة حاضرنا المشئوم الذي دخل فيه التليفزيون كل بيت، ليجلس إليه الأب والأُم والأولاد ساعات وساعات، إذن أصبح ضرورة أن يُنسب القلب إلى الطريق! فهوذا الطريق والحانة والرقص والزمر والقباحة والنجاسة المكشوفة قد دخلت إلى البيت وتربَّعت في وسطه، فما حاجتنا بعد للشيطان أن يأتي في لحظة، فهو قابع في عقر دار أولادك يلتهم كل كلمات الحياة وكل تعاليم الآباء والكنيسة.

حكى لنا رجل فرنسي عن خبرته الروحية فقال: قرأنا أنا وزوجتي في كتاب روحي وتأثرنا جداً، فقمنا نصلِّي ونذرف الدمع على حالنا، ولما جلسنا قالت لي زوجتي ما العمل يا جاك إن حياتنا فاترة بل باردة، هل من طريقة نجدِّد بها حياتنا ونتعاهد أن نصلِّي كل ليلة وتصير حياتنا للرب؟ فقال لها مستحيل!! طالما هذا الشيطان موجود في بيتنا (وأشار إلى التليفزيون) فلن نستطيع أن نغيِّر حياتنا. فقالت له إذاً: فلماذا نبقيه؟ بعه يا جاك لكي نخلُص. فقال لها: أنا سأرميه!! وأخذ التليفزيون ونزل إلى الشارع ـ في باريس ـ ووضع التليفزيون على الرصيف المقابل للبيت وعاد ودخل البيت ووقف هو وزوجته يراقبون من النافذة. فمضت مدَّة طويلة والناس غادين رائحين عليه ينظرونه ويعبرون، إلى أن جاء شاب ونظر التليفزيون وتطلَّع حواليه فلم يجد له صاحب فحمله وسار مسرعاً. فما كان من جاك وتريزة إلاَّ أن صفَّقا بأيديهما، وكان فرحهم عظيماً، وقاما للصلاة فصلّيا صلاة لم يكن مثلها قط بطول عمرهما السابق. وتعاهدا على المواظبة على ذلك. ولما أخبرا الجيران والأصحاب غاروا غيرة الرب وتكوَّنت جماعة من الأُسر باعوا تليفزيوناتهم وأسَّسوا جماعة للصلاة في باريس،

بلغنا عنهم حديثاً أنهم تقدَّموا في النعمة جداً، حتى إنهم حدَّدوا يوماً في الأسبوع للصلاة طول الليل، وحدَّدوها من الساعة 8 مساءً حتى إلى الساعة 2 صباحاً.

هذه الجماعة معروفة لنا وقد زارنا قائدها وسمعنا منه كل القصة وتعزينا كثيراً. فقلت للآباء مداعباً: إن هذه البذرة سقطت في وسط الشوك، فاستغاثت برب الكرمة فأغاثها، وسكب عليها من روحه فنمت في وسط الشوك وقويت عليه وانتصبت قوية وخنقت الشوك وأثمرت مائة وستين!!

يا إخوة، بيوتنا كلها انفتحت على الطريق، وكل كلام الرب سقط الآن على الطريق، والشيطان استراح جداً لهذا الصندوق ذي الشاشة الملونة، قد أعجبته للغاية، وقد صنع لأولاده برامج مسلية جداً لها قدرة على خنق الإنجيل واستبعاد اسم المسيح طول الليل وربما إلى الصباح.

وهكذا صار الشيطان أعظم هدية حديثة تقدِّمها لابنك أو لابنتك يوم الزفاف.

5:4و6 «وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى مَكَانٍ مُحْجِرٍ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَنَبَتَ حَالاً إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمْقُ أَرْضٍ. وَلكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ».

أرض فلسطين أميز ما فيها الحجارة. فالتربة في أي مكان لا تخلو من حجارة، وعلى الفلاح طول حياته أن ينقِّب على الحجارة وينظِّف التربة منها، ولكن مهما كان فلا بد أن تقع بعض البذور على الحجارة المدفونة على مقربة من السطح، حيث يكون فوق الحجارة طبقة خفيفة من التراب لا تكفي لنمو النبات. وهكذا حدث في مَثَل المسيح التصويري المبدع أن سقط بعض من الحبوب على أرض محجرة وجاءته المياه فنبت حالاً، لأن سخونة الشمس تتركَّز فوق الحجارة أكثر من التربة العادية. وهكذا توفرت لهذه الحبات البذرة والتربة والحرارة الكثيرة فنبت سريعاً، لأن النبات لم ينشغل بنمو جذره بل تركزت حيويته في إرسال ساقه إلى فوق، لأن جذره في التربة الرقيقة فوق الحجر. لذلك إذ ينظره الزارع يعرف في الحال أنه لن يواصل نموه فيحزن على ضياع الحبة. وبمجرَّد سطوع الشمس يذبل ويموت حيث لا توجد رطوبة كافية يمتصها من فوق الحجر.

شرح المسيح: كشف السر:

16:4و17 «وَهؤُلاَءِ كَذلِكَ هُمُ الَّذِينَ زُرِعُوا عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ: الَّذِينَ حِينَمَا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ يَقْبَلُونَهَا لِلْوَقْتِ بِفَرَحٍ، وَلكِنْ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ فِي ذَوَاتِهِمْ، بَلْ هُمْ إِلَى حِينٍ. فَبَعْدَ ذلِكَ إِذَا حَدَثَ ضِيقٌ أَوِ اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ الْكَلِمَةِ، فَلِلْوَقْتِ يَعْثُرُونَ».

هنا يعرِّي المسيح المِثَل من السر المختفي فيه. فضآلة التربة فوق الحجر أعطى لها المقابل الروحي وهو: «**ليس لهم أصل في ذواتهم**». والإنبات السريع لتوفُّر الحرارة وعدم انشغال الجذر بالتعمُّق في التربة والاكتفاء بإعطاء نمو سريع أعطاه المقابل الروحي: «حينما يسمعون الكلمة يقبلونها للوقت بفرح » إلى هنا والعملية التزييفية للنمو السريع في النبات وما يقابلها من تزييف قبول الكلمة للوقت بفرح تسير بدون انكشاف وافتضاح.

ثم أعطى المسيح لإشراق الشمس بحرارتها وأثرها المدمِّر على النبتة الضعيفة المزيَّفة المقابل الروحي الخطير: «حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة» أي من أجل اسم المسيح! ثم الخاتمة الحزينة، إذ أعطى للزرع الذي لم يقوَ على حرارة الشمس فاحترق المقابل الروحي المخيف وهو: عدم ثبات ضعيف الإيمان إزاء الضيق والاضطهاد من أجل المسيح فيعثر ويسقط خارج الإيمان.

يُلاحِظ القارئ العزيز هنا شدَّة الحبك الإلهي الذي أحاط به المسيح حول الإنسان السامع للإنجيل، وحصيلة الإيمان المتوازنة مع صحة السمع وقوته وانفتاح القلب لاحتواء كلمة الحياة. والنسبة المتحصلة بين عدم تأصُّل الإيمان مع العثرة والارتداد.

أيها القارئ العزيز، سهل على الإنسان أن يخفي عدم تعمقه في الإيمان بالذهاب الصوري للكنيسة، وبالتناول الصوري من الأسرار، والاعتراف الصوري لإرضاء الكنيسة والناس، ولكن ليس من السهل أبداً أن يجاهر الإنسان بإيمانه أمام التهديد والاضطهاد والتلويح بالموت. فالذي يقبل أن يموت على الإيمان بالمسيح هو إنسان سبق ومات عن ذاته، هذا هو الذي له أصل في ذاته.

يعطي بستان الرهبان قصة ذات عبرة شديدة: كان لأب شيخ ابن راهب كان يأتي إليه كل يوم ويقول له: أريد أن أستشهد. فكان ينصحه الشيخ بأن الاستشهاد يأتي في أوانه ولا نجري إليه. فكان يلح عليه أكثر حتى ضجر الشيخ وصرَّح له أن يذهب لوالي المدينة الفلانية ويقدِّم إيمانه ويقبل الإكليل. فخرج الراهب من حضن الشيخ وذهب. وفي الطريق قابله جماعة لعبَّاد الوثن فأمسكوا به وهدَّدوه بالموت إن لم يخر ويسجد للصنم ويعطي له البخور، فمن الخوف والرعبة سجد للصنم وعبد وسجد وبخَّر، فلمَّا أطلقوه عاد إلى الشيخ كسيف البال حزين النفس.

ولكن في جيلنا هذا نعثر بدون ضيق، وننكر الاسم بدون تهديد، ونتخفَّى وراء أسماء تحجب إيماننا وربما تهين مسيحنا. ونبادر بتقديم البخور دون أن يُطلب منَّا: والسر هو ضحالة الإيمان وحب الدنيا وغياب المسيح من أعماق الذات.

وحالنا هو حال كنيسة اللاودكيين:

+ «اكتب إلى ملاك كنيسة اللاودكيين: هذا يقوله الآمين، الشاهد الأمين الصادق، بداءة خليقة الله. أنا عارفٌ أعمالك، أنك لستَ بارداً ولا حارًّا. ليتك كُنتَ بارداً أو حارًّا. هكذا لأنك فاترٌ، ولستَ بارداً ولا حارًّا، أنا مُزمِعٌ أن أتقيَّأكَ من فمي. لأنك تقول: إني أنا غنيٌّ وقد استغنيت، ولا حاجة لي إلى شيءٍ، ولست تعلم أنك أنت الشقي والبئس وفقيرٌ وأعمى وعُريانٌ. أُشيرُ عليكَ أن تشتري مني ذهباً مُصفًّى بالنارِ لكي تستغني، وثياباً بيضاً لكي تلبس، فلا يَظهرُ خزيُ عُريتك. وكحِّل عينيك بكحل لكي تُبصر.» (رؤ 3:14-18)

يا إخوة، إنسان هذا الزمان مضروب بضربة اللاودكيين، يظهر غنياً ولا حاجة له لشيء وهو في الحقيقة في خطر: «مزمع أن أتقيأك» بائس بؤس الذي لا يعلم أنه مدنف إلى الموت، وفقير فقر الإيمان الذي لا يقوى على جحد الشيطان، وأعمى عمى الذي يتعاجب بحسن حاله وهو على بؤس الحال، وعريان عُري الذي يعتقد أنه كامل وعريته مكشوفة لكل ذي عين!

7:4 «**وَسَقَطَ آخَرُ فِي الشَّوْكِ، فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ فَلَمْ يُعْطِ ثَمَراً**».

لا يغيب عن بالنا منطوق لعنة الله لأرض آدم «شوكاً وحسكاً تُنبت لك» (تك 18:3). فهو رمز اللعنة وصورة غضب الله متجسِّدة في نبات الأرض، تذكرة أبدية للإنسان على عصيانه أمر الله وتعديه على الوصية، وطموحه المجنون أن يكون كالله عارفاً الخير والشر. فشوك الحقل لعينٌ يتحدَّى عافية الإنسان، يأكل تعبه ويبتلع زرعه وينغرس في لحمه ليذكِّره بعار خطيته.

وليس شوك الأرض فقط الذي يتحدَّى الإنسان؛ بل وكثير من النباتات الطيبة تحمل من الأشواك ما هو مؤذٍ وما هو سام. فالخطية والشوك يسيران أينما سار الإنسان.

وبالرغم من أن الزارع يكون قد قصف الظاهر من الشوك، لكن جذوره في باطن الأرض تكون متحفِّزة أن تؤدِّي رسالتها العدائية. فالحبة التي سقطت وسط الشوك على قدر نموها يكون الشوك قد نمى أيضاً، يضرب جذوره حولها، يمتصها ويخنقها، يسرق نصيبها من التربة ومن الماء والشمس والهواء، تخرج صفراء عليلة وبعدها يخنقها ولا من ثمر. إنها جزء من ضريبة الشقاء على الإنسان.

شرح المسيح: كشف السر:

18:4و19 «**وَهؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ زُرِعُوا بَيْنَ الشَّوْكِ: هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ، وَهُمُومُ هذَا الْعَالَمِ وَغُرُورُ الْغِنَى وَشَهَوَاتُ سَائِرِ الأَشْيَاءِ تَدْخُلُ وَتَخْنُقُ الْكَلِمَةَ فَتَصِيرُ بِلاَ ثَمَر**».

هنا انتبه أيها القارئ العزيز، فقد بلغ الحبك الإلهي في هذا المثل أقصاه، يكشف المسيح السر في هذا المثل بصورة عجيبة ومبدعة. إذ يعطي المقابل الإلهي للشوك المؤذي والخانق للحبَّة التي سقطت بينه، إذ جعله: «هموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء التي تدخل وتخنق الكلمة» فلو رجعنا على موضع الشوك في الأرض بالنسبة للإنسان، وجدنا كما سبق وقلنا أنه تجسيد اللعنة المباشرة لأرض الإنسان التي ستكلِّفه تعبه وجهده وعرق جبينه، تذكِرة أبدية للعصيان الذي اقترفه الإنسان بوحي من الشيطان. هنا ينكشف أمامنا علاقة هموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء بالنسبة لعلاقة الإنسان بكلمة الله. فكلمة الله المرسلة للإنسان بسماعه الإنجيل هي المنقِذ الأول والأساسي للإنسان، التي تنشله من آثار اللعنة الأُولى التي كان رمزها الشوك والحسك. ولكن ها قد استعلنت اللعنة هنا على حقيقتها من واقع العالم، فهي هنا «هموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء»

إذن، ففي هذا المثل نواجه صراع ''الموت والحياة''، ''الشوك والنبتة الحديثة''، ''هموم العالم وغرور الغنى وسائر الأشياء مع كلمة الحياة''، إن سقطت كلمة الحياة في وسطها اختنقت، وإن حُفظت الكلمة فوقها وأعلى منها وبمعزل عنها اجتثتها. ولكن المسيح يكتفي هنا بحال كلمة الحياة إذا سقطت وسط هموم العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء كإحدى الحالات الحزينة التي تكون من نصيب الكلمة عند القلوب العابثة المغمورة وسط هموم العالم وغناه وشهواته.

وهذه الحالة الثالثة في مَثَل الزارع وشرحه تُعتبر الحالة المطابقة تمام الانطباق على حال المسيحيين في هذا الجيل، فقد ترك نصيب مريم الذي لا يُنزع منها وانشغل بنصيب مرثا.

«هموم هذا العالم»: mšrimnai toà a„înoj

وتأتي في الإنجليزية cares = اهتمامات، ولكن المترجم هنا وضعها في القالب المؤذي من الاهتمامات، فالاهتمامات إذا كانت صحيحة لا تعتبر هموماً، ولكن إذا انحرفت وصارت ذات أثر سيء على النفس صارت هموماً. أو كما ترجمها المترجم في إنجيل ق. متى: «همّ» لأن المفرد يؤكِّد شدة الضغط على النفس حتى المستوى المرضي حيث يشوب الهمَّ الحيرةُ والقلق.

فمَنْ ذا الذي لا يشتكي من هموم العالم؟ فالكل ساقط تحته إلى العنق، والبعض إلى ما فوق العنق. وأُعلنت رسمياً حالة الاختناق لمئات وألوف وملايين من المؤمنين الذين اختنقت فيهم كلمة الحياة إذ طغت عليها الهموم من كل جانب. وإن اختنقت كلمة الحياة في قلوبنا فماذا يتبقى لنا من الحياة؟ وهنا صحَّ قول الرب: «تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر» وهذا هو عين شكوى النفوس

التي تئن تحت هموم العالم: ‘‘ليس ثمر’’!!

ولكن هناك بعض العُذر عند الذين يئنون من هموم العالم: تربية الأولاد ومشاكل الأزواج، وقضايا العمل ومسئولياته الخطيرة، وأعواز المعيشة في الفقر، وأصحاب الأمراض والعاهات، ومزاحمة الرزق وتهديد الأعداء ومضايقة الرؤساء وملاحقة الحاقدين والناهبين والمبتذّين وطالبي الأقوات، هذه كلها لا ذنب للإنسان فيها. فالمطلوب أن يقاوم ويطفو فوقها ويستهزئ بها من رصيد إيمانه وعمق ثقته واتكاله على إلهه الذي تظهر قوته في الضيقات والملمّات.

ولكن المثل هنا يهتم بالذي يفقد توازنه ويغرق في خضم هذه الهموم لأنه لا يملك "**كلمة الله**" ولم يحفظها بعيداً عن خضم هذه الهموم، لأنها هي بمثابة المنقذ والمخلِّص. فكلمة الله مقصود بها المسيح نفسه.

فالمثل هنا ينعي حال مَنْ سمع ‘‘كلمة الله’’ ولم يرتفع إلى مستواها ويمتلك زمام نعمتها وقوتها فوق كل هموم الدنيا، وإلاَّ غرقت كلمة الله وغرق معها.

فالمطلوب من صاحب الهموم أن يذهب يغنِّي بالكلمة: «عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذِّذ نفسي» (مز 19:94). ويهتف باسم رب الجنود: «إن نزل عليَّ جيش لا يخاف قلبي» (مز 3:27)، يقتحم الضيق والهم والغم وتهديد الموت منادياً: «إذا سرتُ في وادي ظل الموت لا أخاف شرًّا لأنك أنت معي، عصاك وعكازك هما يعزيانني» (مز 4:23). هذه هي كلمة الله أعظم من جيش وأقوى من الموت!!

يا إخوة، انظروا، نحن لا نهرب من هموم الدنيا ولكن نعلو فوق موجتها، نحن لا نرهب المسئوليات حتى ولو كانت فوق قدرتنا وأكثر من طاقتنا، فلنا في يمين العلي معضِّد ومعين يرفعنا فوق متون أعدائنا. هذه هي كلمة الله تناطح كل هموم العالم وتغلب، لأن صورة هموم العالم خدعة، إنها خيال، ولكن كلمة الله حق، الهموم تزول وكلمة الله لا تزول.

السائح الروسي لما نُهب ميراثه وأُحرق كوخه قفز من النافذة وفي عبّه مخطوطه الثمين وأخذ يهتف قد نجا الإنجيل!!

يا إخوة، إذا ألمت بنا كل المحن وحاصرتنا كل الهموم ولم يبق لنا من الدنيا شيءٌ ولا أحد فلنهتف قد نجا الإنجيل.

«غرور الغنى»: ¢p£th toà ploÚtou

وتُترجم بالإنجليزية إلى: the deceitfulness وتعني: ''مخادعات''. وفي الترجمة العربية تأتي: ''**أباطيل**''. ويراها الأقدمون: ''**فخاخاً**'' حيث يُقتنص فيها غير الحكماء لأن فيها نوعاً من المتعة الغاشة الكاذبة.

جيِّدٌ أن الرب يفرِّق بين الغنى وغرور الغنى، فالغنى قد يؤول إلى الفقير وينتهي إلى يد الله، أمَّا غرور الغنى فهو أن ينتهي الغنى إلى يد الشيطان.

فإن يصبح الغنى مصدر غرور الإنسان يكون معناه أن المال انتقل من يد الله ليد الشيطان، بمعنى أن الإنسان يجد في المال قوة وسنداً ليتعالى على الآخرين ويتعظَّم في نفسه ويتحدَّى ويشتري زمم الآخرين ويسلك الطرق المعوجَّة لنوال مشتهاه، ويتسلَّط على رقاب العباد ويتشبَّث برأيه ويتحدَّى حتى مشيئة الله، لا يعبأ بوصية ولا يرى في نفسه عبداً كعبيد الله إذ يُلبسه المال ثياب الزهو، يصنعها له الشيطان من أفخر ما عنده من مخلفات آلهة المال! فقل لي يا قارئي العزيز: أين توجد عنده كلمة الله؟ وماذا يكون مقدارها ومستواها والكلمة تقول: «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله» (مر 10:23)؟ و «مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله» (مر 10:25)؟ وبولس الرسول المفتوح العينين يقول:

+ «وأمَّا الذين يُريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة، تغرِّق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذ ابتغاه قومٌ ضلُّوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة. وأمَّا أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا، واتبع البرَّ والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة.» (1تي 6: 9-11)

وأبسط برهان على صدق الرب يسوع وق. بولس رسوله ظهر واضحاً عندما حلَّ الروح القدس على التلاميذ، إذ نجدهم قد نفضوا أيديهم من كل المال والقنية ووزعوا كل شيء على كل مَنْ له احتياج، وعملوا أول مجتمع بشري يعيش على مستوى شركة حقيقية، كان فيها الجميع متساوين في الحقوق والواجبات والاقتصاد والميراث، وكان للجميع نفسٌ واحدة يأكلون ويفرحون بابتهاج وبساطة قلب. لذلك استطاع الإنسان الواعي أن يلمح أن المال في العالم هو أصل لكل الشرور، أو هو أصل الشر الذي لابد منه، فهو وليد لعنة الأرض ابن الشوك والمتولِّد منه. فكما أن الشوك غريم حبة الحنطة، هكذا المال غريم لكلمة الله لا يأبه بها، لا يحترمها، يتحدَّاها، يقتلها لأنها هي أيضاً أعدى أعداء الشوك. فكلمة الله جاءت لتقتلع اللعنة من الأرض لتحرقها من قلب

الإنسان! فقل لي يا صديق الرب: كيف يقتني الإنسان كلمة الله والمال؟ وهكذا نأتي إلى الحكمة الإلهية في مقولة المسيح ومثله العجيب ”خرج الزارع ليزرع“: «فسقط آخر في الشوك فطلع الشوك وخنقه فلم يعطِ ثمراً!!» (مر 8:4). وهل تثمر كلمة الله في قلب يقول: «إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء» ؟ مع أنه في واقع وحقيقة حاله كما يقول سفر الرؤيا: «أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان» (رؤ 17:3). هكذا يتصوَّر الغني المغرور بغناه أنه فعلاً قد استغنى ولا حاجة له لشيء وهو في حقيقة حاله فقير وبائس وأعمى وعريان!! وهكذا يزيِّف المال حقيقة حال الإنسان المغرور بغناه فيتصوَّر له أنه قد استغنى وهو في حقيقته فقير مُعدم بل وأعمى وعريان!!

يا إخوة، إن الكنيسة إكليروساً وشعباً لم يحدث لها أبداً في أي من سني تاريخها أن جرت وراء الغنى وسعت وراء كنز الأموال في البنوك حتى اتخمت من الملايين مثل هذه العشرين سنة، فحدثت الهوة المريعة بين حال الكنيسة وحال الشعب الفقير، أمَّا الشعب فانقسم بين حاملي ألقاب البلايين وحاملي ألقاب العدم والجوع. فأين تبيت كلمة الله أو تنمو، لا تستغربوا إذاً إن كانت قد اختنقت!!

«وشهوات سائر الأشياء»:

هنا تنحصر شهوة سائر الأشياء في كل شيء ما عدا الغنى والمال، فقد احتجزها المسيح وحدها في غرور الغنى. والشهوة هنا هي الانحراف النفسي والعاطفي والجسدي معاً. وهي تتجه نحو الشهوة Lust، ولو أن هذه الكلمة قد تأتي إيجابية كشهوة الخير والعطاء والبذل، ولكن هنا بالذات تنحرف نحو الفساد والعبث. ولكن صاغها ق. مرقس في صورة تكاد تكون مشخَّصة، أي شهوات ذات سلطان جامح خارجة عن سلطان الإنسان، إذ يضيف إليها قدرة اقتحام النفس والدخول عنوة في مواجهة الكلمة لتخنقها وكأنها غريم شرس: «وشهوات سائر الأشياء **تدخل وتخنق** الكلمة»

فإذا أردنا أن نحدِّدها نجدها تتفرع لتنتسب إما للنفس أو الجسد. فشهوات النفس كشهوة العظمة والتفاخر والمجد الكاذب والغلبة والتفوق والانتقام والتحدي والإيذاء، وكل ما تؤدي إليه إنحرافات النفس عن نموها وهدفها الطبيعي والروحي. أمَّا الجسد فشهوة الأكل والقنية واللذة والسُكر والمتعة والجري نحو الجنس الآخر والتجميل واللبس والأناقة والإغراء، وكل ما يميل إليه الجسد الذي انحرف عن نموه الطبيعي وحِفْظِه طاهراً. فأي شهوة من هذه الشهوات إذا انغمس فيها الإنسان، أو إذا باغتته وتعمَّقت في قلبه، فإنها تمتلكه امتلاكاً شديداً مخزياً، وكأن الشهوة شصٌ يمسك بأنف الإنسان يجرُّه إلى ما لا يشاء. لذلك عجيب هو القديس مرقس في قوله: إنها تقتحم داخل الإنسان. كما وصفها أنها: «تدخل وتخنق الكلمة» كامرأة شرسة تقتحم بيت الرجل وتقتل غريمتها. فالمسروق من الشهوة واللذة يكون فاقد

السلطان على نفسه وعلى رأيه. علماً بأن كلمة الله هي نداء للنفس، فهيهات أن تسمع لها النفس أو تستجيب، فالكلمة إن دخلت القلب وجدته مملوكاً لإله آخر.

فماذا نقول يا إخوة في هذا الإحكام البالغ الحبك والفطنة في مَثَل الزارع، وخاصة أمر ذلك الشوك غريم الإنسان منذ أن وطأت قدم آدم أرض الشقاء؟ فهو كما هو للفلاح: مُضْنٍ غاية الضنى والضنك، يأكل حبّه ويدمي جسده ويحرمه من ثمره، وهذا عن قصد من الله لكي يرفع رأسه إلى فوق نحو الذي يُنْمي الحَبَّ ويكثر الغلات ويرسل الغيم ويبارك الثمرات، لتبقى الصلة بين الإنسان والله قائمة، حتى يأتي من يكسر شوكة الخطية والموت ويحرر الإنسان من عبودية الأرض واللعنة والشقاء.

كذلك وعلى نفس المستوى طبع الشيطان من لعنة الشوك صورة طبق الأصل لإيذاء الإنسان، فَنَصَب الفخاخ على مستوى الشوك، هموماً ينبتها العالم ويطرحها الشيطان في طريق الإنسان ليسقط فيها أو تمسك فيه، وغرور الغنى وبريق الذهب الذي يصطاد به النفوس التي فقدت الرؤية أمامها ونظرت إلى خلف، وشهوات أصناف بلا عدد، مسرات ولذات ومتع تغري الجهَّال فتلهيهم عن الطريق وعن الهدف.

ولكن تهون أشواك الفلاح فهي لم تغيِّر شكلها، وبالجهد استطاع أن يتعامل معها، أمَّا أشواك الشيطان: هموم العالم وغرور الغنى وشهوات بلا عدد، فقد امتصت دم الإنسان وخنقت فيه كلمة الحياة، وبالرغم من ذلك ظلت مختفية عن عينيه. فمَنْ ذا يعيب المدنية الحديثة التي نصفها ملاهي والنصف الآخر مآسي؟ ولا يزال كل يوم يخرج الزارع ليزرع!!

8:4 «وَسَقَطَ آخَرُ فِي الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ، فَأَعْطَى ثَمَراً يَصْعَدُ وَيَنْمُو، فَأَتَى وَاحِدٌ بِثَلاَثِينَ وَآخَرُ بِسِتِّينَ وَآخَرُ بِمِئَةٍ».

وأخيراً يأتي بيت القصيد أو النقطة المركزية في التعليم. فكل المرفوضين الرافضين الذين سبق الحديث عنهم، ولو أنهم استرعوا انتباهنا جداً وأجهدونا أيّما جهد واستنفذ شرحهم كل طاقتنا، إلاَّ أن المسيح في مثل الزارع لا يقصد ولا ينتهي قصده إلاَّ لهذه الحبات التي وقعت في التربة الجيدة. فماذا يهم الزارع الإلهي إلاَّ أن تدخل كلماته القلوب الصالحة الواعية لتحفظها وتأتي بالثمار المتضاعفة والمتكاثرة لحساب الملكوت. فزارع الكلمة لا يهمه قط إلاَّ سامع الكلمة، وبقدر مجد الكلمة وكرامتها وغناها وعظمتها، فمطلوب قلوبٌ على مستواها.

أمَّا الثلاثون والستون والمائة فما هي إلاَّ فذلكة زخرفية ثلاثية جميلة في مقابل ثلاثية القبح المرذولة للثلاث الحبات الساقطات بين الحجر والمحْجِر والأرض الشائكة.

«الأرض الجيدة»:

بعيدة عن الطريق وأرجل الناس، ليس فيها أرض محجرة، تربتها جيدة أصلاً ولكن جودتها لا تكتمل إلاَّ بتفليحها، يشقّها المحراث شقاً، يعرضها للشمس، يسوّيها اللوح، يخطّها خطوطاً لتُدفَن فيها البذرة ويخطّها ثانية لتستقبل المطر وتحتفظ به. أي أنها أرض أُعدَّت لاستقبال الزرع.

«فأعطى ثمراً يصعد وينمو»:

يعود الزارع لأرضه التي زرع يُلاحِظ الزرع وهو يصعد وينمو فيفرح قلبه ويتجدَّد رجاؤه بثمار وشيك. أمَّا صعود الزرع ونموه فليس للفلاح فيه يد، فهذا هو سر الزرع، فالبذرة تحوي في صميم كيانها مقاس ارتفاعها ودرجة نموها محدَّدة ومقرَّرة بيد باريها. فإذا كانت الأرض جيدة أصبح نمو الزرع وارتفاعه يتبع قانوناً ثابتاً يترجَّاه الزارع ولا يملك له من مزيد.

شرح المسيح: كشف السر:

20:4 «**وَهؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ زُرِعُوا عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ: الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ وَيَقْبَلُونَهَا، وَيُثْمِرُونَ، وَاحِدٌ ثَلاَثِينَ وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ مِئَةً**».

وأخيراً يكشف المسيح الستار عن السر الأساسي في المثل إذ يجعل الحَب الذي سقط على الأرض الجيدة هو في اعتباره السرِّي: «**الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها ويثمرون**»، وكأن الكلمة سقطت في أُذن روحية سميعة حاذقة، فأرسلتها تواً للقلب الذي قبلها في الحال "**كفعل حياة** = sperma" يخصِّب النفس بالروح، لتصبح النفس هي أرض الله الجيدة التي أخصبت بالكلمة وحبلت بالثمر، كقول ق. بطرس الرسول المملوء سراً وحكمة وإعلاناً: «مولودين ثانية لا من زرع يفنى (نواة الإخصاب في الذكر) بل مما لا يفنى **بكلمة** الله الحية (**السبرما** الإلهية القادرة على الإخصاب) الباقية إلى الأبد» (1بط 23:1). أمَّا النموذج الإلهي الفائق الوصف والعالي السر فهو ما فعلته كلمة الله في العذراء، حيث الكلمة المرسلة إلى العذراء والتي دخلت وتغلغلت أحشاءها كانت سبرما الله أي كلمته ذات القدرة على التوليد!!! فحملت العذراء "بالكلمة" اللوغس وولدت لنا الكلمة متجسِّداً بشبه إنسان في صورة عبد وهو هو الله ظهر في الجسد!!

فالأرض الجيدة المفلَّحة بالإنجيل هي الأُذن الروحية المفتوحة لاستقبال كلمة الحياة، التي إذ تقبلها تخصب بالكلمة ويهيِّئ الإنسان لحمل الثمار، ثماراً لله، وعلى قدر القدرة على السمع تُعطى القدرة على الإثمار ثلاثين وستين ومائة.

لذلك نود لو انتبه القارئ جيداً لمفهوم كلمة الله في مثل الزارع، فهي المقابل لحبة الزرع وهي

ثمرة مخصَّبة مهيَّأة للنمو. هكذا كلمة الله فهي بذرة الحياة المخصَّبة التي تتفاعل مع نفس الإنسان وروحه التي هي تربة الله الجيدة المفلَّحة بالإنجيل فيولد منها الإنسان الجديد. على أن عضو الإخصاب الروحي الأول هو الأُذن الروحية الحساسة المستقبلة لسر الكلمة المفتوحة بالنعمة لتنفذ منها كلمة الحياة لتستقر في داخل النفس ليظلِّلها روح الله لتنمو بعد ذلك.

فكلنا مولودون بكلمة الله، أبناء الإنجيل، وثمرنا متضاعف يبدأ من الثلاثين وينتهي بالمائة حيث سر الكمال الذي تبلغ به كلمة الله أقصى فعلها في الإنسان.

ولكي نأخذ صورة جيدة للأُذن الروحية المفتوحة لكلمة الحياة علينا أن نعود مباشرة إلى أول ما عمله الله لتلاميذه قبل الصعود إذ «فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو 45:24)، حيث الفهم هنا هو التفاعل السري مع كلمة الحياة لحساب الله والكنيسة.

التعقيب على كشف السر:

9:4 «ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ!».

هذه الآية الواردة دائماً بعد كل حديث هام للمسيح ذات وزن عالٍ، إنما تلخِّص التعليق على مثل الزارع كله بل والإنجيل. فهي تحمل ترحيباً بكل مَنْ له أُذن روحية قادرة ومقتدرة على التقاط الكلمة الحية في الحال، والانفعال بها ولها بفرح وتهليل، مع سرعة الانطواء عليها في سرية وخوف كمَنْ يحوي في أحشائه جنيناً إلهياً يزرع في الخفاء. إلاَّ أن هذا النداء عينه يحمل رسالة حزينة للغاية للذي يسمع ولا يسمع، إذ يكون لسان حال المنادي يعبِّر ضمناً عن خسارة لا تقدَّر. على أن قول الرب علانية «مَنْ له أُذنان للسمع فليسمع» يُعتبر إعلاناً مباشراً عن سر خفي فيما قيل حتى يعتني كل مَنْ يسمع أن يعيد النظر فيما سمع، ليلتقط السر الذي ضمَّنه المسيح في مقولته أو في مثله.

القديس مرقس يضع سبباً للتعليم بالأمثال:

10:4و11 «وَلَمَّا كَانَ وَحْدَهُ سَأَلَهُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مَعَ الاِثْنَيْ عَشَرَ عَنِ الْمَثَلِ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ مَلَكُوتِ اللهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ فَبِالأَمْثَالِ يَكُونُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ».

في إنجيل القديس متى والقديس لوقا يجمع الذين حوله مع الاثني عشر في قوله لتلاميذه، حيث تلاميذه بالصورة الأكبر كانوا أكثر من الاثني عشر، لأننا كما نعلم أنه عيَّن سبعين آخرين يتبعونه ويتتلمذون له. فإذا أخذنا بمضمون الآية (11) ببساطة نجد أن الجزء الأول من المثل من (3-8) يكون هو المقصود من التعليم بالمثل، حيث ذكرت أصناف الزراعات دون شرح أو توضيح. ولكن

من الآية (15) حتى الآية (21) فهو الجزء الخاص بسر الملكوت الذي احتُجز للتلاميذ فقط. ولكن كان المسيح يتوقَّع أن لا يسأله التلاميذ مفترضاً أنهم قد فهموا المثل في كل أوضاعه، وهو فعلاً واضح لكل ذي قلب ينبض بالإحساس بالملكوت.

12:4 «**لِكَيْ يُبْصِرُوا مُبْصِرِينَ وَلاَ يَنْظُرُوا، وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلاَ يَفْهَمُوا، لِئَلاَّ يَرْجِعُوا فَتُغْفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ**».

هنا نرجو أن لا يخطئ القارئ فيفهم أن المسيح يقصد بهذه الأمثال أن يحجز الحق بإصرار عن الذين هم من الخارج، أي خارج دائرة التلاميذ، لذلك يضع الأمثال بصورة لا يفهم منها هؤلاء الخارجون سر الملكوت الذي أُعطي فقط للتلاميذ. ولكن في الحقيقة هذا هو الحادث بدون قصد المسيح وبدون تدبير ذلك، لأن الذين رفضوا المسيح أصبحوا بطبيعة موقفهم خارجاً عن دائرة تلمذته والإيمان به.

فلأنهم حجبوا المسيح عن أنفسهم بإرادتهم انحجب عنهم نور المسيح، وبالتالي سر معرفته الذي هو سر الملكوت بالدرجة الأُولى، كمحصلة مباشرة لرفضهم المسيح حسب القانون: الذي لا يسير في النور يبقى في الظلمة = أي يصير أعمى. فالعمى هنا ليس عقاباً من المسيح ولكنه تحصيل حاصل لرفضهم النور، ولكن واقع التعقيب على رفضهم المسيح يكون حتماً من جهتنا نحن أنهم رُفضوا لكي يبقوا في خطاياهم، وبالتالي لكي لا تُغفر لهم. ويقيناً لو كانوا يعلمون هذه المصيبة التي حاقت بهم لَمَا عملوها أي لَمَا رفضوا المسيح. ولكن ما العمل وهم قد رفضوه باختيارهم وبإصرار وبالرغم من أنه حذَّرهم مراراً وكشف لهم ما سيكون عليه مصيرهم إذا رفضوه. فإن كانوا قد رفضوه عن معرفة فقد صار عن استحقاق أن لا تُغفر خطاياهم.

وفي هذا الكلام تحذير مريع لنا نحن الذين نسمع له ونعرف مَنْ هو ولكن نصرّ ونصمِّم أن نحمل من دونه هموم العالم بإرادتنا، وننشغل عنه بغرور الغنى برضانا، ونذهب في شهوات قلوبنا وأجسادنا كل مذهب بعيداً عنه وهو يمد يده إلينا طول النهار! فقد انطبق علينا نفس الحال، نبصر بصراً ولا ننظر ونسمع سمعاً ولا نفهم، وكأننا عقدنا النية أن لا نرجع فتُغفر لنا خطايانا.

أيها الصديق إني أُسِّر في أُذنك أن هذا هو بعينه ما آل إليه حالنا. فمَثَل الزارع هو مَثَل هذه الأيام وينطبق على الكبير والصغير بلا فارق. ولولا أن الرب أبقى لنفسه بقية لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة.

انتهى مثل الزارع

23 نصائح وتحذيرات

[4: 21-25]

بقايا تعاليم توحي أنها كانت أمثالاً احتفظ بها القديس مرقس وهي تعقيب على مثل الزارع

هذه التعاليم أوردها إنجيل ق. مرقس متوالية وراء بعضها مجتمعة.

وبالبحث عنها في إنجيل ق. متى وإنجيل ق. لوقا وُجِدَت هي نفسها موزَّعة على الإنجيل متفرِّقة. وهذا جعل العلماء يعتقدون أن إنجيل ق. مرقس هو أول مَنْ سجَّل هذا عن التقليد الشفاهي، ثم أخذه منه كل من ق. متى وق. لوقا. وسنقدِّم للقارئ بحثاً صغيراً يستطيع أن يكتشف منه أهمية هذا التقليد، كما يتأكَّد أن ق. مرقس هو المصدر الأول لتدوين هذه التعاليم التي تبدو أنها بقايا أمثال، حاول كل من ق. متى وق. لوقا استخدامها لتبدو متكاملة لوضعها في مناسبة وربما في **مناسبتين**:

إنجيل القديس مرقس	إنجيل القديس متى	إنجيل القديس لوقا
(**4:21**):	(**5:14-16**):	(**8:16**):
+ «ثم قال لهم: هل يُؤتَى بسراجٍ ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير؟ أليس ليوضع على المنارة؟»	+ «أنتم نور العالم. لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعةٌ على جبل، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت. فليضيء نوركم هكذا قدَّام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات»	+ «وليس أحد يُوقد سراجاً ويغطيه بإناءٍ أو يضعه تحت سريرٍ، بل يضعه على منارةٍ، لينظر الداخلون النور»

إنجيل القديس مرقس	إنجيل القديس متى	إنجيل القديس لوقا
(**22:4**): + «لأنه ليس شيء خفيٌّ لا يُظهر، ولا صار مكتوماً إلاَّ ليُعلن»	(**26:10و27**): + «فلا تخافوهم. لأن ليس مكتومٌ لن يُستعلن، ولا خفي لن يُعرف. الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور، والذي تسمعونه في الأُذن نادوا به على السطوح»	(**2:12**): + «فليس مكتومٌ لن يُستعلن، ولا خفيٌّ لن يُعرف. لذلك كل ما قلتموه في الظلمة يُسمع في النور. وما كلَّمتم به الأُذن في المخادع يُنادى به على السطوح»
(**24:4**): + «انظروا ما تسمعون**!** بالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم ويُزاد لكم أيها السامعون»	(**1:7و2**): + «لا تدينوا لكي لا تدانوا، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم »	(**38:6**): + «أعطوا تعطوا، كيلاً جيداً ملبَّداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يُكال لكم»
(**25:4**): + «لأن مَنْ له سيُعطَى، وأمَّا مَنْ ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه»	(**12:13**): + «فإن مَنْ له سيُعطى ويزاد، وأمَّا مَنْ ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه» وقد قالها في موضعين: **الأول** أسرار ملكوت الله (12:13) **والثاني** في مثل العشر وزنات (29:25).	(**18:8**): + «فانظروا كيف تسمعون! لأن مَنْ له سيُعطى، ومَنْ ليس له فالذي يظنُّه له يؤخذ منه» وقد قالها في موضعين: **الأول** كما سبق. **والثاني** في مَثَل العشرة أمناء (26:19).

من هذا البحث ربما يتراءى للقارئ أن كلاً من إنجيل ق. متى وق. لوقا أكثر توضيحاً مما جاء في إنجيل ق. مرقس، ولكن يقول العلماء إن الأصل المختصر وغير المشغول بيد ق. مرقس هو الأكثر قدماً وأصالة، ولكن كل من ق. متى وق. لوقا حاول أن يستخدم هذه البقايا بأن أدخلها في مناسبة وربما في مناسبتين فظهر في الحال أنها امتداد بالتقليد، مضافة إلى غيرها أو غيرها مضاف إليها لتأخذ معنى أكثر تقدُّماً. فالتقليد الكنسي للإنجيل حي يتحرَّك.

ولكن تدقيق ق. مرقس العلمي الشديد احتفظ بها في وضعها المختصر غير الواضح كما تلقَّاها دون أن يضيف إليها أو يضيفها إلى غيرها. هذا يوضِّح لنا بصورة حاسمة منهج ق. مرقس في تدوين إنجيله، كأحد فطاحل العلماء المدققين بأقصى ما يكون التدقيق.

21:4 «ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: هَلْ يُؤْتَى بِسِرَاجٍ لِيُوضَعَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ أَوْ تَحْتَ السَّرِيرِ؟ أَلَيْسَ لِيُوضَعَ عَلَى الْمَنَارَةِ؟».

واضح أن ق. مرقس يدوِّن هذا التعليم باعتباره مثلاً، ولكن لم يسعفه التسليم الشفاهي ولا الكتابي ليضع جسم المثل بالكامل، الأمر الذي حاول أن يصنعه كل من ق. متى وق. لوقا.

فلو عاملنا هذا المثل على مستوى مثل الزارع يكون هذا عبارة عن المثل دون شرحه، أي دون استعلان سر الملكوت الذي فيه. فالتقليد عند ق. متى أن المثل يخص التلاميذ كون أنهم هم نور، ولكن لم يسعفه الموقف لكي يحكي لنا ما هي المنارة، ولكن أعطى هدفاً للمثل وهو أن يضيء نورهم للبيت وقدَّام الناس. ولا شك أن هذا كان جزءاً من تعليم الرب أصلاً وأضاف إليه موضوع السراج. أمَّا ق. لوقا فكان عنده التقليد أن النور يضيء ليراه الداخلون للبيت. هنا اختلاف الهدف بين (مت 15:5)، (لو 16:8)، الأول لمن في البيت والثاني للداخلين، إن كلاً منهما التجأ إلى التقليد الذي يكمِّل المثل، وبقي ق. مرقس محتفظاً بالأصل فقط في التقليد دون توظيفه.

«هل يؤتى بسراج؟»: œrcetai = يؤتى

يشدِّد العلماء بأن هذا الاصطلاح بلغته اليونانية œrcetai = يؤتى هو تعبير طقسي عقائدي بالدرجة الأُولى، وقد استخدم في الآية (45:10) **لتوضيح ظهور المسيح على الأرض**: « لأن ابن الإنسان لم **يأتِ** ليُخدَم بل ليَخْدُم ...» (8).

«ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير»:

mÒdion = مكيال، وباللاتينية modius وبالإنجليزية bushel. والمكيال عبارة عن معيار أحجام وهو قدر الكيلة، والكيلة 8 أقداح، والاثنا عشر كيلة = أردب. وهو وعاء فارغ يمكن أن يُقلب على فوهته. فلا يمكن أن يتصوَّر الإنسان أن يضاء مصباح (مشعلة تشعل بالزيت) ويوضع تحت المكيال فإنه ينطفئ في الحال.

(8) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 263, citing by J. Weiss, *Das Älteste Evangelium*, Göttingen, 1903, p. 175.**

السرير = kl...nhn وهو ما يشبه السرير المعروف، ولكن سطحه من الخشب وله أربع أرجل قصيرة جداً. فإذا وضعت المشعلة تحته يختبئ نورها وقد تنطفئ.

هذه محاولة جاهدة لكي يصمّم على أن المصباح وظيفته الحتمية هي أن يضيء من فوق مكان عالٍ.

«**أليس ليوضع على المنارة**»:

«**المنارة**»: lucn...an

وهنا يرتسم أمام مخيلتنا المنارة الذهب ذات السبعة سرج التي في الهيكل. والآن يبتدئ يستنير فكرنا أن ق. مرقس يجاهد في هذه الآية القصيرة أن يجعل المصباح يرتفع إلى أعلى المنارة، لماذا؟ ولأي سبب؟ هنا ينقطع التقليد الذي استلمه هذا القديس وهو يقف صامتاً وليس لديه أي رد! ولكن من ظروف ما قبل هذا المثل نعرف أن الحديث كله عن ملكوت الله وسرِّه. فهنا يحاول ق. مرقس في المثل أن يوحي إلينا أنه يستحيل أن يُخفى سر الملكوت أو يُحبَس أو يُطغَى عليه، فلابد أن سر الملكوت يضيء من فوق أعلى مصادر الإنارة.

لذلك إن قلنا إنه يضيء للبيت أو حتى للداخلين إلى البيت، يصبح هذا التحجيم لقيمة النور تقليلاً كبيراً من مفهوم إضاءة مصباح الملكوت. وهنا يظل ق. مرقس الأقرب إلى الأصل في التقليد الكنسي للمصباح وعمله. «أنا هو نور العالم» (يو 12:8). وبهذا ينكشف لنا أن هذا المثل هو تعقيب مباشر على مثل الزارع ولذا جاء متصلاً. والتقليد الكنسي للكنيسة القبطية يقدِّم لنا العذراء كالمنارة الذهب: ϯⲗⲩⲭⲛⲓⲁ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲃ ⲉⲧⲧⲟⲩⲃⲏⲟⲩⲧ(9). وهي حاملة نور العالم كمحور التسبيح طيلة شهر كيهك المبارك.

4: 22 «**لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ، وَلاَ صَارَ مَكْتُوماً إِلاَّ لِيُعْلَنَ**».

القديس متى يخرج بهذه الآية أنها تخص أقوال المسيح التي قيلت للتلاميذ في الخفاء فإنها حتماً ستعلن، والقديس لوقا يخرج بهذه الآية أنها تخص أقوال التلاميذ التي قيلت في الظلمة والمخادع (من الخوف) فإنها حتماً ستستعلن.

ولكن يبقى ق. مرقس مصمماً أن لا يستخرج من هذه الآية أي تخريج؛ بل يضعها كما هي دون إضافة. فإذا عدنا إلى ما قبل هذه الآية من الموضوع الذي كان يشغل المسيح في مثل الزارع نجد

(9) كتاب: "الأبصلمودية المقدَّسة" ثيئوتوكية الأحد القطعة الخامسة.

أن أمر الملكوت هو الأساس في شرح هذه الآية، لأنه بالرغم من أن المعرفة لأسرار الملكوت أُخفيت عمداً عن الذين في الخارج وسُلِّمت جهاراً نهاراً للتلاميذ؛ إلاَّ أن أخبار الملكوت وأسراره سوف تظهر حتماً، وإن كانت مكتومة عن الذين لا يستحقون إلاَّ أنها ستُعلن حتماً.

وهكذا ينكشف لنا أن هذا المثل هو تعقيب مباشر على مثل الزارع ولذا جاء متصلاً به.

«لأنه ليس شيء خفي لا يُظهر»:

هنا يهمنا أن نركِّز على قول الآية أن الشيء الخفي أو المخفى هو خفي ومُخفى عمداً لشدة عوز العيون للبصر وشدة صمم الآذان عن السمع، ولكنه سيظهر، سيظهر حتماً، سيظهر عندما ينكشف عن العيون وتنصلح الآذان. وهذا المعنى تشدِّده بقية الآية:

«ولا صار مكتوماً إلاَّ ليعلن»:

هنا يشدِّد العالِم دود(10) أن المعنى هو أن الملكوت لم يصر مكتوماً إلاَّ لكي يُستعلن. فالكتمان الإرادي لملكوت الله هو ضرورة حتَّمها الواقع الهزيل ولكنها كُتمت لتُستعلن بأقصى نور ووضوح، ومَنْ يستعلنها إلاَّ كل إنسان في ذاته، وكأنه هو أعلى مكان الذي ينطلق منه النور. فإذا كان ملكوت الله "سِترٌ"، فهذا "السر" لن يبقى مكتوماً دائماً، ولا القصد الأساسي منه كان كذلك. فالخفاء والاختفاء إنما هو تدبير الحكمة الإلهية ليظل محفوظاً بكامل مجده وبهائه ليأتي من يعلنه وهو في أوجه. إن الأشخاص الذين كانوا سبب إخفائه وكتمانه سيزيحهم حتماً من يرفعون نوره عالياً، إنها دعوة مؤكَّدة.

وبالنهاية، واضح أن ق. مرقس اعتبر أن المثلين مرتبطان معاً ومتعلقان معاً بمثل الزارع، لذلك بدأ المثل الثاني هكذا: «**لأنه** g£r ليس شيءٌ خفيٌّ ... إلخ» فقوله: «**لأنه**» بعد المثل الأول: «هل يؤتى بسراج ليوضع تحت المكيال ...» يكون قد ربط ووثَّق المثل الأول بالثاني، وهذا وضعٌ انفرد به ق. مرقس دون الإنجيليين ق. متى وق. لوقا اللذين فرَّقا بينهما. علماً بأن ق. مرقس ربط المثلين معاً في حديث واحد للمسيح ابتدأه بقوله «ثم قال لهم»

عجيب هو ق. مرقس في دقته وانتباهه الذكي في توقيعاته لآياته، وهي فرصة فريدة للقارئ الباحث والمتأمل أن يخرج من هذا التناسب والتناسق بمعانٍ ومفاهيم روحية لا تنتهي.

---

(10) **C. H. Dodd, *The Parables of the Kingdom*, London, 1935, p. 144, cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 264.**

23:4و24 «إِنْ كَانَ لأَحَدٍ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ! وَقَالَ لَهُمْ: انْظُرُوا مَا تَسْمَعُونَ! بِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ وَيُزَادُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ».

ينفرد ق. مرقس عن كل من القديسين متى ولوقا بتقديم هذه الآية ببدايتها المميزة «**إن كان لأحد**»، وهي نظيرة الآية (9:4) «**مَنْ له**». وفي كلتا الحالتين الله طالبٌ السامعين لكي يعلن سرَّه. فقد كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة لكي يكلِّم الله صموئيل الصغير، لقَّنها له عالي الكاهن فتكلَّم الله «تكلَّم يا رب لأن عبدك سامع» (1صم 10:3). الله يطلب الأُذن المفتوحة لينطق بسرِّه. وقد أورد كل من القديسين متى ولوقا هذه الآية مضافة إلى مَثَل الزارع، ولكن ق. مرقس خصصها لتكون آية قائمة بذاتها تمهيداً لما سيقوله بعدها، إذ جعل استماع الكلمة وزنة روحية قائمة بذاتها ذات مكيال روحي عالٍ، وجعل السمع الجيد يقابله عطاءٌ أكثر.

ثم عاد المسيح ينبِّه: «**فقال لهم: انظروا ما تسمعون**». هنا تكرار يُفيد انفصالاً مؤقتاً بين الآية الأُولى في المجموعة (21:4 «ثم قال لهم» والآية هنا (24:4 «وقال لهم» ، حيث هنا يطلب أن «**ينظروا**» blšpete بمعنى انتبهوا، مثل «وأوصاهم قائلاً: **انظروا** وتحرزوا من خمير الفريسيين ...» (مر 15:8)، حيث يتضح جداً معنى «**انظروا**» في إطار انتبهوا، احترسوا، ليصير المعنى: "تفحَّصوا باهتمام ما تسمعون". حيث يأتي بعد ذلك الأمر الهام الذي ينبغي أن ينتبهوا إليه، وهو فعلاً هام جداً في هذا المقام، مقام ملكوت الله وسرِّه، إذ يقول: «**بالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم ويزاد**». وقد تحيَّر كثيرٌ من الشرَّاح في المعنى، ولكن العالِم سويت أعطى معنىً بديعاً:

[إنه بقدر اهتمامكم في السماع لتعليمي، سيكون بنفس القدر وبزيادة الانتفاع الذي ستنتفعون منه!!](11)

أمَّا كل من القديسين متى ولوقا فقد أضافاها إلى مناسبة أخرى، في حين أن ق. مرقس احتفظ بها بحد ذاتها لتعطى معنىً في ذاتها، ولكنه مستمد من الحديث السابق، وهو الاهتمام بالسمع. وهذا يُحسب للقديس مرقس قمة الالتزام بالتقليد دون تصرُّف، مما سهَّل على المتعمِّق اكتشاف المعنى الأقوى.

«**ويزاد لكم**»:

جاءت هنا في رواية ق. مرقس فقط، وهي متناسقة مع مبدأ المسيح حيث الكيل الزائد دائماً.

(11) **H. B. Swete, *The Gospel According to St. Mark,* London 1898, p. 83.**

«**أيها السامعون**»:

تأكيد أن الكيل الذي يقصده المسيح هو مكيال السمع قيمةً وجزاءً.

25:4 «**لأَنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ**».

وأيضاً حاول ق. متى أن ينسبها إلى غيرها فوضعها مع الذي «أُعطي سر الملكوت» هذا هو مَنْ له السر فهو حتماً سيُزاد له، ثم عاد ووضعها مع العشر وزنات فظهر أن التقليد المتقدِّم يحاول إعطاءها المعنى الذي يراه.

أمَّا تقليد القديس لوقا فوضعها مع «انظروا كيف تسمعون» لأن مَنْ له سيُعطى ومَنْ ليس له فالذي يظنه له يؤخذ منه. وهكذا نسبها للذي عنده السمع وهذا مناسب للغاية.

أمَّا تقليد القديس مرقس الأقدم فكالعادة أبقاها بذاتها دون محاولة لأي إضافة لتخريج أي معنى، ولكن أرفقها في البداية بقوله: «**لأن** = g£r» التي تجعل الآية سبباً مباشراً لما جاء قبلها وهو: «انظروا ما تسمعون» فيصير المعنى المباشر مرتبطاً بالسمع، فيكون المعنى: مَنْ له السمع ”أي الأُذن التي تسمع“ فسيُعطى، وأمَّا مَنْ ليس له السمع فالذي عنده خارجاً عن السمع فسيؤخذ منه، بمعنى أن أي اجتهاد ذاتي له سيضيع. أمَّا الذي يبقى ويزداد فهو السر الذي ينفتح عليه من السمع لكلمة الملكوت.

وهذه حقيقة أيها القارئ العزيز، فبمجرَّد أن ينفتح الإنسان على الملكوت سواء بالسمع أو القراءة أو الإصغاء الداخلي لصوت النعمة، نجد أن تيارات من المعرفة الجديدة تسري في قلب الإنسان وفكره بصورة فائضة. فالذي عنده هذا المفتاح الأول وهو قوة السمع الروحي الباطني يكون قد ملك كل المعرفة، وصار الإنجيل كله مقروءاً ومشروحاً بالروح دون أي جهد يُذكر، وتصح المقولة: «**يُعطى ويزاد**».

24 مَثَل البذرة التي تنمو سرًّا

[4: 26-
29]

تعقيب آخر شامل يشرح مضمون سر الملكوت بوضوح
كيف ينمو الملكوت؟

مر 26:4 «**وَقَالَ: هكَذَا مَلَكُوتُ اللهِ: كَأَنَّ إِنْسَاناً يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الأَرْضِ**».

هذا المثل هو خاص بالقديس مرقس وحده، إذ لم يرد في الأناجيل الأخرى، فالقديس لوقا لم يذكره جملة، وأمَّا ق. متى فذكر بدلاً منه مثل الزوان (13: 24-30).

وقد تبارى الشرَّاح في مَثَل ق. مرقس هذا في الانتباه والتركيز: بعضهم نحو البذار والبعض على عملية النمو والبعض الآخر على الحصاد. ولكن في معظم الحالات كان الاتجاه يشير نحو ملكوت الله.

وعلى العموم فبالنسبة لتاريخ شرح هذه الآية نجد أن العلماء انتحوا النواحي التالية في الشرح(12):

الأول: هدف المثل هو البذرة الإلهية التي يزرعها المسيح في القلب أو في الكنيسة.

الثاني: الشرح الغالب على القرن التاسع عشر ينتحي ناحية أن المثل يعلِّم عن النمو المتدرِّج للملكوت في قلب الإنسان.

الثالث: اتجه ناحية الشرح الأخروي، بمعنى أن التركيز يقع على الحصاد مشيراً إلى السرعة التي يقتحم بها الملكوت.

الرابع: النظرة التي اختص بها العالمان دود وكادو وغيرهما أن المثل إنما يُعنَى به موقف المسيح اللحظي من حيث أن الملكوت هو حاضر أمام أعين الناس.

الخامس: ويختص جوانس وايز باعتبار قصد المثَل الأساسي كونه يؤكِّد الحاجة إلى الصبر، فالزارع أيًّا كان، سواء المسيح أو مَنْ يرسله المسيح، عليه أن يبذر بذاره وينتظر.

---

(12) **Vincent Taylor, *op. cit.*, pp. 265, 266.**

السادس: يميل إلى رأي جوانس وايز وهو العالِم الفرنسي لاجرانج، إذ يلاحِظ أن أسلوب المثل يوافق كثيراً أخلاق أهل الجليل الذين كانوا قلقين، وأبدوا استعدادهم مراراً لاستعمال العنف لتأسيس الملكوت على الأرض.

ولو أن كل هذه الاتجاهات واردة بحال ما، ولكن واضح أن أساس المثل يدور حول «**نمو**» الإحساس والإدراك والامتلاك معاً لسر الملكوت، لأن هذا المثل هو ملحق بديع لمِثَل الزارع، ضربه المسيح ليزيد مَثَل الزارع فهماً واتساعاً. وقد سبق وقلنا إن مثل الزارع هو الأساس الذي سينطلق منه بقية الأمثلة، وقول المسيح في ذلك واضح لتلاميذه: «ثم قال لهم أما تعلمون هذا المثل فكيف تعرفون جميع الأمثال» (مر 13:14). إذن، فمَثَل الزارع يحوي مجمل ما في كل الأمثال! لذلك فالنمو الذي فرَّق بين كل ظروف المواقع التي وقعت عليها حبّات الزارع هو الذي نواجهه في المثل الحالي (26:4)، وسوف نواجهه في مَثَل حبَّة الخردل وفي شجرة التين.

أمَّا القول إن هذا المثل يحوي فكرة الأخروية المستقبلية فهذا ينفيه إرسال المنجل لأن الحصاد قد حضر. فالزرع الآن والنمو الآن والحصاد الآن "وملكوت الله في وسطكم". وسيظل قول المسيح قائماً الآن وغداً وحتى النهاية: «الحصاد كثير، ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يُرسل فعلة إلى حصاده» (لو 2:10)، (مت 37:9)، (يو 35:4). فملكوت السموات يفتح كل يوم أبوابه ويُرسل أغماراً في أحضان الملائكة ليدخلوا إلى فرح سيدهم ليعيِّدوا عيد الأبدية.

27:4 «**وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو، وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ**».

«**وينام ويقوم**»:

المِلاحَظ في الآية (26) أنه يقول: «كأن إنساناً يُلقي البذار على الأرض» فيعطي تعبيراً رائعاً عن حالة إنسان يسعى لاقتناء ملكوت الله، حالة هدوء كامل وسلام داخلي وممارسة أمور الحياة العادية بقلب ثابت ونفس مستقرة، وهذه تُحسب من روائع التشبيه الحيوي في إنجيل ق. مرقس لرفع الحياة اليومية إلى مستوى اقتناء الملكوت دون أدنى حركة قلق أو استعجال أو تخطِّي الواقع بأي صورة.

وفي الحقيقة، عزيزي القارئ، هذا يُحسب مقياساً نفسياً وإلهياً بآن واحد للإنسان الروحي الساعي في طريق الخلاص واقتناء الحياة الأبدية، الذي يُحسب بحد ذاته علامة صادقة وأكيدة أن ذلك الإنسان يحيا حق الإنجيل وصدق الرسالة وهو جدير فعلاً أن يُحسب ابناً للملكوت.

«**والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف**»:

أن يعطي المسيح هذه العملية مِثَالاً، أي نمو البذرة وطلوعها من الأرض قليلاً قليلاً أمام أعيننا، مبيِّناً أنه مهما حاولنا رصد هذا النمو لا يمكن بلوغ إدراك كيفيته وإعطاء مفهوم واضح عن "**سر**" هذا النمو العجيب، فهذا في الحقيقة درس عظيم قائم بذاته عن "سر" النمو وإدراك "سر" هذا النمو بالنسبة لأمور الله في أمر عمل ملكوت الله داخلنا. فالإنسان زارع البذار حينما يرى زرعه يصعد وينمو يفرح ويبتهج، ولكن عبثاً يحاول أن يفتِّش كيف كان ذلك. إذن، فمقياس نمو سرّ ملكوت الله داخلنا هو الإحساس بالفرح الغامر كنتيجة مباشرة **للنمو** السري غير المدرك. ويقول علماء النفس إن الفرح والرضا أعظم ممهِّد لنوم جميل صحي، وهكذا حتى النوم الجميل واليقظة النشطة تدخل في الإعلان عن نمو حاصل بصورة صحيحة لسر الملكوت داخل الإنسان: «لكنه يُعطي حبيبه نوماً.» (مز 2:127)

أمَّا كيف كان نمو البذار؟ أو كيف يكون نمو سر الملكوت في قلوب متّقيه؟ فهو يتركز في يد الله وحده. هذا يعطينا السلوك الأمثل تجاه شرح مستقبل ملكوت الله في العالم والناس: إنها عملية بطيئة ولكن رتيبة ومحسوبة. فمهما كانت ليالي التعب والألم والإخفاق، فأيام النور ونهار الرجاء تسير، والختام بزوغ فجر الملكوت أكيد وقادم عبر الدموع والفرح معاً. أليس هذا هو الحاصل معنا؟

4:28و29 «لأَنَّ الأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِثَمَرٍ. أَوَّلاً نَبَاتاً، ثُمَّ سُنْبُلاً، ثُمَّ قَمْحاً مَلآْنَ فِي السُّنْبُلِ. وَأَمَّا مَتَى أَدْرَكَ الثَّمَرُ، فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ».

هنا يفسِّر درجات النمو بالنسبة لحبة القمح المزروعة ولكن لا يتعرَّض لسر النمو.

ولكن هذه الدرجات تتم دون أي تدخُّل من الإنسان، فالحبة تعطي نباتاً أولاً أخضر وجميلاً، والنبات يَصْفَرُّ ويعطي السنبل، والسنبل قليلاً قليلاً يمتلئ بالحب. درجات ثابتة جداً ورتيبة للغاية ولكن توحي للإنسان منذ أول لحظة بيوم الحصاد. فالنتيجة والخاتمة تظهر في النبتة وتتحقَّق قليلاً في السنبلة ثم تتأكَّد في السنابل الممتلئة قمحاً.

إذن، فهنا المثل الذي يقدِّمه المسيح ويربطه ق. مرقس بمثل الزارع يعطي لمحة جديدة توضِّح صورة جديدة للنمو، وهي درجات النمو. بمعنى أن كلمة الله التي قبلها القلب الجيد الصالح، لابد أن تنمو، ونموها متدرِّج. فصوَّره أولاً بالساق الخضراء الجميلة لحبة القمح التي دُفنت في الأرض وماتت، وهي الصورة الحيوية للإنسان الذي قبل كلمة الله كونها بهية خضراء ناضرة توحي حتماً بما سيأتي وراءها من الإثمار. ثم بلوغ حالة السنبل يقابله نضوج كلمة الله في قلب الإنسان وقدرتها

الإلهية العجيبة في الامتلاء والتكاثر، ليصير الإنسان بدوره باذر كلمات لحساب إحياء الملكوت في قلوب الآخرين. فلو لاحظ القارئ المبارك وتصوَّر هذا المنظر البديع يلمح كيف تدخل كلمة واحدة من كلمات الحياة الأبدية الداعية لملكوت الله قلب إنسان جيد، فتنمو فيه وتنضج وتتفرَّخ إلى كلمات حياة تخرج من القلب لتُبذر جيداً في قلوب أخرى. وهكذا منذ أن خرجت كلمة الحياة الأبدية من فم المسيح وهي تتناقل بسرعة قوية ثابتة سريعة جداً عبر قلوب أبناء الله، من جيل إلى جيل، لتصير الكلمة الواحدة الأُولى ملايين وملايين الملايين، متكاثرة جداً تغطِّي العالم كله بأجياله وقرونه ولن تنحصر أبداً. هذا المنظر الواقعي الحي يجعلنا نتسابق لكي نقبل الكلمة ونعطيها، ففي هذا حياة العالم واكتمال ملكوت الله.

كذلك فهذا المنظر المصوَّر بحبَّة القمح ودرجات نموها إذ يعطينا لمحة كيف يتغذَّى العالم كله الآن بملايينه العديدة من حبة قمح واحدة خلقها الله وطرحها في أرض الإنسان، فأنتجت غذاءً للعالم على مدى الأزمان. فبذات المنظر ألقى المسيح كلمة حياة في قلب الإنسان فتكاثرت بتكاثر أسرع وأقوى وأخلد فوق الزمن واغتذت منها روح الإنسان، كل إنسان، وصحَّ قول الفادي:

+ «أنا هو خبز الحياة. مَنْ يُقبل إليَّ فلا يجوع.» (يو 6:35)

+ «أنا هو خبز الحياة ... هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحيُّ الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.» (يو 6: 48و50و51)

هذا هو المسيح، هذا هو ”**كلمة** الحياة“، هذا هو حبَّة الحنطة التي وقعت في الأرض وماتت وأتت بثمر كثير (يو 12:24).

لقد استخدم ق. بولس مثل حبة الحنطة، التي وقعت وماتت ثم قامت بجسم آخر، لإثبات التعليم اللاهوتي للقيامة من الأموات (1كو 15: 35-38)، متخذاً هذا المثل عينه لتصوير انبثاق الحياة من الموت.

إذن، فالسرّ القائم في هذا المثل: «هكذا ملكوت الله كأن إنساناً يُلقي البذار على الأرض» هو سر الكلمة بالدرجة الأُولى، هو سر الحياة والملكوت، هو سر ديمومة النمو الإلهي الأبدي الذي لن يخمد أبداً، هو سر حياة كل إنسان في المسيح يسوع، وسر الحصاد الذي تجمعه الملائكة كل يوم في بيدر الله وتُرسله حزماً حزماً عبر الأبواب اللؤلؤية الاثني عشر ليدخل ويستريح الراحة العليا.

والملاحَظ في هذا المثل أنه لم يذكر فيه شرح المسيح الخاص للتلاميذ لضياع التقليد المحفوظ.

25 مَثَل حبَّة الخردل

[4: 30-32]

(مــــــــت 31:13و32)

(لـــــــــو 18:13و19)

كشف طبيعة ملكوت الله

30:4-32 «وَقَالَ: بِمَاذَا نُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ، أَوْ بِأَيِّ مَثَلٍ نُمَثِّلُهُ؟ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ، مَتَى زُرِعَتْ فِي الأَرْضِ فَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزورِ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ. وَلكِنْ مَتَى زُرِعَتْ تَطْلُعُ وَتَصِيرُ أَكْبَرَ جَمِيعِ الْبُقُولِ، وَتَصْنَعُ أَغْصَاناً كَبِيرَةً، حَتَّى تَسْتَطِيعَ طُيُورُ السَّمَاءِ أَنْ تَتَآوَى تَحْتَ ظِلِّهَا».

هذا المثل يُعتبر، بحسب العالِم فنسنت تايلور، واحداً من أفضل المواضيع التي تحقَّقت نسبتها لتعليم المسيح رأساً. وأهمية هذا المثل تعود لكونه يكشف نظرة المسيح من نحو ما هِيَّة الملكوت.

والشرح الذي قدَّمه العلماء لهذا المثل يحوي بدوره أربعة اتجاهات:

1 ـ النمو. 2 ـ الامتداد البطيء والمتدرِّج.

3 ـ وفي النهاية سرعة اقتحام الملكوت. 4 ـ دخول الأُمم في دائرتها.

ولكن تركيز المسيح على منتهى صغر البذرة هنا في هذا المثل، ثم بلوغها أكبر جميع البقول، فيه ما يكفي ليعطينا ما في فكر المسيح تجاه ملكوت الله: كيف يبدأ في قلب الإنسان بحركة صغيرة جداً تكاد لا تُذكر، ولكن لأن هذه الحركة حركة منبعثة من ملكوت الله بالحق، فإنها تحدث تطوراً سريعاً للغاية ينتهي إلى حالة من الاكتفاء الذي يحوي ما كان لا يخطر على بال، وهو إيواء الأمم!!

وواضح في هذا المثل أنه يحوي الواقع الذي يبدو صغيراً وضئيلاً جداً يكاد لا يعتد به، ولكن بسبب انتمائه إلى التدبير الإلهي فهو بالنهاية يأخذ وضعاً اسخاتولوجياً فريداً في اتساعه وإمكانياته الفائقة للطبيعة، عكس ما كان يُظن في البداية حسب واقعه الصغير للغاية. وهذا يعود ويختص بالدرجة الأُولى، حسب مطلع المثل بشكل وطبيعة ملكوت الله.

وبشيء من الحكمة وإعمال الفكر الروحي واستيعاب أعمال المسيح وأقواله، نستطيع أن نقول إن هذا الوصف يكاد يكون طبق الأصل من واقع الملكوت فعلاً، كما يراه الإنسان المطَّلع على فكر المسيح وتصريحاته فيما يختص بالملكوت في بداية مناداته به، فقد كان لا يكاد يكشفه الفكر. ولكن بمضي التعليم ثم باختتام التعليم بعملية الفداء العظمى إن بالموت أو القيامة، وارتفاع المسيح إلى أعلى السموات، وبزوغ الكنيسة على الأرض كشاهد حي لواقع الملكوت على الأرض، ثم انتشار الإنجيل وانفتاح الباب لدخول الأُمم، ظهر الملكوت في وضعه الحاضر كحقيقة كبرى تتآوى فيه كل أُمم الأرض بمقتضى الواقع الملموس ومقتضى الوعد الأكيد.

وكأنما كان المسيح يصف ملكوت الله الذي كان يعاينه حسب الواقع وهو بين الكتبة والفريسيين وبين المتزاحمين عليه من الكنعانيين وبقية الأُمم المحيطة. ثم إذ ينظر إلى ما بعد الصليب والقيامة ويمتد بصره فوق الزمن يراه الحقيقة الكبرى في العالم وكل الأُمم تحتمي فيه.

وكأني بالمسيح وهو جالس عثر على حبة خردل فتأملها جيداً ودُهش لصغر حجمها، ثم إذ فتح داخلها ووجد الفلقتين والريشة (البرعم النائم)، وأخذ يتصوَّر ما ستؤول إليه هذه البذرة عندما تُدفن في الأرض وتنبت وتنضج كشجرة تتآوى تحتها طيور السماء، سُرَّ بهذا التأمل ووجده يطابق رؤيته للملكوت في بدء حركته حتى قمة منتهاه. فالمسيح في هذا المثل يطابق واقعين: واقع حبة الخردل التي بين أيدينا وتحت نظرنا، وواقع بدء الملكوت الذي يستشعره في بدء عمله الذي سيضطلع به وفي نهاية عمله حسب قصد مشيئته! وإلى هنا يكون المسيح قد تعرَّض لكشف طبيعة الملكوت بمنتهى الدقة والتعريف.

«**وقال: بماذا نشبِّه ملكوت الله، أو بأي مثلٍ نمثِّله؟**»:

هذه البداية ذات التركيب الجديد علينا في رواية الإنجيل استطاع العلماء أن ينسبوها إلى الأصل الأرامي الذي استقى منه ق. مرقس هذا التقليد القديم. وهذا بدوره يدخلنا في مجال الجو الذي كان يعيشه المسيح وسط تلاميذه، وهذا بحد ذاته يؤكِّد لنا أصالة التقليد لهذا المثل.

وتأكيداً لهذا الاكتشاف نجد نفس البداية في إنجيل ق. لوقا وطبق الأصل: «فقال: بماذا يشبه ملكوت الله وبماذا أشبهه؟» (لو 18:13)

«**مثل حبَّة خردل متى زُرعت في الأرض فهي أصغر جميع البزور التي على الأرض**»:

«**حبة خردلٍ**»: s…napi = mustard seed = *Sinapis nigra*

والمعروف أن الاسم اليوناني واللاتيني ذو مصدر مصري. والتحديد في صفات حبَّة الخردل هنا

لا يتبع الدقة العلمية ولكن يتبع التصور العيني حينما توضع حبة الخردل في اليد فلا يكاد الإنسان يراها أو يحس بها، ونسبتها في الصغر بين البذار الأخرى عملية نسبية محضة لا ينبغي للمدقِّق العلمي أن يقف عندها، فهي أمثولة للفلاح والاعتماد على خبرته العينية وليست العلمية. والقصد هو تنبيه ذهن الإنسان إلى صغر معرفة الإنسان بالملكوت حينما يبدأ التعرُّف عليه بالنسبة لما ينتهي بالإنسان من الاندهاش والذهول الذي يعتريه: كيف أن ملكوت الله لا تسعه السماء والأرض. فالنسبة جدَّ كبيرة للغاية تخرج عن حدود التصوُّر. هذا هو ما أراد المسيح أن يعبِّر به عن الملكوت بالنسبة لخبرات الإنسان في الجليل، وبالتالي أي إنسان يبدأ التعرُّف على أعمال الله.

«ولكن متى زُرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول، وتصنع أغصاناً كبيرة،

حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها»:

هنا لم ينتحِ المسيح ناحية الإثمار ولا ناحية درجات النمو، ولكن يتجه بوضوح ناحية سرعة الانتشار وعظم النسبة بين الرؤية البدائية للملكوت والنتيجة العلنية لما يمكن أن يبلغه من جهة رؤية ومنظار الإنسان. فالمدة من وضع حبة الخردل في الأرض واكتمال نضوجها كشجرة لا تزيد عن خمسة أو ستة أشهر. هذه السرعة المحسوسة لملاحظة عين الإنسان وضعها المسيح كمقياس لسرعة انتشار الملكوت في فكر وقلب إنسان تقبَّل سرّه بغيرة واهتمام. فلو قسنا المسافة بين إلقاء ق. بطرس لمجداف مركبه وانطلاقه خلف المسيح إلى اللحظة التي انفتحت فيها عيناه وأدرك مَنْ هو المسيح ابن الله الحي، تكون هي المسافة النموذجية لتولُّد هيئة الملكوت في قلب غيور. كذلك فإن سرعة المسافة الأخرى الصاروخية بين «أمِن الناصرةِ يمكنُ أن يكونَ شيءٌ صالح؟» إلى القول المفاجئ: «يا معلِّم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل» (يو 1: 46و49) ربما لا تزيد عن يوم واحد وربما أقل!! هذه هي خبرات حيَّة كعينات تطبيقية على حبَّة الخردل، ولكن تفوقها قوة وسرعة. وقد اكتسبت البشرية ألواناً من قصة حبَّة الخردل في حياة المؤمنين تعتبر أعلى نموذج بالنسبة لأي سرعة تطوُّر أي شيء في العالم، مثل خبرة انتقال شاول لبولس، من مجدِّف على الملكوت لداعية يحمل جرساً بيده ويصرخ منادياً هذا هو الملكوت، وربما أيضاً الخصي وزير كنداكة: «عن مَنْ يقول النبي (إشعياء) هذا؟» إلى «هوذا ماء ماذا يمنع أن أعتمد!!» (أع 8: 34و36)

لذلك لم يستعرض المسيح نموذجاً بطيئاً ضخماً كبذرة التوت، التي هي أصغر عشرات المرات من حبَّة الخردل، ومنها تخرج شجرة التوت المهولة التي تبلغ ربما خمسة عشر متراً طولاً ونصفها عرضاً، ولكنها تنمو في سنوات كثيرة. هذه ربما تصلح لقياس نسب الأحجام، ولكن تخفق أن تعطي نسبة

السرعة لقوة الانتشار. إن بذرة الخردل عند الزرَّاع المهرة هي خبرة قوية ناجحة لأنها أسرع نسبة في النمو بين جميع أصناف البقول، بل وربما البذور الأخرى. ولكن بالرغم من ذلك فخبرة سرعة انتشار الملكوت تفوقها عند الذين اسْتُودِعوا سرّ الملكوت عن استحقاق!!

وعندنا خبرة شاول الحامل معاول هدم المسيحية على كتفه وخطط الانقضاض على قلب الملكوت في دمشق، وهو سائر يتلمّظ حقداً وينفث تهدُّداً وقتلاً، ثم ملاقاة رب الملكوت ناظراً إليه من السماء: مَنْ أنت يا سيد؟ أنا يسوع الملكوت الذي تضطهده! في لحظة وفي طرفة عين ينتقل شاول من هادم للملكوت لباني أركانه، ومن قاتل لشهيد. لذلك نقول: إن المسيح اختار في بذرة الخردل صورة لاستعلان سرعة انتشار الملكوت هي في مظهرها جدًّ بطيئة وجدّ صغيرة، ولكنه اختارها لحكمة أنها خبرة كل إنسان لكل يوم على المستوى الهادئ الرتيب الذي بالكاد تلحظه العين، وتَرَجِّي النماذج الأشد والأسرع والأعنف لأصحابها جبابرة الإيمان الحي.

إن معظم العلماء لم يستحسنوا اختيار المسيح لحبة الخردل كنموذج لسرعة وامتداد وانتشار الملكوت، ومنهم مَنْ خطَّأ المسيح ومَنْ خطَّأ كاتب الإنجيل، ومنهم مَنْ خطَّأ اللغة والنساخة ولم يسلم هذا المثل من انتقاد جميع الذين تعرَّضوا لشرحه!! كما سنتعرَّض لذلك بنوع من التدقيق في شرح إنجيل ق. متى.

ولكن مهلاً، هل يوجد إمكانية لأي مثل آخر يستطيع أن يصوِّر الامتداد بهذه السرعة الهادئة من مستوى هذا الصغر إلى المستوى الذي يصير شجيرة تتآوى فيها وتحتها الطيور؟ إني أتحدَّى!

ولعلّنا إذا سلَّمنا هؤلاء العلماء الأفذاذ كل معطيات المعرفة ومفردات الزراعة ومعها كمبيوتر، أي حاسب إلكتروني، وتركناهم في دورة علمية كاملة، ما استطاعوا أن يقدِّموا مثلاً آخر لمثل هذه النسبة بين الصغر والكبر في مثل هذا الوقت القصير على مستوى النمو الهادئ الرتيب ليحوي في النهاية طيور السماء تتآوى فيه وتنام وتستيقظ!! ما أصغر الإنسان وما أحقر علمه أمام رؤية المسيح الفائقة الدقة!!

وواضح هنا أن المسيح ألقى هذا المثل ولم يفسِّره، وهكذا سقط تفسير هذا المثل من فم المسيح لقصور في حَفَظَة التقليد. فأصبح من الجزم بشرحه على طريقة ما مخاطرة.

❖❖❖

26 حديث عن الأمثال

[4: 33و34] (مت 13: 34و35)

القديس مرقس يفصح عن أسلوب المسيح في التعليم بالأمثال وكأنه يعتذر ضمناً عن ضياع أمثال كثيرة وذلك في ختام مَثَل حبة الخردل

4: 33و34 «وَبِأَمْثَالٍ كَثِيرَةٍ مِثْلِ هذِهِ كَانَ يُكَلِّمُهُمْ حَسْبَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا، وَبِدُونِ مَثَلٍ لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ. وَأَمَّا عَلَى انْفِرَادٍ فَكَانَ يُفَسِّرُ لِتَلاَمِيذِهِ كُلَّ شَيْءٍ».

يُلاحَظ أن ق. مرقس يأتي بهذه الخاتمة في نهاية مجموعة الأمثال التي قالها عن الزارع، وعن المصباح والكيل، وعن الذي يُعطَى ويزاد، ثم مَثَل الإنسان زارع البذار، وأخيراً مثل حبَّة الخردل. وقد استغرقت هذه الأمثال من أول الأصحاح الرابع حتى الآية الرابعة والثلاثين من آياته. وهذا المقطع يأتي في الحقيقة مكمِّلاً لمطلع الأصحاح الذي ذكر: «فكان يعلِّمهم كثيراً بأمثال.» (مر 4: 2)

وفي شرح هاتين الآيتين يُلاحِظ القارئ الأسلوب الأرامي الصرف: «وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلِّمهم» «وبدون مثل لم يكن يكلِّمهم» وقد نقلها عنه ق. متى:

+ «هذا كله كلَّم به يسوع الجموع بأمثال، وبدون مثل لم يكن يكلِّمهم.» (مت 13: 34)

وواضح من كلام ق. مرقس أن المسيح كان يستخدم الأمثال في كلامه كثيراً على وجه العموم، ولكن بالنسبة لتلاميذه كان يفسِّر لهم كل شيء، ولكن للأسف ما وصلنا من هذه الأمثال قليلٌ جداً، وأقل منها ما وصلنا شرحه. فالتقليد الشفاهي لم يستطع أن يجمع كل الأمثال، وشرحها كان أصعب في تذكاره وقلّ مَنْ كان يدوِّن، لأن إحساسهم الغامر بأن ملكوت الله على الأبواب جعلهم لا يحملون هم حفظ كلام الرب. ولكن الأمثلة والنماذج التي وصلتنا كافية أن تعطينا فكرة صحيحة عن كل ما كان يتكلَّم به المسيح.

ولكن تأكيد ق. مرقس السلبي: «وبدون مثل لم يكن يكلِّمهم» يزيد الأمر خسارة كبيرة، لأن ما وصلنا من الآيات والأمثال لا يغطِّي ساعتين أو ثلاثاً، قراءةً، وهو ظل يعلِّم ثلاث سنوات

ونِصفاً. هذا يجعلنا نتمسَّك أشد التمسُّك بما احتفظت لنا به الأناجيل الأربعة ككنز لا يعوَّض، وكل كلمة مكتوبة في الإنجيل خرجت من فم المسيح هي لنا بمثابة ميراث، لهذا أصبح اهتمامنا بالإنجيل وحفظنا لكلماته هي مهمتنا الأُولى والعظمى في هذه الحياة. وإذ يعلم المسيح هذا أعطانا مصدراً قادراً أن يلهمنا ويكلِّمنا بكل ما قاله المسيح دون نقصان: «وأمَّا متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلَّم من نفسه **بل كل ما يسمع يتكلَّم به** ويخبركم بأمور آتية. **ذاك يمجِّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم!**» (يو 16: 13و14)

والعجيب أن روح الله يذكِّر بالذي قاله المسيح ويفسِّره أيضاً، لذلك أسماه المسيح: «معزياً آخر» أي نظير المسيح القدوس: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم.» (يو 14: 16و17)

أعتقد الآن أن القارئ فهم تماماً لماذا لم يحاول المسيح أن يلفت نظر تلاميذه أن يحتفظوا بكلامه مكتوباً، ولا هو اهتم أن يسجِّل أحد وراءه ما يقول، فالكمبيوتر الأعظم السماوي قد سجَّل كل كلمة وكل حرف، الروح القدس الذي أرسله الآب ليحقِّق للعالم بصورة دائمة وبصيغة مسموعة في القلب ليس فقط ما قاله المسيح بل وما يقوله الآب: «وأمَّا المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلِّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم!» (يو 26:14). مجداً لله فلنا إنجيل مقروء ومسموع بلا ورق ولا أُذن لحمية.

27 معجزة البحر الهائج

[4: 35-41]

(مت 8:23-27)

(لو 8:22-25)

عاصفة فوق البحيرة

35:4 «**وَقَالَ لَهُمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ: لِنَجْتَزْ إِلَى الْعَبْرِ**».

لما أكمل المسيح تعاليمه وسرد لهم الأمثال وقارب اليوم على الغروب، اشتاق أن يذهب إلى الشاطئ

الآخر للبحيرة. كانت سعادته لا أن يأوى إلى بيته ولكن أن يستمر في رحلة غربته على الأرض. ودائماً أبداً كان يتطلَّع إلى خراف أخر: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمِّم عمله» (يو 34:4)، «أمَّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه» (مت 20:8)، «ها أمي وإخوتي، لأن مَنْ يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي» (مر 35:3). وكانت معجزة أكثر منها رحلة!

يقول العلماء: إن العوامل الإعجازية التي تحويها هذه الرحلة تحتفظ لنا بتأكيد قوي أنها من صميم تقليد شاهد عيان كان في داخل المركب. هل ق. بطرس؟ هل ق. مرقس نفسه؟ فالتفاصيل سوف يراها القارئ حيَّة مسترسلة لا تحمل أي أثر للتأليف، تحوي مواقف حيَّة ناطقة بصحة وجودها:

* ذكر ميعاد بدء الرحلة مع أنه لا يتفق ومشروع سفر إذ هو عند المساء!!
* الرب يسوع يدخل المركب بلا أي إعداد أو استعداد كما كان جالساً يعلِّم.
* ذكر سفن أخرى صغيرة تتبعه متأثرين بما سمعوا منذهلين من شخصيته التي ليس من السهل فراقها.
* ذكر المخدة (الوسادة) التي كان نائماً عليها، كحادثة صغيرة ولكن ذات عمل محوري في القصة.
* انزعاج التلاميذ بشدَّة غير عادية.
* الصراخ في وجه الريح والموج.
* توبيخ التلاميذ كمراجعة تأديبية.

«**لمَّا كان المساء**»:

الذي يؤكِّد تحديد بدء قيام الرحلة في المساء، جاء في الآية (38): «وكان هو في المؤخِّرة على وسادة نائماً»

«**لِنَجْتَزْ إلى العبر**»:

هو نفس القول الذي اعتدنا أن نقوله: (نعدِّي الناحية الثانية)، فالقصة تحمل سمات صادقة وطبيعية للغاية استرعت انتباه كثير من العلماء.

هذا النداء الخالد «لنجتز إلى العبر» = إلى الناحية الأخرى، كان حافزاً لكثير من الرحالة والمبشرين الذين كانوا بمثابة كنائس رحَّالة ليعبروا البحار والمحيطات إلى الناحية الأخرى. إنها دعوة للعبور بالإنجيل إلى القارات الأخرى والبلاد التي بلا حصر. وكأن المسيح قد سجَّل هذه العبارة في إنجيل ق. مرقس لتعيشها الكنيسة عبر الزمان وعبر الأجيال وعبر المحيطات والقارات. وكانت بمثابة المنارة الهادية وسط ظلمات البحار والزمان. فلا يزال المسيح يعبر نحو الصارخين إليه: «اعبر إلى

مكدونية وأعنا!» (أع9:16)

لقد أبحرت السفينة من الشاطئ الغربي للبحيرة واتجهت صوب الشرق تبحث عن الملهوفين والمضَيَّق عليهم كمركبة إغاثة سماوية. والقديس متى في إنجيله يعطينا إجابة واضحة عن لماذا سعى المسيح فجأة للذهاب إلى العبر في رحلته البحرية إذ يقول:

+ «ولما رأى يسوع جموعاً كثيرة حوله، أمر بالذهاب إلى العبر ... ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه.»(مت 8: 18و23)

36:4 «**فَصَرَفُوا الْجَمْعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ. وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضاً سُفُنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ**».

لم ترد هذه الآية في رواية ق. متى أو ق. لوقا، مما يوضِّح أصالة الرواية كاملة عند ق. مرقس.

وكانت عادة المسيح أن يصرف الجموع قبل أن يفارقهم، وواضح أن ذلك كان حتماً برفع اليدين والصلاة عليهم وهم محنيّي الرؤوس:

+ «فابتدأ النهار يميل. فتقدَّم الاثنا عشر وقالوا له: اصرف الجموع ليذهبوا إلى القرى والضياع حوالينا فيبيتوا ويجدوا طعاماً ...» (لو 12:9)

وقد أخذت الكنيسة المرتشدة بالروح القدس هذا التقليد الإلهي نفسه ودخل طقس الانصراف وصلاته في صميم الطقس الكنسي وسمِّي: بالمسّا = missa: يعلن الشماس للشعب بإحناء الرؤوس، ويرفع الكاهن الصليب عالياً ويطلب البركة للشعب مع آخر جملة: ''امضوا بسلام سلام الرب معكم''. ويرد الشعب: ''ومع روحك أيضاً''.

«**وأخذوه كما كان في السفينة**»:

تحصيل حاصل، فالرب كان جالساً في السفينة بقرب الشاطئ يعلِّم حتى لا يزحمه الشعب، فلمَّا التفت إلى تلاميذه وأمرهم بالانطلاق بقي هو كما كان جالساً في موضعه «وأخذوه كما كان في السفينة» تصوير بديع لحركات القصة من واقع دقيق، ولكن ينطق أن الرواية من شاهد عيان شديد الانتباه دقيق الوصف، مما يلحّ علينا جداً أن نقول: إنه ق. مرقس! هذا في حين أن إنجيل ق. متى الذي أخذ الرواية عن ق. مرقس لم يلتفت إلى هذه الدقائق بل قال: «ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه» (مت 23:8). أمَّا ق. لوقا فجاءت عنده هكذا: «دخل سفينة هو وتلاميذه» (لو 22:8). هذا يجعلنا نعتز جداً برواية ق. مرقس التي تعطي دائماً الدقائق في مكانها المحكم.

«وكانت معه أيضاً سفن أخرى صغيرة»:

غريب هنا أن ينسب السفن الصغيرة أنها كانت مع المسيح، فيبدو أنها كانت تحمل بعض أخصائه من التلاميذ والنساء الذين واللاتي كانوا وكُنّ يرافقونه أينما سار. فالذين تعلَّقوا بالمسيح لم يطيقوا أن يتركوه! هنا وهناك: «هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب، هؤلاء اشْتُرُوا من بين الناس باكورة لله وللخروف وفي أفواههم لم يوجد غش لأنهم بلا عيب قدَّام عرش الله» (رؤ 14: 4و5). تركوا بيوتهم، تركوا أهلهم، تركوا أعمالهم وهمومهم، أكملوا الوصية وتبعوه جائعين عطاشى بلا دفءٍ، باعوا كل شيء ولم ينظروا وراءهم قط:

+ «وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً لي: هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض، مَنْ هم ومِنْ أين أتوا؟ فقلت له: يا سيد أنت تعلم. فقال لي: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف. مِن أجل ذلك هم أمام عرش الله، ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله، والجالس على العرش يحل فوقهم. لن يجوعوا بعد، ولن يعطشوا بعد، ... ويمسح الله كل دمعه من عيونهم.» (رؤ 7: 13-17)

4: 37و38 **«فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ، فَكَانَتِ الأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ. وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِماً. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟»**.

«نوء ريح عظيم»: la‹lay ¢nšmou meg£lh

la‹lay = Hurricane = هريكان = squall، وقد جاءت عند القديس متى (مت 24:8) seismÕj mšgaj = اضطراب (حرفياً: زلزلة) عظيم.

بحيرة طبرية أو بحر الجليل متاخم لمرتفعات عالية في الشمال والشرق، تَنْقَضُّ منها ريحٌ عاتيةٌ تمسح الوادي، وادي الأُردن، بطوله بعنف، غير أن الطقس فوقها عموماً ساكن وثقيل، ولكن التيارات العالية الباردة حينما تعبر من الغرب إلى الشرق تنقضُّ إلى أسفل على سطح البحيرة فتحدث دوامات عنيفة من الهواء، وحينئذ تنشأ هذه العواصف العنيفة التي تعكِّر الأجواء في هذه المناطق. وهكذا بدأت الأمواج العنيفة تضرب السفينة وتعلو فوقها لتملأها بالماء وبرعبة الغرق معاً.

إن ركوب البحر الهائج رعبة لغير المدرَّبين، أمَّا إذا علت الأمواج ولعبت بالسفن فهي الرعبة وأهوال الموت لأشد البحَّارة ثقةً بالنفس ودرايةً وقوةً، يفقد فيها الملاَّح الماهر كل ثقة بالنفس وتدخله رعبة الموت. وهكذا تبدأ هستريا الفزع: «أما يهمك أننا نهلك» !

«وكان هو في المؤخَّر على وسادة نائماً»:

سجلها ق. مرقس وحده ولم ترد في رواية ق. متى ولا رواية ق. لوقا، هذا بحد ذاته يضغط على تفكيرنا أن هناك شاهد عيان لا يُستهان به شديد الملاحظة يؤرِّخ من عمق الأهوال التي رأى ومن عمق الهدوء الذي اتسم به المعلِّم بآن واحد!

«في المؤخر»:

في مؤخّرة السفينة عِبٌّ خاص مسقَّف بالخشب هو جزء من سطح السفينة، وهو أأمن جزء في السفينة لمن يريد أن يستريح، وهو خاص غالباً بالريس المسئول عن إدارة السفينة. فهو ‘‘مكان كرامة’’ يمكن أن ينام فيه الإنسان ممدَّداً بعيداً عن الريح ورذاذ الماء.

«على وسادة»:

هي الوسادة الوحيدة في المركب وهي خاصة بالقبطان، ويبدو أنها كانت مريحة إذ أعطت المسيح حالة استرخاء أخذته إلى نوم عميق.

«فأيقظوه وقالوا له: يا معلِّم، أما يهمك أننا نهلك»:

+ «فتقدَّم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيد نجنا فإننا نهلك.» (مت 25:8)

+ «فتقدَّموا وأيقظوه قائلين: يا معلِّم، يا معلِّم، إننا نهلك!» (لو 24:8)

ثلاثة تعبيرات تنم عن الفزع وبلوغ قمة اليأس. والسؤال الآن للقارئ: أي تصرُّف من الثلاثة يطابق الحالة تماماً مع الاعتبار الكبير بكرامة النائم!!

مع شيء من التعمُّق الدقيق نجد أن تصرُّف التلاميذ بحسب ق. مرقس يُعتبر فيه أن المسيح كان نائماً ولكنه كان يرى ويتابع!! من هنا جاء العتاب: «أما يهمك أننا نهلك» فكأنه يرى ولكنه متمهِّل في التصرُّف إلى اللحظة الأخيرة. بمعنى أنهم في إنجيل مرقس – لم يعتبروه نائماً في الحقيقة ولكنه يقظ بالروح والرؤيا. لذلك يُعتبر التصرُّف في إنجيل ق. مرقس من أجمل التعبيرات المنزعجة للإحساس بالهلاك والنجاة معاً، إذ هي استحالة أن يكون المسيح غائب الاهتمام بنجاة التلاميذ حتى ولو كان نائماً. إنه تفوُّق في التعبير عن الثقة عندما تنعدم كل ظروف الثقة: «إن نزل عليَّ جيشٌ لا يخاف قلبي» (مز 3:27)، «إذا سرتُ في وادي ظل الموت لا أخاف شرًّا» (مز 4:23). فحينما يقتني الإنسان الثقة بالمسيح حقًّا وبالفعل فهو يدوس الحية ويطأ الموت.

39:4 «**فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ، وَقَالَ لِلْبَحْرِ: اسْكُتْ. اِبْكَمْ. فَسَكَنَتَ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ**».

+ «وانتهر بحر سوف (الأحمر) فيبس وسيرهم في اللجج كالبرية.» (مز 9:106)
+ «إن أخذتُ جناحي الصبح وسكنتُ في أقاصي البحر، فهناك أيضاً تهديني يدك وتمسكني يمينك.» (مز 139: 9و10)
+ «النازلون إلى البحر في السفن العاملون عملاً في المياه الكثيرة، هم رأوا أعمال الرب وعجائبه في العمق. أمر فأهاج ريحاً عاصفة فرفعت أمواجه، يصعدون إلى السموات يهبطون إلى الأعماق ذابت أنفسهم بالشقاء. يتمايلون، ويترنحون مثل السكران وكل حكمتهم ابتُعلت فيصرخون إلى الرب في ضيقهم ومن شدائدهم يخلصهم. يهدئ العاصفة فتسكن وتسكت أمواجها. فيفرحون لأنهم هدأوا فيهديهم إلى المرفأ الذي يريدونه. فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم وليرفعوه في مجمع الشعب وليسبحوه في مجلس المشايخ.» (مز 107: 23-32)

«**فقام**»: diegerqe…j

الكلمة اليونانية تفيد ”اليقظة الكاملة من النوم“، وبالإنجليزية = awake up، وبالفرنسية = s'étant éveillé وبذلك لا تعطي معنى الوقوف.

«**وانتهر الريح**»: ™pet…mhsen

وتفيد الزجر بعنف، كمن يفزع في عدو أو شيطان، مما يفيد أن المسيح يستخدم علاقة مسبقة كرب وخالق.

«**وقال للبحر**: **اسكت**. **ابكم**»: sièpa, pef…mwso

الانتهار والأمر **بالسكوت** اصطلاحان وردا في انتهار المسيح للشيطان (25:1) بصفته الآمر الناهي. و «اسكت» اصطلاح شائع يُستخدم في اللغة العربية والسورية كأمر يجعل العدو بلا قدرة على الإيذاء. وواضح هنا كيف قابل المسيح عنف الريح بعنف الأمر، وطغيان البحر بطغيان القوة الفائقة. والنتيجة واضحة، بأن توقَّف الريح في الحال كمَنْ صدع للأمر فصار هدوء عظيم، أي شمل الجو والبحر سكينة لحظية.

لم يصنع المسيح هذا المشهد المخيف والمرعب لكي يُسكت الريح والبحر، ولكن ليعلن في إنجيله رسالة مكشوفة مباشرة للإنسان عامة: إنه صاحب القوة الإلهية القادرة أن تُخضع هيجان الطبيعة

أينما كانت. فليس الأمر للريح والبحر فحسب، بل ولكل ما هو فائق عن قدرة الإنسان من ضيقات وأمراض وكوارث. فالمسيح يكشف هنا بلا مواربة أنه: رب الخليقة وضابط الكل، سيد العالم ومدبِّر الكون، لا يخرج عن طاعته مخلوق أو أي قوة في الوجود: «فوق كل رياسةٍ وسلطانٍ وقوَّةٍ وسيادةٍ، وكل اسمٍ يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيءٍ تحت قدميه ...» (أف 1: 21و22)

فليس عبثاً أن يقول ق. بولس عن المسيح:

+ «الذي هو صورة الله غير المنظور، بكرُ كلِّ خليقةٍ. فإنه فيه خُلِقَ الكلُّ: ما في السموات وما على الأرضِ، ما يُرى وما لا يُرى، سواءٌ كان عروشاً أم سياداتٍ أم رياساتٍ أم سلاطين. الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كلِّ شيءٍ، وفيه يقومُ الكلُّ.» (كو 1: 15-17)

+ «دُفِعَ إليَّ كل سلطانٍ في السماء وعلى الأرض.» (مت 28:18)

ولكن لم يكن للمسيح هذا الارتفاع وهذه القوة والاقتدار ليرتفع عن الإنسان وكأنه يأخذ سلطاناً عليه لتزداد الهوة بينه وبين الإنسان، حاشا وكلاَّ، بل بالعكس فقد سلَّم الكنيسة كل ما له لتعمل الكنيسة بهذا السلطان عينه: «وأخضع كل شيءٍ تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيءٍ للكنيسةِ، التي هي جسده، ملءُ الذي يملأُ الكلَّ في الكلِّ» (أف 1: 22و23). فكل ما للمسيح هو لنا، وكل سلطانه واقتداره سلَّمه للكنيسة لتعمل به الكنيسة ويعمل هو بالكنيسة.

فالمسيح يسوع ربنا قد انضم إلينا بكل غناه وأمجاده وحتى ميراثه في الآب. وهذا ما نفهمه تماماً من الآية القادمة.

40:4 «**وَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هكَذَا؟ كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ؟**».

إذن، فالمسيح كان ينتظر من التلاميذ أن ينتهروا الريح ويزجروا البحر، هذا هو مفهوم «كيف لا إيمان لكم؟» فكل الذي عمله المسيح بالسلطان هو منوط بنا أن نعمله بالإيمان، لأن سلطان المسيح قد صار حقًّا من حقوق الإنسان بعد أن تجسَّد الابن الوحيد لكي يسلِّم البنوَّة والميراث والسلطان للإنسان. لقد شاركنا في ميراث الخطية والغضب واللعنة، لكي نشاركه في البر والقداسة والبركة والصلح مع الآب، فكل ما له من حق صار من حقنا بالإيمان:

+ «الحق الحق أقول لكم: مَنْ يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها، لأني ماضٍ إلى أبي. ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجَّد الآب بالابن. إن سألتم

شيئاً باسمي فإني أفعله.» (يو 14: 12-14)

لقد كانت رحلة الإبحار في السفينة إلى عبر البحيرة هي في الحقيقة رحلة عبر أسرار المسيح الخاصة لتُلقي أمامنا الضوء على أمثاله وتعاليمه ومعجزاته، لنتعقبها في أصولها الأُولى، فندرك أنها بنا ولنا معمولة.

يا إخوة، إنه لا يعوزنا شيء في الحياة إلاَّ الإيمان!!

فحينما نقع في التجارب والضيقات والاضطهادات والأمراض والتخليات من الطبيعة والأهل والأقارب والأصدقاء، ويضيِّق علينا الأعداء ونقف منزعجين حيارى مذعورين كالتلاميذ في وسط البحر، فالمسيح يأتي، لابد يأتي ولكن ليسرّ في آذاننا: «كيف لا إيمان لكم»

41:4 «فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً، وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَنْ هُوَ هذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضاً وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!».

«**فخافوا خوفاً عظيماً**»: ™fob»qhsan fÒbon mšgan

الخوف هنا ليس من المسيح ولا مما عمله المسيح، الخوف هو من إحساسهم بالسلطان الإلهي يحوطهم، الله موجود إذن فالخوف والرهبة حتمية. فأينما وُجِدَ الله وُجِدَ الإنسان خائفاً. والخوف من الله إحساس واجب حتمي. ولأن الإحساس كان طاغياً عليهم من جراء منظر الريح التي خمدت والبحر الذي انصاع ورقد لذلك كان خوفهم عظيماً. وكان خوفهم استجابة لاستعلان سلطان الله.

انتهر المسيحُ التلاميذَ لما انزعجوا تجاه الريح العاصف والموج الهائج، لأن حالهم كان في الحقيقة ينم عن أنهم خضعوا للإرعاب وسقطوا تحت تخويف البحر، وهذا لا يليق بالإنسان، فوضع الإنسان مع المسيح وفي المسيح هو فوق الطبيعة وليس تحتها، ينتهرها ولا يسقط تحت انتهارها كما المسيح أيضاً.

أمَّا خوف التلاميذ الآن فلأنهم خضعوا تحت سلطان الله الظاهر وصغرت نفوسهم تحت جبروت قوته، وهذا جيد وموافق جداً لطبيعة الإنسان:

[”قفوا بخوف الله“، ”احنوا رؤوسكم للرب!!“، ”أمامك يارب (خاضعين وساجدين)“.]

القداس الإلهي

إنجيل ق. متى قال: إنهم ”تعجَّبوا“، أمَّا ق. لوقا فجمع الإحساسين «فخافوا وتعجَّبوا» ولكن الخوف انفعال أقوى وأصح من التعجُّب، لأن الخوف إحساس من العمق أمَّا التعجب فظاهري.

«مَنْ هو هذا فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه»:

نعم، أي إنسان هذا؟

القديس مرقس العجيب يختم القصة بشهادة سرية ذكية إبداعية بتجسُّد ابن الله.

فطَرَح هذا السؤال وكأنه سؤال ساذج عبر من فوق رؤوس أغلب العلماء وأهملوه، ولم يكتشفوا أن ق. مرقس بهذا السؤال يشهد بلاهوت المسيح في هدوء وبسرية تامة.

نعم، أي إنسان هذا الذي تطيعه العاصفة فتسكن في الحال والتو وينخرس ضجيج البحر ليصير كشبه نائم. نعم أي إنسان هذا؟ فالعمل عمل إلهي! الشكل شكل إنسان بسيط يرقد وسط العاصفة وكأنه لا يهمه أن يهلك هو والذين معه، ثم يقوم فجأة ليضبط السماء والأرض والبحر بكلمة!! أتقن ق. مرقس استعراض التجسُّد بكلمات ناعسة لا يستيقظ لها إلاَّ الواعون. فالجسد جسد إنسان ساذج «لا صورة له ولا جمال» (إش 2:53) فمن هو هذا؟ والعمل عمل لا يعمله إلاَّ الله؟ «فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه» إن قلنا إله فصورته وشكله وضعفه وهو نائم والسفينة تغرق يمنع، إن قلنا إنسان هو فكيف «الريح أيضاً والبحر يطيعانه» أسئلة لا يُكلَّف بها إلاَّ اللاهوتيون. فانظروا كيف وضع ق. مرقس في آية واحدة سؤاله اللاهوتي الذي لا يجيب عليه إلاَّ من استعلن سر التجسُّد. وكأني بالقديس مرقس يضع سؤاله هذا وعينه على بيت لحم أو على القبر الفارغ.

«أي إنسان هذا؟» سؤال لا يجيب عليه إلاَّ مَنْ رأى الرب قائماً من بين الأموات، أو ق. بولس الذي اطَّلع على وجهه من السماء وهو يشع نوراً أقوى من الشمس.

هذا هو ق. مرقس الذي اتفق العلماء على أنه يهتم بناسوت المسيح وكأنه قد غابت عنه حوادث القيامة، أو كأنه لم يره في العلية عشية القيامة واصابته نفخة من فمه.

لا!! هذا هو ق. مرقس اللاهوتي البارع يضع لاهوته في أحجية.

وهذه الآية هي بمثابة ختم لا يفك حروفه إلاَّ قارئ ناظر إلى فوق.

الأصحاح الخامس

28- الإنسان الذي به شياطين كثيرة:	**(5:1-20)**
(أ) الإنسان المصاب	**(5:1-10)**
(ب) قطيع الخنازير	**(5:11-13)**
(ج) أهل المدينة	**(5:14-17)**
(د) الإنسان مرَّة أخرى على البحيرة	**(5:18-20)**
29- إقامة ابنة يايرُس:	**(5:21-24و35-43)**
(أ) على شاطئ البحيرة	**(5:21-24)**
30- شفاء المرأة نازفة الدم	**(5:25-34)**
29- (تابع) إقامة ابنة يايرُس:	**(5:35-43)**
(ب) في الطريق	**(5:35-37)**
(ج) في مدخل البيت	**(5:38-40)**
(د) في غرفة الصبية	**(5:41-43)**

28 الإنسان الذي به شياطين كثيرة

[20-1:5]

(مت 8: 28-34)

(لو 8: 26- 39)

تسجيل لشاهد عيان ليس فيه إضافات من عند الكاتب.

مأساة حزينة من أربعة فصول:

(أ) الإنسان المصاب (1-10)

(ب) قطيع الخنازير (11-13)

(ج) أهل المدينة (14-17)

(د) الإنسان مرة أخرى على البحيرة (18-20)

ولكن بدون تدخُّل فكرٍ أو خيالٍ لإنسان، أو تكميلٍ من قلم خارجي، إنها قصة قد حدثت!! وقد حفظها التقليد بحذافيرها، وذلك حسب فكر العالم جوانس وايز(1).

على أن القصة تعطي عدة معلومات كلها لا تمت للطبيعة بل تتجاوزها، مثل المكان الذي به الأرواح النجسة بين القبور، القوة الخارقة التي كان يفك بها السلاسل ويقطع القيود، بقاؤه دائماً ليلاً ونهاراً في وسط القبور يصرخ ويجرح نفسه بالحجارة، حديث الروح النجس علانية مع الرب يسوع والإلحاح أن لا يعذِّبه، الاسم الذي أطلقه على نفسه "لجئون"، دخول الأرواح النجسة في الخنازير وقتلها مختنقة في البحر، هدوء المجنون وجلوسه لابساً عاقلاً. كل هذه التساؤلات لم تعد الآن وفي العقود القليلة الماضية مجهولة بعد أن اكتشف علم الباراسيكولوجي حقيقة الأرواح الشريرة وتداخلها في الإنسان عن طريق المسّ obsession أو الاستحواز possession، والأمراض والأعراض التي تنتج من كل من المس والاستحواز. وهذه العلوم كلها تدرَّس في جامعات العالم الكبرى في كل بلاد الغرب وأمريكا وقد تطوَّرت تطورات مذهلة للعقل. وما من شيء نسمع عنه في علاقة الأرواح الشريرة بالإنسان إلاَّ ويقع تحت الدراسة والفحص الشديد.

فكل ما جاء في قصة هذا الشاب الذي سكنه لجئون، أي عدة أرواح شريرة، وارد بدقة تحت عناوين هذه الأبحاث، الأمر الذي سبق وأن أنكره علماء الكتاب في القرن الماضي وبكور القرن العشرين

---

(1) **J. Weiss, cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 278.**

وحسبوها خزعبلات لعقول رجعية أميَّة. ولكن لأن الرد على كل الأسئلة التي تثيرها قصة هذا الشاب الذي به لجئون يخرجنا عن إطار شرح الإنجيل فيما يخص الروح فلن نخوض في التعرُّض لها إلاَّ قليلاً.

(أ) الإنسان المصاب:

1:5 **«وَجَاءُوا إِلَى عَبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كُورَةِ الْجَدَرِيِّينَ».**

«كورة الجدريين»: cèran tîn Gerashnîn جراسينون باليونانية

يوجد خلاف شديد بين النطق العربي «جدريين» الذي يتبع نطقاً خاصاً باليونانية ورد في بعض المخطوطات وهو Gadarhnîn، وبين النطق اليوناني الذي ورد في مخطوطات أخرى Gerashnîn. وهو يتبع خلافاً جغرافياً أيضاً، لأن جراسا تبعد 30 ميلاً نحو الجنوب الشرقي، أمَّا جدارا فهي على بعد ستة أميال فقط من الجنوب الشرقي، وكلاهما بعيد جداً من البحيرة، وهذا حيَّر العلماء ونسبوا عدم صحة المكان الذي رست فيه السفينة ليكون تابعاً لأحد هذين الموضعين. إلاَّ أن ق. مرقس أورشليمي وليست له دراية كثيرة بهذه المواقع. لذلك لا نجده في إنجيله ينشغل بأسماء المواضع عامة.

ويقول العالِم دالمان نقلاً عن ك. و. ولسن(2) إن السفينة رست جنوب المدينة المدعوة: Moka = Edlo بمسافة 2 كيلومتراً حيث وجد منحدراً ينزل بانحدار شديد من ارتفاع 44 متراً ويمتد في البحيرة بمسافة 40 متراً، فتأكدوا أنه هو المذكور في القصة أن الخنازير انجرفت من فوقه وغرقت في الماء.

2:5 **«وَلَمَّا خَرَجَ مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ اسْتَقْبَلَهُ مِنَ الْقُبُورِ إِنْسَانٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ».**

وبمجرَّد أن خرج المسيح من السفينة ولمحه الإنسان المعذَّب بالأرواح النجسة، جرى نحوه. والمعروف في التقليد القديم أن القبور تسكنها الأرواح الشريرة، ولكن بحسب أبحاث العلم الحديث في الباراسيكولوجي أن الأرواح الشريرة صنفان: أرواح بشرية معذَّبة ليس لها راحة تساكن أجسادها الميتة التي خرجت منها، وأرواح شياطين تستوطن الأماكن النجسة.

ولذلك فإن التقليد الكنسي ـ نقلاً عن التقليد اليهودي(3) ـ ينص على أن تُعمل صلاة خاصة لروح المنتقلين في اليوم الثالث لتغادر الروح مكان سكنى صاحبها، وبعدها تنتقل الروح إلى حيث

---

(2) **C. W. Wilson, *The Recovery of Jerusalem*, p. 368 f.**

(3) انظر كتاب: ''شرح إنجيل القديس يوحنا'' للمؤلِّف صفحة 674و675.

دفن الجسد تحاول الدخول فيه، وإذا استحال ذلك تبقى هناك لمدة أربعين يوماً إلى أن تذهب الكنيسة وتصرف الروح نهائياً من الأرض لتذهب إلى مكانها. الصلاة الأُولى هي صلاة الثالث والثانية صلاة الأربعين. أمَّا في قصة هذا الإنسان فيظهر أنها أرواح نجسة أي شيطانية.

3:5و4 «كَانَ مَسْكَنُهُ فِي الْقُبُورِ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَرْبِطَهُ وَلاَ بِسَلاَسِلَ، لأَنَّهُ قَدْ رُبِطَ كَثِيراً بِقُيُودٍ وَسَلاسِلَ فَقَطَّعَ السَّلاسِلَ وَكَسَّرَ الْقُيُودَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يُذَلِّلَهُ».

كانت القبور بحسب التقليد القديم والجديد مأوى للأرواح الشريرة، والمعروف علمياً الآن من أبحاث الباراسيكولوجيا أن الأرواح البشرية الشريرة ترتبط بأجساد موتاها، أمَّا الشياطين فمن المعروف عنها أن الشيطان إذا تسبب في قتل إنسان فإنه يتقمَّص روحه ويرث اسمه وأيضاً يكون مأواه القبور.

أمَّا قدرة الأرواح الشريرة على قطع وكسر السلاسل والقيود حتى ولو كانت من الفولاذ فهو أمر هين جداً. فالمادة بكل أصنافها هي لا شيء لدى الأرواح، فالروح تعبر الأبواب المغلقة حتى ولو كانت من حديد أو زجاج، بل وفي إمكانها أن تقذف قطعة الحديد عبر شباك زجاج فتعبره دون أن ينكسر الزجاج. فالمادة بكل صورها **لا شيء** ولا وزن لها عند الأرواح الشريرة وغير الشريرة.

أمَّا كون «لم يقدر أحد أن يذلِّله» أي يُخضعه ويحصره، فلأن الروح الشرير الذي فيه لا يُذلَّل ولا يخضع إلاَّ لله أو من يحمل روح الله وسلطانه واسمه.

5:5 «وَكَانَ دَائِماً لَيْلاً وَنَهَاراً فِي الْجِبَالِ وَفِي الْقُبُورِ، يَصِيحُ وَيُجَرِّحُ نَفْسَهُ بِالْحِجَارَةِ».

ذلك لأن الروح الشرير حينما يستحوذ على إنسان يورِّثه قلقه وبؤسه وشقاءه، فلا يستقر في مكان ويصير في عدم راحة أو استقرار، ومن فرط يأسه يجرح نفسه بالحجارة ويبيت حيث يشاء الروح الذي فيه.

وهذه الأمور كلها يتعرَّض لها علم الباراسيكولوجيا ويعطيها المفاهيم الصحيحة الموثوق بها علمياً.

6:5و7 «فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ مِنْ بَعِيدٍ رَكَضَ وَسَجَدَ لَهُ، وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللهِ الْعَلِيِّ! أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي!».

هنا ظهور المسيح كان له أثر كبير جداً في خوف الأرواح الشريرة التي بدأت تفك يدها عن المصاب بسبب معرفتها أن المسيح سوف يخرجها عنوة ويرسلها إلى الجحيم للتعذيب، فانتهز الإنسان

المستحوز عليه الفرصة وركض نحو المسيح وانطرح أمامه ساجداً مستغيثاً. وبدأت الشياطين تنهار وتعترف بالمسيح ـ لأنها تعرف حقيقته أنه ابن الله العلي ـ لا طوعاً بل كرهاً من الخوف والرعدة، لأنها بطبيعتها تعرف نهايتها وعقوبتها.

8:5 «**لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ: اخْرُجْ مِنَ الإِنْسَانِ يَا أَيُّهَا الرُّوحُ النَّجِسُ**».

سلطان إخراج الشياطين الذي كان يحوزه المسيح كان من صميم طبيعة تجسُّده: «لأجل هذا أُظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس» (1يو 8:3). فالمسيح تجسَّد لينقذ الإنسان من سطوة الشيطان سواء على عقله بالضلالات والأكاذيب التي يلقنها للناس ويعتبرونها حقًّا، أو تسريب الشهوات والملذات لغرائز الإنسان، أو إذكاء روح البغضة والعداوة والقتل والمقاومة والحرب لتفريق الناس وإيرادهم موارد الندم والعدم والهلاك: «لأنه كذَّاب وأبو الكذاب» (يو 44:8)، «ذاك كان قتَّالاً للناس منذ البدء» (يو 44:8). ويسميه السياسيون إله الحرب، يرسمونه وبيده منجل ذو يد طويلة يقطع بها رقاب الناس. والمسيح تجسَّد لا ليحطِّم مملكة الشيطان ويفك الناس من أسره الروحي والمادي والمعنوي والسلوكي الأخلاقي فقط؛ بل وينهي على سلطانه من الأساس باجتثاث الخطية من حياة الناس التي هي سلاح الشيطان المسموم القاتل للنفس البشرية. ذلك بدفع ثمن خطية الإنسان وثمن اللعنة التي لُعن بها الناس، بأن قدَّم نفسه ذبيحة عن خطية الإنسان وصلب على صليب اللعنة والعار ففكّ وثيقة الخطايا التي كتبها الشيطان على كل نفس، بل مزَّقها وأزال اللعنة المحكوم بها على الإنسان لأنه تجسَّد في جسد إنسان، وبهذا الجسد ذُبح وبه صُلب وبه مات، فذُبح الإنسان بذبحه وصُلب بصليبه ومات بموته وقام حيًّا من بعد موت معه بريئاً من كل خطية مبرَّراً من كل لعنة، كل مَنْ آمن بتجسُّده وموته وصلبه وقيامته.

9:5 «**وَسَأَلَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَأَجَابَ قَائِلاً: اسْمِي لَجِئُونُ "Legion"، لأَنَّنَا كَثِيرُونَ**».

وتمت في هذا الإنسان المعذَّب الحقيقة التي قالها المسيح: «إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماء (حياة) يطلب راحة ولا يجد، ثم يقول أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه، فيأتي ويجده مكنوساً ومزيناً. ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشر منه فتدخل وتسكن هناك فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله. هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل الشرير» (مت 12: 43ـ45). وللشيطان قدرة أن يأخذ اسم مَنْ يسكن فيه بعد أن يقتله، أمَّا إذا كانوا كثيرين فإنه ينكشف عددهم وجنسياتهم عندما يُبدأ بالصلاة على الإنسان فيسمع الإنسان لغة

أجنبية واضحة ويكون الإنسان المتسحوذ عليه أمِّياً لا يعرف من هذه اللغة حرفاً، فإذا خرج واحد يلعنه الآخر الذي لا يزال موجوداً ويعتبره خائناً لأنه تركه وحده.

10:5 «وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيراً أَنْ لاَ يُرْسِلَهُمْ إِلَى خَارِجِ الْكُورَةِ».

فالشيطان يستوطن الأشخاص والأماكن إذ لا راحة له ولا عمل إلاَّ تنكيد الإنسان والتعدِّي عليه.

(ب) قطيع الخنازير:

13-11:5 «وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الْجِبَالِ قَطِيعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْخَنَازِيرِ يَرْعَى، فَطَلَبَ إِلَيْهِ كُلُّ الشَّيَاطِينِ قَائِلِينَ: أَرْسِلْنَا إِلَى الْخَنَازِيرِ لِنَدْخُلَ فِيهَا. فَأَذِنَ لَهُمْ يَسُوعُ لِلْوَقْتِ. فَخَرَجَتِ الأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ، فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحْرِ. وَكَانَ نَحْوَ أَلْفَيْنِ، فَاخْتَنَقَ فِي الْبَحْرِ».

كان قصد المسيح الأول أن ينقذ هذا الإنسان ويربح جسده ونفسه من طول التعذيب الذي ناله على أيدي هذا اللجئون الشرير. والمسيح يعرف أن الشيطان بكل قواته وأعوانه نهايته إلى الهلاك، فلم يهتم أن يرسل هذه الشياطين إلى الخنازير وهي حيوانات نجسة مكروهة عند اليهود تقتنيها الأُمم، فأرسلها للهلاك. وانجلى الموقف على أن إنساناً واحداً أفضل من خنازير كثيرة.

(ج) أهل المدينة:

17-14:5 «وَأَمَّا رُعَاةُ الْخَنَازِيرِ فَهَرَبُوا وَأَخْبَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ. فَخَرَجُوا لِيَرَوْا مَا جَرَى. وَجَاءُوا إِلَى يَسُوعَ فَنَظَرُوا الْمَجْنُونَ الَّذِي كَانَ فِيهِ اللَّجِئُونُ جَالِساً وَلاَبِساً وَعَاقِلاً، فَخَافُوا. فَحَدَّثَهُمُ الَّذِينَ رَأَوْا كَيْفَ جَرَى لِلْمَجْنُونِ وَعَنِ الْخَنَازِيرِ. فَابْتَدَأُوا يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَمْضِيَ مِنْ تُخُومِهِمْ».

بداية البشرى تملأ البقاع، والشعب يأتي ويرى ويتحقَّق مما فعله يسوع، والمجنون جالساً عاقلاً بين يدي المسيح فيخاف الشعب!! ولكن يفضِّل الخنازير ويستكثر الخسارة ويطالب المسيح بأن يترك المدينة. هؤلاء هم الذين فضَّلوا خنازيرهم على الخلاص المعروض. ويكاد هذا المنظر أن يكون الآن هو المنظر السائد في العالم.

(د) الإنسان مرَّة أخرى على البحيرة:

20-18:5 «وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ طَلَبَ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ مَجْنُوناً أَنْ يَكُونَ مَعَهُ، فَلَمْ يَدَعْهُ يَسُوعُ، بَلْ

قَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ، وَأَخْبِرْهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ. فَمَضَى وَابْتَدَأَ يُنَادِي فِي الْعَشْرِ الْمُدُنِ كَمْ صَنَعَ بِهِ يَسُوعُ. فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ».

لقد عُوفي الإنسان الذي استبدت به الأرواح النجسة في لحظة وصار في تمام صحته وعقله. ولم يكن هذا الإنسان شخصاً عادياً إذ ألحَّ على المسيح أن يكون معه †na met' aÙtoà Ï وهو اصطلاح تقليدي استخدم سابقاً مع التلاميذ بمعنى التلمذة للمسيح (مر 14:3). ولكن المسيح وجد أنه إذا ذهب الإنسان وبشَّر بما صنع المسيح به تكون هذه هي التلمذة بعينها. وقد صحَّ فكر الرب إذ ذهب هذا الإنسان الذي نال نعمة الشفاء ومعها نعمة المناداة بحق المسيح. الآن عرفنا لماذا قطع المسيح البحيرة كلها وانتهى إلى هذه المدينة الخاملة لكي ينقذ هذه النفس الطيبة من سلطان الشيطان الذي استبد بالإنسان ظلماً وعدواناً. وهوذا تعب المسيح في هذه الرحلة الخطرة والتي ظن تلاميذه أنهم يهلكون بسببها من غضب رئيس هذا الهواء، قد انتهت براحة المسيح إذ هزم العدو في مكمنه في الهواء وعمق البحر، وهزمه في عقر داره الذي اتخذه له مسكناً وهو معدّ أصلاً لسكنى المسيح والروح القدس.

يا ليت خدَّام المسيح يعتبرون من قصة العناء هذه التي عانى فيها المسيح والتلاميذ لكي يكسبوا نفساً واحدة معذَّبة للرب، قطعوا بسببها ليس أقل من 20 ميلاً بحراً في وسط أهوال الموت.

29 إقامة ابنة يايرُس

[5:21-24و35-43]

(مت 9: 18و19و23-26)

(لو 8: 40-42و49-56)

قصة في صميم التقليد عن شاهد عيان من رئاسة المجمع ذات نواحٍ مُميَّزة للغاية:

1 - صورة رئيس المجمع قادم إلى المسيح حال نزوله من السفينة وعلى فمه صرخة استغاثة مؤثِّرة يطلب المساعدة.

2 - يقاطع القصة قصة جانبية في غاية الفرادة للمرأة الخجولة.

3 - رسالة عاجلة من بيت يايرُس تُبلِّغ نهاية الابنة المحبوبة المريضة مرض الموت مع اليأس والشك في عمل المسيح.

4 - رفض السيد الخبر جملة والاستهانة بتشاؤم القادمين من بيت يايرُس.

5 - منظر النائحين يرفعون راية الموت مع اليأس الأخير.

6 - استهزاء المسيح بالنواح والصراخ وبملاك الموت وكأن البنت في حالة نوم وحسب، استهانةً بالموت.

7 - سخرية القوم من تحدي المسيح وإصرارهم أن الأمر قد انتهى.

8 - القديس مرقس ينقل نفس الأمر باللغة الأرامية كما نطقها المسيح للبنت الميتة لتسترد روحها وتقوم، مع إظهار شعور العطف والحنان والشفقة على الصبية الصغيرة التي استدعى روحها من الهاوية.

9 - وأخيراً فزع الجماعة لرؤية البنت تقوم حيَّة.

ولكن أكثر ما آلمني في هذه القصة المبدعة ذات السلطان المستهزئ بالموت واليأس والساخرين هو رأي علماء الغرب، إذ يقولون إن البنت كانت حقًّا نائمة، ولم يرعووا من قصة لعازر وتكرار نفس سلطان التحدى للموت «لعازر حبيبنا قد **نام**. لكني أذهب لأوقظه» (يو 11:11). تباً للعلم عندما يتخاذل أمام الإيمان!

أمَّا القديس مرقس الإنجيلي اللاهوتي المفتوح العقل والعين فرأى في قصة ابنة يايرُس حالة واضحةً للقيامة من الأموات.

أمَّا بالنسبة لمشاهد قصة إقامة ابنة يايرُس فهناك أربعة مشاهد لهذه القصة:

(أ) على شاطئ البحيرة (21-24)

(ب) في الطريق (35-37)

(ج) في مدخل البيت (38-40)

(د) في غرفة الصبية (41-43)

(أ) **على شاطئ البحيرة:** (5:21-24)

5:21 «**وَلَمَّا اجْتَازَ يَسُوعُ فِي السَّفِينَةِ أَيْضاً إِلَى الْعَبْرِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ**».

عودة إلى أحاديث البحر التي افتتحنا بها الأصحاح الرابع (4:1)، ثم إبحاراً في البحر إلى كورة الجدريين، ثم مرَّة أخرى إلى عبر البحر (5:22) ناحية الشاطئ الغربي، ربما بجوار كفر ناحوم حيث مجمع اليهود. ويبدو أنها كانت وسيلة المسيح المفضَّلة أن يبقى في المركب جالساً والمركب شديدة القرب من الشاطئ، حتى يكاد المسيح أن يكون في وسطهم دون أن يزحمه أحد. ولكن كان لابد من الزحام، ها هي قصة زحام تكشف عن كيف يختلس الشعب من الزحام فرصة ليلمسه دون أن يظهر، ولكن هيهات!

5:22 «**وَإِذَا وَاحِدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَجْمَعِ اسْمُهُ يَايِرُسُ جَاءَ. وَلَمَّا رَآهُ خَرَّ عِنْدَ قَدَمَيْهِ**».

حينما بلغ المسيح الشاطئ وهو على أغلب الظنون شاطئ كفرناحوم، لأن القديس لوقا يقول: « ولما رجع يسوع قبله الجمع لأنهم كانوا جميعهم ينتظرونه» (لو 8:40)، ومعروف أن آخر عمل للمسيح كان في كفر ناحوم قبل أن يركب البحر (مر 2:1). كذلك فيايرُس هو أحد رؤساء مجمع كفرناحوم، والمعروف أن رؤساء المجامع كانوا من كبار الكتبة المرموقين.

واسم **يايرُس** 'I£iroj كما يقول الباحثون، هو الاسم الوحيد (خلاف بارتيماوس) الذي ذكره القديس مرقس في إنجيله غير التلاميذ والأسماء التي ذكرت في أسبوع آلام المسيح، والاسم غائب في إنجيل القديس متى.

واسم يايرُس يعني الشخص الذي ينير البصائر [انظر النسخة السبعينية (عد 32:41) أو (قض 10:3)]. وفي ملء حزنه وهمّه ويأسه نسى يايرُس مركزه كرئيس مجمع وخرَّ ساجداً أمام المسيح الذي في يده الحياة.

5:23و24 «**وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيراً قَائِلاً: ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا**

لتُشْفَى فَتَحْيَا. فَمَضَى مَعَهُ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَكَانُوا يَزْحِمُونَهُ».

وكأنِّي برئيس مجمع العالم بعد أن أفلست كل حيله لإحياء هذا الجيل المتصابي وهو على آخر نسمة، جاء يسجد أمام رب الحياة بإلحاح كثير أن يمد يده ويلمس قلبه ليُشفى فيحيا! صحيح أن أهل هذا الجيل يولولون أنَّ لا فائدة، ولكن عند المسيح هو لا يزال نائماً. كانت «على آخر نسمة» أي على شفا الموت، لقد أطلَّ عليها الموت بوجهه الكئيب والكل في فزع.

«**ليتك تأتي**»:

لقد أتى يا يايرُس وأنتم رفضتموه، لقد سبق أن طلبه إشعياء النبي كمن يترحَّم على بنت شعبه: «ليتك تشق السموات وتنزل» (إش 1:64). فأتى ورفضته العاصية إسرائيل.

ذهب المسيح كطلب يايرُس ولم يمتنع.

«**وتضع يدك عليها لتُشفى فتحيا**»:

طقس وضع اليد في الكنيسة هو حالة استدعاء الله ليمد يده غير المنظورة ليحل على الشخص للرسامة أو التكريس أو إعطاء الشفاء والحياة معاً، وهو تعبير إنجيلي ليتورجي نسمعه في القداس الغريغوري حينما يصرخ الكاهن بلسان آدم: [أنت الذي جبلتني ووضعت يدك عليَّ] (القداس الغريغوري). فالأُولى تعني الخلقة من لا شيء، والثانية تعني إعطاء الحياة، فالفعلان متلازمان.

فرئيس المجمع يطلب الشفاء وهبة الحياة كاعتراف علني أمام الناس أن المسيح طبيب البشرية الإلهي ورب الحياة ومعطيها، وإن لم يكن قد بلغ إيمانه إلى هذا الحد فهو ليس بعيداً عن الحق والمعنى الحقيقي. وواضح أن المسيح ارتاح إليه واستمع إلى ضيقه وصمم أن يعطيه كما أراد.

ولكن وفي نفس القصة تتداخل امرأة من الشعب وتقدِّم إيماناً أعظم من إيمان يايرُس، فقد استكثرت أن تتعب المعلِّم حتى ليلتفت إليها أو يسمع أنينها، فجاءت خلسة من ورائه ولمست لا جسده بل ثوبه فنالت بأسرع مما نال يايرُس.

30 شفاء المرأة نازفة الدم

[5:25-34]

(مت 9: 20- 22)

(لو 8: 43- 48)

5:25و26 «وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدْ تَأَلَّمَتْ كَثِيراً مِنْ أَطِبَّاءَ كَثِيرِينَ، وَأَنْفَقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا وَلَمْ تَنْتَفِعْ شَيْئاً، بَلْ صَارَتْ إِلَى حَالٍ أَرْدَأَ».

أورد القديس مرقس رواية الجمع الكثير الذي أحاط بالمسيح بمجرَّد نزوله، وكما يقول ق. لوقا في إنجيله إن هذا الشعب كان ينتظر وصوله. فكانوا على علم بمجيئه، لهذا استقبله رئيس المجمع بلهفة، واندست هذه المرأة المباركة وسط الجمع تترقب لحظة الاقتراب إليه لتنال مشتهى قلبها. ولكن على القارئ اللبيب أن ينتبه: فخذلان الطب لها وخذلان الأطباء وضياع مالها وكثرة آلامها أشعل في قلبها الإيمان بالمسيح.

والقديس مرقس في الحقيقة أبدع في سرد الروايتين معاً بلباقة منقطعة النظير، كاستعراض لمنظر واقعي من مناظر حركات مسيرة الرب في البلاد وبين الجموع. ولم يشأ أن يفصل قصة يايرُس عن قصة نازفة الدم، لأنه ليس قصَّاصاً يروي القصص، بل مسجلاً يسجِّل الوقائع كما فرضت نفسها على التاريخ بحسب ورودها وتداخلها.

فما أن بدأ المسيح السير مع يايرُس إلاَّ وبدأت الجموع تزحم المسيح، فابتدأ ق. مرقس يدخل في قصة نازفة الدم. وعندما فرغ المسيح من الكلام مع نازفة الدم ويايرُس سائر معه، عاد ق. مرقس يدخل في قصة يايرُس. من هذا يظهر للقارئ مدى التزام ق. مرقس بمسبقات الحركات وتتابعها وكأنه يلتقط الصورة ويشرحها كشريط تسجيلي بالصوت والصورة، أمَّا الصوت فهو أسلوبه المبدع، أمَّا الصورة فهو الوصف الدقيق الذي يسمَّى بالوصف التصويري.

والذي يقرأ حركات وسكنات واعترافات المرأة نازفة الدم يوقن يقيناً جازماً أن ق. مرقس إمَّا شاهد عيان أو ناقل لشاهدة عيان شديدة الصدق والدقة، وبالنهاية فالقديس مرقس ربما يعطي شهادة أنه أقوى ناقل للتقليد الكنسي.

إن قصة المرأة نازفة الدم هي قصة سرد معجزة من معجزات المسيح شديدة الحساسية والسرية. ولكن لكي نسجِّل قصةً كمعجزة في الإنجيل يرى ق. مرقس أنه يتحتَّم إذا ذكرنا المعجزة أن نذكر أساسها الذي قامت عليه المعجزة. لذلك يقدِّم ق. مرقس هذا الأساس بكل ما فيه من حساسية وسرية وانتقاد للأطباء، مع ذكر زمانه وتطور درجاته حتى النهاية اليائسة التي تفرض المعجزة فرضاً: «وامرأة بنزف دم منذ اثنتي عشرة سنة، وقد تألَّمت كثيراً من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال أردأ» هكذا بدأ ق. مرقس يقص للقارئ الحالة التي استوجبت المعجزة!!

استعراض مبدع لحالةٍ مقدَّمة للمسيح وكأنها مقدَّمة لكبير أطباء الكنسلتو ومعها سجل بتاريخ المرض ونوعه والخطوات التي تمت ومدى فشلها. والأمر متروك لرئيس الكنسلتو.

والطريف في الموضوع أننا حينما نأتي لرواية ق. لوقا، وهو معروف أنه طبيب، نجده يشمئز من عبارة أنها صرفت كل ما عندها على أطباء كثيرين وصارت إلى حال أردأ، وعدَّلها ليضع اللوم على المرأة: « وقد أنفقت كل معيشتها للأطباء **ولم تقدر** أن تُشفى من أحد!» (لو 43:8)

على أي حال إنها استنفذت كل ما لها، ولكنها صارت إلى حالة أردأ.

27:5-29 «لَمَّا سَمِعَتْ بِيَسُوعَ، جَاءَتْ فِي الْجَمْعِ مِنْ وَرَاءٍ، وَمَسَّتْ ثَوْبَهُ، لأَنَّهَا قَالَتْ: إِنْ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ شُفِيتُ. فَلِلْوَقْتِ جَفَّ يَنْبُوعُ دَمِهَا، وَعَلِمَتْ فِي جِسْمِهَا أَنَّهَا قَدْ بَرِئَتْ مِنَ الدَّاءِ».

حياء المرأة الذي يرفعها في قلوبنا إلى مستوى النوع الأكثر تحفظاً والأكثر حشمة والأكثر خوفاً من الله، لذلك كانت المرأة على مستوى التاريخ الكنسي في سباق القداسة مع الرجال، وفازت بالكؤوس والميداليات السماوية. ولكن آه يا حسرتاه حينما تفقد المرأة حياءها، فإنها تعود إلى مستوى الحية، لا إلى مستوى حواء، لتغوي الرجل أن يأكل من الثمرة المحرَّمة، وعندها تسخر من الرجل والرجولة وتطمس صورة الله في الإنسان.

يقول ق. متى: إنها استكثرت أن تلمس ثوب المسيح، بل انحنت حتى الأرض لتلمس «**هدب** ثوبه» وهكذا امتزج إيمانها وحياؤها بتواضع شديد.

والآن ندخل في أخص أسرار هذه المرأة، ويقيناً أن ق. مرقس استخبر عن هذه المرأة أو أنه تلقَّى من امرأة أخرى بقية سر هذه النازفة الدم، لأن النساء لا يَبُحْنَ بأسرارهن الخاصة إلاَّ لبنات جنسهن. ولكن ليبقى التقليد وتُعلَن أسرار الله تقدَّمت نساء وبحن بأسرارهن لرجال

الإنجيل فدُوِّنت روائع إيمانهن، وأولهن العذراء للقديس لوقا، وهذه النازفة للقديس مرقس أو للذي أسرّ بسرها للقديس مرقس. إذ كيف عرف ق. مرقس أن لها 12 سنة في نزيفها، وأنها عانت الآلام هذه السنين الطوال، وأن علاجها الذي كلَّفها كل معيشتها انتهى إلى آلام أكثر ونتيجة أردأ؟ أو هذه المعلومة الخاصة جداً «وعلمت في جسمها أنها قد بَرِئَتْ من الداء»

لذلك كم نحن مديونون للقديس مرقس العجيب في قصصه التي دبجها بأسرار يُذْهَل لها الإنسان، والقصد أن يحفظ التقليد ويقدِّم يسوع أنه المسيح ابن الله!! وما قدَّمه ق. مرقس من هذه الأسرار الخاصة لا نجده في إنجيلي القديسين متى ولوقا.

ومن ملابسات السرد في القصة أن الشفاء تمَّ في اللحظة والحال ‘‘eÙqÚj’’ التي دائماً تأتي: ‘‘وللوقت’’.

«وعلمت في جسمها أنها قد بَرِئَتْ من الداء»:

ليس توهماً أو مجرَّد اعتقاد، بل قوة إلهية محسوسة يستقبلها الجسم بأشد ألف ألف مرَّة من أن يستقبل الدواء الناجح، يقول المختبرون أن لمسة الشفاء الإلهية تأتي بإحساس سخونة واضحة تسري في مكان المرض فتزيله.

أليس في عمل هذه المرأة سر القول الذي قاله المسيح أن ملكوت الله يُغصب والغاصبون يختطفونه، وما معنى ذلك إلاَّ أن الإيمان بالمسيح مدخل للنهب. وهل معنى الغصب أو الاختطاف إلاَّ السرقة واختلاس ما ليس لنا عَنْوةً. ثم ما معنى هذا إلاَّ أن الإيمان أعطانا حقًّا جديداً أن كل ما نريده وكل ما نشتهيه نحصل عليه بالقوة الإيمانية وليس بالتذلُّل. ألم تقتحم المرأة النازفة الدم مجال قوة المسيح دون استئذان واختطفت لنفسها شفاءً هو بحد ذاته حياة جديدة من الله؟

ثم ما هو الذي تمتلكه نازفة الدم بالنسبة للمسيح ونحن لم نمتلكه، إلاَّ هذا الإيمان اللصِّي والجرأة على الاقتحام في استحياء مُكرَّم وفي خفية خجلة من عيون الناس.

30:5 «فَلِلْوَقْتِ الْتَفَتَ يَسُوعُ بَيْنَ الْجَمْعِ شَاعِراً فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ، وَقَالَ: مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟».

نرجو من القارئ أن ينتبه لتسجيل ق. مرقس لسرعة الحركات في لحظتها «فللوقت» eÙqÚj فالمسيح في الحال أحس بالقوة التي خرجت منه، فبمجرَّد أن لمسته المرأة لمسة إيمان محتاج خرجت

القوة بفعل الإيمان دون يقظة المسيح، فالمسيح لم يستيقظ إلاَّ بخروج القوة دون ملاحظتها بالنظر أو الإرادة: ‘‘مَنْ لمسني؟’’ وهذا بحد ذاته أعظم اكتشاف اكتشفه القديس مرقس. فقوة لاهوت المسيح مفتوحة مباشرة على مَنْ يؤمن قبل تدخُّل الإرادة والانتباه والسمع. هذا أمر مدهش للعقل يجعلنا بالإيمان أقرب إلى المسيح من السمع ومن انتباه المسيح. أليس هذا انفتاح جديد للإنسان على الله وعلى أسراره وعلى جاذبية القوة الإلهية الراغبة والمسرورة للعطاء بلا عائق وبلا كابح:

+ «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو 40:11)

+ «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك» (أع 31:16)

+ «كل شيء مستطاع للمؤمن» (مر 23:9).

إذن، فالإيمان يرفع كل الفوارق والعوائق بيننا وبين المسيح والله. ألم يصرِّح المسيح ويكشف عن هذه الحقيقة في موضوع أمر انتقال شجرة الجميز لتنطرح في البحر بالأمر بالإيمان (لو 6:17)، وبالإيمان ينتقل الجبل وينطرح في البحر (مر 23:11). هذا هو السلطان المفتوح على المؤمن. إذن، فقوة الإيمان تعادل قوة الأخذ من المسيح والله. كان هذا هو سر قوة الرسل وسلَّموه لنا بهدوء: «صلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تُغفر له» (يع 15:5). هذا السر عرفه إيليا فاستخدمه بجبرؤوت إيمانه: «كان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا، وصلَّى صلاة أن لا تمطر فلم تُمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر، ثم صلَّى أيضاً فأعطت السماء مطراً وأخرجت الأرض ثمرها» (يع 5: 17و18). فليس الأرض فقط التي نتحكم فيها، من شجرة الجميز أو الجبل، بل والسماء ومطرها. ولكن ما كان للأنبياء استثناءً صار لنا مباحاً بالإيمان باسم الرب يسوع: «من آمن بي ولو مات فسيحيا. ومَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو 11: 25و26). وهكذا سلَّمنا الرب يسوع اسمه ليكون قوة إيمان بحد ذاته تتحدى الموت وتساوي الحياة: «ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله» (يو 13:14). وكأنما النداء باسم يسوع المسيح يساوي لمس ثيابه أو لمس قلبه. مَنْ يصدِّق أن للإيمان قوةً بهذا المقياس!

إن قصة المرأة نازفة الدم هو فصل قائم بذاته في أسرار اللاهوت يتحتم علينا أن ندرسه على يدي هذه المرأة نازفة الدم.

في المركب وفي الجو العاصف، أوضح لنا ق. مرقس أن المسيح وهو نائم يحمل القوة التي تردع طغيان الطبيعة. والآن يوضح لنا أنه حتى وهو سائر وسط الجموع التي تزحمه فهو حامل للقوة التي تشفي في الحال. وهذه وتلك تعطينا مفاتيح جديدة لتكوين علاقة إيمان من نوع جديد بالمسيح،

كما يقول بولس الرسول: «وأمَّا الإيمان فهو الثقة بما يُرجى» (عب 1:11). فكل ما ترجوه بالإيمان يكون لك في الحال، لأنك تتعامل مع مسيح أُعطي كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض:

+ «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً.» (يو 24:16)

فإن لم يكن لنا ثوب المسيح نلمسه فلنا اسمه مفتاح كل مخازن قوى الله.

31:5-33 «فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: أَنْتَ تَنْظُرُ الْجَمْعَ يَزْحَمُكَ، وَتَقُولُ مَنْ لَمَسَنِي؟ وَكَانَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ لِيَرَى الَّتِي فَعَلَتْ هذَا. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَجَاءَتْ وَهِيَ خَائِفَةٌ وَمُرْتَعِدَةٌ، عَالِمَةً بِمَا حَصَلَ لَهَا، فَخَرَّتْ وَقَالَتْ لَهُ الْحَقَّ كُلَّهُ».

لقد شعرت المرأة أنها وكأنها انتزعت من المسيح حقًّا ليس من حقها، فجاءت خائفةً مرتعدةً، وهي مشاعر مَنْ يحس أنه في حضرة الله. ولكن في ذات الوقت كانت متأكدة أن النعمة التي صارت إليها هي من فضل المسيح، فسجدت أمام المسيح وقالت كل ما حدث في قلبها وحدث في جسدها، فلولا قلبها الذي أحسَّ بالإيمان الجارف أنها لو لمست ثوبه لشفيت ما تجرأت أن تقترب إليه من ذاتها. أمَّا رغبة المسيح بأن يراها أو تعلن هي عن نفسها فهو بنوع إعلان المعجزة لتكون ملك الناس والإنجيل ولنا. ولكن للأسف فقد عزاها بعض العلماء الأقل رؤية أن المسيح انزعج أن امرأة لمسته فنجَّسته بحسب طقس اليهود (لا 19:15). هذا الفكر يهودي بائد لا يليق حتى بنبي وليس بيسوع المسيح ابن الله الذي جاء ليرفع المرأة إلى مستوى جسده في الكنيسة.

أمَّا المرأة فجاءت وهي حاملة أعظم مشاعر الشكر والتمجيد والكرامة، بل والحب المكتوم للذي أعطاها قوة من قوته وصحة من صحته وحياة من حياته. إن سجودها هو اعتراف بفضل الذي ناداها. وفي الحال انفتح فمها لتحكي للرب حكايتها معه قبل أن تلقاه، كم تمنَّت واشتهت برجاء وإيمان جارف أنها إن لمسته شُفيت، وزادت بما حدث لها تمكيناً لإيمانها ونتيجة لرجائها. هذا نستشفه من حديث ق. مرقس المسبق على الرواية لأنه يبدو أن ق. مرقس استقى تاريخ المرأة من اعترافها أمام المسيح.

34:5 «فَقَالَ لَهَا: يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ».

إن هذا القول الإلهي ليختم بالصدق على كل ما قلناه من جراءة المرأة واختطاف حق شفائها بإيمانها. وها المسيح نفسه الآن يُقنِّن لاهوت الاختطاف واغتصاب النعمة والبركة والشفاء، بل والملكوت، بالإيمان. وهوذا المسيح يوافق المرأة تمام الموافقة أن إيمانها هو الذي شفاها، ليس من تفضل عليها بل من فضل إيمانها الذي بلغ من قوته وبساطته بآن واحد أن اجتذب فضل المسيح

ورضاه بعد أن ابتزته المرأة منه ابتزازاً!!

هذا هو مسيحنا العجيب في إعطاء نفسه على المشاع، كل مَنْ أخذ وكل مَنْ نهب فله ما أخذ وما نهب ولا يطلب منه قط إلاَّ الإيمان بما يأخذ وينهب حبًّا وكرامة.

أليست هذه المرأة هي رسولة إيمان الاختطاف؟ وقد علَّمتنا فوق ما علمنا الرسل أجمعين أن اقتحام الإلهيات حق من حقوقنا حتى ولو كان الإنسان (المرأة) مُنجَّساً بنزيف دمه؟

إن الخجل الذي تسربلت به المرأة بسبب نزيفها، الذي يحسب عليها نجاسة، لم يمنعها من أن تقتحم مجال ابن الله لتختطف لنفسها طهراً وشفاءً، بل وقداسة، استحسنه المسيح وقرَّبها إلى نفسه إذ جعلها « يا ابنة» نظير أن اقتربت هي بنزف دمها لتلمسه. ثم ما أخذت لنفسها من شفاء وصحة وكأنه خلسة، عاد وسجله لها بنطق الإرادة الإلهية أن تكون صحيحة من دائها أكثر مما أخذت أو ترجّت أن تأخذ، وكأن المسيح يقول لنا كل ما اغتصبتموه بالإيمان أنا أسجله لحسابكم بالحق.

وهذا هو إنجيل ق. مرقس يعرض علينا بل يسلِّمنا تعليماً لاهوتياً حيًّا فائضاً ملبداً مهزوزاً مخفياً وراء قصة امرأة نازفة الدم!!

انتهت قصة المرأة نازفة الدم

29 (تابع) إقامة ابنة يايرُس

[5:35-43]

(مت 9: 23-26)

(لو 8: 49-56)

كما سبق وقلنا هناك أربعة مشاهد لهذه القصة:

(أ) على شاطئ البحيرة (21-24)

(ب) في الطريق (35-37)

(ج) في مدخل البيت (38-40)

(د) في غرفة الصبية (41-43)

لباقة الإنجيل كيف يبدأ وكيف ينتهي ثم كيف يعود بعد قصة المرأة نازفة الدم إلى قصة يايرُس وابنته، فهنا لما أراد أن يدخل من جديد في قصة يايرُس أنهى حديث المسيح مع المرأة، ثم عمل الاتصال ليبدأ يكمِّل قصة يايرُس هكذا:

(ب) في الطريق: (5:35-37)

5:35و36 «وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جَاءُوا مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلِينَ: ابْنَتُكَ مَاتَتْ. لِمَاذَا تُتْعِبُ الْمُعَلِّمَ بَعْدُ؟ فَسَمِعَ يَسُوعُ لِوَقْتِهِ الْكَلِمَةَ الَّتِي قِيلَتْ، فَقَالَ لِرَئِيسِ الْمَجْمَعِ: لاَ تَخَفْ. آمِنْ فَقَطْ».

في الواقع لا نستطيع أن نتجاهل محاولة ق. مرقس ربط القصتين معاً بحديث مطوَّل واحد، فالقصتان نموذجان رائعان. ففي الأُولى نجد المرأة تعبئ إيمانها في قلبها دون دعوة من المسيح، وهي امرأة وظرفها قاسٍ، فهي محسوبة نجسة والتعليمات تمنعها من الاقتراب مهما كان إيمانها! والثاني وهو رئيس مجمع يهرب منه إيمانه الضعيف في الطريق.

«ابنتك ماتت»: ¢pšqanen

تأتي في اليونانية الصحيحة بمعنى: ''قد ماتت''(4) لتكون أقصى حالات الاستحالة في الأمل. وبالتالي جاء بقية الكلام كتحصيل حاصل: «لماذا تُتعب المعلِّم بعد؟» أي بعد هذا الخبر.

(4) حسب تحليل فنسنت تايلور صفحة 293.

«فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت»: parakoÚsaj

واستعملت في مت 17:18 بمعنى: ''رفض أن يسمع''.

في الصيغة اليونانية تأتي معقَّدة وقد حيَّرت العلماء، فبعضهم يقول: إنها أتت بمعنى: ''أنه رفض أن يسمع الكلمة التي قيلت أي أن الابنة قد ماتت''، وهؤلاء العلماء هم مثل: سويت وبلومر وبارتلت وماك نيل وموفات، بمعنى: ''أنه لم يسمع''. والبعض الآخر يقول: ''إنه تجاوز السمع'' مثل: لاجرانج وراولنسن وتيرز، وذلك بدليل أنه استجاب عملياً للسمع، فقد سمع ما قيل واستجاب بما يعتقده في نفسه. وهذا هو الذي حاول أن يبرزه ق. مرقس في القصة والذي تُرجم إلى العربية.

وواضح حسب الترجمة العربية أن الخوف الذي ألمَّ برئيس المجمع كان نتيجة لما سمع من أن ابنته في حكم الميتة، وهذا لاحظه المسيح بسهولة وردَّ عليه بتشجيعه «لا تخف» التي فيها كل الرجاء، إن ابنته حتما ستقوم. فالمسيح قال له: «لا تخف» على أساس أنه هزأ بالخبر وبالموت جملة. ولكن كان يهمه أن لا يفقد يايرُس إيمانه «آمن فقط» وإلاَّ يكون من الصعب على المسيح أن يقيم الصبية كما سبق وقيل في موضع آخر «ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم» (مت 58:13). وهذا بحد ذاته مما يؤكد لنا أن إيماننا عامل أساسي في تتميم ما نطلبه. فالمرأة أسعفها إيمانها بنوال الشفاء دون استئذان المسيح، وهذا (رئيس المجمع) لن يفوز بما يتمناه بالإلحاح والتوسل في عدم الإيمان! بهذا نفهم لماذا وضعهما ق. مرقس في حديث واحد متداخل أشد التداخل لندرس من هذا العرض هذه الأمور التي تخص الإيمان أي تخصنا نحن. فبالإيمان الواثق المتواضع بالمسيح ننال حتى ولو لم نسأل أو نلح أو نتوسَّل، وبدون الإيمان فمهما توسلنا ومهما ألححنا لن ننال شيئاً. فالمرأة لم تستدعِ المسيح إلى منزلها ولم توقفه في الطريق لتقول له كل الحق، ولكنها باغتته وهو يسير بإيمانها الجريء، لمست ثيابه أو حتى هدب ثوبه إذ قالت في نفسها أن هذا يكفي. وفعلاً كانت اللمسة مع الإيمان مدخلاً جريئاً لكنز قوة المسيح اغترفت بقدر ما آمنت.

أما يايرُس، فبالرغم من أن المسيح كان يسير معه صوب داره، فقد تعرَّض لفقدان الإيمان لما حلَّ به الخوف، فأسرع المسيح ورفع عنه الخوف وأعاد له الإيمان كتمهيد أساسي لعمل المعجزة.

37:5 «**وَلَمْ يَدَعْ أَحَداً يَتْبَعُهُ إِلاَّ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ، وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ**».

التلاميذ الثلاثة الذين يطلبهم المسيح أن يكونوا في رفقته دائماً: بطرس شجاع، يعقوب عاقل، يوحنا وديع، وهؤلاء الثلاثة هم الذين رافقوه في التجلِّي (2:9) وجثسيماني (33:14)، وينضم إليهم أندراوس في تواجدهم مع المسيح على جبل الزيتون (3:13). والثلاثة يكوِّنون الحلقة الداخلية في مجموعة الرسل.

(ج) **في مدخل البيت**: (5:38-40)

38:5 «**فَجَاءَ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ وَرَأَى ضَجِيجاً. يَبْكُونَ وَيُوَلْوِلُونَ كَثِيراً**».

الآن نحن أمام دار رئيس المجمع، والمسيح يتطلَّع إلى الضجة التي يبديها غالباً النسوة بأعمالهن وصراخهن لإعلان الحداد لضيف الموت صاحب المنجل الطويل الذي لا يبالي بصغير أو كبير وحيد أو محبوب. فمهمته الثقيلة دائماً يصاحبها ضجة وصراخ تكريماً لموفده الكريه. وتطلُّع المسيح على هذا المنظر إنما دائماً أبداً يُثير فيه التحدِّي، ففي مشهد العويل والصراخ على لعازر «فلمَّا رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب وقال أين وضعتموه ... ارفعوا الحجر!!» (يو 11:33-39) شأن رئيس الحياة إزاء حضرة ملاك الموت!

وفي رواية ق. متى يظهر هذا التحدي بوضوح إزاء الضجيج والصراخ على الميت: «ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس ونظر المزمرين والجمع يضجُّون. قال لهم تنحُّوا فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة» (مت 9:23و24). مثلها مثل لعازر: «لعازر حبيبنا قد نام.» (يو 11:11)

39:5 «**فَدَخَلَ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تَضِجُّونَ وَتَبْكُونَ؟ لَمْ تَمُتِ الصَّبِيَّةُ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ**».

تبارى العلماء في إعطاء معنى النوم الذي قرره المسيح بالنسبة للصبية. فمَنْ قال: إنه إغماء، ومَنْ قال: إنه نوم عميق. ومَنْ قال: إنه تعبيرٌ عن الموت. ولكن الصحيح أن الصبية لم تمت فعلاً بل انتقلت روحها إلى السماء وهي حية هناك. فعند المسيح والمسيحية كلها والكنيسة كتقليد: "**أنه ليس موت بل انتقال**"، لذلك فالمسيح يقول الحق والصدق، فهو يراها نائمة فقط ويرى روحها أمامه تحيا في ملء الحياة (فوق) وهو لم يخاطب النائم بل خاطب الروح التي تسمع وتستجيب.

وفي علوم الباراسيكولوجيا الحديثة استطاعوا أن يتخاطبوا مع الأرواح المنتقلة، والعجيب أنه عندما يستجوبون الروح متى ماتت تقف مندهشة وترد أنا لم أمت، أنا حيَّة ولكني أنا انتقلت سنة 1652 مثلاً. فالروح تذكر جيداً سنة انتقالها ولكن لا توافق أن يُقال عنها إنها ماتت!!

ويا ليت الكنيسة التي تودع الروح إلى السماء قائلة: "**إنه لا يكون موت لعبيدك بل هو انتقال**" تؤمن بما تقول وتلغي عوايد الحزن والحداد ولبس الأسود. فهذا يُحزن الروح في السماء جداً ويهين نفسها باعتبارها ميتة وهي حية. بل وليت كل قارئ وسامع يُدرك هذا الحق، فهو حق إلهي. فالروح والنفس لا تموت والمؤمن بالمسيح تتسابق الأرواح القديسة في استقبال روحه، وبعد إنعاشها من رحلة العبور الصعبة يبدأون بتعزيتها وتعريفها بمكانها وعملها. وعلى العموم فالإنسان الذي يموت

يموت بالجسد فقط ويعود الجسد إلى التراب الذي أُخذ منه، أمَّا الروح فمكانها السماء، أمَّا الجسد الميت فلا قيمة له عند الله على الإطلاق. فتزيين القبور وعبادة الأجساد تخرج عن دائرة الإيمان المسيحي. ويكفي أن القديس أنطونيوس أوصى تلميذه أن يدفنه تحت الأرض ولا يعرِّف أحداً مكان قبره، وهو أيضاً الذي جحد تكريم الأجساد وازدرى بالذين يعطونها ما ينبغي أن يُعطى للأرواح من كرامة. وأيضاً بخصوص موت موسى ودفن جسده في التراب وإخفاء قبره بأمر إلهي مكتوب هكذا:

+ «وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض (أرض الموعد فلسطين) ... وقال له الرب: هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها. قد أريتك إياها بعينيك (رمز الناموس) ولكنك إلى هناك لا تعبر. فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه (الرب بواسطة ملاك) في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم.» (تث 34: 1-6)

وفي التقليد الكتابي معروف أن الملاك ميخائيل كان منوطاً به حفظ سرية قبر موسى، ولكن الشيطان أراد أن يكشف المكان لكي يعبده بنو إسرائيل فقاومه الملاك بشدة وإليك الموقعة:

+ «وأمَّا ميخائيل رئيس الملائكة فلمَّا خاصم إبليس محاجاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب.» (يه 9)

ويقول ق. بطرس معلِّقاً على أمر الأجساد وغيرها:

+ «فبما أن هذه كلها تنحل أي أُناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدَّسة وتقوى.» (2بط 3:11)

وقد أعطى الله لموسى أمراً أن يموت وحيداً:

+ «ومت في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وضُمَّ إلى قومه.» (تث 32:50)

إلى هذا الحد كان اهتمام الله الشديد أن لا يعرف أحد مكان قبر موسى خوفاً من عبادة الأجساد، أمَّا الادعاء أنها مجرَّد تكريم فتكريم الأجساد عبادة ولا كرامة إلاَّ للروح التي تسكن الأعالي وليس للقبور وجحور الأرض.

يا ليت الكنيسة تبطل عبادة الأجساد إن كانت حقًّا كنيسة القديس أنطونيوس، وتكون المناسبات كلها تعييداً للروح المنتقلة إلى السماء والصلاة لنوال الشركة المقدَّسة التي نالتها مع المسيح

في السماء. فالشعب لا يفرِّق الآن بين الجسد والروح بسبب هذه العادات التي كرستها الكنيسة. والله يعلم وحده لماذا أُقيمت عادات تكريم وتقديس الأجساد. فهل من عودة إلى حياة روحية صافية لتنوير الشعب؟

40:5 «فَضَحِكُوا عَلَيْهِ. أَمَّا هُوَ فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ، وَأَخَذَ أَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمَّهَا وَالَّذِينَ مَعَهُ وَدَخَلَ حَيْثُ كَانَتِ الصَّبِيَّةُ مُضْطَجِعَةً».

وأمَّا هم فضحكوا عليه باستهزاء شأن مَنْ لا يؤمنون الآن بالقيامة. ولكن كان ضحكهم كأن المسيح لا يفرِّق بين الموت والنوم، مع أنه يعرف الموت معرفة مَنْ داسه تحت قدميه: ''بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية''. فإن كان المسيح استهزأ بالموت فلأنه أباد سلطانه وسطوته وكَسر الخطية شوكته: «أين شوكتك يا موت أين غلبتكِ يا هاوية» (1كو 55:15). فالمسيح أباد الموت وعلَّته. لذلك فالمسيحي لا يؤمن بالموت ولا يعيره التفاتاً.

وبدأ المسيح يأخذ إجراءه الذي جاء من أجله. إذ أخرج الجميع الذين يبكون ويولولون ولم يبق معه إلاَّ أبا الصبية وأمها وتلاميذه الثلاثة، ودخل المسيح قاهر الموت ليتحداه علناً وبشهادة ملموسة ويحوِّل الموت إلى قيامة. وجد الصبية مضطجعة، وهذا اصطلاح به استهزاءٌ آخر بالموت، لأنها في عين المسيح لم تكن إلاَّ كذلك. والمضطجع نوقظه ونمسك بيده لنقيمه من الرقاد.

(د) في غرفة الصبية : (41-43)

41:5 «وَأَمْسَكَ بِيَدِ الصَّبِيَّةِ وَقَالَ لَهَا: طَلِيثَا، قُومِي. الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا صَبِيَّةُ، لَكِ أَقُولُ قُومِي».

تمسَّك القديس مرقس بالكلمات التي نطقها المسيح بالأرامية ثم فسَّرها: «يا صبية لكِ أقول قومي» وهو يريد أن يضعنا في وسط المشهد لنسمع ذات الكلمات التي نطقها الرب، ثم الاستجابة الفورية للصبية التي كانت رد فعل الكلمة، حركة ومحاولة قيامة ساعدها المسيح بمد يده وأمسكها. فكأن الكلمة كانت كسكين شقّ به رحم الهاوية(5) وأخرج روح الصبية لتلبس جسدها، وللحال تقوم تماماً كما فعل مع لعازر، والفرق أن جسد لعازر كان قد بقي له في القبر أربعة أيام وانحل تماماً وأنتن!! ولكن سيان أن الجسد قد فارقته الروح حديثاً أو منذ أربعة أيام، فالكلمة أُرسلت للروح

(5) قبل صلب المسيح كانت الأرواح تنزل إلى الهاوية مكان التحفظ على الأرواح، الصالح منها والطالح، إلى أن نزل المسيح إلى الهاوية وكسر أبوابها ومصاريعها وأخرج الأرواح التي كانت على الرجاء ''أسرى الرجاء'' نزل إلى الهاوية: «سبى سبياً وأعطى الناس عطايا.» (أف 8:4)

وليس للجسد فقام كلاهما في الحال والتو.

42:5 «**وَلِلْوَقْتِ قَامَتِ الصَّبِيَّةُ وَمَشَتْ، لأَنَّهَا كَانَتِ ابْنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. فَبُهِتُوا بَهَتاً عَظِيماً**».

هنا التركيز على كلمة: ''eÙqÚj في الحال''. وق. مرقس يعطي السن ليوضِّح القدرة على المشي. أما القديس لوقا فإنه يراها حالة قيامة من الأموات بتوضيح شديد: «ونادى قائلاً: يا صبية قومي. **فرجعت روحها** وقامت ¢nšsth ka˜ في الحال فأمر أن تُعطى لتأكل» (لو 8: 54و55). وجاءت في إنجيل ق. مرقس أيضاً بنفس الكلمة ¢nšsth.

وهنا يصف ق. مرقس اندهاش أهلها اندهاشاً عظيماً (إلى درجة عظمى) meg£lh وكأنَّ حَدَثَ لهم ذهول. فقد رؤي للجميع أنها حالة عودة من الموت.

43:5 «**فَأَوْصَاهُمْ كَثِيراً أَنْ لاَ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِذلِكَ. وَقَالَ أَنْ تُعْطَى لِتَأْكُلَ**».

وهكذا دائماً إذ ينتهي المسيح من معجزة كبرى يوصي بأن لا يعلم أحد بما جرى. هذا كان تقليد الإنجيل لأن الحادثة ماسيَّانية فوق العادة، وقد حرص المسيح أن لا يقدِّم نفسه كمسيًّا بل ترك ذلك ليدركها القوم بإيمانهم الهادئ وليس بالانبهار والتخويف، تفادياً لإثارة الكتبة والفريسيين والكهنة ومحاولة إشاعتهم عكس صورة ما عمله المسيح بتأويلات شيطانية أضرت بإيمان البسطاء.

أمَّا قول المسيح أن تُعطَى لتأكل فهي محاولة المسيح المعروفة لتحويل انبهار القوم في جو ما فوق الطبيعة إلى واقع الحال ليخرجهم من حالة الاندهاش. تماماً كقوله لأهل لعازر: «حلُّوه ودعوه يذهب» (يو 11: 44). فكل هذا تحصيل حاصل ولكنها ظاهرة بديعة في معجزات السيد.

الأصحاح السادس

31- الناصرة ترفض (6:1-6)

32- إرسالية الاثني عشر (6:7-13)

خدمة ما وراء الجليل (6:14-8:46):

33- مخاوف هيرودس أنتيباس (6:14-16)

34- قضية استشهاد يوحنا المعمدان (6:17-29)

35- عودة التلاميذ والذهاب إلى موضع خلاء وإطعام الخمسة آلاف (6:30-44)

36- عبور البحيرة إلى بيت صيدا:

المسيح الماشي على المياه (6:45-52)

37- في أرض جنيسارت (6:53-56)

31 الناصرة ترفض

[6-1:6]

(مت 13: 53ـ 58)

(لو 4: 16ـ 30)

+ «**ليس نبيٌّ بلا كرامةٍ إلاَّ في وطنه وبين أقربائه وفي بيته!!**» (مر 4:6)

يتخصَّص بداية الأصحاح هنا حتى العدد (6) في وصف عثرة وطن المسيح في شخصه، وكيف لم يستطع المسيح أن يعمل آيات هناك لعدم إيمانهم. وهكذا يظهر هنا عامل الإيمان كخلفية أساسية لعمل المعجزة. وعثرة أقاربه ومعارفه كانت أشد لأنهم كانوا يعرفون إخوته وأخواته وصنعته السابقة، كنجَّار الناصرة.

وعلى كل حال فإن سرد الكلام في هذا الجزء، والإحاطة بزوايا حياة المسيح الخاصة، لا يخلو من منفعة. ويُلاحَظ أن بعض الآيات جاءت هنا كنقط تركيز ركَّز عليها ق. مرقس برؤية ممتدة دقيقة في رواية الإنجيل كله حسب التقليد الذي انحدر إليه، وهي على وجه التحديد:

(أ) «وكثيرون إذ سمعوا بُهتوا قائلين: من أين لهذا هذه. وما هذه الحكمة التي أُعطيت له حتى تجري على يديه قوات مثل هذه.» (2:6)

(ب) وفي مقابل النقطة الأُولى بلغت مصادرة تعليم المسيح أنه «لم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة!!» (5:6)

والذي قاله ق. مرقس في هذا المكان عن وطنه الناصرة قاله ق. لوقا بأكثر توضيح. ومن هذا يبدو أن ق. مرقس اختزل كثيراً في حقيقة ما جرى في الناصرة لأنه بلغ من الوقاحة أنهم أخذوه إلى حافة الجبل حتى يطرحوه إلى أسفل (لو 29:4). ولكنه فوَّت على هؤلاء القتلة فرصتهم إذ جاز في وسطهم ومضى (طبعاً بقوة غير معتادة)، فحقَّ له جداً أن يقول عنهم مَثَلَهُ المشهور: «ليس نبي بلا كرامة إلاَّ في وطنه» الذي صار مثلاً عالمياً.

1:6 «**وَخَرَجَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى وَطَنِهِ** (الناصرة) **وَتَبِعَهُ تَلاَمِيذُهُ**».

يربط القديس مرقس الحديث هنا بقصة يايرُس مباشرة، فخروج المسيح من هناك يعني من

كفرناحوم، كما استطعنا أن نحدد المكان. فهنا انتقل من كفرناحوم وانحدر إلى الناصرة حيث بيت الأسرة. وتبعه تلاميذه بدون تحديد، وهذا يحمل معنى أن التلاميذ كلهم أو معظمهم قد تبعوه، بما فيهم الثلاثة الذين رافقوه في بيت يايرُس وشهدوا قيامة الصبية. وكعادة المسيح التي كان ملتزماً بها، اتجه إلى المجمع يوم السبت ودخل. وهنا يتحتَّم علينا أن نعود إلى التقليد عند ق. لوقا لأهمية ما ورد فيه أهمية عظمى، إذ يورد القديس لوقا دخول المسيح مجمع الناصرة ـ ربما في مرة سابقة لهذه ـ وكانت قراءته في المجمع هي خطاب العرش بلا نزاع. ويبدو أن هذا كان في زمن قريب من بداية خدمته بعد خروجه من العماد. لذلك نجد موضع هذه القصة في إنجيل ق. لوقا في الأصحاح الرابع، أي في نفس الأصحاح، بعد العماد مباشرة وبعد تجربة المسيح على الجبل. والترتيب في إنجيل ق. لوقا هو كالآتي:

الأصحاح الثالث: «ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً.» (21:3)

«ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يُظن ابن يوسف بن هالي بن متثات ... بن شيث بن آدم ابن الله.» (3:23-36)

الأصحاح الرابع: «ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل.» (14:4)

«وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت.» (16:4)

ومن هذا السرد التاريخي الدقيق المشهور به ق. لوقا يكون المسيح قد اتجه إلى الناصرة بعد العماد وبعد التجربة على الجبل مباشرة. فدخوله المجمع يوم السبت كان أول دخول له للمجامع بعد العماد، وكان أول ظهور علني له بعد امتلائه من الروح القدس. بهذا نستطيع أن نفهم أن قراءة المسيح في المجمع يوم السبت هذا كانت أول قراءة وأول عظة على القراءة له في خدمته الطويلة. لذلك نسميها نحن بكل احترام وإجلال خطاب العرش: وننقله من إنجيل ق. لوقا:

+ «وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى. ودخلَ المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ، فدُفِعَ إليه سفر إشعياء النبي. ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأُبشِّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأُنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأُرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسَنَةِ الرب المقبولة. ثم طوى السفر وسلَّمه إلى الخادم وجلس. وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصةً إليه. فابتدأ يقول لهم: إنه اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم. وكان

الجميع يشهدون له ويتعجَّبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه، ويقولون: أليس هذا ابن يوسف...» (لو 4: 16-22)

وللأسف الشديد سقط هذا الخطاب من تسجيل القديس مرقس.

بدأ بعد ذلك ق. مرقس يذكر عثرات شعب الناصرة التي اختزلها أيضاً، ولكن لأهميتها الشديدة نعود إلى ق. لوقا ونكمِّل ما تمَّ مع شعب الناصرة بعد الخطاب في المجمع مباشرة هكذا:

+ «ويقولون: أليس هذا ابن يوسف؟ فقال لهم: على كل حال تقولون لي هذا المثل: أيها الطبيب اشفِ نفسك. كَمْ سَمِعنا أنه جرى في كفرناحوم، فافعل ذلك هُنا أيضاً في وطنك، وقال: الحق أقول لكم إنه ليس نبيٌّ مقبولاً في وطنه. وبالحق أقول لكم إن أرامل كثيرةً كُنَّ في إسرائيل أيام إيليا حين أُغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر، لما كان جوعٌ عظيم في الأرض كلها، ولم يُرسَلْ إيليا إلى واحدةٍ منها، إلاَّ إلى امرأة أرملة، إلى صرفة صيداء (أرملة أُممية في مدينة أممية). وبُرصٌ كثيرون كانوا في إسرائيل في زمان أليشع النبي، ولَمْ يُطَهَّر واحدٌ منهم إلاَّ نُعمان السرياني - (قال هذا ردًّا على تعييرهم له أنه عمل معجزات كثيرة في كفرناحوم ولم يعمل شيئاً في الناصرة. ومعنى رد المسيح عليهم أن الله في القديم اختار امرأة أُممية ورجلاً سريانياً ليعمل فيهما معجزاته ولم يعملها في إسرائيل كلها. فهذا أغاظهم جداً باعتبار أن الناصرة لا تستحق) - فامتلأ غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا، فقاموا وأخرجوه خارج المدينة (الناصرة)، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنيةً عليه حتى يطرحوه إلى أسفل. أمَّا هو فجاز في وسطهم ومَضَى.» (لو 4: 22-30)

ويبدو أن القديس لوقا استقى تقليده هنا من شاهد عيان من ذات عائلة المسيح، وكان حاضراً في المجمع ورافقهم من بعيد في محاولتهم المشئومة لقتل المسيح. ومعروف أن ق. لوقا استقى حوادث الرب الخاصة في حياته من المقربين للمسيح جداً.

ومن هنا إلى إنجيل ق. مرقس مرَّة أخرى لنروي زيارة المسيح للناصرة بحسب إنجيل ق. مرقس:

«**وخرج من هناك وجاء إلى وطنه**»:

واضح أنه كان في كفرناحوم، وبعد أن أكمل معجزة إقامة ابنة يايرُس من الموت جاء إلى وطنه أي إلى الناصرة في الجليل. وهذا بحسب رأينا **لم يكن أول مرَّة** يأتي إلى الناصرة ولا أول مرَّة يدخل المجمع في الناصرة. إذ يبدو بوضوح بحسب التحقيق، كما سنرى، أنه دخل المجمع

أول مرَّة بعد نزوله من الجبل بعد أن أتمَّ تجربته مع الشيطان حال خروجه من المعمودية، هكذا دخل المجمع وهي المرَّة التي قرأ فيها إشعياء النبي بحسب ما جاء في إنجيل ق. لوقا. وقد أغفل ق. مرقس ذكر قراءة إشعياء ولكنه احتفظ بالتعليق عليها كما سيجيء في الآية الثانية من الأصحاح السادس هكذا:

2:6 «وَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ، ابْتَدَأَ يُعَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ. وَكَثِيرُونَ إِذْ سَمِعُوا بُهِتُوا قَائِلِينَ: مِنْ أَيْنَ لِهذَا هذِهِ؟ وَمَا هذِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهُ حَتَّى تَجْرِيَ عَلَى يَدَيْهِ قُوَّاتٌ مِثْلُ هذِهِ؟».

فهذا الاستقبال وهذا الاستحسان الشديد يتنافى تماماً مع ما حدث بعد ذلك، كما جاء في إنجيل ق. لوقا، حيث وبَّخوه في المجمع أنه عمل آيات كثيرة في **كفرناحوم** ولم يعمل آيات في وطنه. وقد ردّ هو عليهم ردًّا جافاً بقوله: إن الله لم يعمل معجزات في إسرائيل كلها في أيام إيليا، بل اختار أرملة أُممية من صرفة بيت صيدا؛ ولا اختار الله شعب إسرائيل ليعمل فيه معجزة أيام إليشع النبي، بل اختار نعمان السرياني. وهذا معناه تماماً أنه لم يعمل آيات في الناصرة لأنها رُفضت بسبب عدم إيمانهم، كما جاء في الآية (5:6): «ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة ... وتعجب من عدم إيمانهم» والتي بعدها مباشرة ثار غضب جميع الذين في المجمع فأخذوه على منحدر الجبل وأرادوا أن يقتلوه بأن يلقوه إلى أسفل ولكنه جاز في وسطهم.

إذن، فالمسيح زار الناصرة ودخل المجمع مرتين: المرَّة الأُولى بعد نزوله من جبل التجربة مباشرة، وهي المرَّة التي قرأ فيها إشعياء واستحسنوا حكمته جداً وسجَّلها ق. لوقا في الأصحاح الرابع من إنجيله ـ مبكراً. والمرَّة الثانية **بعد أن زار كفرناحوم** قبل الناصرة وعمل فيها معجزة إقامة ابنة يايرُس رئيس المجمع في كفرناحوم، وهذه القصة **سجلها ق. لوقا في الأصحاح الثامن** بعيداً عن الزيارة الأُولى.

لهذا وجب تنبيه ذهن القارئ قبل أن نبدأ في الشرح أن ق. مرقس:

(أ) دوَّن من زيارة المسيح لمجمع الناصرة **دخوله الأول**، ولكن سقط منه تسجيل قراءاته لإشعياء النبي، ولكن دوَّن فقط استحسان المجمع.

(ب) ثم دوَّن من **زيارته الثانية لمجمع الناصرة** توبيخ المجمع له لأنه لم يعمل آيات في وطنه بالرغم من أنه عمل آيات كثيرة في كفرناحوم. الأمر الذي أثار غضبهم وأرادوا أن يقتلوه.

وما جاء من الزيارة الأُولى ومن الزيارة الثانية جمعهما ق. مرقس معاً هنا في الأصحاح السادس (1ـ6)، وقد أخذ القديس متى هذا الاختزال الشديد من ق. مرقس ودوَّنه بعيداً جداً في الأصحاح الثالث عشر.

والآن إلى ما حدث في الزيارة الأُولى لمجمع الناصرة كما جاء في (مر 2:6) فقط، لأن الآية (1:6) تتبع الزيارة الثانية مع ما جاء في الآيات (3:6ـ6). وقد تعجَّب العالِم فنسنت تايلور من الفارق الواضح بين الآية (2:6) الزيارة الأُولى، والآية (3:6) الزيارة الثانية، واستشهد برأي علماء آخرين هكذا:

[إن النغمة بين الآية الثالثة والآية الثانية سابقتها مختلفة، ويبدو هنا أنه يوجد أساس لرأي العالِم بولتمان والعالِم شمدت أن هناك تقليدين (أو روايتين) التحما معاً.](1)

ولكن بالبحث اتضح لنا أنهما مختلفان اختلافاً كلياً بسبب أن كلاًّ منهما حدث في زيارة غير الأخرى، فالزيارة الأُولى قرأ فيها إشعياء وعلَّق أن اليوم قد تمَّ على مسامعكم الذي قُرِيءَ. ويبدو أنه ألقى عظة أذهلت قلوب الجميع ونعتوه بالحكمة وشهدوا لقدرته وقوة معجزاته، ثم عثروا فيه لمعرفتهم لإخوته وأخواته.

ولكن في الزيارة الثانية كان قد سبقها زيارة كفرناحوم التي فعل فيها آيات ومعجزات كثيرة وباهرة، وقد عرفنا بعضها: مثل شفاء نازفة الدم، وإقامة ابنة يايرُس رئيس المجمع من الموت الأمر الذي هزَّ جميع الأنحاء لأن المعجزة كبيرة وحدثت لشخصية كبيرة في بلدة كبيرة. لهذا غار أهل الناصرة وهاجموه في الزيارة الثانية خاصة وأنه لم يستطع أن يعمل معجزات في الناصرة وطنه وذلك لعدم إيمانهم. وابتدأوا يُهينون شخصه بقولهم:

3:6 **«أَلَيْسَ هذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَأَخُو يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَيَهُوذَا وَسِمْعَانَ. أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ ههُنَا عِنْدَنَا؟ فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ».**

«**النجار ابن مريم**»: Ð tšktwn Ð ufÕj Mar…aj

«**النجار**»: Ð tšktwn

وفي اليونانية تصلح أن تكون أي صاحب صنعة فنية سواء معدنية أو حجرية، ولكنها

(1) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 299.**

تستخدم على وجه الخصوص لتفيد النجار. ويحكي لنا يوستين(2) الشهيد القديس الكنسي وصفه للمسيح كصانع محاريث وأنيار (جمع نير وهو ما يوضع على رقبة البهيمة لتسحب المحراث كل اثنين معاً).

«**ابن مريم**»:

الغريب هنا أنه بحسب تقرير العلماء أنه لا يوجد لهذا القول «**ابن مريم**» أي ذكر آخر في جميع الأسفار وخاصة الأناجيل والرسائل، لذلك يُشَكِّل عقدة تاريخية خاصة أنه ليس من عادة اليهود أبداً أن يسمّوا أحداً أنه ابن أُمه حتى ولو كان الأب قد مات.

ولكن من جهتنا تأتي حجة أننا هنا في وطن المسيح وفي محيط بيته وعائلته، فالمسألة ليست بسيطة حتى نعبر عليها كما عبر العلماء الغربيون، فهي إشاعة صادقة، غير محققة، في محيط عائلته أنه ليس ابن يوسف ولكن ابن مريم. ولأن مريم كانت محل تقدير وتكريم فهذا يزيد التقليد نوراً أنه عُرف كونه حُبل به بسر إلهي، خاصة وأن الآيات والمعجزات حتى الإقامة من الأموات والحكمة التي شهدوا لها كلها تزكي العقيدة أنه مولود من الله.

وتقليد ق. متى وضعها بنوع من الغموض: «أليست أُمه تُدعى مريم» (مت 55:13). وطبعاً ق. متى هو صاحب التقليد الكنسي الإلهي الموثق بشهود وعلامات من السماء أنه مولود من الروح القدس. إذن، قول ق. متى يكشف نوعاً من السرية والتغطية المقصودة، أمَّا ق. مرقس فوضعها لتكون مصدر بحث واهتمام وسؤال ثم معرفة، لأن تقليد الميلاد من الروح القدس كان سرًّا كنسياً لم يشأ أي إنجيلي أن يتعرَّض له أكثر من تسجيل الحقيقة الإلهية في أول إنجيله دون أي تعليق بعد ذلك. وهذا التقليد السري احتفظ به المسيح في مفهوم الحفاظ على ''سرِّية المسيَّا'' علماً بأن سرية المسيَّا تنبع أصلاً وأساساً من الميلاد من الله بالروح القدس: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» (إش 14:7). فالقديس مرقس بدلاً من أن يقول ابن العذراء تحقيقاً لإشعياء والوحي قال: «ابن مريم» ! والقديس مرقس يُعذر جداً لأنه ترك هذه الحقيقة دون شرح أو تعليق، فهو أُورشليمي ولم يستلم سر ميلاد المسيح من أي إنجيلي آخر، فهو أول مَنْ كتب الإنجيل. والقديس لوقا هو الوحيد الذي استلم السر من مصدره. وبين تدوين إنجيل ق. لوقا سنة 80 وتدوين إنجيل ق. مرقس قبل سنة 45 ما يقرب من 35 سنة، بمعنى أن هذا السر الإلهي الذي احتفظت به العذراء في قلبها لم يكن أكثر من همس أو مجرَّد

(2) Justin Martyr, ***Dial.*** **88.**

تعبير مضغم ''كابن مريم'' التي يمكن أن تشيع بين محيط الأقربين دون معرفة.

«**وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان**»:

''إخوة الرب'' موضوع(3) أخذ من الكتّاب والمعلمين والعلماء كل مأخذ، وقامت النظريات والفتاوي. ولكن التقليد الكنسي قام منذ البدء على حقيقة أثبتها القديس إبيفانيوس سنة 382م، وهو الذي اعتمد أساساً على التقليد الكنسي الأقدم، واتفق مع رأي إبيفانيوس من العلماء المحدثين ليتفوت وهاريس وبرنارد، وقد استعانوا برأي كليمندس الإسكندري وأوريجانوس ويوسابيوس وهيلاري وامبروزياستر وغريغوريوس النيسي وأمبروسيوس وكيرلس الإسكندري باتفاق عام على صحة التقليد الكنسي الموروث الذي يقوم على أساس لاهوتي عقائدي: أن العذراء القديسة مريم دائمة البتولية.

أما المعارضات التي قدمت فهي قائمة على (لو 7:2) الذي يقول إنها ولدت ابنها البكر، كأن هذا يشمل ضمناً أنَّ لها أولاداً بعد ''البكر''. ولكن يدحض هذا معنى الترجمة اليونانية الأصلية protÒtokoj التي لا تفيد البكر بل فاتح رحم، لأنه تعبير تقوي فني يقوم على أساس كتابي (خر 13: 2و12و15؛19:34، لو 22:2) الذي لا يفيد بالضرورة ميلاد أولاد آخرين.

علماً بأن في وقت زيارة المسيح الثانية للناصرة لم تكن بعد أسرة المسيح (أي أُمه وإخوته) تقطن الناصرة، وهذا يحققه العالِم شمدت(4) بناءً على قول المجمع: «أوليست **أخواته** ههنا عندنا»

«**فكانوا يعثرون به**»:

وتأتي بمعنى أُعثروا في تقييم شخصيته كما هي بالحقيقة نتيجة عدم إيمانهم بالأساس «لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به» (يو 5:7). وهذا معقول إذ هم ليسوا إخوة ولا أخوات دم، ولكنهم أولاد ليوسف ولا علاقة دموية لهم بالقديسة مريم وبالتالي بالمسيح. وكان أصغر منهم جميعاً لأنهم كانوا أبناءً ليوسف من زوجة سابقة، فكان موقعه ما يقرب من موقع يوسف بين بقية الأسباط. وطبعاً كان المسيح متفوقاً عليهم جميعاً في المعرفة والسلوك والطاعة، لذلك يحسب يوسف ـ الذي باعه إخوته ـ أنه كان رمزاً مسبقاً للمسيح، لأن المسيح اضطُهد بالمثل من بني إسرائيل أي الأسباط جميعاً ولم يتشفَّع له جنس أو نسب أو قربى.

---

(3) سبق أن شرحنا هذا الموضوع في شرح الآية 31:3 وأيضاً في شرح الرسالة إلى أهل غلاطية 19:1.

(4) **K. L. Schmidt, *Der Rahmen der Geschichte Jesu*, Berlin, 1919, p. 154.**

4:6 «**فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرِبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ**».

وقد صار هذا مثلاً تكرر في (لو 24:4)، (يو 44:4) وكثير من المواضع الأخرى.

«**نبي**»: prof»thj

المسيح قَبِلَ هذا اللقب لأنه كان السائد بين الشعب: «لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم» (لو 33:13)، «قال آخرون إنه نبي أو كأحد الأنبياء» (مر 15:6)، حيث كلمة «**النبي**» هنا هي بحسب نبوَّة موسى: «يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك» (تث 15:18)، وأيضاً: «مَنْ يقول الناس إني أنا؟ فأجابوا يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون **واحد من الأنبياء**» (مر 8: 27و28). بل وقد أشيع في بداية المسيحية شيء من ذلك ولكن سرعان ما تعدَّل وتصحَّح.

وليس هذا المثل في أصله من أقوال المسيح، ولكنه استعاره من تداوله المشاع ليوافق به جهالات شعب الناصرة دون حرج من نفسه أو حساسية، وهو لم يقل أكثر مما عمله الشعب. ويقول العالِم بولتمان إن هذا المثل وُجِدَ مكتوباً في أوراق أوكسيرينكُس(5) في صعيد مصر، وهي البهنسا، إذ جاء فيها بالحرف الواحد: [النبي غير مقبول في وطنه والطبيب لا يستطيع أن يشفي الذين يعرفونه]، وهي مقولة قديمة من قبل المسيح مستقلة عن مقولة ق. مرقس وكانت شائعة في فلسطين.

والعجيب أن المسيح قالها وهو لا يحس بأي مرارة، فهو لم يحمل في نفسه رد فعل لكل ما فعله المنكرون والمقاومون، ولكن كان إمَّا يرد على المقاومين بِمَثَلٍ أو يرد بنبوَّة قادمة مثل: «إنكم لا تَرَوْنَني حتى يأتي وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب» (لو 35:13)، على أن كل المقاومات لم تمنعه من المضي كقوله: اليوم وغداً!! إنما كان المسيح يتعجَّب على قساوة قلوبهم وعمى بصائرهم.

5:6 «**وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلاَ قُوَّةً وَاحِدَةً، غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرْضَى قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ**».

يقول العالِم فنسنت تايلور:

[إن هذه المقولة هي أشجع وأخطر حقيقة في الأناجيل، حيث تذكر أنه من الممكن أن يكون

(5) **Vincent Taylor, *op. cit.*, pp. 298,301.**

هناك شيء لا يستطيع المسيح أن يعمله.](6)

هل يمكن أن المسيح يريد ويرغب ويشتاق أن يعمل لهم آية فلا يستطيع؟ ولكننا نعلم أن بإيمان الشخص تنفتح كوى السماء لتفيض عليه بركة حتى لا متسع، وهكذا عدم الإيمان قادر أن يغلق قلب الله!؟ إذن، فبحسب عثرة أهل الناصرة نفهم أنه إذا لم نؤمن بالله فالله لا يقدر أن يعمل لنا شيئاً، وإذا لم نصلِّ لا يرى عوزنا ولا ضيقتنا، وإذا لم نواظب على الصلاة لا يستطيع أن يقود حياتنا!! وهذا يتمشَّى مع قول المسيح: «اسألوا تُعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم» (مت 7:7)، «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو 24:16)، «اذبح لله حمداً واوفِ العلي نذورك، **وادعني** في يوم الضيق أنقذك فتمجِّدني» (مز 15:50). فإذا لم تدْعُهُ لا يرفع الضيقة!! وكأنما يطلب منا أن نطلبه لكي يعمل أكثر مما نريد، ويتمجَّد هو. فالله يتمجَّد بصلاتنا وطلباتنا إذ يستجيب فنفرح ونهلِّل ونشكر ونمجِّد، لهذا يقول: «اطلبوا» !

عزيزي القارئ، الله يريد أن يتمجَّد في حياتك، ألا تصلِّي حتى تفرِّح قلب الله؟ فالمسيح قال لمرثا: «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو 40:11)، «ها أنذا واقف على الباب وأقرع إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي» (رؤ 20:3). إنه الرب يسوع بكل مجده وكرامته، فلست أنت مُطالباً أن تقرع بابه أولاً بل هو الواقف على بابك يقرع: ولن تَسْمَعَ صوته إلاَّ في الصلاة، ولن تقوى أن تفتح له إلاَّ إذا قمت الليل مصلياً ساجداً!! «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهِّل عليهم؟» (لو 7:18)

وها هو المسيح مع أهل الناصرة الساخرين الرافضين الذين أرادوا أن يقتلوه إذ حاولوا أن يرموه من فوق الجبل (لو 29:4). وبالرغم من ذلك كان يوجد أشخاص قليلون صادقون في إيمانهم وضع يديه عليهم فشفاهم. الرب لا يذكر لنا أيام الغربة عنه والبعاد والإهمال والجهالات، لأنه كأب واقف على الباب ينتظر عودتنا كأبناء ليأخذنا بالحضن ويصنع الوليمة ويضع الخاتم في الإصبع!

6:6 «**وَتَعَجَّبَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ. وَصَارَ يَطُوفُ الْقُرَى الْمُحِيطَةَ يُعَلِّمُ**».

لماذا يتعجَّب الرب من عدم إيمانهم إلاَّ لأنه هو الحبيب الودود لا يطلب شيئاً لنفسه بل

(6) **Ibid., p. 301.**

يطلبنا ليعطينا أحسن ما عنده، فإذا قبلناه في القلب فتح لنا كنوز الغنى السماوي مع فرح وسرور: «تعرِّفني سبل الحياة، أمامك شبع سرور.» (مز 11:16)

وكون المسيح يتعجَّب من عدم إيماننا معناه أننا اخترنا الموت على الحياة، والكذب على الحق، والتيه عوض الطريق. وعلة عدم إيماننا هي أننا لم نجرِّبه، لم نختبره، لم نذُقه كيف هو!! «حلقه حلاوة وكله مشتهيات» (نش 16:5). ولكن جحود أهل الناصرة لم يمنعه أن يمارس حبه واتضاعه وعطاءه المجاني، فصار يطوف القرى المحيطة يعلِّم. فالرب وديع ومتواضع القلب، لن يثنيه جحودنا عن عمل محبته لنا.

وفي المقابل لأهل الناصرة أو بني وطنه وبيته نجد قائد المائة في كفرناحوم يقول: «يا سيد لستُ مستحقاً أن تدخل تحت سقفي. لكن قل كلمة فيبرأ غلامي» (مت 8:8). وقد اهتز قلب المسيح لهذا الإيمان ووقف مبهوراً ثم علَّق على ذلك قائلاً: «الحق أقول لكم: لم أجد **ولا في إسرائيل** إيماناً بمقدار هذا» (مت 10:8). وبعدها قرر المسيح قراره الحزين: «وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات، وأما بنو الملكوت فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية» (مت 8: 11و12). لهذا حذَّر المسيح وأنذر: « فسيروا ما دام لكم النور لئلاَّ يدرككم الظلام» (يو 35:12)، «ما دام لكم النور آمنوا بالنور »(يو 36:12). هي فرصة العمر ودعوة لن تتكرَّر: «إن سمعتم صوته فلا تقسُّوا قلوبكم.» (عب 3: 7و8)

32 إرسالية الاثني عشر

[6:7-13]

(مت 9: 35ـ 38، 1:10-14)

(لو 9: 1ـ 6)

واضح من رواية ق. مرقس أنه اعتمد على التقليد الموروث لذلك فالرواية هنا مختصرة، وهذا يظهر من افتتاحيتها المختصرة «ودعا الاثني عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين ... إلخ» (7:6). فهنا تغيب أصول الرواية عند ق. مرقس مما يفيد أن التقليد الشفاهي كان شحيحاً للغاية حتى لجأ إلى الاختصار الشديد: «فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا.» (12:6)

ولا ينسى ق. مرقس الجزء الكنسي التقليدي: «وأخرجوا شياطين كثيرة **ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم**» (13:6). الذي صار بعد ذلك تقليد الرسل: «أمريض أحد بينكم فليدعُ شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب» (يع 14:5). وهذا هو تقليد كنيسة أُورشليم المبكِّر جداً.

ولكن الذي نأخذه على العلماء في وصفهم لرواية ق. مرقس هو أنهم نظروا إليها على أساس خاطئ، إذ قارنوها بما كتب في سفر الأعمال وفي بعض الأناجيل الأخرى التي جاءت روايتهم بالتطويل، ونسوا أن ق. مرقس كتب إنجيله مبكراً جداً قبل أن يخرج سفر الأعمال إلى الوجود ولا حتى أي إنجيل من الأناجيل. لذلك ما جمعه ق. مرقس من التقليد الشفاهي يُعتبر أنه مستوفي الأركان وإن أعوزه في الحقيقة البيان والتوضيح. فمثلاً كل ما استطاع أن يجمعه عن أعمال التلاميذ في إرسالياتهم أنهم كرزوا بالتوبة وأخرجوا شياطين كثيرة وشفوا مرضى بعد دهنهم بالزيت. آيات مختصرة متراصة وكأنه يلصق معلومات صغيرة بعضها ببعض.

وللعلماء تقاريظ على رواية ق. مرقس لاختيار الاثني عشر وإرسالهم: فالعالِم ولهوزن يقول:

[الاثنا عشر في هذه الرواية إنما قاموا بتجربة اختبارية، وبعدها أوضحوا أنهم لا يزالون يحتاجون إلى المزيد، بالرغم من أنها كانت خبرة ناجحة ... ولو أن فكرة المسيح لم تكن لمجرَّد الاختبار، إنما قصدها من أجل الشهادة. وعلى هذا الأساس فإرسالية الاثني عشر تعد تاريخياً أول بعثة مرسلة للبشارة في فلسطين وعلى درجة من أهم ما يمكن في تاريخ الكنيسة.](7)

وللعالِم مانسون رأي واضح جميل:

[إن بعثة الرسل الاثني عشر تعتبر واحدة من أفضل الحقائق المحقَّقة في حياة المسيح.](8)

وللعالِم برانسكومب رأي شديد التأثير:

[إن الحوادث التي ذُكرت في موضوع إرسالية الاثني عشر هي واحدة من أميز وأهم من كل ما عداها التي احتفظ بها التقليد لنا بالنسبة لنشاط حياة المسيح.](9)

(7) **J. Wellhausen, *Das Evangelium Marci*, Berlin, 1909, p. 44.**

(8) **T. W. Manson, *The Sayings of Jesus*, London, 1949, p. 73.**

(9) **B. H. Branscomb, *The Gospel of Mark*, London, 1937, p. 101.**

ويعلِّق مانسون على الرواية كلها فيقول إن ما أورده ق. مرقس في (6: 8-11) وعلى عجل وباختصار يُحسب من أقوى وأصدق ما قيل بالتحقيق.

والقديس مرقس يؤكِّد حقيقة تقليدية في «وكل مَنْ لا يقبلكم ولا يسمع لكم فأخرجوا من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم» (مر 6:11). وقد زادها ق. لوقا قوة وتوضيحاً عندما قال: «الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني.»(لو 10:16)

والآن ينفتح أمام عين القارئ مدى أهمية هذا التسجيل للقديس مرقس عن إرسالية الاثني عشر، فبالرغم من الاختصار الشديد فهو يحمل أقدم وأعظم تراث للتقليد عن أول إرسالية في الكنيسة من حيث ظروفها وزمانها ونجاحها!

فإذا كانت هذه الرواية قد بدت في إنجيل ق. لوقا أكثر اتساعاً فلأن التقليد زمن ق. لوقا كان قد ابتدأ يجمع التحقيقات، لأنه بحسب ما كتب إنه تتبَّع كل شيء من الأول.

7:6 «وَدَعَا الاِثْنَيْ عَشَرَ وَابْتَدَأَ يُرْسِلُهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ».

«الاثنا عشر»:

سبق أن قدَّم لنا القديس مرقس في الأصحاح الثالث أسماء هؤلاء الاثني عشر مع قصة اختيارهم (3:13-19). ويقدِّم العالم فنسنت تايلور(10) بحثاً مستعيناً بعلماء كثيرين يؤكِّد فيه أن رواية ق. مرقس فيما يخص "الاثني عشر" تُعتبر هي الأصل، وقد أخذها ق. متى بحذافيرها في (10:2-4) مع إضافة واحدة ذكرها على اسم ق. متى إذ قال: إنه كان عشَّاراً. أمَّا رواية ق. لوقا (6:12-16) فتقدِّم نفس القائمة مع تغيير اسم تداوس بيهوذا ولا يعلم أحد شيئاً عن الاثنين. وغير قائمة الأسماء لم يقدِّم أي إنجيلي أي شيء واضح عن أعضائها إلاَّ إنجيل ق. يوحنا فقدَّم معلومات ضافية عن:

أندراوس (1:40-42و44)، (6:8)، (12:22).

فيلبُّس (1:43-45و48)، (6:5-7)، (12:21)، (14:8).

توماً (11:16)، (14:5)، (20:24-29).

وهذه مجرد أوصاف شخصية لا علاقة لها بتاريخ الأشخاص.

---

(10) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 619 f.**

ولكن إضافة ق. توما في فصل قيامة الرب كان لها وضع إنجيلي خاص. وغير هذا لم يحاول الإنجيليون الأربعة أن يمدونا بأي تاريخ شخصي أو كنسي عن أشخاص الاثني عشر، إلاَّ بطرس ويعقوب ويوحنا الذين استمر ذِكر رسالتهم في أسفار العهد الجديد، وحتى متياس الذي اختير عوضاً عن يهوذا دخلت شخصيته في الغياب بعد اختياره مباشرة إذ لم يذكر سفر الأعمال عنه شيئاً.

ولكن من جهة تقليدنا الأرثوذكسي:

فإن ''الاثني عشر'' دخلوا الكنيسة كوحدة ذات قيمة عالية جداً خلواً عن أشخاصها، سواء في إخفاقهم أو نجاحهم، إذ يعطينا التقليد أن العدد هو تجديد للاثني عشر سبطاً، فلا الأسباط أضعف رقمها الاثني عشر ضياع سبطين ونصف، ولا الاثنا عشر تلميذاً أنقصهم سقوط يهوذا، ولو أن الكنيسة أرادت أن تصحح سقوط يهوذا باختيار متياس، ولكن ذاب متياس بين التلاميذ ولم يُسمع له خبر ـ إلاَّ في التقاليد الرسمية ـ وظل رقم ''الاثني عشر'' يصوِّر في ذهننا كيف اختارهم المسيح ليمثِّلوا الكنيسة الوليدة. فليست الكنيسة وريثة للاثني عشر، بل هي الاثنا عشر، بل وهي الشخص المعنوي للمسيح. وقوة الهالة التي وُضِعَت على رؤوس الاثني عشر منبعها قول الرب: «مَنْ يقبلكم يقبلني ومَنْ يُرذلكم يُرذلني» (مت 40:10، لو 16:10). فأصبحت كرامة **خدمة الرسل** على مستوى كرامة **خدمة المسيح**. علماً بأن المسيح قالها للجماعة وهكذا ظلت في مفهوم الكنيسة بالنسبة للكنيسة عامة. فالكنيسة هي بذاتها إرسالية الاثني عشر في العالم. فالتأييد الإلهي انتقل للكنيسة عامة كإرسالية واحدة: في مَنْ يقبلها، وفي مَنْ يرذلها، وليس للأفراد. لأنه كم من أساقفة ورؤساء أساقفة وكهنة وخدام سقطوا **من الكنيسة** ولكن ظلت الكنيسة هي كما أرادها المسيح في ''الاثني عشر''.

كذلك موضوع مفاتيح ملكوت السموات التي قالها المسيح للقديس بطرس باعتباره **نطق بإيمان الكنيسة ككل**، فالفتح والغلق ليس لأبواب موصدة تُفتح وتُغلق، فهذا المستوى الفكري غير موجود في المفهوم المسيحي والإنجيلي. ولكنها كما قالها ق. بطرس فهي من جهة **قوة المعرفة بالإيمان الصحيح**، أي أن كما للرسل "**كاثني عشر**" أُعطيت المعرفة التي بها يدخل المؤمنون ملكوت السموات والتي دخلت في الكنيسة باسم "**التعاليم الرسولية**" كتقليد أساسي يعطي الكنيسة سمتها الإلهية: «مبنيِّين على أساسِ الرسل والأنبياءِ، ويسوعُ المسيح نفسه حجرُ الزاويةِ» (أف 20:2)، هكذا امتلكت الكنيسة باعتبارها ''كنيسة رسولية'' حق إعطاء المعرفة

الرسولية الصحيحة **وحدها**، فهي تفتح وحدها بإيمانها وبتعليمها أبواب ملكوت السموات أمام أعضائها، وهي وحدها قادرة **إن حجزت إيمانها وتعليمها الصحيح** عن أحد بإسقاطه من جسدها فإنها بذلك تغلق ملكوت السموات في وجهه. وهي لا تُسقط عضواً من جسدها **إلاَّ إذا سقط بإرادته عن الإيمان بالمسيح وليس لأي سبب آخر**.

بهذا نفهم عثرة الكنيسة المريعة حينما حرمت بعضها البعض والكل في ملء الإيمان بالمسيح. وهذا يرجع بالدرجة الأُولى لعدم فهم حق الكنيسة في فتح أبواب الملكوت وغلقها، إذ اعتبروا أن المفاتيح في أفواههم وبمجرَّد النطق تُغلق السماء أو تُفتح، مع أن **الفتح لا يكون إلاَّ بالإيمان الصحيح والتعاليم الإنجيلية الرسولية الصحيحة**، كذلك فالغلق هو لسقوط الشخص أو الأشخاص عن **الإيمان بالمسيح**. فمَنْ الذي لا يدخل ملكوت الله بالنهاية إلاَّ الذي جحد المسيح الذي هو بحد ذاته صاحب الملكوت.

إذن، فماذا حدث للكنيسة ولماذا حدث؟ الذي حدث هو العداوة!! ليس إلاَّ. ولماذا حدث؟ هو لغياب المحبة.

وكيف العودة إلى الكنيسة الرسولية الواحدة، إلى ''الاثني عشر''؟ هذا يكون حتماً برفع العداوة وعودة المحبة. لأنه قطعاً كل كنيسة تتمسك بإيمان الاثني عشر الصحيح والتعليم الرسولي الصحيح!!

واضح أن الدعوة للاثني عشر استغرقت فترة ليست قصيرة: «ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه. وأقام اثني عشر ليكونوا معه، وليُرسِلهُم ليكرزوا» (مر 3:13و14). وبعدها تبعوه في طوافه في قرى الجليل وسمعوا تعاليمه، كل ما يُقال وكل ما يُعمل. فكانت فترة تحضير للإرسالية التي أرسلهم فيها على أثر الرفض الأعمى الذي واجهه في الناصرة، حتى يكونوا بمثابة توعية للشعب المحتاج قبل أن يعبر عليه المسيح، كما جاء في إنجيل ق. متى قبل الإرسالية:

+ «وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلِّم في مجامعها ويكرز ببشارة ملكوت الله ... حينئذ قال لتلاميذه: الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من ربِّ الحصاد أن يُرسل فعلةً إلى حصاده.» (مت 9: 35و37و38)

ولكن تبدأ هذه الإرسالية هناك في السماء بعدما أرسل الله ابنه الوحيد لذات القصد وذات العمل لكي يعد لله مكاناً على الأرض وهيكلاً في قلوب الناس، وها هو الابن الوحيد يبدأ

يرسل إرسالية له لذات الغرض وذات العمل. وكما أعطى الآب سلطانه للابن الوحيد أن يعمل به: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت 18:28)، هكذا وبهذا السلطان أرسل تلاميذه ليقيموا الخدمة ويشكلوا وجه الكنيسة الإلهي على أرض الإنسان، شكَّلوها بهيئتها ‘‘الاثني عشر’’، بعد أن ولدها المسيح من لحمه ودمه على الصليب ومن جنبه المطعون، ثم نفخ فيها من روحه بعد القيامة فوُلدت كنيسة كل الدهور بهيئتها السرية الإلهية العظمى ‘‘جسد المسيح’’. ويا لعمق هذا السر يوم أرسل المسيح الاثني عشر، وكيف انتهى إلى كنيسة الدهور الجسد المقدَّس الذي يعيشه الابن ويدبِّره كرأس والكل فيه عضو عابد يحمل في كيانه تاريخ هذا السر العظيم!!

«وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين»:

هذا الاتجاه العملي من إرسال اثنين اثنين أخذ به بولس الرسول، إذ بدأ الرحلة الأُولى مع برنابا وبعدها مع سيلا، وحسب قول الحكمة: «اثنان خير من واحد ... والخيط المثلوث لا ينقطع سريعاً» (جا 9:4و12). لا من أجل وعورة الطريق وأخطار الرحلة فقط، بل ومن أجل العزاء والتشدد بالنعمة المشتركة وصورة للوحدانية في نواتها الأُولى التي يكمِّلها المسيح بحضوره السرِّي ويربطها الروح القدس في الواحد.

«وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة»:

كان هذا هو أول تعبير عن السلطان الإلهي الذي ناله التلاميذ من الرب، وقد حرص المسيح أن يجعل إخراج الشياطين أول عمل لهم، فلهذا القصد كان نزول ابن الإنسان على الأرض ليعتق الإنسان من عبودية الشيطان واستبداده الذي مارسه على الإنسان الضعيف، لا بالنسبة للجسد وحسب، بل وما فعله للروح إذ أذل الإنسان وأحدره إلى الخزي حينما تسلط عليه عبر ضلالة الفكر لكي يعبد المخلوق دون الخالق في كل صور الضلالة من حجر وخشب وحيوانات، فهذا الإنسان المديد القامة ينحني إلى الأرض ليسجد لصنم أو بهيمة. هذا بجوار أنواع الخطايا والرذائل التي دسها على نفسه وروحه.

فلا يستهين القارئ بقوة إخراج الشيطان من جسد إنسان فهي الدرجة الصغرى لإخراجه من العالم كله، ولا يستهين أحد بالشيطان وأعماله فهو الذي صلب ابن الله على الخشبة، ولكن وعلى الصليب ظفر ابن الله بالشيطان وكل الرياسات التي له والسلاطين. وكيف وفي بدء كرازته «أصعده إبليس إلى جبل عالٍ وأراه **جميع ممالك المسكونة** في لحظة من الزمان. وقال له إبليس: لك

أعطي هذا السلطان كله ومجدهن **لأنه إليَّ قد دُفع** وأنا أعطيه لمن أريد» (لو 4: 5و6). ولكن المسيح ردَّه مقهوراً بكلمة الله.

والمسيح في تعاليمه عبَّر عن الشيطان بأنه ''الرجل القوي'' ولكن ''الأقوى'' منه دخل بيته وربطه ونهب أمواله (انظر شرح الآية 27:3). وهنا أعطى المسيح تلاميذه سلطاناً على الأرواح النجسة ليخرجوها، وهذا هو نهب أمواله بعد أن ربطه على الصليب وأفقده سلطانه.

8:6 «وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَحْمِلُوا شَيْئاً لِلطَّرِيقِ غَيْرَ عَصاً فَقَطْ، لاَ مِزْوَداً وَلاَ خُبْزاً وَلاَ نُحَاساً فِي الْمِنطَقَةِ».

ولكن ما معنى لا تحملوا شيئاً للطريق؟ الواضح أنها إرسالية داخل المدن والقرى، فلا يحمل الكارز همّ أكله وشربه أو الدفاع عن نفسه، فالذي أرسله هو يحفظه وكل بيت بيته وملاك الله عن يمينه.

9:6 «بَلْ يَكُونُوا مَشْدُودِينَ بِنِعَالٍ، وَلاَ يَلْبِسُوا ثَوْبَيْنِ».

«**مشدودين بنعال**»: Øpodedemšnouj sand£lia

الاصطلاح يفيد نفس الصندل المعروف لنا، ولكن سيوره تلتف حول الساق إلى منتصفها، وهكذا تعطي المفهوم أن الإنسان شدّ النعال. ويبدو أن المسيح نفسه كان يلبس مثل هذا الصندل ذي السيور الملفوفة على الساق التي يلزم حلّها أولاً قبل خلعها، والتي اعتبر المعمدان نفسه أنه غير أهلٍ أن يفك هذه السيور، وهي عملية كان يقوم بها الخدم في البيت.

والسيور في الصندل أو النعل طويلة، ومن السفر الطويل تفك أو تنقطع مثل ما حدث لمرقس الرسول في رحلته الطويلة من المدن الخمس في إقليم برقة بليبيا حتى الإسكندرية، إذ انقطعت سيور حذائه، وكان هذا مدخلاً لتعرفه على الإسكافي إنيانوس ليكون أول بابا على الإسكندرية.

«**ولا يلبسوا ثوبين**»:

من الأكيد أن الوقت كان صيفاً، فالثوب citèn أي ''قيطونه'' في المخطوطات القديمة وبالإنجليزية: Tunic أو Shirt، هو ما يُلبَس تحت الرداء، المدعو ƒm£tion (انظر مت 40:5). والقصد من الوصية أن لا يعمل الإنسان حساب العوز في إرساليته الإلهية: اسمع ما يقوله الله عن الذي يسير تحت طاعته ويرسله الرب أمامه:

+ «فقد سرت بكم أربعين سنة في البرية لم تَبلَ ثيابكم عليكم oÙk ™palaièqh t¦

fm£tia ونعلك Ømîn Øpod»mata t¦ kaˆ لم تَبْلَ على رجلك» (تث 29: 5و6)

وطبعاً معروف أن بني إسرائيل لم يأخذوا أيضاً خبزاً معهم!!

وعلى القارئ أن يفطن إلى وصية المسيح للاثني عشر في إرساليتهم فهي على مستوى إرسالية شعب إسرائيل عبر سيناء أربعين سنة، لم يغيِّروا نعالهم ولا أثوابهم ولا كان لهم خبزٌ. ولولا تذمرهم من عدم الخبز واضطرار الله لإرسال المن ما كانوا جاعوا ولا عطشوا ولا اعتازوا. والإرساليتان كانا باتجاه أرض الميعاد، الأُولى على الأرض والثانية في السماء، الأُولى نحو مملكة إسرائيل والثانية نحو ملكوت الله! وبعض القديسين كانوا يلبسون سبانية واحدة على اللحم (وهي من صوف الغنم) لا يغيِّروها ويطلبون أن يُدفنوا فيها إذ كان نظرهم مثبتاً نحو النهاية السعيدة. كما أن السوَّاح ما كانوا يغيِّرون ثيابهم وما كانوا يحملون طعاماً. فالكنيسة كانت تترجم وصايا المسيح على مستوى سرِّي حياتي.

10:6 **«وَقَالَ لَهُمْ: حَيْثُمَا دَخَلْتُمْ بَيْتاً فَأَقِيمُوا فِيهِ حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ».**

وإزاء وصية المسيح للاثني عشر كيف يدخلون البيوت ومدة الإقامة فيها فقد احتفظت الكنيسة بتعاليم الرسل وهو ما يسمَّى بكتاب الديداخي أو التعليم وفيه فصل عن كيفية قبول الرسول هكذا:

[بخصوص الرسل والأنبياء تصرَّفوا وفق تعاليم الإنجيل بالكيفية الآتية:

- استقبلوا كل رسول يأتيكم كاستقبالكم للرب.
- يمكث لديكم يوما واحداً أو يومين إذا دعت الحاجة. ولكن إذا أقام ثلاثة أيام بينكم فهو نبي كاذب.
- لا يحسن أن يَقبَل الرسول عند انصرافه شيئاً سوى ما يحتاجه من الخبز حتى يبلغ مكاناً آخر.
- أمَّا إذا طلب نقوداً فهو نبي كاذب.
- ليس مَنْ يتكلَّم بالروح حتماً نبياً، إنما هو نبي مَنْ يسلك مسلك الرب.
- يمكنكم إذاً أن تميِّزوا النبي الصادق من الكاذب باختبار مسلكه.
- إن النبي الذي يأمر بنصب مائدة ينبغي أن لا يأكل منها، أمَّا إذا أكل منها فهو نبي كاذب.
- كل نبي يعلِّم الحقيقة ولا يمارسها هو نبي كاذب.
- ومَنْ قال لكم إنه إنما يتكلَّم بتأثير من الوحي وطلب نقوداً أو أشياءً أخرى فلا تستمعوا

إليه.](11)

والمعروف أن أوامر المسيح أخذتها الكنيسة كأساس لتعليمها.

11:6 «وَكُلُّ مَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ لَكُمْ، فَاخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ وَانْفُضُوا التُّرَابَ الَّذِي تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ شَهَادَةً عَلَيْهِمْ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ».

«مَنْ لا يقبلكم»:

هنا المسيح يقطع بالقول: «مَنْ لا يقبلكم» أي يرفض دخولكم وبالتالي يرفض الإنجيل والمسيح، حيث في هذه الحالة يُحسب أنه وثني، أي فاقد الإيمان بالمسيح الذي رفضه. أي أنه في رفض قبول الرسول الحامل رسالة الإنجيل بملكوت الله، هناك رفضٌ صريح لله والإنجيل والخلاص. حيث هنا الرفض هو رفض للمسيح الذي أرسلهم:

+ «الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني.» (لو 16:10)

إذن، ليس من حق الرسول أن ينفض التراب الذي تحت رجليه إلاَّ في حالة رفض المسيح والإيمان بالمسيح، حيث يقف التراب المنفوض من أرجلهم يشهد يوم الدينونة أن هذا البيت قد رفض المسيح والإيمان بالمسيح. ولكن أيما أسقف نفض التراب من رجليه وكان البيت الذي دخله يؤمن بالمسيح ويتمسَّك بالإيمان بالمسيح يكون التراب الذي نفضه شهادة عليه هو أنه لا يحكم بالحق، ويصبح كالذين شهدوا ضد المسيح أنه خاطئ وصانع شر.

وهكذا يتحتم على كل رسول يحكم بحكم المسيح أن يكون له روح المسيح، لأن الحكم لن يكون صحيحاً ونافذاً إلاَّ إذا كان بروح المسيح وبموجب روح المسيح. وهنا خطورة استخدام أحكام المسيح بدون وجود الروح القدس وبمقتضى شهادته. فالسلطان الذي أعطاه المسيح لرسوله لابد أن يستخدمه لتمجيده.

أعرف أسقفاً حرم أميناً في مدارس الأحد في مدينة كبرى دون إنذار أو محاكمة، فلمَّا استفسر الأمين عن السبب أرسل له تلغرافاً: [لكي تعلم أني لا أمسك السيف عبثاً]. هكذا أصبحت كلمة الله عوض أن تشد أزر الخدَّام أصبحت وكأنها سيف يقطع الرقاب. ألا عودة إلى الأبوة الحانية

(11) الديداخي 3:11ـ12 تعريب جورج نصور ويوحنا تابت.

المحبَّة التي تجمع ولا تُفرِّق فتُلزم البنين بالحب والخضوع.

«الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة»:

والآن نظرة إلى العقاب، فسدوم وعمورة أُحرقت بنار سماوية وانقلبت ودُفنت تحت الأرض. فلو تمهَّل الرسول أو النبي أو الأسقف أو الكاهن قبل أن يجرؤ وينفض غبار قدميه ويفكِّر لحظة فيما سيؤول إليه عمله ـ لو كان قديساً حقًّا وعمله صحيحاً ـ لامتنع مهما كان السبب، فباب رحمة الله لا يستطيع أن يغلقه إنسان، والإنسان قابل أن يتوب حتى ولو في آخر يوم من حياته.

يا ليت رجال الكنيسة لا يحرمون بأحكام المسيح أولادهم بنار سدوم وعمورة؛ بل عليهم أن ينقذوا الأولاد بقوة إيمانهم كشعلة منتشلة من النار:

+ «خلصوا البعض بالخوف مختطفين من النار.» (يه 23)

12:6 «**فَخَرَجُوا وَصَارُوا يَكْرِزُونَ أَنْ يَتُوبُوا**».

صيغة ختامية لينهي بها إرسالية الاثني عشر، وقد لخَّصها ق. مرقس في اتجاهين: الكرازة بالمسيح والتوبة. أمَّا الكرازة فهي الأخبار السارة بمجيء المسيح المسيَّا رجاء إسرائيل ومشتهى الأُمم، الأمر الذي كان يملأ قلوب الشعب بالفرح والرجاء والدموع معاً، لأن بمجيء المسيَّا رجعة لقلب الله على شعبه وتحقيق المواعيد الصادقة التي كان ينتظرها الشعب بفارغ الصبر، مئات مثل سمعان الشيخ سمعت الأخبار السارة وطارت قلوبهم من الفرح، وألوف مثل حنة النبية من العابدات والناسكات بلغن رجاءهن بسماع الخبر المفرح بمجيء المسيَّا. وكان بمجرَّد أن سمع الشعب أخبار المسيح، مسيَّا الله الموعود، انفتحت قلوبهم بالتوبة أي العودة إلى الله بإخلاص العبادة والشكر والتسبيح. فالتوبة بالنسبة لليهود لم تكن تُعرف أنها توبة من خطايا بل توبة من البعد عن عبادة يهوه. فأن يتوب اليهودي فهذا يعني أن يرجع بقلبه إلى عبادة الله الحي، لأنه من خلال صدق عبادة اليهودي ليهوه بالحق يستعلن المسيَّا.

لذلك كانت رسالة الاثني عشر هي إعداد القلوب لعبادة الله الحي تهيئة لاستعلان المسيح وبدء العهد الجديد.

والكرازة بالتوبة نادى بها المعمدان أول مَنْ نادى، بل ونادى بها المسيح نفسه بعدما خرج من المعمودية، وصارت هي وإلى الآن كرازة الكنيسة حتى اليوم، بمعنى عودة القلوب إلى الله الحي ليستعلن عمل المسيح والخلاص.

13:6

«وَأَخْرَجُوا شَيَاطِينَ كَثِيرَةً، وَدَهَنُوا بِزَيْتٍ مَرْضَى كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ».

سبق أن تكلَّمنا عن إخراج الشياطين، ولكن هنا ولأول مرَّة ينجح الرسل في إخراج الشياطين باسم المسيح. معنى هذا أن الكنيسة بدأت تنال موهبة إخراج الشياطين بسلطة ممنوحة من المسيح، وهي علامة بحد ذاتها تفيد انتقال سلطة المسيح تدريجياً لتكون سلطة الكنيسة باعتبارها جسده على الأرض.

ونكرِّر القول بأهمية تسليم هذه السلطة بكل خواصها الإلهية فوق كل سلطان آخر على الأرض:

+ «مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاءُ دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي **عظمةُ قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شدَّةِ قوَّته** الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويَّات، **فوق كل رياسةٍ وسلطانٍ وقوَّةٍ وسيادةٍ**، وكل اسمٍ يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، **وأخضع كل شيءٍ تحت قدميه**، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيءٍ **للكنيسةِ**، التي هي جسده، ملءُ الذي يملأُ الكلَّ في الكلِّ.» (أف 1: 18-23)

إن هذه هي قوة لاهوت المسيح التي سلَّمها للكنيسة لتعمل بها كما كان يعمل المسيح. فكون الكنيسة هي جسده الذي نحن منه وفيه فقد نلنا نصيبنا السماوي في المسيح. وقصد ق. بولس من هذا الكلام المفرح والمشدِّد للكنيسة هو أن تدرك أنه ليست بعد قوة شيطان أو عدوٍ أيًّا كان إلاَّ وأُخضعت تحت أقدامها.

«ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم»:

الدهن بالزيت منذ العهد القديم، فالدهن بقرن الزيت كان طقساً مهيباً لمسح الملوك وتكريس الكهنوت، وكان محسوباً أنه من أسرار عمل الله. ومعلوم أن المسيح يعني الممسوح بمسحة الله، ولكن عوض الزيت هنا يكون عمل يد الله، فالله نفسه مستعلناً بالروح القدس هو الذي مسحه على نهر الأُردن، ولذلك استُعلن المسيح لحظة خروجه من الماء والروح نازلاً من السماء لتكميل مسحة القدوس ابن الله بالجسد. ومن هنا بدأت المسحة بالنسبة لكل معمَّد بعد خروجه من الماء تتم بالدعاء بوضع يد الأسقف لكي يحل الروح القدس، بعدها يُعتبر المعمَّد ممسوحاً بالروح القدس ويُدعَى في الحال مسيحياً، أي ممسوحاً بالروح القدس باسم المسيح. ولكن في زمن متقدِّم في أوائل التاريخ الكنسي استُخدم الزيت للمسحة عوض وضع يد الأسقف، وأيضاً باعتبار أن الزيت يحمل

سر الروح القدس. ولكي تضمن الكنيسة أن جسد المعمَّد قد عمل فيه الروح القدس قامت الكنيسة في ترتيب طقسها بمسح المعمَّد في جميع أعضاء جسده بستة وثلاثين رشماً بالصليب بزيت الميرون المقدَّس بأصبع الكاهن، وهكذا اعتُبر المعمَّد «لابساً الروح القدس» ويُعطى ثوباً أبيضاً يلبسه، بمفهوم أنه قد لبس المسيح.

وأمَّا زيت المعمودية هذا فقد قيل أنه أصلاً من الحنوط التي كانت على جسد المسيح. ويسمَّى زيت الميرون المقدَّس. أمَّا زيت مسحة المرضى فهو من زيت الزيتون بعد أن تتلى عليه صلوات خاصة معروفة باسم "القنديل المقدَّس"، وتكون عادة في يوم جمعة ختام الصوم، ويوزع على الكهنة المرخَّص لهم فقط بالقيام بدهن المرضى. وجعلت له الكنيسة طقساً وصلاة خاصة باسم مسحة المرضى. وكل من زيت الميرون وزيت مسحة المرضى قد حُسب سرًّا كنسياً لأنه حامل للروح القدس، فالأول سر التثبيت والثاني سر مسحة المرضى. فالشفاء يحدث بسبب الصلاة باسم المسيح. ودهن المريض أيضاً بالاسم.

والذي ذكر دهن الزيت لشفاء المرضى في العهد الجديد هما القديس مرقس في إنجيله (13:6) والقديس يعقوب الرسول في رسالته (13:5)، وهو تقليد رسولي استلمه القديس يعقوب من الرسل الأقدم منه، ويبدو أنه من وضع الرب: «أمريض أحد بينكم فليدعُ شيوخ الكنيسة (كهنة فقط) **فيصلوا عليه، ويدهنوه بزيت باسم الرب.**» (يع 14:5)

وواضح أن إرسالية الرسل كانت في محيط الجليل فقط.

خدمة ما وراء الجليل

(مر 6:14–8:26)

يبتدئ من هنا جزءٌ جديدٌ في إنجيل ق. مرقس من الأصحاح السادس عدد (14)، وفيه يقص ق. مرقس قصص مخاوف هيرودس (6:14–16)، ثم موت المعمدان (6:17–29) ليصنع نوعاً من الصلة مع خدمة المسيح التي كانت في جملتها خارج الجليل ما عدا (6:53–56)، (8:11–13). كذلك في هذا الجزء لم يكن له خدمة عامة إلاَّ في بداية الأصحاح السابع (7:1-23). بعد ذلك كان المسيح مبعداً عن الجليل خاصة أثناء جولته في نواحي صور (7:24–23)، وفي العشر المدن

(7:31ـ37). وقد ركَّز المسيح اهتمامه نحو تلاميذه وإلى بعض الشعب الذي استمع إليه وإلى خدمته (6:30ـ44). كما حصلت بعض الأشفية ولكن ليس على المستوى العلني وربما دون إرادته في (7:24ـ30)، (7:31ـ37)، (8:22ـ26). وأخيراً وصل إلى حدود قيصرية (8:27). وكانت أهم أقسام هذا الجزء كالآتي:

(أ) قصة هيرودس أنتيباس (6:14ـ29).

(ب) إطعام الجموع الخمسة آلاف وما تبع ذلك (6:30ـ7:37).

(ج) إطعام الأربعة آلاف وما تبع ذلك (8:1ـ26).

33 مخاوف هيرودس أنتيباس

[6:14ـ16] (مت 14:1) (لو 9:7ـ9)

يروي القديس مرقس القصة بإسلوبه (6:14)، فقد حامت شبهات هيرودس حول المسيح، وذلك واضح من العبارة التي ذكرها القديس مرقس عن فم هيرودس: إن المسيح هو المعمدان وإنه قام من الأموات! فهنا إشارة بالأصبع أن هيرودس سيبدأ المطاردة. أمَّا القديس لوقا فجعلها مكشوفة هكذا:

+ «في ذلك اليوم تقدَّم بعض الفريسيين (للتخويف) قائلين له (للمسيح): اخرج واذهب من ههنا (الجليل)، لأن هيرودُس يُريد أن يقتُلك. فقال لهم: امضوا وقولوا لهذا الثعلب (هيرودس ومعه الفريسيون): ها أنا أُخرج شياطين، وأشفي اليوم وغداً، وفي اليوم الثالث أُكمَّلُ.» (لو 13:31و32)

والقديس مرقس دون أن يذكر أو يلمِّح بشيء، جعل عمل المسيح خارج الجليل، وكأنه يتحاشى الوجود في مقابل هيرودس متجهاً إلى صور والعشر مدن، وبعدها يتجه نحو أُورشليم منحدراً في طريق شرق الأُردن. ولكن لم يذكر ق. مرقس قط أن المسيح كان يخاف هيرودس.

6:14ـ16 **«فَسَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ، لأَنَّ اسْمَهُ صَارَ مَشْهُوراً. وَقَالَ: إِنَّ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ قَامَ مِنَ**

الأَمْوَاتِ وَلِذلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ. قَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ إِيلِيَّا. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ كَأَحَدِ الأَنْبِيَاءِ. وَلكِنْ لَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ قَالَ: هذَا هُوَ يُوحَنَّا الَّذِي قَطَعْتُ أَنَا رَأْسَهُ. إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ».

«**هيرودس**» `Hrèdhj:

هو ابن هيرودس الكبير ومالثاس Malthace وقد استلم بموت أبيه ربع الجليل وإقليم بيريه، وسعيه أن يكون ملكاً أودى به إلى النفي في زمن الإمبراطور كاليجولا سنة 39م. وقد سمَّاه كل من ق. متى وق. لوقا رئيس ربع الجليل Đ tetra£rchj . ولكن القديس مرقس أسماه ملكاً BasileÚj وهي محسوبة على ق. مرقس أنها عدم دقة في التعبير، ولكن ربما كان ينقل عن حديث الناس.

«**فسمع هيرودس**»:

ماذا سمع؟ ليس نشاط خدمة الاثني عشر بل الفكر منصب على أعمال المسيح الإعجازية في الجليل وهي دائرة اختصاص سلطانه.

«**لأن اسمه صار مشهوراً**»:

اسم يسوع المسيح ومعه أعماله وتعليمه، ويبدو أن الأعمال هذه التي بلغت أسماع هيرودس هي التي أثارت حفيظته، وجعلته يسأل ويستفسر لعله يكون يوحنا المعمدان قام من الأموات. فقد هيَّج سمعه عن المسيح ذكرى جريمته الشنعاء، مما جعله يفكِّر أن يأخذ خطوات ضدَّه.

«**وقال: إن يوحنا المعمدان قام من الأموات لذلك تعمل به القوات**»:

أعمال المسيح الفائقة للطبيعة جعلت هيرودس يفكر في مصدر هذه القوات، إنها أعمال فائقة يعملها المعمدان كمن قام من الأموات، لذلك تُعمل بواسطته هذه الأعمال الفائقة، وهذا تعليل منطقي ولكنه سقيم، فالخوف والرعبة التي تملكت على هيرودس هي التي جعلته يهذي.

«**وقال آخرون: إنه إيليا. وقال آخرون: إنه نبي أو كأحد الأنبياء**»:

هذه الأقوال لم يقبلها هيرودس ولا أتباعه وإنما كانت إشاعات وسط الشعب، وهي نفس الإشاعات التي قالها التلاميذ عندما سألهم المسيح: مَنْ يقول الناس إني أنا؟ وكلها مرتبطة بمستوى الأعمال الإلهية الفائقة التي كان يعملها المسيح.

ويلاحظ القارئ أن إشاعة القول بأنه إيليا تأتي ليس من فراغ، لأنه معروف أن إيليا سيأتي

قبل مجيء المسيَّا، والتقليد بل والمسيح نفسه اعتبر يوحنا المعمدان أنه إيليا الذي قد أتى في شخصه وعملوا به كل ما أرادوا. إذن، فالخلط بين يوحنا المعمدان وإيليا أمر وارد كتابياً وسط المتعلمين، أي الكتبة.

«ولكن لمَّا سمع هيرودس قال:

هذا هو يوحنا المعمدان الذي قطعت أنا رأسه. إنه قام من الأموات»:

قول مَنْ أفزعته رؤى رأسه. قد هيَّجت أعمال المسيح ذكرى عمله الأحمق المجرم الذي لاحقه كلما خلا إلى نفسه. فمنظر رأس يوحنا لم يفزع هيرودس فقط بل أفزع العالم كله وإلى هذا اليوم. والآن جاء وقت الحساب، حساب الضمير المهلهل ليسترجع حماقة عمله بلا أي فائدة، فدم المعمدان خرج صارخاً من الأرض أمام الله كدم هابيل.

ويوضِّح القديس لوقا رعبة هيرودس بأكثر تعبير، ويوضِّح أنه كان يطلب يسوع ولكن المسيح ترك له الجليل كله وانطلق إلى اليهودية:

+ «فقال هيرودس: يوحنا أنا قطعت رأسه. فمَنْ هو هذا الذي أسمع عنه مثل هذا! وكان يطلب أن يراه.» (لو 9:9)

ملاحظة:

كل الآيات السالفة من (14ـ 16) أوردها ق. مرقس ليدخل في موضوع استشهاد يوحنا المعمدان، الأمر الذي كان ختام الحوادث التي من أجلها ترك المسيح الجليل.

34 قصة استشهاد يوحنا المعمدان

[17:6ـ 29]

كما كانت قصة إيليا مع إيزابل امرأة آخاب واضطهاد آخاب له حتى الموت لولا تدخل الرب بقوة ليبقيه: «وأخبر آخاب إيزابل بكل ما عمل إيليا وكيف أنه قتل جميع الأنبياء (الكذبة الذين كانت تأويهم إيزابل) بالسيف، فأرسلت إيزابل رسولاً إلى إيليا تقول هكذا تفعل الآلهة (الكذبة) وهكذا تزيد إن لم أجعل نفسك كنفس واحد منهم في نحو هذا الوقت غداً. فلما رأى ذلك قام

ومضـــى لأجـــل نفســـه!» (1مـــل 19: 1-3). وهكـــذا تجـــيء قصـــة المعمـــدان

الذي جاء بروح إيليا وشبح إيزابل وراءه، ولكن هذه المرَّة كانت هيروديا امرأة هيرودس. وكأنما تأجل تهديد إيزابل حتى تقمصته هيروديا، وما لم تستطع إيزابل عمله استطاعت هيروديا. ومات المعمدان بقطع رأسه.

صورة من الصور الحزينة التي دفع ثمنها الأنبياء إزاء مواجهتهم للفجور بالمناداة بالحق. فالنياشين لا تنتظرنا إزاء إعلان الحق في وجه الباطل، بل ينتظرنا قطع الرقبة، وهذا هو إكليل الأنبياء الذي ختمه المسيح على الجلجثة.

17:6 «**لأَنَّ هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا**».

القديس يوحنا المعمدان هو آخر أنبياء العهد القديم، والمفروض بحسب نص ما قاله ملاخي النبي إن روح إيليا ستُرسل في شخص مَنْ يظهر في الأيام الأخيرة (العهد الجديد) وكأنه ملاك الله، لكي يوبِّخ ويؤدِّب شعب إسرائيل قبل مجيء الرب. وإليك نص الآية: «ها أنذا أُرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف (على الأعداء) فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلاَّ آتي وأضرب الأرض بلعن» (مل 5:4و6) (400 سنة قبل الميلاد). فلمَّا سألوا المسيح عن صدق هذه النبوَّة بقولهم: «وسأله تلاميذه قائلين: فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً؟ فأجاب يسوع وقال لهم: إن إيليا يأتي أولاً ويرد كلَّ شيء، ولكني أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا» (مت 17: 10- 12). وأيضاً: «لأن جميع الأنبياء والناموس **إلى يوحنا تنبأوا**، وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي» (مت 11: 13و14). وأيضاً من إنجيل ق. مرقس: «لكن أقول لكم: إن إيليا أيضاً قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنه» (مر 13:9). ويُعتقد أن قول المسيح في إنجيل ق. مرقس هو الأصل الذي أخذ منه القديس متى.

وقد أشار الروح القدس إلى المعمدان وقت ميلاده أنه جاء بروح إيليا:

+ «ويتقدَّم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً.» (لو 17:1)

«**كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه في السجن**»:

كان هيرودس المدعو أنتيباس يخاف الشعب اليهودي لأنه لم يكن من أصل يهودي نقي، وكان

قد أخذ الولاية على اليهودية بالغش والخداع والرشوة، فكانت أية تجمعات من الشعب وخاصة تحت قيادة أشخاص زعماء تُرعب قلبه. فلما ذاع صيت المعمدان والتف الشعب كله حوله، لم يطق الوالي الخائف فاحتال عليه وسجنه. وكما أخبرنا المؤرِّخ اليهودي يوسيفوس(12) فإنه سجنه في قلعة ماخيروس الواقعة نحو الشمال الشرقي من البحر الميت. ولكن من رواية ق. مرقس يُستشف أن السجن كان في طبرية مركز حكم هيرودس وبجوار القصر الذي عمل فيه الوليمة لعيد ميلاده.

«من أجل هيروديا»: `Hrwdi£da

هيروديا ابنة أرسطوبولس ابن هيرودس الكبير من مريمن Mariamne. وهيروديا كانت زوجة لفيلبُّس أخي هيرودس أنتيباس وكان لها ابنة اسمها سالومي (الراقصة).

وهيرودس أنتيباس هذا القاتل كان متزوجاً بنت الحارث الوالي (العربي) فطلقها وتزوج امرأة أخيه هيروديا وبنتها سالومي. ويقول المؤرِّخ يوسيفوس(13) أن امرأة هيرودس أنتيباس إذ علمت بنية طلاقها هربت عن طريق قلعة ماخيروس ومنها فرَّت إلى مملكة أبيها واحتمت به. ولذلك أقام أبوها حرباً انتقامية ضد هيرودس أنتيباس سنة 36م وهزمه شر هزيمة، هذه التي اعتبرها اليهود أنها نقمة من الله بسبب قتله للمعمدان(14).

18:6و19 «لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ: لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ! فَحَنِقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ».

كان المعمدان ـ في فرص تقابُله مع هيرودس أنتيباس هذا ـ يوبِّخه على زواجه من امرأة أخيه، وقطع عليه بالقول: «لا يحل لك أن تأخذ امرأة أخيك» وذلك طبقاً للناموس الذي يعتبر ذلك زنا. فكانت هيروديا تسمع ذلك فحنقت عليه وأرادت أن تقتله ـ كإيزابل وإيليا ـ ولم تقدر لأن هيرودس كان يخاف الشعب. ويقول إنجيل ق. متى: «ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب لأنه كان عندهم مثل نبي» (مت 5:14). وهذه أيضاً شهادة ق. لوقا: «أمَّا هيرودس رئيس الربع فإذ توبَّخ

(12) **Josephus., *Ant.*, xviii, 5.2.**

(13) **Josephus., *op. cit.*, xviii, 5.1.**

(14) يقول يوسيفوس المؤرِّخ: إن هيرودس أنتيباس كان متزوجاً من ابنة ملك النباطيين "الحارث" وطلَّقها لكي يأخذ هيروديا مما جرَّه إلى حرب ضد الحارث وقد هُزم فيها. وبإغراء هيروديا وإلحاحها سافرا معاً إلى روما يطلبان الملك عوض رئاسة الربع ولكن كاليجولا سمع وشاية جاءته من أقاربه الهيروديين فنفاه إلى ليون بفرنسا وتبعته هيروديا ونقله إلى أسبانيا حيث تُوفِّي سنة 41 بعد المسيح.

منه لسبب هيروديا امرأة فيلبُّس أخيه ولسبب جميع الشرور التي كان هيرودس يفعلها، زاد هذا أيضاً على الجميع أنه حبس يوحنا في السجن.» (لو 3: 19و20)

20:6 **«لأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِماً أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ، وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ، فَعَلَ كَثِيراً، وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ»**.

إنجيل ق. مرقس هو الوحيد الذي كشف هذه العلاقة السرية بين هيرودس والمعمدان، وهي تكشف مدى ضعف هذا الإنسان إذ تحت إغراء وإلحاح امرأة يتراجع ويقف ضد ضميره، فقد ظل يدافع عن المعمدان «**ويحفظه**» من مؤامرات هذه الزوجة الفاجرة، ولكنه انهار أخيراً أمام ألاعيبها.

«**إذ سمعه فعل كثيراً**»: **¢koÚsaj aÙtoà poll¦ ºpÒrei**

الترجمة العربية هنا تتبع بعض المخطوطات اليونانية، أمَّا المعنى الحرفي حسب النص اليوناني أعلاه الوارد في المخطوطات الأقدم فهو: ‘‘إذ سمعه اضطرب كثيراً، أو صار في ضيق أو صعوبة’’، ولكنه سمع بفرح. بمعنى أن كلام المعمدان كان يصيب ضميره إصابة مباشرة فكان يضطرب ويتضايق بسبب عذاب ضميره، ولكن سحر المرأة اللعوب كان قادراً أن يطفئ جذوة الضمير بل ويميته**!!** ويتضح المعنى لكلمة ºpÒrei في إنجيل ق. لوقا هكذا: «وفيما هن **محتارات** ¢pore‹sqai في ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب برَّاقة» (لو 4:24). والمعنى جميل إذ لما كان المعمدان يؤاخذه على خطيته كان يحتار جداً، ولكنه كان يسمعه بسرور. وهذه هي الثنائية القاتلة التي أنهت على المئات والألوف من الرؤساء والعظماء والقادة، يستيقظ ضميره للحق أمام المراجعة والتوبيخ، ثم إذ يستثار الشر والثأر في قلبه يضطهد من يوبِّخه ويقتله**!!** أو يحرمه وينفيه**!؟**

21:6و22 **«وَإِذْ كَانَ يَوْمٌ مُوافِقٌ، لَمَّا صَنَعَ هِيرُودُسُ فِي مَوْلِدِهِ عَشَاءً لِعُظَمَائِهِ وَقُوَّادِ الأُلُوفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ، دَخَلَتِ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا وَرَقَصَتْ، فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ وَالْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِلصَّبِيَّةِ: مَهْمَا أَرَدْتِ اطْلُبِي مِنِّي فَأُعْطِيَكِ. وَأَقْسَمَ لَهَا أَنْ مَهْمَا طَلَبْتِ مِنِّي لأُعْطِيَنَّكِ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي»**.

يلزمنا هنا أن نوضِّح جنسية هؤلاء الرؤساء إذ كانوا خليطاً من الأدوميين والصدوقيين النصف وثنيين وهم في نفس الوقت من نسل شمعون رئيس الكهنة ومن سلالة الأمراء المكابيين، جمعوا بين

كل هذه الجنسيات من خلاعة ومجون مكشوف بلا خوف الله ولا حياء من أحد، فهم في صف الملوك يقلِّدون الرومان في بذخهم ومجونهم وقسوتهم.

فالوليمة كانت فاخرة ذاخرة بكل ما هو شهي ومثير، والضيوف على مستوى الجيش ووجهاء الجليل، جليل الأمم!! وكفى.

«**دخلت ابنة هيروديا (سالومي) ورقصت**»:

لم يكن عمر سالومي يزيد عن عشرين سنة، حسب تحقيق يوسيفوس (سنة 28 بعد الميلاد)، وهي حفيدة هيرودس الكبير. وقد أصبحت فيما بعد أميرة عندما صارت زوجة لفيلبُّس رئيس ربع ـ أيطورية ـ وهو عمها بآن واحد، ثم تزوجت بعده بابن عمها أرسطوبولس ملك حلكيس(15). لذلك يقول معظم علماء الغرب إنه من المستحيل أن أميرة بهذا المِحْتِد تقبل أن ترقص في حفل عام. ولكن أين الحياء عند الزواني؟ وإن كانت نية القتل للعدو ثمناً لرقصة، فمرحباً بالرقص. المهم أن يُقتل المعمدان. هكذا قال الشيطان ونفَّذت حواء. وطبعاً رقصت وحدها الرقصة الشرقية بكل جسمها وبكل ما يثير الغرائز(16) .

وما أشبه اليوم بالبارحة!!

فقصة هَدَسة أي أستير الجميلة حسنة الصورة اليتيمة الأب والأُم، التي تبناها مردخاي اليهودي وهي بنت عمه، والتي اختارها الملك أحشويرش أكثر من كل الجميلات لتكون له زوجة عوض وشتى، والتي بحسنها سلبت قلب الملك، وطلبت أن يُصلب عدو اليهود هامان على الخشبة التي أعدَّها لِيَصْلِب عليها مردخاي اليهودي. لكن أستير دبَّرت نقمتها على عدوها بحشمة اليهود وفي حياء بناتهن. أمَّا هذه الأدومية فسخَّرت جسدها لتشتري به رأس نبي!!

«**فسرَّت هيرودس والمتكئين معه. فقال الملك للصبية: مهما أردتِ اطلبي مني فأعطيك**»:

لما انتهت المائدة وامتلأت البطون ولعبت الخمر بالعقول، رقصت الفتاة رقصة الشيطان فأهاجت العواطف والغرائز، ووقف الشيطان يطالب بحقه كمؤلِّف ومنفِّذ للمسرحية.

«**وأقسم لها أن مهما طلبتِ مني لأعطينكِ حتى نصف مملكتي**»:

كان عند هيروديا نصف المملكة بأموالها ورعاياها ومجدها لا يساوي شيئاً بجوار رأس المعمدان!!

---

(15) **Joseph., *Ant.*, xviii 5.4.**

(16) **Vincent Taylor., *op. cit.*, p. 315.**

ويا ويل مَنْ وقع تحت كيد النساء! فالمرأة الحاقدة لا يروي حقدها نصف مملكة، فعطشها للنقمة لا يرويه إلاَّ الدم!!

24:6 «**فَخَرَجَتْ وَقَالَتْ لأُمِّهَا: مَاذَا أَطْلُبُ؟ فَقَالَتْ: رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ**».

لقد راهنت هيروديا على نصف المملكة مقابل رأس يوحنا المعمدان فكسبت الرهان.

25:6 «**فَدَخَلَتْ لِلْوَقْتِ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَلِكِ وَطَلَبَتْ قَائِلَةً: أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي حَالاً رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ عَلَى طَبَقٍ**».

يغلب على ظني أنها وضعت كلمة «**حالاً**» قبل الطلب أو كأهم ما في الطلب كضمان للطلب. فالطلب الصادر من القلب الحقود الجحود والنفس التي نوت على القتل من المهم جداً أن يكون "في الحال"، حيث السرعة الشديدة ليس سببها كما يقول المفسرون خوفاً من أن يرجع الملك في كلامه، بل تعطشاً لتتميم النقمة بأقصى ما تكون السرعة. فسيكلوجية الشيطان لا تحتمل البطء في تتميم القتل. فنصيحة الشيطان اقتل، واقتل بسرعة. هذه التقطها المسيح من قلب يهوذا، بل من فكر الشيطان: «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة» (يو 27:13). فالرجل القاتل قاتل هو، ولكن الرجل الذي يقتل بسرعة هو قتَّال ماهر. وهكذا الشيطان دائماً «قتَّال للناس من البدء» (يو 44:8). فالسرعة في تنفيذ القتل هي السبب في 90% من حوادث القتل العمد. وكانت وظيفة المعمدان أن يعدَّ بصراخه الطريق أمام الرب، ويهيئ برأسه المقطوع طريق الجلجثة.

26:6-28 «**فَحَزِنَ الْمَلِكُ جِدًّا. وَلأَجْلِ الأَقْسَامِ وَالْمُتَّكِئِينَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَرُدَّهَا. فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ سَيَّافاً وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ. فَمَضَى وَقَطَعَ رَأْسَهُ فِي السِّجْنِ وَأَتَى بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَقٍ وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ، وَالصَّبِيَّةُ أَعْطَتْهُ لأُمِّهَا**».

حُزن الملك أظهر احترامه للمعمدان كبارٍّ وقديس. وقد عبَّر عنه ق. متى بأنه «اغتم» ولكن ق. مرقس جعلها «جداً» كنوع من الكمد ألمَّ به، إذ شعر في الحال بالجريمة التي وقع فيها بسبب رعونته وخبث سالومي وأمها. ولكن حقٌ هنا ما يُقال بالمثل: "لقد سبق السيف العزل" إذ تحمَّل في هذه اللحظة جُرم روح أزهقها خرجت تشكو أمام الله.

وهكذا قطع رأس أعظم نبي في حفلة رقص. ويُقال إن المعمدان كان سجيناً في قصر

هيرودس الكبير الذي بناه في مرتفع ماخيروس، وهذا يحتِّم أن الوليمة كانت هناك.

لهفي على نبي البرية صاحب الصوت الصارخ، لقد خرجت منه صرخة الموت ليكمِّل إعداد طريق الجلجثة كما قلنا، ورُفعت رأسه عن الجسد وأُهديت إلى زانية خليعة ليُكمِّل بها عار إسرائيل ورفض المسيح في وطنه.

29:6 «**وَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ، جَاءُوا وَرَفَعُوا جُثَّتَهُ وَوَضَعُوهَا فِي قَبْرٍ**».

ويقول التقليد إن تلاميذه دفنوها بجوار قلعة ماخيروس(17) وذهبوا أيضاً حسب التقليد وأخبروا يسوع: «فتقدَّم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه، ثم أتوا وأخبروا يسوع» (مت 12:14). وينقل لنا التقليد أن هذه المرأة الحقود الفاجرة لم يمت حقدها بقطع رأس المعمدان؛ بل أمرت أن ترمي جثته من فوق الأسوار لتأكلها الكلاب. الأمر الذي ينقل لنا منظر جثة إيزابل التي أُلقيت من شباك بيتها فأكلتها الكلاب فعلاً. هذا التقليد ذكره إيرينيئوس ونيسيفورس، كما ذكره فارر في كتابه المترجم (حياة المسيح) صفحة 253.

هذا هو المعمدان الذي شهد له المسيح:

+ «كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة» (يو 35:5)

+ «ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا: ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أَإِنساناً لابساً ثياباً ناعمةً؟ هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هُم في بيوت الملوك. لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبيًّا؟ نعم أقول لكم، وأفضل من نبي (**كاهن ابن كاهن**). فإن هذا هو الذي كُتب عنه: ها أنا أُرسل أمام وجهك **ملاكي** الذي يُهيئ طريقك قدامك. الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان.» (مت 11: 7-12)

كان المسيح يحبه ويحترمه ويقدِّر صعوبة حياته ورسالته. وقد رفعه إلى درجة أعظم من الأنبياء.

(17) **Swete., *op. cit.*, p. 128.**

35 عودة التلاميذ والذهاب إلى موضع خلاء

وإطعام الخمسة آلاف

[30:6-44]

(مت 13:14-21)

(لو 10:9-17)

(يو 1:6-14)

عودة إلى المسيح والتلاميذ الذين انقطعت أخبارهم بعد إرسالهم في الآية (13:6) عند «وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم» وأقحم ق. مرقس رواية يوحنا المعمدان وكيفية موته لتحتل من (14:6) إلى (29:6).

وهكذا يعود ق. مرقس إلى المسيح والتلاميذ العائدين ليدخل في قصة إشباع الجموع التي تحتل مكاناً بارزاً جداً في كرازة المسيح، وتبدأ بعد ملاقاة المسيح وأمرهم بالركوب والذهاب عبر البحر، ولكن الجموع تلمحهم وتعرف قصدهم ويتبارون في المشي بل والجلوس حول البحيرة ليلاقوا المسيح والتلاميذ عند نزولهم على الشاطئ، بل ويسبقونهم إلى ذلك الموضع غير المذكور اسمه.

30:6و31 **«وَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ إِلَى يَسُوعَ وَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، كُلِّ مَا فَعَلُوا وَكُلِّ مَا عَلَّمُوا. فَقَالَ لَهُمْ: تَعَالُوا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلاً. لأَنَّ الْقَادِمِينَ وَالذَّاهِبِينَ كَانُوا كَثِيرِينَ، وَلَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلأَكْلِ»**.

الآية آية اتصال بين حديث الإرسالية وحديث الوصول للاثني عشر، ولكن الشيء الوحيد الجديد في رواية ق. مرقس في هذه الآية هو تحويل كلمة الاثني عشر إلى الرسل! وطبعاً لأنهم أخذوا نعمة الإرسالية، ولكنه لم يذكرها كخبر رسمي. ولم يسجِّل ق. مرقس أي حديث أو أي تقرير قدَّموه، بل عبر عليه كخبر. ولكن كفّ ق. مرقس عن إبلاغ تلاميذ يوحنا المعمدان للمسيح الذي سجَّله ق. متى، وكان رد فعل المسيح له أنه قال لهم تعالوا إلى مكان منفرد. ولكن تُعتبر هذه الآية من الأهمية بمكان بسبب إعطاء التلاميذ لقب رسل، على أساس أن المسيح وهبهم سلطاناً على الأرواح النجسة وأعطاهم نعمة التعليم والشفاء. وبهذا نكون قد

وصلنا إلى أول ومبتدأ مفهوم "الرسل" كرسل أرسلهم المسيح ليمثِّلوه ويعملوا باسمه. وأخيراً جداً أُكملت مواهبهم بالشهادة لقيامة المسيح من الأموات. وتعبير الرسل هنا تحدَّد بموعد موت المعمدان.

32:6 «فَمَضَوْا فِي السَّفِينَةِ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ مُنْفَرِدِينَ».

حدَّد معظم العلماء(18) الموضع الخلاء بالشمال الشرقي للبحيرة، ولكن يمكن أن يكون الجنوب الشرقي، على الرغم من أن نهر الأُردن يعترض الجموع الزاحفة حول البحيرة تجاه الشرق. فالعالِم دالمان يحكي أنه في شهر أكتوبر سنة 1921 زار المكان ورأى أنه من الممكن عبور الأُردن على الأرضية الجافة في بدء اتصاله بالبحيرة.

33:6و34 «فَرَآهُمُ الْجُمُوعُ مُنْطَلِقِينَ، وَعَرَفَهُ كَثِيرُونَ. فَتَرَاكَضُوا إِلَى هُنَاكَ مِنْ جَمِيعِ الْمُدُنِ مُشَاةً، وَسَبَقُوهُمْ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ. فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ رَأَى جَمْعاً كَثِيراً، فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا كَخِرَافٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا، فَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيراً».

يصف القديس مرقس هنا منظراً فريداً وعجيباً، فالمدن المحيطة بالبحيرة كثيرة ومتراصة، حينما رأوا جماعة تجري على الشاطئ متجهين شمالاً لحقت بهم مجموعات أخرى كثيرة من كل المدن، وقد خرجت تجري وتتجمع في نقطة تلاقي واحدة صوب السفينة الراسية على الشاطئ. فبمجرَّد خروج المسيح من السفينة رأى الجموع المحتشدة أكثر من خمسة آلاف رجل مع نساء وأطفال بلا عدد. فتأثر المسيح من منظرهم كخراف تجري من كل النواحي بلا راعٍ لها. وهكذا جاء وصف ق. مرقس لهذا المنظر المحتشد طبق الأصل من الواقع عن شاهد عيان ذي خيال خصب وتعبير واقعي أعطى الإنجيل هنا طابعاً صادقاً فريداً من نوعه.

وهكذا اندفع المسيح بعاطفة الحب كمعلِّم الأرواح، يبني نفوسهم بتعاليمه الواعية، والتي من صميم حياتهم. ومع أن المسيح كان مجهداً هو وتلاميذه إلاَّ أنه ظلَّ يعلِّمهم كثيراً إلى ساعات كثيرة!

ولولا أن الرب وهبنا الروح القدس الذي يعلِّمنا ويذكِّرنا بكل ما قال يسوع، لما احتملنا هذه الخسارة

(18) **J. Weiss, *op. cit.*, p. 205, Wellhausen, *op. cit.*, p. 47, Klostermann, p. 71, cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 319.**

إذ لم يكن أحد ليسجِّل كلمة كلمة. ولكن شكراً لله الذي أعطانا روح الحق الذي يعرِّفنا بكل الحق!!

35:6و36 «**وَبَعْدَ سَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: الْمَوْضِعُ خَلاَءٌ وَالْوَقْتُ مَضَى. اِصْرِفْهُمْ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الضِّيَاعِ وَالْقُرَى حَوَالَيْنَا وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ خُبْزاً، لأَنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ**».

كان المنظر فائق التصوُّر يُذيب النفس رقة وعطفاً وحناناً. جموع كثيرة تركت بيوتها وأعمالها وتسابقوا عَدْواً ليلاقوا يسوع. ورغم الجوع والوقت قد أزف ومالت الشمس للمغيب، فالجموع لا تريد أن تتزحزح. أي معلِّم هذا، بل أي قلب وأي روح وأي حب هذا. ولكن الذي سرق وقتهم بالكلام الحلو والمبادئ الجميلة المعزية والمشجِّعة على حياة الطهارة والتقوى كان يَعلَمُ تماماً كيف يطعمهم قبل أن يصرفهم. فلم يكن التلاميذ سبَّاقين في الرحمة؛ بل كانوا حائرين من العجز. ولمح المسيح هذه المفارقة فحاول تصحيح انتقادهم لتباطؤ المسيح بفهمٍ كاذب وبآن واحد عن فقر في المعرفة وعجز في العطاء، فبادرهم بالإحراج: «أعطوهم أنتم ليأكلوا» !

37:6 «**فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا**».

لم ينظروا إلى السماء، ولم يشعروا بعد بمخازن الله المملوءة خبزاً وطعاماً وخيرات بلا حصر. بل نظروا إلى جيوبهم فوجدوا النحاس الذي فيها لا يُشبع جائعاً، حسبوها فوجدوا أنه يلزمهم مِئَتا دينارٍ ذهبياً ليعطوا كل واحد كسرة لا تشبع ولا تغني عن الجوع. ودائماً حسابات الإنسان بالناقص.

إطعام الخمسة آلاف من خمس خبزات

[35:6–44]

(مت 15:14–21)

(لو 12:9–17)

إنها قصة إعجازية، مهداة للمسيحية كأقوى وأعمق عملية قام بها المسيح علناً وللقلوب البسيطة، وأعظم تعبير مكشوف عن سر الإفخارستيا، أي سر تقديم الشكر على الخبز، ولكن على مستوى سر جسد المسيح المكسور. أمَّا عديم العمق في الفكر والقلب فيرى فيها بركة على مستوى ملء البطن، ويتعمقها ذو العين المفتوحة فيرى فيها تلاحم الروح بالجسد تلاحماً أنشأ الوجود الجديد

من شبه العدم وكأنه خَلقٌ جديد. فهي كَسْرُ حدود المادة لتدخل في اللانهائية واللا محدود، ودخول الروح في المادة، لإقامة حياة. وبالنهاية هي عمل ذبيحة غير دموية قوامها الروح في خبز مكسور لائقة أن يقدم بها الشكر لله. وهي لائقة بالله فعلاً لأنها بالروح معمولة وقادرة أن تدخل إلى أبي الأرواح لتحكي عما وصل إليه الإنسان من القدرة الإلهية أن يصنع من خبزة على الأرض تقدمة فاخرة يدفعها الروح الذي فيها إلى أعلى السموات.

الإعجاز فيها غير منظور إلاَّ في حدود الفكر، كيف أن خمس خبزات تتوزع على خمسة آلاف، ثم يفيض اثنا عشر قفة مملوءة. هو إعجاز رقمي لا يرى الفكر له حلاً. كيف؟ والسؤال يموت على شفاه الأبلة دون حل ليس إلاَّ، أو أنها بركة الله وحسب. ولكن يرى فيها الرائي تدخُّلاً سافراً من الله ليكسر حدود الفكر والمنطق، فهنا ينفتح الوعي ويصرخ الصارخ إذن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان! بل بكلمة الله التي تُحيي والتي تجعل القليل كثيراً. وأن يفهم الفاهم في الحال أن اليد التي صنعت من الخمس خبزات ما يكفي خمسة آلاف وأشبعت الجموع كلها وفاض اثنتا عشرة قفة، هي حتماً يد واهب الروح والحياة الفائضة بلا حدود. فهذه تكون أول إشارة في تقرير مَنْ هو المسيح عن حسٍّ وأكلٍ وشبع وانفتاحٍ وإدراك.

هذا فهمته الجموع حسيًّا فأدركوا بالفكر الأقل أنه مسيًّا، ويتحتم أن يملك ليعطيهم هذا الخبز للشبع كل حين، فأمسكوه بالقوة ليملّكوه (يو 15:6) ولكنه اختفى من بين أيديهم وذهب ليصلّي، لماذا؟ لأنه لم يصنع وليمة الخبز المكسور لينتهي إلى أنه مسيًّا ”ملك“! بل إنه كَسَر خبزةً خبزةً وأعطى في كل كسرة من روحه وحياته، حتى إذا أكلوا الكسر أكلوا روحه وحياته ليتحدوا به فلا يصير مسيًّا مَلِكاً وحده بل يصير فيهم جميعاً مسيًّا الروح والحياة. فلمَّا بلغوا بإدراكهم الأقل أنه هو وحده مسيًّا ملك ـ لما أرادوا أن يمسكوه ويجعلوه ملكاً ـ تركهم لأنهم خيبوا آماله. ولما عبر المسيح البحيرة وجروا وراءه على الشاطئ حتى قابلوه على الشاطئ الآخر قرب بيت صيدا وبَّخهم على إدراكهم الأقل، وبَّخهم بشدة:

+ «الحق الحق أقول لكم: أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات (وفهمتموها)، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم ... فقال لهم يسوع: أنا هو **خبز الحياة!!** ... أنا هو خبز الحياة ... هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي النازل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم.» (يو 6: 26و35و48و50و51)

كان عمل التلاميذ الرسمي في هذه المعجزة هو تجليس الجموع صفوفاً صفوفاً، وجماعاتٍ جماعاتٍ على الحشيش الأخضر تماماً بشبه التفاف التلاميذ في العشاء الأخير على البساط حول المسيح، أو مثل صفوف الملائكة القديسين ألوف ألوف وربوات ربوات يقدِّمون الخدمة. أمَّا الحركات الإفخارستية من رفع الوجه إلى السماء والبركة والشكر والكسر والعطاء فمستوفاة، ثم التوزيع بنظام والأكل فهو قمة أعمال المسيح في الإفخارستيا حتى نهايتها. لقد عمل المسيح الإفخارستيا بسرها الإلهي مرتين، مرَّة للشعب الساذج فلم يفهموها، وسيان، غير أنه سلَّمهم سرّ روحه وجسده؛ ومرَّة لتلاميذه الأخصاء، وهنا اضطر أن يشرحها لهم لتظل إفخارستية لا للتلاميذ وحسب بل والعالم كله:

+ «وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسَّر، وأعطاهم وقال: خذوا كلوا، **هذا هو جسدي**. ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم، فشربوا منها كلهم. وقال لهم: **هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين**.» (مر 14: 22-24)

وهذا هو سر الخبز المكسور في معجزة الخمس خبزات، وفي سر الإفخارستيا، وعلى الصليب فوق الجلجثة. وقد استلمت الكنيسة السر وقدَّمته للشعب والعالم هكذا:

+ «أقول كما **للحكماء**: احكموا أنتم فيما أقول. كأس البركة التي نباركها، أليست هي **شركة** دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبزٌ واحدٌ، جسدٌ واحدٌ، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد.» (1كو 10: 15-17)

+ «لأنني تسلَّمت من الرب ما سلَّمتكم أيضاً: إن الرب يسوع في الليلةِ التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً وشكر فكسَّرَ، وقال: خُذوا كُلوا هذا هو جسدي المكسور **لأجلكم**. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشَّوا، قائلاً: هذه الكأسُ هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلَّما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيءَ.» (1كو 11: 23-26)

وكأن الكنيسة في العالم كله لازالت تغتذي من الخمس خبزات وتستقي من كأس العشاء والذكرى تدوم من يوم إلى يوم إلى أن يجيء!!

قارئي العزيز أتوسَّل إليك أن تقرن معجزة الخمس خبزات والعشاء الأخير وما تمَّ على الصليب معاً.

38:6 «**فَقَالَ لَهُمْ: كَمْ رَغِيفاً عِنْدَكُمْ؟ اذْهَبُوا وَانْظُرُوا. وَلَمَّا عَلِمُوا قَالُوا: خَمْسَةٌ وَسَمَكَتَانِ**».

هنا ملاحظة هامة في معجزة الخمس خبزات، فالمسيح لم يحدِّد رقم خمسة، فلو كان ثلاثة أو واحد لكان بدأ بعمل المعجزة، فالتحديد هنا جاء تحصيل حاصل. فلم يكن عندهم بعدما فتَّشوا غير هذا العدد وربما جمعوه من مخلاة صبي أو مخلتين. ولكن إنجيل ق. يوحنا يقول: إنه صبي واحد صغير دسَّت له أُمه في مخلاته قبل أن يخرج من البيت هذه الخبزات مع سمكتين. فالأم الطيبة في حنانها على ولدها حدَّدت الرقم للمعجزة. فالخمسة أرغفة والسمكتان هما إفراز حنان أموي تقابل مع حنان أبوي من المسيح ليعطي غذاءً سرياً للعالم. ولكن يقيناً أن الأُم لما دسَّت لابنها الخمسة أرغفة كانت قد عملت حسابها أن يشاركه فيها صغير جائع مثله. فهكذا يبدو أن فيض حنان الأُم لما تقابل مع فيض حنان المسيح صنع اثنتي عشرة قفة فاضت عن الخمسة آلاف. آه لو فاض حنان كل أُم وحنان كل أب على غير أولادهم لفاض من العالم كله ما يكفي اثنتي عشرة سنة أو قرناً!! لأن حنان الله إنما يعمل من خلال حنان الناس على الآخرين.

39:6و40 «**فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا الْجَمِيعَ يَتَّكِئُونَ رِفَاقاً رِفَاقاً عَلَى الْعُشْبِ الأَخْضَرِ. فَاتَّكَأُوا صُفُوفاً صُفُوفاً: مِئَةً مِئَةً وَخَمْسِينَ خَمْسِينَ**».

أمَّا التنظيم في جماعات فهو ليجمع الرجال والنساء والأولاد بحسب هويتهم لكل مدينة، وأمَّا الصفوف فهي ليسهل التوزيع بأسرع ما يمكن دون إغفال أحد في الخدمة. وهو ما تؤكِّد عليه الكنيسة أثناء التناول. وليسهِّل جمع الفضلات ولتسهل مباركتهم وانصرافهم أيضاً. وهذا المنظر بحد ذاته يوحي إلينا بنظيره في السماء، ولكن تزيد الأرقام لتبلغ حدَّها غير المعقول: «كنت أرى أنه وُضِعَت عروش وجلس قديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة. نهر نار جرى، وخرج من قدَّامه **ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدَّامه**» (دا 7: 9و10). وهي التي أخذتها الكنيسة ووصفتها في جسم الإفخارستيا.

41:6 «**فَأَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ** (إلى فوق) **نَحْوَ السَّمَاءِ، وَبَارَكَ ثُمَّ كَسَّرَ الأَرْغِفَةَ، وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا إِلَيْهِمْ، وَقَسَّمَ السَّمَكَتَيْنِ لِلْجَمِيعِ**».

يُلاحِظ القارئ أن المسيح أخذ على يديه الأرغفة الخمسة والسمكتين وكأنها مادة الإفخارستيا بمحدوديتها، وأجرى عليها الأفعال الرسمية في طقس الإفخارستيا: رفع نظره إلى السماء، وبارك،

وكسَّر، وأعطى. علماً بأن كلمة ‘‘بارك’’ في المفهوم العبري هي بعينها ‘‘شكر’’ في المفهوم اليوناني.

أمَّا كونه ينظر إلى السماء فهذا صلاة، وهو طقس رسمي.

يأتي باللاتينية: et elevatis oculis in coelum

ويأتي باليونانية: ¢nablšyaj e„j tÕn oÙranÕn

ويأتي بالقبطية: ⲁϥϫⲟⲩϣⲧ ⲉ̀ⲡϣⲱⲓ ⲉ̀ⲧⲫⲉ

«**وبارك**»: eÙlÒghsen

وهي بعينها أعطى الشكر لله، أو شَكَرَ، وأصلها في العبرية: [مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك العالم، الذي يخرج الخبز من الأرض]. ومعها يأتي في القداس: «وشكر» باليونانية: eÙcarist»saj.

«**ثم كسَّر** katšklasen **الأرغفة**»:

«**وأعطى** ™d…dou **تلاميذه ليقدِّموا إليهم**»:

ولكي يتأكَّد القارئ من ارتباط معجزة الخمس خبزات والخمسة آلاف بسر الإفخارستيا، يجد في إنجيل ق. يوحنا أن المسيح بعدما صنع معجزة الخمس خبزات (يو 6: 14و15)، والسير على الماء (يو 6: 16ـ21)، يبدأ المسيح يتكلَّم مطوَّلاً عن الإفخارستيا ومفهوم كسر الجسد (يو 6: 22ـ71). ويزداد الطقس وضوحاً لأن الزمن الذي صنع المسيح فيه هذه المعجزة هو قبيل الفصح بقليل، وكأنما أراد أن يطعمهم جسده بيديه علناً وجهاراً قبل أن يأكلوه بالسر على المائدة.

ويرى بعض العلماء أن ق. مرقس هو الذي أعطى هذا التماثل في الأفعال مع طقس الإفخارستيا، ولكن الحقيقة أن ق. مرقس قد سجَّل ما قاله المسيح، وما قاله المسيح هو الطقس الذي رتَّبه المسيح للبركة على الأكل عموماً، وانطبق بالتالي على الإفخارستيا من واقع الحال، فصار تقليداً كنسياً كما هو الآن. ونحن المسئولون فعلاً عن إعطاء هذه الأفعال روح الورع والمخافة والتقديس لأننا أُميون أصلاً، أما في الطقوس اليهودية فكان كل طقس عموماً ـ وبينها طقس الأكل ـ هو عملية إلهية يحضرها الله ويباركها، وهذا هو المفهوم قديماً وحديثاً من قول الوحي: «أمَّا أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أُمة مقدَّسة شعب اقتناء (إكليروس)» (1بط 9:2). **والقديس بطرس هنا يخاطب الكنيسة المسيحية،** فإن كانت هذه الألقاب أُعطيت سابقاً لشعب إسرائيل كامتياز، فقد انتقلت إلينا جميعها كما هي كحق: «لكي تُخبِروا بفضائل الذي دعاكم مِنَ الظلمةِ إلى نورهِ العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً، وأمَّا الآن فأنتم شعبُ الله. الذين كنتم غير مرحومين، وأمَّا الآن فمرحومون.» (1بط 2: 9و10)

وليتمعَّن القارئ الكلام ويفهم الذي حدث: فاليهود كشعب إسرائيل كانوا شعباً يملكه الله ويعيش لله ويعمل في الحقل والبيت والهيكل لله، كله سيان. فأكله خدمة مقدَّسة، وعمله خدمة مقدَّسة، وراحته خدمة مقدَّسة (السبت) وهو مدعو سبت الله، فكان لا يمكن لرب الأسرة أن يبدأ الأكل إلاَّ بحضور الأسرة ثم تلاوة البركات الخاصة بالله على الأكل ويرددونها جميعاً. فالكل يأكل طعام البركة مصلًّى عليه أمام الله وفي حضرته. ولكن للأسف الشديد أننا لم نستلم أصول التقليد للشعب المقدَّس، ولا عوايد الشعب المقدَّس، ولا قوانين صلوات البركات الثماني عشرة؛ بل تحررنا نهائياً وكلياً من كل التزام(19) طقسي شعبي جماعي، ولم يبق لنا صلاة جماعية إلاَّ صلاة القداس، وذابت صلوات الأسرة وعوايدها التي كانت تربط الأسرة معاً وبالله. وطبعاً لا نقصد: لا تذق، ولا تجس ولا تمس وغسل أواني وأباريق وأَسرَّة، بل صلوات الجماعة وصلوات الأُسرة اليومية وفي كل المناسبات.

من هنا ظهرت الإفخارستيا كالصلاة الوحيدة التي تنجمع عليها الجماعة للأكل أمام الله وفي حضرته، حيث يكسر المسيح الجسد (القربانة) بيده ويعطي كل متناول جوهرةً في فمه من فوق يد الكاهن كرب الأسرة الإنسانية جمعاء، ويمسك الكأس بيده ويسقي متَّقيه بنفسه. هذا هو السر في طقس الإفخارستيا. ولكن حتى هذا المعنى وهذه الحقيقة اندثرت هي الأخرى، وغاب مفهوم حضور المسيح في الإفخارستيا كوضعه السري الأول.

42:6-44 «فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوَّةً، وَمِنَ السَّمَكِ. وَكَانَ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الأَرْغِفَةِ نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ».

«فأكل الجميع œfagon وشبعوا cort£sqhsan™»:

يا لها من واقعة فريدة على أرض شقاء الإنسان، إنها عودة البشرية إلى جنة عدن في حضرة فاديها الذي خلَّصها من الخطية والموت واللعنة. لقد أراد المسيح أن يعود بالمتعبين الذين تبعوه ليذيقهم يوماً من أيام الفردوس في حضرة ابن الإنسان، فأطعمهم من خبز الراحة فأكلوا حتى شبعوا أي امتلأوا. لقد زال شقاء الإنسان، لقد هزأ المسيح بالحرث والزرع والمبيدات والآفات والحصَّادات، فرغيف يكفي ألفاً، ويقيناً لو كانوا خمسين ألف لكان كفَّاهم الخمسة الأرغفة

(19) وحتى ما قرره الرسل من تعاليم وواجبات وتوصيات جماعية وفردية سواء في تعاليم الرسل أو كتاب الديداخي أُهمل كله واندثر! مَنْ المسئول؟؟ مع أنه كان يمثل أيديولوجية الأُمة وله مهابة الإنجيل نفسه، وكانت الكنيسة تُحفِّظهُ للمعمَّدين وتسمِّعه عليهم وتعاقبهم على أي تهاون!!

والسمكتان. هذا اليوم الفريد من عمر الإنسان هو في الحقيقة عربون السعادة المعدَّة وصورة النقلة السعيدة إلى عالم الراحة ولو بالشبه والمثال. إن المسيح في هذا اليوم أعطى أعظم صورة اسخاتولوجية لوليمة المسيَّا الآتي وللبشرية في يومها السعيد القادم. إنه في نظرة واحدة للعالم الآن يتبيَّن بلا أي مبالغة أن هذا الشقاء والعذاب والحروب والخصومات تدور كلها حول لقمة العيش وكيف يشبع الإنسان. وهكذا في يوم من أيام شقاء الإنسان خلع المسيح عن الإنسان شقاءه وأطعمه خبز الراحة والبركة والسعادة. ولهذا جنَّ جنون هذا الشعب بعد أن ذاقوا طعم خبز الراحة والبركة وشبعوا فأقسموا أن يمسكوه بالقوة ليجعلوه ملكاً (يو 6: 14و15). لقد استعجلوا الزمن وأرادوا في غمرة الفرح أن يجحدوا العالم الحاضر وشقاءه. ولكن الملك اختفى من وسطهم فجأة ليعودوا إلى خبز الشقاء، إلى أن تنفتح أعينهم ويذوقوا خبز السماء الذي أرسله الله فيأكلوا منه ولا يموتوا؛ بل يدوسون الموت ليحيوا إلى الأبد.

ولشرح هذه الآيات (6: 43و44) ارجع إلى شرح الآية (38:6).

36 عبور البحيرة إلى بيت صيدا

المسيح الماشي على المياه

[52-45:6]

(مت 22:14-33)

(يو 15:6-21)

قصة إعجازية تتخلل الوعظ والتعليم، وهي مرتبطة ارتباطاً شديداً بمعجزة إشباع الجموع خاصة في إنجيليْ ق. مرقس وق. يوحنا. فالارتباط في الرواية موجود، والتعاقب بين معجزتي "كسر الخبز" و «السير على المياه» يجعل الرابطة حتمية، فهو تعاقب القيامة بعد الإفخارستيا، لأن السائر على المياه قد فك ارتباطه بالأرض وجاذبيتها، وليس لها معنى أو تدليل غير ذلك. فكسر الخبز هو بعينه الصليب حيث كسر الجسد، والسير على المياه هو بالتأكيد قيامة. لذلك تُحسب قصة عبور البحيرة إلى بيت صيدا وظهور المسيح سائراً على المياه قصة منفردة قائمة بذاتها؛ بل هي تكميل معجزة كسر الخبز بمعجزة القيامة. فكل منهما رؤية داخلية لفعل منظور التحما معاً ليشرحا معاً كبرى عقائد المسيحية: الموت والقيامة، لأعظم سرّين: التجسُّد

والفداء. وهذا هو أسلوب الله العجيب في تعليم الإنسان، فقد علَّم الشعب اليهودي قديماً لاهوت الفداء مشروحاً شرحاً عملياً مبسطاً في الذبائح. ففي ذبيحة المحرقة كان يقدَّم ثور بقر صحيح عن خطايا كل الشعب، وكان يقدِّمه رئيس الكهنة بأن يوقف الثور ويضع الشعب كله أيديهم عليه معترفين بخطاياهم، ويذبحه رئيس الكهنة، ثم يأخذ دمه ليقِّدمه على المذبح، أما جسمه فكان يُخرج خارج المحلة ويُحرق كله بالنار دون تقسيمه، أي بكل أجزائه، ثم يأخذ رئيس الكهنة من الدم ويدخل إلى قدس الأقداس ـ حيث يتراءى الله فوق تابوت العهد ـ وينضح على غطاء التابوت أمام الله.

والآن، وبعد أن أكمل الله ذبيحة المسيح خارج المحلة، ودمه دخل أمام الله حاملاً خطايا كل العالم، ومات على الصليب مكفِّراً عن خطايا العالم كله، أصبح طقس العهد القديم صورة أو مثالاً توضيحياً للكفارة بدقائقها.

وهكذا في العهد الجديد بالنسبة للشعب عينه ـ أي شعب إسرائيل ـ حوَّل المسيح التعليم بالذبائح إلى تعليم بالأمثال والقصص. وكما لم يفهم شعب إسرائيل معنى الذبائح إلاَّ الأخصاء المختارون العائشون بالروح على رجاء الخلاص، هكذا لم يفهم من نفس الشعب معنى الأمثال إلاَّ مفتوحو العين والقلب والأذن:

+ «قد أُعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله. وأمَّا الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كلُّ شيء.» (مر 11:4)

وهكذا إن كان التعليم بالذبائح قديماً، أو جديداً بالأمثال والأعمال والقصص العملية، كان فيها الله والمسيح يشرح كل سبل خلاص الإنسان، فالمعجزات صارت شديدة الوضوح على ضوء ما تمَّ من أسرار الخلاص. والأمر لم يعد يحتاج إلاَّ إلى أذن مفتوحة وعين واعية وقلب فهيم ليفهم السر في هذه القصص ويحفظه ويحيا به. فمثلاً:

1 ـ ظهور المسيح للتلاميذ ماشياً على المياه في الهزيع الرابع آخر ظلام الليل، فهو نفس ميعاد ظهوره للنسوة ومريم بعد القيامة عند الفجر والظلام باقٍ!!

2 ـ كذلك قول البعض إنه أراد أن يتجاوزهم وهو سائر على الماء، الأمر الذي حيَّر العلماء جميعاً لأنهم رأوا ذلك يتنافى مع الإنقاذ المطلوب ومع تقوية إيمانهم، ولكن الحقيقة تظهر في الوضع المماثل تماماً في مسيرة تلميذي عمواس: «ثم اقتربوا إلى القرية التي كانا منطلقين إليها، **وهو تظاهر كأنه منطلق إلى مكان أبعد**. فألزماهُ قائلين:

امكث معنا ...» (لو 24: 28و29). فمع أنه كان مصمِّماً أن يدخل بيتهما ويكشف سرَّه لهما ويقوِّي إيمانهما إلاَّ أنه تظاهر أنه يريد أن يتجاوزهما الأمر الذي زاد من وعيهما وشدَّد إيمانهما أن يُلزماه. وتعليق تلميذي عمواس على ذلك: «فقال بعضهما لبعض: ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلِّمنا في الطريق؟» (لو 24:32)

3 ـ كذلك عندما رأوا المسيح ماشياً على الماء مقترباً إليهم **فقالوا إنه خيال**، هذا أيضاً حدث وطبق الأصل في رواية القيامة من الأموات: «وفيما هم يتكلَّمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم، فجزعوا وخافوا وظنوا **أنهم نظروا روحاً**.» (لو 24: 36و37)

كل هذه العوامل المشتركة توضّح أن المشي على الماء جاء بعد كسر الخبز ليعطي معنى القيامة بعد معنى الموت في المعجزتين.

تكميل:

هنا آية سقطت من تقليد ق. مرقس وهي آية محورية تقوم عليها القصة لأهميتها وهي:

+ «**فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم. وأمَّا يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده.**» (يو 6: 14و15)

45:6 «**وَلِلْوَقْتِ أَلْزَمَ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوا إِلَى الْعَبْرِ، إِلَى بَيْتِ صَيْدَا، حَتَّى يَكُونَ قَدْ صَرَفَ الْجَمْعَ**».

«**وللوقت ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويَسبقوا إلى العبر**»:

أمر خطير للغاية، فهنا ولأول مرَّة تصير لغة المسيح جافة وذات اتجاه حاد في الأمر بالإلزام السريع وفي الحال، لماذا؟ الحقيقة واضحة لذي العين المفتوحة، فالتلاميذ أرادوا أن ينضموا إلى الجمهور المتظاهر الذي أراد أن يمسك المسيح ويسير به في مظاهرة لكي يملِّكه بالقوة. فالتلاميذ المتأثرون من عجيبة الخمس خبزات رأوا أن رأي الجمهور حق. وهنا اضطرب الموقف فاضّطّر المسيح أن يستخدم سلطانه، فأسرع وفصلهم عن الشعب وألزمهم في الحال بالدخول إلى داخل السفينة والإقلاع في الحال؛ بل وعيَّن لهم «**بيت صيدا**»[20] المكان الذي يتجهون إليه لكي لا يكون هناك

(20) بيت صيدا: يقول العلماء إنها المسماة بيت صيدا يولياس وهي على فم نهر الأُردن، والتي أعاد بناءها هيرودس فيليب وأسماها يولياس على اسم بنت أغسطس قيصر (**Joseph. *Ant.* xviii 2.1.**).

مماحكة. هذا لكي يستطيع بسلطانه أن يصرف الشعب الهائج بقوته الذاتية.

والذي يبرهن على صدق هذا ويؤكِّده قول ق. مرقس من عنده ـ والذي كان فاهماً هذه الحركة الخطيرة تماماً ـ هكذا: «**لأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة!!**» (مر 52:6). هذا التعقيب من ق. مرقس تشنيع سافر بجهالة التلاميذ الذين أرادوا أن يسندوا ثورة الخمسة آلاف بثقلهم لتنصيب المسيح ملكاً بالقوة.

يا للحزن! فقد فات على التلاميذ أنه عندما كان المسيح يكسر الخمس خبزات كان يكسر جسده بالسر ويوزِّعه على الآكلين، ولكن كان قلبهم كقلب الشعب الذي أكل وشبع وقال ليس بعد هذا كلام، إنه لابد أن يكون ملكاً ليشبعنا من خبز الراحة.

من هذا يتضح للقارئ أن المسيح بقي "وحده" اضطراراً، ولكي يلحق بالسفينة سار على الماء إذ علم بالروح أنهم معذبون في التجديف، والسفينة تكاد تكون واقفة محلها، لأن الريح كانت معاكسة.

46:6 «**وَبَعْدَمَا وَدَّعَهُمْ مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ**».

ودَّعهم هنا لا تحتمل أنه يقصد التلاميذ وإنما الشعب، إذ بعد أن صرفهم مودِّعاً صعد إلى الجبل ليصلِّي. وفعلاً بعد إحراج الموقف الأخير، كان من المعقول أن يذهب إلى الجبل ليصلِّي. فلم يكن الصراع مع الخمسة آلاف والتلاميذ فحسب بل ومع الشيطان، الذي تدخَّل بالضرورة وحسَّنَ للشعب والتلاميذ الخضوع له، فهي فرصة مواتية للإعلان أنه المسيَّا الملك!

47:6و48 «**وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَتِ السَّفِينَةُ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ، وَهُوَ عَلَى الْبَرِّ وَحْدَهُ. وَرَآهُمْ مُعَذَّبِينَ فِي الْجَذْفِ، لأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ ضِدَّهُمْ. وَنَحْوَ الْهَزِيعِ الرَّابعِ مَنَ اللَّيْلِ أَتَاهُمْ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُمْ**».

لكي تصير السفينة في وسط البحر عند المساء، يتحتَّم أن يكونوا قد بدأوا في الإقلاع والنور باق. حيث كان المسيح على البر وحده، والمسيح كان على أعلى الجبل، والجبل هناك يبلغ في ارتفاعه العلو الذي يكفي لأن يكشف حتى نصف البحيرة. وطبعاً فوق الرؤية البصرية هناك رؤية فوقانية تراهم، وتراهم وهم معذبون من التجديف المستمر بلا طائل، والسفينة واقفة لأن الريح مضادة تقذف بالمركب نحو الشاطئ راجعة بظهرها. فالمركب كانت متجهة إلى الغرب

والريح قادمة من الغرب فكانت أقوى من تجديفهم. (وقام العلاَّمة دالمان(21) برحلة هناك، وهبت عليه عاصفة عنيدة، فبعد أن أقلع من كفرناحوم ردَّته الريح مرَّة أخرى إلى كفرناحوم). ونحو الهزيع الرابع، وهو بحسب التقسيم الروماني لمراحل الليل، الذي يساوي في تقديرنا الساعة الثالثة صباحاً أي قبل بزوغ النور بمدَّة، «أتاهم ماشياً على البحر» ولأيوب نشيد تمجيد لله يصلح هنا:

+ «الباسط السموات وحده والماشي على أعالي البحار.» (أي 8:9)

«**وأراد أن يتجاوزهم**»:

لما رأى المسيح أنهم غير متصورين أو غير مؤمنين أنه هو المسيح إذ ظنوّه خيالاً، مرّ بجوارهم وأراد أن يتخطَّاهم ليوقظ مشاعرهم وإيمانهم. وفي نفس الوقت يسخر من ضعف رؤيتهم له لأنه كان واضحاً أمامهم. تماماً كما حدث مع تلميذي عمواس إذ بعدما وبَّخهما على عدم إيمانهما وهم سائرين في الطريق معاً، وابتدأ يشرح لهما من الكتب والمزامير والأنبياء عن أن المسيح يتحتَّم أن يموت ويقوم، وبعد هذا كله لم يعرفاه فأراد أن يتخطَّاهما لما قربت قريتهما التي كانا ذاهبَيْن إليها ـ مما جعلهما يمسكان فيه. وهذه الحادثة هي في صميم القيامة، فالرب كان يكلِّمهما وهو في حالة قيامة. لذلك فإن هذه اللمحة في كون المسيح **السائر على الماء** متحدّياً جاذبية الأرض أراد أن يتجاوزهم ويمضي هي في الحقيقة حالة قيامة. ولأنه كان لا يزال بالجسد نقول: إنها كانت حالة تجلٍّ، فالجسد لم يكن خاضعاً لجاذبية الأرض.

ومن هذا يجزم بعض الآباء القديسين ومعهم بعض العلماء أنها كانت حالة قيامة. ونحن نرى في ذلك رباطاً قوياً بمعجزة الخمس خبزات أنها كانت حالة موت وتقسيم جسد وإشباع الجموع من سر إفخارستيته الحاضرة في كل حين. فمن موت إلى قيامة.

49:6 «**فَلَمَّا رَأَوْهُ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ ظَنُّوهُ خَيَالاً، فَصَرَخُوا**».

«**خيالاً**»: f£ntasma ومنها جاءت الكلمة الإنجليزية phantom(22) أي شبح.

كان يلزم أن تأتي هذه الآية قبل الآية السابقة، لأن المسيح لما وجدهم غير قادرين أن يتحققوا شخصه لعدم إيمانهم وانغلاق أعينهم أراد أن يتجاوزهم توبيخاً لحالهم، حتى وإن كان

(21) **G. Dalman, *Sacred Sites and Ways*, Eng. Tr. London, 1935, p. 175 f.**
(22) ومنها أخذ الأمريكان الاسم ووضعوه على طائرتهم المشهورة الفانتوم.

الظلام قد حال دون الرؤية العينية الواضحة. ولكن أين نور الإيمان، أين المجال الإلهي الذي كان يسبقه والذي كانوا يعيشون فيه.

وألا ترى معي عزيزي القارئ أن هذا هو الذي حدث في قيامة المسيح تماماً: «وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً، والظلام باقٍ ... ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفاً، **ولم تعلم أنه يسوع** ...» (يو 20: 1و14). فقول التلاميذ إنهم ظنوه خيالاً كان أيضاً كما حدث عند ظهوره بعد القيامة: «ولما رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم **شكُّوا**» (مت 28:17)، «وفيما هم يتكلَّمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: سلام لكم! فجزعوا **وخافوا**، وظنوا أنهم **نظروا روحاً**. فقال لهم: ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ انظروا يديَّ ورجليَّ: إني أنا هو. جسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي.» (لو 24: 36-40). واضح أن المسيح كان يسير على الماء وهو في حالة تجلٍّ، أي بجسد غير خاضع للطبيعة. فقولهم إنهم ظنوه خيالاً هو برهان لصدق حالة المسيح الفائقة للطبيعة كتصوير واقعي للقيامة!

50:6 «**لأَنَّ الْجَمِيعَ رَأَوْهُ وَاضْطَرَبُوا. فَلِلْوَقْتِ كَلَّمَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: ثِقُوا. أَنَا هُوَ. لاَ تَخَافُوا**».

واضح هنا أن المسيح كان يدرك وضعه الفائق في منظره وفي مشيه فوق المياه، فتكلَّم في الحال ليسمعوا صوته ويتعرَّفوا عليه، ثم هدّأ من روعهم بقوله اصطلاحه الإلهي الخاص به وحده: «أنا هو» فهي العلامة على مَنْ هو التي لا تخطيء عند سماعها. وفي قوله: «لا تخافوا» طرحها كأمر إلهي فشملهم هدوء وطمأنينة. كان لابد أن يُدخلهم في هذا الاختبار ليعرفوا ويتيقنوا عن قرب أنه لا يصلح أن يكون ملكاً بل إلهاً!!

يا إخوة إن تعليم المسيح وتعريفه بذاته ليس هيِّناً أو سهلاً، وقصصه وأمثاله وتعبيراته وتلميحاته تحمل تعبيرات إلهية ناطقة أنه هو «يسوع المسيح ابن الله»

51:6و52 «**فَصَعِدَ إِلَيْهِمْ إِلَى السَّفِينَةِ فَسَكَنَتِ الرِّيحُ، فَبُهِتُوا وَتَعَجَّبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ جِدًّا إِلَى الْغَايَةِ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا بِالأَرْغِفَةِ إِذْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ غَلِيظَةً**».

التركيز هنا واقع على التلاميذ، فالسير على الماء هو مصوَّب إلى شخصه ليدركوا «**أنا هو**»! وإخماد العاصفة وتحولها إلى سكون كامل أحدث صدمة في تفكير التلاميذ.

وكان الانفعال الذي أصاب التلاميذ إثر سكون الريح بمجرَّد دخول المسيح المركب، ومن الكيفية التي وصل بها المسيح من الشاطئ إلى السفينة سائراً على الماء، بلغ هذا الانفعال حد الصمت والذهول. ويبدو أن نظرة التلاميذ للمسيح حتى حادثة المشي على الماء كانت لا تتعدَّى نظرة الذين أكلوا وشبعوا من الخمس خبزات، والتي وضعها ق. مرقس من عنده بأنها كانت حالة ‘‘غلظة قلب’’، أي عدم إدراك روحي خالص، بل توقف إلى حد الإعجاب فقط. وكما قلنا إن التلاميذ كانوا قد انضموا للخمسة آلاف في الرأي لكي يملِّكوا المسيح بالقوة كمسيًّا الملك الذي اكتشفوه في أكل الخبز، لولا أن المسيح استخدم سلطانه وألزمهم بالأمر القاطع أن يتركوا الشعب للمسيح لكي يصرفه بهدوء، ويبحروا هم بالسفينة إلى بيت صيدا يولياس.

وقول ق. مرقس إنهم «لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة» تعتبر سقطة في تفكير التلاميذ عن مَنْ هو المسيح، إذ إنها لم تتعدَّ صلاحية أن يكون ملكاً على إسرائيل يؤتي خبز الراحة كالمن الذي نزل من السماء، يجمعونه ويأكلونه وهم نائمون بلا تعب ولا نصب. هذا هو الذي جعل المسيح يعلن لهم بتجلِّيه على وجه المياه من هو، إذ قال لهم بصريح اللفظ: «**أنا هو**»، لكي يدركوا أنه ليس ملكاً هو، بل يهوه!

ولا ننسى ضيق ق. مرقس نفسه من سلوك التلاميذ إذ سمَّاها: ‘‘غلظة قلب kard…a [1] pepwrwmšnh’’ وتعني: ‘‘بلا حساسية unsensible’’، و‘‘عمى blindness’’. والعجيب أن المسيح نفسه كرَّرها لهم عندما لم يفهموا قوله: «تحرَّزوا من خمير الفريسيين» فحسبوه أنه يقول خذوا معكم خبزاً، فقال لهم: «ألا تشعرون بعد ولا تفهمون؟ أحتى الآن **قلوبكم غليظة؟** ألكم أعين **ولا تبصرون**، ولكم آذان **ولا تسمعون، ولا تذكرون؟**» (مر 8: 17و18)

لقد خذل التلاميذ معلِّمهم حينما استقر رأيهم مع رأي الشعب أن المسيح يَصْلُح ملكاً. ولينتبه القارئ أن المسيح نفسه طلب بعد ذلك بصريح السؤال: ماذا يقول الناس عني؟ وأنتم مَنْ تقولون؟ وأنهم بلسان ق. بطرس قالوا أنت هو المسيح ابن الله الحي! فها هوذا الذي يطلبونه أن يكون ملكاً! كذلك لينتبه القارئ أن ق. مرقس اشترك في التعبير عن ضيقه من تصرفهم هذا لأنه كتب إنجيله كله على أساس أن "**يسوع المسيح هو ابن الله الحي**".

ونحن في الحقيقة لا يمكننا أن نعبر على قصة اضطراب السفينة بالرياح المضادة ومعرفة المسيح بالروح للحال الذي أصبح التلاميذ فيه يجدفون بلا جدوى، دون أن يداعبنا رجاءٌ خفي، ولكنه واثق وجازم: أنه الآن وهو على الشاطئ الآخر ينظر إلى كنيسته في وسط العالم،

وهي تقاوم التيارات المضادة الشديدة الواقعة على هذا الجيل الرهيف الذي لم يعتَد الكفاح الروحي ولا وقفات الصلاة. الكنيسة مجهدة من التجديف دون تقدُّم، والتيار يأخذها قليلاً قليلاً إلى خلف. الكنيسة مسروقة من تيار تحتي لا يظهر على السطح يحملها على غير هدى، ويسائلها الشعب: إلى أين نحن سائرون؟ لابد من تحديد هدف نسعى إليه، نحسب حسابه وننظم خطواتنا لنوقعها على السنين والشهور! والكنيسة لا تسأل نفسها ولا تسمح أن يسائلها أحد، فلا يوجد هدف ولا توجد خطة لمواجهة الصعاب الموجودة والآتية، ولا تدبير لتوعية الشعب وتعليمه إيمانه وتراثه الذي يعيش به. فالأسر تفككت عن بعضها، وأعضاء الأسرة الواحدة لا يربطهم تعليم روحي مشترك ولا يجمعهم أحد للصلاة، ولا توجد مبادئ أو عقيدة روحية أو أخلاقية أو سلوكية تمسك بروح الأسرة وبالتالي تقود الشعب، حتى فقد الشعب هويته القبطية الأصيلة. نعم فنحن في سفينة تلاطمها الأمواج ويدفعها التيار إلى خلف. أما يهمُّك يا رب أننا نغرق ببطءٍ!

37 في أرض جنيسّارت

[56-53:6] (مت 14:34-36)

واضح الاتصال الطبيعي بين قصة السير على الماء، وقصة جنيسارت وشعبها. وواضح أيضاً في كل من إنجيل ق. مرقس: (6: 30-56 الخمس خبزات والسمكتين)، (8: 1-10 إشباع الأربعة آلاف)، وإنجيل ق. يوحنا: (6: 1-25 وهو الخاص بإشباع الجموع من خمس خبزات وسمكتين) أنهما يكوِّنان سلسلة متماسكة من التقليد المبكِّر جداً احتفظت به الكنيسة وتداولته بدقائقه لما له من قوة فائقة لتأكيد شخصية ابن الله. على أنه لا يوجد تعليم محدد مذكور هنا، ولكن رحلات سريعة حول البحيرة من شرق إلى غرب إلى جنوب. والرواية هنا تحمل طابع خدمته في الجليل بصورها الزاهية، والأهالي يحملون مرضاهم على الطرائح الخشبية ويستقبلونه بالحفاوة ويودعونه بالتهليل حتى أطراف مدنهم وقراهم. وهنا في سهل جنيسارت، والاسم مأخوذ من اسم البحيرة، وجنيسارت بالأرامية تعني ''جنَّة السرور''. ولم يستطع المسيح في كل هذا الترحال أن يجد يوماً للراحة، فاختلطت رحلاته بساعات قليلة انتهزها وحيداً في السفينة في

عبورها من شاطئ لشاطئ، لذلك كانت رحلاته البحرية كثيرة ولغرض الراحة.

53:6 «فَلَمَّا عَبَرُوا جَاءُوا إِلَى أَرْضِ جَنِّيسَارَتَ وَأَرْسَوْا».

هنا أثر التيارات العنيفة، إذ جرفت السفينة من اتجاهها نحو بيت صيدا لتنحرف نحو الجنوب، فترسو في ميناء في أرض جنيسارت على غير رغبة المسيح. وسهل جنيسارت سهل خصيب أخضر، يبلغ طوله نحو ثلاثة أميال، وعرضه ميلاً أو أكثر، وهو يقع جنوب كفرناحوم بتحقيق يوسيفوس المؤرخ اليهودي(23).

54:6و55 «وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ عَرَفُوهُ. فَطَافُوا جَمِيعَ تِلْكَ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ، وَابْتَدَأُوا يَحْمِلُونَ الْمَرْضَى عَلَى أَسِرَّةٍ إِلَى حَيْثُ سَمِعُوا أَنَّهُ هُنَاكَ».

كيف عرفوه؟ أمِنْ طلعته البهية أم من ثيابه البيضاء وطوله الفارع، لا نعلم ولكن لا بد أن المسيح كانت له أوصاف ومميزات جعلت الناس يعرفونه من على بُعد، ثم يجرون وراءه جرياً لعلَّهم ينظرون طلعته.

بنات صهيون خبِّرنـي هل	∴	رأيتُنَّ نجم إسرائيل؟
هل بين الخيام كان ورحل؟	∴	وأين إليه السبيل؟
راعيَّ العزيز نفسي تتبعك	∴	ما أعذب صوتك لي
دربِّني أرشدني أنت الكل لي	∴	يا نفسي له هللي
في ظل حبيبي اشتهيت الجلوس	∴	وإليه حنَّ الفؤاد
مريح التعابى. معزِّي النفوس	∴	ويرثى لضعف العباد

كل هذا انطبق على عيون ومخيلة وقلوب الذين تبعوه وبايعوه ونقلوه ليسجِّله الإنجيلي ليبقى إلى الأبد، وفي كل هذا المسير كان يبحث عبثاً عن مكان يستريح فيه وهو مريح التعابى!

والعجيب من شعب الريف هذا أنهم تطوَّعوا وجابوا جميع النجوع والقرى يذيعون خبر مجيء المسيح، حتى كل مَنْ كان له مريض يحمله ويسرع به، حتى إنه لم يجد فرصة واحدة للتعليم!! إذ لا نسمع هنا عن أي تعليم للمسيح.

(23) **Joseph. *BJ*, iii, 10.8.**

56:6 «وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قُرىً أَوْ مدُنٍ أَوْ ضِيَاعٍ، وَضَعُوا الْمَرْضَى فِي الأَسْوَاقِ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا وَلَوْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. وَكُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شُفِيَ!».

ولأول مرَّة يُعطي ق. مرقس منظر الشفاء الجماعي وكأنها ساحة مستشفى، فكل مرضى القرية أو المدينة تجمَّعوا وجلسوا في السوق، وهو أوسع مكان معد ليتجمَّع فيه أكبر عدد من المدينة أو القرية، حيث يكون الكل متلهِّفاً أن يلمس ثوب المسيح وهو عابر على الجميع. ويبدو أنه ذاعت هذه الوسيلة، وهي لمس ثوب المسيح والتي لا يزال يمارسها الشعب إمَّا مع القديسين أو الصور، وهي محاولة للاتصال بأي طريقة بالمسيح أو القديسين. وإن كانت عادة لمس الصور هي عادة مستهجنة ولكن لا أحد يستطيع أن يقنع البسطاء في تعديل عاداتهم الموروثة. أمَّا الرد الروحي الوحيد فهو على قدر إيمانك يكون لك. فإن كانت الوسيلة خاطئة ولكن الإيمان صحيح، والنتيجة واضحة «فكل مَنْ لمسه شُفي» ومَنْ يستطيع أن يصحح إيمان الكنائس، ولكن الشعب قد تربَّى على ما تقوله الكنيسة، ولكن ليس كل ما تقوله الكنيسة صحيحاً إلاَّ بقدر ما يطابق الإنجيل ووصايا الرب. ولكن ليس كل ما لا نستطيع أن نفهمه يمكن أن نجحده، فوسائل الروح لا يستطيع أن يُحدَّها إنسان.

الأصحاح السابع

3 8–	من جهة التطهيرات	(7:1–8)
3 9–	فتوى القربان	(7:9–13)
4 0–	عن النجاسة	(7:14– 23)
4 1–	المرأة الكنعانية	(7:24–30)
4 2–	شفاء الأصم الأخرس	(7:31– 37)

38 من جهة التطهيرات

[8-1:7] (مت 15: 1-7و9)

موقف المسيح من جهة تسليمات الكتبة الشفاهية عن التطهيرات، حيث كانت ملزَمات مفروضة على الشعب في الحياة اليومية فأثقلت كاهل الشعب وخرجت عن مفهومها، وأصبح التقليد اليهودي لا يُطاق، وتسحَّب على المسيحيين الأوائل لعشرات من السنين. ولهذا حُفظت هذه الرواية التعليمية حتى وصلت ليد القديس مرقس الرسول. وقد تسرَّبت تسليمات كثيرة مثل هذه للتقليد الأول كمعرفة منفصلة ليس ما يبررها.

وبداية التصحيح جاءت من تلاميذ المسيح: «لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ بل يأكلون خبزاً بأيدٍ غير مغسولة؟» (مر 5:7). وهنا سواء أكانت هذه قصةً أو تعليماً نجدها خالية تماماً من الزمن ولا حتى المناسبة. أمَّا بداية الحديث وسببه فهو واقع بين آية (5) السابق ذكرها وآية (8)، وبعدها يدخل المسيح في عدم شرعية أو قانونية الوصايا التي وضعها الكتبة والفريسيون وسمَّاها «وصايا الناس» ومرَّة واحدة يرتفع بالأساس التاريخي للشرح في آية (6): «حسناً تنبأ إشعياء عنكم» وهذا التعليم، مع شرح المسيح، دخل المسيحية وأسَّس التقليد الجديد. ونجد في الآية (1) حتى الآية (8) وحدة فكرية واحدة.

وسوف يُلاحِظ القارئ أننا فرَّقنا في الشرح بين موضوع التطهيرات وموضوع القربان وموضوع النجس والطاهر، مع أن هذه الثلاثة موضوعات تكوِّن وحدة فكرية متصلة.

التطهيرات:

1:7و2 **«وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَقَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَادِمِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضاً مِنْ تَلاَمِيذِهِ يَأْكُلُونَ خُبْزاً بِأَيْدٍ دَنِسَةٍ، أَيْ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ، لاَمُوا»**.

ندخل هنا في طريقة أخرى للقديس مرقس، فقد ترك التسلسل وبدأ يختار حوادث معينة يعلِّق عليها المسيح للتعليم. فالكلام هنا مقطوع عن سابقه، وهنا أيضاً بدأ يغيب تحديد الزمن، وتحديد المكان وتحديد المناسبة.

«**قوم من الكتبة**»: grammatšwn

قد ورد اسم هذه الفئة في إنجيل ق. مرقس 21 مرَّة. والكلمة تعني في الإنجيل: «معلمو الناموس» لذلك يسمُّون أيضاً في إنجيل ق. لوقا بهذا الاسم: «معلمو الناموس» nomodid£skaloi(لو 17:5). ومعظم الكتبة ينتمون أصلاً إلى جماعة من الفريسيين ولكن بعضاً منهم انتموا إلى الصدوقيين (مر 18:12). والكتبة عموماً وتعليمهم يلتزم بالتقليد فقط.

وهنا إشارة إلى «قوم من الكتبة» الذين جاءوا من أُورشليم، وأشاروا إلى جماعة أخرى منهم نزلت سابقاً من أُورشليم في أصحاح (3): «وأمَّا الكتبة الذين نزلوا من أُورشليم فقالوا: إن معه بعلزبول ...»(مر 22:3). وهذا يكشف أنه من حين لآخر كانت تنزل بعثات تجسُّسية لتتجسَّس على المسيح وتعاليمه وتعطي انتقاداتها. فالجماعة الأُولى أعطت تقريرها عن قوته في إخراج الشياطين فقالوا إنه ببعلزبول، والفرقة الثانية قررت أن المسيح وتلاميذه لا يتمسكون بتقليد الشيوخ. وطبعاً هذه التقارير حُفظت في السنهدريم ليوم الحساب. أمَّا الواقعة الثالثة فكانت في الأصحاح الثالث (مر 6:3) ولكن كانوا موجودين داخل المجمع وخرجوا بعد أن سمعوه: «فخرج الفريسيون للوقت مع الهيرودسيين وتشاروا عليه لكي يهلكوه» من تلقاء أنفسهم.

«**أيدٍ دنسة**»: koina‹j

وتعني الكلمة: ‘‘نجسة’’ أو ‘‘غير نظيفة’’ أو ‘‘غير مقدَّسة’’. ويُلاحَظ أن ق. مرقس شرح هذا المفهوم العبري = أي غير مغسولة. وهنا يلزمنا أن نفهم **أولاً** هذا التقليد من جهة الفريسيين والكتبة وسببه. فهم من قاطني أُورشليم حيث تطبيق حرفيات لا الوصايا المكتوبة فقط بل والشفاهية، بل وتخريجات هؤلاء المعلمين الذين لا عمل لهم إلاَّ إخراج الفتاوي، ثم تسجيل الفتاوي لتكون نصوص قوانين في عرفهم، وهي أولاً وآخراً كما أسماها المسيح وصايا من عندياتهم. **وثانياً**: أمَّا هؤلاء التلاميذ فبيئتهم وبيوتهم ومهنتهم هي في البحر وسط الماء، فهم مغسولون طول النهار ليس أيديهم فقط بل وأرجلهم وكل جسمهم. ولكن، وفوق كل شيء، ليس في مفهوم غسل الأيدي هنا مفهوم النظافة التي نفهمها نحن الآن من جهة التلوث بالميكروبات والكيماويات والأمور الضارة وهي كثيرة، فهذه كلها كانت شبه معدومة، ولكن الغسيل الذي يقصده هؤلاء المعلمون هو بمفهوم التقديس أي إجراء ديني. وهنا يلزمنا أن نعتبر أن هذا الإجراء الديني هو مجرَّد فتوى من الناس.

أمَّا نحن فنلتزم التزاماً بغسل أيدينا قبل الأكل، أي أكل، وبعد الأكل، أي أكل، هذا بمعنى

النظافة والخوف من التلوث والعدوى.

3:7 **«لأَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ وَكُلَّ الْيَهُودِ إِنْ لَمْ يَغْسِلُوا أَيْدِيَهُمْ بِاعْتِنَاءٍ، لاَ يَأْكُلُونَ، مُتَمَسِّكِينَ بِتَقْلِيدِ الشُّيُوخِ»**.

يعطي هنا ق. مرقس تفسيراً لمعنى ولزوم غسل الأيدي عند اليهود لأنه يخاطب الأُمم. فهنا يظهر اتجاه ق. مرقس في كتابة إنجيله برمَّته إنه إنما يكتبه للأُمم.

«كل اليهود»:

هنا ق. مرقس لا يقول عن اليهود عامة ولكنه يقصد «كل اليهود» العائشين في مدينة أُورشليم، فهم الذين يدقِّقون في وصايا الناموس وكل تفريعاتها وفتاوي الكتبة والفريسيين. وهذا الوصف لا يذكره أي من الأناجيل الموازية ولكن ربما ق. يوحنا كان يؤكِّدها.

«باعتناءٍ»: pugmÍ

هذه الكلمة اليونانية أُسقطت في الترجمات الإنجليزية وغيرها واعتبروها غير مفهومة، وهي تفيد كيفية غسل اليد باعتناء مع الجزء الملاصق للكف حتى الكوع والتي تترجم fist زيادة في الاعتناء. والحقيقة أن هذا هو الحادث والممارس في الريف حتى اليوم، وحتى في وضوء المسلمين(1) فاليدان يلزم أن تُغسلا مع الذراع حتى الكوع وإلاَّ لا يصح الوضوء عند المسلمين.

ولكن القارئ المدقق يلاحظ أن اعتراض الفريسيين وجماعة الكتبة كان على "**بعض التلاميذ**" وليس كلهم. والسبب معروف أنه كان في وسط التلاميذ لاويون وكهنة وغيورون كالقديس متى ويوحنا وسمعان الغيور. ومعروف أن اللاويين عموماً ومعهم الكهنة تربوا من صغرهم على هذه العادة مهما كانت الأحوال، وكذلك الغيورون فهم المعروفون بتدقيقهم الشديد على الهوية اليهودية بكل مشتملاتها. ويقول العالِم ج. مارجوليوث(2): إن الأناجيل الثلاثة المتوازية تُعتبر في الدقة مساوية للتلمود وذلك من جهة وصف التقاليد والعوايد السائدة بين اليهود من السنة الأُولى للمسيحية حتى السنة السبعين، وهو يضيف أن اليهود الأتقياء العديدين كانوا متمسكين أيضاً بعوايد الشيوخ. هذا هو الذي حدا بالقديس مرقس ليقول: «لأن الفريسيين **وكل اليهود** إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون» ولكن لم تصل هذه العوايد أبداً لتكون عامة كُلِّيةً بل بقيت قائمة في معظم الأحيان. ولكن يطلع العالِم مونتيفيور بالقول:

---

(1) فغسل اليد حتى الكوع في وضوء المسلمين لا يعتبر غسيلاً بل تطهيراً.

(2) **G. Margoliouth, *E.T. (Expository Times)*, XXII, pp. 261-263.**

[أن المقررات اليهودية الضيقة والعوايد، وحتى التلمود نفسه، كانت مجهولة لدى بعض الربيين في زمن المسيح، وأنها لم تترك عندهم أثراً.](3)

ولهذا فإن المسيح نظر بنظرة نبوية كاشفة أحوال هذه الأمور وهي التي جعلته أن يقول إن النجاسة الدينية هي بالدرجة الأُولى أخلاقية وروحية.

«**متمسكين بتقليد الشيوخ**»: t¾n par£dosin tîn presbutšrwn kratoàntej

يلاحظ هنا أن الشيوخ هم الحاخامات الذين قدَّسوا الظواهر وتركوا الجوهر. وهذه الجملة هامة لأنها في صميم التقليد الكنسي القبطي، فالتمسُّك **بأقوال** الشيوخ القديسين الأوائل الرسمية هو هو التقليد المسلَّم بالإلهام الروحي والمعمول به منذ العصور الأُولى الذي صار على مستوى وصايا الرب.

«**شيوخ**» presbutšrwn

الشيخ كلمة توقيرية وأصلها مصري قديم، فشيخ البلد هو الحاكم، والشيوخ في اليهودية هم قادة الشعب العلمانيين ويكوِّنون جزءاً رسمياً من السنهدريم. وشيوخ الكنيسة هم ذوو رتبة تلي الأسقف مباشرة ولهم كلمة في إدارة الكنيسة.

وعند اليهود شيوخ الكنيسة هم معلمو ومسلِّمو التقليد وكلمتهم مسموعة عند الكتبة والفريسيين، ويُعتبرون القادة المدنيين للشعب. وشيوخ الشعب اعتُبروا في تاريخ الإنجيل أول وأكثر مَنْ قاوم المسيح:

+ «وابتدأ يعلِّمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألَّم كثيراً، ويُرفض من **الشيوخ**، ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم.» (مر 31:8)

4:7 «**وَمِنَ السُّوقِ إِنْ لَمْ يَغْتَسِلُوا لاَ يَأْكُلُونَ. وَأَشْيَاءُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ تَسَلَّمُوهَا لِلتَّمَسُّكِ بِهَا. مِنْ غَسْلِ كُؤُوسٍ وَأَبَارِيقَ وَآنِيَةِ نُحَاسٍ وَأَسِرَّةٍ**».

إنه مَثَل يعطيه ق. مرقس على وضع التطهير بعد أن أعطى مثل غسل الأيدي، وهنا يأتي إلى طقس وضعي معمول به عند الجميع وهو غسل الأشياء المشتراه من السوق، وأيضاً غسل الكؤوس (كوب الماء) والأباريق وهي من الفخَّار وبأحجام مختلفة صغيرة وكبيرة، والأوعية النحاسية. هذه رواية ق. مرقس نفسه يقولها مشوبة بشيء من السخرية، وهي أشياء استلموها ليحفظوها حيث

(3) **G. Montefiore, *The Synoptic Gospels*, London, 1927, 2nd ed., I, p. 142**

فعل الاستلام paralamb£nw هو كلمة تقليدية تُعتبر حجة إذا قالها الإنسان (إني استلمت هذا): «فإنني سلَّمت إليكم في الأول ما قبِلته paršlabon (تسلَّمته) أنا ...» (1كو 3:15). فبمجرَّد أن يسمع الإنسان كلمة ''استلم'' أو ''تسلَّمت'' يكون الأمر يخص التقليد.

واضح أن ق. مرقس انتهز فرصة سؤال الفريسيين والكتبة للمسيح عن الأيدي غير المغسولة وأضاف إليها جزءاً من التقليد الذي رآه ق. مرقس أنه أصبح ثقلاً لا يُحتمل على ضمير الإنسان لأنه يختص بأشياءَ لا علاقة لها بالعبادة، وإذ وجد ق. مرقس أنه ابتعد عن سؤال الفريسيين عاد إليه.

5:7 «ثُمَّ سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ: لِمَاذَا لاَ يَسْلُكُ تَلاَمِيذُكَ حَسَبَ تَقْلِيدِ الشُّيُوخِ، بَلْ يَأْكُلُونَ بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ؟».

ولكن هيهات أن يحاصر الفريسيون والكتبة المسيح بسؤال ملحّ يحتاج إلى رد فوري، فهو لا يرد على السؤال إلاَّ بسؤال، أو إذ يرى السائل لا حق له في السؤال لأنه يتكلَّم عن أمور هو متورِّط فيها يبدأ المسيح بالتوبيخ وإظهار عدم لياقة السائل للسؤال، كونه خارج الموضوع جملة مثل ردّه هنا عليهم.

6:7و7 «فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: حَسَناً تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً، وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَني وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ».

لا يفوت على القارئ أن مساءَلة الفريسيين والكتبة هي مرفوعة بالدرجة الأُولى ضد المسيح نفسه كونه لا يغسل يده؟ فهنا يجيء الرد هجوماً على الكتبة والفريسيين بعيداً عن سؤالهم جزاءً وفاقاً! حيث يُلاحِظ القارئ اللبيب أن المسيح هنا لا يأتي على ذكر التلاميذ الذين صوَّبوا ناحيتهم السهم والمسيح نفسه هو المقصود، فهنا أخرج المسيح التلاميذ من العملية واتجه نحوهم بنفس كلام إشعياء النبي عنهم حيث اختار المسيح من كل ما قاله إشعياء في الـ 66 أصحاحاً ما قاله بدقة عن الكتبة والفريسيين بالذات: «فقال السيد: لأن هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأمَّا قلبه فأبعده عني، وصارت مخافتهم مني وصية الناس مُعلَّمةً» (إش 13:29). ثم أضاف المسيح من عنده مخاطباً إياهم قائلاً: «أنتم المرائين»

ولكن الذي يسترعي انتباهنا هو أن المسيح يحفظ إشعياء ليختار منه ما يريده بالضبط

وبالإحكام. ثم على القارئ أن ينتبه لأن المسيح لا يدخل في مناقشة التطهير كما أرادوا، بل هاجم تقاليد الشيوخ جملةً التي اعتمدوا عليها في فتواهم: «يعلِّمون تعاليم هي وصايا الناس» وبالتالي وسم عبادة الكتبة والفريسيين بالبطل والباطل بعد أن سبق ووضع غيرة هؤلاء الكتبة والفريسيين على كرامة الله والوصايا أنها غيرة ثرثرة لسان، وشفاه لا يسندها قلب صادق ولا إيمان حار ولا حتى استقامة رأي أو فكر إذ نعتهم بالرياء، أي يقولون ولا يعملون ويتظاهرون كأنهم حماة الدين وهم مبتعدون بعيداً!!

8:7 «**لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ: غَسْلَ الأَبَارِيقِ وَالْكُؤُوسِ، وَأُمُوراً أُخَرَ كَثِيرَةً مِثْلَ هذِهِ تَفْعَلُونَ**».

ولكن لم يكتفِ المسيح بأن يضعهم بتعاليمهم وسؤالهم موضع الرياء والبعد عن الله بعيداً وبطل العبادة، بل أراد أن ينهي تماماً على هذا التقليد الذي تسلَّموه من الشيوخ وفرضوه على الناس ليلتزموا به وهم أنفسهم غير ملتزمين. هنا يضع تعليمهم في تعارض كامل مع وصية الله. وهكذا يلغي تقليدهم جملة وتفصيلاً ويهيئ الأذهان إلى حرية حقيقية من تأثير الناس ليقبلوا حقيقة وصية الله.

«تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس» = مضادة عظمى لابد أن واحدة منهما تنهي على الأخرى وتلغيها إذ لا يمكن أن تبقى وصية الله محفوظة ومكرَّمة ومعها وصية الناس التي من صنع الناس.

وَوَضَع المسيح غسل الأباريق والكؤوس والأمور الأخرى الكثيرة في موضع تكريم الشيوخ وتكريم وصايا الناس عوض تكريم الله لتكون معياراً مرفوضاً لكل ما يعمله ويقوله الناس بعيداً عن تكريم الله. فالمسيح هنا ومن سؤال الكتبة والفريسيين المرائين استخلص وصية الله النقية الطاهرة من بين براثن فتاوي الشيوخ وتسليم الكتبة والفريسيين الذي ضيَّع الأُمة وأخفى معالم المسيَّا لما جاء! وانتهى بالآية الحابسة: ثم قال لهم:

9:7 «**ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: حَسَناً! رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدكُمْ**».

وهكذا أدخل تقليدهم في مضادة خطيرة مع وصية الله. فالتصميم على الواحدة رفض محتَّم للأخرى. وينبغي أن ننتبه هنا أنه ينسب التقليد بجملته للكتبة والفريسيين.

39 فتوى القربان

[13-9:7] (مت 15: 3-6)

ولو أن فتوى الفريسيين والكتبة في موضوع القربان – وهو في الحقيقة موضوعُ حقِّ إعطاء الأب والأُم من عرق الابن – يبدو موضوعاً قائماً بذاته، إلاَّ أن ق. مرقس وجد أن وضعه هنا بعد تفنيد المسيح لتقليد الشيوخ الذي يتمسك به الكتبة والفريسيون في موضوع غسل الأيدي وبعدها غسل الأباريق وما شابه، يصبح موضوعاً واحداً من جهة تقليد الشيوخ وفتوى الكتبة والفريسيين.

ولكن الخطير هنا في تفنيد تعليم الكتبة والفريسيين القائم على التسليم الشفاهي التقليدي من الشيوخ والرابيين، أن ق. مرقس معاصر للمسيح وهو يكتب تسجيلات خاصة بوقتها وزمانها بكل تأكيد. لهذا يرى العلماء أن الرجوع إلى إنجيل ق. مرقس يعتبر أكثر وثوقاً وصحة وضماناً لمعرفة أحوال اليهود في هذه الحقبة الزمنية من الرجوع إلى المشناه وكتب اليهود. إذن، فإنجيل ق. مرقس يُحسب وثيقة تاريخية بالدرجة الأُولى فيما يخص ما انتهت إليه أحوال العبادة اليهودية والوصايا الشفاهية والتقليد الساري بين اليهود في ذلك الوقت. وبمقتضى هذا أيضاً يثبت إنجيل ق. مرقس أنه معاصر للمسيح، وأن كل ما كُتب فيه كُتب عن شهود عيان، ويكاد يكون ق. مرقس واحداً منهم فهو معاصر للمسيح بالدرجة الأولى.

9:7و10 «**ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: حَسَناً! رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ. لأَنَّ مُوسَى قَالَ: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمْ أَباً أَوْ أُمًّا فَلْيَمُتْ مَوْتاً**».

ولو أن ذكر الآية (9) يُعتبر تكراراً لما جاء سابقاً، ولكن وضعها هنا يعطي الصلة التي أرادها ق. مرقس ليستمر في الرواية مع أنها لموضوع آخر. ثم يدخل بعد ذلك في الآية (10).

«**لأن موسى قال**»:

القديس متى جعلها: «فإن الله أوصى قائلاً ...» (مت 15:4)

وقد جاءت في أسفار موسى:

+ «أكرم أباك وأُمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.» (خر 20:12)

+ «أكرم أباك وأُمك، كما أوصاك الرب إلهك، لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خيرٌ على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.» (تث 16:5)

+ «ومَنْ شتم أباه أو أُمه يُقتل قتلاً.» (خر 17:21)

وهنا نقل المسيح خلاصة الآيتين: «أكرم أباك وأُمك» «مَنْ شتم أباً أو أُماً فليمت موتاً» هنا يقولها المسيح عن موسى بحسب وصية الله لشعب إسرائيل. ولكن نظرة المسيح للأب والأُم في السعي نحو الخلاص وملكوت الله هي «من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأُمي» (مر 35:3). وحينما يتعارض حنان الأب والأُم مع السعي نحو ملكوت الله «فكل مَنْ ترك ... أباً أو أُماً أو امرأة ... من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية» (مت 27:19). بل وانتهت قضية الأب والأُم في مقابل الحياة مع المسيح: «إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأُمه ... فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً »(لو 26:14). نقول هذا حتى لا يخلط القارئ بين وصية موسى ووصية المسيح!

ولكن حتى وصية موسى لعب بها هؤلاء الكتبة والفريسيون وأخضعوها لفتواهم هكذا:

11:7-13 **«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: إِنْ قَالَ إِنْسَانٌ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ، أَيْ هَدِيَّةٌ، هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي فَلاَ تَدَعُونَهُ فِي مَا بَعْدُ يَفْعَلُ شَيْئاً لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ. مُبْطِلِينَ كَلاَمَ اللهِ بِتَقْلِيدِكُمُ الَّذِي سَلَّمْتُمُوهُ. وَأُمُوراً كَثِيرَةً مِثْلَ هذِهِ تَفْعَلُونَ».**

فلينتبه القارئ: هنا يضع المسيح «أمَّا أنتم» في مقابل «لأن موسى قال» وقد سجلها ق. مرقس عن قصد وعن وعي روائي ممتاز وذكي.

«قربان»: korb©n

ومعناه ‘‘تقدمة’’ لله، أي عطية منذورة لله. والقديس مرقس أراد أن يشرح كلمة **قربان** للأُممي فقال: «هدية» ولكن للأسف هذه الترجمة لا تأتي بالمعنى، فالقصد المضبوط هو: «عطية منذورة للرب»

والمسيح يضع الكلام في فم الإنسان اليهودي الذي أراد أن يتخلَّص من الصرف على أبيه وأُمه بناءً على فتوى الكتبة.

«قربان أو هدية هو الذي تنتفع به مني»:

بمعنى أن ما كنت أعطيه لك في يدك أنا نذرته لله ووضعته في الخزانة. حينئذ يعطي الفريسيون

والكتبة تصريحاً لهذا اليهودي أن لا يلتزم بعد ذلك بالصرف على أبيه وأمه!! «فلا تدعونه في ما بعد يفعل شيئاً لأبيه أو أمه» ! فتوى شريرة لكي تمتلئ خزانة الهيكل التي يسرق منها طغمة وسدنة الهيكل وأولهم الكتبة والفريسيون، ويموت الأب والأُم جوعاً وجفاءً وحزناً لتمتلئ خزانة الهيكل وجيوب الكتبة.

40 عن النجاسة

[7:14-23] (مت 15: 10-11، 15-20)

هذا الحديث متصل نوعاً ومعنىً بالحديث السالف عن غسل اليدين والأكل بأيدٍ دنسة، وق. مرقس يهذِّب الوصلات حتى يبدو الحديث ممتداً ومتجانساً، ولكن القارئ الواعي يجدها مواضيع مستقلة تحتاج إلى فهم ومناقشة. فالموضوع بحثي ولغة السرد قليلة. ولكن المهم أن الأقوال تقليدية أصيلة تتبع زمانها، يقدِّمها ق. مرقس لتصير تعليماً في تقليد الكنيسة.

وفجأة يُخرج لنا المسيح عقيدة قوية منيعة جديدة لم يسبقها تمهيد أو إعداد، وهي عقيدة أن الدنس لا يدخل الإنسان، ولكن الدنس والنجاسة تخرج من الإنسان، من القلب. وهذا يكاد يكون ضد كل ما كان يعرفه اليهود ومعرفة العهد القديم. وكان الأثر المباشر لهذه العقيدة الفريدة هو تحرير الفكر المسيحي مباشرة من كل تقليد العهد القديم وعاداته التي أحنت ظهر الإنسان اليهودي بلا طائل. وهكذا وبخروج هذه العقيدة في الجو المسيحي تنتفى في الحال كل الشرائع والفتاوي اليهودية.

ولو دقَّق القارئ يجد بسهولة أن هذه العقيدة التي أطلقها المسيح هي بمثابة مضادة متوازية مع كل الأفكار اليهودية الخاصة بشكل وأصول العبادة، بل وبشيء من التعمق نجدها تتحدَّى الفكر المنغلق وتشيع نوعاً من الانفراج الهائل للإنسان المثقل بالنجاسة الجسدية. وبمجرَّد أن نطقها المسيح انتبه التلاميذ في الحال، ولما اختلوا به سألوه بلهفة عن هذا التعليم الذي صاغه في شكل مثل.

وليس التلاميذ هم الذين هزّهم هذا المبدأ العقائدي المسيحي، بل الكنيسة الأُولى دخلت في نقاش وسؤال واجتهاد لفهم هذا الفتح الجديد في شكليات العبادة. فلا الأيدي يطالها النجاسة ولا الملابس

ولا الأوعية ولا الأمكنة؛ ولكن هو قلب الإنسان الذي تطاله النجاسة وتخرج منه النجاسة فيتنجَّس الإنسان كله!!

هذه أعظم رؤيا عملية للعبادة وكيفيتها، وتعتبر أميز خواص العقيدة المسيحية، لا الشكل بل الجوهر، لا الظاهر بل الداخل، لا الجسد بل القلب. وهكذا انهزم سلاح النجاسة الذي حارب به الكتبة والفريسيون لحساب اليهودية، بهذا القارب السحري الذي انسحبت به المسيحية من خضم بحر آلاف القوانين والنواهي والتحذيرات والعادات اليهودية.

فلو عرف القارئ السعيد ما هو الغسيل والتطهيرات لرفع النجاسة عن الذبيحة والمذبح والكاهن والعابد وجدران الهيكل، لوجد أن الوقت الضائع في الغسيل باتقان لكل شيء كان هو كل وقت العبادة.

ولو عرف القارئ أن اليهودي إذا خرج من بيته فعليه أن يحتاط من النجاسة فيما يقرب من خمسين تحذيراً، وعليه إذا عاد إلى المنزل أن يستحم ويغسل كل ما اشتراه؛ فلو حسبنا الوقت والجهد الضائع في التخلُّص من النجاسة لوجدناه هو كل وقته وجهده.

والآن انظر إلى ما يقول المسيح إن لا شيء نجس في ذاته، ولا شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجِّسه، وقرِّر أنت ماذا بقي من كل ما وضعه اليهود من تعاليم وعوايد وتحذيرات من جهة النجاسة، وماذا بقي للإنسان المسيحي ليعمله ليتقرَّب إلى الله بالعبادة: «قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي.» (مز 10:51)

وبعد هذا نقول إن هذا الفصل من إنجيل ق. مرقس الذي احتقره العلماء وتغاضى عن شرحه الشرَّاح يُحسب من أهم فصول الإنجيل.

14:7و15 «**ثُمَّ دَعَا كُلَّ الْجَمْعِ وَقَالَ لَهُمُ: اسْمَعُوا مِنِّي كُلُّكُمْ وَافْهَمُوا. لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ**».

هنا بسبب أهمية العقيدة التي سيطرحها المسيح على الجمع وتلاميذه ضمناً، أمرهم بالسمع والفهم، وهذا يذكرنا بمثل الزارع (راجع شرح الآية 3:4) «اسمعوا» ثم يدخل إلى المثل وكأنه حديث. ولكن الكلام هنا كأنه أحجية ولكنه يحمل فكراً تجديدياً ثورياً بل انقلابياً شديداً. فبكلمة واحدة ألغى قانون النجس والطاهر من أوله إلى آخره: «ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجِّسه» إذن، لا يوجد دنس بذاته أو في ذاته!! هذا ما تعلَّمه ق. بطرس ووعاه تماماً

«فرأى السماء مفتوحة، وإناءً نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض، وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء. وصار إليه صوت: قم يا بطرس، اذبح وكُل. فقال بطرس: كلاَّ يا رب، لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً. فصار إليه أيضاً الصوت ثانية: ما طهَّره الله لا تدنِّسه أنت! وكان هذا على ثلاث مرَّات» (أع 10: 11-16). وحفظ ق. بطرس الدرس: «أمَّا أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنسٌ أو نجسٌ» (أع 28:10). هذا الإعلان الإلهي للقديس بطرس، وهو تلميذ ورسول، حدث في نفس زمن كتابة ق. مرقس لإنجيله تقريباً. ويجيء ق. بولس بعد قليل ويرفع عقيدة المسيح إلى النور والوضوح: «**إني عالمٌ ومتيقِّنٌ في الرب يسوع أن ليس شيءٌ نجساً بذاته،** إلاَّ مَنْ يحسب شيئاً نجساً، فله هو نجسٌ (في جهالة المعرفة)» (رو 14:14). إذن، فقد أصبح النجس مصدره في القلب والضمير وليس في الأشياء، وأصبح النجس والنجاسة والتنجيس يدخل تحت حكم القلب والضمير:

+ «ولكن ليس العِلْمُ في الجميع. بل أناسٌ بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذبح لوثنٍ، **فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجَّس**. ولكن الطعام لا يقدِّمنا إلى الله.» (1كو 7:8و8)

والعقيدة المسيحية في موضوع النجاسة التي وضعها المسيح في إنجيل ق. مرقس أخذت مدة إلى أن دخلت في العلم والوعي المسيحي المستنير.

«**لكن الأشياء التي تخرج منه** (من الإنسان) **هي التي تنجِّس الإنسان**»:

هنا نقل المسيح النجاسة ومنبعها ومصدرها من خارج الإنسان إلى داخله، بمعنى أن الإنسان أصبح هو المسئول عن النجاسة وهو نفسه مصدرها. فالزنا مثلاً، وهو أشد أنواع النجاسة، هو عمل داخلي يختص بالقلب والضمير، وهو فعل يتم بالنيَّة قبل أن يتم بالجسد، والفعل مصدره القلب والنية وليس الجسد. لذلك جعل المسيح «مَنْ ينظر إلى امرأة ليشتهيها **فقد زنى بها في قلبه**» (مت 28:5). إذن فالزنا لم يدخل الجسد بل خرج منه أي من الضمير والقلب. لذلك انتقلت الخطية في المسيحية إلى النية والضمير، لذلك انتقل التطهير من الجسد إلى القلب والضمير. فإن كان في العهد القديم يحاسب الإنسان على الفعل فقط، فإنه في العهد الجديد يحاسب على النية والضمير، وهو ما قبل الفعل والسبب له. لذلك ربما يدخل إنسان مسيحي إلى محاكمة فيخرج براءة لأن المحكمة تحكم على الفعل، ولكنه لا يبرأ أمام الله إذ يخرج محكوماً عليه من ضميره هو. لذلك أصبح الضمير هو المحكمة العليا التي نحاكم أمامها الآن وأمام الله يوم الدينونة.

هنا أضاف ق. متى آية فاتت على القديس مرقس: «**وقالوا له أتعلم أن الفريسيين لمَّا سمعوا**

القول نفروا. فأجاب وقال كل غَرْس لم يغرسه أبي السماوي يُقلع» (مت 15: 12و13). وطبعاً وماذا بقي لهم من علمهم وتعليمهم. إن الفريسية تقوم على التدقيق في تنفيذ وصايا وضعوها هم ليثبتوا وجودهم وكيانهم. والمسيح أوضح إلى أي مدى هي غير جوهرية مع أنها تمثل أكبر ثقل وعائق لانطلاق الشعب في العبادة. وردُّ المسيح يكشف هذا، إذ يعتبرهم هم بجملتهم زرعاً لم يزرعه الآب السماوي، أي أن أشخاصهم ومهنتهم وتعليمهم وفتاويهم لا تمت إلى الله بصلة. والذي لا يزرعه الله يُقلع لأنه يكون كالنبات المتطفِّل الذي ينبت (شيطاني) في وسط القمح أو الفول، ففي وسط القمح ينبت فطر متطفِّل سام خطير اسمه الأرجوت Ergot وهو سام، وإذا امتزج بالدقيق يُحدث تسمماً، كذلك في الفول مثلاً ينبت نبات سام اسمه الهالوك، ومن اسمه تعرف وظيفته فإنه يهلك النبات الأصلي. فالعلاج هو أن الزارع السماوي يعبر فيلتقط هذه النباتات الشيطانية ويقلعها ليطهِّر الأرض والنبات.

وبهذا المثل يكون المسيح قد أعطى طابعاً جديداً لوصايا التطهير والغسيل التي بلا حصر، أنها ليست أصلاً من الله وهي عائق لوصاياه، وأن كل هذه التعاليم لابد أن تبطل.

ولكن للأسف كان يوجد فريسيون في الكنيسة أفتوا الفتاوي التي لا علاقة لها بتعاليم المسيح والإنجيل ويثقلون على الشعب، ولكن ليس مَنْ يقلع.

16:7 «**إِنْ كَانَ لأَحَدٍ أُذْنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ**».

هذا التنبيه يقوله المسيح إزاء المواضيع المهمة وخاصة الجديدة التي تحتاج لفهم متسع وقدرة على الاتساع والتغيير من القديم إلى الجديد. وقد تكلَّمنا سابقاً عن السمع بمفهوم انفتاح الأذن الروحية والذهن الروحي لإدراك أسرار الحياة الجديدة والأمور الخاصة بملكوت الله(4).

17:7-20 «**وَلَمَّا دَخَلَ مِنْ عِنْدِ الْجَمْعِ إِلَى الْبَيْتِ، سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ عَنِ الْمَثَلِ. فَقَالَ لَهُمْ: أَفَأَنْتُمْ أَيْضاً هكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلاَءِ، وَذلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الأَطْعِمَةِ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ**».

كان التلاميذ في غاية اللهفة يريدون أن يفهموا قول المسيح الذي اعتبره ق. مرقس أنه «مَثَل»

(4) راجع مقدِّمة شرح مَثَل الزارع صفحة 216و217 ثم شرح الآية 3:4، والآية 9:4.

فبمجرد أن ترك الجمع ودخل البيت ــ ولم يذكر أي بيت ــ سأله تلاميذه عن المثل، وهنا يكرر ق. مرقس ما قاله المسيح لتلاميذه بخصوص كيف أنهم لم يفهموا الكلام، لأن الكلام واضح وفي غاية البساطة، ولكن ما يحويه الكلام هو غاية في الصعوبة بالنسبة لعقل اليهودي الذي عاش كل حياته فزعاً من النجس مهموماً بالغسل والتطهير. لقد انقلبت الحياة برمتها في ذهن التلاميذ، فعاد المسيح يكرر نفس الكلام: إن ما يدخل الإنسان من الخارج لا ينجِّسه ولا يقدر أن ينجِّسه، لأن النجاسة ليست شيئاً ظاهراً بل هي تتعلق بعمق ضمير الإنسان، مدلِّلا الكلام أن أي شيء نجس لا يدخل قلب الإنسان الذي هو العضو الوحيد الذي يتنجَّس ويخرج النجاسة. فالأشياء التي يُقال عنها أنها نجسة خطأً ــ لأن ليس شيء نجساً بذاته ــ تدخل لا القلب بل الجوف ــ أي المعدة والأمعاء والقولون ــ ثم تخرج إلى الخارج وترمي فضلات الإنسان في الخلاء (هكذا كان عند أهل ذلك الزمان). والخلاء بالشمس والهواء يطهِّر كل الأطعمة.

ثم عاد يكرِّر القول عما الذي ينجِّس الإنسان قائلاً: «إن الذي يخرج من الإنسان هو الذي ينجِّس الإنسان»

تعيين الأمور التي تنجِّس الإنسان:

21:7-23 «لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً، فِسْقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْلٌ. جَمِيعُ هذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ».

ولا لزوم هنا أن نلوث ذهن القارئ بمعاني هذه الموبقات. ولكن الذي نخرج منه من هذه القائمة السوداء أنها جميعاً حُسِبَت نجاسة، حتى السرقة وكل الأفكار الشريرة وحتى الطمع، حتى الخبث والمكر، حتى الكبرياء بل حتى الجهل!! هذا شيء جديد جداً علينا. لأنه بمجرَّد أن ينصبغ القلب بهذه الأعمال والأفكار يُحسب قلباً نجساً لا يمكن أن يتعامل معه الله، بل ولا يمكن أن يسمع الله له في الضيقة إن لم يغتسل بماء الدموع والندم والرجوع عن الانصياع لهذه النجاسة.

ثم يلزم التوعية أن هذه الشرور والأعمال والأفكار القبيحة بمجرد أن **يشتغل بها القلب ويرضى بها** الضمير تُحسب أعمالاً، وكأنها عُملت بالفعل، ويدخل بسببها الإنسان في حكم النجاسة باعتباره قد غُلب في معركة الشيطان. والشيطان لا يحارب الجسد ولا يغوي الأعضاء ولكنه يحارب العقل والفكر والقلب وأخيراً الضمير. فهو يعرض عملاً يدسُّه على العقل أنه ممكنٌ ومعقولٌ، ثم يُشغل الفكر به، ويعاود العرض مراراً حتى ينشغل الفكر، ثم يقدِّم المساهلات ويصوِّر الملذات حتى

يوافق القلب. ولكن يظل أمامه أكبر عقبة وهو الضمير. فربما ينغلب العقل والفكر والقلب ولكن يرفض الضمير ويرفض بشدة، ذلك بحسب مدخرات الأصول والواجب واللياقة والاسم والكرامة والتعليم ووصايا الأب والأُم المنطبعة في الضمير. ولكن يستخدم الشيطان الإغراء المتواصل حتى تستجيب الأعضاء تلقائياً وحينئذ يضغط على الضمير فتفوت الصفقة ويربح الشيطان الغنيمة!!

انتبه أيها القارئ الكريم أنه ليس من فراغ قال المسيح إن الأعمال النجسة تدخل القلب. فمن أين هي نجاسة إلاَّ لأنها من الشرير الروح **النجس**. فكل نجاسة مصدرها الأصلي هو الشيطان، وكل إنسان يدرك ذلك لأنه بعد أن يسقط في فخ الشيطان يحس في الحال أنه فقد عفته وشرفه وقداسته، واقتحمته النجاسة اقتحاماً ولكن بموافقة الضمير. لهذا يجهد القاضي نفسه وفكره وحكمته وراء الجاني حتى يتأكد أن عامل الرضى والموافقة موجود فيحكم وهو مرتاح البال.

ومرَّة أخرى نقول إن الشيطان لا يحارب الجسد أو الأعضاء أو حتى الإرادة، ولكنه يحارب القلب والضمير، وحينئذ يبدأ الإنسان يمارس الخطأ بإرادته. وهنا يكون الشيطان بريئاً من العمل وهو أوحى به فقط، والإنسان هو الذي نفذه بإرادته. ولا نريد أن ندخل في علم النفس لأن بتكرار ممارسة الخطأ تستعبد الإرادة نفسها للشيطان فيعمل الإنسان ما ليس يريده (غل 17:5). ولكن نحن نركِّز على بدء الحركات والانفعالات ومدى مسئولية الإنسان عن عمل النجاسة!! لذلك يُسمَّى الذين اعتادوا الخطية بعبيد الشيطان لأنهم فقدوا حريتهم وإرادتهم.

ولكن استرعاني جداً قول المسيح إن الجهالة تُحسب نجاسة، فكيف؟

طبعاً المسيح لا يقصد الجهالة العلمية والأمية وعدم معرفة القراءة والكتابة، ولا يقصد قطعاً ذوي التصور الذهني المرضي أو الذي بالوراثة، ولكن المسيح يقصد الجهالة بالحق!! لأن الذي يجهل الحق هو لعبة في يد الشيطان، وبدون حرب أو مقاومة هو ساقط في كل ما يشير به الشيطان وبدون ضغط.

أمَّا مَنْ يعرف الحق فقد تسلَّح ضد الشيطان وبالتالي كل نجاسة، لأن الشيطان هو رسول الجهالة بالحق. فالحق يقتل الشيطان نفسه ويبيده لأنه هو الكذب والكذاب وأبو كل كذاب.

أمَّا مصدر الحق الوحيد فهو المسيح: «أنا هو الحق» وكل مفردات الحق سجَّلها الإنجيل. فوسيلة معرفة الحق موجودة ومفتوحة إلى أقصاها لأي إنسان ليتعرَّف على الحق ويتمهَّر فيه؛ بل وإلى منتهى الحكمة، وحينئذ يتم قول المسيح: «وتعرفون الحق والحق يحرِّركم» (يو 32:8)، «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً.» (يو 36:8). وإلاَّ فأنتم عبيد للخطية والخطية نجاسة.

41 المرأة الكنعانية

[30-24:7] (مت 15: 21-28)

قصة مؤثِّرة لها جمال الرواية، وقوة المعجزة. يكشف فيها المسيح اتجاهه ناحية الأُمم. ويبدو جمال القصة من روحها البدائية جداً. وفيها يتحدَّد:

- مكان القصة: تخوم صور وصيدا.
- بحث المسيح عبثاً عن مكان خاص يرتاح فيه. وهذه المشكلة واجهته كل أيام حياته على الأرض.
- لباقة امرأة ذكية تستطيع أن تسمع جيداً وترد بأقوى مما تسمع.
- أدخلت مقداراً من السرور في قلب المسيح لم يجده في كل إسرائيل.
- قصة شفاء لحظية عجيبة تتوافق مع إيمان هذه المرأة الفذ.
- ق. مرقس يخاطب الأُمم من خلال القصة خفياً كمغتصبي نصيب الأولاد دون أن ينسى مكانة اليهود: «دعي البنين أولاً يشبعون، لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب»
- المرأة تتجاوز الإهانة (غير المقصودة لأن هذا هو تقليد إيمان اليهود بالنسبة للأُمم علناً) وتسحب البساط من تحت رجل المسيح: «نعم يا سيد! والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل من فتات البنين.» (مر 28:7)
- أراد المسيح أن لا يخرج عن حدود رسالته الأُولى بالجسد: «لم أُرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (مت 24:15)، وهي مدونة في قصة الكنعانية مما يفيد أن اتجاه المسيح للأُمم محدود بتكميل رسالة خراف إسرائيل على الصليب أولاً!
- لذلك يهمنا جداً أن نستعير من رواية ق. متى لأنه يبدو أنها مأخوذة من تقليد موازٍ لتقليد ق. مرقس، ولو أنها بتاريخ متأخِّر نوعاً.
- هنا يمتاز إجراء عملية الشفاء بدون وعد أو كلمة لأن إيمانها يكفي: «ليكن لكِ كما تريدين. فشُفيت ابنتها في تلك الساعة» (مت 28:15). مع أن جميع قصص ق. مرقس في الشفاء جاءت عن اتصال بين المسيح والمريض أو بكلمة آمرة بالشفاء، ولكن بطريقة (الإيمان يكفي) قال: «يا امرأة ليكن لكِ كما تريدين.» (مت 28:15)

ـ هنا قد استعلن المسيح عظم إيمان هذه المرأة الذي في قلبها تجاه قوة المسيح، فرأى المسيح أن إيمانها يساوي فعلاً شفاء ابنتها فأعطاها ما ربحته بإيمانها، وهذه هي الأُولى في معجزات المسيح القادمة التي فيها إيمان المريض من على بُعد يغتصب قوة الشفاء.

24:7 «ثُمَّ قَامَ مِنْ هُنَاكَ وَمَضَى إِلَى تُخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، وَدَخَلَ بَيْتاً وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ لاَ يَعْلَمَ أَحَدٌ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْتَفِيَ».

لا يستخدم القديس مرقس هنا كلماته المعتادة، ولكنه ينقل من نص قدامه، وذلك بحسب تحليل اللغة للعالِم فنسنت تايلور(5). وهنا يكون المسيح على الحدود بين الجليل والأُمم، ولكن لا يوضح ق. مرقس إلى أي مدى دخل في منطقة الأُمم. وواضح أنه كان يريد مكاناً يستريح فيه ويكون غير معروف عند تلك النواحي، وربما لهذا دخل مناطق لا تعرفه، فهي ليست رحلة كرازة. ولكن هذا هو خط المسيح الكرازي، يكرز بسرور في وقت مناسب وغير مناسب. وحتى تلاميذه لم يأتِ ق. مرقس على ذكرهم. فأن يحصل المسيح على مكان سرّي خاص يتواجد فيه، أمر تمنَّاه، ولكن لم يحصل عليه، وهذا أمر غريب للغاية.

ويبدو أن ق. مرقس يريد أن يقول إن المسيح لم يعد يعيش أو ينتقل بمفرده في سرِّية، خاصة لأنه كان قد عُرف في كل البلاد. على أن المرضى كانوا يتسقّطون أخباره من على بعد.

25:7و26 «لأَنَّ امْرَأَةً كَانَ بِابْنَتِهَا رُوحٌ نَجِسٌ سَمِعَتْ بِهِ، فَأَتَتْ وَخَرَّتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ. وَكَانَتْ الامْرَأَةُ أُمَمِيَّةً، وَفِي جِنْسِهَا فِينِيقِيَّةً سُورِيَّةً. فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُخْرِجَ الشَّيْطَانَ مِنِ ابْنَتِهَا».

يصف القديس متى المرأة أنها كنعانية، وأنها لما سمعت بالمسيح أنه على الحدود ولم يتخطَّ الحدود بعد، خرجت هي من تلك التخوم تطلبه وهو في مكانه. وهكذا صح ظننا أن المرضى يتسقَّطون أخبار المسيح من على بعد وعبر الحدود.

والقديس متى يقدِّم المرأة بصورة مؤثِّرة للغاية: «صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جداً» (مت 22:15). ويضيف القديس مرقس أنها: «خرَّت عند قدميه»

وفي الحقيقة لم يقابلنا في جميع قصص المسيح مريض بهذا القدر من الارتفاع في القامة الروحية، فهي تخاطب المسيح وكأننا نقرأ مزموراً لداود النبي أو قولاً لأحد عظماء اليهود: «ارحمني يا سيد يا

(5) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 347.**

ابن داود» ! ما لهذه الأُممية وابن داود؟ ومن أين أتاها هذا اللقب اللاهوتي، وممن استلمته؟

لو سمعنا هذا التوسل من رئيس مجمع أو رابي يهودي لاستغربنا على انفتاح وعيه الاستعلاني الذي يبحث عنه المسيح في كل إسرائيل وما وجده. أعند هذه الأُممية، الامرأة التي لا تملك ميراثاً لاهوتياً ولا تراثاً تعليمياً، عابدة وثن ابنة عبَّاد أوثان، أعداء ليهوه وكلاب في تقليد اليهود؟! تنادي المسيح بأعز لقب إسرائيلي لا يملكه أعظم رابي ويتهافت على رؤياه كل الأنبياء والملوك!

الآن علمنا لماذا اتجه المسيح صوب حدود صور وصيدا ليتقابل مع هذا الرسول العالي القدر والمفتوح العينين ليسمع منه كلمة تعزِّي قلبه عوض جحود بني وطنه، وتشد من أزر كرازته عوض مكيدة أهل الناصرة، أهل بيته، عند محاولة إلقائه من على الجبل بغية قتله.

أسعد الله قدومكِ أيتها المرأة!! الرسول حاملة أعز لقب لقلب المسيح، وأسعد الله بلدك وبلاد كل الأُمم التي أنبتت مثل نباتك الشامخ في الإيمان، الذي جئتِ لتمثليه كرسول فوق العادة في أبأس أيام إسرائيل، لتقولي للنبي المهان في وطنه والمطارد من أهل بيته: قلوبنا مفتوحة لك يا ابن داود وإيماننا رهن إشارتك. نحن في انتظارك بعد الجلجثة.

وقف المسيح مبهوراً أمام هذه المرأة. ويقول ق. متى إنه «لم يجبها بكلمة» (مت 22:15). كان يتأمل في جحود بني وطنه وغباوة إسرائيل بكل معلميه وأربابه، وأمامه الكنعانية ساجدة تتوسل، وفي توسلها صورة جميلة وبهية للأُمم: «اعبر إلينا وأعنّا»

+ «اصرفها لأنها تصيح وراءنا.» (مت 23:15)

ضجر التلاميذ من صراخها وضاقت أنفسهم من إلحاحها، ولم يدروا أنهم اختيروا وأقيموا وأُرسلوا ليقضوا كل أيام حياتهم في خدمة هذه الأُممية وكل أهلها وبلادها وكل الأُمم:

+ «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين.» (مت 28: 19و20)

27:7 «وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهَا: دَعِي الْبَنِينَ أَوَّلاً يَشْبَعُونَ، لأَنَّهُ لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ».

من أجلك يا إسرائيل خاصم الله كل الأُمم ألفين من السنين ويزيد. لترضع أنت من ثدي

تعزيات السماء وتفوز بكل عطايا الله وحبه وحنانه، كحب أب لابن وحيد: «إسرائيل ابني البكر!! »(خر 22:4). حملك على كتفه كما يحمل الإنسان ابنه، وطار بك من وسط مضطهديك كما يطير النسر وأنت على جناحه، عبر بك البحر على أرضه وحجز المياه عنك وأمات عدوك أمام عينيك، أفرغ الأُمم من أراضيها وملَّكها لك، أمر السماء أن ترويك كنهر وأوصى الأرض أن تُخرج أفخر ما عندها. حارب عنك حروب الرب وحفظكم كما يحفظ الإنسان حدقة عينه ولم يَدَعْ عدواً يمسُّكم.

وها هو أرسل ابنه الوحيد ليفديكم ويُعلن حب الله لكم، أوصاه أن يشفي مرضاكم ويعزي قلوب مساكينكم:

+ «روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأُبشِّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأُرسل المنسحقين في الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة.» (لو 4: 18و19)

فتحرَّج المسيح جداً أمام امرأة الأُمم الساجدة تحت قدميه الحاملة في قلبها إيماناً بحجم إيمان إبراهيم، وهو مربوط بوعد الآب أن يكمِّل شهادته لإسرائيل أولاً حتى الشبع، ثم تصير الاثنتا عشرة قفة بعد ذلك للأُمم. فردَّ عليها معتذراً بلغة اليهود: «**دعي البنين أولاً يشبعون**» فأنا «لم أُرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.» (مت 24:15)

+ «فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعني.» (مت 25:15)

ولما ألحَّ التلاميذ على المسيح أن يصرفها لم يفهموا ما يقولون. أَيُعطي سر الملكوت للأُمم ـ خبز الملكوت إفخارستية المسيح؟ والأبناء أي التلاميذ أنفسهم لم يشبعوا منه، بل ولم يتعرَّفوا عليه بعد؟؟ أيأخذ طعام الخراف ويرميه لكلاب الرعية؟

الأمم ستأكل من الذي يفيض من شعب إسرائيل بعد أن يدوسوه على الصليب. هذا لَمَحَتهُ المرأة الذكية رسولة الأُمم فكشفت سرَّه والتلاميذ نيام.

28:7 «**فَأَجَابَتْ وَقَالَتْ لَهُ: نَعَمْ يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَحْتَ الْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ فُتَاتِ الْبَنِينَ**».

وكان «**الفُتات**» أضخم من الخمس خبزات: «**اثنتي عشرة قفة**»!! فإن كانت خمس خبزات أشبعت البنين فالاثنتا عشرة قفة هي من حق الأمم!!

7: 29و30 «**فَقَالَ لَهَا: لأَجْلِ هذِهِ الْكَلِمَةِ، اذْهَبِي. قَدْ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنِ ابْنَتِكِ. فَذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَوَجَدَتِ الشَّيْطَانَ قَدْ خَرَجَ، وَالاِبْنَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى الْفِرَاشِ**».

وهنا لم يستطع المسيح إلاَّ أن يعطيها كل ما أرادت، لأنها أرادت الفتات وهو من حقها، فأعطاها لتوزع على كل الأُمم من «**إيمان الفتات**» الذي هو أكثر بركة من خبز البنين(6).

42 شفاء الأصم الأخرس

[7: 31-37] (مت 15: 29-31)

إنها قصة إعجازية. وتمتاز هذه القصة بوضعها الجغرافي الواضح وبالتالي بصلتها الأساسية في مسلسل تاريخ الكرازة فيما وراء الجليل، فهي امتداد الكرازة لما بعد الكنعانية على حدود الأُمم من جهة فينيقية وسوريا معاً. ولأن المعجزة تختص بشفاء أخرس أصم الوارد في صميم نبوّة عمل المسيَّا، فهي بالضرورة جزء من استعلان العصر الماسيَّاني. لذلك في نهاية القصة شدَّد المسيح «فأوصاهم أن لا يقولوا لأحد» ونُلاحِظ دائماً في الروايات التي تُستعلن فيها حقيقة المسيَّا أن الشعب ينبهر ويُصاب بالذهول، لأنه في الحقيقة يرافق عمل المسيَّا قوة مؤثِّرة كان يجب أن توقظ وعي السامعين والرائين، ولكن كما قال المسيح: «لهم آذان تسمع ولا يسمعون وعيون تبصر ولا يبصرون» وهذا بحد ذاته كان كارثة إسرائيل، لأنهم خسروا كل أعمال المسيح ووعظه وكرازته، ولكن بقيت للأُمم «**كإيمان الفتات**»!!

ولا بد أن ينتبه القارئ وتزداد حساسيته في كل عرض لقصة شفاء، لئلاَّ يخسر السر المستعلن فيها. فمثلاً هذه القصة التي للأخرس الأصم نجد أنها مربوطة ربطاً وثيقاً باستعلان إشعياء، هذا الذي قد تسجَّل منذ 600 سنة لكي نعثر على هداه، على صاحب هذا الإعلان:

+ «ويسمع في ذلك اليوم الصم أقوال السفر وتنظر من القتام والظلمة عيون العمي، ويزداد البائسون فرحاً بالرب ويهتف مساكين الناس بقدوس إسرائيل.» (إش 29: 18و19)

---

(6) للكنعانية عظة أُلقيت في الصوم المقدَّس سنة 1973 مسجَّلة على شريط.

+ «حينئذ تتفقَّح عيون العمي وآذان الصُم تتفتح. حينئذ يقفز الأعرج كالأُيَّلِ ويترنَّم لسان الأخرس.» (إش 35: 5و6)

هذه علامات ساطعة مكتوبة بأصبع الله عبرت فوق رؤوس الأجيال وحطت على صاحبها الذي نفَّذها بحروفها، ولكن انسدَّت آذان إسرائيل وعميت عيون رؤسائها فرأوه ولم يعرفوه وسمعوه ولم يصدِّقوه.

والقديس بطرس ينادينا عن خبرة جازها وكادت تفوته، ولكنه إذ عرفها واستُعلنت له تمسَّك بها وعاش يكرز بها:

+ «وعندنا الكلمة النبويَّةُ، وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها، كما إلى سراجٍ منيرٍ في موضعٍ مُظلمٍ، إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم.» (2بط 1:19)

لذلك أيها القارئ العزيز، أنت مسئول عن الربط الواعي بين النبوَّة وتحقيقها، لكي ينفجر نور المسيح في قلبك. لا تعتمد على أعمال الآخرين، اجهد نفسك في البحث وراء النبوَّة وتحقيقها لأن هذه وحدها إنما تُحسب موهبة.

وليُلاحِظ القارئ أن ق. مرقس أمين للغاية في سرد أقوال ومعجزات المسيح، موضحاً فيها كل ما رادفها من لمسات عاطفية أو حركات بشرية حتى بدت وكأنها زيادات لا قيمة لها يحذفها الإنجيليون الآخرون. لكن تمسُّك ق. مرقس بها يجعلها في صورتها الطبيعية، فالمسيح كان يبذل قوة في تكميل المعجزة. وقد عاب بعض الآباء الأقدمين على ق. مرقس أنه أبرز الصفات البشرية في المسيح، ولكن هذه حقيقة لاهوتية، فالمسيح كان يعمل كإنسان وإله معاً وبآن واحد. وظهور مشاعر وإحساسات المسيح البشرية أثناء عمل المعجزة تؤكِّدها أنها لابن الإنسان حقًّا، وتعطينا إحساساً أننا كبشر موجودون حقًّا في معجزات المسيح وأعماله الإلهية. وهذه الاتجاهات البشرية موجودة بوضوح في هذه المعجزة.

31:7و32 «ثُمَّ خَرَجَ مِنْ تُخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، وَجَاءَ إِلَى بَحْرِ الْجَلِيلِ فِي وَسْطِ حُدُودِ الْمُدُنِ الْعَشْرِ. وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِأَصَمَّ أَعْقَدَ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ».

يفكِّر بعض الشرَّاح أن المسيح انطلق من شمال صيدون متجها نحو الجنوب الشرقي داخل ليونتس Leontes واستمر في السير جنوباً حتى إلى بعد قيصرية فيلبُّس نحو شرق الأُردن عبر

الجزء الشمالي من العشر مدن(7). وهذه الرحلة طويلة للغاية قدَّرها العالِم بوركت بأنها استغرقت نحو 8 أشهر.

والقديس مرقس هنا يحدِّد عمل المعجزة في المدن العشر، وبهذا نفهم أنها مسجَّلة نقلاً عن تقليد راسخ، فربط المعجزة بالمكان يحدِّد أهميتها ويوثِّق كونها جزءاً من تقليد منقول.

والمريض الذي جاءوا به أخرس أصم، وشفاء مثل هذه الحالة صعب للغاية، فالمريض وُلِد هكذا لم يتدرَّب لا على السمع ولا على الكلام، فأصبح كونه يتكلَّم ويسمع أمر فائق لحدود التصوُّر الطبي، لأن الأمر يستلزم أن يعوَّض خمس أو ست سنوات تمريناً على النطق. أمَّا الكلام والسمع في لحظة، فهذا أمر يفوق الخيال وبآن واحد يكشف عن صعوبة المعجزة كونها من المستحيلات علمياً وطبياً.

33:7و34 «فَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ وَتَفَلَ وَلَمَسَ لِسَانَهُ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ: إِفَّثَا. أَيِ انْفَتِحْ».

كانت عملية الشفاء في نظر المسيح تحتاج إلى البعد عن الجمع لسبب أن المسيح سيجري عليه عملية توصيل قوة خالقة من أصابعه للأذنين، ومن لسان المسيح للسان الأخرس، وكأنها تحتاج فعلاً إلى تركيز وهدوء. وهنا ليست هي المرَّة الوحيدة التي يستخدم فيها المسيح ريقه في عملية شفاء عسيرة، فقد استخدم هذا مع الأعمى الذي ستأتي قصته في إنجيل ق. مرقس (23:8)، وأيضاً استُخدمت في إنجيل ق. يوحنا للأعمى المولود هكذا من بطن أُمه (يو 6:9). وزاد المسيح هنا أن استخدم أمره المباشر للأعضاء كخالق يصحِّح عضواً فقد الاستجابة بقوله: «إفَّثَا» ffaq£™ بمعنى "انفتح". ونقول إن الأمر الصادر من المسيح صادر إلى العضو ذاته لأن الرجل لا يسمع.

«ورفع نظره نحو السماء وأنَّ»:

نظر المسيح نحو السماء لإشراك الآب فيما يعمل، وأنينه هو استحضار قوة خاصة من أعماقه لعمل عملية الخلق الجزئي للأخرس الأصم. وهذا لا يقلِّل من قوة المعجزة بل يزيدها تدخلاً إلهياً لتكميل الشفاء. وتُعتبر هذه الحالة من أقوى حالات الشفاء التي صنعها المسيح بعد إقامة الميت. وقد استخدمت الكنيسة هذا التقليد في عملية العماد باعتبار أن الموعوظ المتقدِّم للعماد أخرس وأصم

(7) **Swete, *op. cit.*, 159 f, Lagrange, *op. cit.*, 197, Burkitt cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 352.**

بسبب عمل الشيطان، فبعد العماد ينفخ الكاهن في وجه المعمَّد ويقول له: «إفَّثَا» بمعنى أن يبدأ يسمع الروح وينطق بالكلمة(8).

35:7 «**وَلِلْوَقْتِ انْفَتَحَتْ أُذْنَاهُ، وَانْحَلَّ رِبَاطُ لِسَانِهِ، وَتَكَلَّمَ مُسْتَقِيماً**».

لم يأخذ وقتاً في الحصول على الشفاء الكامل، فالعملية ليست محاولة بل تصحيحاً بيد طبيب إلهي أمدَّه بقوة السمع للسمع وقوَّة النطق للنطق وهذا تمَّ في الحال. وتمَّت معجزة إشعياء النبي بشقيها فيما يخص الصَمَم والخَرَس (إش 35: 5و6)، وهكذا تمَّ الوعد وكملت العلامة. ولكن الشعب الجالس في الظلمة لم يبصر ولم يسمع، وحُفظ استعلان المسيَّا مع العلامات لشعب آتٍ يسبق الله فيفتح عينيه وأُذنيه ويحل عقدة لسانه فيرى ويسمع ويسبِّح، والذين خارج السياجات يملأون البيت وبنو الملكوت يُطرحون:

+ «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر لئلاَّ تكونوا عند أنفسكم حكماء: أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأُمم. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو 11: 25و26)

36:7و37 «**فَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ. وَلكِنْ عَلَى قَدْرِ مَا أَوْصَاهُمْ كَانُوا يُنَادُونَ أَكْثَرَ كَثِيراً. وَبُهِتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ: إِنَّهُ عَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَناً! جَعَلَ الصُّمَّ يَسْمَعُونَ وَالْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ!**».

حينما يحصل الإنسان على سرٍّ من أسرار الله يوصيه الله دائماً أن يحفظ السرَّ ولا يذيعه، لماذا؟ لأن سر الله يُمنح للإنسان ليكتسب منه روحياً، إذ يظل السر رباطاً قوياً بين الإنسان والله، فالسر يعطيه الإحساس بالتمايز والخصوصية عند الله ''سرِّي لأهل بيتي''، فيحس الإنسان بالقربى والحب والعناية والدالة. والمسيح إذا كان يريد أن يُذاع السر لا يوصي بحفظه، ولكن أن يوصي الله والمسيح بحفظه فهذا جزء لا يتجزأ من قوة السر ودوامه. ولكن عندما يخالف الإنسان الوصية ويذهب ويهلِّل وينادي بأنه حصل على سر الله سواء بالشفاء أو أي نعمة من النعم، فبعد أن يفرغ من المناداة يعود إلى نفسه فلا يجد السر لأنه يكون قد بدَّده، فلا يحتفظ الإنسان من السر إلاَّ بأثره فقط، أمَّا السر فيُرفع لأن الإنسان لم يكن أميناً عليه.

(8) **Swete, *op. cit.*, p. 161.**

صديقي القارئ انتبه: توجد أسرار لله يلزم أن تُذاع وهي أسرار الإيمان وسر الكلمة والإنجيل، ولكن سر استعلان المسيح للقلب بمعجزة أو رؤيا أو صوت في القلب حيث يستعلن المسيح نفسه للإنسان ليقرِّبه إليه ويخصَّه بالحب ليبنيه ويملأه ليكون صالحاً بعد ذلك لكل عمل، فهذه أسرار خاصة جداً لا تُذاع وإلاَّ ينتهي فعلها وتتوقَّف ولا تزيد، ويتحسَّر الإنسان على أيام الود والقربى. فجواهر نعمة الله لا تُرى إلاَّ لأصحابها!

وانبهار الجمهور من أعمال المسيح جيد للغاية؛ ولكن كان يلزم أن يتحوَّل هذا الانبهار إلى إيمان، لأن المسيح لا يصنع الآيات لكي يُمتدح، ولكن لكي ينظر الناس ويؤمنوا بما سبق وتنبأ به جميع الأنبياء عن المسيَّا الآتي الصانع العجائب. فالعجائب علامة إن لم تتحوَّل إلى إيمان زالت مع أصحابها:

+ «طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه، لأني أقول لكم إن أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا.» (لو 10: 23و24)

الرؤيا هنا رؤية الإيمان، والسماع هو الانفتاح على كلمة الإنجيل!

الأصحاح الثامن

43- إشباع الأربعة آلاف (8: 1-10)

44- الفريسيون يطلبون آية من السماء (8: 11-13)

45- خمير الفريسيين وسر كسر الخبز في المعجزتين (8: 14-21)

46- أعمى بيت صيدا (8: 22-26)

بداية إنجيل الآلام:

47- اعتراف ق. بطرس وتنبؤ المسيح عن آلامه للمرَّة الأُولى (8: 27-33)

48- التوعية بالطريق:

شرط التبعية والتلمذة الصحيحة للمسيح: حمل الصليب (8: 34-39)

43 إشباع الأربعة آلاف

[8: 1-10] (مـت 15: 32-39)

إنها مِثْلَ إشباع الخمسة آلاف، فهي قصة إعجازية يعوزها جمال السرد ولكنها تُحسب لدى العلماء واحدة من كبريات القصص المعجزية من جهة قصد الإنجيل. وهي تحمل ملامح الإفخارستيا خاصة أنها عُملت في أرض الأُمم، وهكذا تقف موازية لإفخارستية اليهود. وهي بدورها مثل قصة إشباع الخمسة آلاف لا تحمل تأثيرات تعبيرية صدرت عن التلاميذ أو الشعب الذي أكل وشبع من المعجزة، وهي لا ترتبط بمسلسل القصص السابقة إلاَّ برباط ضعيف إذ تبتدئ «وفي تلك الأيام» أي أنها تنتمي لتاريخ الحوادث السابقة عليها. وواضح أن ق. مرقس سجَّلها لتأخذ طابع معجزة عُملت في العشر مدن أثناء إرسالية المسيح في الأُمم. ويفكِّر العالم فنسنت تايلور(1) أن ق. مرقس حينما سجَّلها كان عقله مشغولاً بكنيسة الأُمم التي في أيامه بدأت في الظهور. والتلميح فيها واضح للقيامة: «لهم ثلاثة أيام يمكثون معي» وهو يرمي إلى شركة الموت، ثم السبعة خبزات وترمي للسبعة كنائس. ويقول العلماء إنه يبدو على القصة أنها كانت ذاخرة بحوادث أخرى ولكن راحت عبر انتقال التقليد من فم لفم.

وقد حاول الناقدون الأخذ من أصالتها ولكن استقر الجميع أنها ذات تقليد قديم راسخ.

8: 1-3 «**فِي تِلْكَ الأَيَّامِ إِذْ كَانَ الْجَمْعُ كَثِيراً جِدًّا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ، دَعَا يَسُوعُ تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ، لأَنَّ الآنَ لَهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِي وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. وَإِنْ صَرَفْتُهُمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ صَائِمِينَ يخَورُونَ فِي الطَّرِيقِ، لأَنَّ قَوْماً مِنْهُم جَاءُوا مِنْ بَعِيدٍ**».

لم يذكر القديس مرقس اسم المكان أو حتى الناحية ولكن ذكر الحديث كله، غير أننا بانتهاء الأصحاح السابع كنَّا في ناحية العشر مدن نحو الشمال الشرقي من البحيرة، و «الجمع الكثير جداً» المذكور هنا يضم الذين ساروا مع المسيح حول البحيرة والذين جاءوا من مدن لم يخدم فيها المسيح سابقاً، وكانت قد سبقته أخبار أعماله الشفائية ومعجزاته. وترابطهم حول المسيح ظاهرة متكررة،

(1) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 357.**

لأنه يستحيل على أي شخص عابر أن يسمع المسيح أو يرى أعماله ويغادره. فالكل إمَّا سامع متعلِّم وإمَّا مريض أو حامل مريض.

وهنا نجد المسيح هو الذي يبادر ويطلب من التلاميذ أكلاً للجموع، ويعود ويذكر ق. مرقس عن لسان المسيح أن بعضهم كان له ثلاثة أيام مع المسيح لم يغادره، ولمح المسيح أنهم جاءوا ووجد أنه إذا صرفهم وهم هكذا صائمون حتماً ستخور قواهم في الطريق لأن بيوتهم بعيدة.

ويُلاحَظ هنا أيضاً من جهة الانصراف أن الفكرة لم تأتِ من التلاميذ، بل المسيح نفسه هو الذي تأنَّى في انصرافهم حتى يأكلوا. وواضح إحساس المسيح بواجب الأب والراعي حتى ولو كانت الخراف غريبة: «إني أشفق **على الجمع**»

4:8و5 «**فَأَجَابَهُ تَلاَمِيذُهُ: مِنْ أَيْنَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُشْبِعَ هؤُلاَءِ خُبْزاً هُنَا فِي الْبَرِّيَّةِ؟**
فَسَأَلَهُمْ: كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟ فَقَالُوا: سَبْعَةٌ».

في الحقيقة كانت هذه الآية مدخلاً للنُقَّاد لكي يجزموا أن هذه القصة هي نفس قصة الخمس خبزات إنما من مصدر تقليدي آخر أخذ ق. مرقس بهما كليهما مع أنها قصة واحدة. وعلَّتهم في ذلك أنه كيف يقول التلاميذ ذلك بعد أن عمل أمامهم معجزة الخمس خبزات واشتركوا فيها وكل الظروف واحدة؟

ولكن افتراض هذا الذكاء في التلاميذ في غير محلَّه أمام صراخ المسيح في وجههم: «ألا تشعرون بعد ولا تفهمون؟ أَحتَّى الآن قلوبكم غليظة؟ ألكم أعين ولا تبصرون، ولكم آذان ولا تسمعون، ولا تذكرون؟ حين كسرت الأرغفة الخمسة للخمسة الآلاف، كَمْ قُفَّةً مملوءة كسراً رفعتم؟... وحين السبعة للأربعة الآلاف كم سلّ كسر مملوًّا رفعتم؟» (مر 8: 17ـ19). فأين الذكاء هذا؟ فقول النُقَّاد مردود عليه، بل ربما عمل المسيح معجزة السبع خبزات خصيصاً لتلاميذه هم أنفسهم لأن الذي لا يفهم من مرَّة قد يفهم من مرتين، بدليل تغير الأوضاع تغيراً شديداً، فهناك كانت اليهودية وهنا العشر مدن الأُمم، والأرقام تغيرت بدل خمسة هنا سبعة، والآكلون بدل خمسة آلاف هنا أربعة آلاف. فالنسبة غير محفوظة. والكسر كانت اثنتي عشرة قفة وهنا سبعة سلال. والفرق اللغوي كبير بين **قفة** kof…non وهي أصلاً بالعبرية تُنطق مثل العربية «قفة» وهومعيار أحجام يهودي، ولكن في هذه القصة سبعة سلال = spur…daj وهو غريب عن اليهودية. كذلك الفارق بين القصتين هو في سؤال التلاميذ: الأول أن الخبز موجود ولكن من أين نأتي بمئتي دينار؟ أمَّا سؤال

التلاميذ هنا فهو من أين الخبز في هذه البرية(2).

6:8 «فَأَمَرَ الْجَمْعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الأَرْضِ، وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَشَكَرَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا إِلَى الْجَمْعِ».

ليس هنا صفوف صفوف، مئات وخمسينات، فليس وقت ولا قدرة للشعب الخائر من الجوع. والتركيز هنا على «شكر وكسر وأعطى» الصيغة الإفخارستية التي على أساسها وبمقتضاها يحل الروح وتتكاثر الخبزات على قدر حاجة الجماعة غير مرتبطة بأرقام. إذ لما قال التلاميذ للمسيح إن الكل قد أخذ توقف فعل الكسر وتوقف بالتالي فعل الكثرة. وهنا يأتي رقم «سبعة سلال» مشيراً إلى سبع كنائس العالم في مقابل الاثني عشر سبطاً. فالاثنتا عشرة قفة من الكسر إشارة إلى بقية إسرائيل الاثني عشر سبطاً الغائبين في طيات الزمن الموعود لهم بالخلاص. وهنا الاثنتا عشرة ليست أكثر من السبعة على قدر كنائس العالم، ولكن الاثنين يعبِّران عن ''إيمان الكِسَرْ'' الذي سوف يغطِّي العالم: إسرائيل والأُمم معاً.

7:8 «وَكَانَ مَعَهُمْ قَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ، فَبَارَكَ وَقَالَ أَنْ يُقَدِّمُوا هذِهِ أَيْضاً».

تفرقة ذكية من ق. مرقس إذ جعل مادة الإفخارستيا وحدها وأعطاها الإشارات الثلاث الطقسية الفاعلة في الإفخارستيا لتكون جسد الرب، ولكنه أبقى للسمك ـ وهو بلا عدد ـ مجرَّد البركة للكثرة والشِّبع.

ولكن الكنيسة الأُولى تصر على أن مادة الإفخارستيا في القصة هي الخبز والسمك، وبقيت عالقة في ذهن الكنيسة وفنّها. فقد شُوهد كثير من الحفريات تشير إلى الإفخارستيا بخمس خبزات وسمكتين وربما داخل طبق!

ولكن ق. متى جمع الخبز مع السمك:

+ «فقال لهم يسوع كم عندكم من الخبز، فقالوا سبعة وقليل من صغار السمك.» (مت 34:15)

+ «وأخذ السبع خبزاتٍ وشكر وكسر وأعطى ...» (مت 36:15)

لذلك فإن الكنيسة في تقديمها لقربان الحمل تقدِّم إمَّا خَمْسَةً أو سَبْعَةً.

---

(2) **Swete., *op. cit.*, p. 164.**

8:8و9 «**فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا فَضَلاَتِ الْكِسَرِ: سَبْعَةَ سِلاَلٍ. وَكَانَ الآكِلُونَ نَحْوَ أَرْبَعَةِ آلاَفٍ. ثُمَّ صَرَفَهُمْ**».

السلَّة إزاء القفة، هذا معيار كيلي يهودي وذاك معيار كيلي يوناني، وإن كانت القفة تسع إنساناً جالساً، فالسلة تسع إنساناً واقفاً.

والآكلون لم يذكر أنهم رجال ما عدا النساء والأطفال، ولكن أعطى الرقم على عدد الرؤوس، وهذا ليس من عادة اليهود، فاليهود يعدُّون الرجال فقط والنساء والأطفال أتباع للرجال، أمَّا الأُمم اليونانيون فالرجل كالمرأة كالصبي كلّه بالرأس على أساس الضريبة والتعداد.

10:8 «**وَلِلْوَقْتِ دَخَلَ السَّفِينَةَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَجَاءَ إِلَى نَوَاحِي دَلْمَانُوثَةَ**».

«**دلمانوثة**»: Dalmanouq£

وتقابلها عند القديس متى: «**مجدل**» Magdal£(مت 39:15)

لقد أتعب هذا الاسم جميع العلماء(3) إلى أن وصل العالِم دالمان الذي اعتَقَدَ أنها ''مجدل لوثا''، وقال آخر: ''مجدال نوثا'' أي برج السمك وفي ضاحية طيباريا، وقد استحسن ذلك العالِم بوركت. وربما تحوَّلت من طيبارية وأماثوث Tiberiada-amaqouj بالجمع بين اسم طبرية واسمها القديم حمَّة المذكورة في (يش 35:19). وبالنهاية هي مكان بالقرب من طبرية، وهو مكان في الشاطئ الغربي للبحيرة. وعلى كل حال هذا يثبت أن ق. مرقس يستخدم هنا تقليداً قديماً جداً لمكان تغيَّر اسمه.

44 الفريسيون يطلبون آية من السماء

[8: 11-13] (مت 16: 1-4)

قصة تكشف رد فعل المسيح لطلب آية. ومضمون الآية وردُّها عند المسيح يكشف أن الإنجيل في نظر ق. مرقس يحمل أسراراً مخفية عن عقول اليهود المعادين للمسيح، وهو يُحسب أنه قولٌ من الأقوال المحفوظة أبوفثجم apophthegm. والقصة تعكس تقليداً صحيحاً فيما يؤول إليه رفض

(3) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 361.**

المسيح حينما تُطلب آية ولا يوجد الاستعداد لتصديقها، فأعطى لذلك آية يونان لأهل نينوى في إنجيل ق. متى وهو مثل أصيل في التقليد، ولكن المسيح لم يتعرَّض هنا له ولا لشرحه.

11:8 «**فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يُجَرِّبُوهُ**».

خرجوا هنا إلى الموضع الذي قيل عنه إنه دلمانوثة، ويطلبون منه آية من السماء بمعنى أن تكون فائقة للطبيعة والتصوُّر لكي تكون إثباتاً لحقيقة شخصه، وطبعاً القصد الأساسي هو اختباره. فماذا يعمل لهم أكثر من أن يُخرج الشياطين بكلمة، وقالوا إنه ببعلزبول يُخرج الشياطين. فالاستعداد لتزييف الآية حاضر في قلوبهم. إذن، فالسؤال هو لتوريط المسيح ليس إلاَّ، ولكن هيهات أن يوقع الفريسيون المسيح في ورطة.

12:8 «**فَتَنَهَّدَ بِرُوحِهِ وَقَالَ: لِمَاذَا يَطْلُبُ هذَا الجيلُ آيَةً؟ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يُعْطَى هذَا الْجِيلُ آيَةً**».

المسيح هنا تنهَّد بروحه، ويحرص ق. مرقس أن يذكرها مع إعطاء صفة لها من عنده «بروحه» أي أن التنهُّد ليس على مستوى الجسد بل بروحه من أعماقه. «وتنهَّد» جاءت: ¢nasten£xaj وهو اصطلاح تقليدي يفيد ''عدم الرضا''. ويرد المسيح بالنفي القاطع أنه لا آية لهذا الجيل. فالنفي يأتي هنا إطلاقاً. وقد كررها المسيح في مواقف أخرى: كما جاء في إنجيل ق. متى:

+ «يا معلِّم، نريد أن نرى منك آية. فأجاب وقال لهم: جيلٌ شريرٌ وفاسقٌ يطلب آية، ولا تُعطى له آية إلاَّ آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ.» (مت 12: 38-40)

وأيضاً في إنجيل ق. لوقا:

+ «وفيما كان الجموع مزدحمين، ابتدأ يقول: هذا الجيل شريرٌ. يطلب آية، ولا تُعطى له آية إلاَّ آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى، كذلك يكون ابن الإنسان أيضاً لهذا الجيل.» (لو 11: 29و30)

ولكن ق. مرقس يأتي هنا بالأصل التقليدي غير المشروح والقاطع: «الحق أقول لكم: لن يُعطى هذا الجيل آية» لأن شخص المسيح ورسالة المسيح إنما هي رسمية ومصدَّق عليها ولا تحتاج لتصديق من أحد. المسيح لا يريد من آياته أن يُصدِّق عليها أحد، فالآب نفسه يشهد له، ولا حاجة به أبداً أن يشهد له أحد، وفي نفس الوقت فماسيَّانية المسيح أرادها المسيح أن لا تكون معلنة، فهي سرّه

الأعظم يكشفه لمنْ يؤمن به. فقانون المسيح وقانون المسيحية: الإيمان أولاً والمعجزة ثانياً «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو 11:40). واستحالة عند المسيح أن يقدِّم المعجزة والآية ليكسب إيمان الناس (لو 8: 23و9). فكل الأمثال تحوي السر في ألغاز لكي يسمعوا ولا يفهموا، أمَّا للأخصاء والمؤمنين فقد أُعطي لهم سر الملكوت. والإنسان بعيداً عن المسيح يشتهي شهوة أن يرى علامة من المسيح ولا يرى، فإذا قبل المسيح عندما يُعلَن له فلا يعود يطلب آية لأنه يرى عجباً كل يوم وكل أيامه وحياته تصبح معجزة.

أعطى القديس مرقس إجابة المسيح قاطعة مقطوعة بلا تدليل، ولكن أعطت الأناجيل الأخرى آية يونان النبي وأعطوا لها شرحها. ولكن آية يونان النبي ظلت سرًّا، وسرّها الوحيد العجيب أن يونان ظل في بطن الحوت ثلاثة أيام كميت ولم يمت، كمن أكله الجحيم وهو محفوظ فيه، وأخيراً ضجَّ الحوت من الوجع الذي أصابه فقذفه على الشاطئ. الجحيم والهاوية توجعت بالمسيح فيها ولم تطق وجوده فقذفه القبر لأن الموت لم يطقه، الظلمة تخلخلت وفقدت ظلمتها فانشقت وخرج النور عالياً. وكان خروج يونان من بطن الحوت حياة ورحمة لخطاة نينوى المحكوم عليهم بالهلاك الأبدي.

إن سرّ يونان مستمد من سر المسيح، فلمَّا فكوُّا لغز المسيح ـ كما جاء في إنجيل ق. مرقس ـ بأن أعطوه تفسيراً من يونان، للأسف بقي سر يونان مغلقاً إلى أن شق المسيح بطن الهاوية وخرج غالباً ولكي يغلب ويبيد بالموت الذي أماته موتَ كل مَنْ يؤمن به.

لذلك بقي قول ق. مرقس: «لن يُعطى هذا الجيل آية» هو الأصل الكامل الذي يحمل الشروح كلها دون شرح، لأن آية هذا الجيل هو المسيح نفسه، هو نزوله إلى القبر وبقاؤه ثلاثة أيام وقيامته بمجد عظيم.

13:8 «ثُمَّ تَرَكَهُم وَدخَلَ أَيْضاً السَّفِينَةَ وَمَضَى إِلَى الْعَبْرِ».

يقول القديس متى باختصار: «ثم تركهم ومضى» (مت 16:4). فالترك هنا هو إسقاط حقهم في الحوار بمنتهى القوة والاختصار، ولكن جعلها ق. مرقس وكأنه لا وقت ولا مجال لهم فدخل السفينة ومضى إلى العبر ليكمِّل رسالته التي انقطعت أوصالها على يدي الفريسيين.

45 خمير الفريسيين وسر كسر الخبز في المعجزتين

[8: 14-21]

(مت 16: 5-12)

هذا درس لن يُنسى، فهو يُحسب قلب إنجيل ق. مرقس النابض. فبعد أن أتمَّ المسيح سرَّي الإفخارستيا على أعلى صورة من المعجزة تنطق نطقاً صارخاً بمعنى سر الشكر مضاعفاً، اكتشف أن تلاميذه لم تتحرَّك قلوبهم أو عقولهم للفهم أو حتى التذكار. ولأول مرَّة نرى المسيح هكذا عنيفاً في مراجعته لتلاميذه عنفاً شديداً بقدر ما اشتد حزن المسيح على جهلهم وعدم قدرتهم على ملاحقة السر الذي سقاه لهم سقياً. فأخيراً اكتشف المسيح أن سر الملكوت الذي أُعطي لهم لم يفهموه ولم يحفظوه ولم يذكروه، حتى لقد مات فيهم الاستشعار به عن قرب وعن بعد.

لقد كشف الإنجيل أن التلاميذ كانوا يعاينون المعجزة ولا يعنون بها، لقد جرت من فوق رؤوسهم القوات العظيمة وقلبهم نائم. مع أن المعجزة كانت لهم، والقوات جرت لتجري في قلوبهم ودمائهم، ولكن هيهات.

إن في هذا الفصل من الإنجيل وقفة حساب ومحاسبة على حصيلة ما اكتسبه التلاميذ مما رأوه وسمعوه، فاكتشف المسيح أنهم هم الآخرون سمعوا ولم يسمعوا ونظروا ولم يروا!!

والقارئ ذو البصيرة سيرى في الحال أن درس التلاميذ هو درسه، والحساب العسير الذي أجراه المسيح لهم هو حسابه؛ بل والكنيسة إن كانت صاحية وإن كان قد بقي لها أُذن تسمع أو عين ترى فإنها حتماً ستدخل تحت هذا الحساب وهذه المحاسبة، وهذا التوبيخ الشديد عينه.

والأمر يا إخوة خطير، وإن كنَّا قد سبقنا وألمحنا إليه، ولكن آن الأوان لنشرحه على ضوء حساب المسيح. فمعجزة الخمس خبزات كما سبق وقلنا لم تكن مجرد كسر خبز يؤكل فيملأ البطن، بل هي آية تحمل معنى الجسد المكسور الذي هو بعينه سر الإفخارستيا. فالجموع أكلت وشبعت على حس "كسر الخبز" الذي أشبع خمسة آلاف، بل وعلى استعداد أن يشبع خمسة آلاف الآلاف. فكسر الخبز - كما قلنا - ارتفع بالسر الذي فيه على يد المسيح من كسر خبز يأكله الإنسان ويموت إلى كسر خبز حي، هو جسد المسيح الذي يأكل منه الإنسان ولا يموت إن هو

أدرك السر وأكل منه لا بالفم بل بالروح. أمَّا الخمسة آلاف فأكلوا الخبز المكسور وشبعوا وأحسوا بالقوة التي فيه ولكن لم يفهموها، فأرادوا منه المزيد، فصمَّموا أن يختطفوه ويجعلوه ملكاً لكي يعطيهم هذا الخبز كل حين فيأكلوا للشِبَع. ولهذا وبَّخهم المسيح في موضعه. ولكن الذي أساء إلى السر وإلى معناه بالأكثر هم التلاميذ الذين اشتركوا مع الخمسة آلاف لكي يختطفوه ويجعلوه ملكاً، ويكونون هم على شماله وعن يمينه، الأمر الذي أساء إلى المعجزة وإلى المسيح وإلى سر الإفخارستيا والملكوت.

وعاد المسيح وعن إصرار وكرَّر السر في العشر مدن واشترك فيه التلاميذ وأكلوا، وانتظر المسيح بارقة أمل أن يكونوا قد فهموا السر أو حتى على الأقل يسألونه، فما فهموا وما سألوا.

وحينئذ جاء اختبار المسيح حينما أوصاهم: «انظروا وتحرَّزوا من خمير الفريسيين وخمير هيرودس» (مر 15:8). والقصد واضح وهو تعاليمهم الفاسدة، أمَّا هُم ففكروا ــ ولا نعلم بأي عقل فكَّروا ــ أن المسيح يتكلَّم عن الخبز لأنهم نسوا أن يأخذوا معهم خبزاً إلاَّ رغيفاً واحداً. وهكذا لم يربطوا بين معجزتي المسيح في الخمس خبزات والخمسة آلاف والسبع خبزات والأربعة آلاف، التي هي كما شرحنا عبارة عن إفخارستيا واضحة، شرحناها ورجعنا إلى ق. يوحنا حينما انتقل المسيح من خبز المعجزة الذي أكلوا منه وشبعوا إلى الخبز الحي الحقيقي النازل من السماء الذي يأكله الإنسان ولا يموت.

فالتلاميذ أكلوا من المعجزة الأُولى وشبعوا، ومن المعجزة الثانية وامتلأوا كالشعب، فلم يفترقوا عن عامة الناس شيئاً. علماً بأن المسيح بالأساس قد عمل المعجزتين أمام التلاميذ واشتركوا فيهما ليدركوا سرها الإفخارستي على ضوء ما علَّم به المسيح، أن هذا الخبز هو آية سماوية يشير إلى المسيح نفسه كخبز الحياة النازل من فوق، وأن كسر الخبز هو قلب الإفخارستيا وسرّها وقوتها. لكن لم يلتفتوا إليه، وأكلوا ولم تنفتح أعينهم لسر المسيح.

فلما عادوا يفكِّرون في قلة الخبز الذي معهم في المركب بدأ المسيح يراجعهم كونهم أسقطوا من حسابهم قدرة المسيح لإجراء السر حتى على خبزة واحدة ليأكل منها آلاف وليس اثنا عشر (تلميذاً) أو ربما أقل.

هنا يركِّز المسيح على مفهوم سر كسر الخبز الذي جرى أمامهم مرتين، والذي بمقتضاه كان يلزم ويتحتَّم أن لا يحملوا همَّ الخبز.

هنا أدخل المسيح منذ هذا اليوم في الإيمان المسيحي مفهوماً متسعاً لسر الإفخارستيا، أن الذي

اشترك في كسر الخبز وذاق استعلان الجسد المكسور لا يعود يحمل همَّ خبز الجسد. فسر الإفخارستيا طغى على أعواز الإنسان من جهة الجوع وشبع الجسد، ومن جهة خبز الحياة الأبدية بآن واحد. علماً بأن إفخارستية الخمس خبزات والسبع في وضعها الابتدائي المنظور أشبعت بالفعل خمسة آلاف وأربعة آلاف، ولكن إفخارستية العشاء الأخير في وضعها السرِّي الفائق انشغلت بالجوع والشبع السماوي للروح وتأمين الحياة ضد الموت إلى الأبد.

فإن ظهر المسيح في هذا الفصل عنيفاً بصورة لم يسبق لها مثيل على التلاميذ فذلك لأنهم أسقطوا من إحساسهم وفهمهم وقلبهم وسمعهم وبصرهم سر الإفخارستيا، وذهبوا يهتمون بنقص خبز الطعام. فهو في عنفه هذا الذي ليس له مثيل إنما يخاطب الكنيسة الآتية التي أسَّسها الرسل والمسيح نفسه على سر الإفخارستيا، لأنه من الجسد المكسور والجنب المطعون وُلِدَت الكنيسة حاملة سر الإفخارستيا كروح لها وكيان.

وأنا الآن أتصوَّر المسيح يعيد الكلام مرَّة أخرى للكنيسة وهي الأَوْلَى بالتوبيخ:

+ «لماذا تفكرون أنَّ ليس عندكم خبزٌ؟ ألا تشعرون بعد ولا تفهمون؟ أحتى الآن قلوبكم غليظة؟ ألكم أعين ولا تبصرون، ولكم آذان ولا تسمعون، ولا تذكرون؟ حين كسرت الأرغفة الخمسة للخمسة آلاف، كم قُفَّةً مملوَّةً كسراً رفعتم؟ ... وحين السبعةِ للأربعة آلاف، كم سلَّ كسرٍ مملوًّا رفعتم؟ ... كيف لا تفهمون!؟» (مر 8: 17-21)

والذي يُقال للكنيسة يُقال لي ولك أيها القارئ.

14:8و15 «وَنَسُوا أَنْ يَأْخُذُوا خُبْزاً، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ إِلاَّ رَغِيفٌ وَاحِدٌ. وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: انْظُرُوا وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَخَمِيرِ هِيرُودُسَ».

احتار العلماء في أن هذا الفصل هل يبتدئ بالآية (14) أم الآية (13) وذلك من حيث ربط هذا الفصل بما سبق، وقد آثرنا أن نبدأه بالآية (14) كقسم مستقل نوعاً ما بذاته.

والقصة تبدأ فعلاً بنسيان التلاميذ أن يأخذوا خبزاً معهم، ولم يكن عندهم إلاَّ رغيفٌ واحدٌ، والمسيح لم يكن يدري بذلك. فليس ق. مرقس هو الذي عمل هذا الترتيب ليعلِّق عليه، ولكن الظروف أوحت بذلك. أمَّا توصية التلاميذ من جهة أن يتحرَّزوا من خمير الفريسيين وخمير هيرودس «الذي هو الرياء» (لو 12:1)، الأمر الذي لم يشرحه المسيح ولا القديس مرقس، فهي جملة عارضة جاءت أهميتها جزافاً حينما حوَّل التلاميذ السؤال بفهم خاطئ إلى أن المسيح يسائلهم عن عدم

وجود خبز.

16:8–21 «فَفَكَّرُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَيْسَ عِنْدَنَا خُبْزٌ. فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ أَنْ لَيْسَ عِنْدَكُمْ خُبْزٌ؟ أَلاَ تَشْعُرُونَ بَعْدُ وَلاَ تَفْهَمُونَ؟ أَحَتَّى الآنَ قُلُوبُكُمْ غَلِيظَةٌ؟ أَلَكُمْ آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُونَ، وَلاَ تَذْكُرُونَ؟ حِينَ كَسَّرْتُ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ لِلْخَمْسَةِ الآلاَفِ، كَمْ قُفَّةً مَمْلُوَّةً كِسَراً رَفَعْتُمْ؟ قَالُوا: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ. وَحِينَ السَّبْعَةِ لِلأَرْبَعَةِ الآلاَفِ، كَمْ سَلَّ كِسَرٍ مَمْلُوًّا رَفَعْتُمْ؟ قَالُوا: سَبْعَةً. فَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ لاَ تَفْهَمُونَ؟».

«ليس عندنا خبز»:

عجيب حقـًّا أمر التلاميذ الذين خدموا إفخارستية إشباع خمسة آلاف رجل ومعهم النساء والأطفال، وخرجت من أيديهم آلاف الأرغفة المكسورة، وكان الموجود خمس خبزات فقط، أن يعودوا ويقولوا ليس عندنا خبز، علماً بأن المسيح في وسطهم ويقولون ليس عندنا خبز!! أبناء السر الذين خدموا السر وأشبعوا الآلاف من السر، والسر بين أيديهم وفي وسطهم ولا ينظرون ولا يسمعون ولا يتذكَّرون، بل ولا يشعرون بالسر القائم في وسطهم. لقد فقد القلب الإحساس بالسر ووجوده وعمله، والمسيح واقف يسمعهم ويتأمل في ما بلغوا إليه من جحود بسرِّه، بل وما بلغوا إليه من عدم الإحساس: «تركوني أنا الحبيب مثل ميت»

أيكون معهم وفي وسطهم الخبز الحي الذي على استعداد لإشباع العالم كله ويقولون ليس عندنا خبز؟ الخمس خبزات لا يذكرونها، كيف تحوَّلت بين أيديهم إلى سر الكثرة الهائل، والسر هو الذي أصبح يُشبع وليس الخبز ويعودون يطلبون الخبز! والسر أمامهم وفي وسطهم قادر أن يحوِّل الرغيف الواحد الذي في سفينتهم إلى ملء السفينة كلها من الكسر؟

لم يحتمل المسيح أن أبناء سرِّه الذين خرجت من أيديهم اثنتا عشرة قفَّة مملوءة من فضلة السر المبارك يعودون فيضطربون من أجل الخبز.

«لماذا تفكّرون أن ليس عندكم خبز؟»:

وأنا معكم وأمامكم كيف وبعد الخمس الخبزات والاثنتي عشرة قفَّة، والسبع الخبزات والسبعة السلال ولم تنفتح عيونكم وآذانكم وتشعرون بقلوبكم لتدركوني؟ ألست أنا الخبز الحقيقي الذي حوَّل خبز العدد إلى الخبز الذي بلا عدد، هل الخمسة آلاف رجل ومَنْ معهم من نساء وأطفال تشبعهم حقـًّا الخمس خبزات أم أنا؟ أنا الذي سلَّمتكم الكِسَر وفيها سرِّي ووزعتم أنتم من سرِّي

وأشبعتم الجموع من سرِّي. أهكذا لا تتذكَّرون؟ أهكذا لا تفهمون؟ أهكذا لا تشعرون؟ أتجحدون سرَّ وجودي بينكم؟ أتجحدون سرِّي الذي استودعته أيديكم بل قلوبكم فما وعيتم. أهكذا قلوبكم غليظة؟ ألا تعلمون أني كنت في الحقيقة لا أكسر الخبزات الخمس بل أكسر جسدي، ومن جسدي كنت أطعمكم وأُطعم الجموع من أيديكم، وكما أطعمتم بني وطني أطعمتم الأُمم بنفس الخبز بل بنفس الجسد وخدمتم أنتم سرِّي، كيف لا تنفتح أعينكم؟ إفخارستيتي حاضرة معكم كل حين وتعودون تقولون ليس عندنا خبز! أتنكرون وجودي، أتنكرون سرِّي، أتزدرون بجسدي المكسور لكم ومن أجلكم؟!

قلت في نفسي ها أنا سلَّمتكم سرَّ حياتي ووجودي في سرِّ الجسد!! وقلت في نفسي أنْ أبني بكم كنيستي وعلى صخر إيمانكم بسرِّي لأُشبع العالم كله من سرِّ جسدي. أهكذا تكسرون قلبي كأنكم لم تفهموا سرَّ كسر جسدي، وتقولون ليس عندنا خبز؟ سؤالاً واحداً أسألكم: ممَّا شبعتم: أَمِنْ الخمس خبزات، أم مِنْ سرِّي؟ فإن كنتم قد أكلتم من السرِّ فشبعتم أتعودون تحملون همَّ الجوع وأنا معكم لملء الشِبَع؟ أهكذا أنتم غير فاهمين؟ أنا هو الخبز الحي النازل من السماء، أنا هو إفخارستية الدهور ليأكلني الإنسان فلا يجوع ولا يموت، كيف لا تفهمون؟!!

46 أعمى بيت صيدا

[8: 22–26] (ليس لها موازٍ)

تمتاز هذه القصة بأنها لم ترد إلاَّ في إنجيل ق. مرقس فقط، كما تمتاز بما يُلابسها من حركات خاصة مثل قصة الأصم الأخرس السابقة (7: 32–37). ففي الاثنتين أخرج المسيح الإنسان المحتاج للشفاء خارجاً: ففي الأُولى: «أخذه من بين الجمع على ناحية» (33:7)، وفي القصة الثانية التي نحن بصددها: «**أخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية.**» (23:8)

وفي القصتين تفل المسيح واستخدم اللعاب في الشفاء:

ففي القصة الأُولى: «وتفل ولمس لسانه» وفي القصة الثانية للأعمى: «**وتفل في عينيه**».

وفي الاثنتين وضع أصبعه عليه:

ففي الأُولى: «ووضع أصبعه في أُذنيه» وفي القصة الثانية للأعمى: «**ووضع يديه عليه**».

والميزة التي تبرز في القصتين أن الشفاء تمَّ بصعوبة وعلى مراحل، وهذا بحد ذاته يُحسب عاملاً هاماً من عوامل إعطاء القصة أصالة من جهة التقليد المحفوظ كجزء حيّ من تاريخ الكرازة.

ولكن بسبب واقعية القصتين جداً وبما احتوته من حركات مُسَاعِدة مادية، رفض كل من القديسين متى ولوقا تسجيلهما ضمن التقليد، لأن اتجاه ق. مرقس هو الواقعية حتى ولو ظهر في الرواية عوامل بشرية تتخلَّل المعجزة. أمَّا كل من ق. متى وق. لوقا فكان تقليدهما أن يقدِّما معجزة بلا حركات تُضعف الاتجاه اللاهوتي فيها. وهذا بحد ذاته يضع ق. مرقس بالنسبة للتحقيق التقليدي الديني من جهة الأصالة في مرتبة عالية جداً.

ويُلاحِظ القارئ المدقِّق كيف يصف ق. مرقس وضع اليد لمرَّة ثانية بصورة ظاهرة كجزء هام في تكميل عمل المعجزة، مع أن عملية الشفاء بحد ذاتها كانت قد استكملت أدواتها «ثم وضع يديه أيضاً (أي ثانية) على عينيه وجعله يتطلَّع فعاد صحيحاً» (25:8). فوضع اليد في المرَّة الأُولى كان عليه أي على رأسه، ووضع اليد للمرَّة الثانية كان على عينيه. هنا يتسجَّل للقديس مرقس التدقيق في متابعة عملية المعجزة بأعمال رآها هو هامة جداً ورآها الآخرون أنها تضعف من جلال المعجزة، ونحن مع ق. مرقس.

وإزاء القصتين اللتين قدمهما ق. مرقس عن الأخرس الأصم والأعمى وما رافقهما من تعامل مع المريض وشفاء بصعوبة، نقدِّم للقارئ قصصاً مماثلة لكل من ق. متى وق. لوقا ليرى مدى السهولة وعدم التعقيد في تتميم الشفاء بحسب تسجيلهما:

ق. متى: (22:12) **أعمى أخرس:**

+ «حينئذ أُحضر إليه مجنون أعمى أخرس فشفاه حتى إن الأعمى الأخرس تكلَّم وأبصر»

ق. متى: (32:9) **أخرس:**

+ «إذا إنسان أخرس مجنون قدَّموه إليه، فلما أخرج الشيطان تكلَّم الأخرس»

ق. لوقا: (14:11) **أخرس:**

+ «وكان يُخرج شيطاناً وكان ذلك الشيطان أخرس فلمَّا أخرج الشيطان تكلَّم الأخرس»

فإذا رجعنا للقديس مرقس وجدنا الفرق في تقديم الرواية عن المعجزة يختلف اختلافاً كبيراً جداً. فكأنه يتكلَّم عن معجزات أخرى تماماً. والسهولة التي يروي بها ق. مرقس بالرغم من تعقيد

الإجراءات على الواقع تأتي من أن تقليد ق. مرقس تقليدٌ شفاهي عن شاهد عيان يروي بسهولة الرواية الشعبية، ولكنه يروي كمَنْ عاصر وسمع ورأى كل ظروف إجراء القصة، من اللمس ووضع اليد والتفل ولمس اللسان ووضع الأصابع في الأذن واستجواب المريض عن ماذا يرى ثم إعادة إجراء الشفاء بوضع اليد مرَّة أخرى.

ومن ملاحقة ق. مرقس في اهتمامه الفائق بالقارئ فهو يعطي كل ما يمكن أن يجعله شريك رؤيا وسَمْع لكل ما عمل المسيح، لأن ق. مرقس نفسه كان واحداً ممن سمعوا ورأوا واستمتع بالملاحظة الدقيقة، واستلم أيضاً من شهود عيان نقلوا له عن سَمْعٍ ورؤيا. ولهذا نكتشف في الحال قلق ق. مرقس الزائد عن الحد في تقديم توبيخ المسيح الشديد لتلاميذه لأنهم لم يستخدموا عيونهم وآذانهم وإحساسهم وشعورهم وفهمهم ووعي قلبهم لمعجزات كسر الخبز. فالعنف الشديد الذي ظهر به المسيح وهو يوبِّخ تلاميذه الأعزاء الأحباء كان لكي يوجه نظر القارئ في جيله ـ وكل الأجيال القادمة ـ إلى أن يفتح أذنيه ويستجلي بعينيه ويشعر بقلبه ويحس بمشاعره كل ما يقرأ ويسمع، لأن القارئ في الحقيقة يقف موضع التلاميذ كشاهد عيان وسامع أسرار ينقلها لقلبه وينقلها لغيره. هذه هي الكنيسة عند ق. مرقس وهذا هو الإنجيل.

وغيرة المسيح الشديدة بل قلقه وضيق نفسه من تلاميذه لأنهم لم يفهموا كسر الخبز أنه إفخارستيا مكرَّرة أمام عيونهم مرتين، ينقلها ق. مرقس لنا بنوع من الرجاء أن لا نمثِّل نحن نفس دور غير الفاهمين في حياتنا المسيحية، وإلاَّ ما قيمة كل الذي عمله المسيح وكل ما قاله، أو ما قيمة الإنجيل؟

وبالنهاية يتضح مزاج ق. مرقس الإنجيلي ومنهجه وروحه التي كتب بها الإنجيل، وهو "**التعليم**"، وهذا واضح تاريخياً وتسجيلياً وجغرافياً. فالقديس مرقس كاروز الديار المصرية هو الذي ألهم شعب مصر فن رواية الإنجيل مع الإحساس به بقلب وذهن مفتوح. فأول ما عمله القديس مرقس بعد أن أسس الكنيسة أنه وضع أساس مدرسة اللاهوت، وهو أول مَنْ وضع تعاليم الرسل والديداخي على مستوى تعليم الشعب الأمِّي. وبعد أن رسم القديس مرقس أول أسقف على الإسكندرية طالب الشعب بترجمة إنجيله الذي كان باليونانية إلى القبطية البحيرية بمجرَّد أن زار حصن بابليون حيث الجالية اليهودية. وبعدها تُرجم الإنجيل إلى اللغة الصعيدية بعد ذلك.

لقد ساق الله القديس مرقس ليؤسِّس كنيسة مصر فكان اختيار الله عجيباً، فمصر هي صاحبة أقدم حضارات العالم، حضارة تأصَّلت على علم بلغ شأوه ومعرفة بالله الواحد الذي انتهت إليه كل عبادات الفراعنة، مع معارف وفنون وأدبيات وأسرار الطبيعة التي لما عجز علماء الآثار عن معرفة

أصولها قالوا إنها سِحْرٌ. فجاء معلِّم الإنجيل الأول ورسول رافق المسيح في شبابه وشاهد وشهد وكتب وجمع كل تقليد الكنيسة منذ نشأتها، فأرسى حضارة الإنجيل والروح على حضارة العلم والمعرفة، فكانت كنيسة مصر أم كنائس الدنيا التي أنجبت أعظم علمائها وأفرزت منها روح الرهبانية الأُولى التي اغترف منها العالم كله. كنيسة مصر صاحبة أول مدرسة لاهوت إنجيلي في العالم. وبالنهاية فالقديس مرقس معلِّم تقليد وكنيسة!

22:8-24 «وَجَاءَ إِلَى بَيْتِ صَيْدَا، فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَعْمَى وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِ الأَعْمَى وَأَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ، وَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ هَلْ أَبْصَرَ شَيْئاً؟ فَتَطَلَّعَ وَقَالَ: أُبْصِرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَمْشُونَ».

هذه مرَّة أُولى يَشفي المسيح فيها أعمى، والثانية تأتينا في الأصحاح العاشر (46-52). ومن أعجب ما يمكن أنه هنا في القصة الأُولى يطلب الناس من أجل الأعمى ويقدِّمونه إلى المسيح ويترجون أن يلمسه. ويبدو أن الأعمى لم يسمع بيسوع، ولم يكن يعلم مَنْ هو يسوع ولم يبدُ عليه أي علامات الإيمان المسبق، لذلك أخذت عملية الشفاء طريقاً صعباً وإجراءات كان لابد منها، وكان على المسيح أن ينقل إليه شيئاً من لعاب فمه كما يُنقل الدم لمريض مُدْنِف على الموت؛ بل واستلزم أيضاً أن يضع يديه عليه مرتين إلى أن أبصر صحيحاً. ولكن في قصة الأصحاح العاشر وهي لمريض مشهور جداً باسمه ألّفت الكنيسة عليه ألحانها ورصدت له قراءات إنجيله، وهو الأعمى ابن طيما، هذا لما سمع بيسوع ماشياً صاح وأضجّ الدنيا من حوله: «يا ابن داود يا ابن داود» هذا شفاه المسيح ليس بلمسة ولا بوضع يده ولا تفل في عينيه بل قال له: «اذهب إيمانك قد شفاك فللوقت أبصر.» (مر 52:10)

يا لعجبك يا قديس مرقس صاحب التقليد الأمين والعالِمِ الذي يروي على مستوى العلماء، لا يشرح لماذا هذا ولماذا ذاك، وترك للقارئ أن يحكم وينحاز لمنْ يجب الانحياز إليه. ولكن ق. مرقس يصر دائماً على أنّ تَوفُّر الإيمان ينهي على مشكلة الشفاء ويرفع قوة المعجزة إلى أقصاها. القديس مرقس ليس قصَّاص إنجيل بل قصَّاص الإيمان يقوده روحُ الإنجيل والمسيحُ الذي يخدم اسمه.

ويُلاحِظ القارئ في قصة الأخرس الأصم السالفة (7: 32-36) أنه أُممي من المدن العشر، فالمسيح لما أراد أن يشفيه «أخذه من بين الجمع على ناحية» ولكن هنا في قصة هذا الأعمى «أخرجه خارج القرية» لأن في القصة الأُولى كانت المنطقة برية خارج المدن، أمَّا هنا فهي في قرية بيت صيدا.

«وسأله هل أبصر شيئاً؟»:

يبدو أن عينيه كان عليها غشاوة ثقيلة حجبت الرؤيا «أُبصِر الناس كأشجار يمشون» فالمسيح هنا تدخَّل بريقه (تفل في عينيه) ليرفع هذه الغشاوة الملتحمة بالعين. شيء لا يمت للطب بصلة. فلمَّا أبصر الأعمى لم يبصر سليماً لأن العين نفسها لم تعتَد الرؤيا السليمة بعد، فوضع يديه على عينيه ليبث فيها قوة الرؤيا، وكأن المسيح أوصل بسرّ فائق قوة سرية من عينيه لعيني الأعمى.

25:8 **«ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ أَيْضاً عَلَى عَيْنَيْهِ، وَجَعَلَهُ يَتَطَلَّعُ. فَعَادَ صَحِيحاً وَأَبْصَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ جَلِيًّا»**.

«جعله يتطلَّع»: ™po...hsen aÙtÕn ¢nabl šyai

هذه العبارة تفيد أنه ''تطلَّع بغير إرادته''، وكأن المسيح أعطاه أمراً ''تطلَّع''، بمعنى أن المسيح أعطاه قوة ليرفع جفنه المغلق.

طبعاً لابد للقارئ أن يتعجَّب من كثرة حوادث فتح عيون العمي، ولكن هي مقصودة قصداً، فهي إحدى علامات أيام المسيَّا التي وُضِعَت بتدبير وحكمة لينتبه الناس ويدركوا مَنْ هو هذا الطبيب الشافي «حينئذ تَتَفَقَّح عيون العمي وآذان الصم تتفتَّح» (إش 5:35). وهذه الحقيقة علَّق عليها المسيح نفسه لما قاوم الفريسيون حالة شفاء «فقال يسوع لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يُبصر الذين لا يُبصرون ويَعْمَى الذين يبصرون» (يو 39:9). وفهم في الحال الفريسيون المعاندون أنه يقصدهم بعد أن أخرجوا الأعمى من المجمع (حرمان) لأنه شهد للمسيح أنه قد شفاه: «فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين، وقالوا له: ألعلنا نحن أيضاً عميان؟» (يو 40:9)

26:8 **«فَأَرْسَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ قَائِلاً: لاَ تَدْخُلِ الْقَرْيَةَ، وَلاَ تَقُلْ لأَحَدٍ فِي الْقَرْيَةِ»**.

لا يملّ القديس مرقس من ذكر هذا الطلب الذي يطلبه المسيح دائماً بعد كل شفاء وينقضه المريض دائماً أيضاً إذ لا يطيق نفسه من الفرحة. ولكن سبق أن شرحنا خسارة الإنسان الذي يُفشي سرَّ الله الخصوصي معه!

بداية إنجيل الآلام

47 اعتراف القديس بطرس
وتنبؤ المسيح عن آلامه للمرَّة الأُولى

[8: 27-33]

(مت 16: 13-23)

(لو 9: 18-22)

ربما يعجب القارئ حينما يعلم أننا الآن باعتراف القديس بطرس أصبحنا بالنسبة لإنجيل ق. مرقس في منتصفه تماماً!!! وتجيء قصة اعتراف ق. بطرس التي تقوم عليها الكرازة كلها لتفصل النصف الأول من الإنجيل عن النصف الثاني.

وإن الإنسان ليندهش من قدرة ق. مرقس على التحكُّم في رؤية الإنجيل العام ككل مسبقاً بهذا القدر من الدقة والترتيب. فبينما يأتي اعتراف ق. بطرس في إنجيلي ق. متى وق. لوقا من الإنجيل في موضع غير مختار، ولا يحدِّد هذا الاعتراف في وضعه أي قيمة بالنسبة لرواية الإنجيل ككل، نجد ق. مرقس يحدِّد موضعه تحديداً حتى بمجرَّد أن قال ق. بطرس قولته الاستعلانية بدأ المسيح استعلان آلامه وموته وقيامته. وذلك حدَّده هذا الإنجيلي البارع في منتصف الإنجيل تماماً ليفصل بين إنجيل التعليم بالمثل والمعجزة، وإنجيل الكرازة بالآلام الحتمية المزمعة(4)!

فالنصف الأول من الإنجيل خصَّصه ق. مرقس لأعمال المسيح وتعاليمه وأمثاله ومعجزاته دون أي إشارة إلى آلامه أو موته أو قيامته. وفجأة توقف المسيح وهو سائر في طريق قيصرية فيلبُّس وسأل تلاميذه عمَّا يقوله الناس عنه مَنْ هو؟ وطبعاً هذا السؤال لكي يعرف المسيح بماذا انتهت إليه الكرازة في التعريف بشخصه. فقالوا له إن الناس يقولون إنه يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون واحد من الأنبياء. ثم سألهم ثانية وأنتم مَنْ تقولون إني أنا؟ فأجاب ق. بطرس عن التلاميذ وقال له: أنت هو المسيَّا (المسيح). وهنا ارتاح قلب المسيح وأدرك أنه قد استعلنت حقيقة ماسيَّانيته عند

(4) راجع المقدِّمة صفحة 56-59.

التلاميذ. ومن هذه اللحظة بدأ المسيح بدون حرج يكشف عن آلامه القادمة وموته وقيامته الذي هو الهدف النهائي من كرازته.

والآن نأخذ لمحة سريعة عن بداية النصف الثاني من الإنجيل من (8: 27-33).

عندما قدَّم ق. بطرس اعترافه نيابة عن التلاميذ بخصوص مَنْ هو يسوع قائلاً: «**أنت هو المسيح**»، قابل المسيح هذا الاعتراف بالرضى، ولذلك قيل في موضع آخر: «وفي تلك الساعة تهلَّل يسوع بالروح وقال: أحمدُكَ أيها الآب، رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه (يسوع هو المسيَّا) عن الحكماء والفهماء (الكتبة والفريسيين) وأعلنتها للأطفال (التلاميذ). نعم أيها الآب، لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك» (لو 10:21). لأن المسيح بحسب إنجيل ق. متى ردَّ على ق. بطرس: « فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحما ودماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات» (مت 16:17). بمعنى أن الآب هو الذي أعلن سر المسيَّا لبطرس والتلاميذ.

إذن، فقد اعتبر المسيح هذه المبادرة من الآب في إعلان ماسيَّانيته أنها تصريح ببدء الإعلان عن آلامه وموته وقيامته.

ولكن التلاميذ وق. بطرس بالذات عرفنا عنهم عدم فهمهم لما يقول المسيح أو يعمل، وهذا هو الذي حدث تماماً هنا في هذا الاعتراف. فبالرغم من أن ق. بطرس بشجاعة واندفاع قال إن يسوع هو المسيَّا، ومعروف مَنْ هو المسيَّا، إلاَّ أنه بمجرَّد أن فتح المسيح موضوع الآلام: «من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أُورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم» (مت 16:21)، حتى تدخَّل ق. بطرس في الحال: «فأخذه بطرس إليه (في السر) وابتدأ (بطرس) ينتهره (المسيح) قائلاً: حاشاك يا رب! لا يكون لك هذا!» وهكذا وقف ق. بطرس عثرة في طريق المسيح بسبب عدم فهمه وضعف إحساسه القلبي، فما كان من المسيح إلاَّ أن قال له: «اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس.» (مت 16: 22و23)، (مر 8:33).

واضح هنا أن المسيح يملك قوَّة التنبؤ عن نفسه دون أن يتأثَّر بأفكار تلاميذه وألاعيب الشيطان معهم. وفي الحقيقة صار اعتراف ق. بطرس حجر الأساس في بناء الكنيسة المسيحية. فإن كان ق. بطرس لم يستطع أن يصون هذا الاعتراف، ولكنه سلَّمه علناً وبقوة لكنيسة الدهور التي بناها المسيح على صخرة إيمان ق. بطرس والتلاميذ. لذلك يفتخر ق. بولس الرسول أن الكنيسة المسيحية مبنية على أساس الرسل والأنبياء والمسيح نفسه هو حجر الزاوية.

ويقول العالِم كلوزنر(5): إن الأساس التاريخي لهذه المعلومة التي قالها ق. بطرس وسجَّلها ق. مرقس إن أنكرها أحد يكون بمثابة مَنْ يُدخل التاريخ المسيحي كله في الضباب.

والمسيح بأقواله وأعماله بعد ذلك عمَّق هذه الحقيقة. وقد انبرى مرقس الرسول في إنجيله يؤيِّد هذه المقولة بإبراز آلام المسيح الخلاصية حتى جعل قصص وأقوال آلام المسيح هي ذاتها تنطق أن "يسوع هو المسيح ابن الله". اسمع ما سجَّله ق. مرقس في الحال من عنده!!

+ «وابتدأ **يعلِّمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألَّم كثيراً، ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم.**» (مر 31:8)

+ «**وكيف هو مكتوب** (في الأنبياء) **عن ابن الإنسان أن يتألَّم كثيراً ويُرذل.**» (مر 12:9)

+ «لأنه كان يعلِّم تلاميذه ويقول لهم: إن **ابن الإنسان يُسلَّم إلى أيدي الناس فيقتلونه. وبعد أن يُقتل يقوم في اليوم الثالث.**» (مر 31:9)

+ «**وأمَّا هُم فلم يفهموا القول، وخافوا أن يسألوه.**» (مر 32:9)

هذا غير ما كدَّسه ق. مرقس من تعاليم المسيح السافرة عن هذا الموضوع:

+ «ها نحن صاعدون إلى أُورشليم، **وابن الإنسان يسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويسلِّمونه إلى الأُمم، فيهزأُون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم.**» (مر 10: 33و34)

ولكن كان هذا الأمر أعلى جداً من رؤية التلاميذ التي وقفت عند أنه سيملك على إسرائيل وأنهم سيكونون أعواناً له في ملكه.

27:8 «**ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَتَلاميذُهُ إِلَى قُرَى قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ. وَفِي الطَّرِيقِ سَأَلَ تَلاَمِيذَهُ قَائِلاً لَهُمْ: مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟**».

«**قيصرية فيلبُّس**»: Kaisare…aj tÁj Fil…ppou

سمِّيت كذلك لتفريقها عن المدينة الكبرى المسمَّاه قيصرية فقط التي هي قاعدة الحكومة الرومانية وهي على الساحل. ولكن قيصرية فيلبُّس هذه موقعها عند منابع نهر الأُردن الواقعة على منحدرات جبل حرمون، وهذه كانت تسمَّى في العهد القديم "بانياس". والاسم "بانياس" مشتق من مغارة

(5) **J. Klausner, *Jesus of Nazareth*, London, 1929, p. 300.**

كبيرة تسمَّى pane‹on مكرَّسة لعبادة الإله بان، وبجوار هذه المغارة بنى هيرودس الكبير معبداً تكريماً لأغسطس. وقبل ذلك بعدة قرون كان المكان مكرَّساً لعبادة الصنم "بعليم". وقد أعيد بناء المدينة بواسطة هيرودس فيلبُّس ودعيت باسمه قيصرية فيلبس(6).

وقد أشاد الرحالة والمؤرخُّون بخصب هذه البقاع، ويقول عنها الرحالة ستانلي(7) إنها حديقة غناء خضراء وبها مساقط مياه نابعة من غابات وصفوف الزيتون تُرى من بعد.

وقيصرية فيلبُّس تقع على بعد 25 ميلاً شمال بيت صيدا.

ومرقس الرسول لا يقول إن المسيح دخل المدينة ولكن كان في الطريق إليها، ولو أنه يلزم أن يكون قد عبرها أو عبر القرى المحيطة بها لكي يصل إلى مكان التجلي على جبل حرمون.

وسألهم المسيح وهم سائرون في الطريق لأنه يعلم أن تلاميذه كانوا متصلين بعامة الشعب.

28:8 «**فَأَجَابُوا: يُوحَنَّا الْمَعْمَدانُ. وَآخَرُونَ إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ**».

وهكذا في جميع هذه التصورات لدى الشعب لم يصل أحد لفهم أنه المسيَّا، وطبعاً هذا شيء محزن للغاية مما يزكي قول المسيح أن لهم عيون لا تبصر وآذان لا تسمع. ويقيناً لو كان هؤلاء الكتبة والفريسيون من المجتهدين حقًّا في دراسة كتب الأنبياء، ثم كانوا أمناء في تعليم الشعب الأسفار المقدَّسة، لتربَّى عندهم وعند الشعب حساسية روحية أمكنهم بها أن يقارنوا بين ما قيل بالأنبياء وما يقول يسوع الرب. ولكن هؤلاء الكتبة والفريسيين صدق قول المسيح فيهم: «اتركوهم هم عميان قادة عميان» (مت 14:15). بمعنى أن أذهانهم غير مفتوحة لمعرفة قوة النبوات وزمانها. وقد وبَّخهم المسيح لأنهم يعرفون علامات السماء إن كانت صحواً أو محمرة بعبوسة فيتنبأون بالمطر قبل مجيئه، ولكنهم انعمت عيونهم عن معرفة الزمان الذي سيجيء فيه المسيح بحسب إشارات وعلامات الأنبياء. فكارثة إسرائيل كانت على يد معلميها دكاترة الناموس وعلماء اللاهوت. جاء المسيَّا فقالوا به شيطان، فخزوا أبناءهم وفضحوا توراتهم وحملوا دم المسيح عليهم وعلى أولادهم.

أيها الإخوة الأحباء والأعزاء معلمي الشعب، أنتم تتحملون وزر جهالة الشعب وتدفعون ثمن

(6) **Joseph., *Ant.*, xviii, 2-1.**
(7) **Stanley, *Sinai and Palestine*, p. 397.**

فسادهم وتُسألون الآن وأمام الله عن عدم معرفتهم وضلالتهم عن الإيمان: «قد هلك شعبي من عدم المعرفة.» (هو 6:4)

29:8 «**فَقَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ!**».

اعتراف ق. بطرس يفيد أنهم عرفوه أنه هو "**مسيًّا**" الآتي الذي عليه رجاء الشعب، وق. لوقا يضيف: «(**أنت**) **مسيح الله**» (لو 20:9). وق. متى يجعلها: «**أنت هو المسيح ابن الله الحي**» (مت 16:16). وقول ق. بطرس إنه المسيح بمعنى الممسوح من الله وهو المعروف قديماً عند اليهود وحتى عند المسيحيين الأوائل: "بمسيح داود"، الذي مجيئه رجاء كل القلوب، بل اسمه كان فرحة لكل نفس تترجى مجيئه.

والقديس متى يضيف على هذا بإعطاء الطوبى للقديس بطرس لأن الذي أعلن له هذا هو الآب السماوي نفسه. أمَّا كون ق. متى نسب إلى ق. بطرس صورة الصخرة التي سيبني عليها المسيح كنيسته وحصوله على مفاتيح السماء وسلطان الربط والحل، فقد ورثها التقليد الكنسي، ولكن لم يكن المسيح يقصد بطرس الإنسان الذي أنكره ثلاث مرَّات ولكن بطرس الصخرة الإيمانية التي هي بعينها المسيح والرسل:

+ «مبنيين على أساس **الرسل** والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف 20:2)

30:8 «**فَانْتَهَرَهُمْ كَيْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ عَنْهُ**».

بمعنى أن المسيح حذَّرهم أن لا يعلنوا حقيقته أنه المسيَّا. وهذا هو منهج مرقس الرسول أن سرَّ المسيح يتحتَّم أن يكون مخفياً حتى تنمو بذرة الإيمان بلا ضجيج، فالقوى المعادية بالمرصاد. علماً بأن التلاميذ أصبحوا قوة لا يُستهان بها قادرة أن تقود الشعب إلى ثورة. فهم في نظر المسيح أخطر فئة الآن إن لم يُضبط فكرهم ويُحكموا بحزم فالثورة في قلبهم متأجِّجة لا تحتاج إلاَّ لمن يشعلها:

+ «يا رب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم.» (لو 55:9)

"**سر آلام المسيَّا**"(8):

بدأ المسيح يستعلن لتلاميذه سر آلامه المزمعة أن تكون وذلك على ثلاث مرَّات متتابعة:

(8) راجع شرح موضوع تنبؤ المسيح عن آلامه في كتاب: "مع المسيح في آلامه حتى الصليب" للمؤلِّف، صفحة 102-139 طبعة سنة 1987.

هنا المرَّة الأولى:

31:8 «وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمْ كَثِيراً، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ».

إن ما بين الكلمات والسطور هنا أخطر من المسطور ذاته. لأن ما وراء الآية السالفة إنه «انتهرهم كي لا يقولوا لأحد» هو أساساً مشيئة المسيح أن لا يُستعلن أنه المسيَّا. لأن المسيَّا عند الكتبة والفريسيين وبقية اليهود يعني المنقذ الذي سيخلِّص البلاد من عبودية الرومان حتماً. فماذا يعمل المسيح إزاء هذه الخلفية الخطيرة وراء المسيَّا بصورتها السياسية؟

هنا بدأ المسيح يعطي صورة صادقة عن المسيَّا في حقيقته الإلهية، وهي ما سيجوزه من آلام وتعاذيب ومهانة وصلب وموت!! ثم قيامة! فهذا حقَّا هو مسيَّا يسوع، ولكن استحالة أن يكون مسيَّا الكتبة والفريسيين! لذلك نسمع المسيح يعطي اسماً حركياً عوض المسيَّا وهو اسم نبوي اختاره دانيال واختاره المسيح عن دانيال: «ابن الإنسان» وابتدأ يحكي المسيح عمَّا سيصيب ابن الإنسان مشيراً إلى نفسه. وهذا مما أربك التلاميذ وغيَّر من فكرهم جداً حتى سألوه مستنكرين مَنْ هو هذا «ابن الإنسان» ، ثم مرَّة أخرى: «نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد، فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان؟» (يو 34:12). وهكذا نجح المسيح في القضاء على فكرة مسيَّا الملك المنقذ لليهود من فكر التلاميذ، كما حيَّر للغاية الكتبة والفريسيين حتى استهانوا به وقاموا بتمثيل نفس التمثيلية التي وضعها لنفسه بالنبوَّة كونه يتألَّم كثيراً ويُرفض ويُقتل. مثَّلوها وهم مطمئنين أن هذا لا علاقة له بالمسيَّا.

المرَّة الثانية:

وجاءت بعد ذلك في الأصحاح التاسع هكذا:

+ «لأنه كان يُعلِّم تلاميذه ويقول لهم: إن **ابن الإنسان** يُسلَّم إلى أيدي الناس فيقتلونه وبعد أن يُقتل يقوم في اليوم الثالث. أمَّا هم فلم يفهموا القول، وخافوا أن يسألوه.» (مر 9: 31و32)

المرَّة الثالثة:

+ «ها نحن صاعدون إلى أُورشليم، **وابن الإنسان** يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويسلِّمونه إلى الأُمم، فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم.» (مر 10: 33و34)

كل هذه المرَّات كانت محاولة من المسيح ليجعل الآلام حقيقة ماسيَّانية مقبولة، ولكن للأسف لم يستطيعوا أن يفهموها أو يقبلوها. والملاحَظ أن مقولة الآلام تزداد كل مرَّة اتساعاً بمقتضى القرب من الواقع المنتظر (الصليب) في مجال المعرفة.

والملاحَظ أن ق. مرقس لم يذكر أبداً الآلام والموت دون التأكيد على **القيامة** في اليوم الثالث، الأمر الذي تسبَّب في عدم فهم التلاميذ وخوفهم باعتباره أمراً مستغرباً.

والآن يلزمنا أن ندخل قليلاً في فكر المسيح: هل كان يعتقد أنه هو ابن الإنسان وليس المسيَّا لذلك سيتألَّم ويموت؟ أم لأنه وثق من الآلام والموت والصليب القادم فهو فعلاً وحقًّا المسيَّا لذلك قرَّر أنه سيقوم، فالقيامة هنا كانت مستمدة من حقيقته الماسيَّانية كابن الله. لذلك كانت الآلام وكان الموت عملَه ووظيفَته الماسيَّانية التي جاء ليكمِّلها من أجل الإنسان. لذلك كانت الآلام وكان الموت أعمالاً خصوصية للغاية لأن القيامة ترفع عنها كل رعبتها! هذه هي حقيقة الإنجيل العظمى: **لأنه سيقوم: مات!!، ولأنه سيُسعد البشرية بآلامه: تألَّم**، وبالحري **لأنه سيصعد إلى السموات: نزل!!، ولأنه سيعطي للإنسان ذاته: تجسَّد، ولأنَّه ابن الله قَبِلَ أن يكون ابن الإنسان!**

32:8و33 «**وَقَالَ الْقَوْلَ عَلاَنِيَةً. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ. فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ، فانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ. لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ**».

أي أن المسيح لما قال عن آلامه القادمة قالها ليس لكي لا يقولها التلاميذ كموضوع المسيَّا، ولكن قالها علناً ليقولوها هم عنه علناً. فالمسيح يقصد ذلك لأنه ينفي عن نفسه أن يكون هو مسيَّا السياسة.

ولكن ق. بطرس لا يزال غير فاهم ولا يزال القلب بغلظته كما هو رغم اعترافه بالمسيَّا هكذا، ورغم تطويب المسيح له لأنه نال استعلاناً من الآب، ولكن لا يزال ق. بطرس يحلم بالمسيح الملك والمجد على كرسيه، لذلك عنَّف المسيحَ على القول بالآلام والموت لأنها لا تليق بمجد الملوكية الذي في خياله.

فالتفت المسيح نحو التلاميذ ليسمعوا الكلام لأنه هو لهم أيضاً جميعاً وليس لبطرس فقط، فغلظة القلب على المشاع، ووبَّخ بطرس بشدَّة باعتباره إنما ينقل فكر الشيطان الذي خيَّر المسيح يوماً بأن يعطيه مُلك العالم إن هو خرَّ وسجد له، وكيف يكون السجود هنا إلاَّ بالهرب من الصليب!!؟ مبيِّناً أن الآلام القادمة والموت إنما هي مشيئة الله القدوس وإرادته، وأن بطرس يريد أن يهرِّب منها المسيح ليهرب هو منها بالتالي، وهذا الفكر بل وهذا الضمير نفسه فضحه أمام جارية لما رأى المسيحَ بالفعل أمام تهديد الموت، فقال: لست أعرفه. هذه محسوبة أنها فشل ذريع لبطرس والتلاميذ، ولكن الأكثر فضيحة أنهم **كلهم**

تركوه وهربوا!! إذ كانوا على غير استعداد قط ليس فقط أن يموتوا معه، بل وأن يقبلوا موته هو.

48 التوعية بالطريق

شرط التبعية والتلمذة الصحيحة للمسيح: حمل الصليب

[8: 34-39، 9:1] (مت 16: 24-28)

(لو 9: 23-27)

إزاء نكوص بطرس وبالتالي التلاميذ، بحسب تقدير المسيح، كان لابد أن يضع المسيح الشرط الواضح لاتباع المسيح والصورة الصادقة للتلمذة الأمينة. ذلك قبل السير في درب الصليب.

فكما قلنا سابقاً إن ق. مرقس اختار اعتراف ق. بطرس ليكون الحد الفاصل بين إنجيل التعليم بالمثل والمعجزة وإنجيل الآلام الحتمية ودرب الصليب. هكذا هنا أيضاً نجد المسيح يقف على هذا الحد الفاصل ليضع لتلاميذه الوضع الصحيح للسير معه على هذا الدرب الجديد للصليب. فهو لم يسبق قط أن أوضح لهم ماذا ينبغي أن يكونوا حتى يكونوا له تلاميذ، لأنه كان يعلِّم ولأنهم كانوا يتتلمذون للتعليم. ولكن هنا وعلى درب آلام الصليب ينبغي أن يكون التلميذ كمعلمه!! لقد انتهى التعليم بالمثل وابتدأ التعليم بحمل الصليب. فهذا الإنجيلي الحاذق والملهم أبقى على هذا الشرط حتى وضع المسيح رجله في أول خطوة على درب الصليب.

ثلاث صفات ينبغي أن يحملها الإنسان في كيانه لكي يؤهَّل للمشي مع المسيح نحو الصليب:

* الشجاعة الذاتية.

* النية العاقدة والعنيدة على البذل.

* الأمانة المطلقة للمعلِّم.

هذا هو الوضع وهذا هو الالتزام.

والآن يريد المسيح أن يسير نحو الصليب وهو مطمئن أن تلاميذه على بيِّنة من أمْرِه وأمْرِهم. فالآن ليست التلمذة هي مجرد إيمان واتِّباع؛ بل هي مسيرة نحو الصَلْبِ، والصليب على الكتف، والوجه مثبَّت إلى الأمام. ولأن المسيح يتكلَّم كلام الحسم بين الموت والحياة وعَّاهم من سقطة الموت:

«مَنْ استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكه القديسين» (مر 38:8). وبآن واحد كشف لهم قوة الحياة والمجد المعدّ: «الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة.» (مر 1:9)

34:8 «وَدَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ(9) وَيَتْبَعْنِي».

هنا أهمية الجمع بين "**التلاميذ والجمع**" ذات اتجاه واضح أن المسيح يخاطب **كل مَنْ أراد أن يكون مسيحياً**، فهي ليست دعوة مخصَّصة للتلاميذ وحدهم؛ بل لكل مَنْ أراد أن يكون للمسيح.

وقد أسقط القديس متى كلمة "**الجمع**"، وذكرها ق. لوقا ضمناً قائلاً "**للجميع**". أمَّا ق. مرقس فأوضحها بمفردها ثم ضمَّها للتلاميذ بصورة شديدة التعيين: «ودعا **الجمع مع تلاميذه**» حيث جعل الدعوة بالتساوي، وهذا هام.

«مَنْ أراد»:

المسيح هنا يخاطب أصحاب الإرادة الحرة. باعتبار أن يختار الإنسان أو لا يختار أن يتبع المسيح. ولكن بعد هذا الاستفتاح نجد أن الأمر لا يُعرَض كمجرَّد عرض على الإرادة الحرة تريد أو لا تريد، ولكن نجد أن الذي لا يريد يتورَّط في ضياع حياته الأبدية وإرادته أيضاً.

فالله يظهر دائماً في الأول أنه يعطي الحرية أن نختاره أو نرفضه، ولكن بعد أن نتدرَّج قليلاً في فهمه ومعرفته نجد أن حتمية الاختيار الحر أن نختار الله! اسمعه يعطي نصيحة للإنسان الساذج في بداية الطريق: «قد جعلتُ قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختَر الحياة لكي تحيا» (تث 19:30). ففي النصف الأول يبدو أن الإنسان حرٌّ في أن يختار أو لا يختار. ولكن النصف الثاني يكشف عن حتمية الاختيار ليعطيها كأمر، لأن الله لا يشاء أن يموت الخاطئ في خطيته، بل أن يرجع ويحيا. وهذا الأمر قد دفع فيه الله ثمناً كبيراً جداً، فقد بذل ابنه للذبح من أجل طالب الحياة، فكيف إذن لا يختار الحياة؟ إنها تكون كارثة إذ يكون كمَنْ لا يهمُّه أن الله يَذبَح ابنه لحياتنا؛ وهل ممكن؟

فالله أعطانا إرادة حرَّة لكي نختار الحياة بإرادتنا، هذا عجب دستور المعاملة مع الله، لأننا إذا اخترنا بإرادتنا الحرَّة الحياة مع الله يحسب اختيارنا له مجازاة ومكافأة. مع أنه ـ بيني وبينك ـ هو

(9) هنا أول ذكر للصليب في إنجيل القديس مرقس. وذكر حمل الصليب تمَّمه سمعان القيرواني (21:15)

الذي أعطى الإرادة الحرة وهو الذي أشار بالاختيار، الله عجيب يمنحنا الشيء ويقول لنا أعطوني إيَّاه. وقد اكتشفها النبي فقال: «لأن منك الجميع، ومِن يَدكَ أعطيناك.» (1أي 14:29)

«**فلينكر نفسه**»:

أي عملية صلب الذات قبل صلب الجسد. أي ينكر عليها التأله، وينكر عليها الكبرياء والعتو، ينكر عليها التعالي على الآخرين والسعي وراء الشهرة والغنى والسعادة الكاذبة التي تؤدِّي إلى الهلاك، ينكر عليها شهوة التلذُّذ بإخضاع الآخرين الذي هو عبادة الذات. فالذي سلَّم ذاته للمسيح لا يعود له ذات يعبدها، أو يعبدها آخر. وليس القول كالعمل، فجحد الذات هو هو الدخول إلى الموت الإرادي من أضيق باب. وعلامة الذات التي دخلت الموت من الباب الضيق أنها لا تغضب إذا جُرحت أو أُهينت كرامتها، ولا تحزن إذا ظُلمت واغتُصب حقها. والذي يُريد أن يتعلَّم فليتعلَّم من الكنعانية: « لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح **للكلاب!** فأجابت وقالت له نعم يا سيد والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل من فتات البنين» (مر 7: 27و28). هنا ينال الإنسان إكليل "**عظم الإيمان**". وإنكار الذات هو سر الصليب الأعظم الذي لا يستطيع أن يحمله إنسان أو يرتفع عليه إلاَّ إذا مارسه هو بإرادته في ذاته قبل أن يوضع أو يُفرض عليه. هنا سر العشاء الأخير الذي فيه ذبح المسيح نفسه قبل أن يذبحه أعداؤه اليهود. أن يموت الإنسان بإرادته هو سر القيامة قبل أن يميته الآخرون. فصليب المسيح صليبان: صليبي أنا وصليب المسيح، فإن استطعت أن أحمل صليبي بإرادتي عن شجاعة واقتناع واحتمال ورضى، تأهلت أن أكون ابناً لصليب المسيح، أي لاتباع المسيح حتى الجلجثة والقبر والقيامة. لذلك فسر حمل الصليب هو داخل القلب والنية والضمير.

«**يحمل صليبه**»:

هذا إذن يشمل: **أولاً**: إنكار الذات، **وثانياً**: الطاعة.

فإذا كان الذي يضع الصليب ويحدِّد شكله وميعاده هو الله والمسيح، إذن فهذا التعبير يشمل الطاعة الكلية لله قبل حَمْل الصليب، لأنه يحمل الصليب شكلاً بإرادته ولكن يحمله حقًّا بطاعته لمِنْ وضعه عليه. لذلك اعتُبر الموت مع المسيح أو من أجله أنه استشهاد، أي رؤية اليدين اللتين تضعان الصليب بقبول وفرح الطاعة، فهو شهادة ورؤية.

ويضيف القديس لوقا: «يحمل صليبه **كل يوم**» (لو 23:9). وكأنها قرين "أعطِنا خبزنا كل يوم" في الصلاة الربانية. فكما نطلب خبز كل يوم نطلب القوة لحمل الصليب كل يوم. الأُولى لغذاء الروح (الخبز الجوهري) والثانية لنجاتها من موت العالم.

«**ويتبعني**»:

أمَّا **المطلب الثاني**: الاتباع. والاتباع يستلزم الطاعة المطلقة والأمانة، وكيف؟ الآن المسيح قادم إلى امتلاك الحياة الأبدية، ملكوت الله أي الملك الأبدي. فالصليب واقع بين: إمَّا الأمانة لبيلاطس وقيصر ملك الأرض، التي اختارها رؤساء الكهنة، وإمَّا الأمانة للمصلوب باعتباره الملك الأبدي. إذن، هو اختيار بين ملك أرضي وملك سماوي. هنا الإغراء الوقتي الحسِّي والإغراء الأبدي الروحي الفائق. فاتِّباع المسيح يعني الصليب، وصليب المسيح يعني الانحياز لملك الله الأبدي والحياة الأبدية.

وواضح أن أحد التلاميذ، يهوذا، اختار الإغراء الوقتي وباع المسيح والصليب بثلاثين من الفضة. أمَّا رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب فباعوه بلا ثمن لمجرَّد الانحياز للعالم وبحجة الأمانة لقيصر: «إن أطلقتَ هذا (المسيح) فلستَ محبًّا لقيصر. **كل مَنْ يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر**.» (يو 12:19). أمَّا بيلاطس الذي انحاز لحق المسيح فهو ليس محبًّا لقيصر!! أمَّا رؤساء الكهنة فهم بسبب حبِّهم لقيصر أسلموه للموت! اضحكي يا سماء وابكي يا أرض: «كل مَنْ يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر» حتى يهوه لأنه ملك إسرائيل فعبادته تُحسب مقاومة لقيصر، لذلك جحدوا العبادة وتفرَّغوا لقتل ابن الله. يا إخوة ليس من فراغ أن «محبة العالم عداوة لله» ! (يع 4:4). لذلك أيًّا من نملِّكه على قلبنا غير المسيح خيانة لله.

35:8 «**فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّص نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا**».

بكل اختصار كلام المسيح يعني: بدوني لا خلاص. فمن حاول أن يخلِّص **نفسه**(10) بدون المسيح معناه أنه يهلكها، ولكن الذي يهب نفسه للمسيح فإنه حتماً يَخْلُص حتى ولو مات في سبيل حب المسيح والإنجيل. بهذا يكون المعنى أكثر واقعية، فالذي يريد أن يخلِّص حياته من الموت استحالة أن يكون بدون المسيح، وإن يكون مع المسيح ويواجه الموت أو حتى يموت فحتماً سيحيا. وهذا بحد ذاته تأمين ما بعده تأمين لمنْ يتبع المسيح، فهو وإن سار في وسط ظل الموت لا يخاف شرًّا (مز 4:23)، وإن قام عليه جيشٌ فهو يتحدَّى الجيش (مز 30:27) باطمئنان قلب لأنه سينجو. فالقديس بولس قالها عن حق وواقع: «الذي نجَّانا من موت مثل هذا وهو ينجِّي.» (2كو 10:1)

المسيح واضع أمام عينيه نصيب الكنيسة والفرد المسيحي في العالم، فالموت سيتعقبه أينما سار،

(10) نفسه هنا تجيء بمعنى حياته وليس النفس في معناها الميتافيزيقي.

والكنيسة إنما أُرسلت في العالم كشخص المسيح، فيستحيل أن يظهر جمالها وقوتها ولاهوتها إلاَّ بالصليب. فالكنيسة المتألمة هي هي المتمجِّدة، فلقد قِيل عن المسيح بخصوص الروح القدس إنه لم يُعط بعد، لأن المسيح لم يكن قد تمجَّد بعد، ويقصد الصليب!! (يو 39:7)

فالآلام والمجد صنوان عزيزان لا يفترقان، إن تألمنا معه فسوف نتمجَّد معه (رو 17:8)، وكأنما الآلام تساوي المجد، والموت يساوي الحياة، وحمل الصليب كل يوم يساوي استحقاق الحياة مع المسيح.

ولكن ق. متى يضعها بوضع آخر في موضع آخر هكذا: «مَنْ لا يأخذ صليبه ويتبعني **فلا يستحقني** ومَنْ وجد حياته يضيِّعها ومَنْ أضاع حياته من أجلي يجدها» (مت 10: 38و39)، مع أنه كرر نفس قول المسيح الذي جاء في إنجيل ق. مرقس، وهذا بحد ذاته يكشف لنا عن قلق المسيح من جهة تلاميذه وأولاده لئلاَّ ترتخي أيديهم من حمل الصليب، أو يستكثروا الضريبة التي يفرضها العالم على مَنْ يحمل صليبه.

هنا يؤكِّد المسيح قيمة مَنْ يحمل صليبه عند المسيح ويتبعه، فالمسيح يعطي نفسه له وقالها: « يستحقني» ! عجيب حقًّا أن المسيح يهتم بأن يكون هو لنا ونحن له!!

وبولس الرسول كشف لنا سرًّا عجيباً وهو أن المسيح اعتبرنا ميراثاً له:

+ «مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاءُ دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين »(أف 18:1)

وتحقيقاً لهذا المفهوم يقول سفر الرؤيا إن المسيح لا يتحرك إلاَّ والقديسون معه:

+ «هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب. هؤلاء اشتُروا من بين الناس باكورة لله وللخروف.» (رؤ 4:14)

بل ويتبعونه في مجيئه الثاني العظيم حينما يأتي:

+ «في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه.» (1تس 13:3)

نعم حقًّا نحن هنا نتبعه بالأحزان أمَّا هناك فبالمجد! نحن بعنا العالم فاشترانا الله: «والموت لي ربح. »(في 21:1)

«**ومن أجل الإنجيل**»:

بهذا العهد والوعد صارت خدمة المسيحي في وسط مخاطر الموت مضمونة الخلاص، ومن أحب الإنجيل وقدَّم حياته لرسالة المناداة به يكون قد كتب لنفسه وثيقة الخلاص مدموغة بدم المسيح. مَنْ

حَفِظَ الإنجيل فالإنجيل يحفظه.

وإن أنسَ لن أنسى طول حياتي، ذلك السائح الروسي الذي بعد أن احترق الكوخ الذي كان يعيش فيه وأكلت النار كل ما له، أمَّا هو فقفز من الشباك وفي حضنه نسخة الإنجيل، وبعدها أخذ يجوب سيبيريا كلها يبشِّر نفسه والناس ”أنه قد نجا الإنجيل“، وظل هذيذه وتلاوته بالدموع كل أيامه، وكان الإنجيل حياته.

ولكن ما يستوقف النظر إصرار ق. مرقس بصفة خاصة دون الإنجيليين الآخرين على أن الإنجيل هو على مستوى المسيح، فكلمة الإنجيل لم ترد في هذا القول لا في إنجيل ق. متى ولا في إنجيل ق. لوقا.

إلى هذا الحد كان ق. مرقس إنجيلياً قبل أن يكتب الإنجيل!!

وألا ترى معي يا صديقي أن الإنجيل هنا عند ق. مرقس مُشخَّص وله هويَّة تتسحَّب من المسيح وتساويه؟ ولكن إلى هذا الحد يمكن أن يعشق الإنسان الإنجيل ويفديه بحياته أو يكرِّس له الحياة؟

بطرس الرسول أيضاً كان يرى كلمة الله قادرة أن تلد الإنسان من جديد، بمعنى أن الإنسان ولو مات أو كان ميتاً واقتنى كلمة الإنجيل فهي كفيلة أن تلده إنساناً جديداً وتهبه حياة أبدية:

+ «مولودينَ ثانيةً، لا مِنْ زرع (إنسان) يفنى، بل مما لا يفنَى (زرع الله هو كلمته)، بكلمة الله الحيَّةِ الباقيةِ إلى الأبدِ.» (1بط 23:1)

يوجد أشخاص بمجرَّد أن تسمع الواحد منهم أو تجلس إليه تحس مباشرة أنه ابن الإنجيل! ابن البشارة المفرحة!

36:8و37 «لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟».

هنا موازنة خاسرة وقع فيها ولا يزال يقع فيها غالبية الناس بلا تمييز، إذ يفضِّلون الوظائف والمناصب، والكرامات، والنجاح والأرباح المعنوية والمادية، والمديح من الرؤساء والمصادر العليا والشهادات الكبرى والألقاب المزخرفة، والحقول والقنية من كل نوع، وبالاختصار العالم كله. فماذا سينفعه هذا كله أمام «أعطِ حساب وكالتك» (لو 2:16). وهنا أنشودة ق. بولس ذات مكان في هذا المقام:

+ «ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته مِنْ أجل المسيح خسارةً. بل إني أحسبُ كل شيءٍ خسارةً

مِنْ أجلِ فضلِ معرفةِ المسيح يسوع ربِّي، الذي مِنْ أجلهِ خَسِرتُ كل الأشياءِ، وأنا أحسبها نُفايَةً لكي أربحَ المسيح، وأُوجَدَ فيه ...» (في 3: 7ـ9)

بولس الرسول عاش هذه الآية وترنَّم بها، كان شاول ذا مقام عظيم عند اليهود، وكان يحتسب نفسه متقدِّماً عن جميع زملائه في المعرفة والكرامة والغيرة والتدقيق في الناموس إلى الحد الأقصى! وفجأة ظهر له المسيح فأدرك فيه الحق والحياة وغنى النعمة، ثم عمل المقارنة التي أنشد بها أنشودته.

فبولس الرسول يقول عن اختبار إنه لم ينتفع من كل ما ربحه من العالم باسم الدين، وأنه كان أشقى الناس وخسر نفسه خسراناً مبيناً، كل ذلك أدركه عندما انكشف له الحق في المسيح وانفتحت روحه على الحياة الأبدية.

والإنسان يستطيع أن يُفدَى من الضيقة أو الأسر، بالمال، ولكن ماذا يُعطي ليُفدَى من الموت؟ هنا الحقيقة الحرجة والقضية التي بلا أمل: مَنْ يفديني من الموت؟

المسيح يتكلَّم وهو عالم أنه سيترك الكنيسة من ورائه تعاني اضطهاد الموت على يد أقسى أباطرة العالم، فهو يعطيها من الآن سر قوة الاستشهاد والغلبة على تهديد الموت. فالذي قاله المسيح تحقَّق ولا يزال يتحقَّق كل يوم، حتى اليوم، بالشهادة والاستشهاد. فنحن لا نؤرِّخ للشهداء عبثاً، فتاريخ الكنيسة هو تاريخ استشهاد. فهذا الفصل من إنجيل ق. مرقس هو تقييم عملي لحياة الكنيسة وكل مؤمن فيها، وهو واقع الحياة التي نحياها. فإن سألتني ما هو أهم فصل يُقرأ في الكنيسة بالنسبة لحياتنا الحاضرة أقول لك هذا الفصل وفصل الصلبوت! فهذا الفصل سلَّمه المسيح للكنيسة ولكل مسيحي كوصيته العظمى، وهناك ختمها بدمه على الصليب.

يقول العالم بنجال، وهو عالِم عاش في القرن السابع عشر:

[هذا الكلام مسجَّل بنفس الألفاظ في الثلاثة أناجيل، فنحن نعتبره الكنز الرئيسي الذي نحتفظ به من بين كل ما قاله المسيح.](11)

عزيزي القارئ، لكل إنسان صليب وضعه الله عليه ليحمله كجزء حتمي من صليب المسيح، فجيد أن يحمل الإنسان صليبه الذي وُضع عليه من يد الرب، يحمله جيداً ويشكر، وبصبر كثير وفرح لا يشتكي ولا يمل ولا يحاول أن يلقيه من على كتفه، ولا يستثقله لئلاَّ يزداد عليه. فهذا له المكافأة الحسنة.

---

(11) **Bengel, Johannes Albrecht, (1687-1752), cited by Alfred Plummer, *The Gospel According to St. Mark*, Cambridge, 1914, p. 206.**

أمَّا صليبنا المشترك فهو احتمال الاضطهاد من أجل الاسم، والظلم والقسوة حتى الموت، فهذا له إكليل الحياة الأبدية. فهذا صليب المسيح نفسه موزَّع بالتساوي على كل مَنْ يؤمن به.

38:8 «**لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فِي هذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِيءِ، فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ**».

بعد أن أعطى المسيح كل التحاذير المفهومة والمعروفة لنا، الآن يكشف سر هذه الأمور المخفية عن عيوننا حتى تدخل ضمن الدرس الأخير الذي سلَّمه للكنيسة وكل مسيحي مؤمن فيها. ماذا سيحدث للإنسان الذي يستحي من اسم المسيح أمام المحققين والمضطهدين وذوي الحيثيات والرئاسات؟ هل يعبر الأمر بسهولة؟ لا، إذ ينتظره في السماء موقف مرعب حينما يطلب شفاعة أو رحمة فلا يجد، وينظر إلى المسيح فلا ينظر المسيح له. ويا ويل مَنْ يتخلَّى المسيح عنه في ضيقته العظمى هناك: «إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني ...» (مت 23:7). ويا لها من خسارة!!

«**الفاسق**»:

الفسق والزنا في المفهوم الروحي أفظع بكثير من المفهوم الجسدي، إذ يعني أن الإنسان يتزوج على الله، بمعنى أنه يلتصق بعبادة أخرى وهو مسيحي، إمَّا شهوة النجاسة أو شهوة المال (عبادة أوثان)، والفسق يعني أنه يكشف قلبه وسرَّه للشيطان فينفضح إنجيله وإلهه.

«**مجد أبيه**»:

هنا لأول مرَّة يذكر المسيح ـ وهو ابن الإنسان ـ أن ”الله أبوه“ وأن مجد الابن هو مجد الآب.

«**الملائكة**»:

تحقيق إلهي يسجِّله لنا ق. مرقس الرسول، حيث يعترف المسيح ويعلِّم أن الملائكة تخدم المسيح وستجيء معه في مجيئه الأخير لتجمع الأولاد المختارين لنصيبهم الأبدي. إذن، هم خلائق سماوية مخلوقة لخدمة الله وتنفيذ أوامره، ولهم علاقة كبيرة بالبشر إذ يُرسلون لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص (عب 14:1)، وهم جنود سماوية لحراسة حراسات الله في السماء والأرض. فكل معمَّد له ملاكه ولكل كنيسة ملاكها، ولكل شعب ملاكه ولكل مدينة ملاكها، منوط بهم توثيق العلاقة بين الله والإنسان وتوصيل الرسائل العاجلة. وهم طغمات متعدِّدة الاختصاصات ولها رئاسات، منها مَنْ هو للبشارة ومنها مَنْ هو للحراسة والدفاع، ومنها مَنْ هو لتنفيذ العقاب والتوبيخ والتأديب. ولا إحصاء لعددهم ألوف ألوف وربوات ربوات وقوف قدَّامه (دا 10:7). وهم الموصوفون بأنهم

جمهور جند السماء (لو 13:2)، ومنهم خوارس للتسبيح لا تكف عن تقديم الخدمة الليل والنهار.

1:9 «وَقَالَ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْماً لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ قَدْ أَتَى بِقُوَّةٍ».

«لا يذوقون الموت»: oÙ m¾ geÚswntai qan£tou

هنا **ذوق** الموت لا يعني شرب كأسه الذي يؤدِّي إلى الجحيم، فبمجرَّد الذوق يُعني الموت الذي هو مجرَّد انتقال، فهو ذوق ينتهي إلى السماء وليس إلى الجحيم. وهذه لا تُقال إلاَّ للأبرار. والمسيح قالها عن كأس المرارة التي أُعطيت له وهو على الصليب لما قال أنا عطشان، فذاق ولم يُرد أن يشرب. فهو ذاق الموت ولكن غلبه وانتصر عليه، وقد ذكرها سفر العبرانيين: «ولكن الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة ـ يسوع ـ نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت، **لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد**»(عب 9:2). وهذا الاصطلاح غير موجود قطعاً في العهد القديم، لأن لا أحد حتى الأبرار ذاق الموت وحسب؛ بل كلهم شربوا الكأس.

«حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة»:

يقولها ق. متى: «حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته» (مت 28:16). هنا تخريج ق. متى من تقليد ق. مرقس أن ابن الإنسان هو الذي سيجيء، بمعنى مجيئه الثاني، وهذا يضعنا في ورطة لأن الآية السابقة هي تأكيد أن من القيام هنا قوماً **لن يذوقوا الموت، ولكن في الحقيقة أن التلاميذ كلهم قد ماتوا دون أن يروا المجيء الثاني جملة. لذلك أصبح تقليد ق. مرقس هو الأصل وهو الذي يقول ليس ابن الإنسان الذي سيأتي بل ملكوت الله بقوة.**

«ملكوت الله»:

فما هو ملكوت الله الذي رآه بعض التلاميذ ورأوا قوته فعلاً؟

1 ـ هنا يردّ التقليد بحسب ق. مرقس في الحال والتو أنه هو "التجلِّي" الذي بدأ يصفه ق. مرقس في الحال: «وبعد ستة أيام ...»

2 ـ ولكن يمكن أيضاً أن يكون هو القيامة فهي صورة ملكوت الله الذي أتى بقوة واستعلن فيه المسيح قائماً من الموت.

3 ـ ويمكن أيضاً أن يكون هو الصعود إلى السماء في مجد.

4 ـ بل ويمكن أن يكون هو حلول الروح القدس بقوَّةٍ ومجدٍ يومَ الخمسين وانتشار قوة الملكوت أي المسيحية.

كل هذه المظاهر المحقَّقة لملكوت الله أتت بقوَّتها، وبعض الناس عاينوها فعلاً كالتلاميذ، والبعض لم يعاينها. هنا تطبيق واضح لعبارة: «أن **من** القيام ههنا» أي ليس القائمون بل المختارون منهم. بل وهذا القول الذي قاله المسيح تمَّ في التجلِّي، إذ رآه بطرس ويعقوب ويوحنا فقط دون بقية التلاميذ. فقول المسيح تحقَّق 100% في التجلي. ذلك على أن التجلي يُحسب أنه عربون مجيء الملكوت في آخر الأيام.

ولكن يمكن أيضاً بحسب بعض الآراء أن يكون الملكوت الذي أتى بقوة ليستوطن الأرض إلى حين هو القوة التي أزالت أُورشليم من الوجود والهيكل ومعها العبادة التي يمثلها موسى وإيليا، خاصة أن في التجلي «فنظروا حولهم بغتة ولم يروا أحداً (موسى وإيليا انسحبا) غير يسوع وحده معهم» (مر 8:9)، وهو الذي بقي بالفعل بعد زوال أُورشليم والهيكل، وبقي المسيح في المسيحية ومعه خدَّامه!

إذن، نخرج من هذا أن ليس بعد كلام المسيح هذا بكثير رؤي بالفعل ملكوت الله يتقوَّى ويتأسَّس بواسطة الكنيسة ورآها التلاميذ، ولكن منهم مَنْ أُخذ بحد السيف وذاق الموت وعبر مثل يعقوب أخي يوحنا.

ملاحظة أخيرة:

إن هذه الآية (1:9) واضح جداً أنها لا تمت لقصة التجلِّي، ولكنها تقدِّم لها أقوى تقديم، لذلك أُخذت من الأصحاح التاسع وضُمَّت إلى الأصحاح الثامن حتى يأتي التجلي منفصلاً كحادثة قائمة بذاتها.

الأصحاح التاسع

49 التجلّي (9:2–8)

50 النزول من جبل التجلّي (9:9–13)

51 الصبي المصاب بشيطان الصرع (9:14–29)

52 رحلة عبر الجليل: تنبؤ المسيح عن آلامه للمرَّة الثانية (9:30–32)

53 قضايا مسيحية هامة: (9:33–50)

(أ) الأعظم: «أيهما أعظم» داء الإنسان الوبيل (9:33–37)

(ب) الانقسامات: المسيح يقف ضد الانقسامات العقائدية (9:38–41)

(ج) إعثار الصغار (احترام الأولاد) (9:42)

(د) العثرات المهلكة (9:43–48)

(هـ) التقوى كملح (9:49و50)

49

التجلِّي

[9:2–8]

(مت 17: 1 ـ 8)

(لو 9: 28 ـ 36)

لقد أجهد العلماء أنفسهم في تقديم شرح لهذا الفصل من الإنجيل، وإليك أيها القارئ العزيز هذه النظريات:

1 ـ نظرية الرؤية الواقعية: ويقول بها أوريجانوس(1) ويشاركه حديثاً العالِم سويت(2) ويشاركهما ليتفوت(3): وهؤلاء يؤكِّدون ما جاء في إنجيل ق. مرقس على أنه حقيقة تاريخية كخبرة صادقة حقيقية، فيها خرجت هيئة المسيح عن حدودها الطبيعية واستُعلنت للتلاميذ. ولكن عجز العلماء الآخرون عن تفسير كيف تمَّ هذا الحادث وكيف حضر موسى وإيليا؟

2 ـ نظرية الرؤية التصوفية: وتزعمها ادوارد ماير(4) وهارناك(5) واندرهل(6) وراولنسن(7) وبارتلت(8). وكل واحد من هؤلاء بحث عن سبب وكيفية وإمكانية حدوث هذه الرؤية التصوفية العفوية ـ أي غير الإرادية. وقد قدَّمت مس اندرهل تعليلها بأن القديسين يحدث لهم هذا بلمعان وجوههم في الصلوات التي يبلغون فيها الانخطاف.

3 ـ بعض العلماء يقررون أنها قصة رمزية أو أسطورة على فم الرواة.

4 ـ واتفق بعض العلماء الكبار أنها قصة عن القيامة نُقلت ووُضِعَت في حياة المسيح قبل القيامة، أمثال ولهاوزن ولوزي وبوسيّه وجوجل وبولتمان وآخرون.

5 ـ إنها عبارة عن قصة رمزية صرف، وزعيم هذا الشرح هو لوهماير، وقدَّم أمثلة على ذلك.

---

(1) **Origen, *In Matt.*, t. xiii, p. 36 ff.**

(2) **H. B. Swete, *op. cit.*, p. 188.**

(3) **Lightfoot, *On Phil.*, p. 130 f.**

(4) **Ed. Meyer, *Ursprung und Anfänge des Christentums*, I, pp. 152-156.**

(5) **Harnack, *Sitzungsberichte der preussischen Akademie der Wissenschaften (1922)*, pp. 62-80.**

(6) **E. Underhill, *The Mystic Way*, pp. 114-123.**

(7) **A. E. J. Rawlinson, *op. cit.*, 118 f.**

(8) **J. V. Bartlet, *St. Mark*, (Century Bible), Edinburgh, 1922, pp. 264-266.**

وغيرهم كثيرون وكلٌّ ألقى بدلوه وأخرج شرحاً يخرج عن الحقيقة، والكلام في ذلك كثير.

والخلاصة أن ما نقده واحد نقضه الآخرون، وصارت الاجتهادات كلها خارج إطار الحق الإنجيلي. وهكذا نرى أن نظرة الكنيسة الأُولى ويمثلها أوريجانوس والتي اعتنقها عالِمان هامَّان وهما سويت وليتفوت، هي الوحيدة الموافقة للحق الإنجيلي، وهذه النظرية استُلمت كتقليد كنسي راسخ من أيام الرسل وسلَّموها بالتالي وهي السارية في التقليد حتى اليوم.

وكان بودِّنا أن نعطي مقدِّمة لشرحنا على التجلي ولكن رأينا أن نبثَّه واضحاً أثناء الشرح على الآيات.

2:9 «وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ وَحْدَهُمْ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ».

«وبعد ستة أيام»:

هنا يقول ق. لوقا: «وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام» (لو 28:9). فواضح أن الرقم ليس على مستوى الأهمية، ولكن ق. مرقس يذكر الستة أيام لغرض هام وهو لكي يربط حادثة التجلي بما قاله المسيح قبلاً المختص بمجيء المسيح «في مجد أبيه مع الملائكة القديسين.» (مر 38:8)

إذن، فهذا الربط يحتِّم علينا فهم التجلي أنه الصورة المسبقة لكيفية مجيء ابن الإنسان، هذه الصورة المسبقة التي احتسبها ق. مرقس أنها «مجيء الملكوت **بقوَّة**» (1:9)، لأن مجيء ابن الإنسان **بالمجد** سيكون في آخر كل الأيام.

«بطرس ويعقوب ويوحنا»:

الثلاثة رفاق الذين اختارهم المسيح للمهمات الهامة والعاجلة ليروا أعماله ويشهدوا أهم حركاته.

«جبلٍ عالٍ»:

فُهِمَ أولاً أنه جبل تابور، ولكن جبل تابور ليس بالجبل العالي، فهو لا يزيد عن 1000 قدم ويقع جنوب غرب بحر الجليل. ولكن استقر رأي العلماء أنه جبل حرمون لأنه أولاً يعتبر جبلاً عالياً فارتفاعه 9200 قدمٍ وهو على بعد 12 ميلاً شمال شرق قيصرية فيلبُّس، مسيرة يوم، وهو على أي حال خلع اسمه الجغرافي وسُمي بجبل التجلي.

والقديس لوقا يضيف في إنجيله أنه «صعد إلى جبلٍ ليصلي» (لو 28:9). ولكن ق. مرقس يصر

أنه ليس للصلاة بل هناك ما فوق الصلاة.

«**منفردين وحدهم**»: kat' „d…an mÒnouj

نوع من التكامل الذاتي.

«**وتغيَّرت هيئته قدَّامهم**»: metemorfèqh = Transfiguratus (فولجاتا)

هنا التغيير الذي جازه المسيح صورة مبسَّطة لكمال ما هو آتٍ، وليس كموسى الذي تغيَّر وجهه بالنور ثم إلى زوال. ويبدو لي أن المسيح لم تتغيَّر هيئته ولكن التلاميذ الثلاثة هم الذين انفتحت أعينهم فجأة فرأوه كما هو حقًّا، لأن المسيح لما تجسَّد أخفى مجده بإرادته عن أعين الناس؛ ولكن مجده كان فيه قائماً لم يتغيَّر، بدليل أن الشياطين كانت تراه على حقيقته فتصرخ وتعترف بمن هو. إلاَّ أن عين الإيمان ترى المجد «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو 40:11). فالمجد هو للعين المفتوحة، فهو في لحظة أرادهم أن ينظروه كما هو في حقيقة مجده، على قدر ما ترى أعين الإيمان فيهم، بدليل أنه اختار ثلاثة من الأقربين إليه المهيئين لرؤية مجده. وطبعاً ذلك ليس لتعزيتهم كما يقول بعض الشراح، ولكن لأنه سبق وأعلن عن آلامه وصلبه وموته، فهنا عملية التجلي لتصحيح فكرهم وشكوكهم. فبطرس الذي قال عن الصلب «حاشاك يا رب» ها هو في التجلي يرى المسيح كما فيما بعد الصلب، كيف هو والمجد الذي له. فالتجلي أساساً كان بمثابة إعدادهم لقبول شكله متألماً على الصليب وميتاً في قبر. ولكن يا لضعف الإنسان! فعند الفزع من الموت تركوه كلهم وهربوا، ولكن بقي التجلي كأفخر ذكرى لأيام جسده يتذكرونها فيغبِّطون أنفسهم ويشدِّدون إيمان الذين لم يروا:

+ «لأننا لم نتبع خُرافاتٍ مُصنَّعةً، إذ عرَّفناكُم **بقوةِ ربنا يسوع المسيح ومجيئه**، بل قد كنَّا **معاينين عظمته**. لأنه أخذ من الله الآب كرامةً ومجداً، إذ أقبلَ عليه صوتٌ كهذا من المجدِ الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. ونحن سَمِعنا هذا الصوت مُقبِلاً من السماءِ، إذ كنَّا معه في الجبل المقدَّس.» (2بط 1: 16-18)

وهذه الحادثة تركت بصماتها بشدة على لاهوت ق. يوحنا الإنجيلي، فحينما أراد أن يقدِّم شهادته في مستهل إنجيله للكلمة قال: «**ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقًّا**» (يو 14:1)، وهي شهادة قادمة من جبل التجلي كالقديس بطرس. أما القديس بولس وهو الذي اختاره المسيح «كإناء مختار يشهد لاسمه» (أع 15:9)، فقد أعطاه أن يراه متجلياً لا على طور تابور أو حرمون بل من السماء بوجه يلمع بأكثر من لمعان الشمس، بمعنى أن لا تحتمله عين بشر، كناية عن مجد لاهوته الفائق على

الرؤية. فهنا الصحيح أن المسيح لم يتجلَّ بل رُؤي متجلياً، وعلى هذا المنوال نقول أيضاً إنه على الجبل المقدَّس لم يتغير إلى مجد بل رُؤي ممجداً كحقيقة نفسه. والعين البشرية هي التي تغيَّرت من مجال رؤية أقل إلى مجال رؤية أعلى وأمجد. ولغة الرواية في الإنجيل وإن كنَّا نقرأها بعين الجسد فهي لابد أن تتفتح لتقرأها عين الروح كالروح، لأن الإنجيل لم يكتب عن جسديات.

3:9 «**وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيْضَاءَ جِدًّا كَالثَّلْجِ، لاَ يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذلِكَ**».

«**تلمع**»: st...lbonta

تُقال للمعان المعادن المجلية، ولكن هنا هو انعكاس النور السماوي على الثياب، وهي محاولة من ق. مرقس لكي يعبِّر عن بهاء النور السمائي.

ومن المستغرب في رواية ق. مرقس أنه لم يذكر بهاء ضوء وجهه، كما ذكره ق. متى وق. لوقا، ويعتقد البعض أنها سقطت من النساخة.

وذكر عدم قدرة أي قصَّار على الأرض يشير إلى أن البهاء والنور سماويان.

الحقيقة هنا أن المادة تفقد عتامتها بسبب بهاء الحضرة الإلهية، فالمادة تتحوَّل بالفعل إلى نور لأن الله نور وساكن في النور. فالمادة الروحانية ـ إن جاز هذا التعبير ـ هي نور، ولكن ليس كنور العالم سواء من اشتعال المادة أو الشمس، وهي أصل الاشتعال، أو القمر وهو انعكاس الاشتعال، بل إن نور كل ما هو حول الله هو موجات نورانية فائقة جداً في قوتها لا تقاس بمقياس. لا تستطيع أن تدركها العين إلاَّ إذا أخذت قدرة جديدة مرتفعة للغاية من إدراك النور. هكذا أيضاً الصوت القادم من فوق فهو على درجات عالية جداً لا يمكن للأذن التقاطها إلاَّ إذا أخذت الأذن قدرة خاصة وعالية جداً من الإدراك. كذلك لا ترانا ولا تسمعنا الخلائق السماوية إلاَّ إذا أخذت قدرة انخفاض هائل في الحساسية، والعكس بالنسبة لنا. فالإنسان بمجرَّد أن يخلع هذا الجسد بأذنه وعينه الترابيتين فهو يبدأ قليلاً قليلاً يتعوَّد على السمع والرؤية السماوية.

4:9 «**وَظَهَرَ لَهُمْ إِيلِيَّا مَعَ مُوسَى، وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَعَ يَسُوعَ**».

«**وظهر**»: êfqh

هذه الكلمة لم تُستخدم سابقاً في إنجيل ق. مرقس، هنا هي المرَّة الوحيدة التي كُتبت فيها. فالظهور هنا حسب معنى الكلمة اليونانية هو بمعنى الظهور المفاجئ بهيئة سماوية: «أنه قام في اليوم

الثالث حسب الكتب، وأنه **ظهر** êfqh لصفا ثم للاثني عشر. وبعد ذلك **ظهر** دفعةً واحدةً لأكثر من خمسمئة أخ، أكثرهم باقٍ إلى الآن. ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك **ظهر** ليعقوب، ثم للرسل أجمعين. وآخر الكل ـ كأنه للسقطِ ـ **ظهر** لي أنا» (1كو 15:4ـ8). وهنا بحسب إنجيل ق. مرقس ظهر هذان الزائران السماويان فجأة، وتراءيا لعين الثلاثة تلاميذ وهم مشغولون بالحديث مع المسيح. وكان ثلاثتهم في كمال وعيهم. ويضيف ق. لوقا أنهما «ظهرا بمجد » ™n dÒxV(لو 31:9)، وهذا تحصيل حاصل، لأنهما في حضرة النور الحقيقي وقد استمدا من مجد المسيح مجداً. وهذا هو الذي سيكون من شأن جميع مَنْ يدخلون في شركة المسيح هنا، إذ أن شركة المسيح هنا هي في مجد، وفي حضرة النور الحقيقي لن يوجد شيء معتماً.

والملفت للأنظار جداً أن ق. مرقس وحده هو الذي يقدِّم إيليا على موسى، إذ أن كلاً من ق. متى وق. لوقا يضعان موسى أولاً ثم إيليا. ولكن لا يؤخذ كل ما يكتبه ق. مرقس بخفة، فهو يقصد ذلك قصداً إذ الوعد بمجيء إيليا منصوص عنه ومنتظر بفارغ الصبر. فإن كان قد جاء المعمدان بروح إيليا، لكن يتحتَّم أن يُرى إيليا، ولكن بالعين التي يمكن أن ترى الروح. فإيليا جاء ليسلِّم وديعة النبوّة كلها ليد مَنْ تنبأ كل الأنبياء عنه. أمَّا موسى فجاء بعد إيليا لكي يقدِّم عجز ناموسه لمن سيكمِّله بالكمال الإلهي. وبالنهاية فإن كلا من يمثِّل النبوَّة والناموس جاءا للشهادة وجاءا ليسلِّما عهدتيهما لصاحب الإنجيل ليضع ختمه عليهما ليصير المسيح الكل في الكل.

ولا يُخفى على القارئ أن حضور إيليا مع موسى من وراء الدهور ليتكلَّما مع المسيح هو بحد ذاته شهادة استعلان للمسيا، وهذا كان قصد المسيح الأساسي في استدعاء هؤلاء الثلاثة كمندوبين عن الاثني عشر ليحضروا هذه الجلسة السماوية، وهي جلسة توثيق من طرف الأنبياء والناموس باستعلان حقيقة المسيَّا وتسلّمه خضوع النبوّة في كل صورها وإنحناء الناموس تحت سلطان واضع الناموس. إنها جلسة استعلان تقابل العهدين ووحدة الإيمان بين ما كان وما هو كائن وما سيكون:

+ «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما.» (مز 9:85)

واضح الآن ما وراء تدبير ترتيب ق. مرقس لحادثة التجلي بعد استعلان آلام المسيح والصلب والموت، إذ كان يلزم إعطاء الصورة المتجلية للمسيَّا الذي قبل الآلام والصليب حتى يرد روح التلاميذ الذين بعضهم تركوه نهائياً والبعض كان على استعداد.

وهنا لا يغيب عن بالنا معنى مجيء موسى مع إيليا، فموسى هنا جاء ليسلِّم التلاميذ النبي الآخر الذي أقامه الله من وسط إخوته:

+ «يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلاَّ أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلَّموا. أُقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتك مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلِّمهم بكل ما أُوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلَّم به باسمي أنا أُطالبه.» (تث 18: 15ـ19)

هذا هو موسى جاء من وراء الأزمنة العتيقة يسلِّم الوديعة ويقدِّم من أقامه الله عوضاً عنه!!

وقد أضاف ق. لوقا مضمون الحديث الذي دار بين الزائرين السماويين إيليا وموسى مع المسيح هكذا:

+ «**وتكلَّما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمِّله في أورشليم**.» (لو 31:9)

وهكذا يخرجها ق. لوقا عن المضمون الذي أراده ق. مرقس محدِّداً بالتقليد دون شرح أو تعليل، فهنا تضمين هذه الحادثة حديثاً عن خروج المسيح من العالم يخرجها عن كونها تعويضاً عن طرح المسيح لقصة آلامه المزمعة، إذ يعود ق. لوقا ويدخل في قصة الآلام والصلب والموت والخروج من العالم. فهنا ق. لوقا إنما ينقل تقليداً متأخراً جداً عن الخروج، أمَّا ق. مرقس فهو يلتزم بتقليد ما قبل الصليب عمَّا دار في حادثة التجلي التي هي قبل الصليب والموت والقيامة (الخروج). ومن هذا يتضح للقارئ أصالة وقدم وفرادة تقليد ق. مرقس الذي أخذه عنه ق. لوقا وأضاف عليه أقوالاً متأخرة. ولهذا السبب أصبح إنجيل ق. مرقس حجة في التقليد الدقيق الملتزم بزمانه ومكانه دون شرح أو تعليل أو زيادة أو نقص.

ثم يضيف ق. لوقا مقطعاً كاملاً يخرج حادثة التجلي عن يقين الوعي الصاحي إذ يقول:

+ «وأمَّا بطرس **واللذان معه فكانوا قد تثقَّلوا بالنوم، فلما استيقظوا** رأوا مجده والرجلين الواقفين معه ...» (لو 32:9)

وهكذا أضيف على التقليد القديم رواية تخرج التقليد الأول عن منهجه الذي التزم به ق. مرقس.

5:9 «**فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: يَا سَيِّدِي، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ ههُنَا. فَلْنَصْنَعْ ثَلاَثَ مَظَالَّ، لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةً**».

«**جيد أن نكون ههنا**»:

قول يدخل في صميم قصد ق. مرقس. فالمسيح في أبهى وأجمل وأجل هيئة، ثم إيليا العظيم الذي

أغلق السماء بكلمة، وفتحها عندما أراد بكلمة، ممثلاً جميع الأنبياء. وهذا موسى الذي تكلَّم مع الله وجهاً لوجه، إنها حضرة بهيَّة تُدخل النفس والروح في عالم الروح بأعز ما يملك من الشخصيات. كيف لا يكون جيداً. ولكن هذا السيد الجليل البهي سرعان بعد قليل أن أنكره بطرس نفسه ثلاث مرات في ظلمة الزمان، وهذا هو الإنسان.

كان ق. مرقس بتقديمه حادثة التجلي ودخول الثلاثة تلاميذ فيها: بطرس أمام السيد ويوحنا عن يمينه ويعقوب عن يساره في مجده، شهادة مسبقة لحق المسيَّا المشهود له من الأنبياء والناموس، حتى تكون هذه التجربة الفاخرة جداً خير خلفية وراء الآلام والصلب والموت. ولكن إن كانت قد اختفت آنئذ عن قلوب التلاميذ فهي ظلَّت مطبوعة على راتينة (retina شبكية) عين الإنسان مدى كل الزمان، حيث لا يُذكر الصلب قط إلاَّ والتجلي أمامه والقيامة خلفه تشد أزر الإيمان الضعيف وتتحدَّى غباوة الإنسان.

«مظلَّة»: sk»nh

المعنى "خيمة" والقصد خيمة عبادة. وهنا يظهر الخلط غير مقبول، إذ جعلوا المسيح على مستوى إيليا وموسى، وكأن المسيح تعب عبثاً في إعطائهم صورة لحقيقته متجلياً فما زاد في نظرهم عن واحد من الأنبياء كقول الشعب. وكأن كل قصد ق. بطرس من هذا الاقتراح أن يبقى هو ومعه يعقوب ويوحنا في حالة هذا «الجيِّد» وعلى الأقل يُرجئ قليلاً موضوع الآلام والصلب. ولكن عاب العلماء كثيراً على فكرة ق. بطرس حتى نعتوها بالغباء(9) «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان» (لو 25:24). ويُلاحَظ أن ق. مرقس حافظ على اللفظة التي قيلت من ق. بطرس بالأرامية، فهو يسجِّل "رابي Rabb..." ولكن الترجمة طمست معالمها. ففي إنجيل ق. لوقا جاءت الكلمة اليونانية: 'Epist£ta وترجمتها: "يا سيد"، وفي إنجيل ق. متى جاءت: "KÚrie". وهكذا يكون ق. مرقس هو وحده الذي احتفظ بكلمة التقليد الأرامية.

ويرد ق. جيروم على ق. بطرس في طلبه عمل مظلة للمسيح ولموسى ولإيليا قائلاً:

[لا، فالناموس والأنبياء قد أصبحا الآن في خيمة الإنجيل](10). لا بأس.

ولكن العجيب هو رد ق. مرقس اللاهوتي الصاحي لكل كلمة، والناقد اللاذع هنا إذ يعقِّب على كلام ق. بطرس بقوله:

(9) **A. E. J. Rawlinson, *op. cit.*, p. 118.**

(10) **Jerome, cited by Alfred Plummer, *op. cit.*, p. 215.**

6:9 «**لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِذْ كَانُوا مُرْتَعِبِينَ**».

وفي كلمة أنه كان يهذي، وهذا حق فإن كان يمكن أن يُعمل مظلة للمسيح مع مظلة لموسى وأخرى لإيليا فقد اختلط الحابل بالنابل، وانتهى العهد القديم والجديد معاً إلى لا شيء!! وفي الحال صحَّح ق. مرقس الموقف وقال:

7:9 «**وَكَانَتْ سَحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ. فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ لَهُ اسْمَعُوا**».

تكاد تكون ردًّا مباشراً على اقتراح ق. بطرس لعمله مظلة من القش، فجاءت من السماء مظلة، سحابة مضيئة، لتعبِّر عن الذي فوقها، فهي تعبِّر عن الحضرة الإلهية: الله نور وساكن في النور. وصاحب هذا التعبير هو أوريجانوس، وأفرايم يردِّده، حسب Swete[11]، ويرجِّح قول أوريجانوس والذين تشيَّعوا له أن منها جاء الصوت الإلهي. إذن، فهي الشاكيناه (حيث يسكن الله) حضرة الله. وبالاختصار هذا المنظر المهيب هو صورة مسبقة لمنظر المسيح في مجيئه الثاني بمجد أبيه.

«**ابني الحبيب**»: ¢gaphtÒj

الصوت الإلهي من الآب قريب ومسموع وهو إعلان حقيقة المسيًّا ابن الله في شخص يسوع، الذي يأتي هنا علناً وتطبيقاً لما أعلنه الآب السماوي سابقاً للقديس بطرس: «أنت هو المسيح ابن الله الحي» (مت 16:16). فالذي اعترف به ق. بطرس هوذا الآب السماوي يوثِّقه.

ونحن نقدِّم هنا أربعة مصادر تحكي عن هذا الصوت السمائي ومضمونه:

إنجيل ق. مرقس:

+ «وكانت سحابة تظلِّلهم. فجاء صوت من السحابة قائلاً: هذا **هو ابني الحبيب**. **له اسمعوا**.» (مر 7:9)

إنجيل ق. متى:

+ «وفيما هو يتكلَّم إذا سحابةٌ نيِّرةٌ ظلَّلتهم، وصوت من السحابة قائلاً: **هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا**.» (مت 5:17)

(11) **Swete, *op. cit.*, p. 191.**

إنجيل ق. لوقا:

+ «وفيما هو يقول ذلك كانت سحابة فظلَّلتهم. فخافوا عندما دخلوا في السحابة. وصار صوتٌ من السحابة قائلاً: **هذا هو ابني الحبيب. له اسمعوا.**» (لو 34:9)

رسالة القديس بطرس الثانية:

+ «إذ عرَّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنّا معاينين عظمته. لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: **هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به.** ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء، إذ كُنَّا معه في الجبل المقدَّس.» (2بط 16:1-18)

وإن اختلفت التفاصيل ولكن المضمون الكلي واضح أن الله الآب هنا يسلِّم التلاميذ بل الشعب بل الكنيسة بل الإنسان عامة ابنه الحبيب بنفسه، بعدما قدَّمه لهم إيليا نائباً عن جميع الأنبياء، وموسى جاء ليدعِّم تحقيق وعد الله بإقامة مَنْ يتكلَّم باسم الله ويسلِّم التلاميذ تحذير الله يهوه: «الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلَّم به باسمي أنا أطالبه» (تث 19:18). وكان الصوت الذي جاء من السحابة موثِّقاً لتحذير الله لموسى من جهة الالتزام **بالاستماع لكل ما يتكلَّم به: «له اسمعوا»**. هذه في الحقيقة سيمفونية نبوية رائعة الدقائق والتطبيق.

لذلك يتضح من هذا أن قول كل من ق. متى وق. بطرس في رسالته أن «هذا ابني الحبيب **الذي به سررت**» خرج عن التقليد الممتد من سفر التثنية، أي منذ أكثر من 1400 سنة قبل الميلاد أنه «له اسمعوا» وليس «سررت به». كما يتضح لنا من هذا أيضاً أن ق. بطرس في رسالته لا يطابق ق. مرقس في تقليده الذي يدَّعي آلاف العلماء، ومن ورائهم أساقفة ورؤساء، أن إنجيل ق. مرقس هو إنجيل ق. بطرس (بلا دليل واحد)، وأن ق. مرقس لم يزد عن كونه (بالباطل) قد دوَّن ما أملاه عليه ق. بطرس؟ لعلَّ هذه العثرة التاريخية والخطأ التقليدي ينتهي أمره وزمانه. فالقديس مرقس يكتب عن المسيح رأساً وعن التقليد الصحيح أقدم تقليد للكنيسة الأُولى جداً.

ويقول العالِم فنسنت تايلور:

[إن المقارنة بين إنجيل ق. متى وإنجيل ق. مرقس تكشف أعظم أصالة the greater originality لرواية القديس مرقس. أمَّا نص ق. لوقا فهو متدنٍّ inferior. وقول القديس متى: «ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً. فجاء يسوع ولمسهم وقال: قوموا ولا تخافوا. فرفعوا

أعينهم ولم يروا أحداً إلاَّ يسوع وحده» (مت 17: 6ـ8) فهي تكملة جاءت لتخرج الحادثة عن وضعها المختصر الأصيل.](12)

وهكذا يظل ق. مرقس شامخاً بأصالة تقليده دون أي خروج.

8:9 «**وَنَظَرُوا حَوْلَهُمْ بَغْتَةً وَلَمْ يَرَوْا أَحَداً غَيْرَ يَسُوعَ وَحْدَهُ مَعَهُمْ**».

وهكذا تنتهي القصة فجأة. ويشهد العلماء المتخصّصون في اللغة الأرامية أن هذه اللغة كانت وراء القصة كلها وأن لون القصة فلسطيني أصلاً وأنها بالفعل بدائية وتنطبق على زمانها.

50 النزول من جبل التجلي

[13-9:9] (مت 17: 9ـ13)

حديث وأسئلة متعلِّقة بالرواية السابقة، فالكلام مرتبط ببعضه، والأسئلة تتعلق بالأزمنة والتاريخ. والعالم ر. هـ. ليتفوت يرى: [أن في هذه الأسئلة تقف الكنيسة متلهِّفة لكي تبني لنفسها فلسفة عقائدية من جهة التاريخ، في ضوء قناعتها من جهة المسيح وخدمة سيدها، وماذا سيكون العمل على ضوء هذه النتيجة](13). وطبعاً يتكلَّم ليتفوت هنا عن روح التقليد الذي يرويه ق. مرقس من واقع حال الكنيسة. بمعنى أن الكنيسة بهذه الأسئلة تريد أن تحدِّد معرفتها عن شخصية المسيح ورسالته (في وقتها)، وطبعاً لكي تحدِّد موقفها من جهة الخدمة والمناداة بسيدها! والسبب واضح أن بعد حادثة التجلي كان يُظن أن المسيح بعد الصليب والقيامة لابد أن يُستعلن حالاً، ولكنه تأخر. فمثلاً تسأل الكنيسة بفم التلاميذ النازلين من الجبل: هل سيجيء إيليا أيضاً ليكون هنا مجيء علني للمسيَّا؟ لذلك كان رد المسيح: أن إيليا جاء وانتهت رسالته، والآن يتحتَّم أن ابن الإنسان يكمِّل مجيئه بالآلام والموت والقيامة.

وبالرغم من أن علماء كثيرين قد ضجّوا من صعوبة هذا الجزء من الإنجيل وأوّلوه كما شاءوا، ولكنه في نظرنا كما شرحناه أعلاه واضح ومقروء ومفهوم.

(12) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 392.**

(13) **R. H. Lightfoot, *The Gospel Message of St. Mark*, Oxford, 1950, p. 92.**

9:9 **«وَفِيمَا هُمْ نَازِلُونَ مِنَ الْجَبَلِ، أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُحَدِّثُوا أَحَداً بِمَا أَبْصَرُوا، إِلاَّ مَتَى قَامَ ابْنُ الإِنْسَانِ مِنَ الأَمْوَاتِ»**.

هنا يعطينا ق. لوقا معلومة تفيد أن التجلي استغرق الليل، وأن النزول حدث في اليوم التالي: «وفي اليوم التالي إذ نزلوا من الجبل استقبله جمع كثير» (لو 37:9). والذي قال بهذا الرأي هو العالِم ألفريد بلومر(14).

وقد انتهز المسيح فرصة نزوله معهم وأوصاهم كما هو باستمرار أن لا يقولوا لأحد عمَّا أبصروا، أي المجد الذي عاينوه بصفته المسيَّا وابن الله، لأن مثل هذا القول كفيل أن يزيد الفكرة الخاطئة عن أنه مسيَّا الإنقاذ من الرومان. ولماذا لا يقولون لأحد إلاَّ بعد القيامة؟ لأن القيامة فيها الكفاية لكي تعلن عن مجد المسيَّا وحقيقة ابن الله، وحينئذ تزيد حادثة التجلي حقيقة القيامة بصورة قوية كما هو حادث معنا الآن.

هذا وإن كان الحديث عن القيامة كان مستغرباً لدى التلاميذ، ولكن كان لا يزال صوت الله من السماء «له اسمعوا» يرن في آذانهم، وبسببه وبسبب الخوف الذي اعتراهم، أصبح كل ما يقوله المسيح ينبغي أن يلتزموا به. لذلك نسمع:

10:9-13 **«فَحَفِظُوا الْكَلِمَةَ لأَنْفُسِهِمْ يَتَسَاءَلُونَ: مَا هُوَ الْقِيَامُ مِنَ الأَمْوَاتِ؟ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: لِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَيْفَ هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِ ابْنِ الإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُرْذَلَ. لكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا أَيْضاً قَدْ أَتَى، وَعَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ»**.

كان لا يزال صوت الله من السماء يرن في أسماعهم: «اسمعوا له» لذلك لم يسألوه ولكنهم صمَّموا أن يحفظوا مسألة التجلي في قلوبهم، طبعاً حتى وعن التسعة تلاميذ الآخرين، لذلك تأخر تقليد الكنيسة الأُولى في التعرُّف على دقائق حادثة التجلي ومعانيها حتى ظهرت رسالة بطرس الثانية متأخرة جداً(15).

«ما هو القيام من الأموات»؟

سؤال خطير إن هو سُئل قبل الصليب والموت! فالذي يشرح القيامة ويضيء أركانها هو الموت

(14) **Alfred Plummer, *op. cit.*, p. 216.**

(15) ***Oxford Dictionary of the Christ. Church*, p. 1069.**

الفدائي الذي ماته المسيح على الصليب، لذلك احتار التلاميذ في معنى القيامة من الأموات بين أنفسهم، وأيضاً هذه حفظوها في قلوبهم. وهذا السؤال انفرد به ق. مرقس دون ق. متى وق. لوقا. أمَّا سؤال التلاميذ من جهة **مجيء إيليا** فطبعاً كان بإيحاء رؤيته في التجلي مع موسى. وهنا تداعى الفكر على ما يقوله الكتبة، طبعاً عن ما كُتب في ملاخي النبي عن ذلك (مل 5:4). ولكن الذي أربك فكر التلاميذ الثلاثة هو أن إيليا كما رأوه في التجلي يكون قد جاء بعد المسيح وليس قبله أو كعلامة لمجيئه!

وليس من السهل فهم الآية (12:9) لأنها مركبة: «فأجاب وقال لهم: إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء. وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألَّم ويُرذل كثيراً» إذ تأتي بمعنى إن كان ابن الإنسان كما قلت لكم إنه سيدخل حالاً للآلام والموت، إذن فحتماً يكون إيليا قد أتى ورد كل شيء وعملوا به كل ما أرادوا كما سبق وتنبأ الأنبياء. وهكذا فإن المسيح وافق وأكد كلام الكتبة أن إيليا يلزم أن يأتي حسب الكتب، نعم وهو قد أتى بالفعل وسجنوه وذبحوه ذبح شاة. هنا يقرر المسيح أن يوحنا كان فعلاً حاملاً روح إيليا.

51 الصبي المصاب بشيطان الصرع

[29-14:9]

(مت 17: 14-21)

(لو 37:9-43)

قصة متميِّزة من قصص ق. مرقس التي أفاض في إعطائها الحركة البديعة، ولأول مرَّة يسهب في الوصف ويجري وراء الأسباب والدقائق التفصيلية حتى غطَّى على كآبتها بنهايتها البهيجة.

وأيضاً فيها، كما تعوَّد ق. مرقس أن يسجِّل على التلاميذ أخطاءهم، لم يتركهم في هذه القصة بدون توبيخ: «أيها الجيل غير المؤمن، إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم؟» (مر 19:9)

ويقول عنها العالِم شمدت: [إنها تُعطي نموذجاً للتقليد الجيد ولذاكرة تاريخية واعية.](16)

(16) **K. L. Schmidt, *Der Rahmen der Geschichte Jesu*, Berlin, 1919, p. 227, cited by V. Taylor, *op. cit.*, p. 395.**

كما يؤكِّد العالِم راولنسن بحكمة:

[إن الآيات التي اختص بها ق. مرقس دون ق. متى وق. لوقا، وهي: (14ب و15 و16 و21–24 و25ب و29) بما فيها من أوصافٍ حيَّة وأغراض واضحة مذكورة، تكوِّن ديالوجاً حيًّا وتعطي للقصة ملامح الأصالة للتقليد.](17)

ويؤكِّد العلماء أن ق. مرقس لم يضع هذه القصة في هذا الموضع إلاَّ بناءً على تقليد أصيل متماسك، والقصة تصف وضع الشعب بحيوية متحركة. ففي البداية ركضوا ليسلِّموا على المسيح حالما ظهر بعد نزوله من الجبل، ثم في بدء عملية الشفاء بالأمر القاطع: «فلمَّا رأى يسوع أن الجمع يتراكضون» (مر 25:9) أسرع المسيح وانتهر الروح النجس حتى لا يتجمَّع الشعب بلا داعٍ.

والقصة بالأساس عند ق. مرقس هي عدم قدرة التلاميذ على إخراج الشيطان والشفاء بسبب إهمالهم الصلاة والصوم. وهذا بحد ذاته في صميم توجيه التعليم للكنيسة. وهكذا يخرج التقليد الكنسي من هذه القصة بغنيمة تعليمية عملية عن الصوم والصلاة لتزكية قوة الإيمان. وبهذا تدخل هذه القصة التوجيهية والنقدية من المسيح في صميم كاتشزم (تعليم) الكنيسة وعقيدتها. فالقصة تعتبر قراءة كاتشزمية عقائدية بالدرجة الأُولى.

14:9–16 «وَلَمَّا جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ رَأَى جَمْعاً كَثِيراً حَوْلَهُمْ وَكَتَبَةً يُحَاوِرُونَهُمْ. وَلِلْوَقْتِ كُلُّ الْجَمْعِ لَمَّا رَأَوْهُ تَحَيَّرُوا، وَرَكَضُوا وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَسَأَلَ الْكَتَبَةَ: بِمَاذَا تُحَاوِرُونَهُمْ؟».

البداية هنا من وضع ق. مرقس. كان المسيح غائباً في الجبل مع تلاميذه الثلاثة، وربما رآه الجمع في بدء النهار نازلاً من الجبل. أمَّا تحيُّر الجمع فهو ظهور المسيح فجأة، علماً بأنهم لم يروه قادماً من منزل أو قرية بل من فوق الجبل والوقت صباح، فماذا كان يعمل المسيح فوق الجبل، أسئلة كانت على أفواههم وذابت بمجرَّد رؤيته، وهذا يؤكِّده أنهم ركضوا إليه ليسلِّموا عليه، الأمر الذي لم يرد في موقف آخر.

والتلاميذ هنا هم التسعة الباقون بعد الثلاثة الذين كانوا مرافقين للمسيح في الجبل. أمَّا الحوار مع الكتبة فهو أمرٌ عادٍ لا يخلو منه موقف، ولكن يبدو أنه كان هنا بخصوص عجز التلاميذ عن إخراج الشياطين، لأنه بمجرَّد أن سأل المسيح الكتبة عن سبب الحوار انطلق أبو الولد يحكي قصته وعدم قدرة التلاميذ على إخراج الشيطان.

---

(17) **A. E. J. Rawlinson, *St. Mark*, 1925, p. 123.**

17:9 **«فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ وَقَالَ: يَا مُعَلِّمُ، قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ ابْنِي بِهِ رُوحٌ أَخْرَسُ»**.

انطلق أبو الولد في عرض مشكلته متألِّما ومستعطفاً، ابني به روح نجس أخرس، ويُقال إن هذه الحالة من أصعب الحالات التي يمكن فيها إخراج الشيطان، لأن الشيطان الأخرس لا يسمع ولا يتكلَّم، لذلك من الصعب مخاطبته وإعطاؤه الأمر بالخروج لأنه يدَّعي الصمم ولا يردَّ ولا يبدي أي انفعال.

18:9 **«وَحَيْثُمَا أَدْرَكَهُ يُمَزِّقْهُ فَيُزْبِدُ وَيَصِرُّ بِأَسْنَانِهِ وَيَيْبَسُ. فَقُلْتُ لِتَلاَمِيذِكَ أَنْ يُخْرِجُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا»**.

هذه العوارض الموصوفة هنا هي بحذافيرها عوارض حالة الصرع، وهو مرض متصل بالجهاز العصبي. وقوله حيثما أدركه يمزِّقه فيزبد ويصر بأسنانه هي نفسها حالة النوبة attack التي يكون فيها المريض قد بلغ أقصى انخفاض في الطاقة العصبية فيقع صريع المرض. ووصف التمزق والإزباد من الفم، وصرير الأسنان والتيبس فهذه هي أعراض هجوم المرض. وهذه الحالات الأخيرة من هجمة المرض attack من أخطر ما يمكن حيث تتسبب في وقوع المريض فعلاً على أماكن خطرة في ماء أو نار أو بئر ... إلخ. وصرير الأسنان عنيف فقد يقضم المريض لسانه، واليبوسة هي نهاية نوبة الصرع حيث يقع المريض على الأرض فاقد القوة والعافية، لا حراك له مسبَّل العينين كميت، ويمكث على ذلك مدة ثم يتعافى بعد أن تسترد الدورة الدموية عافيتها والقوة العصبية درجتها العادية.

ولكن هناك حالات صرع مرضي عصبي، وحالات استحواز الشيطان على إنسان فيعتريه نفس مواصفات أعراض الصرع تماماً. وهذه يستطيع الإنسان المتمرِّس في شفاء حالات إخراج الشياطين أن يفرزها ويعرفها بمجرَّد محادثة المريض. فالحالة التي قُدِّمت للمسيح هي حالة استحواز شيطان الصرع.

فلماذا لم يستطع التلاميذ أن يخرجوا هذا الشيطان مع أنهم سبق وأن اعترفوا أن «الشياطين تخضع لنا باسمك» (لو 17:10)، وأنهم «أخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم» حسب نص الآية (مر 13:6). أمَّا الجواب فهو عند المسيح الذي اكتشف ضعف إيمان التلاميذ الذي تناقص بسبب عدم الصلاة والصوم.

19:9 **«فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ، إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟ قَدِّمُوهُ إِلَيَّ!»**.

هنا انتقل المسيح من التلاميذ التسعة إلى الجيل كله، لأن التلاميذ بالدرجة الأُولى يمثِّلون الجيل

كله. فإصابة التلاميذ بعدم الإيمان حتماً انتقلت إلى الكنيسة وإلى الجيل كله، يا لها من مسئولية خطيرة، يا لها من نكبة أن تُنكب الكنيسة ويُنكب الجيل بتلاميذ للرب لا إيمان لهم! المسيح هنا يكشف خطورة الأيام القادمة وتعاسة الجيل القادم الذي لا يكون المسيح في وسطهم!! «إلى متى أكون معكم» فإذا كان "الآن" والمسيح في وسطهم خُذلوا من جهة الصلاة على مريض فلم يُشفَ وصار لهم فضيحة، فكيف يحتملهم وإلى متى يحتملهم وهوذا سنين وهو يعلِّم ويلقِّن ويبني ويهب سلطاناً.

يلاحظ هنا أن تقليد ق. مرقس يسجِّل الكلمات بترتيبها الذي خرجت به من فم المسيح وهي متلاحقة ولكن في تدرُّج. علماً بأن حفظ كلمات الرب يعتبر في التقليد أهم جزء في الحديث أو القصة أو المعجزة، لأنه يكون فيها كل التعليم المطلوب وكل دقائق الإيمان واللاهوت. حيث تكون كلمات المسيح في هذه الحالات هي بمثابة تعليل الطبيب لحالة المرض وإعطاء الدواء. فضيق المسيح هنا من التلاميذ كضيق الطبيب الذي لم تُسمع نصيحته ويُعمل بمقتضى تعليماته، وحينئذ تنتكس الحالة وتقارب الموت = «إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم؟ قدِّموه إليَّ!» 9:20-22 «**فَقَدَّمُوهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَآهُ لِلْوَقْتِ صَرَعَهُ الرُّوحُ، فَوَقَعَ عَلَى الأَرْضِ يَتَمَرَّغُ وَيُزْبِدُ. فَسَأَلَ أَبَاهُ: كَمْ مِنَ الزَّمَانِ مُنْذُ أَصَابَهُ هذَا؟ فَقَالَ: مُنْذُ صِبَاهُ. وَكَثِيراً مَا أَلْقَاهُ فِي النَّارِ وَفِي الْمَاءِ لِيُهْلِكَهُ. لكِنْ إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيْئاً فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا**».

هنا يتضح للعين ذات الإفراز أنه حالة صرع كاذب شيطاني وليس مَرَضياً، لكن حالة نوبة الصرع attack حضرت بسبب رؤية المسيح، فهي نوع من فزع الشيطان أو مقاومته. ووقوعه على الأرض يكشف مدى تسلُّط الروح على جسد المريض كلعبة أو آلة في يده، وتمرّغه في الأرض هو علامة الجسد المعذَّب، والزبد الذي يخرج من فمه هو من عنف الانفعال العصبي، هي حالة صرع مكشوفة ومقلَّدة كالطبيعية تماماً ولكن مفتعلة من جهة الروح النجس. ومحاولة إلقائه في النار والماء واضح تماماً أنها محاولة من الشيطان لقتل ضحيته. ومعروف في سيكلوجية الشيطان أن الذي يقتله يأخذ اسمه بالميراث كضحية يفتخر بها أمام بني جنسه. لذلك حينما يسأل المعزِّم عن اسم الشيطان ما اسمك؟ يقول: فلان، هذا الفلان هو اسم الضحية السابقة التي قتلها.

أمَّا سؤال المسيح لأبي الولد: كَمْ من الزمن منذ أصابه هذا، وردّه أنه منذ صباه، فهي حالة سُكنى أو استحواز Possession قديمة، وفيها يكون الشيطان قد تملَّك أكثر وأصبح جسد الضحية ملكه يرتاح فيه ولا يغادره. وسؤال المسيح هنا ليس عن عدم معرفة ولكن ليُعرِّف الجميع أنها بالفعل حالة مستعصية. ولذلك أيضاً ردُّ أبي الولد يوضِّح نوع يأسه من عملية الشفاء، ويتوسَّل إن

كان المسيح يستطيع أن يعمل شيئاً، ولو ليريحه قليلاً، إذا كان الشفاء صعب المنال.

هنا حبك القصة وكشف تداعي الانفعال النفسي والعاطفي فيها مذهل، كذلك الدخول في السؤال والجواب لكشف الحالة عموماً هو على مستوى طبيب ماهر يسخر بالمرض قبل أن يضع مشرطه، وهو عالم بأنه في جَرَّة واحدة بمشرطه ينهي على هذا السرطان الشيطاني المزمن. وقد أبدع هنا ق. مرقس إبداعاً منقطع النظير، وأعطى شكلاً ولوناً للقصة يندر مثله في الإنجيل. فهو يرسم صورة طبيعية بريشة فنان، ليس لأنه يقول أو يضيف شيئاً من عنده، ولكن ينقل الألوان ويمزجها كما هي أمامه كما بعين كاميرا (آلة تصوير)، أي بحسب الواقع تماماً. هذا يخرج عن الفن، إنه إلهام!

23:9و24 «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ. كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ. فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ أَبُو الْوَلَدِ بِدُمُوعٍ وَقَالَ: أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي».

ردّ المسيح يكشف قانوناً إلهياً يربط الإيمان بعمل الله ربطاً متوازناً متبادلاً. فأبو الولد انتقص من إمكانية المسيح الكاملة على الشفاء وهذا يُضعف إمكانية الشفاء ــ لأن قانون المسيح أنه بدون إيمان لا يوجد شفاء ــ فلكي يمكن للمسيح أن يشفي الولد، أصبح إيمان أبي الولد مطلوباً نيابة عن الولد. فابتدأ المسيح في الحال يُنهض من إيمان الرجل المتخاذل الإيمان. وقال المسيح قولته التي هي بمثابة قانون إلهي في مجال عمل المعجزة للشفاء: ”إن كنت تستطيع أن تؤمن، **فكل شيء مُستطاع لدى الله بالنسبة للمؤمن**“!!

هنا يُدخل المسيح دور الإيمان كعامل أساسي ومبدأي لتتم معجزة الشفاء، وقد سبق أن قلنا إن كلام المسيح أثناء عمل المعجزة هو هو التعليم والكرازة، وهو الذي يخط القوانين الإلهية بالنسبة للكنيسة والفرد المسيحي. وأمامك أيها القارئ كيف استطاع ق. مرقس أن يقدِّم القصة بكلماتها الجانبية التي تبدو لصغار العلم والعقول أنها حشو في القصة والمهم هي المعجزة وأنه شفاه، في حين أن كلمات المسيح الجانبية في القصة تعطي في مضمونها القانوني علة الشفاء والطريق إليه، كما تسجِّل أساساً قانونياً ينبغي أن تتعلَّمه الكنيسة وتعلِّمه لأصول صحة الإيمان وعمله وآثاره الخطيرة في حياة كل إنسان مؤمن، بل وحياة الكنيسة في العالم.

لذلك كم نحن والكنيسة كلها عبر الدهور مَدينون لهذا القديس البارع الذي لم يترك لنا مقولة إلهية إلاَّ وسجَّلها لحساب الكنيسة، فمن تقليد إلى تقليد، من تقليد الكنيسة الشفاهي

الذي سجَّله هذا الإنجيلي الموهوب، ليسكن التقليد المكتوب لتتسجَّل الكلمة بل الحرف وليتم قول المسيح إن السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول.

ثم ألا ترى معي أيها القارئ أنه كانت وراء ق. مرقس وهو يسجِّل تقليد الكنيسة للكنيسة قوةٌ إلهية واعية وقائدة ومرشدة ومعلِّمة على أعلى ما يمكن من الحكمة؟!!

فإجابة أبي الولد بهذا الصراخ الموجوع الحزين الباكي هو اعتراف ضمني لمدى العذاب الذي عاناه الولد بسبب ضعف إيمان أبيه!! لقد انفتحت عين أبي الولد الروحية وأدرك تماماً ما يقوله المسيح، وصراخه هو بسبب ضعف إيمانه الهزيل، ودموعه هي لطلب المعونة للارتفاع بهذا الإيمان ليكون على مستوى معجزة شفاء الولد، فكان!!

25:9 «**فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ الْجَمْعَ يَتَرَاكَضُونَ، انْتَهَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ قَائِلاً لَهُ: أَيُّهَا الرُّوحُ الأَخْرَسُ الأَصَمُّ، أَنَا آمُرُكَ: اخْرُجْ مِنْهُ وَلاَ تَدْخُلْهُ أَيْضاً** (ثانية)».

وهنا أيضاً عودة إلى أسلوب المسيح العجيب في بدء عمل المعجزة، فإنه يطلب أن يعمل عملاً جانبياً ليلهي فيه فكر الناظر والسامع والقارئ ليتفرَّغ بقوته للنطق بالكلمة القاطعة الآمرة التي لا مرد لها. وقد وجدناها عند لعازر في قوله: «أين وضعتموه ... ارفعوا الحجر» (يو 34:11و39)، وفي بيت رئيس المجمع: «لماذا تضجون وتبكون؟ لم تَمُتْ الصبية لكنها نائمة» (مر 39:5). أمَّا هنا فباشغال فكر الناس بنظرته الهادئة نحو الناس وهم يتراكضون، ثم يلتفت سريعاً ويقول أمره الإلهي موجَّهاً مباشرة للشيطان. وهنا يلزم أن نذكر أن الشيطان أخرس وأصم، وربما يسأل القارئ وهل يوجد شيطان أصم أخرس؟ والجواب نعم. فكما قلنا إن هذا الشيطان سبق واستحوذ على رجل أصم وأخرس وقتله، وهكذا تقمَّص الصمم والخرس كحرفة أو صنعة يعذِّب بها الناس. والأمر هنا يتضمن عمليتين: **الأُولى**: الأمر بالخروج المباشر. **والثانية**: الأمر بعدم الدخول فيه مرَّة أخرى. فهنا تحذير إلهي للشيطان حتى لا يمس هذا الولد ثانية.

26:9و27 «**فَصَرَخَ وَصَرَعَهُ شَدِيداً وَخَرَجَ. فَصَارَ كَمَيْتٍ، حَتَّى قَالَ كَثِيرُونَ: إِنَّهُ مَاتَ. فَأَمْسَكَهُ يَسُوعُ بِيَدِهِ وَأَقَامَهُ، فَقَامَ**».

الذي صرخ هنا هو الولد بفمه ولكن الصراخ والصوت الخارج هو للروح النجس، وصرعه شديداً بمعنى أنه دخل في نوبة تشنجية ثقيلة، وذلك بسبب القوة التي يسلبها الروح النجس من الولد لكي يستطيع أن يخرج من الجسد الذي استحوذ عليه سنينَ طويلة واستخدمه استخدام المحتل الرذيل

الفاجر. فالولد سقط منهوك القوي كميت لأن الروح أفرغه من كل عافيته، ولكن المسيح أمسكه وسرَّب إليه قوة من عنده عندما أمسكه بيده وأقامه فقام.

فهذا الاستعراض النادر لهذه الحالة من الصرع المفتعل بواسطة روح نجس يُعتبر نموذجاً نادراً وثميناً للغاية لوصف حالة استحواذ روح نجس على إنسان، وكل الدرجات التي مرَّ فيها حتى أخرجه المسيح عنوة وباقتدار.

ملاحظة:

على ضوء هذه الحالة من الصرع الكاذب المفتعل بواسطة الروح النجس، نوضِّح أنه توجد حالات عديدة من جميع الأمراض مثل الصداع الشديد الكامل والنصفي، آلام الظهر، والكلى، والبطن، تشنجات الوجه والعضلات، العمى، الصمم، الخرس، هذه تكون حالات كاذبة مفتعلة من روح نجس يحتار فيها الأطباء ولا ينفع فيها دواء ولا علاج ولا مشرط، مع أن أوصافها وأعراضها لا يمكن تفريقها من الحالات المرضية العادية. ولكن بالكشف الطبي الدقيق بالمعمل والصورة والتحليل النفسي لا يظهر له سبب بالمرَّة. فكل جزء مريض يظهر بالبحث أنه سليم 100% ولكن صراخ المريض والآلام التي يعانيها تجعل الطبيب في حالة حيرة كبيرة، والحقيقة أنه الروح النجس المستحوذ على الجسد أو على العضو(18) الذي يختاره ليلعب به لعب البهلوان، والسر الأول والأخير في هذا كله يأتي بعد ذلك:

28:9و29 «**وَلَمَّا دَخَلَ بَيْتاً سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ عَلَى انْفِرَادٍ: لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: هذَا الْجِنْسُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ**».

أولاً قبل كل شيء إن الأرواح الشريرة والنجسة لا يمكن أن تمس إنساناً مؤمناً إيماناً صحيحاً

(18) الأرواح النجسة إمَّا تدخل بالفعل في الجسد وتسكن فيه وهذا يسمَّى بحالة استحواذ أو تملُّك **possession** أو تمس الإنسان دون أن تستحوذ عليه ويسمَّى بالمس **obsession**. وهنا يلعب بالأعضاء أو بسلوك الشخص أو بإعطاء انفعالات معينة أو مواهب شيطانية مذهلة. وهذه شفاؤها أسهل من الاستحواذ. ولكن يوجد أيضاً استحواذ ومس بواسطة أرواح بشر منتقلين، وهذه قد تهب الإنسان مواهب كثيرة كالتنبؤ ومعرفة الغيب وشفاء أمراض وإعطاء مشورات وحل ألغاز القضايا المتعذرة وذلك بمعرفة الجاني وأين مكانه وأين المسروقات. وإمكانية اقتفاء أثر الأشخاص بدون علامات على الأرض، وإمكانية إعطاء مواهب ممتازة راقية كالموسيقى والغناء والشعر والتصوير بمهارات فائقة للطبيعة. وهذه كلها أصبحت في متناول العلماء المتخصصين في علم الباراسيكلوجيا، أي علم ما وراء علم النفس، وهو العلم الروحي الخالص الذي تقدَّم جداً في العالم ودخل في مجال السياسة والحروب والفضاء. ويُعتقد أنه سيكون العلم الأول في القرن القادم وله جامعات ومناهج ودراسات ومقررات ومراجع بالآلاف ـ وأنا أذكر ذلك ليس كأنه رأيي ولا كأني أوافق عليه.

قوياً، وبالتالي تكون استحالة قاطعة أن تستحوذ على إنسان مؤمن، لأن الروح الشرير والنجس لا يطيق الإيمان بالمسيح ولا يطيق إنساناً له علاقة روحية وقلبية مع المسيح. ولماذا المسيح بالذات، لأن المسيح هو قاهر الشيطان وقد ربط رئيس الشياطين على الصليب وأفقده قوته التي كانت له، وأفرغ يده من كل الذين استحوذ عليهم ظلماً في كل العصور السالفة، فأصبح اسم المسيح أو صليبه رعباً للشيطان إذا استخدمها إنسان مؤمن بالمسيح له سيرة مسيحية في التقوى.

وبالتالي، كما قال المسيح هنا، فلا قوة تقدر أن تُخرج الشيطان عنوة وتمنعه من العودة إلاَّ قوة الصلاة، العلاقة الروحية الممتدة والتمسُّك بالمسيح، مع الصوم وهو الانقطاع عن الأكل والشهوات وحفظ الجسد طاهراً حتى لا يأخذ الشيطان فرصة على الإنسان بسبب أعمال تُعمل بإيعاز الشيطان وحينئذ يستهزئ الشيطان بالإنسان إذا حاول أن يخرجه عنوة. ويُقال: إن إنساناً راهباً كانت له موهبة إخراج الشياطين، فلما ضعفت إرادته وذهب لزيارة أُمه العجوز جاء بعد ذلك يُخرج شيطاناً فما كان من الشيطان إلاَّ أن ناداه في وسط الناس: "ماما.. ماما".

وهكذا وضع المسيح لكنيسته هذا القانون أن إخراج الشياطين، وبالتالي تحاشي أعمالها بالإيذاء، لا يكون إلاَّ بالصلاة والصوم. ومن هنا وضعت الكنيسة المرتشدة بالروح القدس الأصوام والصلوات ضمن منهج المؤمنين الروحي، فإذا مورست الصلوات بحرارة وإيمان مع الأصوام الانقطاعية بصدق وإخلاص نية وأمانة لله يكون المؤمن قد تحصَّن ضد عدو محتال قتَّال للناس منذ البدء، وتربَّت فيه قوة السلطان على مقاومة الشيطان وإخراجه عنوة.

والصلوات الجماعية قوة للكنيسة، أمَّا الصلوات الفردية فهي قوة للمؤمن، كذلك الأصوام الجماعية هي ذخيرة لحماية الكنيسة ككل، والأصوام الفردية تحصين للإنسان ضد العدو وتهبه سلطاناً بالروح على إخراجه عنوة.

وهكذا خرجنا من قصة الصرع الكاذب هذه بذخيرة أُضيفت للتقليد الكنسي وللوعي الفردي المسيحي.

52 رحلة عبر الجليل

تنبؤ المسيح عن آلامه للمرّة الثانية

[32-30:9]

(مت 17: 22و23)

(لو 9:43-45)

منذ اعتراف ق. بطرس في الأصحاح الثامن عدد (29) وأصبح الحديث عن الآلام المزمعة يمثل اهتمام المسيح الأساسي. وهذا الحديث الذي نحن بصدده نجده يمتاز عن حديثه الأول (8:31-33). فقول المسيح هنا يعتبر لدى العلماء أنه: [واحد من أهم وأفضل الأقوال في هذا الموضوع ويمتاز بأنه أكثرها أصالة حسب التقليد وأكثرها أهمية.](19)

ومع القول الوارد في الأصحاح العاشر (32-34) تُعتبر هذه الأقوال الثلاثة نبوات مع أنها منفصلة، كل واحدة أتت في ظروفها الخاصة. وتمتاز هذه النبوّة الثانية هنا بالتأكيد على أن ابن الإنسان سيُسلَّم (من الله) في أيدي الناس. ومن أهميتها يعتبرها العالم جوانس وايس(20) أنها تُحسب تاريخياً أول نبوّة. كذلك فإن العالِم أوتوّ(21) يقدرها للغاية باعتبارها أكثر الثلاث نبوات أصالة في التقليد وفيها يعتبر المسيح أنه سيقع في أيدي أُناس مبغضين. ومن هنا يبدأ التقليد الكنسي يسجِّل سفر الآلام.

والمسيح هنا يدعِّم نبوّته بالقيامة من الأموات كانتصار أخير فوق الموت.

30:9-32 «وَخَرَجُوا مِنْ هُنَاكَ وَاجْتَازُوا الْجَلِيلَ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ، لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلاَمِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ. وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا الْقَوْلَ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ».

---

(19) **A. T. Cadoux, J. Weiss, R. Otto, cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 402.**

(20) **Ibid.**

(21) **Ibid.**

يبتدئ ق. مرقس هذا الكلام بربطه بما سبق، فالمسيح والثلاثة تلاميذ بعد نزولهم من جبل التجلي قابلوا بقية التلاميذ، فالآن هم الاثنا عشر. ودخلت في الرواية مشكلة الصبي الذي به شيطان الصرع الأخرس الأصم. وبعد أن شفاه المسيح تركوا هذه المنطقة ودخلوا الجليل ليجتازوه. ويبدو أن المسيح لم يشأ أن يُعلِّم الشعب، إذ طلبها رحلة خاصة أو سرية بقصد أن يجلس مع التلاميذ ويعلِّمهم. وطبعاً كان أهم ما يُشغل باله هو إعداد التلاميذ للحوادث المريعة القادمة بخصوص تسليمه. ويُستفاد من الكلام أن المسيح قد أنهى خدمته في الجليل، وهو يستمر هنا في الكلام حتى الآية الخمسين، أي نهاية الأصحاح، ويبدأ يغيِّر مسار الرحلة.

ولا نلمح أي كلام أو خوف من هيرودس أو محاولة الابتعاد عن منطقة سلطان هيرودس.

وفي تعليمه لتلاميذه هذه المرَّة لم يذكر آلامه والرفض الذي سيواجهه، فبدلاً من ذلك يقول: «إن ابن الإنسان **سيسلَّم لأيدي الناس**» بنغمة التأكيد. ويلذ لبعض العلماء أن يقارنوا هنا بين اسم **ابن الإنسان** ويُسلَّم ليد **الإنسان**. ويقول ق. مرقس من عنده دائماً من جهة التلاميذ: «أنهم لم يفهموا شيئاً» ولكن يضيف إليها ق. لوقا قوله: «وكان مُخفى عنهم لكي لا يفهموه» (لو 45:9)، ربما دفاعاً عن التلاميذ في غير محله، لأن المسيح بدأ القول عند ق. لوقا هكذا: «ضعوا أنتم هذا الكلام في آذانكم» (لو 44:9) بمعنى أن يفهموه ويعوه ويحفظوه. أمَّا إنجيل ق. متى فقد اكتفى بقوله: «فحزنوا جداً» (مت 23:17)، وهذا بالتالي يشير أنهم فهموا الكلام جيداً وتأثروا به.

وإن كان بعض الشرَّاح يقولون إنه كان يلمِّح إلى يهوذا، ولكن الواضح أنه يتكلَّم بصفة عامة عن إرادة الله أي أنه سيسلَّم بإرادة الله ومشيئة نفسه(22) وأن الذي سيسلِّمه هو العالم ويمثِّله اليهود، واليهود يمثِّلهم يهوذا. والتلاميذ لم يفهموا من هذا شيئاً حسب ما قيل في إنجيل ق. مرقس، ولكنهم صاروا خائفين لأن الكلام في شكله العام يُرعب. وكانوا خائفين ومن خوفهم لم يتجرَّأوا أن يسألوا المسيح كالعادة عن هذا الموضوع. ولقد حاولوا مرَّة بصورة مستترة، عندما سألوه عن إيليا ومجيئه ولكنهم لم يخرجوا بجواب أكثر من أن ابن الإنسان سيتألَّم ويُرفض.

(22) أول مَنْ قطع بهذا المعنى هو أوريجانوس في شرحه على إنجيل ق. متى نفس الموضع، ودافع عن رأي أوريجانوس العالِم أبوت: **Abbott, *Paradosis*, p. 53 f, cited by A. Plummer, *op. cit.*, p. 222.**

53 قضايا مسيحية هامة

[50-33:9]

(أ) الأعظم:

(مت 18: 1-5)

(لو 9:46-48)

"أيهم أعظم"؟ داء الإنسان الوبيل (مر **9:33-37**):

يتكلَّم المسيح بهذا الكلام على انفراد مع تلاميذه معلِّماً عن القيادة والرؤساء ومَنْ هو أعظم وأول. داء البشرية الوبيل، داء المجتمع والحكومة والدولة والكنيسة والأسرة، وأخيراً نسمعه أنه داء تلاميذ المسيح الذين يريدون أن يدخلوا ملكوت الله.

من الحديث إلى المحاورة إلى النزاع إلى الخناق إلى الثورة إلى المدفع إلى القنبلة الذرية، مدرج «أيهم أعظم» بذرة شيطانية يضعها العدو في صاحب الشخصية البارزة والذكية والنشيطة والناجحة والعالمة لكي يكون عظيماً، ويستحيل أن يكون عظيماً إلاَّ على أكتاف الضحايا، أي يلزم أن يكون أعظم من آخر ليكون عظيماً. وإزاء أن يكون أعظم لابد من استخدام الحيلة أو المال أو التهديد أو الكذب أو الرياء أو الحرب، حتى إن مسلسل الأخطاء والخطايا التي يتورط فيها مَنْ يريد أن يكون أعظم ربما تجمع جميع الخطايا.

ومرَّة أخرى لا يدخل في هذا المدرج الوبيل إلاَّ الأذكياء والعلماء وذوو القدرات من كل نوع، والخبثاء والأردياء والمحتالون وذوو الأموال. وهكذا يتولى الرئاسات والقيادات أشخاص مرُّوا على جميع هذه الأخطاء. فلو نظرنا إلى الحياة الروحية المسيحية وجدنا أنه لدخول ملكوت الله يتحتَّم أن يكون الإنسان على مستوى أخلاق وأفكار ونيات قلب "**ولد**".

فمنطق المسيح هنا منطق ملكوت الله أولاً وأخيراً وقبل كل شيء. فملكوت الله لا يتناسب مع الأعظم والأكبر والأقوى والأمهر والأخبث والأكثر في أي شيء وفي كل شيء، لأن مبدأ الأكثر تفضيل كالأعظم يجر وراءه مسلسل خطايا يستحيل أن يتخلَّص منها الإنسان إلاَّ إذا رجع إلى الوراء هذه الدرجات من الأعلى إلى الأقل مرَّة أخرى. وهيهات.

لذلك بدأ المسيح من الأقل جداً، فأخذ ولداً وأقامه في الوسط ليكون منظوراً من الجميع، وقال

لهم: فليكن لكم منطق هذا الولد، أي منطق الأقل والأصغر والأبسط والأكثر براءة ولطفاً وحبًّا. بمعنى أن يكون منطق الرئاسة عندكم ليس هو الأعظم بل الذي على مستوى الولد. هنا يضمن المسيح لتلاميذه أن يدخلوا ملكوت الله بدون مسلسل خطايا ''الأعظم''. وقال: مَنْ يَقبل منطق هذا الولد في كل ما له يقبلني، والذي يقبلني يكون حتماً قد قبل الله، وهذا هو الدخول إلى ملكوت الله. والمسيح هنا لا يتكلَّم عن العالم أو حكوماته أو رئاساته بل عن السماء!

على أن احتضان المسيح للولد يخفي وراءه معنى مسئولية المسيح العظمى تجاه الإنسان الذي يكون له منطق ولد، فلن يخاف الإنسان قط إن هو اختار المتكأ الأخير والاسم الأحقر والنصيب الأصغر ووقف آخر الصف وتمسَّك بمنطق الأضعف والأقل استحقاقاً، مثل هذا يحتضنه الله وكفاه. ولماذا؟ هل الله يحب الحقارة والضعف؟ أبداً؛ بل الله يحب جداً أن ندخل عنده ونصل إليه من أبسط وأقصر طريق، بل ويريد أن يضمن وصولنا، وهذا يستحيل بالنسبة لأخلاق الإنسان إلاَّ عن طريق أخذ قامة الولد في الكبرياء والعظمة والرئاسة. فالولد لن يرتاح إلى مثل هذه العظمة ولا يطيقها بروحه. هكذا يطلب لنا الله أضمن الطرق وأقلها جهاداً ونفقة وبكاءً ودموعاً. وفي موضع آخر وضعها المسيح كقانون سماوي:

+ «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد **فلن** تدخلوا ملكوت السموات.» (مت 3:18)
+ «فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات.» (مت 4:18)
+ «الحق أقول لكم: مَنْ لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله.» (مر 15:10)

هذا المنهج التأكيدي المدعَّم هكذا بالآيات في مواضع مختلفة لابد أن نفتح له عقولنا وقلوبنا ليصبح منهج الساعين حقًّا لدخول ملكوت الله. كيف؟

+ «مَنْ أراد أن يصير فيكم عظيماً، **يكون لكم خادماً**.» (مر 43:10)
+ «ومَنْ أراد أن يصير فيكم أولاً، **يكون للجميع عبداً**.» (مر 44:10)
+ «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل **ليخدِم وليبذل نفسه** فدية عن كثيرين.» (مر 45:10)

33:9و34 «وَجَاءَ إِلَى كَفْرِنَاحُومَ. وَإِذْ كَانَ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُمْ: بِمَاذَا كُنْتُمْ تَتَكَالَمُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فِي الطَّرِيقِ؟ فَسَكَتُوا، لأَنَّهُمْ تَحَاجُّوا فِي الطَّرِيقِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي مَنْ هُوَ أَعْظَمُ».

يضع ق. مرقس هذه الرواية أثناء الرحلة عبر الجليل متجهين إلى اليهودية. ويلاحظ القارئ أن ق. مرقس لم يذكر اسم المسيح ولا التلاميذ وحوَّلها إلى ضمائر، ويريد بذلك أن يضعنا نحن في

مجرى الحوادث الماضية. أمَّا البيت الذي لم يذكر صاحبه فغالباً هو بيت ق. بطرس. ثم بدأ يسألهم عمَّا كانوا يتحاورون في الطريق؟ ولكن التلاميذ لم يحروا جواباً والتزموا الصمت. وهنا تدخَّل ق. مرقس لكي يحكي بماذا كانوا يتحاجون، ويُلاحَظ أن المحاجاة فيها شيء من العصبية والنزاع، فيقول لأنهم تحاجوا في الطريق بعضهم مع بعض في مَنْ هو أعظم؟ ويبدو أن الأشخاص الذين دخلوا هذه المحاجاة على أغلب الظن هم بطرس ويهوذا الإسخريوطي، لأن نفس هذه المحاجاة حدثت مباشرة قبل عشاء الخميس:

+ «ولما كانت الساعة اتَّكأ والاثنا عشر رسولاً معه ... وكانت بينهم أيضاً مشاجرةٌ مَنْ منهم يُظن أنه يكون أكبر. (وهذا غالباً بسبب مَنْ سيجلس عن يمين المسيح مباشرة وعن يساره) فقال لهم: ملوك الأُمم يسودونهم، والمتسلطون عليهم يُدعَوْنَ محسنين. وأمَّا أنتم فليس هكذا، بل الكبير فيكم يكون كالأصغر، والمتقدِّم كالخادم.» (لو 22: 14و24-26)

ويقول القديس مرقس إن التلاميذ صمتوا. وطبعاً معروف أنهم أدركوا أن المسيح عرف بروحه ما كانوا يتحاجون به فخجلوا وآثروا عدم الرد. وهنا ينبري ق. مرقس ثانية ويكشف عن صمتهم: «فسكتوا لأنهم تحاجوا في الطريق بعضهم مع بعض في من هو أعظم.» 9:35- 37 «**فَجَلَسَ وَنَادَى الاِثْنَيْ عَشَرَ وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلاً فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِماً لِلْكُلِّ. فَأَخَذَ وَلَداً وَأَقَامَهُ فِي وَسَطِهِمْ ثُمَّ احْتَضَنَهُ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ قَبِلَ وَاحِداً مِنْ أَوْلاَدٍ مِثْلَ هذَا بِاسْمِي يَقْبَلُنِي، وَمَنْ قَبِلَنِي فَلَيْسَ يَقْبَلُنِي أَنَا بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي**».

يُلاحِظ القارئ أن ق. مرقس يعيش معنا في القصة خطوة خطوة بحساسية ووعي إنجيلي مسيحي مدهش، فكان يمكن بعد أن كتب «فسكتوا» أن يذكر كلام المسيح مباشرة، ولكن ق. مرقس يتدخَّل ليكشف الخطأ الذي مارسوه من خلف المسيح لكي نكون نحن على وعي بمستوى الإجابة.

تحرَّك المسيح في بدء التعليم تحرُّك معلمٍ يرتِّب لهم وسيلة الشرح، فجلس ونادى الاثني عشر واستحضر ولداً بجواره وابتدأ التعليم: كيف تختلف طرق المسيح وبالتالي المسيحية عن طريق العالم والرؤساء والأسياد. وهذه يوضِّحها ق. لوقا في الموضع الذي ذكرناه: «وكانت بينهم أيضاً مشاجرةٌ مَنْ منهم يُظن أنه يكون أكبر. فقال لهم: ملوك الأُمم يسودونهم، والمتسلطون عليهم يُدعَوْنَ محسنين. وأمَّا أنتم فليس هكذا ...» (لو 22: 24-26). ويكمِّل ق. مرقس: «إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل» واضح هنا طريقة العالم في اختيار الأول ليملك ويسود، وطريقة المسيح في اختيار الأول والرئيس والأكبر، إذ يتحتم أن يُختار من الأبرار والقديسين

الذين أخفوا أنفسهم وجلسوا في آخر المقاعد واعتبروا أنفسهم لا شيء. ذلك عن فاعلية الروح فيهم وإرشاد النعمة وانسكاب روح التواضع. فمن هؤلاء يُختار الأولون والرؤساء والمسئولون لسببين: **الأول** ليكونوا قدوة ويسودوا بالنعمة وروح الله ويحكموا بالكلمة ويحتكموا بالإنجيل، وهكذا تُبنى النفوس وتنتشر القداسة ويعم البر. والسبب **الثاني** أن لا يخسروا هم الجعالة بل يزداد برهم ويؤهلون لدخول ملكوت الله ويخدمون الجماعة بتواضع المسيح.

ثم بدأ المعلِّم يستخدم وسيلة إيضاح، فأحضر ولداً وجعله في الوسط لينظره الجميع، وتنطبع صورته على صورة التعليم، بل على صورة المسيح، فتترك الأثر في نفوس التلاميذ والكنيسة إلى أبد الدهور. فهنا العلاقة الثلاثية شديدة الاتصال والإحكام: الولد والمسيح والملكوت.

ثم قال: مَنْ قَبِلَ ولداً مثل هذا باسمي يقبلني، والمعنى عظيم ومختفٍ كما كتبنا في المقدِّمة، فالولد هنا نموذج حي لرئيس له صفات ومنهج وأيديولوجية "ولد": البساطة والبراءة وطهارة اليد والقلب والفكر والجسد، عدم معرفة الكبرياء ولا العظمة ولا الاستبداد ولا الحكم بالتحكم وسلطان الذات والتهديد. بل الحكم بمقتضى حب العلاقة بين الأولاد وأبيهم وأمهم. وهذا لا يكون بالتمثيل والمشابهة بالقوة ولا القدرة، ولكن بالنعمة التي تخلق أولاداً جدداً بالروح يليقون بخدمة الذي خلقهم بالروح خدمة توصل الخادم والمخدومين إلى حضرة الله في السماء. هذه هي المسيحية والكنيسة.

وواضح جداً أيها القارئ العزيز أن المسيح هنا يعلِّم والتلاميذ كالعادة لا يفهمون، لأن المسيح يعلِّم على أساس يوم الخمسين حينما يأتي روح الحق ويلد أبناءً جدداً يصلحون فعلاً أن يكونوا عظماءَ لله وليس للعالم. وقد كان، وسمعنا عن رؤساء للكنيسة الأُولى على مستوى طلب المسيح، فحققوا شهوة المسيح وأيَّدوا تعليمه بتعليمهم ووثَّقوا الإنجيل بسيرتهم.

وكلمة المسيح بقوله «مَنْ يقبل مثل هذا الولد يقبلني» فهي تَنْصَبُّ على قبول الرئيس الذي له الصفات اللائقة بدخول ملكوت الله. هنا قبول الرئيس كقبول المسيح يكون. وهنا الطاعة والخضوع والتكريم الفائق للرئيس في شخص المسيح.

ثم بقوله: والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني، هنا المنتهى، إذ يكون قبول الله نفسه وبالتالي قبول ملكوت الله.

فهذه الرواية هي ذات أساس تعليمي فائق القيمة لبناء الإنسان المسيحي والكنيسة، وخلق مجتمع روحي على مستوى المسيح والملكوت حقاً. والعامل السائد فيها: لا عظمة ولا كبرياء ولا تكالب

على وظائف وترقيات ودرجات، بل تقديس روح الخدمة وتعلية روح الفقراء والبسطاء والودعاء ليتحقَّق ملكوت الله بين الناس.

(ب) الانقسامات:

المسيح يقف ضد الانقسامات العقائدية: (مر 9:38-41): (لو 9:49-50)

تبدأ الرواية بدون مقدِّمات وبدون ربط بالكلام السابق، مما يجعلها تقليداً ثميناً محفوظاً بذاته وضعه ق. مرقس هنا في هذا الموضع على أساس واحد مع الرواية السابقة كونها من يقبل ولداً "باسمي"، فالجزء المشترك بين الروايتين هذه والسابقة هو في "**اسمي**".

ولكن الرواية هنا خطيرة، فهي تتعرَّض لمبدأ حرمان العقائد بعضها لبعض على أساس أنه طالما ليس يتبعنا نحرمه «فمنعناه لأنه ليس يتبعنا» وهنا انبرى المسيح بغيرة ظاهرة يُخطِّيء هذا المنهج في المعاملات مع الآخرين، ويضع أساس التعامل بين العقائد ذات العمل الواحد باسم المسيح. فقال يسوع: «لا تمنعوه لأنه ليس أحد يصنع قوة باسمي ويستطيع سريعاً أن يقول عليَّ شراً» إذن فشرط الإخاء والتسامح والتعاون بين العقائد يقوم على أساس أن الكل يقول قولاً صالحاً أميناً عن المسيح. والكل يعمل عملاً واحداً سواء إخراج شياطين أو شفاء أمراض أو تعليماً صالحاً باسم المسيح. إذن يكون الكل في هذه الحالة يخدم المسيح واسمه.

ثم يصرِّح المسيح بالقانون الذي يضبط التعامل بين العقائد في (مر 9:40) هكذا: «**لأن مَنْ ليس علينا فهو معنا**». أي طالما صاحب المبدأ أو العقيدة لا يعمل ضدنا ولا ضد ما نعمله أو نقوله أو نؤمن به فهو بالضرورة معنا، حيث يكون الذي يربطنا معاً هو الذي نعمل لحسابه ونخدمه كلانا وهو المسيح. هذا يُحسب أخطر مبدأ يحكم الجماعة المسيحية الذي لما تجاوزوه وكسروه انكسرت وحدة الجماعة إلى عقائد منقسمة على بعضها تعادي بعضها البعض وكل واحد يعمل **ضد** الآخر **باسم المسيح**، مع أن الكل يخدمه بأمانة، فهذا خروج عن المسيح جملة، فكيف يستقيم الأمر؟

إنه عار على الكنيسة وعار على أصحاب الإيمان بل وهي مهانة كبرى للإيمان والمسيح، أن كل عقيدة تكون أمينة للمسيح وتعادي عقيدة أخرى وهي أمينة للمسيح أيضاً، فهنا العداء هو للمسيح. فالعقائد الأساسية القائمة اليوم تقول قولاً صالحاً في المسيح وتعبده بالروح والقلب بكل أمانة وصدق، فكيف نبرِّر الانقسام والعداوة الحادثة بين الثلاثة؟ هل هذه العداوة أو القطيعة أو الانفصال الجذري الحادث بينها هو من أجل المسيح؟ هل هو لصالح المسيح؟ هل هو لصالح الشعب، والشعب

معروف أينما كان وتحت أي شعار كان هو شعب المسيح!!؟

إن مبدأ المسيح: «مَنْ ليس علينا فهو معنا» ومَنْ يقول قولاً صالحاً في المسيح وبإيمان صالح هو معنا، ينبغي أن يُلزم الكنيسة بأن تكون عقيدة واحدة وإيماناً واحداً، لأن الكل مخلص للمسيح الواحد.

وحتى الذين ليسوا معنا في عبادة المسيح الواحد لا يصح ولا يجوز أن نعاديهم ولا نفرزهم من محبتنا، لأن قانون «أحبوا أعداءكم» يقف سدًّا منيعاً ضد أي عداوة لأي إنسان مهما كانت عداوته. فالمحبة من عندنا قائمة على أساس البذل والعطاء خلواً من تعويض أو مبادلة المثل بالمثل.

يا لحزننا العظيم أن مبدأ المسيح «مَنْ ليس علينا فهو معنا» مكسور في كنيسة المسيح، وهذا تسبب في تحطيم المحبة على الأرض. فالمسيح هو محبة بلا قيود ولا شروط.

9:38-40 «فَأَجَابَهُ يُوحَنَّا قَائِلاً: يَا مُعَلِّمُ، رَأَيْنَا وَاحِداً يُخْرِجُ شَيَاطِينَ بِاسْمِكَ وَهُوَ لَيْسَ يَتْبَعُنَا، فَمَنَعْنَاهُ لأَنَّهُ لَيْسَ يَتْبَعُنَا. فَقَالَ يَسُوعُ: لاَ تَمْنَعُوهُ، لأَنَّه لَيْسَ أَحَدٌ يَصْنَعُ قُوَّةً بِاسْمِي وَيَسْتَطِيعُ سَرِيعاً أَنْ يَقُولَ عَلَيَّ شَرًّا. لأَنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْنَا فَهُوَ مَعَنَا».

هذا ما يواجه الكنيسة أمس واليوم. الكنيسة ممزَّقة بتيار المنع والحرم والقطيعة بين العقائد. وهنا لأول مرَّة في الأناجيل نجد القديس يوحنا يقوم بدور قيادي ويطرح قضية خطيرة على المسيح.

«فمنعناه لأنه ليس يتبعنا»:

كررها القديس لوقا كما هي أخذاً بتقليد ق. مرقس حرفياً. وهذه هي قضية اليوم والأمس وغد وبعد غد: المنع والحرم والعداوة والقطيعة للعقائد التي تخدم باسم المسيح لمنفعة وشفاء وتعليم الشعب باستخدام "اسم المسيح" أي سلطانه الشخصي وقوته وهويته ولاهوته. قضية هي قضية الكنيسة الآن!! أين أنت يا يوحنا، بل أين أنت يا رب من الكنيسة اليوم فقد منعت وقطعت وحرمتْ وآذتْ وَلَعنتْ بعضُها البعضَ، والكل يخدم الاسم المبارك، ويعبد بالروح والحق ويتبع من كل القلب، والشعب يدفع الثمن، والمسيح مطعون في القلب، وكل الجسد يدمي متألِّماً، والكل قانع وراضٍ على هذه الجريمة في حق المسيح وجسده واسمه.

من أجل اسم المسيح انقسمت الكنيسة وتشاجرت، وباسم المسيح أقامت المجامع للحرم والاضطهاد، الكل يقول لأنهم ليسوا يتبعوننا، والكل يتبع المسيح!!

لقد أخذوا بعكس مبدأ المسيح، وهو مبدأ لا يجوز أصلاً إلاَّ على الشياطين «مَنْ ليس معنا فهو

علينا» حيث مَنْ ليس مع المسيح هم الذين قال عنهم المسيح: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة.» (لو 35:22)

هذه هي قضية الكنيسة اليوم مرفوعة باسم المسيح ليقضي فيها المسيح، فإمَّا تُعطَى كل كنيسة له وإلاَّ قضت على نفسها. فإما العودة إلى الوحدة والمحبة والقلب الواحد تحت اسم المسيح الواحد، وإلاَّ تَفَتُّت وعداوة وأحقاد ثم زوال.

لما طرح يوحنا قضية المنع تحت الاسم المبارك حَكَم المسيح كقاضي العدل بحكم أن لا تمنعوهم. فالاسم لا يفرِّق بل يوحِّد، ولا يخلق أحقاداً وعداواتٍ ومراراتٍ، بل يخلق الحب والحنان وعودة القلب على القلب، «لئلاَّ آتي وأضرب الأرض بلعن» (ملا 6:4)!!

يا قارئي المبارك، أتوسَّل إليك أن تقف معي بل تقف مع المسيح، بل تقف مع الإنجيل والحق. لقد تعاهد شرَّاح الغرب ذوو الميول المنحازة فشرحوا هذه القضية المسيحية الكنسية الخطيرة بأنها لا تزيد عن كونها تعزيم على الشياطين غير قانوني!! واستطاعوا أن يهربوا من المسيح والإنجيل والحق ويحوِّلوا قول المسيح الرب الإله القاضي بالعدل «**مَنْ ليس عليَّ فهو معي**» إلى قضية إخراج شياطين غير قانوني، ولاذوا بالفرار من غضب المسيح وحكمه «**مَنْ لا يجمع معي فهو يفرِّق**» (مت 30:12)، (لو 23:11).

أتوسَّل إليك أيها القارئ أن ترد للمسيح حقَّه وترفع رأس الإنجيل وصدقه وتنادي معي: إمَّا الوحدة الكنسية وإلاَّ لعنة التفريق والخراب المحتَّم.

41:9 «لأَنَّ مَنْ سَقَاكُمْ كَأْسَ مَاءٍ بِاسْمِي لأَنَّكُمْ لِلْمَسِيحِ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ».

هذه الآية يمكن أن تتبع الموضوع السالف وهو أن «مَنْ ليس علينا فهو معنا» باعتبار أن أي إنسان يعطف على الخادم المسيحي الذي يخدم اسم المسيح، باعتبار أنه تابع للمسيح، ولو بكأس ماء بارد فهذا له أجره من الله، بالرغم أن ذلك الإنسان لا يتبع هؤلاء الخدَّام. ولكن بسبب "الاسم" يصبح قريباً لنا ولو كان ليس معنا. كذلك فإن هذه الآية تتبع الآية (37) التي تقول: «مَنْ قَبِلَ واحداً من أولاد مثل هذا باسمي يقبلني» فهنا التداعي المشترك بين الآيتين هو الاسم "باسمي". بمعنى أن دخول "اسم المسيح" في العلاقات بين الناس يقرِّبهم ويوحِّدهم في شخص المسيح. فالاسم يجمع ولا يفرِّق، يقرِّب الأشخاص والقلوب.

فهنا امتداد لقضية الوحدة والتآلف في الاسم.

ولقد شاع تقديم كأس الماء البارد بين الجماعات المسيحية الأُولى كتقليد روحي، فكان أول ما يقدَّم للخادم أو الزائر كوب ماء بارد لسببين: **الأول** لأنه عمل وصية محبة من أجل الآخر لإنعاش روحه. **والثاني** لكي ينال مقدّم الكأس الجزاء عند الله.

وقد تطوَّر كأس الماء البارد في بلاد الغرب، فيُحكى أنه منذ عهد قريب جداً قبل الحرب الثانية كانت البلاد الأوروبية تستقبل الزوار السواح في محطات القطار بأكواب من اللبن الدافئ بأيدي أولاد وبنات لابسين الأزياء الوطنية لتحية الضيف. لقد ترسَّخت الوصية ثم تطوَّرت فبقيت آثار الإنجيل حيَّة. ولو يلاحظ القارئ نتيجة هذا العمل المباشر يجده أن الزائر أو الغريب القادم يشعر في الحال كأنه في وطنه وفي بيته. هكذا الوصية باسم المسيح تقرِّب وتجمع وتؤلِّف بين القلوب.

(ج) عدم إعثار الصغار (**احترام الأولاد**) (**مر 42:9**): (مت 6:18)

(لو 17:1-2)

42:9 «**وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي، فَخَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحىً وَطُرِحَ فِي الْبَحْرِ**».

هذا القول يأتي مرادفاً للقول السابق «مَنْ قَبِلَ واحداً من أولاد مثل هذا باسمي يقبلني» وقد جاءا معاً في إنجيل ق. متى أيضاً. والذي يجمعهما معاً هو كلمة ''الولد''، فالوصيتان تختصان بالأولاد: الذي يقبل الولد يقبلني والذي يُعثر الولد موتاً يموت. والواضح هنا أن المسيح يضع منهجاً للطفولة في دائرة العطف والحماية ليكون أول منهج اجتماعي للعطف على الطفولة والعناية بها، ويظلِّلها بمظلة إلهية. ولكن في الحقيقة وراء كلمة ''الولد'' أو ''الصغير'' يرقد معنى التلميذ أو الخادم أو الرئيس الذي له روح الولد كما سبق وشرحنا. فيأتي النص في وضعه الكنسي: أن مَنْ يقبل الرئيس أو الكارز أو الخادم يقبلني. والمنهجان على مستوى الأهمية والخطورة في بناء المجتمع والكنيسة معاً.

والعجيب هنا لو تأملنا ملياً نجد الخطورة متبادلة في إعثار صغار المؤمنين، ولكن تنصب بالأكثر على الأولاد وإيذائهم جسدياً أو نفسياً أو روحياً. فالذي يغتال ولداً سيغتاله الله. فحجر الرحى هي خطيته، فسيربطها الله في عنقه ليغوص بها في أعماق الدينونة الرهيبة.

(د) العثرات المهلكة (**مر 43:9-48**): (مت 7:18-9)

43:9-48 «**وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ، إِلَى النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ. وَإِنْ**

أَعْثَرَتْكَ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ مَنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ رِجْلاَنِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ. وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ».

هذا المسلسل من البتر لليد والرجل وقلع العين هو منهج النسك العالي للذين أعثرهم العالم وهُم لا يُريدون أن يعيشوا في الخطية. ولتوضيح هذا القانون الروحي الصارم يلزم أن نفهم أن حياة الطهارة والبر والقداسة في وسط عالم الخطية والعثرات تتطلَّب احتمال فداحة الثمن. فالذي يريد أن يعيش طاهر اليدين لا يمدّها للحرام، أيًّا كان الحرام نوعه، سواء نجاسة أو سرقة أو اختلاس أو تزوير أو غش أو إيذاء بالضرب أو القتل، فإن ضبط اليد من جهة اليد نفسها وما يحرِّكها من فكر وضمير ونيَّة وإرادة يحتاج إلى شدَّة وعنف وإصرار وقطع في الضمير والقلب والنية وربط اليد بالإرادة، بحيث هذه الشدَّة والعنف لا يقل عنفها ألماً من آلام قطع اليد وما يتأتى من ذلك من آلام وعجز وفضيحة. هكذا يصوِّر المسيح منهج ضبط اليد لكي لا تمتد للحرام من العنف والصعوبة ما لا يقل عن قطعها بالإرادة أو بالقانون.

ويُلاحِظ القارئ أن المصدر الذي تداعى منه ذكر هذا القانون النسكي هو نفسه الآية السابقة التي تنص على **عدم إعثار أحد الصغار**، وإلاَّ فخير لمِنْ "**يُعثر**" ولداً أن يُربط عنقه بحجر رحى ويُلقى في البحر. "فالإعثار" هو الذي ربط الحديث السابق بهذا الحديث. فانظر عزيزي القارئ وتأمَّل الغرامة المريعة التي يستحقها مَنْ يُعثر ولداً؟ فلكي نتخطَّى الإعثار لابد من جهاد ومجاهدة ضد الذات والجسد. جهاد يساوي على الأقل في الألم والمعاناة الغرق في لجة البحر أو قطع اليد أو الرجل أو قلع العين.

فلو تأمَّلت معي عقوبة إنسان ترك لعينه الحرية أن تنظر في الأجساد وتشتهي وتملأ شهوتها في القلب ماذا تكون؟ عقوبتها ما هو لعقوبة الزنا الفعلي. لا زناة يدخلون ملكوت الله! فانظر فداحة الغرامة. إذن علينا أن نحوِّل هذه الغرامة إلى مجاهدة إرادية في الإرادة والفكر والضمير والعين ذاتها.

هذا هو المنهج النسكي الصارم الذي يقترحه المسيح أن نسلكه بالإرادة لكي ننجو من نار جهنم ودودها. أمَّا نارها فأشد وأقصى من نار الأرض عشرات المرات، فهي نار الندم الذي يحرق الضمير ويظل يحرقه إلى أبد الآبدين. أمَّا الدود فهو الإحساس بالخسارة التي تلاحق الضمير والنفس بلا نهاية.

(هـ) التقوى كملح (مر 9:49و50):

(مت 5:13)

(لو 14:34ـ35)

9:49و50 «لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُمَلَّحُ بِنَارٍ، وَكُلَّ ذَبِيحَةٍ تُمَلَّحُ بِمِلْحٍ. اَلْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلكِنْ إِذَا صَارَ الْمِلْحُ بِلاَ مُلُوحَةٍ، فَبِمَاذَا تُصْلِحُونَهُ؟ لِيَكُنْ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِلْحٌ، وَسَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً».

الملح هنا يرمز إلى التقوى الشخصية، والنار هو الروح القدس. فالإنسان التقي إذا التهب بالروح القدس صار ذبيحة مقدَّسة لله. لهذا كان الملح يوضع على الذبائح قديماً رمزاً للتقوى في العهد الجديد. وكما كانت الذبيحة تُحرق بالنار لتصير مقبولة لدى الله، هكذا إنسان العهد الجديد لازم له ملح التقوى ولازم له نار الإحراق. ويقول المسيح إن التقوى أي الملح بحد ذاته جيد، ولكن إذا صارت التقوى نفسها فاقدة لمضمونها، أي يعتريها عيب كعيب النجاسة أو حب العظمة أو شهوة المال أو الدنيا، فبماذا نصلح التقوى. وهذا هو الحادث في هذا الجيل. منهج التقوى مزيَّف وملوَّث، فبماذا تصلح التقوى؟ بمعنى إذا وُجِدَت العثرة بمعانيها المعروفة في رجال التقوى والمفروض فيهم التقوى وهم الذين يعلِّمون التقوى، فبماذا نُصلح التقوى. بمعنى إذا كان الأساس الذي نبني عليه فاسداً، فالبناء كله آيل للسقوط والزوال.

«ليكن لكم في أنفسكم ملح، وسالموا بعضكم بعضاً»:

الكلام هنا عميق للغاية ويحتاج لقلب فهيم ليدرك معناه ومداه. فالمسيح لا يطلب هنا بل يأمر. وأمر المسيح هو وصية واجبة النفاذ، لأنه لا يأمر من فراغ لكن يأمر من مصدر القوة والعطاء، يأمر والنعمة مع الأمر للذي يطيع. فأوامر المسيح في وصاياه لها قوة النعمة تسند وتؤازر مَنْ يسمع أولاً ويطيع. هنا يأمر أن تكون لنا التقوى، فإذا لم تكن التقوى على مستوى التقوى، أي فسدت طبيعتها، فبما تُصلح. هنا وبعدها مباشرة يعطي أمر البداية السرية لعمل النعمة بأن: «**سالموا بعضكم بعضاً**»، لأن «**ثمر البر يُزرع في السلام**» (يع 3:18). بمعنى إن كنَّا نريد أن نبدأ بزرع التقوى في كنيسة المسيح فيتحتم أن يعمَّ السلام، وإذا كان هذا صعباً فلنبدأ بالمسالمة، أي نقبل بعضنا بعضاً على علاَّتنا ونتقابل على رجاء زرع التقوى في قلب الكنيسة. ولكن هل يمكن؟ هل نبدأ؟ ومَنْ الذي يبدأ؟

الأصحاح العاشر

الرحلة عبر اليهودية. المسيح يثبِّت وجهه نحو أُورشليم (10:1–31):

قضايا مسيحية ساخنة:

54– قضية الطلاق والزنا (10:1–12)

55– مركز الأولاد في ملكوت الله (10:13–16)

56– الغني وميراث الحياة الأبدية (10:17–27)

57– الترك من أجل اتّباع يسوع (10:28–31)

مع آخر الرحلة إلى أُورشليم (10:32–52):

58– التنبؤ الثالث بالآلام (10:32–34)

59– ترجِّي يعقوب ويوحنا (10:35–40)

60– تذمُّر العشرة على يعقوب ويوحنا وعودة إلى مَنْ هو الأعظم (10:41–45)

61– شفاء الأعمى في أريحا (10:46–52)

الرحلة عبر اليهودية. المسيح يثبِّت وجهه نحو أُورشليم

قضايا مسيحية ساخنة

(10:1–31)

54 قضية الطلاق والزنا

[10:1-12]

(مت 19: 1-9،32:5)

(لو 16: 18)

في الحقيقة يُحتسب الطلاق مشكلة المشاكل التي يواجهها المجتمع المعاصر تحت اضطرارات الانحلال الذي دخل البيوت بسبب ضعف الخدمة الروحية وهشاشة البناء الأخلاقي والنفسي لإنسان هذا الزمان وهذا الجيل بالأكثر. أمَّا الزنا فهو مشكلة الإنسان منذ البدء. وقد وُضِعَت الوصايا والقوانين للطلاق والزنا وكُسرت الوصايا من أجل الطلاق والزنا.

موسى تحت إلحاح مستوى الأخلاق المتدني وقساوة قلب الرجل في الناموس أعطاهم التصريح بالطلاق، على شرط واحد أن يعطيها كتاب طلاق. وهو بمثابة تصريح للزواج الثاني، لأن زواج المرأة باثنين معاً هو زنا في نظر الناموس، فلمَّا جاء المسيح رفع هذا التصريح بالطلاق على أساس شامل جاء المسيح لينفِّذه للإنسان بقوة الروح وهو ''الوحدة'' بكل صورها، الرجل والمرأة بالأساس ثم الإنسان بالإنسان، ثم الإنسان بالله. فالوحدة هي الهدف والغاية العظمى للمسيحية:

+ «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسانٍ كاملٍ (واحد). إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف 4:13)

+ «لأن كُلَّكُم الذين اعتمدتُم بالمسيح قد لبستُم المسيح. ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، **ليس ذكرٌ وأُنثى لأنكم جميعاً** واحدٌ في المسيح يسوع» (غل 3:27و28)

+ «لأنه هو سلامُنا، الذي جعل **الاثنينِ واحِداً** ... لكي يخلُقَ الاثنينِ في نفسهِ إنساناً **واحداً جديداً**، صانعاً سلاماً، ويُصالِحَ الاثنين في جسدٍ واحدٍ مع الله بالصليبِ، قاتلاً العداوةَ به.»(أف 2:14-16)

واضح من هذا أن عمل المسيح بالدرجة الأُولى هو أن يوحِّد البشرية في نفسه ويقدِّمها لله إنساناً واحداً كاملاً في المجد. فلو دققنا النظر نجد أن هذه الوحدة النهائية للبشرية في المسيح تبدأ أولاً وبالأساس من اتحاد الرجل بامرأة ليكونا جسداً واحداً. هذه الصورة البديعة الكاملة هي التي تحمل سر عمل المسيح في البشرية كلها. لذلك أصبح سر الزيجة الحامل لسر الوحدة العظمى للبشرية في شخص المسيح أقدس ما يمكن؛ بل ومن أخطر ما يمكن إذا ما افتُري عليه. من هنا أصبح مفهوم الطلاق ونظريته وإمكانيته لأي علة كانت، مرفوضة من المسيح كليًّا.

وقد أخذ القديس بولس هذا المبدأ الإلهي وتأمَّل فيه فرأى أن الكنيسة هي وحدة كبرى مجموعة من وحدات صغرى، يعني أنه رأى الكنيسة قائمة "واحدة" في سر الزيجة، رآها عذراء مقدّمة لإلهها، حيث العذراوية في المفهوم اللاهوتي هي "حفظ الجسد لله"، لم يتدنَّس بزيجة لآخر، حيث الزيجة لآخر هو الاتحاد بالشيطان أو كل مَن ينتمي إليه.

فالكنيسة في نظر القديس بولس هي عذراء مخطوبة للمسيح بالرغم من آلاف آلاف من الزيجات فيها، ولكن كل الزيجات فيها هي وحدات كل منها "وحدة جسد" رجل بامرأة يعبدان المسيح ومتحدَين في المسيح. وهكذا أصبح مفهوم الزيجة المسيحية هي جسد واحد مقدَّس بالمسيح، وبالتالي صارت الكنيسة جسداً واحداً مقدَّساً بالمسيح. وهنا نكون قد وصلنا للحقيقة الإلهية الإعجازية أن الكنيسة هي جسد المسيح. هي عذراء المسيح.

انظر عزيزي القارئ كيف أن سر الزيجة المقدَّس هو هو سر الكنيسة والمسيح!

+ «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأتهِ، ويكون الاثنانِ جسداً واحداً. هذا السرُّ عظيمٌ، ولكني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة.» (أف 5: 31و32)

فبعد أن تشبَّع فكرنا وروحنا بهذا المستوى من سر الزيجة في المسيح، مَنْ يستطيع أن يطيق بعد فكرة الطلاق؟؟ لقد أصبح الطلاق هو تمزيق في جسد المسيح، هو امتهان لسر جسد المسيح. بل ويصير في الحال حالة زنى روحي قبيح، كمَنْ يأخذ جسد المسيح ويعطيه لزانية، كمَنْ يبيع سر المسيح المقدَّس لامرأة زانية، كمَنْ يتنازل عن الالتصاق في جسد المسيح ليلتصق بجسد زانية، أمر لا يُطاق بالفكر اللاهوتي.

فإذا سألتني ما هو الزنا وبماذا يقوم في المفهوم المسيحي؟ أقول لك: هو خروج بالزيجة عن مفهومها المقدَّس!!

1:10 «**وَقَامَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى تُخُومِ الْيَهُودِيَّةِ مِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ. فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ أَيْضاً، وَكَعَادَتِهِ كَانَ أَيْضاً يُعَلِّمُهُمْ**».

هنا تبدأ مرحلة جديدة من جغرافية الكرازة إذ إنحدر المسيح من الجليل الأعلى وعبر الأُردن وسار بمحاذاته شرقاً حتى دخل تخوم اليهودية جنوباً عبر إقليم بيريه حسب تصور العلماء(1).

«**فاجتمع إليه جموع أيضاً وكعادته كان أيضاً يعلّمهم**»:

ولأول مرَّة يستخدم ق. مرقس كلمة الـ"جموع" بالجمع، لأنه دائماً وحوالي 36 مرَّة أورد كلمة "الجمع" بالمفرد، فهنا واضح أنه ينقل من التقليد المكتوب أمامه بالحرف. **وكانت الجموع تسير معه** وليس فقط اجتمعت إليه كما جاء في الترجمة العربية.

2:10 «**فَتَقَدَّمَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَسَأَلُوهُ: هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ؟ لِيُجَرِّبُوهُ**».

إنجيل ق. متى يضيف إليها إضافة جديدة: «أن يطلق امرأته لكل سبب؟» (مت 3:19)

هذه الإضافة ذات معنى في الموضوع، لأن الناموس في (تث 1:14) يعطي الحل للطلاق من أجل الزنا، فأصبح من الضروري أن يكون السؤال المحرج (لكي يجرِّبوه) أن يكون "الطلاق لكل سبب".

ويُلاحِظ القارئ المنتبه أن هناك عداوة مقصودة بين هيرودس والمسيح متبقية من عداوته للمعمدان، والمعروف أنه ذبح المعمدان لأنه كان يوبِّخه من أجل أنه **طلق امرأته** (بنت الحارث العربي) وتزوَّج هيروديا امرأة أخيه هيرودس فيلبُّس. فهنا السؤال من أجل الطلاق لأي علّة، علّته في نفوسهم أن يصطادوا المسيح بكلمة ضد هيرودس.

ثم المعروف أن الرابي هلّيل صرَّح بالطلاق لأتفه الأمور (إذا كانت لا تعرف أن تطبخ)، إذن فالكلام عن الطلاق شائك من كل جانب، جانب علماء اليهود، وجانب هيرودس. إذن، فقد حضَّروا له سؤالاً خطراً محبوكاً للتجربة.

3:10و4 «**فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: بِمَاذَا أَوْصَاكُمْ مُوسَى؟ فَقَالُوا: مُوسَى أَذِنَ أَنْ يُكْتَبَ كِتَابُ طَلاَقٍ، فَتُطَلَّقُ**».

هنا المسيح لكي يخرجهم من دائرة تفكيرهم العدائية حوَّلهم إلى ناموس موسى، على اعتبار أن

(1) **Swete, *op. cit.*, p. 214.**

المسيح قَبلَ الناموس وعلى ذلك أصبح له الحق كمعلِّم أن يشرحه!

إنجيل ق. متى حوَّل موضوع كتاب الطلاق إلى سؤال مباشر بمفرده رداً على قوله: «فالذي جَمَعَهُ الله لا يفرِّقه إنسان» (مت 6:19)، إذ ردّوا عليه: «فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق فتطلَّق.» (مت 7:19)

5:10و6 «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ كَتَبَ لَكُمْ هذِهِ الْوَصِيَّةَ، وَلكِنْ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ، ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللهُ».

لم يَرُدَّ المسيح على ما يقوله الناموس، لأنه وضع نفسه منذ البدء كقابل للناموس ولكن مكمِّلاً له، أو شارحاً شرحاً يكمِّل معناه، ولكنه تحوَّل عن الناموس ومقولته إلى الظروف التي جعلت موسى يتهاون في مقولة الناموس ويجعل له مخرجاً. فقال لهم نعم موسى كتب هذا، ولكنه كتبه بسبب قساوة قلوبكم. وهذا يعني أن موسى أُحرج بسبب جهالة هذا الشعب لئلاَّ يهين الناموس ويرفض العمل به فيحل عليهم غضب الله.

«**قساوة قلوبكم**»: sklhrokard…an

المقطع الأول من الكلمة اليونانية مألوف لدينا، فهو يطلق على مرض **تصلُّب** (الشرايين) سكليروزيس، فأعطيت هذه الصفة للقلب الذي ما عاد يسري فيه دم مخافة الله، فتصلَّبت شرايينه الروحية: «فاختنوا غرلة قلوبكم ولا تصلِّبوا رقابكم بعد» (تث 16:10). وطبعاً موسى أخذ هذا الإجراء حمايةً للمرأة إذ تخرج من بيت الزوجية ومعها كتاب طلاق فلا تُحسب زانية. فجاء المسيح ومزَّق كتاب الطلاق من مفهوم المسيحية، لا طلاق البتة إلاَّ لعلة الزنا. القديس بولس يشهد بذلك ويستند على وصية المسيح:

+ «فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها!!» (1كو 10:7)

+ «وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها. ولايترك الرجل امرأته.» (1كو 11:7)

ولكي يزكِّي المسيح شرحه لظروف وضع الناموس بتنازله إلى الأقل بسبب قساوة قلوب الشعب، ارتفع مرَّة أخرى فوق الناموس ليزكي الحق الذي قطع به المسيح: «ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله» وليلاحِظ القارئ معنى قول المسيح هذا، فهو يكشف أساس خلقة الإنسان بخلقه: ‘‘الذكر والأنثى’’ كوحدة بشرية، فقوله ‘‘للإنسان’’ هو تعبير عن ذكر وأنثى معاً! وأي خلل في هذه الوحدة يصيب الواقع الجوهري للإنسان في معناه وفي قوامه ودوامه. فالمرأة ليست

إنساناً بدون رجل، ولا الرجل يُحسب إنساناً بدون المرأة. فبالرجل والمرأة يقوم الإنسان كصورته الأُولى. هذا غير مَنْ التصق بالرب فصار روحاً واحداً!!

9-7:10 «مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ».

في الواقع هنا أثر واضح لكيفية خلق المرأة من ضلع آدم، فهي لحم من لحمه وعظم من عظامه، فالالتصاق بها عودة إلى أصل الخليقة كأن يسترد الإنسان ضلعه المفقود. وهنا القول بالجسد الواحد هو عودة إلى هيئة آدم الواحد الذي خلقه الله على صورته، هذا معناه أن المرأة لما تتصل بزوجها ويصيران جسداً واحداً تأخذ المرأة نصيبها من صورة الله. فحنين المرأة للرجل هو حنين النزوع إلى صورة الله الكاملة، ويثبت هذا الوضع الطبيعي للمرأة إذ هي حينما تتزوج برجل يكمِّلها ترتاح إليه في قلبها كراحة إنسان يسعى نحو كماله، فالمرأة في سعيها للزواج برجل إنما تسعى إلى كمالها الذي خُلقت من أجله، والرجل لا يشعر بهذا ولا ينبغي أن يشعر. ولكن حينما يتزوج بامرأة يرتاح قلبه كمَنْ استعاد ضلعه المفقود كما سبق وقلنا.

إذن، فالزيجة بين الرجل والمرأة هي تحقيق كمال الإنسان كوحدة مكتملة تربطها المحبة.

أمَّا تعليق العالِم فنسنت تايلور على آية «ما جَمَعَهُ الله لا يفرِّقه إنسان» بعد بحث الكلمات وفحص القواعد اللغوية، قال بالحرف الواحد:

[إنه من الجنون أن نعامل كلمات المسيح كأنها فرض قانوني ... ولكن استخدامها متروك إلى مدى استنارة ضمير المسيحي.](2)

وهكذا تُرك الإنجيل لاستنارة ضمير الغرب فكان ما هو كائن!! من الحرية والانحلال وضعف الروابط الزوجية. فالزواج في الغرب - كما يقول فنسنت تايلور - تماماً غير خاضع لقانون ديني ولكنه رؤية شخصية وأحياناً كثيرة ملهاة أخلاقية.

12-10:10 «ثُمَّ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ أَيْضاً عَنْ ذلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي عَلَيْهَا. وَإِنْ طَلَّقَتِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ تَزْنِي».

(2) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 419.**

يلاحظ هنا أن المسيح أعطى العصمة لكلا الجنسين، فكل من الرجل والمرأة سواء بسواء له أن يأمر بالطلاق، ولكن في كلا الحالتين يُحسب أنه يزني. فالطلاق أصلاً محرَّم في المسيحية، ولكن الجديد أن المسيح جعل للمرأة كما للرجل حق الطلاق. بمعنى أنه أعطى التساوي بين الجنسين، في حين أن القانون اليهودي أعطى للرجل فقط دون المرأة، فليس للمرأة في اليهودية حق الطلاق(3).

ولهذا نجد القديس متى وهو يميل إلى اليهودية أسقط هذه الآية كلية وأعطى عوضاً عنها: «**والذي يتزوَّج بمطلَّقة يزني**.» (مت 9:19)

والملاحَظ أن كلاً من القديس مرقس والقديس لوقا لم يعطوا أي استثناء للطلاق حتى الزنا!!

والوحيد الذي أعطى الاستثناء في الأناجيل هو ق. متى: «وأمَّا أنا فأقول لكم: إن مَنْ طلَّق امرأته **إلاَّ لعلة الزنا** يجعلها تزني» (مت 32:5). وهنا يقف ق. متى على مستوى ناموس موسى، وقد كررها في الأصحاح التاسع عشر: «وأقول لكم: مَنْ طلَّق امرأته **إلاَّ بسبب الزنا** وتزوَّج بأخرى يزني» (مت 9:19)، باعتبار أن المرأة غير الأمينة لسر الزيجة ولرجلها فهي بعملها النجس هذا تحطِّم سر الزيجة وتفك رباطها الإلهي المقدَّس. وهنا الطلاق حق للرجل ولكن ليس حتمياً عليه إذا رأى أن يتركها للتوبة. ولكن ليس مما قاله المسيح يُعطَى هذا الاستثناء فالمسيح أمر بعدم الطلاق كحالة واجبة النفاذ.

وفي اعتقاد العلماء أن ق. متى أقدم على هذا الاستثناء لأنه قائم في ناموس موسى معتقداً أن المسيح لا يمنع ما حلله الناموس. وربما أن كنيسة أُورشليم قد أخذت برأي القديس متى ـ وهذا لا يخرج عن كونه احتمالاً ـ(4) باعتبار أنه تقليد يهودي أصلاً.

ولكن الكنيسة القبطية أخذت عن إنجيل ق. متى بلا تحفُّظ باعتبار أن الإنجيل هو منسوب للمسيح رأساً، علماً بأن كلاً من ق. مرقس وق. لوقا كتبوا للأُمم الذين تحرروا نهائياً من الناموس اليهودي وكل احتمالاته، لذلك يُظن أنهم أسقطوا هذا الاستثناء عن قناعة منهم. وهذا أيضاً لا يخرج عن كونه احتمالاً.

يُلاحَظ أن المسيح على انفراد يرتفع بالحديث إلى المستوى الروحي السرائري، فهنا اعتبر أن مَنْ يُطلِّق امرأته ويتزوَّج بأخرى فإن هذا يُحسب بأنه يزني عليها، بمعنى أن امرأته لا تزال هي جسده

---

(3) **Joseph., *Ant.* vii. 10.**

(4) **Alfred Plummer, *op. cit.*, p. 234 & Hastings: *Divorce & Marriage*.**

وأنهما معاً جسد واحد. فالزواج بعد الطلاق هو زنا بجسد المرأة التي في ذمته، لذلك قال المسيح: «**يزني عليها**»، لأنها قائمة كما هي في كيانه مهما حاول أن يستخدم التصاريح الوهمية بالزواج. فأي تصريح بالزواج لإنسان طلَّق امرأته يُعتبر تصريح بالزنا وتأخذ الكنيسة وزر ذلك وُتسأل عن دوس وصية المسيح والازدراء بحكمة المسيح والإنجيل. والمسيح أمر أنه إذا طلَّق الرجل أو طُلِّقت المرأة فليثبت كل منهما بدون زواج، وإلاَّ فليتصالحا. هذا هو الحل الوحيد لما بعد الانفصال الوقتي.

ثم لا يعدم الرجل أو المرأة في حالة الانفصال الجسدي أن يكون حالة زيجة حقيقية بالروح مع المسيح. إذن، فالمسيح لا يُعتبر أنه أعطى أمراً بالبقاء في حالة انفصال، وكأنه أعطاهما الفرصة لتنحل أخلاقهما، حاشا، فهو أمر بالانفصال الوقتي لعدم قدرة أيهما أو كليهما في معايشة الآخر، ولكن الفرصة قائمة أكثر وبوضع ممتاز أن يجد كل منهما مجالاً روحياً مفتوحاً وخصباً لحياة روحية في المسيح تغني عن مطالب الجسد. فالذي يُحرم من زيجة الجسد لا يُحرم من زيجة الروح، وإن كانت الأُولى تفنى بفناء الجسد فالثانية أبدية وإعداد لحياة غنية بالروح فوق.

وهكذا يوجد المسيح في كل مبادئه أنه لا يترك الإنسان بلا تعويض عالي القدر:

+ «مَنْ لي في السماء، ومعك لا أريد شيئاً على الأرض.» (مز 25:73)

إهداء سر الزيجة للكنيسة والعالم كصمام أمان ضد الانحلال:

واضح من الآيات المذكورة أن المسيح اعتبر الزواج اتحاداً غير قابل للانحلال، واضعاً الزوج والزوجة على مستوى التساوي المطلق في الواجبات والحقوق في حياة الزيجة، وهذا يجعله يرتفع جداً فوق مستوى الأفق اليهودي الذي عاشه الإنسان في العهد القديم، ناهيك عن الوثنية التي كانت لا تعرف للزيجة معنى. لذلك ما أخذته الكنيسة على مستوى التصديق والتوثيق المطلق بدأ يفصلها عمَّا عداها في نظم العالم. وكما سبق وقلنا في المقدِّمة أن هذا السر عظيم لأنه منظور من خلال سر المسيح الأعظم. لذلك بقدر ما ترتفع الكنيسة في رؤيتها الروحية ومستواها في الاستنارة بالروح القدس، كلما قدَّست السر وتمسكت بتدبير المسيح للكنيسة. ولكن في العصور الأخيرة انحطت الرؤية الزوجية وانحجز اندفاق الروح القدس إلاَّ في قلوب قلائل جداً من طغمة الكهنوت المسئولين، وإن كان كثير من الشعب لا يزال يحيا تحت استنارة الروح القدس وتدبيره.

لذلك رأينا الكنيسة متذبذبة بين القطع البات في موضوع الطلاق وبين تسريب الحالات علناً وفي الخفاء، ولن تُحسم قضية الزواج والطلاق إلاَّ بمزيد من الروحانية والتقوى بين الشعب وتوقير الإنجيل. فلا بد لكل رجل ولكل امرأة أن يضع لنفسه أو تضع لنفسها الالتزام الإلهي بحياة التقوى

مع الاستعداد ـ كل الاستعداد ـ لدفع ثمن هذه التقوى باحتمال كل الظروف التي تقابلها حياة الزيجة دون النظر إلى الوراء مهما كان الثمن. فالزيجة المقدَّسة هي دعوة مقدَّسة للحياة مع الله قبل أن تكون حياة بين الناس.

ويُلاحَظ أن أول تقليد دخل الكنيسة القبطية كان عن طريق اليهود المتنصرين العائدين يوم الخمسين، كذلك فإن أول تبشير أو كرازة فيها ـ قبل بشارة القديس مرقس الرسول ـ دخلت عن طريق كنيسة أُورشليم التي كان يترأسها يعقوب الملقَّب بأخي الرب، لذلك دخل تقليد الزواج والطلاق فيها على أساس إنجيل ق. متى الذي جعل الطلاق ممكناً في حالة الزنا فقط. في حين أن الكنيسة الكاثوليكية لم تأخذ بالاستثناء الذي وضعه ق. متى في إنجيله، لذلك أصبح لا طلاق البتة في الكنيسة الكاثوليكية.

أمَّا الكنيسة البروتستانتية فقد أعطت السماح بالطلاق لظروف حدَّدتها.

55 مركز الأولاد في ملكوت الله

المسيح يرفع قضية معاملة الأولاد إلى مستوى التقدير الروحي الفائق ويُلفت النظر إلى لياقتهم الروحية لدخول ملكوت الله

[16-13:10]

(مت 19: 13-15)

(لو 18: 15-17)

كان الأولاد كالنساء مهضومي الحقوق في المجتمع اليهودي، وواضح هذا في معجزة الخمس خبزات والسمكتين، كيف أن التعداد أخذ بالرجال فقط وأُضيفت النساء والأولاد كنكرة بلا عدد. وكان لا يحق للأولاد أن يحضروا المناقشات العامة. وفجأة جاء المسيح وفي هذه الحادثة رفع من قيمة الأولاد رفعة عالية جداً أدخلتهم في الحال في دائرة الحياة الروحية، لا على مستوى الرجال بل أعلى. حتى إنه أصبح من المستحيل على الرجال أن يفوزوا بالدخول إلى ملكوت الله إلاَّ إذا صاروا كالأولاد. وهكذا انقلب الوعي اليهودي فجأة ومهَّد للتقليد الكنسي المسيحي أن الرجل يتشرَّف أن ينسب إلى قامة الولد الروحية حتى يتأهَّل للملكوت.

وفي البداية ينبغي أن نصحِّح الفكر السائد أن الأولاد يدخلون ملكوت الله، إذ هي ليست كذلك، بل "**لمثل**" هؤلاء ملكوت الله. وهنا يتخطَّى القياس من الولد إلى ما هو مثل الولد، أي ليس الأشخاص بل مستواهم الروحي في البساطة والبراءة والتواضع وطهارة القلب والفكر واليد، فإذا لم يكن الولد كذلك فهو فاقد قامة الأولاد الطبيعية. كذلك يهمنا في البداية أن نشير إلى المدى الذي أثَّر في الكنيسة من جراء قبول المسيح للأولاد بفرح، وكونه احتضنهم وباركهم، إذ اعتبرت ذلك في الحال بمثابة دعوة رسمية لقبولهم في العماد، بعد أن كان لا يحل العماد إلاَّ للرجال والنساء فقط في بكور المسيحية، باعتبارهم مؤهلين من المسيح أن يدخلوا الملكوت بسبب قامتهم الروحية الوديعة وإيمانهم البسيط الحر القوي بالله، ثم ثقتهم اللانهائية في قدرة الله.

وبالرغم من النظرة العامة لدى كل الشرَّاح إلى أن ما عمله المسيح مع الأولاد هو من الأعمال اللطيفة والوديعة التي أظهرت لطفه وحنانه ومحبته نحو الأطفال، والتي أدخلت المسرَّة إلى نفسه؛ ولكن في الحقيقة كانت نظرة ق. مرقس مختلفة عن هذا المستوى العاطفي؛ بل إنه حوَّل هذه الصورة الجميلة إلى قضية لاهوتية هامة وهي **علاقة قامة الطفولة بالدخول إلى ملكوت الله** باعتبارها المقياس الأساسي والرسمي **الوحيد** في موضوع دخول ملكوت الله. وهكذا استطاع هذا الإنجيلي المتمرِّس في شئون اللاهوت أن يستخرج من قبول المسيح للأولاد ومباركتهم أصعب معلومة وهي: "**مَنْ الذي يدخل ملكوت الله؟**" وانظر إلى القاعدة التي وضعها في الآخر بفم المسيح: «الحق أقول لكم: مَنْ لا يقبل ملكوت الله **مثل ولد فلن يدخله**» من هنا ننبِّه القارئ كما سبق ونبهنا أن لا يستهين بإنجيل ق. مرقس وأسلوبه في تدوين التقليد! كما يُلاحَظ أن ق. مرقس لا يعرض حوادث وأحاديث، ولكن يتعرَّض لمشكلات وقضايا كبرى تخص الكنيسة وبناء تقليدها ولاهوتها. وأمامنا هذا المثل العجيب، كيف حوَّل قضية الأولاد المرفوضين من التلاميذ لمقابلة المسيح إلى قضية لاهوتية مؤدَّاها: ما هو المستوى الذي يؤهِّل المؤمنين لدخول ملكوت الله. ولك أيها القارئ أن تستعجب إذا عرفت أن ق. مرقس بعدها مباشرة أعطى القضية المقابلة في أمر الغني: ما هو المستوى اللاهوتي الذي يحرم الإنسان من دخول ملكوت الله.

إذن، درس الأولاد كدرس الغني حوَّلهما ق. مرقس إلى قضية وتعليم لاهوتي.

13:10 «**وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلاَداً لِكَيْ يَلْمِسَهُمْ. وَأَمَّا التَّلاَمِيذُ فَانْتَهَرُوا الَّذِينَ قَدَّمُوهُمْ**».

يقول ق. متى هنا: «**لكي يضع يديه عليهم ويصلِّي**» (مت 13:19)، أما القديس مرقس فيكتفي باللمس حسب ما رأى ودوَّن بأن بمجرَّد لمس المسيح تخرج القوة، فما بالك بالذي يلمسه

المسيح. إذن التمسُّك باللمس هنا دون وضع اليد هو اللائق بالمسيح والمناسب في إعطائهم البركة، لأن وضع اليد عملية كبرى بالنسبة للمسيح، أمَّا اللمس فيكفي للبركة.

والقصة هنا شديدة الصلة بما سبقها من مسألة الزواج والطلاق، فهنا ثمرة السر المقدَّس.

والأولاد في العرف اليهودي يختلف سنهم من الطفولة إلى سن الثانية عشر، لذلك لم يجد ق. لوقا صعوبة في أن يقول: «فقدَّموا الأطفال أيضاً ليلمسهم.» (لو 15:18)

«وأمَّا التلاميذ فانتهروا الذين قدَّموهم»:

انشغل التلاميذ في التعاليم وتمسكوا بآداب الدخول لدى المعلِّم، فانتهروا الأولاد لأنهم ليس لهم في التعليم وليس لهم استقبال المعلِّم، ولم يدروا أن مسرَّة المسيح وفرح نفسه بين هؤلاء الملائكة الصغار. وهنا نواجه بوضوح صورة حية للحياة الاجتماعية داخل الأسرة اليهودية حيث كان غير مأذون للولد أن يتكلَّم أو يناقش بل واجبه أن يتعلَّم فقط.

14:10 «**فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ: دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ**».

بسبب هذا الانفعال غير العادي للمسيح، وما صحبه من كلمات، بقي هذا التقليد حيًّا حتى دُوِّن بواسطة القديس مرقس.

«اغتاظ»: ºgan£kthsen

هذه هي المرَّة الوحيدة التي ورد فيها هذا الفعل في الإنجيل منسوباً للمسيح، وقد حذفه كل من القديس متى والقديس لوقا من هذا الحادث. والسبب واضح أن التلاميذ قد صدموا الأولاد بصورة جافة مما أزعج نفس المسيح فدعاهم هو بنفسه وقال:

«دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم»:

هذه هي المقولة التي حفظها التقليد الكنسي لكي يحفظها العالم كله، ومن أجل هذه الكلمة تضافرت الأسر والجمعيات والحكومات لإنشاء البيوت الترفيهية والنوادي الخاصة بالألعاب الخاصة والثمينة، وتبارت الشركات لصنع لعب الأطفال على أعلى مستوى من التكنولوجيا، قطارات تسير وطيارات ومراكب تسبح في المياه على أعلى كفاءة، وأفلام خاصة للأطفال، بل ومدن ملاهي بجملتها للأطفال، وكاد العالم يُجنُّ وكأن هؤلاء الأولاد آلهة تصلح للعبادة، وهذا كله بسبب هذه الآية التي قامت عليها الوعظات وتألفت الروايات والمجلات، وسعد الأولاد بسبب المسيح، وصار

المسيح مصدر إسعاد لكافة أولاد العالم من كل لون وأمَّة ولسان.

«**لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله**»:

وهذه المقولة اللاهوتية أشعلت قلوب الإنجيليين والوعاظ وأولهم قلب ق. مرقس الذي هو أول مَنْ سجَّل للأولاد هذه المقولة. ولكنه سجلها بالأكثر لعمل الرابطة السرية المجانية بين الطفولة وملكوت الله، فقد انتهز ق. مرقس هذه القصة في الترحاب بالأولاد وأعطى هو هديته أيضاً للأطفال إذ فتح لهم باب ملكوت الله!

ويكاد هذا المدخل إلى الملكوت عبر هذا الطريق السري المجاني هو الدافع الأول للقديس مرقس في تسجيل مقولة المسيح. والعلاقة بين فتح الملكوت والأطفال واضحة جداً لكل ذي فكر روحي، فملكوت الله موهوب مجاناً للناس، إذ لا يوجد أي عمل يمكن أن يعمله أي قديس مهما علت قداسته لكي يستحق أن يدخل ملكوت الله. هو مجاني 100%، لا يعطى عن حق أو استحقاق لأحد، ولكنه يُهدى هدية. فلمن يا تُرى تُعطى هذه الهدية المجانية التي لا تقوم على علم ولا معرفة ولا نبوغ ولا جهد ولا استحقاق إلاَّ إلى الأولاد؟ لكن ليس أي ولد، بل كل الأولاد الذين لهم مواهب الطفولة الطبيعية من حبهم الله. لذلك لم يقل المسيح إن ملكوت السموات يُعطى للأولاد بل «**لمثل هؤلاء الأولاد**»، أي لكل الذين لهم قامة الطفولة الحبيبة اللطيفة الوديعة البريئة المستبشرة المبتسمة التي لها كل الرجاء في الحياة والله والناس، التي لا تعادي ولا تخاصم بل قلبها مفتوح بل وخدّها وقلبها مقدَّم لكل من يُريد أن يقبِّل.

وأنت أيها القارئ العزيز لو فكَّرت مليًّا في مسألة مَنْ هو الذي يليق لدخول ملكوت الله فلن تهتدي لأي قامة شخصية يمكن أن تطمئن أنها تدخل الملكوت بشرط أن **تكون شخصية عامة وليست خاصة** إلاَّ شخصية الطفولة.

فهنا أصاب المسيح هدفين معاً: **الأول**: فتح أحضان وقلوب الناس للأولاد خاصة المهضومي الحقوق والمنسيين من المجتمع في الحارات والطرقات، والمشردين الذين بلا أب ولا أم ولا عائل ولا قلب يعطف أو حبيب يصرف، المرضى العرايا الذين يمدون أيديهم لكل عابر سبيل يطلبون لقمة أو بسمة فينتهرهم الناس كانتهار التلاميذ، لأن العالم مشغول في قضايا المال والبنوك والأسلحة والعداوات الدولية والقارية والجنسية والعرقية. أمَّا الهدف **الثاني**: وهذا هو منتهى مسرَّة ق. مرقس، فهو لكي يُظهر أن المسيح يعطي منهجاً واحداً مختصراً يعلِّم به، وهو كيفية دخول الإنسان الملكوت الذي جاء المسيح ليكرز بقربه، ثم يكرز بكيفية دخوله، وكأن حادث هؤلاء الأولاد فازت منه الكنيسة بشرح من

المسيح لروح الكرازة بملكوت الله، إذ أعطى الطريق المختصر الرسمي والباب الوحيد المفتوح ليل نهار: "قلب وفكر ولد".

15:10و16 «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ. فَاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ».

هذا هو المنهج اللاهوتي الضخم الذي يشرح كيفية الدخول إلى ملكوت الله، لا يستغرق نطقه أكثر من آية ولا يستغرق فهمه أكثر من لحظة، ولكن يستغرق تنفيذه التصميم على العودة إلى سابق روح الطفولة وقلبها وفكرها وبساطتها وعاطفتها الأُولى التي بدأنا بها حياتنا، مع إمكانية التخلي عن كل عادات العالم التي زحمت أفكارنا وتصوراتنا من البغضة والعداوة للناس واحتقار الضعيف والأصغر والأقل علماً والأقل غنى والأقل وجاهة ولبساً. وعلى العموم إن ثبَّت الإنسان فكره وعزمه ومسرته في مقولة المسيح هذه فهو سيجد في مخازن قلبه وفكره وحياته السابقة كل العوامل التي لو استطاع أن يحييها ويخرجها إلى حيز الممارسة فسيجد ملكوت الله في داخله حقًّا كما قال المسيح!!

فقامة الطفولة قائمة فينا لم تغادرنا ولم نغادرها مهيّأة للظهور والعمل كما كانت، فهي إحدى هدايا السماء للإنسان التي ستبقى في داخل الإنسان كوديعة غالية الثمن، عليها رسم وجه الله وختم قلبه باستعداد البدء من جديد. فهل نبتدئ؟؟

المسيح قال هذه المقولة لا لكي نذهب إلى الخارج ونبرز أموالنا لشراء "قامة الطفولة"، مهما غلت ومهما عزَّ شراؤها، ولكن لنذهب **في رحلة جادة إلى الداخل**، ونبحث خلالها كيف ننزع أغلفة العالم التي ألقاها في باطن أنفسنا ليشترينا لنفسه ويحرمنا من منتهى قصد الحياة التي أعطانا الله. فإذا نجحنا في إلقاء أغلفة هذا العالم خارج أنفسنا فستنجلي النفس في نور خالقها ونراها عياناً أنها نفس طفل يحمل البراءة وكل مؤهلات الملكوت. يا ليت الكنيسة تستجيب لنداء المسيح وتفتح مدرسة أو تعطي منهجاً جديداً يعلِّم الناس كيف يرجعون ويصيرون مثل الأطفال من جديد، وتُعلِّم فن نزع أغلفة العالم من معرفة وتلقين حجز نور وجه الطفولة الباسم من أعماق أنفسنا، وتعلّم النشطاء الساعين لدخول ملكوت الله أن يعودوا ويملأوا قلوبهم وفكرهم بمباهج الطفولة الوديعة عوض قاذورات الدنيا التي ازدحمت داخل أنفسنا كمستودع قمامة امتلأ وفاض:

+ «الحق أقول لكم: **إن لم ترجعوا** وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات.» (مت 3:18)

56 الغني وميراث الحياة الأبدية

صعوبة دخول ذوي الأموال ملكوت الله

أكثر من إمكانية دخول الجمل من ثقب إبرة

[10:17-27]

(مت 19: 16-26)

(لو 18: 18-27)

التداعي(5) هنا قَوّي، فمن سهولة دخول ملكوت السموات إلى صعوبة دخول ملكوت السموات. قوة المقابلة على التباين شديدة ومخيفة. والقديس مرقس يعطي للكنيسة مناهج للحياة من عمق تقليد الكنيسة الأُولى التي بناها المسيح بنفسه ووضع أساسها بتعاليمه، هذا كاتشزم لاهوتي بالدرجة الأُولى، لم يدخل مناهج الفلاسفة ومعلمي اللاهوت العظام لأنه موبِّخ لضمائرهم ولا يتناسب مع معيشتهم، ففضَّلوا أن يجعلوا المناهج تبحث في المجردات ولا تنزل إلى الواقع لئلاَّ تصاب في صميم ما تُعلِّم به. القديس مرقس شجاع لأنه باع كل شيء وتبع المسيح فوضع مباركة الأولاد على أساس دخول ملكوت الله، واستدار على الأغنياء يصف استحالة دخولهم الملكوت كاستحالة دخول جمل من ثقب إبرة. الأول قامة طبيعية وضعها الله كأساس، والثانية قامة بناها الإنسان واستخدم في بنائها كل الحيل والمحاولات، وكل ما يلزمها من طرق مشروعة وغير مشروعة، وعلَّى ثم علَّى حتى لا يكاد الناس يرون قمم أمجاده ومدخراته، فيأتي المسيح ويقول له لابد من الدخول من الباب الضيق، يلزمك أن تبيع كل أموالك! وأن تضغط مالك حتى تمر من خرم الإبرة، التي هي منطقة العبور من العالم إلى الملكوت.

يُحكى أن ثعلباً دخل خلسة من خرم ضيق يكاد لا تدخل فيه قبضة اليد إلى كرم فسيح مملوء بكل ما لذَّ وطاب، فأخذ الثعلب يجول بنظره يميناً ويساراً ويلعن أيام شقائه، وبدأ يأكل كل ما لذَّ وطاب، فامتلأت بطنه حتى لا مزيد، وإذ بصاحب الكرم قد حضر وبدأ يلاحقه فلمَّا حاول الخروج مما دخل منه استعصى عليه الأمر جداً ولكن حياته صارت رهن الخروج، فاختفى في مكان مظلم

(5) تداعي الفكر هو أن ذكر أمر من الأمور يجرّ الفكر حتى يذكر بعده ما يقابله أو يناسبه.

وصام عن الأكل والشرب حتى كادت تخرج روحه، وذهب إلى الخرم وضغط بطنه حتى الآخر فعبر، ففلت الثعلب الذكي من موت محقق. والمسيح هنا في هذه المقابلة مع الرجل الغني يغبط الثعلب الذكي: «يعوزك شيء واحد ـ (لا مفر منه) ـ اذهب بع كل مالك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعالَ اتبعني حاملاً الصليب» ولكن حماقة الثعلب تغلَّب عليها ذكاؤه، أمَّا حماقة الإنسان فيزيدها ذكاؤه!! ذهب الغني حزيناً لأن أمواله كانت كثيرة وفضَّل أن يموت في بستان مباهجه من أن يخرج إلى جنة الله.

عجبي على أبناء هذا العالم الذين اشتروا هلاكهم بذكائهم وبهمَّتهم العالية وقوة إرادتهم وعزيمتهم وسهرهم الليالي، بنوا سدًّا منيعاً يمنعهم من الخروج المحمود، بل وحتى من رؤية ما وراء السد من الحياة في الملكوت.

إن دخول جمل من خرم إبرة كان في الحقيقة أكبر تهويل سمعه إنسان، ويكاد الإنسان أن يضحك من تصوُّر حدوث هذا. ولكن المسيح قصده قصداً لنضحك على أنفسنا وعلى ما أصابنا من خبل، أن نجعل خروجنا من هذا العالم بهذه الاستحالة المستحيلة.

أمَّا مستحيل المستحيل عند الناس فهو ليس كذلك عند الله، فقد يمكن أن يرسل الله روح ندم على هذه الجهالات فيقوم حالاً ويبيع جبال أمواله وذهبه مع الفضة ويعطي هنا وهناك حتى لا يبقى له ما يقيته، فهكذا تتلاشى كل ضخامة نفسه ومالها، ويعبر بسلام خرم الإبرة إذ يكون قد أصبح لا شيء. ولكن أن يعملها الإنسان بذكائه فهذا هو المستحيل الثالث أو الرابع، فالله وحده هو الذي يقود الجاهل إلى ملكوته.

17:10و18 «وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ إِلَى الطَّرِيقِ، رَكَضَ وَاحِدٌ وَجَثَا لَهُ وَسَأَلَهُ: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ».

لا يربط هذه القصة بسابقتها أي مناسبة من جهة المكان أو الزمان، ولكن الرباط قوي بين طفل يُحسب المثل الأعلى لدخول ملكوت الله، وغني ذي أموال كثيرة يستحيل أمامه الدخول إلى ملكوت الله. إذن، فالقديس مرقس نجح في إعطاء درسٍ نموذجي عن ملكوت الله من حيث سهولة دخوله واستحالة دخوله.

وهنا أمامنا إنسان كامل من جميع ما يُطلب من الإنسان اليهودي، فهو مؤدَّب ويحترم المعلمين،

وكما سنرى حفظ الناموس كله منذ حداثته، أمَّا كونه ذا أموال كثيرة ففي اليهودية هذا يُعتبر نجاحاً ليهوديته وتوفيقاً من الله ومجالاً كبيراً لعمل الخير والصلاح.

والمسيح يرفض لقب الصلاح من الغنى، ليس لأنه يطلب الاعتراف بأنه هو الله، والغني يأبَى أن يعترف بذلك فإن اعترف فالمسيح مستعد أن يقبل منه هذا اللقب. هذا الشرح قال به جميع الآباء(6). ولكن الحقيقة البسيطة الهادئة هي أن المسيح رفض هذا اللقب لأنه لا يصلح لمعلِّم ولكن يصلح لله فقط، ولهذا رفضه المسيح لأنه بحسب نطق الغني فالمسيح في نظره لم يزد عن كونه معلِّماً.

«ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية»:

واضح أن هذا الغني الذي حفظ الناموس يعرف جيداً أن هناك حياة أبدية يرثها الذين أكملوا الناموس، فهو يسأل عمَّا يعمله أكثر من حفظ الناموس ليرث الحياة الأبدية. إلى هنا لا نجد غباراً على هذه الشخصية اليهودية التي تسعى نحو الحياة الأبدية. وهو حينما جثا أمام المعلِّم أعلن جهاراً الطاعة الكاملة والخضوع لكل ما يشير به المعلِّم، ودعاه صالحاً توقيراً منه لمعلِّمه منتظراً المشورة لما يعمله بعد أن أكمل الناموس، وكان أمله أن يدلَّه على عمل يكمِّل الناموس باستخدام ثروته، ولا مانع إذا كان يأخذ منها المعلِّم شيئاً نظير مشورته. فابتدره المسيح بأن رفض لنفسه لقب الصلاح كمعلِّم، فالصلاح لله وحده وليس للمعلِّمين.

10:19و20 «أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. لاَ تَسْلُبْ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي».

رد المسيح الهادئ الذي يتناسب مع عقلية هذا الغني هو أن الله أظهر إرادته كيف يرث الإنسان الحياة الأبدية، وقد وضع الوصايا لجميع الناس لكي ينفذوها لكي يدخلوا الحياة. وقد وضعها ق. متى بوضوح هكذا: «إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا» (مت 17:19). فلما تمادى الغني في كونه يريد أن يعرف الوصايا التي يلزم حفظها لدخول الحياة وسأل: «أية الوصايا؟» (مت 18:19)، ابتدأ المسيح يقول له هذه الوصايا. فأجاب الغني: «هذه كلها حفظتها منذ حداثتي. فماذا يعوزني بعد؟ »(مت 20:19). هنا الغني يطلب الكمال الذي فوق الناموس، ومعروف أنه ليس بعد الناموس من كمال وتكميل إلاَّ المسيح: «جئت لأكمِّل»

(6) **Cyril, Basil, Epiphanius, Ambrose, Jerome, according to A. Plummer, *op. cit.*, p. 238.**

21:10 **«فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ، وَقَالَ لَهُ: يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ. اِذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ».**

هذه أول مرَّة في الأناجيل الثلاثة يُصرَّح أن المسيح أحب إنساناً، وحينما يقول الإنجيل إنه أحبه فيعني أنه أحبه، شاب غني يحفظ الناموس باهتمام منذ صباه ويذهب وراء المعلمين يسأل باهتمام ماذا أعمل بعد حفظي الناموس حتى أرث الحياة، هذا نموذج فريد لا يمكن أن نجد في كلامه أو سلوكه أي خطأ. فإن كان حفظه للناموس لم يبلِّغه الحياة فهذه ليست مسئوليته بل مسئولية معلمي إسرائيل الذين يحفِّظون الناس الوصايا بالفم ولا يستطيعون أن يقودوهم إلى العمل بها، لأنهم هم لا يعملون! فكيف يغيب على هذا الغني أنه بعد أن بحث عن الطريق لم يعثر على الطريق؟ فما ذنبه؟ هنا محبة المسيح للفتى الغني هي محبته لإسرائيل نفسها: «لما كان إسرائيل غلاماً أحببته» (هو 1:11). هذا الفتى الغني الذي حفظ الوصايا منذ حداثته صوَّر للمسيح إسرائيل لما كان غلاماً وأحبَّه!!

وأخفق الفتى فيما أخفقت فيه إسرائيل كلها، لقد سحرها مالها وغناها ونسيت إلهها وعبدت كل ما عداه، ولكن إسرائيل جاءها المسيح يطلب ودَّها فرفضته، وذبحته، وهذا الغني جاء يطلب ودّ الله ولكن كان قد اقتنى مالاً كثيراً فحجزه عمَّن أحبَّه. وربما تكون هذه أخطر الدروس التي ألقاها علينا ق. مرقس في أصحاحاته الأخيرة هذه: كيف أن الغِنى منع شاباً أحبَّه المسيح وطلبه ليتبعه فتعثَّر في غناه وخسر المحبة والحياة.

«يعوزك شيء واحد»:

لم يقل المسيح هذا من نفسه، بل في إنجيل ق. متى يسأل الغني: «فماذا يعوزني بعد» (مت 20:19)، فجاء رد المسيح: «يعوزك شيء واحد» هذه شهادة من المسيح لهذا الغني المحبوب أنه أكمل كل ما كان عليه أن يعمله حسب ما وضعه عليه الناموس، فلم يبق عليه شيء يعمله في محيط الناموس وحياة اليهودي الذي يسعى نحو الحياة الأبدية. أمَّا «إن أردت أن تكون كاملاً» (مت 21:19) حسب ق. متى، بمعنى إن أردت أن تكمِّل الناموس والوصايا وتخرج من الطوق اليهودي ومن تعليم المعلمين الذين لا يعلِّمون، لأنهم يعلِّمون ما لا يعملون، فافعل ما أقوله:

«اذهب بع كل ما لك واعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء»:

عملية تحويل بديعة وناجحة ومربحة بالدرجة الأُولى، تحويل مدخراتك من بنك إسرائيل إلى بنك الأرصدة المرصودة لحساب الحياة الأبدية ومقرّه السماء، حيث لا ينقب سارقٌ ولا يفسد سوس بأرباح مركَّبة

كـــــل مـــــا في الأرض فـــــانٍ ∴ كـــــل مـــــا في الســـــماء بـــــاقٍ
يـــــا حبيـــــبي أكنـــــز لنفســـــك ∴ كنـــز مجـــد لا يضـــيع في الســـماء

المسيح هنا يقدِّم المشورة الناجحة للغني الساعي لميراث ملكوت الله، والمسيح لا يقدِّمها من فراغ بل يقول وهو الضامن لما يقول، بل يقول وفي قوله أمر «اذهب بع» ، وأمر يسوع يخرج مدعَّماً بقوة على التنفيذ، فمهما كان الأمر صعباً وشبه مستحيل ففي أمر المسيح ضمان التنفيذ والنجاح، لأنه لم يعد قولاً عادياً، بل أمراً يتحمَّل المسيح شخصياً لا نجاحه فقط بل ويتحمَّل أيضاً كل مسئولية تنشأ أثناء التنفيذ وبعد التنفيذ، لأنه لم يصبح أمراً عادياً بل رهاناً على مصداقية المسيح! فكل مَنْ سمع وآمن وأطاع ونفَّذ يتحقَّق من مصداقية المسيح، ويرى ويعاين مجده «إن آمنتِ ترين مجد الله.» (يو 40:11)

«**وتعال اتبعني حاملاً الصليب**»:

وإن هو حقًّا باع وألقى بنفسه على رجاء أمر المسيح، يحمله المسيح ويضعه على الطريق! وإذ يكون قد تحرَّر من حمله الثقيل يستطيع أن يسير ويتبع المسيح. والذي باع كل ما له لم يعد له ما يستحق أن ينظر وراءه، ففي الحال يرى السماء مفتوحة، ويأتي إليه مَنْ يضع علامة العبور على كتفه.

22:10 «**فَاغْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِيناً، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ**».

وإلى هنا يكون ق. مرقس قد بلغ منتهى غرضه من الدرس: «لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذا ابتغاه قوم ضلُّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة. وأمَّا أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا ...» (1تي 6: 10و11). لقد سحر المال ذلك الغني فقيَّمه بأكثر من الحياة الأبدية التي جاء يطلبها ودلَّه عليها المسيح! لأنه لما وازن بين المال والملكوت زيَّن له العدو عظمة الغنى في هذا الدهر، فانطفأت جذوة الحياة الأبدية من قلبه فاغتمَّ ومضى حزيناً على أشواق ذهبت ولن تعود. وهذا هو الغم الذي اشتراه بأمواله، وهذا هو الحزن الذي ورَّثه له غناه!

25-23:10 «**فَنَظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ! فَتَحَيَّرَ التَّلاَمِيذُ مِنْ كَلاَمِهِ. فَأَجَابَ يَسُوعُ أَيْضاً وَقَالَ لَهُمْ: يَا بَنِيَّ، مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ! مُرُورُ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!**».

هنا القديس مرقس ينقل عن شاهد عيان دقيق الملاحَظة يستطيع أن يقرأ الحركات والسكنات

ويحوّلها إلى لغة وأوصاف. فالمسيح هنا ينظر حوله ليستطلع مدى تأثر التلاميذ بالدرس العملي الذي ألقاه عليهم على مستوى وسيلة الإيضاح. فالشاب الغني كاد يبكي على حال غناه إذ جعله المسيح يقف موقفاً حاسماً من نفسه: المال أم الملكوت؟ فاختار المال ومضى مغموماً حزيناً!! وكأن المسيح يقول لهم بنظراته: أسمعتم ورأيتم كيف وقف المال عثرة كؤود في طريق الملكوت؟ وبعدها قال حكمه الإلهي: « ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله»

تحيُّر التلاميذ هو بسبب أن هذا الغني ليس هو وحده الغني في إسرائيل، فإسرائيل كلها أغنياء! فالحكم هنا حكم يقضي على الأمة. كانت هذه الحقيقة ماثلة أمام نظر المسيح، ولكن لكي يهوّن عليهم الأمر وضع الإنسان الغني في وضع الإنسان المتكل على غناه. والمسيح في الحقيقة لم يغيِّر شيئاً في أمر الغني والملكوت، فالإنسان الغني كيف لا يتكل على أمواله، فالاستثناء هنا لا ينقذ الغني من سطوة غناه. والدليل على ذلك أن المسيح استرسل في الحديث دون تغيير النبرة وقال قولته التي جعلت دخول الغني ملكوت الله أعسر من دخول جمل من ثقب إبرة.

26:10 «**فَبُهِتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟**».

كلام المسيح لا يخضع لمنطق العالم، والخلاص أيضاً لا يخضع لمنطق أبناء هذا الدهر، ولكن باستطاعة الله أن يخلِّص الغني ويخلِّص كل إنسان إن سمع الغني صوت دعوة الله، لأنه سيقوم سريعاً ويبيع كل شيء ويتبع المسيح. وكل إنسان يتعذَّر خلاصه إن هو أراد أن يخلِّص نفسه، ولكن إن سلَّم حياته للمسيح خَلُصَ: «آمن بالرب يسوع فتخلُص أنت وأهل بيتك» (أع 31:16). التلاميذ لا يزالون يعيشون بين منطق إسرائيل وواقع الفكر الجديد.

27:10 «**فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ: عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ**».

الموضوع بالأساس يتعلَّق بملكوت الله، والغني جاء في الطريق ليتحقَّق له وللتلاميذ أن ملكوت الله إذا وُزِنَ مع كل أموال العالم فأموال العالم تُحتقر احتقاراً (نش 7:8)، طالب المال هو طالب العالم، وطالب العالم لا يطلب الملكوت، لأن ملكوت الله هو ما فوق العالم وما بعد العالم. الخلاص الذي يطلبه التلاميذ هو خلاص من العالم وأمواله وغناه، فكيف يطلب الملكوت مَنْ يطلب العالم وغناه؟ والخلاص ليس في يد إنسان بل في يد الله، فلا نستطيع نحن أن ندبِّر الخلاص لأنفسنا. والخلاص هو باستطاعة الله وحده، لذلك من الخطأ بل والخطية أن نسأل مَنْ يستطيع أن يخلُص؟

لأنه لا يستطيع الإنسان أن يخلِّص نفسه، هذا باستطاعة الله وحده خلواً من غنى أو فقر. شيء واحد تعلَّمناه هنا من درس هذا الغني أنه إن لم يبِع الإنسان كل ماله ويعطي الفقراء ويتبع المسيح حاملاً صليبه، فعسير عليه أن يخلص! أمَّا الاستثناء الوحيد للغنى ـ الذي يبحث عنه الأغنياء ـ لكي يخلصوا فهو أن لا يجعلوا المال غناهم؛ بل الرب وحفظ وصاياه.

57 الترك من أجل اتّباع يسوع

قانون التعويض السمائي لكل ترك أو بذل

[31-28:10] (مـت 19: 27ـ30)

(لو 18: 28ـ30)

هذه المقالات التي اختارها ق. مرقس تباعاً في «مَنْ هو الأعظم» وفي العثرة وفي الزواج والطلاق وفي الأولاد وملكوت الله، وفي الغني وملكوت الله، كلها جاءت متتابعة في إنجيل ق. مرقس وإنجيل ق. متى، ومعظمها كذلك في إنجيل ق. لوقا، مما يثبت أنها جزء حي قائم بذاته في التقليد الكنسي. وبالبحث والدراسة والتحليل اتضح أن تقليد ق. مرقس هو الأقدم والأوثق والباقي مأخوذ منه ومضاف عليه. وقد اختارها القديس مرقس كونها قضايا أساسية في الكنيسة فاستخلصها من مواضعها ومن أفواه وأسماع مشاهديها وسجَّلها للكنيسة لتبني تقليدها الحي الدائم كمواضيع أساسية تعود إليها الكنيسة لتحيا بها، وتسترشد وتحتكِم بها، وتلقنها مرَّة أخرى لأولادها، ليصبح التقليد مرسوماً على قلوبهم وفي حياتهم.

وهنا يتعرَّض ق. مرقس لقضية جديدة هي: ماذا يعطي المسيح لمَنْ ترك كل شيء وتبعه؟

وهنا واضح التداعي التعليمي الإنجيلي، لأن المسيح قال للغني بع كل مالك وتعالَ اتبعني حاملاً الصليب، ففي الحال انبرى ق. بطرس يطالب بحقه لأنه باع كل شيء والمهنة والشبكة والسفينة القديمة بمجاديفها، فماذا يأخذ؟

وقد بدا للشرَّاح المنحازين للقديس بطرس، أن ق. مرقس ينقل عن ق. بطرس مباشرة، ولكن النص واضح فيما هو سابق وفيما هو لاحق أن ق. مرقس ينقل لنا تقليداً كنسياً مدوَّناً أمامه وليس عن لسان ق. بطرس. والدافع الأصلي الذي دفع ق. بطرس لهذا السؤال واضح وهو ملكوت الله،

فعين القديس بطرس ليست على التعويض الزمني، لأن من كلامه «أننا تركنا كل شيء» يتضح أنه يطلب نوال ملكوت الله. ولكن في الحقيقة وَضْع ق. بطرس والتلاميذ الذين اختارهم المسيح ودعاهم ليس كوضع الغنى، فالغني جاء يقرع باب المعلِّم لعله ينال ملكوت الله دون أن يقدِّم شيئاً، ولكن في أمر التلاميذ فالمسيح هو الذي دعاهم وقرع أبوابهم وناداهم، فأجرهم الذي سيأخذونه هو من أجل طاعة المسيح واتباعه، أمَّا حمل الصليب فقد تأجَّل إلى ما بعد الصليب. على أن مستوى ترك التلاميذ وظروفه يُحسب أنه أعلى مستوى للترك حدث في تاريخ الكنيسة كلها، لذلك فتعويضهم عن هذا الترك واتباع يسوع في تجاربه وآلامه تسجَّل لهم بلسان المسيح على مستويات فائقة للغاية: يجلسون على كراسي مع المسيح في مجده يدينون أسباط إسرائيل، أسماؤهم على أبواب أُورشليم السمائية الاثني عشر، وأساسات المدينة بأسماء الاثني عشر. وبهذا يكونون قد ورثوا مع المسيح في مجد الآب وشكَّلوا أساسات الكنيسة على الأرض وفي السماء:

+ «مبنيِّين على أساسِ الرسل والأنبياءِ، ويسوعُ المسيح نفسه حجرُ الزاويةِ.» (أف 20:2)

30-28:10 «**وَابْتَدَأَ بُطْرُسُ يَقُولُ لَهُ: هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً، لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ، إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هذَا الزَّمَانِ، بُيُوتاً وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَداً وَحُقُولاً، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ**».

يكمِّل في هذا الحديث القديس متى ويقول: «**فماذا يكون لنا؟**» (مت 27:19)

«**الحق أقول لكم: ليس أحد ترك**»: oÙde…j = no one

هنا التعميم بدون تخصيص هام للغاية، يستطيع كل مَنْ ترك أن يدخل في هذا الوعد واثقاً لأن المسيح يقول «**الحق**». ويُلاحَظ أن الترك هنا يخص أغلى وأثمن ما يمتلك الإنسان في حياته: الأب والأُم وكل العائلة البيت والزوجة والأولاد، الحقول، ولم يعد شيء لكي يُترك. لذلك رتَّب المسيح أن يكون العوض فاخراً جداً وللغاية، هنا وفي الدهر الآتي.

وهنا يبرز تقليد ق. مرقس ويضع مع ''المسيح'' الإنجيل: «من أجلي ومن أجل **الإنجيل**» [7]. وهنا تقليد جديد يبرزه ق. مرقس وهو أن الإنجيل يوضع في الكنيسة على مستوى المسيح. فالمسيح

(7) انظر حديث سابق عن ''الإنجيل'' في الآية 35:8 صفحة 389 والمقدِّمة صفحة 55.

وكرازة المسيح واحدة: «مَنْ استحى بي **وبكلامي** ...» (مر 38:8)

ثم يأتي وعد التعويض بفم المسيح كوثيقة دهرية وأبدية، كحق ينزعه الإنسان من أحضان السماء كمظلة يتفيَّأ(8) تحتها من لهيب هذا العالم. فالتعويض على مستويين: كل ما تركه الإنسان يأخذه هنا وفي هذا الزمان، ثم ما يفوقه على صورة أخروية مذهلة في ملكوت الله. وبصورة سرية بديعة حوَّل المسيح الصليب، وهو أساس المسيرة خلف المسيح، إلى كلمة مع «**اضطهادات**»، وهذه هي المسيرة الرسمية خلف المسيح التي ستؤهِّلنا لدخول الأبدية وليس مجرَّد الترك. فالعوض في هذا الزمان يساوي الترك المادي، ولكن الاضطهادات بمعنى حمل الصليب فهذا هو الذي يؤهِّل لملكوت الله. لذلك أصبحت مقولة المسيح « مع اضطهادات» هي العنصر الأساسي في الترك لكي يؤهَّل للملكوت.

أمَّا تحقيق قول المسيح في تعويض الإنسان عن ترك بيته بكل ما يحمل من عواطف أبوية وأمومة ومحبة أخوات أو حقول فقد تحقَّق حالاً وبالفعل لما حلَّ الروح القدس وتركت العائلات ممتلكاتها وعاشت جميع الأسر في شركة جسدية وروحية منقطعة النظير، فصار لكل واحد مائة أب وأم وإخوة وأخوات، وصارت الحقول والأموال كلها تحت خدمة كل فرد، وكأن الفرد في كل عائلة ورث كل العائلات، وكانوا يكسرون الخبز في البيوت ''الإفخارستيا'' وولائم المحبة ويأكلون بابتهاج وبساطة قلب. نعم لقد تحقَّق كل وعد المسيح عندما كانت الكنيسة متغرِّبة بالفعل عن العالم.

وبعدها ورثت الرهبنة وعد المسيح ونفَّذته بالحرف الواحد ونالت ما نالت من حياة لا يشوبها قلق العالم ولا هم المال، فرحين بتركهم، يهلِّلون في ضيقهم، يعبرون الاضطهاد تلو الاضطهاد حتى الذبح والتنكيل، وأخيراً فازوا بإكليل الحياة.

31:10 «**وَلكِنْ كَثِيرُون أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَالآْخِرُونَ أَوَّلِينَ**».

لقد تحيَّر العلماء والشرَّاح في معناها، وبالنهاية تركوها كخاتمة للحديث بلا معنى. ولكن يكاد أن يكون المعنى واضحاً، فالمحسوبون أولين في نظر الناس سيكونون في نظر الله آخر الكل، والآخِرون في نظر الناس «والمزدرى وغير الموجود» سيتبوأون المراكز الأُولى في وليمة العريس. وهذا بحد ذاته تعويض لا يجاريه تعويض عن الدموع والمذلة والاحتقار والنفي والطرد للذين تُركوا فأُهينوا لأنهم كانوا غير لائقين في عيون الكُبراء والعُظماء! هؤلاء يسمعون الصوت الأخير: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم.» (مت 34:25)

---

(8) تفيَّأ تعني استظلَّ.

مع آخر رحلة إلى أورشليم

(مر 10: 32-52)

58 التنبؤ الثالث بالآلام

[10: 32-34]

(مت 20: 17-19)

(لو 18: 31-34)

تبدأ هذه القطعة بتوضيح المكان جغرافياً، والمسيح ينتهز فرصة المسير صعوداً إلى أُورشليم ليوعِّي التلاميذ عن آلامه المزمعة لثالث مرَّة. وتمتاز هذه المرَّة بالتحديد الدقيق، إذ يذكر فيها كل ما سيحدث فعلاً. وهذه المرَّة أيضاً بمناسبة الاقتراب من أُورشليم التي سيتم فيها الآلام، فظهرت الكلمات في أسلوب مؤثِّر وكاملة المعالم. ولو عملنا مقارنة بين الثلاث مرَّات التي تنبأ فيها المسيح عن آلامه، نجد هناك تدرجاً في البيانات حتى بلغت في المرَّة الثالثة كمالها تقريباً. ولكن في الثلاث مرَّات كانت الإشارة إلى الموت والقيامة بوضوح، ولكن لم يأتِ ذكر الصليب في الثلاث مرَّات ولكن ذكره ق. متى في (19:20).

10: 32 «وَكَانُوا فِي الطَّرِيقِ صَاعِدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَقَدَّمُهُمْ يَسُوعُ، وَكَانُوا يَتَحَيَّرُونَ. وَفِيمَا هُمْ يَتْبَعُونَ كَانُوا يَخَافُونَ. فَأَخَذَ الاِثْنَيْ عَشَرَ أَيْضاً وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ عَمَّا سَيَحْدُثُ لَهُ».

الصعود إلى أُورشليم اصطلاح جغرافي صار اعتيادياً عند الذهاب إليها لأنها تقع على تلٍ عالٍ. والمسيح بطبيعته كان يسبق في المسير شأن الراعي والمعلِّم. وكان يبدو على الجماعة نوع من الرهبة والخوف، فالمعلِّم كان قد سبق وأعلمهم أن هناك مصاعب وآلاماً وهم يقتربون منها جغرافياً وزمنياً. ويبدو أن المسيح كان مضغوطاً بإحساس الاقتراب من آلامه مما زاد من خوف التلاميذ، ولكن لم يُذكر أي اضطراب.

ولا بد أن الكاتب وهو ق. مرقس بينما كان يكتب ويصف، أخذته نفس الرهبة فانعكس على الوصف الذي ينتقل إلينا بسهولة. فالقديس مرقس حساس جداً لحوادث الإنجيل يصفها جميعاً وكأنه

شاهد عيان من شدة تفاعله مع الحوادث.

وقول الآية «فأخذ الاثني عشر أيضاً وابتدأ يقول لهم عمَّا سيحدث له» يبدو أنها مقولة مسجَّلة في التقليد بمفردها لا علاقة لها بالصعود، لأنه لم يذكر هل كان هذا أثناء السير على الطريق أو بعد الوصول. ولكن هذه المقولة بحد ذاتها واضح أنها جاءت كمقدِّمة لرواية قائمة بحد ذاتها في هذا الموضع.

33:10و34 «**هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ، فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ**».

هنا يشرح المسيح آلامه على ستِّ مراحل:

1ـ سيسلَّم أولاً إلى رؤساء الكهنة والكتبة.

2ـ ويُحكَم عليه.

3 – وبعدها يُسلَّم للأُمم (بيلاطس).

4 ـ فيُهزأ به ويُجلد.

5 ـ ثم يُقتل (يُصلب).

6 – ويقوم.

وكالعادة كان إدراك التلاميذ لأقوال يسوع عن آلامه كأنه يتكلَّم عن أمور لا تخصهم، وهذا ظهر في كل مرَّة، وعلى وجه الخصوص في المرَّة الأُولى التي تبرَّع فيها ق. بطرس أن ينصحه ليبعد هذه الفكرة عنه. وفي المرَّة الثانية جرت بين التلاميذ مناقشة بمناسبة قُرب تولِّي المسيَّا الملك، في مَنْ هو الأعظم، وهنا يحدث نفس الأمر إذ يتقدَّم تلميذان بمطلب عجيب أن يجلسا عن يمينه ويساره حينما يتقلَّد مقاليد حكم إسرائيل، وطبعاً ذلك بمناسبة ذكر الآلام التي لم تكن في ذهنهم أكثر من مناوشات تنتهي بتنصيب المسيَّا ملكاً. على أنه في رواية ق. متى تتولى أم ابنيْ زبدي مهمَّة هذا الطلب والتوصية بخصوص ولديها ليجلسا عن يمينه ويساره.

59 ترجِّي يعقوب ويوحنا

[10:35-40]

10:35-37 «**وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبْدِي قَائِلَيْنِ: يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ لَنَا كُلَّ مَا طَلَبْنَا. فَقَالَ لَهُمَا: مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ لَكُمَا؟ فَقَالاَ لَهُ: أَعْطِنَا أَنْ نَجْلِسَ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ فِي مَجْدِكَ.**».

يبدو من الكلام أن يعقوب ويوحنا قد سبق وأن طلبا منه هذا الطلب لقولهما: «تفعل لنا كل ما **طلبنا**» بالفعل الماضي، أو ربما أن أمهما قد سبقتهما في هذا الطلب. وتقدَّما باحتراس يجسَّان النبض عن مدى استعداده «تفعل لنا كل ما طلبنا» دون أن يبوحا بهذا الطلب هنا، مما اضطر المسيح أن يسألهما: وما هو الذي تريدان أن أفعله لكما؟

لا بد أن قلب المسيح كان قد ثقل عليه جداً، لأنه يتكلَّم عن آلام موته وهما يطلبان عز الملك معه، مفارقة ذهنية مؤلمة للغاية، إذ لم يتقدَّما بكلمة استفسار عن هذه الآلام، أو يشجعاه عن اجتيازها كمشيئة الآب، ولكن في موته يطلبان عزًّا لنفسيهما.

فلمَّا تشجعا وصرَّحا بطلبهما، كانت هي الصدمة لنفس المسيح، كأنه لم يخدم بينهم هذه المدَّة كلها، وكأنه لم يصرح مرات ومرات أنه مسيَّا الآلام والموت والقيامة، وليس مسيَّا المجد الدنيوي لإسرائيل. لم يَبقَ شيءٌ مما حاول المسيح أن يضعه في العقل الواعي والعقل الباطن إذ لم يستطع فكرهما أن يتزحزح عن ملك إسرائيل والمجد القادم الذي رأوه أنه هو **ملكوته**.

10:38-40 «**فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟ فَقَالاَ لَهُ: نَسْتَطِيعُ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: أَمَّا الْكَأْسُ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ**».

«لستما تعلمان ما تطلبان»:

مفارقة ذهنية وروحية شاسعة وعميقة، وكأنهما يهذيان بكلام لا يمت للواقع «لستما تعلمان ما تطلبان» وكأن المسيح لم يخدم بينهم ثلاث سنوات ونصفاً، وهذه ثالث مرَّة ينبِّه أنه قادم على الموت بآلامه المريعة وتعاذيبه بأيدي اليهود والأمم، حتى البصاق على الوجه ذكره، ولكنهما يطلبان مجداً في زحمة آلام الصليب. فلو كان مُلكاً ومجداً أرضياً فالذي يطلبانه جهالة، ولو كان ملكوتاً أبدياً فهو حماقة، مما اضطر المسيح أن يسألهما هل تقبلان الموت؟ فبكل عدم اكتراث قالا: نعم! هل تقبلان الصليب وسفك الدم؟ وبكل عدم اكتراث قالا: نعم. كل ذلك في سبيل مجد لا يدركان ثمنه وحتى وإن أدركا معناه. وأخيراً أراح المسيح نفسه وأراحهما، أن الموت وسفك الدم اللذين أعلنتما قبولهما ستقبلانهما بالفعل، ولكن الجلوس عن يميني ويساري فليس لي أن أعطيه، فهو إنما يُعطى للذين أُعدَّ لهم. وكان حديثهما جزءاً من المعاناة والآلام التي انتهت بالصليب.

فلو جمعنا إخفاقات التلاميذ في فهم المسيح، وفي تلقي المعرفة والتعليم، وفي الاستجابة بقبول شركة الآلام معه ولو فكراً، والمسيرة معه حتى الصليب، لوجدنا أن التلاميذ كانوا ثقلاً يجرُّه المسيح خلفه، خاصة وأن واحداً منهم بعد عِشرة دامت كل خدمته على الأرض خانه وباعه وسلَّمه للموت. ولكن هذا القلب العجيب، قلب يسوع، اعتبر التلاميذ أحباءَ أحبهم حتى المنتهى، والمختارين من كل مَنْ على الأرض وامتدح مسيرتهم معه:

+ «الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني، في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًّا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر ...» (مت 28:19)

+ «أنتم الذين ثبتم معي في تجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي.» (لو 28:22)

فهذا هو قلب الله، اسمعه وهو يتحدَّث في ساعة رضى على شعب إسرائيل الذين قال عنهم الرب لموسى:

+ «وقال الرب لموسى: حتى متى يُهينني هذا الشعب، وحتى متى لا يصدِّقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم. إني أضربهم بالوبأ وأبيدهم وأُصيِّرك شعباً أكبر وأعظم منهم.» (عد 14: 11و12)

+ «وقال الرب لموسى وهارون افترزا من بين هذه الجماعة فإني أفنيهم في لحظة.» (عد 20:16)

+ «وتكلَّم الشعب على الله وعلى موسى قائلين: لماذا أصعدتمانا من مصر، لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف!! فأرسل الرب على الشعب الحيَّات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من بني إسرائيل.» (عد 21: 5و6)

وأخيراً وقبل أن يموت موسى وصفهم هكذا:

+ «إنهم أمَّة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم.» (تث 28:32)

ولكن في النهاية جداً وفي ساعة رضى قال الرب:

+ «قد ذكرت لكِ غيرة صباكِ محبة خطبتكِ ذهابكِ ورائي في البرية.» (إر 2:2)

أيها القارئ العزيز، انظر وتمعَّن فخدمة الرب والسير وراءه ثمينة جداً، ومهما كان فيها من تعب وتأديب وغضب وعثرات، ولكن في النهاية تجد أن قلب الله لا يحمل لك هفوة واحدة، ولا يذكر عنك إلاَّ ملء المحبة التي تملأ قلبك. فلا تَخْزُ من التجارب ولا تستغرب صليبك فهو مجدك.

60 تذمُّر العشرة على يعقوب ويوحنا

وعودة إلى مَنْ هو الأعظم

[45-41:10]

(مت 24:20-28)

(لو 24:22-27)

هذه الرواية متفجرة من موقف يعقوب ويوحنا عن حق، لأن العشرة ليسوا أقل من يعقوب ويوحنا في تبعيتهم للمسيح وترك كل شيء، فكيف يستثنيهم زميلاهما يعقوب ويوحنا ويسجِّلان لنفسيهما اليمين واليسار للمسيح. هنا تقول الرواية أن العشرة اغتاظوا. وهكذا دخلوا في مَنْ هو أعظم وأسبق وموضوع المقامات أو الكرامات، ورجعنا إلى موضوع مَنْ هو أعظم الذي استوفيناه في (35:9). ولكن يمتاز هذا التوبيخ بخصوص الجري وراء الرئاسة والأعظم بأن جعل المسيح يعطي العكس، أي السعي وراء الخدمة والتواضع على مستوى الخادم والعبد، ووضع المسيح نفسه المثال لخادم، وأصرَّ بعد العشاء الأخير أن يأخذ بالفعل شكل العبد، إذ خلع ملابسه وصار بالقميص والسروال، وربط وسطه بمنديل شأن كل عبد في بيت سيده، وجلس يغسل أقدام التلاميذ كمثال

المعلِّم الحقيقي الذي يعلِّم على مستوى الأقل وبروح الخادم والعبد. وللأسف فإنه بالرغم من أن التعليم هنا بالصوت المسجَّل والصورة المرسومة في مخيلتنا التي لا تُنسى، ولكن تحوَّل هذا المثال الذي أعطاه المسيح بنفسه إلى طقس، وعوض خلع الملابس لبسوا الطيالس المزخرفة، وعوض شد الوسط بمنديل لبسوا النياشين والصلبان المزخرفة والذهب والفضة كما يليق بالملوك وتشبَّهوا فعلاً برؤساء العالم وملوك الأرض.

وهكذا بدل أن تُدخل المسيحية إلى الأُمم روح الخدمة الإلهية بالتواضع الجليل القدر، غارت هي من الأُمم وتزيَّت بزي مجد الأرض في جميع الكنائس. أن يحمل الرئيس عصا الرعاية جيدٌ، وأن يحمل الصليب حسنٌ، فهذا عمله وهذه مهنته، ولكن أن يحوِّل أدوات الخدمة والتواضع والبذل على الصليب إلى أدوات للعظمة والمجد الدنيوي فهذا يُحسب علينا. فالتقليد الكنسي الوديع المنسحق تحوَّل إلى تقليد تجليس الملوك وزفة رؤساء وسيدي سيدي، وما نعظ به من جهة أخطاء اليهود وقعنا فيه بل وفيما لا يرضاه اليهود. يعقوب ويوحنا اشتهيا أشياءً مثل هذه، والعشرة اغتاظوا ولسان حالهم: وأين نصيبنا من الغنيمة؟

هذا الكلام هو ترجمة حقيقية لقول المسيح: «**الذين يُحسبون رؤساء الأُمم يسودونهم وإن عظماءهم يتسلَّطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم**» (مر 10:42).

هنا يضع المسيح المثل المرفوض من الله أن يكون الرئيس سيداً ويسود. وكلمة «يسودون» باليونانية: "katakurieÚousin" وهي بالإنجليزية: "to have lordship over" أي يصير سيداً أو ربًّا عليهم، «وإن عظماءهم يتسلَّطون عليهم» فالتسلُّط هو استخدام السلطة الذاتية ليست القانونية. المسيح رفض هذا وجحده أن يكون طقساً للمسيحيين الرؤساء. فعوض أن يكون الرئيس فيكم سيداً يكون خادماً، وقد أعطى صورة الخدمة بعد عشاء الإفخارستيا بغسل الأرجل وتنشيفها ووعَّاهم قائلاً:

+ «أنتم تدعونني معلِّماً وسيداً وحسنا تقولون لأني أنا كذلك، فإن كنت وأنا السيد والمعلِّم قد غسلت أرجلكم **فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأني أعطيتكم مثالاً** حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً.» (يو 13: 13-15)

ولم يقصد المسيح أبداً أن نغسل أرجل بعضنا البعض، ولكن ننحني أمام إخوتنا وأبنائنا احتراماً للإنجيل والمسيح لنلقنهم تعليم المسيح كالمثال الذي تركه، كما يفعل اليابانيون بلا خجل ولا إحساس بالنقص، ولكن هو العمل عندهم يقدسونه والمخدوم عندهم هو السيد!!

فالرئيس والمعلِّم والواعظ يعطي مثل المسيح في حياته فيسود الإنجيل وتترأس المحبة ويتعظَّم الصليب وتتوارى ذواتنا التي لم تتعلَّم بعد أن تحمل صليب يسوع. والكلام لجميع كنائس العالم!!

44-41:10 «**وَلَمَّا سَمِعَ الْعَشَرَةُ ابْتَدَأُوا يَغْتَاظُونَ مِنْ أَجْلِ يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا. فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيماً، يَكُونُ لَكُمْ خَادِماً، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْداً**».

هنا المسيح يخص العشرة، ويبدو أن يعقوب ويوحنا كانا في ناحية أخرى. والمسيح ابتدأ يعالج هذه الروح التي لا تريد أن تخمد فيهم، مَنْ الأول ومَنْ الأعظم، وهي داء الكنيسة حتى اليوم، لأن الشيطان هو المسئول عن جذب النفوس إلى العظمة والسيادة والتفوُّق والأولوية، وقد تقدَّم للمسيح نفسه بهذا المشروع أن يجعله سيداً وملكاً على العالم كله لو هو انحنى وسجد له، بمعنى وافقه! فالآن وإن كان المسيح قد هزمه في الموقعة الأُولى، فهنا فرصة جاهزة في التلاميذ ثم الكنيسة، فالشيطان يُصارِعُ ويَصْرَعُ وليس مَنْ يصد ويغلب. لقد تعب المسيح كثيراً مع التلاميذ لكي يَصُدَّ عنهم غواية الرئاسة والعظمة حتى إلى ما قبل الصليب.

وابتدأ المسيح يضع طقساً للرؤساء في كنيسة الله. فالرئيس خادم الجميع، ليس على مستوى الكلام بل بالانحناء حتى إلى غسل الرجلين. والأول في كنيسة المسيح يحسب نفسه أمام الله والناس أنه الأقل والأصغر والأخير حتى يرفعه الله في يوم الافتقاد. وجعلها المسيح مقولة لاهوتية:

+ «**فمن يرفع نفسه يتضع ومَنْ يضع نفسه يرتفع.**» (مت 12:23)

وتغنَّت بها العذراء في اتضاعها:

+ «أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين.» (لو 52:1)

والدارس لسفر إشعياء النبي يعلم أن فصولاً بأكملها سجَّلها عظيم الأنبياء هذا عن المسيح: «**العبد المتألِّم**»، ولو أن كنيستنا لم تتعود هذا الوصف كثيراً ولكنه ركنٌ هامٌ في لاهوت المسيح. فالمسيح المعلِّم والسيد عاش في منهج العبد المتألِّم كالعبد والخادم، وقد أخذ هذا الشكل بالنية قبل أن يمارسه بالإرادة، فهو عن سبق إصرار وتدبير أحب أن يخدم البشرية كعبد متألِّم أمام الله!

فمتى تعرف الكنيسة منهجها من المسيح في الخدمة؟!

45:10

«**لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ**».

واضح أن منهج المسيح تحدَّد شكله وموضوع عمله وغايته قبل أن يأتي ويتجسَّد!

أمَّا شكله فهو: "**شكل العبد**"، أمَّا موضوعه فهو: "خدمة العهد" لأصحاب العهد، أمَّا الغاية فهي أن يفدي الكثيرين بانسحاق نفسه وذبح جسده. هذا هو أساس لاهوت الفداء والخلاص. فالسؤال الملِّح: كيف وبأي شكل وإلى أي مدى يُخدم منهج الفداء؟ المسيح خدم غسل أرجل تلاميذه كجزء حي من خدمة الفداء وقال: **أنا كمثال!!** مثال الخدمة لكل مَنْ أراد أن يخدم منهج الفداء، «وليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله» (يو 16:13). لقد وضع المسيح منهج الفداء ومنهج خدمة الفداء، وحينما قال إن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدِم، فهو إنما وضع منهج ورسالة الكارز في العهد الجديد!

وخدمة الفداء التي تأتي بمفديين كثيرين تحتاج إلى خادم يحيا الفداء ويمارس الاتضاع ويعيش الفرح في الاتضاع!

61 شفاء الأعمى في أريحا

[46:10-52]

(مت 29:20-34)

(لو 35:18-43)

الأعمى ابن تيما الذي إيمانه شفاه

آخر معجزة في إنجيل ق. مرقس قبل الآلام

قصة من القصص الشديدة الحيوية والتوضيح، ويزيدها رسوخاً في التقليد أنها عُملت في أريحا وملقَّبة بقصة أعمى أريحا، وقد ذكرت في القصة مراراً «وجاءوا إلى أريحا. وفيما هو خارج من أريحا» كذلك فإيمان الأعمى إيمانٌ حسبه المسيح أنه يساوي شفاءه: «إيمانك قد شفاك» (52:10) وربما هو الأعمى الوحيد الذي ذُكر اسمه «ابن تيما» والذي زَادَ التقليد بخصوص الأعمى ابن تيما هو التحاق هذا الأعمى بجماعة المسيح وصار يتبعه، بل ويقول تقليد قديم إنه حُسب عضواً في

الكنيسة وكان له عمل. وق. مرقس وحده هو الذي أعطاه اسمه، وق. مرقس لا يعطي أسماءً إلاَّ فيما ندر. ويمتاز الأعمى ابن تيما بالحساسية إذ شعر بالمسيح من على بعد، وبالإلحاح الشديد المتبجِّح إذ منعوه من الصياح فزاد صياحاً، وأبدى في القصة حركة وسرعة إذ أول ما دُعِيَ للمقابلة ألقى ملابسه وجرى نحو المسيح ليقتنص الفرصة وقد سنحت بعد سنين عذاب. ثم أي أعمى هذا الذي ينادي المسيح «بابن داود» إنه الاسم الماسيَّاني، مما حرَّك عطف المسيح ولم يمنعه من ذكر الاسم. ثم شجاعته الأدبية والإيمانية حُسبت له وزادت قضيته إثارة وانفتاحاً. ويبدو أن ابن تيما رافقه السعد إذ عَاصَرهُ شاهدُ عيانٍ نَقَلَ للتقليد كل ما قال ونادى به(9). ويقول العالِم ترنر(10) إن معجزة الأعمى ابن تيما تُعتبر ـ دون جميع المعجزات التي دوِّنت في إنجيل ق. مرقس ـ أنها نُقلت من وجهة نظر الذي شُفي. ويبدو واضحاً أن ق. مرقس أعطاها اهتماماً بالغاً بسبب ارتفاع الإيمان الذي أظهره الأعمى والذي كان سبباً مباشراً لشفائه. ثم سبب اهتمام ق. مرقس بالأعمى ابن تيما هو صراخه باسم «ابن داود» وهو الاسم الماسيَّاني للمسيح، ويُلاحَظ أنه يقترب من أُورشليم متوجِّهاً إليها، وكأنها قصة مناسبة للاسم الماسيَّاني لدخول المسيح أُورشليم. وتقع القصة عند آخر نقطة من رحلة المسيح وتلاميذه من الجليل إلى أُورشليم عبر اليهودية، ويبدو أنها أُضيفت إلى تقليد الكنيسة في أُورشليم. وفي النهاية تكشف لنا هذه القصة عن سلطة المسيح الماسيَّانية قبيل دخوله الآلام. كما أن شفاء الأعمى يُحسب في الإنجيل أنه تحقيقٌ لنبوات العهد القديم كعلامة بارزة على عصر المسيَّا. وهي مذكورة في الثلاثة أناجيل المتوازية.

ومعلوم أن أريحا أيام المسيح كانت من أجمل المدن المزيَّنة التي أقام فيها هيرودس الكبير ومات ودُفن بها، وأيضاً عاش فيها أرشيلاوس، ولكن لم تكن هي أريحا القديمة بل تبعد عنها حوالي ميلاً واحداً. وهذه هي المرَّة الوحيدة التي زارها المسيح.

10: 46-48 «**وَجَاءُوا إِلَى أَرِيحَا. وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ أَرِيحَا مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٍ غَفِيرٍ، كَانَ بَارْتِيمَاوُسُ الأَعْمَى ابْنُ تِيمَاوُسَ جَالِساً عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ، ابْتَدَأَ يَصْرُخُ وَيَقُولُ: يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي! فَانْتَهَرَهُ كَثِيرُونَ لِيَسْكُتَ، فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيراً: يَا ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي.**».

كان سائراً ومعه جمع غفير، فكان موكب الوداع الذي يميل إلى الترحيب، وكانت أريحا على

(9) **B. H. Branscomb, *The Gospel of Mark*, London, 1937, p. 192.**

(10) **C. H. Turner, *The Gospel According to St. Mark*, London, 1928, cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 447.**

بعد خمسة أميال من الأُردن وخمسة عشر ميلاً من أُورشليم، والذي أعاد بناءها هو هيرودس الكبير كما قلنا. أمَّا الذي ملأها تحفاً وزينات فهو أرشيلاوس، وقد عسكرت فيها بعد ذلك فرقة عساكر رومانية كحامية(11) أمَّا الجمع الغفير فكان من مواطني أريحا مع حجاج العيد.

أمَّا الأعمى الجالس على جانب الطريق يستعطي فهو المنظر المألوف في بلاد الشرق القديمة (والجديدة).

وبارتيماوس يعني ابن تيما، ولكن في الأنشودة الكنسية المؤلَّفة باسمه نقول إنه تيما ابن تيما كما هو مدوَّن هنا، والاسم رنان في التقليد، ويبدو أنه كان معروفاً سابقاً في أُورشليم وصار فيما بعد عضواً فيها، كما يبدو أنه كان من عائلة ذات حيثية إذ يبدو عليه الذكاء والفطنة، وفي صراخه يا يسوع ابن داود كان يعلم أنه يسوع الناصري، وهذا يوضِّح أنه سمع عنه الكثير، لذلك إذ سمع أنه عابر اعتبرها فرصة العمر وصرخ صراخه الذي أعطاه نور البصر وما استطاع أحد أن يُسكته.

49:10و50 «فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى. فَنَادَوُا الأَعْمَى قَائِلِينَ لَهُ: ثِقْ. قُمْ هُوَذَا يُنَادِيكَ. فَطَرَحَ رِدَاءَهُ وَقَامَ وَجَاءَ إِلَى يَسُوعَ».

فلمَّا دعاه المسيح انقلب الذين كانوا ينتهرونه حتى لا يصرخ إلى أن صرخوا هم نحوه أن المسيح يناديك. ثق بهذا. الأعمى لم يطق أن يعيقه عائق فالرداء الذي كان يلتحف به رماه وقام مسرعاً يتحسَّس الطريق في الهواء ماداً ذراعيه كمسيرة كل أعمى لعلَّه يصل إلى مَنْ سيُنقذ حياته من الظلمة المقيمة. وكان في إلقائه لردائه عملية درامية تتَّسم بالمجازفة كأنه يقول مع الذين قالوها: «قد تركنا كل شيء وتبعناك» لأنه كان لا يملك إلاَّ رداءه. وقد رأيت عمياناً ذوي حساسية كحساسية ابن تيما يستطيعون أن يسيروا في اتجاه الصوت بكفاءة نادرة.

51:10و52 «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟ فَقَالَ لَهُ الأَعْمَى: يَا سَيِّدِي، أَنْ أُبْصِرَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ».

كان سؤال المسيح ليستحث الرجل أن يشرح بنفسه حاجته، فالمسيح أراد أن يعرف بالضبط ما يريد، فكان جواب الأعمى مختصراً غاية في الاختصار من كلمتين: الأُولى يضع المسيح في مرتبة السيد أو الرابي أو الربوني Rabbouni والثانية حاجة العمر الطويل التي ما كان يحلم بها. ويُلاحَظ

(11) **Joseph. *B. J.* ii 18,6.**

في لقب المسيح برابوني أنها الكلمة الأرامية الأصيلة التي نطق بها الأعمى، في حين جاءت في إنجيلَيْ ق. متى وق. لوقا KÚrie باليونانية وترجمتها يا سيد.

أمَّا قوله أن أُبصر ¢nablšyw فنجد المسيح هنا لا يقول كلمة أو يعمل عملاً كما في حالة باقي العميان، إذ لماذا يقول ولماذا يعمل وإيمان الرجل حاضر للشفاء ولا يحتاج إلاَّ الإذن من رب الشفاء. كثيرون كانوا ينتظرون أن يعمل له عملاً حتى تظهر المعجزة فيؤمن الناس ويهلِّلون، ولكن المعجزة الأكبر أن يكشف المسيح عن إيمان الرجل ويطلقه: «إيمانك قد شفاك» هذه ركَّز عليها ق. مرقس جداً لأنها أحد الدروس التي ركَّز عليها من جهة الإيمان القادر أن يعمل الشفاء، وق. مرقس معلِّم إنجيلي يريد أن يزكِّي إيمان الشفاء في قلوب الشعب والكنيسة. وهنا نعرف لماذا ق. مرقس وحده هو الذي نقل كلمة المسيح كما هي «إيمانك قد شفاك» دون أن يضيف لها أي شيء آخر، ذلك لأنها تهمُّه كمعلِّم، وفي حين أن ق. لوقا يضيف أمر المسيح «أبصر» وأمَّا ق. متى فيقول: «فتحنَّن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما» (مت 24:20). وهنا الحديث بالمثنى لأن ق. متى يقول إنهما كانا اثنين. هنا يتضح منهج ق. مرقس الذي أراد أن يبرز إيمان الأعمى ولم يهتم بأن يعطِ للمعجزة شكلها المألوف!

والقديس مرقس هنا يؤكِّد أن الأعمى ابن تيما **أبصر في الحال**، وهذا يقابل الأمل الكبير الذي كان يحياه. وسار ابن تيما مع المسيح وصار من التابعين!

الأصحاحان

الحادي عشر والثاني عشر

62– دخول أورشليم (11:1–11)

63– لعن شجرة التين (11:12–14)

64– تطهير الهيكل (11:15–19)

65– شجرة التين التي جفَّت وأحاديث عن الإيمان والصلاة (11:20–26)

التعاليم في أورشليم (11:27–12:44):

المناقشة الأُولى: مع أعضاء المجمع اليهودي:

66– بأي سلطان تفعل هذا (11:27–33)

67– مَثَل الكرَّامين الأردياء (12:1–12)

المناقشة الثانية: مع الفريسيين والهيرودسيين:

68– الجزية لقيصر (12:13–17)

المناقشة الثالثة: مع الصدوقيين:

69– من جهة قيامة الأموات (12:18–27)

المناقشة الرابعة: مع واحد من الكتبة:

70– أية وصية هي أول الكل (12:28–34)

المناقشة الخامسة: مناقشة يبدأها المسيح نفسه:

71– ابن داود كيف يكون رب داود (12:35–37)

72– تحرَّزوا من الكتبة (12:38–40)

73– المرأة التي ألقت في الخزانة كل معيشتها (12:41–44)

62 دخول أُورشليم

[11-1:11]

(مت 1:21-17)

(لو 28:19-38)

(يو 12:12-19)

تبدأ القصة بإرسال اثنين من تلاميذه لإحضار الجحش، وبعد ذلك موكب الدخول، وتؤخذ القصتان كوحدة واحدة. وهنا يُضاف إلى تقليد ق. مرقس تقليد ق. لوقا: «يا معلِّم انتهر تلاميذك »(لو 39:19)، أمَّا الإنجيليان ق. متى وق. يوحنا فيذكران نبوَّة زكريا: «ابتهجي يا ابنة صهيون. اهتفي يا بنت أُورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك وهو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان» (زك 9:9). وذُكرت في موضعها في الإنجيلين: (مت 5:21)، (يو 15:12)، ولكن ق. مرقس يبدو أنه كان محتفظاً بها في فكره وهو يحقِّق النبوَّة بإرسال المسيح التلميذين ليحضرا له "الجحش"، فهذه النبوَّة دخلت في تصرف المسيح نفسه.

وقد اعتُبِرَت القصة ذات معنى ماسيَّاني لدرجة أن بعض الشرَّاح اعتقدوا أن المسيح كان يؤكِّد بها على ماسيَّانيته:

[إن الحالة التي اختارها المسيح ليمثِّل بها دخوله أُورشليم مناسبة لتعلن ماسيَّانيته لذوي العيون المفتوحة المستعدين للفهم، وفي نفس الوقت هي بحال ما مخفية عن الآخرين.](1)

ولو أنه من الواضح أن هذا الموكب لم يحرِّك لا رؤساء الكهنة ولا الرومانيين، ولكن التلاميذ والحجاج هم الذين أُخذوا بهذا المنظر إذ انفجرت مشاعر الغيرة اليهودية فيهم، وفُهمت أكثر عندما فطنوا لنبوَّة زكريا أنها للمسيَّا!!

والقيمة التاريخية التقليدية ظاهرة في القصة منذ بدايتها في إرسال التلميذين وما حدث كما قال المسيح، كذلك انضباط الموكب فلم يتخلله أي حادث يقلِّل من رهبته التاريخية النبوية، دون أي إشارة إلى أي مظاهر مفتعلة لإظهار ماسيَّانية الموكب. هذه كلها تكشف عن انطباع ذهني حاد لشاهد عيان دقيق ومنفعل.

وكما يقول العالم شفيتزر إن حقيقة الوضع الماسياني كانت في قلب المسيح فقط، أمَّا الشعب

---

(1) **Dobschütz, *The Eschatology of the Gospels*, pp. 175-177, cited by Vincent Taylor. *op. cit.*, p. 451.**

والتلاميذ فمرَّ عليهم الموكب دون أي انتباه، مع أنهم اشتركوا فيه بوضع ملابسهم على الجحش كأنها رحلة إلى المدينة المقدَّسة، ومع أن صراخهم كان عالياً بالهتاف لابن داود ومملكة أبينا داود، وأن الملكوت صار على الأبواب؛ ولكن إلى هنا لم يطرأ على ذهنهم أن الراكب على الجحش هو مسيَّا الرب ملك الدهور!! وكان الجو بهذا الشكل مشحوناً بالمخاطر، ولكن زال الخطر وانطفأ بريق الموكب. وحينما ظهرت المدينة أمام أعينهم ارتفع الهتاف والتهليل والسرور المفرط حتى إلى رب السماء. وأخيراً نزل المسيح من على الجحش ودخل من الباب هو وتلاميذه فقط!! وبعدما دار حول الهيكل ونظر كل شيء عاد إلى خارج المدينة وذهب وبات في بيت عنيا مع تلاميذه.

وبجوار تقليد ق. مرقس يظهر تقليدٌ آخر يعتبر أكثر منه تحقيقاً وسوف نعود إليه في مواضعه.

والذي يُحزِن القلب حقًّا هو أن تعاليم المسيح كلها عن آلام المسيَّا القادمة وموته وقيامته تاهت من عقول تلاميذه. وكان تصريح المسيح لما طلب منه الفريسيون أن ينتهر تلاميذه ليكفوا عن الصياح بابن داود ومملكة داود بقوله إنه لو سكت هؤلاء فإن الحجارة تصرخ. وكان في هذا معنى خفي يكسر القلب، فهو كأنه يقول إن الحجارة تكاد تهتف للمسيَّا القادم وتحيِّي رب البيت الذي جاء إلى هيكله لو سكت تلاميذه عن الهياج الذي بلا معنى ولا هدف. وهكذا بدا التلاميذ غير فاهمين وعاشوا غير فاهمين وانتهت كرازة المسيح وهم غير فاهمين! «شعبي لا يفهم» (إش 3:1). لذلك كان يتحتم أن يقوم المسيح علانية وكان يتحتم أن يُرسل الروح القدس علانية ليعلن حق المسيَّا في قلوب غير الفاهمين! وهذا سر قول المسيح لتلاميذه ”لا تبرحوا أُورشليم حتى تنالوا قوة من الأعالي“!! (أع 4:1). والتلاميذ لم يفهموا قصة الجحش الذي أحضروه ولا ركوب المسيح عليه على غير عادته ودخوله المدينة راكباً على ابن أتان، مع أنه قصد قصداً أن ينفِّذ نبوَّة زكريا حرفياً لكي يوقظ قلوبهم الغافلة، ولكن هيهات، فقد حوَّلوا النبوَّة إلى هتاف وحسب، مع أن المسيح قصد أن يعلن لهم بالذات أنه هو هو المسيَّا بحق الأنبياء!!

ومسيَّا الله ليس هو مسيَّا الحرب والقوة والعراك، لذا ركب جحشاً حسب نبوَّة زكريا ليضرب الهدفين معاً بعمل واحد ليظهر أنه هو مسيَّا الله ولكن ليس مسيَّا الحرب، فالذي يركب جحشاً لا يحمل سيفاً!! «يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان» (زك 9:9). لذلك لم يؤثِّر لا في الرؤساء ولا الرومان هذا الموكب الذي

يتقدَّمه إنسان راكباً على جحش!! إذ هو فاقد كل منظر ومظهر لمن يريد أن يكون ملكاً!! وهكذا بكل ما قصده المسيح ورتَّبه بألمعية وذكاء لاهوتي نبوي نادر المثال لم يوقظ التلاميذ من غفلتهم، وإن كان هذا يظهر وكأنه فشل ذريع، ولكن نجح المسيح بهذا الفشل ليبلغ الصليب في ميعاده ـ أمَّا نحن الذين نتفحَّص الآن في الكلمات والحروف والحركات والسكنات والكلام الظاهر والخفي فقد أدركنا كل شيء، وصار لنا ملء المعرفة والدراسة بكل ما قصد المسيح وكل ما رتَّب وكل ما عمل وقال مع استعلان للمسيَّا ملء الاستعلان.

ولكن لنا شهادة القديس مرقس من جهة تقليده، أنه الأول والأصيل والمنقول لنا من أفواه شاهدي العيان.

1:11-3 «**وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنْيَا، عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَقَالَ لَهُمَا: اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ وَأَنْتُمَا دَاخِلاَنِ إِلَيْهَا تَجِدَانِ جَحْشاً مَرْبُوطاً لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ. وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَفْعَلاَنِ هذَا؟ فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُ إِلَى هُنَا**».

يبدأ ق. مرقس قصة دخول «**أورشليم**» بتصدير الكلمة ”أُورشليم“ في الأول كعنوان للفصل. أمَّا قرية بيت فاجي فهي قرية مشهورة بالتين، والقارئ يُلاحِظ من اسمها أن الكلمة الإنجليزية مأخوذة منها figs، وهي قرية صغيرة تُحسب من ضواحي أُورشليم. أمَّا بيت عنيا Bhqan...an فهي قرية مشهورة بالبلح، وهي القرية المشهورة باسم ”العازرية“ في الجنوب الشرقي من أُورشليم، وتبعد حوالي ميلين من أُورشليم على الطريق من أريحا، وهي عالية عن سطح الأرض على الجانب الشرقي من جبل الزيتون tÕ Ôroj tîn 'Elaiîn وهو تل كبير يرتفع نحو 2600 قدم، ويمتد من الشمال إلى الجنوب على الاتجاه الشرقي من أُورشليم يفصله وادي قدرون عن المدينة التي تُرى بوضوح. وهذا المكان من قديم الزمان معروف أنه مكان للصلاة «وأمَّا داود فصعد في مصعد جبل الزيتون، كان يصعد باكياً ... ولما وصل داود إلى القمة حيث سجد لله ...» (2صم 15: 30و32). ويُعتقد أن القرية التي ذهب إليها التلميذان هي بيت فاجي، وربما تكون بيت عنيا لأن له فيها أحباء، الذين حالما سمعوا اسم الرب وأنه محتاج إلى الجحش (وهو حمار صغير السن)، أعطوا الجحش في الحال. وطبعاً كان ق. مرقس يكتب القصة ونبوَّة زكريا في ذهنه، ولكن أهم من كل شيء فإن المسيح نفسه كان يحقِّق نبوَّة زكريا أمام عيون ومسامع تلاميذه.

11:4-8 «**فَمَضَيَا وَوَجَدَا الْجَحْشَ مَرْبُوطاً عِنْدَ الْبَابِ خَارِجاً عَلَى الطَّرِيقِ، فَحَلاَّهُ. فَقَالَ لَهُمَا قَوْمٌ مِنَ الْقِيَامِ هُنَاكَ: مَاذَا تَفْعَلاَنِ، تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ؟ فَقَالاَ لَهُمْ كَمَا أَوْصَى يَسُوعُ. فَتَرَكُوهُمَا. فَأَتَيَا بِالْجَحْشِ إِلَى يَسُوعَ، وَأَلْقَيَا عَلَيْهِ ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَثِيرُونَ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَاناً مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ**».

بذهاب التلميذين وإحضار الجحش وركوب المسيح يكون قد أُعِدَّ موكب الدهور الذي رآه زكريا ابن عدُّو النبي نحو 520 سنة قبل الميلاد. وفي الحقيقة لم يكن زكريا نبيًّا بل كاهناً أصلاً، ولكنه تنبأ(2) عن مجيء المسيح: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أُورشليم هوذا ملكك يأتي إليك وهو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان» (زك 9:9). والذي يقرأ النبوّة كما جاءت ويتأمَّل في الموكب العجيب الذي نظَّمه المسيح والتلاميذ يتعجَّب لذلك الحبك، فالوحي الإلهي خطَّط لمستقبل الزمان قبل 550 سنة، وفي الميعاد قام صاحب الوحي بالتنفيذ حتى ينطبق الوحي على الواقع ليستعلن القادم من وراء الدهور والأزمان، ليحقِّق الفداء والخلاص لبني الإنسان. فالموكب بكل دقائقه ومميزاته من وضع الوحي حتى يدرك ذوو البصيرة تدبير الله، فإن أخفق التلاميذ فها نحن قد أدركنا لنرى ونتحقَّق ونتعجَّب كيف صوَّر العهد القديم أجمل مناظر العهد الجديد حتى وضع اللمسات فيها!

ولكن أجمل وأعظم ما في الموكب أن الجالس على الشاروبيم(3) في مجد العُلى وسط جلال السمائيين، يتنازل ويركب أحقر حيوان على الأرض يتندَّر به الإنسان وبراكبيه، ويدخل متخفيًّا لمدينة مُلكه «مدينة الملك العظيم» ليفتقد رعاياه الفقراء والصغار الضعاف وليدعوهم إلى ملكه السماوي وإلى المدينة التي أعدَّها بالروح التي لها الأساسات لأن زمان شقائهم قد كمل، أمَّا هو فلم يجد أحداً يعرفه ولا مَنْ يستقبله.

---

(2) ***Jerome Bib. Commentary*. p. 392.**

(3)
الجالس فوق الشاروبيم ∴ اليوم ظهر في أُورشليم
راكباً على جحش بمجد عظيم ∴ وحوله طقوس ني أنجيلوس
في الطريق فرشوا قمصان ∴ ومن الشجر قطعوا أغصان
وهم يصيحون بالألحان ∴ أوصنا ابشيري إن دافيد
اليوم تمَّت الأقوال ∴ من النبوات والأمثال
كما تنبأ زكريا وقال ∴ نبوَّة عن إيسوس بخريستوس
∴

(مردات أناجيل أحد الشعانين ــ خدمة الشماس صفحة 271).

9:11و10 «وَالَّذِينَ تَقَدَّمُوا، وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ: أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!».

«**والذين تقدَّموا والذين تَبعوا**»(4):

أول أنتيفونا (التسبيح بالمرد بين فرقتين) في التقليد الكنسي الذي لا تزال تعيشه الكنيسة كل يوم، ففي تسبحة نصف الليل سواء بالخورسين أو الخورس الواحد يقف خورس الكنيسة البحري يمثِّل الذين تقدَّموا والقبلي يمثِّل الذين تبعوا، ويقدِّمون التسبحة لله والمسيح. وقد أُخذ هذا التقليد من هذا الموكب المهيب، موكب دخول ملك إسرائيل على جحش يطلب الكرم الذي لأبيه، فتربَّص به الكرَّامون الأردياء وأخذوه وذبحوه خارج الكرم!

«**أوصنَّا**»: Wsann£` = هوشعنا = يا رب خلِّص

مأخوذ من مزمور (25:118):

+ «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه، آه يا رب خلِّص (أوصنَّا) آه يا رب انقذ، مبارك الآتي باسم الرب.» (مز 118: 24و25)

والصراخ لله يقول: يا رب خلِّص الآن. وهذا المزمور كان يدخل في ليتورجية (خدمة) أعياد المظال وعيد الفصح، وكان يصرخ به الحجاج اليهود الآتون من جميع أنحاء العالم كتحية من الله وليس صراخاً إليه. لذلك فإن الشعب كعادته كما يصنع في عيد المظال قطَّع الأغصان وفرشها في الطريق وأمسكوها وحيُّوا بها الراكب، وكان هذا الصراخ مع الهتاف ورفع الأغصان تحية لملك إسرائيل وهو داخل إلى مدينته بفكر ق. مرقس. وقد حُفظت لفظة «**أُوصنَّا**» دون ترجمتها في جميع اللغات تقريباً لأنها في الحقيقة كانت قد فقدت معناها، وإن كان بعض العلماء مثل توري(5) يراها: [أنها صلاة إلى الله بمعنى يا رب احفظه]. ونحن نرى أنها هي التي بقيت في النشيد الملكي الإنجليزي: "God Save the King = ليحفظ الله الملك"، كتحية ودعاء معاً حسب ما سمعنا.

ويُلاحِظ القارئ نص الأنتيفونا بين الذين تقدَّموا والذين تبعوا هكذا:

---

(4) سبق أن قدَّمنا وصفاً للتقليد اليهودي الخاص بموكب دخول المسيَّا أُورشليم في كتاب: «الإفخارستيا والقداس» صفحة 214ـ217.

(5) **C. C. Torrey, *The Four Gospels: A New Translation*, p. 94.**

الذين تقدَّموا:	‘‘مبارك الآتي باسم الرب’’	EÙloghmšnoj Ð ™rcÒmenoj ™n ÑnÒmati kur…ou
الذين تبعوا:	‘‘مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب’’	EÙloghmšnh ¹ ™rcomšnh basile…a toà patrÕj ¹mîn Dau…d
الخورسان معاً:	‘‘أوصنَّا في الأعالي’’	`Wsann¦ ™n to‹j Øy…stoij

ويعتقد بعض المتأملين عن صحة أن هناك علاقة خفية بين دخول المسيح أُورشليم بالتمجيد والتهليل كونه يقرِّبونه إلى الله، وبين ما قاله دانيال: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام **فقرَّبوه قدَّامه**» ! (دا 13:7). حيث تأتي كلمة «قرَّبوه» في السبعينية proshnšcqh وهي الزمن الماضي من الفعل prosfšrw الذي يعني: ‘‘تقديم القربان’’، لأنه على الصليب قرَّبوه إليه كذبيحة خلاص أبدية للعالم.

ولكن وإن كان التلاميذ أو الشعب قد استخدموا (مز 118) بأوصنَّا مبارك الآتي باسم الرب، إلاَّ أن ق. مرقس لم يُلمِّح قط أن هذا الجزء كان بنيَّة الإعلان عن المسيح كمسيَّا، فماسيَّانية المسيح ظلت من الأول إلى الآخر مختفية لأن ميعاد استعلانها الوحيد هو القيامة، حيث يقول ق. بولس: «وتعيَّن ابن الله بقوَّة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو 4:1). ولكن لم يحدث قط لأي إنسان حتى ومن كل المقرَّبين جداً أن أدرك المعنى الحقيقي لماسيَّانية المسيح بصفته الآتي إلى العالم للخلاص.

أمَّا نشيد الأنتيفونا للخورس الذي يتبع «مباركة (هي) مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب» فبالرغم من أن الشرَّاح احتاروا في معناها، ولكن ينكشف المعنى إذا انتبهنا أن مرد الهتاف الأول «مبارك الآتي باسم الرب» فالخورس التابع يرد: «مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب» فالآتي باسم الرب هو الملك ابن داود، والمرد: مباركة هي مملكة داود التي سيستردها ابن داود والآتية من قبل الله.

والعجيب أن هذا المرد الذي يتوقَّف عليه معنى الموكب كله ومعنى دخول المسيح أُورشليم راكباً على جحش، نجد أن الإنجيليْن لكل من ق. متى وق. لوقا قد أسقطاه لأنهما لم ينتبها إلى أن الموكب تقدَّم على خورسين، خورس أمامي وخورس يتبع، كجماعة تقود بالروح والنعمة، وجماعة توافق وترد.

والحقيقة أن الزيادات التي قدَّمها كل من ق. متى وق. لوقا هي محاولة ـ غير مقبولة من المسيح

أصلاً ـ لكشف المسيح أنه المسيَّا، والواقع الذي رد على الموكب كله أنه لم يُبدِ أحدٌ أيَّ إحساس بأن الداخل كان هو المسيَّا، وهذا ما كان يحرص عليه المسيح، وإن كان يتمنى أن ينتبه تلاميذه إلى هذا الاتجاه الهام حتى لا يصابوا بالخذلان ساعة الصليب، ولكن لم يستطع شيءٌ أن يسعف عدم فهمهم «إلى متى أحتملكم» (مر 19:9)، «ألا تشعرون بعد ولا تفهمون، أحتى الآن قلوبكم غليظة، ألكم أعين ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون» (مر 17:8و18)، «هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي وأنا لست وحدي لأن الآب معي» (يو 32:16). ومن هذا الفرق الأيديولوجي بين وصف ق. مرقس ووصف كل من ق. متى وق. لوقا نستطيع أن نرى تقليد ق. مرقس أن له أهدافاً لاهوتية فيما يسرد ويحكى بل وعلى أساس معرفة استعلانية وثيقة يكتب.

11:11 «**فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلَ، وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى، خَرَجَ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا مَعَ الاِثْنَيْ عَشَرَ**».

هنا تحدث مفارقة في الرواية بين إنجيل ق. مرقس وإنجيلَيْ كلٍ من ق. متى وق. لوقا، إذ يتسرَّع كل منهما ويدخل في موضوع تطهير الهيكل مباشرة بعد الموكب. ولكن إنجيل ق. مرقس يترك يوماً كاملاً في الوسط. ففي إنجيل ق. مرقس بعد أن دخل المسيح أُورشليم طاف بالهيكل ونظر وتأمل كل شيء، وبعدها غادر أُورشليم مع تلاميذه إلى بيت عنيا، ويُلاحِظ القارئ أن ق. مرقس عينه على المسيح في تحركاته. وكأن المسيح إذ يعلم أنه لن يرى أُورشليم بعد ذلك طُرًّا ولا الهيكل أبداً، أحبَّ أن يطوف بأركان أُورشليم والهيكل بكل ما فيه باعتبارها النظرة الأخيرة. فهو القائل بالنبوَّة أنه لن يُترك فيه حجر على حجر إلاَّ ويُنقض، فكان عزيزاً عليه «بيتي بيت الصلاة يُدعى» (مر 17:11). المسيح أحب أُورشليم والهيكل وكل ما فيه وأحبَّ الساجدين بالروح والحق، وأحبَّ الأولاد والخطاة والتلاميذ حتى المنتهى، فكان يودِّع ما أحب ويقيِّم مثل هذه التي أحبها بالموت الوشيك أن يؤديه لفديتها من الهلاك المعد لها، ويؤسِّسها جديداً وجميعاً على أساس لا يفنى ولا يضمحل في السماء. ق. مرقس أدَّى ما عليه وقال: «نظر حوله إلى كل شيء» وصمت. ولكن نحن يتحتَّم أن ننطق، فالقديس مرقس دائماً أبداً يلمس الناحية العاطفية في المسيح في اختصار ووجل، ولكن هذه لا تخفى علينا إذ نرى بشرية المسيح وراء كل عمل مجيد وعظيم، وكأنما كان يصالح كل شيء يحبه ويعطف عليه بلاهوته المتعالي فوق كل عاطفة بشرية. والقديس مرقس هنا هو صاحب الوصف الدقيق إلى نهاية الموكب بعد أن دخل إلى أُورشليم، إذ قد ذاب الجمع الغفير في

المدينة ولم يبقَ إلاَّ المسيح وحده والتلاميذ، وبهذا دخل الهيكل وتمشَّى فيه ورأى كل شيء. في حين أن إنجيلَيْ ق. متى وق. لوقا تحدثا عن ارتجاج المدينة ومحاولة معرفة من هذا ... إلخ. ويعطي ق. مرقس سبباً لمغادرة الهيكل وأُورشليم بأن الوقت قد أمسى أي حلَّ الظلام فذهب مع تلاميذه ليبيت في بيت عنيا.

تقليد القديس لوقا:

التزم ق. لوقا بنص ق. مرقس في رواية القصة ولكن حدثت إضافات جديدة ذات قيمة عن تقليد ق. مرقس وهي «وأمَّا بعض الفريسيين مع الجمع فقالوا له: يا معلِّم انتهر تلاميذك» (لو 39:19) كون التلاميذ قالوا بخلاف ما تسجَّل في إنجيل ق. مرقس: «مبارك **الملك** الآتي باسم الرب. سلام في السماء ومجد في الأعالي» (لو 39:19)، فهنا ثارت حفيظتهم إذ اعتبروا أنهم ينادون بالمسيح ملكاً. وطبعاً هنا إبراز علني لموضوع مجيء المسيَّا والمُلْك، الذي كان يتحاشاه المسيح وكان يمنع كل مَنْ ينطق به. أمَّا في إنجيل ق. مرقس فجاءت «مبارك الآتي باسم الرب» دون إظهار ادعاء المناداة بالملك الآتي!! فكان رد المسيح كما سبق وقلنا ذا عمق بليغ قلَّ مَنْ يستطيع أن يدركه وهو: «إن سكت هؤلاء (التلاميذ) فالحجارة تصرخ» (لو 40:19). والمعنى سرِّي للغاية في فكر المسيح وهو إن سكت هؤلاء التلاميذ عمَّا يقدمونه من تهليل كاذب بلا معنى - فلا هو ملكٌ (بمفهومهم) ولن يكون ملكاً على إسرائيل يحارب أعداءها ويرد لداود ملكه على الأرض - إذ هذا مجرد صراخ فارغ، فإن سكتوا عن صراخهم الفارغ تصرخ الحجارة عن حق المسيَّا واستعلانه قادماً لمدينته ليرفعها من الأرض إلى السماء!!

كذلك الذي قاله ق. مرقس باختصار شديد في كلمتين: «ولما نظر حوله إلى كل شيء» بما تحويه من عاطفة نحو مدينته مدينة رب الجنود الملك العظيم، خرج بها تقليد ق. لوقا إلى «وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها» (لو 41:19)، فالعاطفة المكتومة غير المستعلنة عند ق. مرقس أخرجها ق. لوقا إلى حد البكاء، ثم تعبيرها: «لو علمتِ أنتِ أيضاً حتى في يومِكِ هذا ما هو لسلامِكِ ولكن الآن قد أُخفي عن عينيكِ، فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة، ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنكِ لم تعرفي زمان افتقادِكِ.» (لو 19: 42-44)

في الواقع هذا كله نبوَّة قالها المسيح نفسه في موضع آخر في إنجيل ق. مرقس وليس أثناء دخول أُورشليم وبدون التركيز على خراب أُورشليم، ولكن كان التركيز على الهيكل حينما أراه إياه أحد

التلاميذ قائلاً: «يا معلِّم انظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية، فأجاب يسوع وقال له: أتنظر هذه الأبنية العظيمة لا يُترك حجر على حجر لا يُنقض.» (مر 13: 1و2)

أمَّا الفارق الكبير مع التوضيح الصارخ في كيفية قيام الحرب والمحاصرة وهدم المدينة وبنيها فيها ... إلخ. عند ق. لوقا فسببه ـ حسب رأي بعض العلماء ـ أن ق. لوقا كتب إنجيله بعد الحرب السبعينية التي ضُربت فيها أُورشليم وأُحرق الهيكل، فالقديس لوقا يكتب من تاريخ مُشاهَد وليس عن تقليد، أمَّا الذي جاء في إنجيل ق. مرقس فهو نبوَّة قبل الحرب السبعينية، لذلك تأتي نبوَّة المسيح المختصرة غاية في القوة والاختصار. إذن، فرواية ق. لوقا عن أُورشليم والهيكل أثناء دخول المسيح هي منقولة بحذافيرها من ق. مرقس ثم أضاف عليها ما تمَّ بالفعل في تاريخ زمان الخراب بحسب ما رأى وسمع.

وإلى هنا يظل تقليد ق. مرقس كالأساس الذي أخذوا عنه وأضافوا إليه.

تقليد القديس متى:

التزم بالنص كما هو في إنجيل ق. مرقس تماماً، غير أنه أضاف: «ولما دخل أُورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: مَنْ هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل» (مت 21:11). وهذا في الحقيقة لا يخرج عمَّا أراده ق. مرقس إذ لم يُشر فيه إلى موضوع المسيَّا ولكن أضاف أنه «هذا يسوع النبي» وهكذا اختفت الماسيَّانية نهائياً من مضمون دخول المسيح أُورشليم. ثم بعد موكب الدخول ابتدأ ق. متى مباشرة في وصف تطهير الهيكل الذي سجَّله ق. مرقس بعد الدخول بيوم كامل. وق. متى هو صاحب التقليد أن المسيح ذهب إلى بيت عنيا «وبات هناك.» (مت 21:17)

تقليد القديس يوحنا:

يربط ق. يوحنا الدخول إلى أُورشليم بعيد الفصح إذ يضعه قبل العيد بستة أيام. ويبدأ القديس يوحنا قصة الدخول بذهاب المسيح أولاً «إلى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذي أقامه من الأموات» (يو 12:1). علماً بأن ق. يوحنا هو الوحيد الذي سجَّل قصة إقامة لعازر من الموت. وابتدأ هكذا:

+ «وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد (عيد الفصح) أن يسوع آتٍ إلى أُورشليم، فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه، وكانوا يصرخون: أوصنَّا! مبارك الآتي باسم الرب، ملك إسرائيل! ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب: لا تخافي يا ابنة صهيون. هوذا مَلِكُكِ يأتي جالساً على جحش أتان. وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه (وهو واحد

منهم) أولاً، ولكن لما تمجَّد يسوع، حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه، وأنهم صنعوا هذه له.» (يو 12: 12ـ16)

وواضح أن تقليد ق. يوحنا يتقابل بالأساس مع تقليد ق. مرقس والإضافات لا تخص موكب الدخول إلى أورشليم.

63 لعن شجرة التين

[14-12:11]

(مت 21: 18ـ20)

(لو 13: 6ـ9)

إنها قصة ذات معجزة توضِّح سلطان المسيح وهو قادم للآلام. ولكن ق. مرقس يدوِّنها في هذا الوقت بالذات لِما ترمي إليه كنبوَّة عن مصير أُورشليم واليهودية.

والذي يلفت نظرنا أن القديس لوقا ذكر قصة شجرة التين هذه على فم المسيح كقصة قائمة بذاتها هكذا:

+ «كانت لواحدٍ شجرةُ تين مغروسةٌ في كرمه، فأتى يطلب فيها ثمراً ولم يجد. فقال للكرَّام: هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمراً في هذه التينة ولم أجد. اقطعها. لماذا تُبطِّل الأرض أيضاً؟ فأجاب وقال له: يا سيد، اتركها هذه السنة أيضاً، حتى أنقب حولها وأضع زبلاً. فإن صنعت ثمراً وإلاَّ ففيما بعد تقطعها.» (لو 13: 6ـ9)

هنا واضح أنه تقليد واحد، فأخذها القديس لوقا من موضعها عند القديس مرقس وأدخلها كقصة قائمة بذاتها لا علاقة لها بما قبلها ولا بما بعدها، مما يؤكِّد أنها مأخوذة من مكانها الأصلي. والقديس لوقا يكتب عن تقليد زمانه وهو متأخر عن تقليد الكنيسة الأُولى أيام القديس مرقس. وواضح أن المعنى السرِّي الذي التقطته الكنيسة من تينة القديس مرقس وهو عن الأُمة اليهودية وانتهاء زمانها لانقطاع ثمرها، أخذه التقليد الكنسي ونمَّاه وكشف السر الرمزي الذي فيه بأن جعل زمان التينة بلا ثمر ثلاث سنوات، وهو زمان كرازة المسيح وهو يحاول أن يجد في الأُمة اليهودية ثمراً فلم يجد. ولكن التقليد لم يُرِدْ أن يقطع في الأمر مرَّة واحدة عن عناد الأُمة فأعطاها فرصة. وهكذا ينمو التقليد من جهة شرحه وإظهار الأسرار الخفية فيه. ولكن يبقى تقليد القديس مرقس هو الأقدم والأكثر أصالة.

14-12:11 **«وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنْيَا جَاعَ، فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئاً. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: لا يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَراً بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ. وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَسْمَعُونَ».**

هنا أيضاً يُعطي القديس مرقس إشارة جديدة تكشف عن بشرية المسيح عن قصد «جاع» فبهذه الكلمة تتركَّب القصة كلها، وذهابه إلى شجرة التين كان بتأثير ورقها الأخضر العريض الجميل حينما ينمو جديداً بعد فصل الشتاء وهو يظهر في أواخر فبراير وأوائل مارس عادة، وخاصة أن هذا المكان في الطريق من بيت عنيا إلى أُورشليم يمر بشرق جبل الزيتون حيث الجانب المعرَّض للشمس والدافئ الذي بسببه يبكِّر شجر التين في التوريق، ولكن الثمار تكون غضَّة خضراء صغيرة، فهي لا تنضج إلاَّ في شَهرَيْ يونيو ويوليو. فلمَّا ذهب إليها المسيح لم يجد ثمراً.

في الحقيقة القصة كلها محبوكة في هذا الموضع بعد أن دخل المسيح أُورشليم ولم يستقبله أحد وهذا في نهاية خدمته على الأرض، وأثناء خدمته كلها لم يجد أحداً يسمع له وينظر ويعي: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت» فهنا التينة جُعلت لتتحمَّل إخفاق إسرائيل كونها لم تعطِ ثمراً فجاز على الشجرة ما هو مزمع أن يجوز على الأُمة اليهودية كلها. ومما يؤكِّد شدة وقع الحكم أنه لن يأكل منها أحد ثمراً **إلى الأبد**، فهنا «إلى الأبد» لا تخص شجرة التين التي ما أن لُعنت حتى جفَّت ثاني يوم، وإنما الحكم يخص شعباً يبقى ويدوم من جيل إلى جيل **بدون ثمر!!**

وهذه هي المرَّة الوحيدة التي خرج فيها اللعن من فم المسيح، والحكم الذي حكم به فهو حكم الدينونة الذي يقع تلقائياً على كل مَنْ يرفض ابن الله «يمكث عليه غضب الله» (يو 36:3)، بمعنى تمكث عليه لعنة آدم والأرض من تحته. وواضح أن هذا العقاب لا يحمل أي قسوة ولا أي تعسُّف أو تعنُّت أو عنف أو عدم رحمة، لأن ابن الله جاء ليرفع اللعنة عن الإنسان، فالإنسان الذي يسمع ويؤمن ويطيع تحل عليه البركة، وعوض اللعنة يكسب رضى الله ومحبته ويخلص. أمَّا الذي يرفض ابن الله ولا يقبل الإيمان به فطبيعياً وتلقائياً يبقى تحت اللعنة الأُولى ويعيش تحت غضب الله.

«وكان تلاميذه يسمعون»:

هذا هومصدر التقليد، وقد صارت شجرة التين في التقليد الكنسي من أكثر معالم قصة دخول المسيح أُورشليم. وأصبح الحكم بلغتها تعبيراً عن مدى العقاب الذي يحل بالذين

يأخذون أعمالاً في الكنيسة ولا يكون لهم ثمر. وفي الحقيقة مَنْ يتطلَّع إلى حال الأُمة اليهودية منذ أن لعن المسيح التينة وقال أن لا يأكل أحد منها إلى الأبد فإنه يجد التحقيق وبقدر ما هو حرفي ودقيق التطبيق للغاية إلاَّ أن الحزن والأسى يملأ قلب الإنسان على هذا الشعب الذكي المتحد والمتآخي والقوي الإرادة، كيف يعيش ألفين من السنين بلا ثمر على الإطلاق اللهم إلاَّ أعمال التجارة والمال لاستخدامها في اللعب بمصائر الشعوب والتحريض على الحروب والانقلابات والثورات التي لا تنتهي، فالثمرة الناتجة من الشعب اليهودي مُرَّة للغاية مثل أول يوم رآها في شجرة التين، فهي ثمرة ملعونة بالحق.

64 تطهير الهيكل

[11:15-19]

(مت 21:12-17)

(لو 19:45-48)

(يو 2:13-22)

واحدة من أهم القصص التي في التقليد الكنسي، وبدراستها كما جاءت في الأناجيل الأربعة تيقَّن العلماء أنها تقليد قائم بذاته وضعه القديس يوحنا في بداية خدمة المسيح المبكِّرة جداً، إذ وضعه في الأصحاح الثاني في أول عيد فصح حضره المسيح في زيارته الأُولى لأورشليم، علماً بأن المسيح في إنجيل ق. يوحنا حضر ثلاثة أعياد للفصح، وأجرى تطهير الهيكل بعد أول معجزة له وهي تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل. بينما في إنجيل ق. مرقس نجد الرواية تزاح إلى نهاية الكرازة، وهذا يوضِّح لنا أن تطهير الهيكل تقليد قائم بذاته رأى القديس يوحنا أن يضعه في البداية بمفهوم عقائدي كبداية لخدمة الكرازة. ولكن واضح أنه ربطه بالفصح الأول، أي أول مرَّة يدخل فيها المسيح الهيكل في وسط مئات الألوف من الحجاج، فلم يطق المسيح المنظر وأجرى ما أجراه.

ثم نرى أن ق. مرقس أيضاً وبنفس الوضع تماماً ربط التطهير بأول مرَّة يدخل فيها المسيح الهيكل، وكان أيضاً ما قبل الفصح الأول بالنسبة للمسيح، لأن المسيح في إنجيل ق. مرقس لم يحضر الفصح إلاَّ مرَّة واحدة هي الأُولى وبعدها دخل في الآلام. فالتناسب بين إنجيلي القديس يوحنا والقديس مرقس قائم على أساس الرواية والتقليد الواحد ولكن الاختلاف في الزمن والظروف.

فالقديس مرقس رأى أن يختم بتطهير الهيكل عمليات الكرازة لا بداعٍ عقائدي ولكن بتسلسل الأحداث كون إنجيل ق. مرقس يضم أعمال المسيح كلها في سنة واحدة تنتهي بالفصح الوحيد المذكور في الإنجيل، في حين أن إنجيل ق. يوحنا بدأ به في الفصح وعبر على عيدين آخرين.

وكثير من العلماء استحسنوا موقع الفصح عند ق. مرقس لأنه مرتبط بالآلام ونهاية الكرازة التي أثارت رؤساء الكهنة والكتبة ورتَّبوا لقتله وبعدها خرج من المدينة، ولم يعد إليها إلاَّ للمحاكمة.

والقصة كما يرويها ق. مرقس حيَّة بصورة واقعية ملفتة للنظر كما يراها العالِم جوانس وايز(6) ومعه أ. ماير(7) وبرانسكومب(8) التي يقول عنها: [هي قصة ذات أهمية قصوى بين حوادث حياة المسيح] إذ انبهر هذا العالِم من كيف طرد المسيح الباعة ومعهم المشترين وقلب الموائد التي عليها أموال الصيارفة وكل أقفاص باعة الحمام، كل هذا في رواق الأُمم، ووبَّخ الكهنة واتهمهم بأنهم قلبوا هيكل الله الذي للعبادة والصلاة وجعلوه مغارة لصوص. ولهذا لم تُمحَ هذه القوات العالية التي أجراها من ذهن التاريخ والكنيسة والتقليد. علماً بأن ق. يوحنا أخذ بعض مواقف المسيح من إنجيل القديس مرقس.

11:15-17 «وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَّبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ. وَلَمْ يَدَعْ أَحَداً يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ. وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلاً لَهُمْ: أَلَيْسَ مَكْتُوباً: بَيْتِي بَيْتَ صَلاَةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ».

واضح أن دخول المسيح الهيكل بالأمس كمَنْ يُريد أن يرى ويتأمَّل ويُعاين أمجاداً للبيت العتيد، وربطها المسيح بذكريات الآباء والأنبياء والتاريخ الطويل كمَنْ يَصِلُ آخر لحظة في الحاضر بلحظات البدء الأولى، هذا هو حاصل أعماقه فهو الأول والآخِر البداية والنهاية. وهوذا الآن مزمع أن يضع اللمسات الأخيرة على آخر علاقة بين يهوه العظيم والشعب المحبوب الذي خان عريسه، وهو الآن يتربَّص بابن صاحب الكرم وقد دبَّر كل شيء لقتله، جاء يطلب ثمراً من تينته المقدَّسة التي غرسها بيمينه وسقاها بحبه أكثر من ألفين من السنين، منذ إبراهيم والعهد الأول حينما أقسم لأول حبيب له

(6) **J. Weiss, *Das älteste Evangelium*, Göttingen, 1903, p. 269.**

(7) **Ed. Meyer, cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 461.**

(8) **B. H. Branscomb, *The Gospel of Mark*, London, 1937, p. 202.**

على الأرض أن يبارك نسله بركة ويورِّثه خير الأرض، فإذا تينته أخرجت زينتها وجمالها وتعظمت وتعالت على كل شعوب الأرض، وهي من بعد الورق أخفقت أن تصنع ثمراً لحبيبها. كان جائعاً جداً لحبّها جاء ليشبع من ثمرها فأشبعته هزءاً وضرباً وتقتيلاً. دخل السيد هيكله فوجد الزينات دون الجوهر، حافظوا على كل شيء إلاَّ العبادة والصلاة من القلب. لقد أفسدت الثعالب كرم صاحب الكرم وعاثت فيه نهباً وسلباً وضيَّعوا هيبة رب البيت واستهانوا بالهيكل والساكن فيه، ثارت روحه فيه فصنع سوطاً من حبال (يو 15:2) وطرد الجميع من الهيكل، الذين يبيعون بالغش والذين يشترون بالجهل، إذ كانت العشور فوق العشور تذهب لجيب حنّان قاسي القلب، وَطَرَد الغنم والبقر لأن ذبيحة الخلاص قد أُعدَّت وانتهى عهد الذبائح، وكبَّ دراهم الصيارف الذين كانوا يستبدلون عملة الأُمم النجسة بعملة الهيكل الأكثر نجاسة، وقلب موائدهم لأنه صكَّ عملة الروح القدس لعهد آخر جديد. وقال لباعة الحمام ارفعوا هذه من هنا ولم يحتمل أن يؤذي حمامهم لأن ذكرى الحمامة كانت لا تزال ترف على رأسه. وخاطبهم والخطاب لِسَدَنة (خُدَّام) الهيكل ورؤسائه المنتفعين: «لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة» (يو 16:2)، «وأنتم جعلتموه مغارة لصوص.» (مر17:11)

تجمَّع أصحاب المصالح والسرَّاق، واللصوص، المعْطِي الرشوة وآخذها، وبائع الحرام والمنتفع معاً، وناهضوه وصادروه خوفاً على أرزاقهم ومصدر انتفاخهم قائلين: «بأي سلطان تفعل هذا ومَنْ أعطاك هذا السلطان» (مر 28:11). ولم يعلم الجهلة أنه هو الذي بناه وعيَّنهم فيه حرَّاساً فسرقوه ونهبوه، فابتدرهم قائلاً: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه» (يو 19:2) فظنوه يهذي! وهو قد أعدَّ معاول الهدم وحدَّد الأيادي والميعاد، وأن الجديد على وشك أن يتم بناؤه على أيدي هؤلاء القتلة. فتعجَّبوا مما ليس له معنى وما فهموا أنه يقول عن هيكل جسده، وسيُبنى الجديد الذي سيُلغى فيه رواق سليمان ويصير كله للأُمم!!

نعم إنه إحلال وإبدال وما دخله إلاَّ ليضع هندسة هدمه ويقيس أطواله وأعراضه لأنه بصدد بناء هيكل نظيره في السماء، أبوابه لؤلؤ وأساساته أحجار كريمة رسل وأنبياء، والمسيح نفسه فيه حجر الزاوية كريم وقويم البنيان.

18:11 «وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ، لأَنَّهُم خَافُوهُ، إِذْ بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ».

هنا ولأول مرَّة في إنجيل ق. مرقس وأيضاً في إنجيلَيْ ق. متى وق. لوقا يظهر رؤساء الكهنة في

نشاط محموم لقتل المسيح بصورة واضحة، لأن رزقهم قد تهدَّد بصورة رسمية وعلى مرأى ومسمع من ألوف الشعب الذين بُهِروا من تعليمه وأعماله، فانخفضت قيمة رؤساء الكهنة والكتبة بالتالي وصارت بضاعتهم إلى بوار، فكيف لا يخافون، والذي يخاف من غريمه يفكِّر جدياً في قتله والتخلُّص منه راحة. ملعونة هي الغيرة وألعن منها محبة المال ومعه الجاه!!

إنَّ رفْع سوط الطهارة والتطهير في يد المسيح أرعبت كل نجس رعديد فأصبح لا مناص، إمَّا هو وإمَّا هُم، وحَقَّ الصليب!!

وبعدها بدأت الاجتماعات السرية لإعداد الجريمة وكان دليلها تلميذٌ!!

19:11 «**وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ، خَرَجَ إلى خَارِجِ الْمَدِينَةِ**».

بعد أن استطاع المسيح أن يطبع شخصيته وتعاليمه على هؤلاء الألوف من الحجاج كما صنع في الجليل ارتاح ضميره، وخرج من المدينة ليبيت كالعادة في بيت عنيا، ومعروفٌ البيت الذي كان مركزاً لإقامته هناك وهو بيت لعازر حبيبه: «لعازر **حبيبنا** قد نام.» (يو 11:11)

65 شجرة التين التي جفَّت

وأحاديث عن الإيمان والصلاة

[26-20:11] (مت 21:20-22)

يبدأ الحديث عن شجرة التين التي جفَّت وينتقل الكلام بطبيعة الحال عن الإيمان وفاعليته، فكما صنع المسيح في التينة وهي مجرَّد شجرة استجابت لقول المسيح، هكذا أعطى للإنسان أن تستجيب له الجبال والأشجار إن هو نطق القول من مصدر إيمان صادق بالله. وهذا هو بيت القصيد أو بؤرة اهتمام ق. مرقس، فهو لم يترك شجرة التين تجف دون أن يعبر عليها التلاميذ ويسمعوا درساً عن الإيمان، وقد سبق وقلنا إن اهتمام ق. مرقس كمعلِّم إنجيلي بارع هو أن يكشف مصادر الإيمان في كلام المسيح وقصصه وأعماله ويركِّز عليها بشدَّة لكي ينفتح قلب الكنيسة على مفهوم قوة الإيمان في المسيحية. فلمسة المرأة نازفة الدم التي بإيمانها اغتصبت قوة من المسيح خرجت منه أوضح بها ق.

مرقس قوة إيمان الإنسان على اغتصاب عمل الله ونعمته وتدخُّله: «إيمانكِ قد شفاكِ» (مر 34:5)، ثم الأعمى إبن تيما الذي كشف ق. مرقس عن قوة الإيمان في هذا الرجل التي ساوت قوة المعجزة التي يجريها الرب، فهو لم يُجر أي قول أو عمل بل قال له: «إيمانك قد شفاك» (مر 52:10)، فرفع إيمان الأعمى إلى مستوى المعجزة التي كان يشتهيها وهي داخله!! كل هذا لفتُ نظرٍ شديدٌ للكنيسة أن تذخر قوة إيمان بالتعلُّق المباشر بالله والمسيح، ثم العكس إذ يقول بكل وضوح وجرأة إن المسيح **لم يستطع** أن يعمل آية واحدة في الناصرة لأنهم لم يكونوا يؤمنون به (مر 5:6). والسؤال المحرج الغائب عن قلوبنا هو: هل **يستطيع** المسيح أن يشفي أو يخلِّص من ضيقة أو يتدخَّل في حياة الفرد أو الكنيسة ولا يكون لذلك الفرد أو لتلك الكنيسة إيمان؟ الجواب: لا يستطيع.

هنا انتهز ق. مرقس جفاف التينة ليخرج من مواتها حياة إيمان، حياة قوة، حياة ثقة بكلمة الله! وعلى جانب الإيمان يدس ق. مرقس قيمة الصلاة، ومع الصلاة يدس عامل غفران الخطايا للآخرين كقوة تضاف على الصلاة الفعَّالة، ويحذِّر من العكس: فالصلاة عديمة الغفران عديمة الاستجابة!

20:11-22 «**وَفِي الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوُا التِّينَةَ قَدْ يَبِسَتْ مِنَ الأُصُولِ، فَتَذَكَّر بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي انْظُرْ، اَلتِّينَةُ الَّتِي لَعَنْتَهَا قَدْ يَبِسَتْ! فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللهِ**».

يُعطي المسيح النموذج لقوة الإيمان بالله، ولكن من مصدر عالٍ جداً، فهو رب الحياة وقد أمر بأن لا تسري الحياة فتوقَّفت، ولكن لما جاء يسلِّمنا هذا النموذج جعل آليَّته عندنا الإيمان بالله كبشر وكعبيد. وهنا تدخُّل سرِّي لم يكشفه المسيح ولكنه كشفه في مواضع كثيرة مماثلة: «**باسمي**» (يو 23:16)، بمعنى إيماننا جيد وله قوة للفعل ولكن لابد أن يُضاف لاسم المسيح الذي ليس بغيره الخلاص: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً.» (يو 5:15)

23:11 «**لأَنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ قَالَ لِهذَا الْجَبَلِ، انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ، وَلاَ يَشُكُّ فِي قلبه بل يؤمنُ أن مَا يَقُولُهُ يَكُونُ، فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ**».

هنا الذي يثبِّت هذا الكلام بكل تطبيق صادق هي المرأة نازفة الدم. فقد آمنت في قلبها أنها لو لمست حتى هدب ثوبه فهي ستُشفى، فلمست فشُفيت دون أن تسأل المسيح! لقد استطاع إيمانها بالمسيح أن ينزع هذه القوة من المسيح اختلاساً: «قوة خرجت مني» (لو 46:8). وكأن القوة خرجت منه دون استئذان!! هنا المسيح يسرِّب لنا سرًّا من أسرار الله أبيه التي أخذها ليعطيها ـ أن

بدخول المسيح في عالمنا البشري أصبح لنا انفتاحٌ على الله، والله أصبح منفتحاً علينا خلال الابن بدالة غير محدودة وغير معقولة. لذلك يقول: «**فمهما قال يكون له**». هنا الانفتاح على قوة الله والاستجابة المغتصبة برضى الله وعلم الابن غير محدودة!! والمثل على ذلك سبق أن عبر علينا في موضوع ابن تيما، فإيمانه أن يشفى كان راسخاً في أعماقه، ولكن أن يكون وأن يفعل لم يتم إلاَّ بعد أن لجأ إلى المسيح، والمسيح لم يزده إيماناً بل فتح طاقة على إيمانه بالله بتوسطه فشُفي ابن تيما في الحال! «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» ولكن الذي هو أخطر أن بدون إيمانكم لا أستطيع أن أعمل لكم شيئاً!!

كان الله قد دبَّر أن يُرسل الروح القدس حسب طلب المسيح، ولكن لزم الأمر جداً أن يجتمع التلاميذ لمدة عشرة أيام بالتحديد للصلاة مع النساء وأم يسوع بأصوام وصلاة ولجاجة فأرسل الله الروح القدس وحلَّ وملأ الجميع!! ثم بعد ذلك هل تعرف الكنيسة الآن كيف تحل عقدة برودتها بغياب عمل الروح القدس وتدهور إيمان الشعب؟

24:11 «**لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ، فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ، فَيَكُونَ لَكُمْ**».

هنا روعة انتباه ق. مرقس ليركِّز بعد **الإيمان** على **الصلاة**، لأن الصلاة هي باب الإيمان المفتوح وبدون صلاة لا يتحرَّك الإيمان في القلب ليخرج لحيز التنفيذ والاستجابة من الله! وقد قرَّرها كتجربة يمكن أن نمارسها «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت 20:18). إذن، فالإيمان يحتاج إلى صلاة حتماً لأن في الصلاة يحل المسيح وحينئذ تصغى أذن السماء وتسمع وتستجيب! ولماذا اثنان أو ثلاثة؟ لأن هدف المسيح الذي جاء من أجله أن يصنع الوحدة بين بني البشر، والوحدة تُنشئها المحبة وترعاها الصلاة ويربطها الإيمان. فإن وُجدت في أصغر وضع لها ''اثنان معاً''، والأفضل دائماً ''ثلاثة'' لضمان عدم تدخُّل العاطفة لتلويث المحبة وتدخُّل المشاعر الفردية التي يمكن أن تكوِّن وحدة كاذبة بين اثنين، فهنا ثلاثة هو انفلات من العاطفة الذاتية وميل الهوى. نعم إذا تحققت الوحدة يأتي المسيح ويصنع من الوحدة البشرية الصحيحة وحدة إلهية فيه ومعه على مستوى إلهي!! وهذه أصغر صورة للكنيسة!

11: 25و26 «**وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ، فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ، لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَات زَلاَتِكُمْ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لاَ يَغْفِرْ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ أَيْضاً زَلاَتِكُمْ**».

هنا تبلغ روعة الإنجيل إلى أقصى مداها إذ يرى المسيح أن الصلاة لكي تفوز بالاستجابة من الله يلزمها أن تكون صلاة خارجة من قلب طاهر!! ولا ينجِّس القلب إلاَّ البغضة والقطيعة والغضب وحفظ السيئة في القلب وإدانة الآخرين. وهنا دسَّ ق. مرقس ومن فم المسيح الغفران الصادق والكامل من كل القلب لكل إنسان! أمَّا إذا احتجز القلب واحدة أو بعض الواحدة من هذه الخطايا المنجِّسة للقلب، فالصلاة تخرج ملوَّثة برائحة الشيطان كريهة فلا تدخل حضرة الله، بل وترتد فارغة.

التعاليم في أُورشليم

(مر 11:27-12:44)

وتضم: **66- بأي سلطان تفعل هذا** **(11:27-33)**

67- مَثَل الكرامين الأردياء **(12:1-12)**

68- الجزية لقيصر **(12:13-17)**

69- من جهة قيامة الأموات **(12:18-27)**

70- أية وصية هي أول الكل **(12:28-34)**

71- ابن داود كيف يكون رب داود **(12:35-37)**

72- تحرزوا من الكتبة **(12:38-40)**

73- المرأة التي ألقت في الخزانة كل معيشتها **(12:41-44)**

وتشمل خمس مناقشات:

أولاً: مع أعضاء المجمع اليهودي [66] **(11:27-33)**

ثانياً: مع الفريسيين والهيرودسيين [68] **(12:13-17)**

ثالثاً: مع الصدوقيين [69] **(12:18-27)**

رابعاً: مع واحد من الكتبة [70] **(12:28-34)**

خامساً: مناقشة يبدأها المسيح نفسه [71] **(12:35-37)**

وهذه المناقشات تشبه التي حدثت في الجليل (2:1-3:6)

المناقشة الأُولى

مع أعضاء المجمع اليهودي

66 بأي سلطان تفعل هذا

[33-27:11]

(مت 21:23-27)

(لو 20:1-8)

القصة قضية مناقشة استفزازية غير متصلة بما قبلها إلاَّ بمفهوم حادثة تطهير الهيكل، ويظهر فيها تحدِّي المسيح لكل مَنْ يستجوبه عن شيء، فهو لا يرد إلاَّ باستجواب محرج لإسكات المجترئ عليه. وإجابة المسيح المحرجة هي التي حفظت هذه القضية في التقليد، وفي الإجابة يختفي من أين له هذا السلطان إذ ينطق الكلام أن سلطانه من الله، كما يتضح من ضيق رؤساء الكهنة بما فعله في الهيكل بسلطان كمَنْ هو فوق كل سلطان.

وانسحاب الخصم من المناقشة أعطى للمسيح فرصةً أن لا يرد، ولكن من سؤال المسيح يُستشف ماسيَّانية المسيح بلا شك.

30-27:11 **«وَجَاءُوا أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي فِي الْهَيْكَلِ، أَقْبَلَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ، وَقَالُوا لَهُ: بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هذَا، وَمَنْ أَعْطَاكَ هذَا السُّلْطَانَ حَتَّى تَفْعَلَ هذَا؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً. أَجِيبُونِي، فَأَقُولَ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنَ السَّمَاءِ كَانَتْ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ أَجِيبُونِي»**.

كان المسيح يحب أن يتمشَّى في رواق سليمان، وكان يعقد هناك اجتماعات ويعظ ويعلِّم. وبذكر رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ معاً يكون قد التأم السنهدريم ولكن ليس بصفة رسمية، لأن المكان كان في وسط الشعب، لذلك لم ينبِّه ق. مرقس إلى كونه كان اجتماعاً رسمياً للسنهدريم، إنما المقصود هو جماعة تمثِّل السنهدريم. وهنا سؤالهم عن السلطان موجَّه لفهم السلطان الإلهي! ولكن الذي في أدمغة الكتبة هو سلطان الربيين الكبار، والسؤال لئيم لأنه يقصد أن المسيح لم يُكرِّس

"كرابي" بالإضافة أنه يتصرَّف أيضاً كنبي، فسلطان النبوَّة مِن أين أتى إليه؟ ولكن رد المسيح كان على أساس من أين أتى يوحنا المعمدان بالسلطان الذي عمَّد به الشعب، هل كان من الله أم من الناس، ومضمونه الخفي أن سلطاني من الله، لأنه كان معروفاً أن المعمدان أخذ السلطان النبوي من الله، وكان معروفاً لدى الشعب كله أنه كان نبيًّا، ومعروفٌ أن المعمدان كان ينادي بمَنْ سيأتي بعده الذي هو أقوى منه وشهد له أنه ابن الله.

31:11-33 «**فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَإِنْ قُلْنَا مِنَ النَّاسِ. فَخَافُوا الشَّعْبَ. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ عِنْدَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَبِيٌّ. فَأَجَابُوا وَقَالُوا لِيَسُوعَ: لاَ نَعْلَمُ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا**».

أوقعهم المسيح في ورطة، فلو قالوا إنها من السماء فإنهم يحسبون في الحال أنهم يقاومون الله لأنهم لم يؤمنوا به، بل ويتحتَّم آنئذ عليهم بأن يعترفوا بسلطان المسيح أنه من الله كون المعمدان اعترف به علناً. والعكس أيضاً مسدود لأنهم لو أنكروا رسالة يوحنا المعمدان أنها من الله تعرَّضوا لامتهان الشعب لأنه معروف لدى الجميع أنه نبي، فهم يخافون الشعب. وهكذا أوقفهم المسيح في موقف العجز بين الخوف من الله والخوف من الشعب، وأجبرهم على التراجع عن سؤالهم اللئيم. فقالوا لا نعرف مُخفيين حقيقة الاعتراف بالمسيح جبراً.

وهنا إنجيل ق. متى يقول بنص ق. مرقس دون زيادة ولا نقصان، أمَّا ق. لوقا فيقول عن رؤساء الكهنة والكتبة ورؤساء الشعب: «فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبيٌّ.» (لو 6:20)

ولكن بعيداً عن سؤال هؤلاء اللئام، ألا ترى يا صديقي القارئ أن المسيح ينسب إلى نفسه صراحة أنه أخذ من الله سلطاناً ونبوَّة وتعليماً؟! فإن عجز هؤلاء الأضداد أن يعترفوا، فالآن أصبح الاعتراف به، بناءً عن شهادته لنفسه، حتمياً. ولكن يُعتقد ـ وهذا واضح ـ أن جماعة السنهدريم هذه كانت تقوم بعملية استجواب بالنسبة لتطهير الهيكل الذي كان بمثابة لطمة على وجوههم.

67 مثل الكرَّامين الأردياء

[12-1:12]

(مت 21: 33-46)

(لو 20: 9-19)

مَثَل رمزي عميق ومتسع يشمل تاريخ الأُمة اليهودية كلها، ويكشف طول أناة الله في معاملة هذا الشعب العنيد غليظ الرقبة قاتل الأنبياء وراجم المرسلين. ويهوه العظيم لم يؤثِّر فيه جحود الشعب وقتل أنبيائه نبيًّا وراء نبيٍّ، لم يثنِه غلظة رقابهم ولا شرّهم المستطير؛ وهم الذين لم يفلت من تحت أيديهم نبيٌّ إلاَّ وأهانوه وفضحوه أو سجنوه وقتلوه، بل تمادى الله في حبه العجيب والغريب لهذا الشعب الذي تبنَّاه لنفسه، أمَّا هو فَلَم يكف عن التمرُّد عليه. ولكن بالنهاية دفع بابنه الوحيد الحبيب ليجني منه ثمراً لحساب أنفسهم فما وجد لهم ثمراً، بل سقوه هو علقماً وأخذوه وصلبوه على رابية خارج مدينته العظيمة أسّ ملكه الزمني المديد. فكان لحظِّهم المشئوم أنه ألغى عهده معهم ونقض وعده لهم ولآبائهم وسحب أرضهم من تحت أرجلهم وشتتهم في أطراف الدنيا، وجاء بأُمة هي خلاصة كل الأُمم وورَّثها ميراثهم وكتب معهم عهداً جديداً ختمه بدمه لا ينقضه الزمان لأنه أزلي كدَمِهِ، وأعطاهم كرم ملكوته ليعملوا فيه كجنتهم الأُولى ولكن لحياة أبدية لا تزول.

1:12 **«وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ بِأَمْثَالٍ: إِنْسَانٌ غَرَسَ كَرْماً وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ حَوْضَ مَعْصَرَةٍ، وَبَنَى بُرْجاً، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ»**.

الكرم: ¢mpelîna

والكرم هنا هو على مستوى إشعياء النبي وعلى مستوى عشق الله لهذا الشعب الفريد العنيد. وهنا يصف إشعياء ما وصفه المسيح خطوةً بخطوةٍ لأن من حُزن الله على شعبه قديماً شرب الابن كأسه حديثاً:

+ «لأنشدن عن حبيبي نشيد محبي لكرمه. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة، فنقَّبه ونقَّى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجاً في وسطه ونقر فيه أيضاً معصرة. فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً رديًّا.» (إش 5: 1و2)

ولكن البقية في الموضوع:

+ «والآن يا سكان أُورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي: ماذا يُصنع أيضاً لكرمي وأنا لم أصنعه؟» (إش 5: 3و4)

ولكن البقية أيضاً في الموضوع:

+ «فالآن أعرِّفكم ماذا أصنع بكرمي: أنزع سياجه فيصير للرعي، أهدم جدرانه فيصير للدوس، وأجعله خراباً لا يُقضب ولا يُنقب فيطلع شوكٌ وحسكٌ وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطراً!!» (إش 5: 5و6)

ولكن البقية أيضاً في الموضوع:

+ «إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذَّته رجال يهوذا. فانتظر حقًّا فإذا سفك دم، وعدلاً فإذا صراخ.» (إش 7:5)

هذا أبلغ ما قال إشعياء والكلام فيه يثير الشجون بل يذرف الدمع الهتون!! لو أردتُ أن أشرحه لأخذ مني كتاباً بل كتابين!! ولكن لا يصعب على القارئ المتأمِّل أن يحس جمال الوحي المقدَّس وواقعية الكلمة النبوية التي اقتطفها المسيح وقدَّمها لنا مثلاً! ظل إشعياء ينتقل بنا من خطوة إلى خطوة وهو يعصر قلبنا عصراً على حبٍ ذوى وعشقٍ تبدَّد. فيهوه العظيم أحب شعباً لئيماً. وأخيراً يقول إشعياء الحزين: «فانتظر حقًّا فإذا سفك دم!!» وصراخاً اصلبه اصلبه!

5-2:12 «ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى الْكَرَّامِينَ فِي الْوَقْتِ عَبْداً لِيَأْخُذَ مِنَ الْكَرَّامِينَ مِنْ ثَمَرِ الْكَرْمِ، فَأَخَذُوهُ وَجَلَدُوهُ وَأَرْسَلُوهُ فَارِغاً. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضاً عَبْداً آخَرَ، فَرَجَمُوهُ وَشَجُّوهُ وَأَرْسَلُوهُ مُهَاناً. ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضاً آخَرَ فَقَتَلُوهُ. ثُمَّ آخَرِينَ كَثِيرِينَ، فَجَلَدُوا مِنْهُمْ بَعْضاً وَقَتَلُوا بَعْضاً»!

بعد بيان إشعياء النبي عن الكرم أنه هو «بيت إسرائيل» والعبيد هم الأنبياء، أمَّا انتظار العنب فهو إفخارستية الشكر والحمد والتسبيح، فما شكروا وما حمدوا وما سبحوا؛ بل كما يقول إشعياء بالحزن إنهم طرحوا عنباً رديًّا: خصاماً ونفاقاً وتهديداً وقتلاً، وأهانوا أنبياء العلي الرسل السابقين أمام مجيء الابن. الأول ضربوه جلداً، والثاني رجموه وشجُّوا رأسه وأرسلوه مهاناً، والثالث قتلوه قتلاً وازدادوا خبثاً وفجوراً فما تركوا له رسولاً إلاَّ ونكَّلوا به.

ولكن هنا العجب على صاحب الكرم من صبره وطول أناته الذي عِلَّتهُ الخفية وسِرُّه الدفين هو حبه لكرمه: «لأنْشُدَنَّ عن حبيبي نشيد محبي لكرمه» وعجبي على حبه هذا الذي لم يزعزعه فساد كرَّاميه!

6:12-8 «فَإِذْ كَانَ لَهُ أَيْضاً ابْنٌ وَاحِدٌ حَبِيبٌ إِلَيْهِ، أَرْسَلَهُ أَيْضاً إِلَيْهِمْ أَخِيراً، قَائِلاً: إِنَّهُمْ يَهَابُونَ ابْنِي. وَلكِنَّ أُولَئِكَ الْكَرَّامِينَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ فَيَكُونَ لَنَا الْمِيرَاثُ! فَأَخَذُوهُ وَقَتَلُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ».

ما استطاعت هذه المهانات كلها أن توقف حب صاحبه الكرم لكرمه، وأخيراً فرَّط في أعز ما لديه لعلَّه يفوز من الكرامين بالولاء فيرعوا حق الكرم عند صاحبه، ولكنهم كانوا قد عقدوا النية أن يعلنوا العصيان ليفوزوا بالكرم ويضمُّوه لميراثهم، فتشاوروا إذ رأوا الوريث وقالوا قد سنحت الفرصة، فقاموا عليه وهوذا صراخ وسفك دم، اصلبه اصلبه، قتلوه! خارج الباب.

العجيب في هذه القصة المثيرة أن المسيح يصف نفسه أنهم قتلوه وهو حي، قدرة عجيبة أن يتكلَّم عن موته وهو قائم، وسفك دمه وهو يتكلَّم بعد! إنها نوع من الإفخارستيا كمساء الخميس: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين» (مر 24:14). فالمسيح له قدرة أن يَرْوي عن آلامه ويصف موته وسفك دمه لأنه كان يعيش الصليب منذ وُلد، بل هو وُلد من أجل أن يعيشه ويموت عليه. إن إشعياء النبي في قوله: «وإذا صراخ وسفك دم» كأنه حضر الصلب وسمع الصراخ ورأى سفك الدم. هكذا الحوادث الإلهية تتخطَّى الزمن، إنها أزلية ككل ما للمسيح.

ولكن لو تأمل القارئ يجد أن هذا المثل إذ يشير إلى إرسال الأنبياء بوضوح ثم إرسال الابن الوحيد المحبوب، فإنما يوضِّح أنه الله الآب، وكما أرسل الأنبياء أرسل ابنه. وهنا رد غير مباشر إنما قوي على سؤال السنهدريم عن «بأي سلطان تفعل هذا» فهنا يوضِّح المسيح أنه مُرسل من الآب كابن وحيد ومحبوب لديه لمهمته العظمى في كرم الآب الذي هو بحسب إشعياء: «والكرم هو بيت إسرائيل» فسلطانه هو من الآب، الله أبيه. فعلى مدى الأجيال كلها أرسل الأنبياء وأخيراً وفي النهاية أرسل ابنه ومعه حكم النهاية الذي ينتظرهم بمجرَّد أن قتلوه وألقوه خارج الكرم.

فهذه القصة وإن كان لها شكل المثل واسمه ولكنها رمزية إلى أبعد الحدود، تجمع التاريخ كله، الأجيال السالفة بأنبيائها ورجاء الله في هذا الكرم الذي أفسدته ثعالب الرئاسات والعلماء والربيين. ويجمع التاريخ في بؤرة عندها ينتهي الماضي بأمجاده الزاوية ويُكْتَب تاريخ الحاضر، لا بحبر وورق بل بدم ابن الله على قلب الإنسان في رحلته عبر المستقبل كما يعبر الطائر الغريب المهاجر إلى وطنه.

والكرامون الذين قتلوا الأنبياء وأهانوهم وذلُّوهم ومرَّروا حياتهم بسبب كلمة الله التي كانوا يُبلِّغونها للعاملين في الكرم، هم رؤساء الكهنة ومَنْ حولهم، هم الذين تلقّفوا الابن الوحيد ليفوزوا بالكرم، إذ من كثرة خداع البصر وطول الممارسة في نهبه ظنوا أنهم أصحابه.

أمَّا هذا الذي جاء ليطلب مُلْكَ بيته وهيكله المقدَّس فأخذ يطهِّره بيديه ليعلن للملأ الأعلى والأدنى أنه صاحب البيت وباني الهيكل، أنكروا عليه قوله وعمله ـ مَنْ أعطاك السلطان. ولما أحسُّوا أنه قد يكون هو قالوا فرصتنا وهو بين أيدينا، خير أن يموت هذا الواحد عن الأُمة ويبقى الكرم لنا بلا منازع، فقتلوه، قتلوه حقًّا وألقوه خارج الكرم. ولكن يا لجهل هؤلاء الذين كانوا يمثلون الحكمة والمعرفة لإسرائيل، لأن الكرم الذي كان في أيديهم ليس هو إلاَّ روح امتياز الأُمة وبقايا حب عارم لشعب تبنَّاه الله! أخطأوا فهمه وظنوه غنىً ومالاً ومظاهر عبادة وهياكل عالية مرصَّعة ومصفَّحة يؤكل من ورائها عيشٌ، فتمسَّكوا بالكرم وأرهقوا روح الأُمة؛ بل أزهقوا روح الوريث. فأقسم صاحب الكرم أن ينزعه من أيديهم ويهدي روحه ومجده وملكوته لأُمة شكَّلها من مختاريه من كل أُمة لترتاح فيها روحه.

والمثير حقًّا للأسى أن هؤلاء الكرامين الرؤساء الأردياء استطاعوا أن يُلوِّثوا روح الشعب وضميره، وزيَّفوا مواهبه في إدراك الحق، وساقوه أمامهم بالإرهاب في موكب صاحب ووضعوا في أفواههم: «اصلبه اصلبه» فاشترك الشعب مطغياً عليه في جريمة الرؤساء ولوَّث يديه وضميره بالدماء وسجَّلوها على أنفسهم وورَّثوها لنسلهم: «دمه علينا وعلى أولادنا» (مت 15:27). وهكذا لم يكتفوا بإشراك الأُمة في جريمتهم بل وخطَّطوا وأحكموا الخطة بذكاء أن يسلبوها حقها وامتيازها في الحياة. يا ويل شعبٍ يعبد رؤساءه ويا ويل الأُمة التي تسلِّم حقها في الحياة لقَتَلَة وسفَّاحين ليحكموا باسم الله والدين!

9:12 «**فَمَاذَا يَفْعَلُ صَاحِبُ الْكَرْمِ؟ يَأْتِي وَيُهْلِكُ الْكَرَّامِينَ، وَيُعْطِي الْكَرْمَ إِلَى آخَرِينَ**».

هنا وصف إشعياء لما يفعله وقد فعله صاحب الكرم، وهو يُغنيني عن الشرح:

+ «فالآن أعرِّفكم ماذا أصنع بكرمي. أنزع سياجه فيصير للرعي. أهدم جدرانه فيصير للدوس وأجعله خراباً لا يُقضب ولا يُنقب فيطلع شوك وحسك، وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطراً.» (إش 5: 5و6)

هذا كله وأكثر ألف مرَّة نفَّذه القائد الروماني تيطس، هدم أسوار المدينة والهيكل ولم يُبقِ فيه حجراً على حجر، وأُفرغت المدينة من ساكنيها وطُرِد اليهود من وطنهم. وها هي إسرائيل اليوم داخت ما يقرب من مائة سنة وهي تبحث عن مكان الهيكل بكل الوسائل الحديثة فلم تعثر له على أثر، لأن تيطس لم يترك لهم إلاَّ جداراً وحيداً الذي أبقاه كجزء من السور ليفتخر به بسبب حجارته الهائلة كيف استطاع أن يهدمها عن آخرها. ويهود العالم يأتون ويبكون

على حائط المبكى. فتمَّت النبوَّة: الأسوار تهدَّمت والهيكل أُزيل من على وجه الأرض وضاعت أمجاده مع معالمه، والبقايا خرائب نبت فيها الشوك. والنبوَّة تصف الشعب الذي تعرَّى من بين كل شعوب الأرض، لا يجمعه مكان ولا تستره غيمة من السماء. فالسماء تخلَّت عن سترها وانقطعت رحمة الله انقطاعاً شديداً قاسياً، وكأن الله أوصى حقًّا غيم رحمته أن لا تمطر من ندى رحمته، فحُرِم الشعب من رحمة الله. وينظر اليهودي الآن إلى حاله ويئن: ‘‘هذا ما جناه عليَّ أبي وما جنيت على أحد’’. وتمَّ عليهم قول الله في القديم: «الآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضَرِسَتْ» (إر 29:31). وهذا المصير الحزين الذي طال وطال وبلغ الآن ألفين من السنين هو ثمن دم!! دم ابن الله الذي يوم سفكوه انقطعت الرحمة عن الشعب وحلَّ عليه غضب الله!

ولا يفوتنا أن المسيح نفسه تنبأ لتلاميذه ماذا سيكون لهذا الشعب بعد صلبه هكذا في إنجيل القديس لوقا:

+ «وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبَكَى عليها قائلاً: إنَّكِ لو عَلِمْتِ أنتِ أيضاً حتى في يومِكِ هذا ما هو لسلامِكِ. ولكن الآن قد أُخفِيَ عن عينيكِ. فإنه ستأتي أيامٌ ويُحِيطُ بكِ أعداؤُك بمترسةٍ، ويُحدِقون بكِ ويُحاصرونَكِ من كل جهةٍ، ويَهدمُونَكِ وبَنِيكِ فيكِ، ولا يَتركون فيكِ حجراً على حجرٍ، لأنك لم تعرفي زمان افتقادكِ.» (لو 19: 41-44)

+ «... هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً.» (مت 23: 37-39)

+ «ومتى رأيتم أُورشليم محاطة بجيوش، فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها ... لأن هذه أيام انتقام ... لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب. ويقعون بفم السيف، ويُسبون إلى جميع الأُمم، وتكون أُورشليم مدوسة من الأُمم حتى تكمل أزمنة الأمم.» (لو 21: 20و22-24)

«ويعطي الكرم إلى آخرين»:

بمعنى أن الامتياز الروحي الذي صاغ به الأُمة اليهودية يرفعه منها رفعاً ويسكبه على آخرين على مستوى نفس الحب والعناية، ولكن هذه المرَّة يُنشئ الأُمة من لحمه ودمه ويسكب عليها روحه فتصير على مستوى جسده. أُمة كلها ملوك وكهنة، شعب مُنتَخَب لميراث سماوي محفوظ:

+ «وأمَّا أنتم فجنسٌ مختارٌ، وكهنوتٌ ملوكيٌّ، أُمَّةٌ مقدَّسةٌ، شعبُ اقتناءٍ، لكي تُخبِروا

بفضائل الذي دعاكم مِنَ الظلمةِ (الأُمم) إلى نورهِ العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً، وأمَّا الآن فأنتم شعبُ الله. الذين كنتم غير مرحومين (الأُمم)، وأمَّا الآن فمرحومون.» (1بط 2: 9و10)

10:12و11 «أَمَا قَرَأْتُمْ هذَا الْمَكْتُوبَ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤونَ، هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا، وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا!».

النص مأخوذ من (مز 22:118) والمعنى عميق ومتصل. فهنا المسيح بصدد تسليم الكرم إلى آخرين والهيكل أمر بهدمه حتى لا يبقى فيه حجر على حجر. فالمسيح كان فيه حجر الزاوية. فكونهم عثروا في حجر الزاوية سقط عليهم وسحقهم وهدم البيت بمَنْ فيه. والمسيح يقرن رفضه كصاحب الكرم برفضهم له كحجر الزاوية. فالحجر المزدرى به والمرفوض صار حجر الزاوية الوحيد لهيكله الجديد. فالمرفوض في القديم صار الأساس في الجديد:

+ «ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف 20:2)

والقديس متى يُضيف على ذلك القرار الأخير: «لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم (الكرم) ويُعطى لأُمة تعمل أثماره» (مت 43:21). وهذا لم يذكره ق. مرقس لأنه تحصيل حاصل في قوله: «ويعطي الكرم إلى آخرين»

كذلك يُضيف القديس متى: «ومَنْ سقط على هذا الحجر يترضَّض، ومَنْ سقط هو عليه يسحقه» (مت 44:21). فالبناؤون الجهلة سقطوا على هذا الحجر بمعنى عثروا فيه، فسقط عليهم وسحقهم: «ماذا يفعل بأُولئك الكرامين؟ قالوا له: أُولئك الأردياء يُهلكهم هلاكاً رديًّا.» (مت 21: 40و41)

12:12 «فَطَلَبُوا أَنْ يَمْسِكُوهُ، وَلكِنَّهُمْ خَافُوا مِنَ الْجَمْعِ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ قَالَ المثَلَ عَلَيْهِمْ. فَتَرَكُوهُ وَمَضَوْا».

الشرح جميل، الشعب السامع فهم تماماً أنه أعطى هذا المثل عليهم، وفهموا تماماً منه أن المسيح مدرك أن رؤساءَ الكهنة والباقين يطلبون قتله. إذن، فالجريمة فاحت رائحتها من ضمائرهم، وإذ أدركوا أن أمرهم قد انكشف للشعب اضطروا اضطراراً أن يتركوه ويمضوا، لذلك قيل أن خوفهم من الشعب عطَّل عملية القبض عليه. كان المسيح دائماً **يتحدَّى** والرؤساء والكتبة **يخافون!**

المناقشة الثانية

مع الفريسيين والهيرودسيين

68 الجزية لقيصر

[13:12-17]

(مـــت 22:15-22)

(لو 20:20-26)

هذه هي المناقشة الثانية مع الفريسيين والهيرودسيين بخصوص ما إذا كان جائزاً إعطاء الجزية لقيصر أم لا. فكانت فخاً لاصطياد المسيح بكلمة يقولها ضد قيصر! فخاً أحكموه للاصطياد على مستوى الدين والوطن. ومن تحديد زمانه ندرك مدى خطورته، فالثورة التي ستُوْدِي بحياة الأُمة وأُورشليم والهيكل بعد أربعين سنة، حيث سيتم تشتيت اليهود في كل أنحاء العالم. إذن، فهو سؤال له عوامل في أنفسهم متأجِّجة وبكلمة واحدة يمكن أن تبدأ الثورة. فالذين تبرعوا بالسؤال هم مشحونون كراهية لقيصر والرومان ونياتهم تتحرَّك نحو الثورة. المسيح أدرك هذا وأدرك خطورة الموقف ولؤم السؤال، وبكلمة أنهى مخططهم إلى خيبة أمل وذهول من إجابة المسيح. فالفخ منصوب له على أساس إن قال نعم يكون معادياً للوطن، وإن قال لا يكون معادياً لقيصر! فقوله: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» يكشف عن حكمة سماوية. وصار هذا المثل قانون الكنيسة في معاملتها مع الدولة، وهو من أبرز الأقوال ذات الأصالة التقليدية المؤكدة والتي على أساسها قدَّم ق. مرقس قصته لتدخل في صميم تعليم الكنيسة.

13:12و14 «ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ قَوْماً مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالْهِيرُودُسِيِّينَ لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ، بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ. أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ نُعْطِي أَمْ لاَ نُعْطِي؟».

بلا مقدمات تاريخية ولا مكانية ولا مناسبات أعطى ق. مرقس هذه الرواية كمناقشة خطرة. فالقصة تبدأ مرَّة واحدة بظهور جماعة من الفريسيين والهيرودسيين لإيقاع الرب في فخ أحكموه لاصطياده بكلمة. ويبدو أن جماعة السنهدريم المقهورين أرسلوهم للانتقام لخيبتهم. والقصة تقليدية راسخة. وق. لوقا يعطي حواشٍ للقصة تبدو مناسبة إذ يقول هنا بعد مواجهة الكرم والكرَّامين:

+ «فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءَون أنهم أبرارٌ لكي يُمسِكُوه بكلمةٍ، حتى يُسلِّموه إلى حُكم الوالي وسلطانه. فسألوه ...» (لو 20:20و21)

السؤال حول الجزية قدموه له بكلمات معسولة موضوعة بحكمة شيطانية، فتملقوه أولاً أنه صادق ¢lhq«j ثم الأخطر أنه لا يبالي بأحد (حتى ولو كان قيصر)، لأنه بسبب صدقه لا ينظر إلى الوجوه prÒswpon (أي الأشخاص) مهما كانت وجاهتها، وأنه يعلِّم طريق الله بحق ¢ll' ™p' ¢lhqe…aj t¾n ÐdÕn toà Qeoà did£skeij وبعد هذه الديباجة بهذا الإطراء والمديح أدخلوه في قلب الفخ فوضعوا له كلمتين لا غير: «نعطي أم لا نعطي؟ dîmen À m¾ dîmen» لكي يشجِّعوه على اختيار أحدهما، وكلاهما من جهنم. ولكن عَلِمَ المسيح بضمائرهم وفخّهم المنصوب وخطر الكلمتين!!

15:12-17 «**فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ اِيتُونِي بِدِينَارٍ لأَنْظُرَهُ. فَأَتَوْا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟ فَقَالُوا لَهُ لِقَيْصَرَ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وما للهِ للهِ. فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ**».

كشف المسيح رياءهم ونيَّاتهم وخبثهم وبدأ يخطِّط لوضع الخيَّة في رقابهم لينطقوا بأفواههم أنه يلزم أن تعطَى لقيصر!! علماً بأن الجزية هذه كانت تُدفع مباشرة لخزينة الدولة الرومانية، ولذلك كانت مكروهة جداً لدى الشعب إذ كانت تُقطع من قوته، ولأنها رمز الخضوع والمذلَّة والإهانة. علماً بأن أي نقود تحمل صورة، أي صورة، وأي اسم غير اسم الله تُحسب نجسة ولا تُقبل داخل الهيكل، فلابد من تحويلها عند الصيارفة بنقود يهودية لكي تصلح لتقديمها عشوراً أو عطية للهيكل.

فلمَّا أُحضر الدينار وسأل المسيح عن صاحب الصورة التي على الدينار ولِمَنْ الكتابة قالوا: لقيصر. ففي الحال أخذها من فمهم هم وحوَّلها إلى نحوهم أن: «اعطوا ما لقيصر لقيصر t¦ Ka…saroj ¢pÒdote Ka…sari وما لله لله» (والهيكل فله ماله). وهنا وضع المسيح بأبسط كلام القانون العالمي الذي يحدِّد اختصاصات الدين بالنسبة للدولة وحدود العلاقة بين الكنيسة والدولة. لكل منهما حق وحقوق ولكل منهما يعطي ما له من حق وحقوق. وكان قيصر وقتها هو طيباريوس قيصر وحَكَمَ من سنة 14 ق. م ـ 37م. وهذا الدينار المذكور في الإنجيل موجود الآن في المتاحف ومكتوب عليه: Tiberius Caesar Divi Augusti Filius Augustus وترجمتها: "طيباريوس قيصر ابن أوغسطس الإلهي، أوغسطس". وعلى الوجه الثاني صورة لأم قيصر وهي

جالسة على العرش وحاملة في يدها اليمنى صولجاناً وفي اليسرى غصن زيتون. علماً بأن الجزية هي على مستوى الدَّيْن الرسمي على الفرد إن لم يؤدِّه يُحسب مُختلساً لمال الدولة.

والمعروف أن الثائر يهوذا سنة 7م رفع عصا العصيان على الجزية ونادى بمنع الجزية وكان له ما كان(1).

وكانت أعظم مشكلة تقابل اليهودي الحر هي كيف يعطي الجزية كعبد لمَنْ سرقوا منه حريته؟ وتُسلَّم الجزية لرجل روماني (وثني) بأمر الناموس؟ إنها معضلة كبرى واجهت الحكيم والجاهل والمعلِّم والساذج والكاهن والشعب جميعاً. وللمهانة كانت تسمَّى ضريبة الرأس Capitularium = ™pikef£laion فكل رأس لرجل أو امرأة أو صبي ملزم أن يدفعها.

وفي القول «**اعطوا**» ليست ترجمة صحيحة للكلمة اليونانية ¢pÒdote فالترجمة الصحيحة ''ادفعوا'' أو ''سدِّدوا''، لأن المسألة ليست أن تُعطِي بحرية، بل بالقانون تَدْفع وتسدِّد وليس لك أن تقول لا. هنا تكمن قوة نطق الكلمة التي قالها المسيح! فالجزية ليست عطية ولكن دين مستحق الدفع لقيصر. وقيصر لا يحسب نفسه مغتصباً حق الشعب بل مستحق الدفع وهو من حقه لأنه مسئول عن حفظ الأمن والسلام في إسرائيل، وهو الذي يدافع عنها ويسهر على مصالحها الداخلية، ويؤمِّن الطرق ضد أي مهاجم أو لص، ويعبِّد الطرق الجديدة، ومسئول عن النظافة العامة وثقافة الشعب وتعليمه، مع ربط إسرائيل بكل البلاد التي حولها بالطرق السريعة المرقَّمة بالأميال والمحمية بمئات الحاميات العسكرية المسلَّحة على طول الطريق. لذلك فحتى قيصر لا يعتبر أن هذه الضريبة على كل رأس تعتبر تدخُّلاً في كرامة العبادة لله. والمال الذي عليه صورة قيصر يُدفع لقيصر إلزاماً وكل واجب منهما متداخل بالضرورة مع الواجب الآخر. ولا مناقضة.

هذه المعاني كلها مستخلصة من كلمة المسيح الأزلية.

والنتيجة أنهم تعجَّبوا!!

(1) **Joseph. *Ant.*, xviii 1,10.**

المناقشة
الثالثة
مع
الصـدوقيين

69 من جهة قيامة الأموات

[27-18:12]

(مـــت 22:23-33)

(لو 20:27-40)

يقدِّم إليها ق. مرقس بمقدِّمة قصيرة من جهة الصدوقيين الذين يقولون إنه لا توجد قيامة. وقدَّموا له ما كتبه موسى من جهة مَنْ يموت ويترك زوجة بدون أولاد فزوجته تكون لأخيه. وهكذا حدث إذ كان هناك سبعة إخوة مات أحدهم وصارت زوجته لأخيه، إلى أن مات الإخوة السبعة، فلمَنْ تكون زوجة في القيامة في السموات؟ وطبعاً الصدوقيون لا يؤمنون أصلاً بالقيامة، فالسؤال هو بنوع من الهزء والسخرية من فكرة القيامة. وهنا بدأ المسيح يشرح أولاً ما هي القيامة وقوتها، وأخيراً قدَّم لهم إثباتاً لوجود القيامة بفم الله في حديثه مع موسى من جهة شخصه إنه إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، إذن، هو إله أحياءٍ وليس إله أمواتٍ. والقصة تحمل طابع التقليد القديم الثابت في الكنيسة. وهنا يضع المسيح أصول البحث والرد من مستوى الأسفار المقدَّسة بأمثال توضيحية وإثباتات قاطعة تنتهي بحقائق لا تُرَد. على أن النقاش في هذه القصة حيّ وشديد، وإعطاء الحقائق عن الله واضحة ومفهومة ومؤكَّدة وعلى مستوى أخلاقي، ومن كلام المسيح تتضح الروحانية الفائقة وقوة وشموخ شخصيته وإفحام معارضيه بقوةٍ تعتمد على أقوال الله.

18:12و19 **«وَجَاءَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الصَّدُّوقِيِّينَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ، وَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، كَتَبَ لَنَا مُوسَى: إِنْ مَاتَ لأَحَدٍ أَخٌ، وَتَرَكَ امْرَأَةً وَلَمْ يُخَلِّفْ أَوْلاَداً، أَنْ يَأْخُذَ أَخُوهُ امْرَأَتَهُ، وَيُقِيمَ نَسْلاً لأَخِيهِ».**

الصدُّوقيون: Saddouka‹oi

الذين يقولون إنه لا توجد قيامة، وهم طبقة تابعة للكهنوت أرستقراطية بمعنى الغنى والتعالي، وهم أقل عدداً من الفريسيين، وكانوا مكروهين ولا يطيعهم الشعب(2). وهم نسل العائلة التي

(2) **Joseph., *Ant.*, xviii, 1-4.**

حكمت إسرائيل دينياً ومنهم يُعيَّن الكاهن الأعظم. وقد ورثوا اسم صادوق الكاهن الذي عاش أيام داود النبي وسليمان (2صم 17:8، 24:15، 1مل 8:1) ويُعرفون بأنهم أولاد صادوق (حز 46:1). وكانوا طبقة محافظة يتمسكون بالأسفار الخمسة ولا ينكرون بقية الأسفار، ولكن لا يأخذون بها، وهم لا يعتقدون بعدم الموت للملائكة والأرواح ولا يؤمنون بسبق الوجود أو الخلود «لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح، وأمّا الفريسيون فيقرون بكل ذلك» (أع 8:23). ومُساءَلتهم للمسيح هي بنوع الحط من قيمته كمعلِّم.

ويستخدمون في سؤالهم سفر التثنية بنوع من عدم الدقة (تث 5:25) الذي كل القصد منه أن لا يُحرم الأخ الميت من ميراث نسله لأرض الموعد كوعد الله: «لكم ولنسلكم من بعدكم»

20:12–23 «**فَكَانَ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ. أَخَذَ الأَوَّلُ امْرَأَةً وَمَاتَ، وَلَمْ يَتْرُكْ نَسْلاً. فَأَخَذَهَا الثَّانِي وَمَاتَ، وَلَمْ يَتْرُكْ هُوَ أَيْضاً نَسْلاً. وَهكَذَا الثَّالِثُ. فَأَخَذَهَا السَّبْعَةُ، وَلَمْ يَتْرُكُوا نَسْلاً. وَآخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضاً. فَفِي الْقِيَامَةِ، مَتَى قَامُوا، لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً؟ لأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِلسَّبْعَةِ**».

هذه القصة تختلق وضعاً شاذاً في تكميل وصية موسى ويظهر فيها تحدِّي المعارضين للوصية والقيامة. والقصد من المعارضة المتخفية للقيامة في سؤال هؤلاء الصدوقيين هو خلق بطلان وسخافة الاعتقاد بالقيامة من الأموات، ووضع حالة الإخوة السبعة والزوجة الواحدة في مفهوم السخافة واختلاق الأوضاع الشاذة. ولكن لو تمشينا مع هذا المنطق السقيم، ففي القيامة كما سيقول المسيح لا يوجد مثل هذه التوافه. فالقيامة حالة مجد تختفي منها العقول المريضة.

24:12و25 « **فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَلَيْسَ لِهذَا تَضِلُّونَ، إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللهِ؟ لأَنَّهُمْ مَتَى قَامُوا مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةٍ فِي السَّمَوَاتِ**».

لقد أجاب المسيح أول ما أجاب على ضلالة مبادئ واعتقادات الصدوقيين وغيرهم إذ نسبها إلى عدم إدراك الكتب إدراكاً روحياً سليماً، وعدم تفتح ذهنهم وإحساسهم بقوة الله الكائنة في الوصايا وتعاليم الأسفار، وهكذا غاب عن الصدوقيين المعرفة الصحيحة بالأسفار وتاهت عنهم قوة الله وفاعليتها في الخليقة.

ففي حقيقة القيامة ضاع من الصدوقيين العنصر الأخلاقي الراقي الذي ترتقي إليه البشرية بانتقالها من الحالة الجسدانية إلى الحالة الروحانية، فتلوث عقلهم واعتقادهم ومعرفتهم بأوضاع الجسد وملذاته وشهواته على الأرض، وانتقلت مع تصوراتهم أنها تجوز أن تبقى في القيامة كما كانت على الأرض، سواء اعترفوا بالقيامة أو لم يعترفوا، لأن سؤالهم ينم عن معرفة ملوَّثة منحطَّة إلى مستوى الجسد وحسب.

وهنا غابت عن معرفتهم قوة الله المنوط بها الانتقال بحالة الإنسان من وضعه الأرضي بعد الموت إلى الوضع العالي والمتعالي بالمجد إلى سماء الله ومجده. وغياب عنصر القوة الإلهية في القيامة عن فهمهم سهَّل على عقلهم الامتزاج بالخرافات والتصورات المنحطَّة، لأن بالموت يفقد الإنسان كل ما له، ولكن بالقيامة يوهب هبة الحياة الجديدة المنزَّهة عن عالم الأموات مع أمجاد وعطايا ومواهب تُسعد الإنسان في حياة أبدية. ولكي يقرِّب المسيح حياة الناس المنتقلين إلى السماء إلى أذهان هؤلاء المتجاهلين حقائق الموت والحياة وصفهم هناك بأنهم يكونون كالملائكة، بمعنى لا أكل ولا شرب ولا زواج، بل ولا حزن ولا كآبة ولا تنهد، بل في نور القداسة يعيشون ويبتهجون.

ويُلاحَظ هنا أن المسيح إنما يصف حالة قيامة الأبرار وهو النموذج الصحيح والبديع والذي يحمل بالحق قوة الله. ويضيف ق. لوقا على مفهوم القيامة:

+ «إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً ... وهم أبناء الله، إذ هم أبناء القيامة.» (لو 36:20)

26:12و27 «وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأَمْوَاتِ إِنَّهُمْ يَقُومُونَ: أَفَمَا قَرَأْتُمْ فِي كِتَابِ مُوسَى، فِي أَمْرِ الْعُلَّيْقَةِ، كَيْفَ كَلَّمَهُ اللهُ قَائِلاً: أَنَا إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ؟ لَيْسَ هُوَ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ. فَأَنْتُمْ إِذاً تَضِلُّونَ كَثِيراً».

ينتقل المسيح الآن من الرد على حالة القيامة كيف وبأي شكل ومؤهلات تكون، ويأتي إلى الحقيقة هل توجد قيامة من الأموات وحياة أبدية؟ وذلك بالنسبة للناموس الذي التجأ إليه الصدُّوقي المنكر للقيامة. والمسيح هنا يلجأ إلى كشف سر أو توضيح حقيقة مختفية في المكتوب حسب النص، فلا تأويل ولا ترميز. علماً بأن نظرة المسيح للناموس هي الآن ودائماً أنه ذو سلطان إلهي. فقول الله لموسى من داخل العُلَّيقة أنا هو إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب يثبت حتماً وبالضرورة أنه إله أحياء، فالله حيٌّ وهو إله أحياء حتماً على مستوى المنطق النظري والعملي معاً. بمعنى أنه الله الذي كان يتعامل مع هؤلاء البطاركة هم عنده الآن يمارسون حبهم معه ويمارس هو حبه معهم ولا يزال هو إلههم، فهي شركة مع الله هنا وتمتد أقوى وأشد هناك وإلى الأبد. والعهد القديم يقوم على هذه

الحقيقة أن العبادة والتقرب من الله هي حياة شركة مع الله. ومن هنا نشأت بالضرورة حقيقة عدم الموت أي عدم الفناء، لأنه حقًّا وبالحقيقة يستحيل أن يكون الله إله أموات أي إله العدم، فهو مصدر الوجود الحي، والوجود الحي استحالة أن يفرغ من أمامه. لذلك وبالتالي واجه الصدوقيين بأنهم بهذا وعلى هذا يضلون كثيراً.

ومن الواقفين يسمعون كان بعض الكتبة الذين لم يطيقوا السكوت أمام هذا الشرح الإلهي البديع فبادروا الرب قائلين:

+ «يا معلِّم حسناً قلت! ولم يتجاسروا أيضاً أن يسألوه عن شيء.» (لو 20:39و40)

المناقشة الرابعة

مع واحد من الكتبة

70 أيَّة وصية هي أول الكل

[34-28:12]

(مـــت 22:34-40)

(لو 25:10-28)

هي رواية حوار وليست مجرَّد مناقشة كالسابقة، إذ هنا كاتِبٌ يسأل للاستفسار والمسيح يرد للمنفعة، وينتهي الحوار باستحسان الطرفين كل للآخر، فالكاتب استحسن قول المسيح والمسيح استحسن سلوك الكاتب، ولذلك هي من القصص الهادئة النادرة التي تُحسب للتعليم. والكاتب هنا يسمَّى ناموسياً.

ونرى هنا تدرُّجاً بديعاً نسَّقه القديس مرقس في إنجيله بذكاء وحذق بارعين، فالنقاش الأول كان مع أعضاء المجمع، والثاني مع فرِّيسي، والثالث مع صدُّوقي، والرابع مع كاتب، ولو أنهم ليسوا كلهم شِيَعاً، فالكاتب زميل الفريسي. ولكن اختيار هذه الفئات يعطي تنوعاً لطبيعة الأسئلة التي كانت أجوبتها من فم المسيح تغطِّي منهج الفكر وترد على الأسئلة. والناموسي هنا وإن كان أراد في نفسه أن يمتحن المسيح إلاَّ أنه أصاب في شرح الجواب الذي أعطاه المسيح، وهو يحمل روح المودَّة وليس كالباقين، وقد اعتبره المسيح ليس بعيداً عن ملكوت الله وذلك بفهمه الصحيح للناموس.

والكاتب يدرك أن فرائض الناموس مقسَّمة بين الثقيل والخفيف، فقد قسَّموا الناموس إلى 248 أمراً أو وصية، و365 منعاً أو تحذيراً، ولكن تحديدها دخل دور النقاش. فالكاتب هنا جاء يطلب أساس التقسيم، والسؤال لا يتجه ناحية وصية واحدة ولكن أي الوصايا هي الأُولى أو الأعظم أو الأهم، بنوع التقسيم.

28:12 «**فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ. فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَناً، سَأَلَهُ: أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟**».

هنا هذه القصة مرتبطة بسابقتها، والكاتب فيها يهدف إلى التقييم بالنسبة للوصايا، أية وصية أعلى وأعظم من الباقي. وقد أجاب هو نفسه إجابة كمَّل بها أو برهن بها صحة قول المسيح بصورة

ذكية جداً كما سنرى. وقد ظهرت مودَّة هذا الكاتب في الآية (32) القادمة – وقد أبرز ق. مرقس رد الكاتب لأنه يُفيد الكنيسة والقارئ. علماً بأن الناموسي – وهو الكاتب المختص بتقييم الناموس nomikÒj – يحمل العداوة للمسيح بحسب مهنته، ولو أنه جاء ليختبر المسيح. وهذا يهم ق. مرقس جداً، لأن الإنجيل في النهاية سيخرج بغنيمة تعليمية. ولكن ميل الكاتب نحو المسيح واستحسانه ضيَّع الفرصة على ق. مرقس إذ لم يخرج بشيء للتعليم، ولكنه رضي بالقصة كلها كونها تقليداً ثابتاً أمامه وأظهر أمانته للتقليد أكثر من الخروج بجديد.

والقديس لوقا في إنجيله ضمَّ سؤال الناموسي إلى سؤال الشاب الغني وأخرج منهما قصة، ولكن عدَّل فيها إجابة المسيح لتكون بحسب إنجيله: «وإذا ناموسي قام يجرِّبه قائلاً: يا معلِّم، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟» (لو 25:10). ولكن بحسب تقليد ق. مرقس الأكثر صحة: «أية وصية هي أول الكل» وهي تتناسب مع الناموسي، أمَّا: «ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟» فهي تتناسب مع الغني. ومن هنا يظهر قوة ودقة وصحة تقليد ق. مرقس. علماً بأن ق. لوقا كان يكتب عن تقليد الكنيسة آنئذ وقد كان قد تطوَّر قليلاً بسبب التعليم والشرح.

12: 29و30 «**فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ.هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى**».

كان على هذا الكاتب المتعلِّم أن يتلو كل يوم مرتين النص الذي يشرح له المبدأ الذي يريد أن يتعلَّمه، وهو أول كل الوصايا. وهذا المبدأ هو محبة الله الموجودة في النص المدعو "الشِمَاع" من أول كلمة فيه:

+ «اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك.» (تث 5:6)

وهذه أيضاً مذكورة مرَّة وراء مرَّة في سفر التثنية، وهي التي تُحسب أساساً ودليلاً لقيادة الإنسان وسلوكه، حيث تظهر هذه الوصية الأُولى على الكل:

+ «فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك، إلاَّ أن تتقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه، وتحبه، وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك.» (تث 12:10)

+ «**فأحبب الرب** واحفظ حقوقه وفرائضه وأحكامه ووصاياه كل الأيام.» (تث 1:11)

+ «فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم **لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم**.» (تث 13:11)

+ «لأنه إذا حفظتم جميع هذه الوصايا التي أنا أوصيكم بها لتعملوها. **لتحبوا الرب إلهكم وتسلكوا في جميع طرقه وتلتصقوا به.**» (تث 11:22)

+ «لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل **تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم.**» (تث 13:3)

+ «إذ حفظت كل هذه الوصايا لتعملها كما أنا أوصيك اليوم: **تحب الرب إلهك وتسلك في كل طرقه.**» (تث 19:9)

+ «ويختن الرب إلهك قلبك وقلب نسلك **لكي تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك لتحيا.**» (تث 30:6)

+ «انظر، قد جعلت اليوم قدَّامك الحياة والخير، والموت والشر، بما إني أوصيتك اليوم **أن تحب الرب إلهك** وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا.» (تث 30: 15و16)

+ «**قد جعلت قدَّامك الحياة والموت، البركة واللعنة فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك.**» (تث 30: 19و20)

ولكن الذي قاله الرب كان مختصراً كما جاء في (تث 6:4) وما بعده: والذي يسمَّى "**الشِمَاع**" أي "اسمع":

+ «**اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا ربٌّ واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك**». وتكملتها «ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم **على قلبك وقصَّها على أولادك وتكلَّم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم. واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك.**» (تث 6: 4-9)

وقد اجتهدنا أن نقدِّم للقارئ توضيحاً للآية الأُولى أو العظمى التي اختارها المسيح لتكون أول كل الآيات.

وفي الحقيقة يا عزيزي القارئ إن مجرَّد قراءة هذه الصور المتعدِّدة للوصية الواحدة «تحب الرب إلهك» تعطي الإنسان معنى الآية الأُولى والعظمى حقًّا، ومقدار إلحاح الله لكي يغرسها في قلوب الشعب بكل الإمكانيات والتوصيات والوسائل، وقد ختمها بقوله: «تحب الرب إلهك وتسمع لصوته **وتلتصق به لأنه هو حياتك» !** (تث 30:20). فالذي نستمد منه الحياة يتحتَّم أن نبادله الحب. وجاء العهد الجديد واكتشفنا أعجب عمل عمله الله لكي يوضح لنا أنه لا يشحذ منَّا الحب؛

بل «**هو أحبنا أولاً**» (1يو 19:2) كقول القديس يوحنا الرسول، ودفع ثمن حبه حياته: «**أحبني وأسلم نفسه لأجلي**.» (غل 20:2)

من هنا نفهم لماذا هذا الإلحاح في وصية تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك في القديم، ولماذا هذا التأكيد الذي يجعل المحبة تمتلكنا قلباً ونفساً وقدرة، ونُستعبد لها عبودية. لقد كتب موسى هذه ''الشِمَاع'' بكل التزاماتها وبكل تأكيد لتملأ القلب والنفس وكل القدرة، لأن الله عارف بأنه سيبذل حياة ابنه للنسل القادم، فها هو يهيئ الآباء الأُول أن يعدّوا أنفسهم والنسل لمحبة الله الفائقة القدر. ويُلاحِظ القارئ أن ذكر المحبة يأتي ودائماً معها السلوك، فالمحبة ليست عاطفة وحسب بل أخلاقاً، أُظهر محبتي بأعمالي وأقوالي وسكوتي، بل وفي نومي ويقظتي ومسيري وجلوسي!! أي سلوكي مع الناس ونفسي والله!

لذلك نحن العابدين العاشقين أدركنا حقًّا وبالحقيقة أن الله خلقنا لنحبه!! وبذل ابنه الوحيد للموت، موت الصليب، لنعلم أنه يحبنا!!

لقد كان ق. مرقس العجيب هو الوحيد الذي كتب مطلع الشِمَاع باليوناني:

”Akoue, 'Isra»l, KÚrioj Ð qeÕj ¹mîn KÚrioj eŒj ™stin.

والذي يأتي بعد هذه الكلمات هو الرباط بالواحد وحده، فمحبة هذا الواحد تربط الواحد بالواحد وهو قصد الخالق فيما خلق، لكي لا يعيش الخالق وحده ولا يعيش المخلوق وحده، إنها الوحدة التي لما خرقها آدم خرج من أمام الله وتفتت، وفي تفتته فُتّ عضده وانتهى أمله وخاب عمله. وها هو الابن الوحيد المحبوب حامل حُبَّ الله يأتي ويضُمُّ الفتات ليضُمَّ الإنسان الذي انقسم على ذاته، يَردُّه إلى ذاته ليوحِّده في نفسه، بأن يتحد به!! الواحد اتحد بالإنسان المنقسم المتفتت فضمَّه إلى نفسه ليتوحَّد فيه وبه ومعه!!

+ «أنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو 20:14)

+ «والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه.» (يو 21:14)

+ «**ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا!!** ليؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، **ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحدٌ**. أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا **مكمَّلين إلى واحد**، وليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني.» (يو 17: 21-23)

ثم لماذا من كل القلب والنفس والقدرة؟ لأن المحبة تملك زمام الشخصية بأجمعها، تجرف أمامها القلب والنفس والقدرة، لذلك هي تنبع من كل قوى الإنسان إذا نبعت!! فإذا نبعت استحال عليك أن تحدِّد مما تنبع، لأنه محال أن يميِّز الإنسان ويفرِّق ويفرز ويحدِّد ملكاته ومراكز قدراته. ولكن المطلوب أن نصمِّم ونستوثق من استجابة كل كياننا للحب الصادر من الأعماق نحو الله استجابةً كلِّية. ومن العسير أن يكرر الإنسان هذه الاستجابة لأي إنسان مهما قال ومهما ظنَّ ومهما كتب الأسفار وجرى وراء الخيال، فلا يُحِبّ الذات إلاَّ خالقها ولا تملك الذات أن تعطي كليتها إلاَّ لصاحبها!! إذن، فوصية الله أن يُحب من كل القلب والنفس والقدرة هي مطالبة بالذي له فينا، فإذا استجبنا أعطيناه الذي له وأحسسنا أن لا دين علينا، بل وعُدنا نستمد وجودنا من الذي يتملَّك على وجودنا.

لله دَرُّك يا مرقس، لقد رفعتنا معك وألقيتنا في حضرة الله. لقد أفردت لنا بقصة هذا الكاتب الذي اقترب من ملكوت الله تعليماً عن المحبة هو تماماً كما قاله الله في العهد القديم، إن تقرير المحبة لله من عدمها هو تقرير يفصل بين الموت والحياة:

+ «قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك **إذ تحب الرب إلهك**.» (تث 30: 19و20)

31:12 «**وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ**».

والآن بعد أن أوضح المسيح للكاتب الوصية الأُولى على كل الوصايا، بدأ يوضِّح له ما تحويه هذه الوصية الأُولى بالضرورة الحتمية وإلاَّ لا تصبح الوصية الأُولى «إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب ... ولنا هذه الوصية منه أن مَنْ يُحب الله يحب أخاه أيضاً» (1يو 4: 20و21). فالوصية الثانية محتواةٌ داخل الوصية الأُولى. وقد أوردها سفر اللاويين واضحة: «لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك **بل تحب قريبك كنفسك**» (لا 18:19). وقد أدخلت الكنيسة الأُولى الوصيتين معاً جنباً إلى جنب وهي مسجَّلة في الديداخي (2:1) هكذا:

[هناك طريقان: طريق الحياة وطريق الموت والفرق بين الاثنين عظيم، وطريق الحياة يتحقق إذا أنت التزمت بالآتي: أحبب ربك الذي خلقك وأحبب قريبك مثلما تحب نفسك. (انظر: تث 5:6، مت22: 37-39)].

ولكن اليهود اتخذوا من قول سفر اللاويين «لا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك» فرصة ليبغضوا ويقتلوا حلالاً من غضبوا عليه من الأُمم! من هنا جاء السؤال اليهودي اللئيم: «وأمَّا

هو فإذ أراد أن يبرِّر نفسه (أن لا يحب الناس) قال ليسوع: ومَنْ هو قريبي؟» (لو 10:29)، فأعطى المسيحُ قصة وكانت نتيجة القصة أن ظهر أن السامري هو الوحيد الذي يُحتسب قريب اليهودي، وهو أُممي عدو ومكروه!!

من هذا يتبيَّن أن محبة القريب بديهية لمنْ يطلب محبة الله، فمحبة الله هي الأهم ولكن الأهم يحوي المهم!! وعلى مدى التاريخ اليهودي حاول مئات من الربيين والعلماء اليهود المعتدلين أن يلمسوا من بعيد محبة القريب، وظلَّت مغلَّفة بغلاف التعصب العنصري اليهودي الذي حاول المسيح أن يكسره بإعطاء مثل السامري الصالح الذي أنقذ حياة يهودي كنموذج لمحبة القريب. ولكن في الحقيقة أول مَنْ أوقف محبة القريب على محبة الله وجعلها ملتصقة بها هو المسيح! إذ جعلهما واجب المسيحي الأول أمام الله والعالم. وهكذا بنى أجمل وأقوى أساس لحياة المجتمع البشري إذ أخلاه من العداوة لأي سبب كان بأن أعطى وصية **محبة الأعداء**، وبهذا أنهى على كلمة العداوة من قاموس الإنسان المهذب بالنعمة وزرع موضعها المحبة، المحبة التي تحتمل كل شيء وتصبر على كل شيء ولا تسقط أبداً!! وهكذا وسَّع المسيح من دائرة معنى القريب حتى جعلها تشمل العدو!! فألغى العداوة، لا كأنها بمجرد كلمة، بل بسفك دمه على الصليب ليصالح الإنسان بالإنسان ويجعل الاثنين واحداً. قاتلاً العداوة بالصليب! (أف 2:16)

فلو تطلعنا إلى مستوى وصية محبة القريب بلا حدود أو تحفظ، ثم أدخلنا معها محبة العدو، تبدو الوصية صعبة، صعبة جداً وكأنها تتحدى الذات! فكيف أحب عدوي إلاَّ إذا ألغيت ذاتي، نعم هذا حق. ولكن لم يعط المسيح الوصية الصعبة إلاَّ وهو يستمد صحتها من مصدر أصعب، فقد ذُبح المسيح على الصليب ليصالح الإنسان بالله، ويصالح الإنسان بأخيه الإنسان، فالمسيح قدَّم حياته ثمناً لهذه الوصية وهو بالتالي واقف من ورائها يزكيها بدمه وروحه، فهذه هي وظيفته الأُولى والعظمى أن يصالح العالم لله ويرفع العداوة من قلب الإنسان.

12: 32و33 «**فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: جَيِّداً يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ**».

هذا الجزء من الرواية اختص به ق. مرقس دون كل من ق. متى وق. لوقا حيث يتدخَّل الكاتب في الكلام ويمتدحه ويمتد به ليؤكِّد أولوية محبة الله والقريب فوق المحرقات والذبائح.

ويُلاحَظ هنا أن الكاتب استبدل كلمات بكلمات تناسب تفكيره، ولكن لا يُفْهَم أن الكاتب أراد أن يلغي المحرقات والذبائح فهو لم يقل إلاَّ ما قاله الوحي على فم هوشع النبي:

+ «إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات.» (هو 6:6)

34:12 «فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ، قَالَ لَهُ: لَسْتَ بَعِيداً عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ. وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدَ ذلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ!».

«لست بعيداً عن ملكوت الله»:

التصوير هنا لملكوت الله أنه على مسافة قريبة، ولكن اللغة لا تفي بالمعنى، فملكوت الله هو دائرة عمله ووجوده ومشيئته وحكمه الأعلى الفائق، وهذا يتناسب مع تفكير الكاتب وإجابته التي من كلام الله ومناسبة لحكم الله. فهنا التقارب ليس زمنياً على الإطلاق، فلا هو في الحاضر ولا هو في المستقبل أي اسخاتولوجي كما يظن بعض العلماء، ولكنه اقتراب رؤية وإحساس وحكم، ذلك في حاضره هو ولا نعلم ماذا سيكون بعد ذلك من جهة تفكيره وحكمه وتمسُّكه بكلمة الله. فالذي قاله المسيح هو من واقع ما له الآن وليس من واقع ملكوت الله، فهو الآن قريب بسبب تعقُّله وحكمه الصحيح، وهو بأقواله أصبح في متناول اليد «اقترب ملكوت الله» (مر 15:1)، ولكن لا تزال الحاجة إلى «فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر15:1). هذا هو الذي تبقَّى للكاتب العاقل، أي تجاوز المسافة الإيمانية والروحية الباقية بينه وبين الملكوت: "الإيمان بالإنجيل" مع توبة مناسبة للهدف، فهو على العتبة ولكن الدخول خلال الباب لا بد له من الإيمان بالمسيح. هذه هي تورية المسيح بقوله لست بعيداً عن ملكوت الله، لأنه بالفعل اقترب من فكر المسيح وحكمه؛ ولكن وكأنما المسيح يدعوه للإيمان، هذا هو الذي تبقى له من الرحلة نحو الملكوت.

ولينتبه القارئ لاعتراف الكاتب، فقد اعترف بكل مقومات الإيمان الصحيح اليهودي ولم يَعُدْ باقياً إلاَّ قبول الخلاص، وهو بعينه قبول الملكوت. ولكن قوله: «يا معلِّم» فقط ينقصها "ربي".

إلى هنا تمت الأربع مناقشات التي قدَّمها ق. مرقس بقصصها في تتابع مترابط لعرض أهم مواضيع المعرفة للكنيسة من خلال فكر يهودي متعصب غاضب، يصحِّحها المسيح ويعطي لها الفكر الإلهي والكنسي المناسب لتُحفظ في خزانة الإنجيل مرجعاً إلهياً كثير الثمن للباحثين عن الحق والملكوت.

ويختمها ق. مرقس بمناقشة خامسة يفتتحها المسيح بنفسه ويطرح فيها لقبه التاريخي ويترجمه بلقبه الإلهي.

المناقشة الخامسة

مناقشة يبدأها المسيح نفسه

71 ابن داود كيف يكون رب داود

[12:35-37]

(مت 22:41-46)

(لو 20:41-44)

جاء الناقدون للمسيح وكلٌّ بسؤال في فمه، والآن جاء دور المسيح ليطرح سؤاله المستيكي ـ أي السري ـ ليختم به ق. مرقس صفحة المناقشات.

يوجِّه المسيح هنا سؤاله إلى الشعب عامة، ولكن ق. متى يقول إنهم كانوا فريسيين مجتمعين، أمَّا ق. لوقا فيطرح السؤال دون تخصيص السامعين. طرح المسيح سؤاله: كيف يُقال إن المسيح ابن داود؟ ولم يُرد أن يعلِّق من طرفه لا بالإيجاب للصحة ولا بالنفي للتخطئ ولكنه يلقي العبء على كل مَنْ يقول بهذا إن المسيح هو ابن داود. فهنا مراجعة للتاريخ وتوعية للمتمسكين بالتاريخ في هذا الشأن لينتبهوا. لا يقصد من سؤاله أن يحيِّرهم، ولكن في الجواب لو أوتي لهم أن يفهموه يكونون قد فهموا المسيح الواقف أمامهم. فالكتبة قدَّموا شرحهم أن المسيَّا ابن داود على أساس أنه سيكون هو المسيَّا، المسيح لا يمانع بل يرحِّب بهذا، ولكن الذين يقولون بهذا كيف يشرحون بعد ذلك باقي المزمور؟

هذا يكشف لنا ما كان يدور في قلب المسيح حينما طرح سؤاله حسب إنجيل ق. مرقس: «كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود؟» (مر 12:35)، وفي إنجيل ق. متى يخاطب الفريسيين: «ماذا تظنون في المسيح؟ ابن مَنْ هو؟ قالوا له: ابن داود» (مت 22:42). أمَّا ق. لوقا فقالها دون تخصيص.

وحينئذ طرح بقية سؤاله كما ورد في إنجيل ق. مرقس: «لأن داود نفسه قال بالروح القدس: قال الرب لربي: اجلس عن يميني، حتَّى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فداود نفسه يدعوه ربًّا. فمِنْ أين هو ابنه؟ وكان الجمع الكثير يسمعه بسرور» (مر 12:36و37). وفي إنجيل ق. متى يطرح السؤال نفسه هكذا: «فإن كان يدعوه ربًّا، فكيف يكون ابنه؟» (مت 22:45)

وعلى سؤال المسيح ذي الاستعلان الإلهي الواضح لم يستطع أحد أن يرد: «فلم يستطع أحد أن

يجيبه بكلمة.» (مت 46:22)

35:12 «**ثُمَّ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ: كَيْفَ يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ؟**».

يقدِّم القديس مرقس هنا تعليماً للمسيح قائماً بحد ذاته غير معرَّف زمنياً ولا مكانياً، وليس له اتصال بما سبق، فهي قصة مدوَّنة في التقليد بكلماتها دون أن يتدخَّل في شرح أو تعليق كعادته، في حين أن ق. متى يعطيها لوناً فريسياً بقوله: إنهم كانوا مجتمعين (مت 41:22). ولكن في كل من إنجيليْ ق. مرقس وق. لوقا لا يُذكر لمنْ ألقى المسيح سؤاله، ولكن كل ما هو معروف أن هذا كان في الهيكل والمسيح يعلِّم، فهو يتبع تعاليم أُورشليم. وقد تضافر العلماء على إنكار أن المسيح ابن داود وأن المسيح نفسه هنا ينكر هذا النسب، وهذا افتراء! فإليك النبوات:

+ «لأنه يولد لنا ولد، ونُعطى ابناً، وتكون الرئاسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية **على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها**.»(إش 9: 6و7)

+ «ويخرج قضيب من **جذع يسَّى وينبت غصن من أصوله** ويحل عليه روح الرب ... ويكون في ذلك اليوم أن **أصل يسَّى** القائم راية للشعوب إياه تطلب الإمم.» (إش 11: 1و2و10)

+ «ها أيام تأتي يقول الرب **وأُقيم لداود غصن بر فيملك** ملك وينجح ويجري حقًّا وعدلاً في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً وهذا هو اسمه الذي يدعونه به **الرب برّنا** (أي هو ابن داود وهو الرب برّنا بآن واحد!!).» (إر 23: 5و6)

+ «وأُقيم عليها راعياً واحداً فيرعاها عبدي داود هو يرعاها وهو يكون لها راعياً. وأنا الرب أكون لهم إلهاً **وعبدي داود رئيساً في وسطهم**. أنا الرب تكلَّمت.» (حز 34: 23و24)

+ «**وداود عبدي يكون ملكاً عليهم** ويكون لجميعهم راعٍ واحد ...» (حز 24:37)

+ «وجدت **داود عبدي**، بدهن قدسي مسحته الذي تثبت يدي معه أيضاً ذراعي تشدِّده ... **وهو يدعوني أبي أنت**. إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً **أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض** ... وأجعل إلى الأبد نسله **وكرسيه مثل أيام السموات**.» (مز 89: 20و21و26و27و29)

وفي وجه هذه الشواهد يصبح من المستحيل إنكار أن المسيح هو ابن داود أو أن المسيح بهذا الكلام يهاجم تعليم الكتبة. فالمسيح واثق من بنوَّته لداود والكنيسة أخذت بهذا التأكيد والإنجيل

ملآن بهذا الاعتراف.

12:36و37 **«لأَنَّ دَاودَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدسِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي، حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ. فَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَدْعُوهُ رَبَّاً. فَمِنْ أَيْنَ هُوَ ابْنُهُ؟ وَكَانَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ يَسْمَعُهُ بِسُرُورٍ»**.

ليس بالضرورة هذا المزمور بالذات، بل في كل المراجع أعلاه واضح أن المسيح ابن داود ورب داود. وهنا المسيح يلفت النظر أنه لا يستقيم أن يكون المسيح ابناً وربًّا لداود إلاَّ على أساس التجسُّد، فهو ابن داود من جهة الجسد ـ كما يقول ق. بولس ـ ولكنه تعيَّن ابنًّا لله بالقيامة من الأموات، وبالتالي صار ربًّا لداود ولكل العالم. فهنا أراد المسيح أن يؤكِّد لقبيه: ابن الإنسان، وابن الله؛ وصفتيه: الإنسان، والله؛ وَعمَليه: الصلب، والقيامة؛ الميت، والحي بآن واحد؛ حامل الخطية، وغافرها؛ المحكوم عليه، والديان. وهذه الحقائق عينها تُلزم إلزاماً أن يكون المسيح ربًّا لداود وهو ابنه بالتجسُّد. فالمسيح لم يعلن حقيقة أنه رب لداود وابنه على فراغ أو من فراغ، فالنبوات تحكي والروح يوثِّق والتاريخ يسجِّل صاغراً.

72 تحرَّزوا من الكتبة

[12:38ـ40]

(مت 23:1ـ36)

(لو 20:45ـ47، 11:37ـ54)

يقدِّم ق. مرقس لهذا الموضوع باختصار شديد، في حين أن إنجيل ق. متى أفرد لهذا الموضوع أصحاحاً كاملاً. لذلك فأقوال ق. مرقس هنا تُعتبر مجرَّد ملخص إذا قيست بما جاء في إنجيل ق. متى. ولو أن القديس مرقس كان قد تعرَّض لأفكارهم في مواضع أخرى، ولكنه هنا يركِّز على سلوكهم وأعمالهم.

وفي التعرُّض لأحوال الكتبة المحسوبين أنهم خلاصة علماء ودكاترة اللاهوت عند اليهود يتضح لنا مدى رفض المسيح القوي لكل الربيين، بل ويتضح أيضاً مدى انزعاج روح المسيح بل والكنيسة من سلوكهم. حيث بلغ الطريق إلى المصادمة نقطة اللارجعة. وفي هذا لا يكفي أن نرجع فقط إلى

إنجيل ق. مرقس بل إن التعرُّض الذي سجَّله ق. متى من المسيح ضد الكتبة والفريسيين لم يعد يطيقه الزمن الذي أخذ يسرع إلى ختام المأساة.

ونجد لزاماً علينا أن نعطي صورة لما قاله المسيح بخصوص الكتبة والفريسيين الذين خطَّطوا منذ بداية خدمة المسيح لوضع نهاية لحياته على الأرض.

قال المسيح:

+ «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تُغلقون ملكوت السموات قدَّام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون!

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلَّة تُطيلون صلواتكم. لذلك تأخذون دينونة أعظم.

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تطوفون البحر والبرَّ لتكسبوا دخيلاً واحداً، ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً!

ويل لكم أيها القادة العميان ... أيها الجهَّال والعميان.

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تعشِّرون النعنع والشبث والكمون، وتركتم أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان.

أيها القادة العميان، الذين يصفُّون عن البعوضة ويبلعون الجمل!

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة، وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة!

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تشبهون قبوراً مبيَّضة تظهر من خارج جميلة، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم أيضاً: من خارج تظهرون للناس أبراراً، ولكنكم من داخل مشحونون رياءً وإثماً!

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزيِّنون مدافن الصديقين، وتقولون: لو كنَّا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء! فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم.

أيها الحيات أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم؟» (مت 23: 13-33)

12: 38-40 «وَقَالَ لَهُمْ فِي تَعْلِيمِهِ: تَحَرَّزُوا مِنَ الْكَتَبَةِ، الَّذِينَ يَرْغَبُونَ الْمَشْيَ بِالطَّيَالِسَةِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ، وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ، والْمُتَّكَآتِ الأُولَى فِي

الْوَلاَئِمِ. الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، وَلِعِلَّةٍ يُطِيلُونَ الصَّلَوَاتِ. هؤُلاءِ يَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ».

الكلام هنا يشرح نفسه ولا مزيد عليه من التعليق، ولكن ليس عبثاً سلَّم المسيح الكنيسة هذا الكم الهائل من الويلات التي تنصبّ على مَنْ كانوا يسيرون بسيرة هؤلاء الكتبة والفريسيين في كنيسة الله.

وقد اعتنى القديس مرقس بأن يلخِّص فضائح هؤلاء الكتبة ويسلِّمها لتقليد الكنيسة لتقيس عليها سلوك أبنائها ورؤسائها ومعلِّميها. ولا نخرج عن الحقيقة إذا قلنا إن ذرية الكتبة والفريسيين لا تزال تعيش في كنيسة المسيح، ضاربين ويلات المسيح عرض الحائط، وهم يتمِّمون محذورات السلوك هذا بكل جرأة إن لم يكن بافتخار. وإلى هنا يتعطَّل القلم مني.

73 المرأة التي ألقت في الخزانة كل معيشتها

[12:41-44] (لو 21:1-4)

هذه القصة خاصة بالقديس مرقس ولكن أخذها عنه ق. لوقا، ويأتي موقعها بعد المناقشات الخمس، والمسيح في الهيكل في رواق سليمان وهو متطلع إلى الخزانة التي في رواق النساء. ولكن واضح أيضاً أن ق. مرقس دسَّ هذه القصة هنا مباشرة بعد قوله عن الكتبة إنهم يأكلون بيوت «**الأرامل**»، فاتجه ق. مرقس لهذه **الأرملة** وقصتها في التقليد التي تأخذ بمجامع القلوب. وفي الواقع تأتي هذه الأرملة الفقيرة شديدة السخاء في مقابل الكتبة الأغنياء شديدي النهب والسلب حتى لبيوت الأرامل.

وكان في بيت النساء ثلاث عشرة خزانة، فتحاتها على شكل الطبلة لكي يُكتب عليها الغرض الذي قدَّم لأجله صاحب العطية. هذا المكان كان يسمَّى الخزانة. والقصد من القصة الذي من أجله سجَّلها ق. مرقس للكنيسة هو إعطاء تعليم عن أهمية العطاء دون النظر إلى حالة الإنسان من غنىً أو فقر.

41:12 «**وَجَلَسَ يَسُوعُ تُجَاهَ الْخِزَانَةِ، وَنَظَرَ كَيْفَ يُلْقِي الْجَمْعُ نُحَاساً فِي الْخِزَانَةِ. وَكَانَ أَغْنِيَاءُ كَثِيرُونَ يُلْقُونَ كَثِيراً**».

كان وجه المسيح متجهاً ناحية الخزانة، وأخذ يراقب الذين يضعون عطاياهم في الخزانة الملتصقة

بالحائط، ويبدو أن الذين كانوا يلقون بعطاياهم كانوا يعلنون للكاهن أمين الخزانة عن الأمور التي من أجلها يضعون العطايا، وكل شيءٍ منظورٌ ومسموع. ويبدو أن هذه البيانات سقطت من القصة بالتداول. لأن القصد من القصة هو القول الذي قاله المسيح وحسب.

وكان الأغنياء يلقون الفضة أمَّا الفقراء فكان لهم خزانة خاصة يلقون فيها النحاس.

42:12 «**فَجَاءَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيرَةٌ وَأَلْقَتْ فَلْسَيْنِ، قِيمَتُهُمَا رُبْعٌ**».

أرملة فقيرة: الاسم واللقب يثير في النفس الإشفاق والتأثر الشديد، فحياتها عوز وكفاح.

والفلس هو أصغر عملة نحاسية متداولة بين الشعب وقيمتهما نصف الربع، والربع بالإنجليزية نصف بنس. وهنا نلاحظ اهتمام ق. مرقس كيف حوَّل قيمة الفلسين إلى العملة الرومانية الصغيرة المقابلة kodr£nthj وهو النطق اليوناني للأصل اللاتيني quadrans. ومن هذا ننتبه أن ق. مرقس كتب إنجيله للأُمم ولغته أصلاً كانت من يونان شمال إفريقيا: كيريني، فهو درس اليونانية واللاتينية، لذلك لاحظ العلماء أن لغته مدرسية classical وهي تختلف نوعاً عن طابع لغة الأناجيل الأخرى.

43:12و44 «**فَدَعَا تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ لَهُمُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ أَلْقَوْا فِي الْخِزَانَةِ، لأَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا. وَأَمَّا هذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ ما عِنْدَهَا، كُلَّ مَعِيشَتِهَا**».

«**الحق أقول لكم**»: 'Am¾n lšgw Øm…n

يقولها المسيح عندما يكون هو **متأثراً في نفسه**، ثم يريد أن ينقل هذا التأثر فيما يخص المعنى أو التوجيه الذي يريد أن يسلِّمه للتلاميذ ليكون قضية مسلَّمة. نعم وقد صارت قضية الكنيسة وقضاءً مرفوعاً على الأغنياء. هذه المرأة أعطت أكثر من هؤلاء جميعاً**!!** لأن هذه **أولاً** أعطت من أعوازها في حين أن الأغنياء أعطوا من فضلتهم. **ثانياً** هذه الأرملة أعطت ومع عطيتها مشاعر الإخلاص لله، إذ لتثبت إخلاصها أعطته كل ما عندها بدافع صلة داخلية صادقة جداً. هذا إخلاص ما بعده إخلاص، بل هو عجب الإخلاص الذي يضحِّي بالذات والقوت ليرضى وجه الله.

التي بكت ومسحت دموعها على قدمي الرب قيل إنها أحبَّت كثيراً، أمَّا هذه فقد سلَّمت روحها، بذلت معيشتها، قالت يحيا الله وأنا أموت**!!** فأغنت الله بفقرها. وما أعجب هاته الأرامل في إخلاصهن لله وقدرتهن على العطاء حتى إلى بذل المعيشة، ويا لها من معيشة: فِلْسان**!!** قالت في نفسها أحوِّلهما إلى

خزانة الرب ليكون لي ربح أقتات به هناك. لقد أثبتت هاته المرأة أنها آمنت بالحياة الأفضل وبمن يعطي الحياة ويقيم من الموت! أن تعطي هاته المرأة القليل جداً الذي عندها تكون قد أعطت ليس أكثر من جميع مَنْ أعطوا معاً بل وأكثر من كل ما في الدنيا أعطت، لأنها أعطت كل معيشتها. هذه هي التلميذة الذكية النبيلة التي باعت كل شيء حتى نفسها وقالت ليقبلني الرب. سفيرة امرأة حنانيا اتفقت مع زوجها أن تُبقي شيئاً لنفسها لمعيشتها من مالها وقدَّمت كل الباقي إلى التلاميذ، فرُفِضَت وكسبت حكم الموت الذي نُفِّذ في الحال والتو، وهذه قدَّمت الفلسين، كل معيشتها للرب وقالت أموت بيدي وأكون أمينة لحب مَنْ أحبني. مع أن تلك لها زوج وسند وهذه لا زوج لها ولا مال ولا سند.

وهكذا أيها الأحبة، المال في يد الإنسان مهما قل أو صار أقل من القليل فيمكنه أن يشتري به أعظم وأثمن شيء في الوجود وهو ملكوت الله. وإن كثر وصار حتى إلى ملء الخزائن فلن يستطيع أن يخلِّص به نفسه من الهلاك.

«**ألقت كل ما عندها كل معيشتها**»:

قالها بهذه الصورة ق. مرقس فقط في إنجيله، وهي تعني إمَّا ما لها من كل وسائل الحياة أو ما لها من حياة أو الاثنين!

انظروا يا إخوة على هذا القديس مرقس كيف يختار مواضيع التعليم ويعرضها بحذق ومهارة ويضمِّنها سر المسيح والله. فمَنْ أراد أن يقرأ قصة جميلة فليقرأ. ومَنْ أراد أن يبحث وراء الكنوز فليفتح قلبه، وعلى كل حال قد نجح هذا المعلِّم الماهر في أن يودع هذه الدرة الثمينة في خزانة النعمة ويستأمن عليها الكنيسة لتعرضها لأولادها لعلَّهم ينهجون منهج الأرملة دون ترمُّل!!

يُحكى في تقليد القصص اليهودي أن أثناء الدينونة وقف الملاك المنوط به وزن أعمال الناس على ميزان حسَّاس، وأمامه باشكاتب أحوال القادمين من الأرض وبعض الملائكة المنوط بهم البحث في دفاتر القادمين واحداً فواحداً، وظل ملاك الميزان يزن ويسلِّم لملاك بوابة جهنم الذين وزنوا بالموازين فوُجِدُوا ناقصين. ووقف ملاك باب الجنة يتثاءب من قلة الفتح وتسليم الرابحين. وعُرضت حالة رجل غني ووضعت أعماله على الميزان فارتفع إلى فوق بنقصان شديد فسُلِّم لبوابة جهنم؛ ولكن واحداً من الملائكة الذين يبحثون وراء دقائق أعمال الناس صرخ من بعيد على بواب جهنم لينتظر قليلاً وجاء يلهث وفي يده رغيف عيش وُجِد مكتوباً أمامه أن هذا الغني أعطاه يوماً لمسكين. فوضع الرغيف في الحال على الميزان فإذا كفَّته قد طبَّت، فهتف الملاك حوِّلوه إلى الباب الآخر فدخل الجنة برغيف عيش!! ولينتبه القارئ فهذه قصة يهودية!!

الأصحاح الثالث عشر

الأحاديث التنبؤيّة عن الحوادث الأخروية: (13: 1-37)

74-	خراب الهيكل	**(13:1و2)**
75-	سؤال التلاميذ الأربعة عن متى وما العلامة؟	**(13:3و4)**
76-	ظهور المضلين. حروب وأخبار حروب. زلازل ومجاعات	**(13:5-8)**
77-	أقوال عن الاضطهاد	**(13:9-13)**
78-	رجسة الخراب	**(13:14-20)**
79-	مسحاء وأنبياء كذبة	**(13:21-23)**
80-	تزعزع الطبيعة ومجيء ابن الإنسان	**(13:24-27)**
81-	أقوال وأمثال عن السهر واليقظة	**(13:28-37)**

الأحاديث التنبؤية عن الحوادث الأخروية

(13: 1–37)

منذ سنة 1864 وعلى يد العالِم ت. كولاني(1) بدأت نظرية أن إنجيل ق. مرقس يحوي أساس التنبؤات الأخروية في الأناجيل كلها، وقد قُبلت هذه النظرية من جميع العلماء، واعتبرها العالِم موفات أنها القول المقبول في أبحاث الأناجيل المتناظرة الثلاثة، وقد استجاب لها أعظم علماء العصر: ماك نيل، وراولنسون وبولتمان وماير وبرانزكومب.

وتأتي النبوات بالترتيب هكذا:

- خراب الهيكل (13:1و2)
- سؤال التلاميذ الأربعة عن متى وما العلامة (13:3و4)
- ظهور المضلين. حروب وأخبار حروب. زلازل ومجاعات (13:5-8)
- أقوال عن الاضطهاد (13:9-13)
- رجسة الخراب (13:14-20)
- مسحاء وأنبياء كذبة (13:21-23)
- تزعزع الطبيعة ومجيء ابن الإنسان (13:24-27)
- أقوال وأمثال عن السهر واليقظة (13:28-37)

(1) **According to vi Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 498.**

74 خراب الهيكل

[13: 1و2]

(مت 24: 1-2)

(لو 21: 5-6)

جاءت قمة الحديث الأخروي في نبوّة خراب الهيكل، وبالتحديد في أنه لن يبقى فيه حجر على حجر لا يُنقض. ومن هنا وبهذه المقدِّمة بدأ بعد ذلك الحديث على الجبل في كل الظروف التي ستحيط بحادث تخريب الهيكل من أهوال، وما سيلي ذلك من فظائع آخر الأيام. ولكن يلزمنا جداً أن ننتبه أن في هذه الأحاديث الأخروية يرتفع دائماً الزمن بتحديداته لأنها رؤى فائقة عن الزمن، لذلك يصعب تحديد قصة خراب الهيكل عن حوادث آخر الأيام، فالكلام يتداخل دون تحفُّظ، لأن صاحب الرؤيا (الرب) يراها كلها معاً. والقديس مرقس يبدأ بمقدِّمة لكي يدخل على الحديث بقوله: «وفيما هو خارج من الهيكل» بعدها يُسمع أول صوت في حديث المسيح من تلميذ يسأل متعجِّباً عن ضخامة الأحجار والمباني، وطبعاً هي لفتة مناسبة من تلميذ جليلي ربما ينظر الهيكل لأول مرَّة. وبالمقارنة مع ما جاء في إنجيل ق. متى وق. لوقا نرى أن تسجيل ق. مرقس هو الأصل. والحديث الذي امتد بطول الأصحاح يوضِّح نظرة المسيح التي تخترق الزمن من أوله إلى آخره، وشخصيته التي تعلو فوق الزمن بكل حوادثه.

1:13 **«وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنَ الْهَيْكَلِ، قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: يَا مُعَلِّمُ، انْظُرْ مَا هذِهِ الْحِجَارَةُ وَهذِهِ الأَبْنِيَةُ»**.

بهذه الجملة يبتدئ حديث المسيح الأخروي كله.

ويُلاحِظ القارئ أن ق. مرقس يربط هذه الحوادث بما كان قد أتمَّه في المناقشات التي دارت داخل الهيكل. وكما لا يذكر ق. مرقس اسم التلميذ، يقول القديس متى: «فتقدَّم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل» (مت 24: 1). أمَّا ق. لوقا فينقل الحديث عن آخرين: «وإذ كان قوم يقولون عن الهيكل إنه مزيَّن بحجارة حسنة وتُحف» (لو 21: 5) وهذا يوضِّح أن تقليد ق. لوقا تقليد آخر.

ولكن في حديث التلميذ يلحظ الإنسان مقدار الانبهار بأحجام الحجارة وفخامة المباني،

ويرجّح هذا قول يوسيفوس(2) بأن الأحجار كانت ناصعة البياض طولها 25 كيوبت Cubit، والكيوبيت هو نصف الذراع الأمامي وطوله يتراوح من 18ـ21 بوصة، وارتفاعها 8 كيوبت وعرضها 12 كيوبت. ويقدِّم العلامة الألماني أدرشيم وصفاً مفصَّلاً للهيكل(3).

وردَّ المسيح:

2:13 «**فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: أَتَنْظُرُ هذِهِ الأَبْنِيَةَ الْعَظِيمَةَ! لاَ يُتْرَكُ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ**».

واضح أن المسيح يوافق التلميذ على انبهاره من عظمة المباني وضخامة الأحجار، هذه اللفتة التي كشفها ق. مرقس من كلام المسيح تغيب في إنجيلي ق. متى وق. لوقا، مما يكشف عن دقة المتابعة في الحديث والدخول في التفاصيل الإنفعالية للحديث مما يُذهل الإنسان.

وفي تحليل الكلام لاحظ المحللون وجود نفيين في الجملة الواحدة «**لا** يُترك» «**لا** يُنقض» وهذا أسلوب التأكيد الضاغط، وكأن المسيح يشير بيده وكأن الأمر حاسم ومنتهٍ. وق. لوقا يكرر نفس التأكيد وواضح أنه مأخوذ من تقليد ق. مرقس، مما يكشف أن رواية ق. مرقس هي الأصل.

ووصف المسيح لخراب الهيكل يتساوى مع النبوات التي تمَّت بهذا الخصوص:

+ «لذلك بسببكم تفلّح صهيون (أي تُحرث حرثاً) كحقل وتصير أُورشليم خِرَباً وجبل البيت شوامخ وعرٍ.» (مي 12:3)

+ «أجعل هذا البيت كشيلوه(4) وهذه المدينة أجعلها لعنة لكل شعوب الأرض.» (إر 6:26)

ويقول يوسيفوس:

[لم يبقَ شيء على الأرض حتى إن الذين يعودون إليها يعتقدون أنها لم تكن مأهولة.](5)

وهكذا تمَّ تأكيد المسيح بقوله في إنجيل ق. متى: «الحق أقول لكم» (مت 2:24)، وعاد فاستخدم التأكيد المطلق. ويقولون الآن إن أُورشليم الجديدة تقع فوق ركام وحطام المدينة القديمة.

هذه هي أُورشليم الجليلة القدم العظيمة البنيان التي بدت للتلاميذ أنها ستكون قصبة الملك

---

(2) **Joseph., *Ant.*, xv, 11,3.**

(3) **Edersheim, *The Temple.***

(4) شيلوه تعني خرابة على تل (قاموس جرانت).

(5) **Joseph., *B.J.*, vii, 1,1.**

الماسياني، لذلك فقول المسيح عن خرابها بهذه الصورة أربكهم وحيَّرهم. وهذا يعود بنا إلى وقفته الشامخة الأخروية في الهيكل أمام رؤساء الكهنة وهم يسألونه بأي سلطان تفعل هذا (عندما طهَّر الهيكل وهم قيام ينظرون) ردَّ عليهم بقولته النبوية الإلهية بآن واحد: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه» (يو 19:2)، ولكن العجب أنه أقامه في ثلاثة أيام قبل أن يُنقض بأربعين سنة ومن كان يصدِّق؟

75 سؤال التلاميذ الأربعة عن متى وما العلامة

[13:3و4]

(مت 3:24)

(لو 7:21)

كان السؤال بمثابة فتح الباب للحديث المطوَّل، ولكن جاءت الإجابة على: «**متى** يكون هذا؟» عند قوله: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة حيث لا ينبغي (في الهيكل) ليفهم القارئ (السائل) فحينئذ ليهرب ...» (مر 13:14-20). وعندما جلس المسيح على جبل الزيتون هو والتلاميذ الأربعة بدا أمامهم الهيكل بفخامته وجماله وجلاله. حينئذ سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس (ترتيب ق. مرقس هنا يتناسب مع الأكبر ثم الأصغر) متى تحدث هذه الأمور وما هي العلامة. ويتضح من سؤال الأربعة أنه منحصر في خراب الهيكل فقط، مما يفيد أن ق. مرقس أضاف بعد ذلك بقية التقليد ليكمِّل جواب المسيح عن الكل.

13:3و4 «**وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، تُجَاهَ الْهَيْكَلِ، سَأَلَهُ بُطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدَرَاوُسُ عَلَى انْفِرَادٍ: قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا، وَمَا هِيَ الْعَلاَمَةُ عِنْدَمَا يَتِمُّ جَمِيعُ هذَا؟**».

واضح من أسلوبها القصصي أنها مجرَّد مقدِّمة كُتبت لكي يستطيعوا أن يدخلوا على رواية المسيح. وهي في الحقيقة تبدو أنها كُتبت بعد أن سجَّل التقليد تعليم المسيح، لأن كل كلمة وردت في هذه المقدِّمة يوجد في كلام المسيح ما يرد عليها، ولكن تقليد ق. مرقس هنا واضح الأصالة سواء كان تقليداً شفاهياً أو مكتوباً(6) والأربعة تلاميذ هم أخان وأخان، وهم المذكورون في بداية تكوين

(6) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 501.**

جماعة التلاميذ كأول مدعويين (مر 1:16ـ20)، وأندراوس هو أول المدعوين فيهم ولكنه كان أقلهم حيثية.

«متى يكون هذا؟»:

هذا taàta تعود على ما سبق من حديث (مر 2:13)، ويُقصد بها خراب الهيكل فقط بمفرده، ولكن جاء رد المسيح فيما يخص الهيكل وأُورشليم، وربما كان هذا تقليداً آخر، وق. مرقس ضمَّ الاثنين في الإجابة على السؤال عن هذا "الهيكل".

ويُعتبر بحسب واقع اختيار المسيح للأربعة فقط دون بقية الاثني عشر أن السؤال كان خاصاً جداً والإجابة أكثر سريَّة، لأنها إذا أُشيعت نبوَّة المسيح يكون لها أثرٌ خطيرٌ على الوضع بأكمله. وهذا الوضع الخاص لا يوجد إلاَّ في إنجيل ق. مرقس.

76 ظهور المضلِّين. حروب وأخبار حروب. زلازل ومجاعات

[8-5:13]

(مت 8ـ4:24)

(لو 8:21ـ11)

هذا القسم عبارة عن مجموعة أقوال تبدأ بالعبارة: «فأجابهم يسوع وابتدأ يقول ...» وأول آيتين (5و6) لهما ما يقابلهما فيما بعد (21ـ23)، وكذلك الآيتان (7و8) تقابلهما الآيتان (24و25) بما سيُذكر فيهما من اضطراب الطبيعة: الشمس والقمر والنجوم وقوات السماء، وكل هذا يعود إلى اختلاف في عملية توزيع الحوادث، ونقلها من الوضع الشفاهي وتسجيلها السابق على ق. مرقس في وضعها الكتابي، وهذا واضح غاية الوضوح.

5:13و6 «**فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَابْتَدَأَ يَقُولُ: انْظُرُوا! لاَ يُضِلُّكُمْ أَحَدٌ. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: إِنِّي أَنَا هُوَ. وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ**».

هنا عبارة "ابتدأ يقول" هي البداية الدقيقة لكل الخطاب الأخروي الطويل. وقد ركَّز المسيح أول ما ركَّز على علامة الضلالة التي ستعم العالم، مسحاء وأنبياء كذبة يدَّعون أنهم مسحاء. وأول مسيح كاذب جاء بعد هذا التحذير هو باركوكبا وذلك سنة 132م. أمَّا يهوذا الجليلي فكان وطنياً

ثائراً، وأمّا ثوداس فقد ادَّعى النبوَّة(7) في حين أن المصري الذي ذُكر في سفر الأعمال (38:21) كان ثائراً أيضاً(8).

ويقول العالِم و. مانسون(9) إن الموضوع الذي سيطرقونه للتزييف باسم المسيح هو أن المسيح قد أتى، أو أن استعلان مجيء المسيح سيكون سريعاً أو على الأبواب فيضلُّون الناس، وهذا واضح في إنجيل ق. لوقا: « فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو والزمان قد قرب فلا تذهبوا وراءهم.» (لو 8:21)

13: 7و8 «فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوب وَبِأَخْبَارِ حُرُوبٍ فَلاَ تَرْتَاعُوا، لأَنـَّهَا لاَبُدَّ أَنْ تَكُونَ، وَلكِنْ لَيْسَ الْمُنْتَهَى بَعْدُ. لأَنـَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ، وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ زَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَاضْطِرَابَاتٌ. هذِهِ مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ».

وبجوار المضلين ستكون حروب وأخبار حروب، وقيام أُمة على أُمة ومملكة على مملكة ومعها زلازل ومجاعات. ويُلاحِظ القارئ أن قيام الحروب الكثيرة وشمولها على أُمم وممالك حتماً سيؤدِّي إلى مجاعات. ولكن أصبع النهاية يتضح في ثوران الطبيعة. وهذا سيذكره المسيح بعد بعض الاستطرادات فيعود إليه في آية (24) بقوله: «وفي تلك الأيام»

ويتفق كل من ق. متى وق. لوقا مع ق. مرقس فيما قال، ولكن يزيد ق. لوقا بعدها مباشرة ما ذكره ق. مرقس في آية (24): «وتكون زلازل عظيمة في أماكن ... وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء» (لو 11:21). أي بعد علامات من الناس: حروب وأخبار حروب ومجاعات وأوبئة، تأتي علامات الأرض زلازل عظيمة، ثم علامات السماء في الشمس. وبهذا يكون الكون كله داخله وخارجه قد استجاب لنداء النهاية. بمعنى أنه لا يكفي أبداً أي علامة بمفردها.

ويُلاحِظ القارئ أن هذه العلامات معظمها تمَّ قبل أيام خراب أُورشليم، فالمجاعة كانت أيام كلوديوس (أع 28:21)، والزلزال كان في لاودكية سنة 61م وفي بومبي سنة 62م. وهكذا تؤخذ هذه العلامات بصفة عامة.

ولكن الذي يهم أولاد الله أن المسيح يدعو: «لا ترتاعوا» لأن هذه أمور لابد أن تكون وهي لا تخصّهم، فالكل حسب تدبير خطة الله، وأولاد الله في خطة الله يستترون. فالمسيح يلح على أولاده

(7) **Joseph., *Ant.*, xx. 5.1 f.**
(8) **Joseph., *BJ.* ii. 13.5.**
(9) **W. Manson, *JTS*, XL, viii, 139.**

أن يكونوا هادئين دائماً في المحن لأنها لا تخصهم وهي حتمية في زمانها، وبالأكثر أن لا يسمعوا للضلالات، فالمسيح سيعرِّفهم كل شيء في أوانه.

«**هذه مبتدأ الأوجاع**»: ¢rca˜ çd…nwn

هذه تُقرأ في اليونانية: مبتدأ المخاض، الذي هو "**أوجاع الولادة**". وقد ترجمها المترجم سواء بالإنجليزية أو بالعربية إلى مجرد آلام، وهنا تجاوز خطير للمعنى الأصلي للجملة في موضعها الهام. فهي لا تخص الإنسان فقط بل تخص الطبيعة كلها أرض وسماء وشمس وقمر ونجوم والأرض بكل ما فيها وما عليها. لأن "**أوجاع الولادة**" بالنسبة للإنسان تعطي في الحال مفهوم الخليقة الجديدة للإنسان الجديد. ونفس الشيء بالنسبة للطبيعة، فالزلازل والبراكين تعتبر أنها مخاض الطبيعة. فالطبيعة ستجوز تغييرات عنيفة كلها انحلالية تبدو أنها تخريبية، ولكن هي في الحقيقة كما وصفها ق. بطرس في نبوَّته الخاصة بالأيام الأخيرة والموازية: «تزول السموات بضجيج **وتنحل العناصر محترقة**»

+ «ولكن لا يَخفَ عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء، أن يوماً عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد. لايتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، ولكنه يتأنَّى علينا، وهو لا يشاء أن يَهلِك أُناسٌ، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتي كلصٍّ في الليل، يوم الرب، الذي فيه **تزول السموات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها** ... **تنحل السموات مُلتهبةً، والعناصر محترقةً تذوب**. ولكننا بحسب وعده ننتظر **سموات جديدة، وأرضاً جديدةً**، يسكن فيها البر.» (2بط 3:12)

هذه هي الأوجاع بترجمتها الناقصة، فهي **أوجاع مخاض الولادة**، حيث تولد الأرض الجديدة والسماء الجديدة. وقد أبدع ق. بطرس بوصف عملية الانحلال التي ستجوزها الأرض بكل عناصرها والسماء أيضاً، ووصف احتراقها الذي يؤول إلى ذوبان وليس دخان، بمعنى الانحلال الذي يُذيب كل شيء وينتهي إلى لا شيء، إلى ذبذبات كونية غير مدركة. فالعناصر كلها تختفي التي تعطي المادة شكلها، الأرض والسماء، فإذا اختفى الشكل بقي الجوهر، أي الحقيقة الأُولى للخليقة غير الشكلية غير المادية، وهي المكني عنها بالسماء الجديدة والأرض الجديدة، أي الحقيقية غير الزائلة.

77 أقوال عن الاضطهاد

[13-9:13]

(مـــت 9:14و13و14، 17:10-22)

(لو 12:21-19، 11:12و12)

تبدأ الأقوال «فانظروا إلى نفوسكم» وينصبُّ الكلام على كيف سيجرُّونهم إلى المحاكم والمجامع وأمام الحكومات والملوك (9) من أجل إيمانهم المسيحي (من أجلي) شهادة لهم، أي ستكون محاكم وعقوبات، ولكن أثناءها تنادون باسم المسيح شهادة لهم. ولكن يسرع الله ويُرسل روحه القدوس يتكلَّم فيهم وعنهم، لذلك يطلب منهم أن لا يضطربوا ولا يهتموا بما يحتجّون لأنه يدافع عنهم. ثم يكلِّمهم عن الانقسامات حتى بين العائلات، ويكونون مكروهين من أجل الاسم. ولكن يلزم أن يثبتوا إلى النهاية أقوياء، ويُكرز بالإنجيل في جميع الأُمم. وقد بدأت العداوة والبغضة والاضطهاد بطبيعة الحال من اليهود، وكلما انتشرت المسيحية انتشر الاضطهاد في كل مكان وفي كل الأمم.

9:13 «**فَانْظُرُوا إِلَى نُفُوسِكُمْ. لأَنَّهُمْ سَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَتُجْلَدُونَ فِي مَجَامِعَ، وَتُوقَفُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ، مِنْ أَجْلِي، شَهَادَةً لَهُمْ**».

يكرِّر المسيح دعوته إلى الانتباه إلى أنفسنا، فكرَّرها «**انظروا** لا يُضِلُّكُمْ أحد» (مر 5:13)، «**فانظروا** أنتم ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء» (مر 23:13). ولكن هنا أكثر المرات توضيحاً للانتباه. وقد تمَّت الاضطهادات الأُولى اليهودية بحذافيرها وهي مذكورة في سفر الأعمال. فقد نال ق. بولس وحده «من اليهود خمس مرَّات قبلتُ أربعين جلدة إلاَّ واحدة.» (2كو 24:11)

وبعدها دخلت الحكومة الرومانية بإجراءاتها التأديبية التعسفية، وأسماء القياصرة والحكام ورؤساء الأرباع والولاة والملوك، وكلها مذكورة اسماً وراء اسم، فأسماء المضطهِدين والمعذِبين والجلادين والقاتلين هي المحاور الأُولى التي عليها وبواسطتها كُتب سفر الأعمال. وهؤلاء ومن جاء بعدهم من مئات القياصرة والملوك والولاة حتى عصورنا الأخيرة، وخاصة نحن الأقباط، لا تزال أسماؤهم حيَّة ترن في الآذان. وعلامات اضطهادهم وعنف أحكامهم لا تزال علاماتها في أجسادنا، بل وفي

ألسنتنا!! شكراً لله، فمنها نحن نُسبِّح ونشكر الذي نجَّانا من موت مثل هذا وهو ينجي أيضاً. والمسيح ينبِّه أن كل مرَّة نُستدعى للمحاكمة تكون هي فرصة للشهادة، لذلك يجب أن تتحوَّل صحيفة سوابقنا إلى شهادة بعد شهادة لمجد الله.

10:3 «**وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلاً بِالإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ**».

أي لا بد أن يسبق سببُ الاضطهاد الاضطهاد نفسه، وضرورة وصول الإنجيل إلى كل الأُمم. ولكن هنا، ولو أن علماء اللغة وجدوا أن هذه الآية (10) وُضعت في غير سياق الكلام، خاصة من جهة تركيب كلماتها، ولكن مهما كان فهي بحد ذاتها ضرورة منطقية، إذ كيف يدخل المؤمنون الاضطهاد دون أن يكون لهم إيمان وإنجيل؟ فهنا وضعها مناسب غاية المناسبة حتى ولو كان ق. مرقس قد اقتطعها من مكان آخر وأضافها في هذا المكان.

والذي ينكر أن المسيح قد قال هذه الآية أو أنها لا تناسب مكانها فهذا أمر مستحيل، فهل يكون المسيح أقل استنارة من إشعياء الذي رآها منذ 600 سنة؟

+ «فقد جعلتك نوراً للأُمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض.» (إش 6:49)
+ «قد شمَّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأُمم، فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا.» (إش 10:52)

إذن فتقليد ق. مرقس في هذه الآية يطابق الوحي وبالتالي فكر المسيح ولغته وقوله.

11:13 «**فَمَتَى سَاقُوكُمْ لِيُسَلِّمُوكُمْ، فَلاَ تَعْتَنُوا مِنْ قَبْلُ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ وَلاَ تَهْتَمُّوا، بَلْ مَهْمَا أُعْطِيتُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَبِذلِكَ تَكَلَّمُوا. لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلِ الرُّوحُ الْقُدُسُ**».

فإذا قبضوا عليكم ووضعوكم في الأسر فلا تهتموا ولا تضطربوا لأن الروح القدس سيعطيكم في تلك الساعة ما تتكلَّمون به بأحسن كلام. وهذا ليس معناه أن لا نفكر، بل نفكر فَنَدَع الروح القدس يدخل في التفكير ويوجِّه إلى الكلام الصحيح الحق. ولكن أن لا نضطرب، لأننا إذا اضطربنا لا يستطيع الروح القدس أن يتكلَّم فينا، لأنه يتكلَّم في سلام النفس وليس في اضطرابها، بمعنى أن لا نهتم ماذا نقول لكن نكون على استعداد أن نطيع الكلام الذي يمليه الروح القدس.

والذي يُدهشنا في الحقيقة أن يتعارك العلماء عن كيف يقول ق. مرقس بأن الروح القدس يتكلَّم فيكم، وبينما العصر الماسياني لم يكن قد بدأ بعد. ولكن هذا مردود عليه أن المسيح يتكلَّم الآن عن

بداية العصر الماسياني بالذات ثم الدخول في أعماقه. إذ كيف يُكرز بالإنجيل في كل الأُمم بدون الروح القدس؟ أو كيف يُضطهد المسيحي دون أن يكون مؤمناً، وكيف يؤمن بدون الروح القدس؟ فإن كان المسيح يعدُّ تلاميذه لقبول آلامه على الصليب ألا يعدّهم لقبول الروح القدس؟ ثم إن المسيح هنا لا يتكلَّم عن انسكاب الروح القدس، بل عن عمل الروح القدس السري والشخصي الذي يعمل منذ بدء الخلق. فهنا الروح القدس لا يملأ الإنسان أمام المحكمة بل يتكلَّم في لسانه! وبلسانه. ليس من أجل الإنسان المضطهد بالدرجة الأُولى، بل للشهادة للمسيح أولاً وقبل كل شيء. فحتى لو ظُلم الإنسان وحكموا عليه بالموت لأنه لم يُحسن الشهادة، فهو شهيد وستظل روحه في السماء ككارز وشهيد.

12:13و13 «**وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالأَبُ وَلَدَهُ، وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ. وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ**».

عجيب حقًّا أن يأتي فعل «سيسلِّمونكم» ثلاث مرَّات متوالية في الآيات (9و11و12)، فهي عملية بيع، فالعالم يبيع بلا ثمن بل وللموت. ولكن المؤلم حقًّا أن يكون الأخ هو الذي سيُسلِّم أخاه ليموت، وقد حدث ذلك بالفعل في قصص شهداء شمال أفريقيا. ولكن الذي يعنينا الآن كيف أن روح العداوة تتملك على الأخ ليسلِّم أخاه للموت؟ هذه هي روح ضد المسيح الذي يعمل في أبناء المعصية، ليست هي روح الإنسان أبداً بل روح الشر والباطل من المحرك الأكبر للشرور والعداوة والقتل. والمسيح يعلم أنه جاء ليعمل ضد روح شرس يتربَّص بأولاده، لذلك كانت كلمة المسيح عن وعي:

+ «لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً!!

فإني جئت لأفرِّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنَّة ضد حماتها!!

وأعداء الإنسان أهل بيته.» (مت 24:10و25)

معنى هذا أن المسيح جاء وله مع العدو حربٌ. فالسلام الذي يقدِّمه يقابله سيف، ولكن السيف ليس بيد المسيح بل بيد الذي يحارب من يؤمن بالمسيح. فأينما وُجد اسم المسيح وُجد الانقسام بين الذي يؤمن والذي لا يؤمن. وإذا آمن واحد في الأسرة انقلبت الأسرة عليه وقام الأخ على أخيه، والأب ضد ابنه، وهكذا. فهنا السيف معنوي إلى أقصى حد، فالسيف يعني الذي يفرِّق، حتى إن اسم السيف عند العرب "الفاروق"، فهو يفرِّق الذي لك من الذي عليك.

المسيحي أينما وُجد فهو يمثِّل بحد ذاته انحيازاً للمسيح، فكل مَنْ لا يقبل المسيح ينحاز ضده.

وهنا سيف مرفوع، فالمسيح ليس مصلحاً اجتماعياً، لا يطلب وحدة المجتمع على علاَّته أو مساواته في التفكير أو الثقافة أو السياسة؛ بل هو جاء ليطرح بين المجتمع إيماناً جديداً، وهنا يحدث الانقسام بين من يقبل الإيمان ومَنْ لا يقبل الإيمان. فالإيمان ليس فكراً بل حياةً وأسلوبَ حياةٍ وتمسُّكاً بالكلمة ـ الذي هو المسيح ـ حتى الموت، لذلك ليس من السهل أن يهادنه من لا يقبلها. والمسيح الذي قال جئت لألقي سيفاً نجده هو من جانبه يقول أحبوا أعداءكم، بمعنى أنه لا يمكن لمن يؤمن بالمسيح أن يحمل سيفاً أو يعادي إنساناً أو يبدأ بالتفرقة. ولكن المسيح شرحها أكثر حينما قال: «جئت لأفرِّق» ليس حبًّا للفُرقة ولا كأيديولوجية مسيحية، بل الفُرقة تأتي غصباً واضطراراً ولا مناص منها، وذلك حينما لا يقبل المسيحي أن يتنازل عن إيمانه ليهادن. فإن هو هُدِّد يفرح ويتهلَّل، وإن قُووم قَبِلَ واستسلم للسيف، إن طُلب منه أن يترك دينه وإلاَّ يُقتل، لا يترك دينه ويترك حياته في يد الله ولمن يريد أن يقتله. فالفُرقة حتمية من جهة الآخرين، ولكن من جهته فقد أخذ وصية هادنوا الجميع «أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت 43:5و44)

وتأتي الآية (13) فتشرح الآية (12)، إذ يقول المسيح إنه نتيجةً للفُرقة والانقسام تكونون مُبْغَضِين من الجميع، في البيت والمدرسة والمجتمع والعمل، وهذا كان حال المسيحيين مع اليهود والرومان ومَنْ جاء بعدهم. أمَّا في الأوساط غير المبغِضَة الذين لا يكرهون المسيح أو اسم المسيح، فالبغضة تكون استثناءً لأن أساس البغضة تكون «من أجل اسمي»

«ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص»:

ويقولها ق. لوقا: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو 19:21). فهنا الصبر على احتمال الضيق والألم حتى الموت هو الذي يخلِّصنا. ولكن الصبر لن ينجينا من البغضة والتعذيب والموت، بل ربما يزيده. ولكن مع الاضطهاد والضيق معونة الروح القدس، فهو الذي يتكلَّم فينا محامياً، كما يتكلَّم فينا بالسلام والفرح في أنفسنا مهما واجهنا من قسوة وصدود وجفاء حتى تهديد الموت، ولكن الروح القدس لن ينجينا من عقوبة واضطهاد وموت، بل سينجينا من الانتكاس حتى لا نفقد الإكليل الذي يحمله ملاك الله ليضعه على رؤوسنا ونحن نُذْبَح.

فالقديسان بطرس وبولس دافعا بالنعمة التي فيهما، والروح آزرهما. ولكن ذُبح ق. بولس وصُلب ق. بطرس، ووضح بعد ذلك أن الروح رافقهما إلى السماء للجلوس مع المسيح في مجده.

فالروح القدس والصبر حتى المنتهى هما طريق النصرة والغلبة والخلاص فيما يخص النصيب السماوي.

78 رجسة الخراب

[13: 14–20]

(مت 24: 15–22)

(لو 21: 20–24)

هنا يبدأ الحديث الإسخاتولوجي أن يأخذ منحنىً جديداً في ويلات المستقبل القريب عند ظهور رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي، التي بظهورها يتحتَّم الهرب دون النظر إلى الوراء، وهي فترة محنة يقصِّرها الله من أجل مختاريه، أمَّا من حيث أصلها ومعناها فسنحققه في الشرح. وهنا يقف التقليد الذي تسجَّل في زمانه منطبقاً على الواقع الذي حدث في التاريخ ليثبت صدقه وأمانته بصورة مدهشة حقًّا، فكما قال المسيح تحقَّق في زمانه.

«**وما هي العلامة**»؟ (13: 4)

13: 14–16 «**فَمَتَى نَظَرْتُمْ رِجْسَةَ الْخَرَابِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيآلُ النَّبِيُّ، قَائِمَةً حَيْثُ لاَ يَنْبَغِي. – لِيَفْهَمِ الْقَارِئُ – فحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلاَ يَنْزِلْ إِلَى الْبَيْتِ وَلاَ يَدْخُلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئاً، وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْجِعْ إِلَى الْوَرَاءِ لِيَأْخُذَ ثَوْبَهُ**».

أمَّا نبوَّة دانيال فهي كالآتي:

+ «فاسمع الآن يا إلهنا صلاة عبدك وتضرعاته، وأضئ بوجهك على مقدسك الخرب من أجل السيِّد.» (دا 9: 17)

+ «وتقوم منه أذرع وتُنجِّس المقدس الحصين وتنزع المحرقة الدائمة وتجعل **الرِّجسَ المُخرِّبَ**.» (دا 11: 31)

+ «ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة **رجس المُخرِّبِ** ألفٌ ومئتانِ وتسعونَ يوماً.» (دا 12: 11)

ولكن يذكرها ق. لوقا في إنجيله أنها تشير بوضوح إلى اقتحام جيوش روما مدينة أُورشليم: «ومتى رأيتم أُورشليم محاطة بجيوشٍ، فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها. حينئذ ليهرب الذين في اليهودية ...» (لو 21: 20و21). وهو الواقع الذي على أثره أصبح الهرب محتماً وبأسرع ما يمكن

قبل أن يتم الحصار والإبادة، وكذلك الذين في الحقول خارج أُورشليم فلا يدخلونها، فالهرب هو الحل الوحيد قبل أن يقعوا في أيدي الجيوش المحاربة.

ولقد خلط العلماء بين جيوش روما والتنجيس الذي حدث بالفعل للهيكل ورفع علامة النسر فوق أبواب أُورشليم، وبين ظهور الضد للمسيح الذي ذكره ق. بولس بعد ذلك في (2تس 6:2) الذي سيظهر في آخر الأيام ويجلس في الهيكل ويجعل نفسه إلهاً. هنا يكون الضد للمسيح في العصر المسيحي القادم.

بهذه العلامة يكون المسيح قد أجاب على سؤال الأربعة تلاميذ عن: متى يكون هذا؟ وما هي العلامة؟

17:13-20 «**وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَصَلُّوا لِكَيْ لاَ يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ. لأَنَّهُ يَكُونُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ ضِيقٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ إِلَى الآنَ، وَلَنْ يَكُونَ. وَلَوْ لَمْ يُقَصِّرِ الرَّبُّ تِلْكَ الأَيَّامَ، لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ، قَصَّرَ الأَيَّامَ**».

صورة حزينة لضيق تلك الأيام بسبب ثقل الهرب وظروف التواجد في العراء، وندرة الأكل والشرب والتعرُّض للجو القاسي خاصة إذا كان شتاء، فكيف تتحمَّله النساء الحوامل والمرضعات وأطفالهن على أكتافهن، شيء مريع ومحزن. ولكن المسيح عن عاطفة نحو الأمومة وحنو بالغ نحو الرضع والأطفال يتكلَّم، وكأنه يرى وكأنه يطلب أيضاً أن تقصَّر تلك الأيام بأي طريقة. ومَنْ أراد أن يستشعر ما كان في قلب الرب من حزن بالغ وهو يتكلَّم فليقرأ خراب أُورشليم وحرق الهيكل وشق بطون الحوامل وتعليق الأجنة على أطراف السيوف، وكل ما يتصوَّره الإنسان من المروِّعات حدثت بالفعل ومسجَّلة بالكلمة في تاريخ سقوط أُورشليم ليوسيفوس المؤرِّخ وأدرشيم العالِم اليهودي المتنصِّر، وقد سبق وأعطينا مواضعها في الهوامش. وإن كان التلاميذ الأربعة قد طلبوا مجرَّد العلامة فهوذا يسوع المسيح قد أعطاهم تاريخ ما هو آت على المنظور. هذا من جهة النساء والمرضعات والحوامل والأطفال، وهو بخلاف الأهوال التي رآها الكهنة ورؤساء الكهنة وجماعة اللاويين الذين التجأوا إلى الهيكل واختبأوا فيه، وأخذوا يقدِّمون الذبائح بجنون حتى داهمهم تيطس وذبحهم مع ذبائحهم على المذبح، وأحرق الهيكل وكل ما فيه، وأخذ المنارة الذهب وأهداها للقيصر، ونقوشها لا تزال على الجدران في روما محمولة على أكتاف الجنود. وتمَّ القول: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (مت 38:23)

وقول المسيح إن ضيق تلك الأيام لم يكن مثله ولن يكون، أكَّده يوسيفوس[10] عن رؤية ومعاينة، لأنه كان الوسيط بين اليهود والقائد الروماني كمترجم لهم.

وليلاحِظ القارئ أن ما سجَّله ق. مرقس في إنجيله كان قبل زمن خراب الهيكل بمدة ليست بقليلة، حوالي 25 سنة، أمَّا القديس متى والقديس لوقا فقد كتبا إنجيليهما بعد خراب الهيكل وبعد أن نظروا وعاينوا تكميل النبوَّة. من هنا تأتي نبوَّة المسيح في إنجيل ق. مرقس غير واضحة نوعاً ما، ولكن أصالتها وصدقها معترف بها.

79 مسحاء وأنبياء كذبة

[23-21:13] (مــــت 24:23-26)

(لو 17:23)

هنا يتضح للعلماء أن ق. مرقس قابله ازدواج في التقليد، فهو يكرر هنا المعنى الذي جاء في آية (6): «فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو ويضلون كثيرين» وهنا يذكرهم باسم المسحاء الكذبة، ويضيف عليهم الأنبياء الكذبة ليضلوا المختارين أيضاً. وهذا يوضِّح لنا أن ق. مرقس في خطابه الاسخاتولوجي للأمور الآتية أخذ من أكثر من مصدر، ويذكر أن هؤلاء الكذبة مسحاء وأنبياء يعملون آيات وعجائب. وهنا تكمُن الخطورة، لأن كثيرين من غير الروحيين يغترُّون بالآيات والعجائب ويدخلون في ضلالات مخرِّبة لحياتهم، لذلك يكرِّر أن ينتبه المختارون لأنفسهم. والمسيح دائماً يكرِّر أن نحترس من طغيان التعليم المضلّ:

+ «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئابٌ خاطفةٌ! ... مِنْ ثمارهم تعرفونهم.» (مت 7: 15و20)

13: 21-23 «حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا أَوْ هُوَذَا هُنَاكَ، فَلاَ تُصَدِّقُوا. لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ، وَيُعْطُونَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ، لِكَيْ يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيضاً. فَانْظُرُوا أَنْتُمْ. هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ».

(10) **Josephus, *BJ*, 4, preface.**

يُلاحَظ أن الكلام هنا يبدأ بكلمة حينئذ، وهذا يدل على أنه موصولٌ بسابقه ومبنيٌ عليه. ولكن الآيات السابقة لا تشتمل على شيء يمكن أن يُبني عليه مفهوم هذه الآيات، مما يدل على أنها مأخوذة من التقليد من مكان آخر وموضوعة هنا، كما سبق وأوضحنا في المقدِّمة ـ ليس لأنه هنا أي خطأ ـ ولكن لينتبه القارئ الباحث أن هنا قولاً لا علاقة له بسابقه، وقد أخذ ق. لوقا نفس هذا الوضع مثل ق. مرقس، وظهر عدم انسجامه أيضاً مع ما قبله في (لو 23:17) مع إضافة هذه الآية: «لأنه كما أن البرق الذي يبرق من ناحية تحت السماء يضيء إلى ناحية (أخرى) تحت السماء، كذلك يكون أيضاً ابن الإنسان في يومه» (لو 24:17). وهنا يزداد المعنى وضوحاً، بمعنى أن في أيام بلبلة الإشاعات بمجيء المسيح يتحتَّم أن يلتزم أولاد الله الحياد التام دون أي انحياز أو انزعاج، إلى أن ينجلي الموقف. لأن مجيء المسيح لا يكون لواحد وليس للكل، بل ظهوره يشبَّه بالبرق في السماء يظهر في السماء كلها وكل ذي عين تراه.

وتقصير تلك الأيام إنما هو عمل رحمة الله بالنسبة للضعفاء في الإيمان.

ثم يلتفت المسيح إلى الأربعة ويخاطبهم: «فانظروا أنتم ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء» ولكن طبعاً ما قيل للتلاميذ هو لكل المختارين بالضرورة. وواضح أن كل هذا الكلام كان قبل حدوث الخراب بسنين كثيرة.

80 تزعزع الطبيعة ومجيء ابن الإنسان

[27-24:13]

(مت 24:29-31)

(لو 21:25-28)

يمكن أن يُضاف ما جاء هنا على ما جاء في آية (8): «وتكون زلازل في أماكن وتكون مجاعات واضطرابات ...» لأنه هنا يكمِّل بأن الشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه ونجوم السماء تتساقط والقوات التي في السموات تتزعزع، وبعد ذلك يأتي ابن الإنسان (26) ويتجمَّع المختارون (27).

هنا تعوَّد معظم العلماء والشرَّاح أن يشرحوا كل آية بمفردها دون الرؤية الشاملة التي تربط الأمور ببعضها، وهذا خطأ، لأننا هنا بصدد تنبؤ مستقبلي شامل. فمثلاً: لماذا يأتي اضطراب الطبيعة

وزعزعة قوات السماء قبل مجيء ابن الإنسان؟ إذا ضاع منَّا هذا الربط ضاع مفهوم الخطاب الأخروي كله. ثم ما هو الخيط الذي يربط أول آية بآخر آية؟ أي يجمع الخطاب الأسخاتولوجي المستقبلي في منهج فكري عملي واحد!

وإليك هذا المنهج:

إن أول نبوَّة كانت عن خراب أُورشليم والهيكل، فهذه حتمية البدء في قيام الحياة المسيحية في العالم. لأن احتكار اليهود للعبادة، واحتكار أُورشليم كمركز للعبادة، ثم انفراد الهيكل لوجود الله كمركز وحيد مقدَّس، كل هذا رَبَطَ العبادة المسيحية وجعلها أسيرة الاحتكار اليهودي. فكان يتحتَّم تخريب هذه المراكز الاحتكارية لإطلاق الدين الجديد بعبادة لا تُحتكر قط، فلا تُحبَس في مدينة بل هي لكل مدن العالم، ولا هيكل أوحد يُحبَس الله فيه وتأتي إليه الجماهير من كل أنحاء العالم، بل هيكل الله هو المسيح، والمسيح لكل إنسان ولكل قلب، فقلب الإنسان أصبح هو هيكل الله والله ساكن فيه.

ثم بانطلاق العبادة بدأ التحدي اليهودي والاضطهادات والمحاكمات والقتل والتشريد، ثم تلاه دخول المسيحية في الأُمم، فبدأ اضطهاد الأباطرة والملوك والولاة على نفس تعسُّف واستبداد اليهود. فكما كان الهيكل يزاحم المسيحية، أصبحت الأصنام الحجرية والتي يتقمصها الأباطرة والملوك هي المزاحم الأكبر للمسيحية.

وبنجاح المسيحية تحت الضيق والاضطهاد والاستشهاد، قام الشيطان وألبس أعوانه لباس المسحاء والأنبياء ليعرقل الإيمان المسيحي ويوقف نجاح الكنيسة. ثم بعد أن تكون المسيحية قد نضجت (وهي إلى الآن لم تنضج وتحت الضيق) يكمل الزمان ويختم على عصر الكنيسة، ويأتي ابن الإنسان ليأخذ مختاريه.

وهنا يحدث الميلاد الأخير للبشرية لتأخذ شكل وقوام الإنسان الجديد الكامل في المسيح، فمع مخاض ولادة البشرية الجديدة المتحدة والمجتمعة في المسيح يحدث بآن واحد مخاض الطبيعة والعالم المنظور، فيتزعزع من أساسه لتبدأ تنحل العناصر والأشكال، وكل هيئة هذا العالم تذوب لتأخذ جوهرها الأصلي المخلوق في المجد. فتبدأ تتشكَّل الأرض الجديدة والسماء الجديدة للإنسان الجديد بأن تخلع أقنعتها الشكلية الكاذبة ويظهر جوهرها المخلوق بحسب الله في المجد.

وهنا، وفي هذا المقطع من الخطاب الأخروي، ندخل في زعزعة الأرض والسماء ومجيء ابن الإنسان بالتالي.

24:13و25 «وَأَمَّا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ بَعْدَ ذلِكَ الضِّيقِ، فَالشَّمْسُ تُظْلِمُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ تَتَسَاقَطُ، وَالْقُوَّاتُ الَّتِي فِي السَّمَواتِ تَتَزَعْزَعُ».

واضح هنا من قول المسيح أنه حينما يكمل زمان مرحلة الضيق تبدأ المرحلة الأخيرة وهي بعد اضطراب الطبيعة، تبدأ قوات السموات تتزعزع مع الشمس والقمر والنجوم وهي الخاصة بالحياة على الأرض.

فلأن الحياة على الأرض سيُختم عليها لبدء الحياة في السماء الروحية، فالأرض تفقد وجودها المادي وبالتالي الشمس والقمر والنجوم وهي مصدر الحياة على الأرض. فالشمس تنهي مهمتها في الحرارة والضوء، وبالتالي القمر حتماً ثم النجوم التي لا نعلم عنها شيئاً. وقد سبق أن وصفنا بحسب ق. بطرس كيفية انحلال العناصر واحتراقها وذوبانها، أي اختفاء مظهرها المرتبط بالعين والأذن والحواس البشرية لتأخذ صفتها الروحانية الجديدة المرتبطة بالحواس الروحانية الراقية للإنسان الجديد: سماءً جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر والأبرار.

أمَّا قوات السموات التي ستتزعزع فهي القوات الخارجة عن طاعة الله والتي صارت وكأنها أجزاء من الخلقة غير العاقلة، وهي الملائكة الأشرار، إذ تفقد مركزها الأعلى من الإنسان (في درجة الوجود المنظور) لأنها قوات غير مادية غير منظورة، ولكن حُرِمَت قدرتها وسلطانها من الصلة بالله وصارت من القوى المعادية التي يتملكها ويسرقها الشيطان. هنا زعزعتها أي فقدان ترابطها وسكناها في الطبقات الأعلى من الإنسان وسقوطها من كل مراكزها «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو 18:10)، وذلك تمهيداً لبلوغ نهايتها المشئومة.

26:13 «وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ كَثِيرَةٍ وَمَجْدٍ».

وحينما تبلغ اضطرابات الأرض أقصاها وزعزعة السموات وقواتها نهايتها، يأتي ابن الإنسان في قوة ومجد كثير. وهكذا قد سبق وأعطى دانيال نبوَّته: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء ...» (دا 13:7). ويعطي ق. مرقس في روايته صورة لما هو فوق الطبيعة سواء ابن الإنسان في مجده الإلهي، أو في السحاب كناية عن الحضرة الإلهية. أمَّا المجد الكثير فهو النور الفائق الذي يخرج منه والذي يحتويه.

27:13 «فَيُرْسِلُ حِينَئِذٍ مَلاَئِكَتَهُ ويجمَعُ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَاءِ السَّمَاءِ».

في كل المواضع التي ذُكر فيها مجيء ابن الإنسان يُرفَق معه الملائكة القديسون، فهؤلاء هم ضمن قواته الفاعلة بأمره والمنفذة لكل تدابيره. فالملائكة القديسون هم الوسائط السماوية المخلوقة على الخدمة والمرسلة لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص. وطبيعتها كما يقول سفر العبرانيين: «أرواح ملتهبة» وجمع المختارين من أقصى الأرض وأقصى السماء هو قوة الجذب البديع لطبيعة الابن، الجاذبة والجامعة، كدعوة للاتحاد بالروح ليأخذ الإنسان صورته الكاملة في المسيح تمهيداً للصعود الأخير للتراثي أمام وجه الآب.

ويُلاحِظ القارئ قول النبوَّة من أقصى الأرض وأقصى السماء بمعنى اجتماع القديسين العائشين على الأرض مع القديسين الذين انتقلوا. لذلك في موضع آخر يقول: يأتي «في ربوات قديسيه» (يه 14) استعداداً للاتحاد الأخير.

81 أقوال وأمثال عن السهر واليقظة

[13:28-37] (مت 24:32-36و42؛ 13:15-15)

(لو 21:29-36)

نذكر أن السؤال الذي قدَّمه الأربعة هو: متى وما هي العلامة؟ ففي مفهوم: متى؟ أعطى المسيح علامات كثيرة جداً من سقوط أُورشليم، وهدم الهيكل، والاضطهادات التي ترافق الكرازة بالاسم والإنجيل، والأنبياء الكذبة، ثم علامات الأرض بالزلازل والمجاعات والأوبئة، وعلامات السماء بالشمس والقمر والنجوم، ثم تتزعزع قوات السماء، وأخيراً وهو الفصل والنهاية يأتي ابن الإنسان. فهنا استعلان المسيَّا ومعه الملائكة وجمع المختارين من أقصى الأرض وأقصى السماء. ثم أعطى المسيح علامة سرية للغاية، وأعطاها في لغز لا يفهمه إلاَّ المفتوحو العينين في مسألة شجرة التين. فقد عرفنا في مثل التينة غير المثمرة ولعنتها أنها هي الأُمة اليهودية، والآن تدخل التينة رسمياً كعلامة ذات قدر كبير جداً في استعلان بدء زمان الملكوت. وهي أن الأُمة اليهودية تبدأ تنفض عنها العقم الذي لازمها بدون عمل ولا ثمر ألفَيْ سنة ويزيد. فمتى أخضرَّت التينة وأخرجت أوراقها، إذ يكون عودة سخونة العلاقات الإلهية، وبَدْءُ عودة اليهود إلى زيتونتهم الدسمة التي عاش على أصولها كل أُمم العالم بطول غربة اليهود عن المسيح، فالآن بعودة اليهود إلى حظيرة الإيمان الواحد بالمسيح يكون قد كمل

آخر فصل في غربة الزمان: قد كمل الزمان، وهذا يتم بظهور المسيح في الاستعلان ''الباروسيا'' الأخير، هذه تكون أعظم علامة أن المجيء على الأبواب. وهذه نُحِسُّ الآن بإرهاصاتها الأُولى.

ولكن هذه العلامة تحمل في طياتها إنذاراً خطيراً للكنيسة إذ ستدخل في عملية تأديب قاسية:

+ «فإن كان قد قُطِعَ بعض الأغصان (اليهودية)، وأنتَ (أيها الأُممي) زيتونةٌ بريَّة طُعِّمتَ فيها، فَصِرتَ شريكاً في أصل الزيتونةِ (التوراة) ودَسَمِهَا (روحياتها)، فلا تفتخر على الأغصان (اليهود الذين طُردوا). وإن افتخرت، فأنت لستَ تحمل الأصل، بل الأصل (اليهودي) إيَّاك يحمل! فستقول: قُطِعَت الأغصان (اليهود المرفوضون) لأُطعَّم أنا (كنيسة المسيح). حسناً! من أجل عدم الإيمان قُطِعت، وأنت بالإيمان ثَبَتَّ. **لا تستكبر بل خَفْ! لأنَّه إن كان الله لم يُشفِق على الأغصان الطبيعية فلعلَّه لا يُشفِق عليك أيضاً!** فهوذا لطف الله وصرامته: أمَّا الصرامة فعلى الذين سقطوا، وأمَّا اللطف فلك، **إن ثبتَّ في اللطف، وإلاَّ فأنت أيضاً ستُقطَع**.» (رو 11: 17-24)

فالآن نعرف بحسب الكتب ونرى بحسب الواقع أنه جاء الزمان لتعود الأُمة اليهودية إلى زيتونتها الأصلية، فماذا يعني هذا؟ وماذا يخبئه مجيء ابن الإنسان لجمع شمل قديسي العلي في الأرض والسماء، إن كان بصدد عودة إيمان إسرائيل وقبولها؟؟ نقول: إن مجيء ابن الإنسان سيكون بالنسبة لكنيسة الأُمم حساباً عسيراً وطلب حساب الوكالة ووضع ميزان الإيمان عالياً!! أخاف عليكِ يا كنيسة الأُمم إذا قيس إيمانكِ فوُجِدَ منحطاً، ووُجِدَ إيمان الراجعين من اليهود عالياً، عالياً جداً!! «ولكن متى جاء ابن الإنسان ألعلَّه يجد الإيمان على الأرض؟؟» (لو 18:8)

''هنا أهمية قول السهر لأنه سيأتي كلصٍ''

13: 28و29 «**فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصاً وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقاً، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً، مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ**».

هذه العلامة الفاصلة والأخيرة، متى رأيتم اليهود المشتتين والمنفيين يعودون، وفرح الإيمان والابتهاج على رؤوسهم، وهم يقولون: «مبارك الآتي باسم الرب» حاملين صليب المسيح بالبكاء على الذين طعنوه، معترفين بخطيتهم وخطية آبائهم، فاعلموا أن ابن الإنسان على الأبواب. وهنا يكون المسيح قد ردَّ على سؤال الأربعة: متى يكون وما العلامة معاً وبآن واحد.

30:13و31 «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ. اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ».

وإمعاناً في تحديد الزمان يجزم المسيح بقول آمين، أي الحق. إن هذا الجيل ـ أي الجيل الذي آمن بالمسيح، وهم المسيحيون يهود وأُمم ـ قد احتسبهم حتى مجيئه جيلاً واحداً، أي جيل المسيح. «حتى يكون هذا كله» بمعنى أن المسيح مرتبط بوعده مع مسيحيي الكنيسة، فطالما هذا الجيل أمين على إيمانه سيظل المسيح أميناً على وعده، ولكن حينما تُفرَّغ الكنيسة من إيمانها فلابد أن يأتي ليدين.

أمَّا قوله: إن السماء والأرض تزولان وكلامه لا يزول، فلا يخلو هذا من سر عميق. لأنه لابد أن الأرض والسماء تزولان وحينئذ يتحقَّق أن كلام المسيح حق كما قال وهو هو لم يزل ولن يزول.

32:13 «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الاِبْنُ، إِلاَّ الآبُ».

هذا اليوم هو ليس يوماً بعد، وهذه ساعة ليست ساعة، فنحن عند ذلك نكون خارج الزمان، لأن مجيء ابن الإنسان هو اكتمال زمان الأُمم، فيكون «قد كمل الزمان» فابن الإنسان بحسب إرساليته من الآب جاء ليخدم زمن الخلاص للأُمم وللعائدين من إسرائيل. وخارج زمن الخلاص ماذا هو وماذا يكون فهو في معرفة الآب «ومتى أخضع له الكل (الآب) فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل» (1كو 28:15)، حيث لا زمان بعد بل أبدية سعيدة. بمعنى أن يوم انتهاء الزمان ليس من اختصاص أهل الزمان، ولا هو من اختصاص العاملين لحساب الإنسان في الزمان، سواء ملائكة السماء أو حتى ابن الإنسان. إذ أن هذا اليوم داخل في تدبير الأبد الذي هو لله وحده.

33:13ـ37 «اُنْظُرُوا! اِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ. كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ تَرَكَ بَيْتَهُ، وَأَعْطَى عَبِيدَهُ السُّلْطَانَ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَأَوْصَى الْبَوَّابَ أَنْ يَسْهَرَ. اِسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ، أَمَسَاءً، أَمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَمْ صِيَاحَ الدِّيكِ، أَمْ صَبَاحاً. لِئَلاَّ يَأْتِيَ بَغْتَةً فَيَجِدَكُمْ نِيَاماً! وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: اسْهَرُوا».

الحقيقة التي وراء دعوة المسيح الملحَّة أن اسهروا وصلوا وانتبهوا لأنفسكم هي خطيرة، وهي في كل هذه الآيات مختفية. لأن دعوة الإيمان بالمسيح تنطوي على **تسليم الإنسان حق رؤية وحضور**

استعلان مجيء المسيح مهما طال ميعاد مجيئه. وهذا الحق يتوقف عليه الدخول في زمرة القديسين الذين ستجمعهم الملائكة القديسون من الأرض والسماء معاً وبآن واحد.

والآن، وقد أعطانا علامة الزمن بدخول إسرائيل الجديدة على مستوى علني منظور، فأصبحت معرفة المجيء مُقرَّبة إلى أقرب ساعة، ولكن لا هو باليوم ولا هي بالساعة، بل بإدراك المخطط الإلهي الذي يلتزم به إنسان القرن الأول وإنسان القرن العشرين. وبمقتضى هذا المخطط نحن جميعاً موضوعون في موضع حرج، لأنه إذا قلَّ الإيمان عن المستوى المحدد لإمكانية رؤية وحضور مجيء المسيح في استعلانه، ضاع النصيب وضاع الإيمان! أما مجيء المسيح فهو ليس في نصف الليل أم الهزيع الثاني أم الأخير ليوم مجيء ابن الإنسان، بل هو اليوم الأخير في حياة كل إنسان، أفي منتصفه أو حتى آخره. هنا أصبح معنى السهر والصلاة والانتباه والحذر الدائم على وديعة الإيمان التي سيتقرر بمقتضاها النصيب المبارك مع زمرة القديسين المدعوين للملكوت. السهر هنا أصبح ضرورة أهم من الحياة كلها، وأهم من أغلى شيء في الحياة، لذلك نسمع نبرة المسيح في الإلحاح عليها تساوي الحياة أو الموت.

عزيزي القارئ، السهر هنا هو تعلق روح الإنسان وفكره وقلبه بالمسيح، حيث الصلاة حب وعشق الالتصاق الروحي بالرب:

+ «من سيفصلنا عن محبة المسيح، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف. كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنم للذبح. ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو 8:35- 39)

هذا هو السهر!!

يا إخوة أجرة السهر ملاقاة وجه الحبيب!

الأصحاح الرابع عشر

الحوادث التي انتهت بالقبض على المسيح: (14: 1–52)

82–	مؤامرة رؤساء الكهنة	**(14:1و2)**
83–	الامرأة صاحبة الطيب الكثير الثمن	**(14:3–9)**
84–	خيانة يهوذا	**(14:10و11)**
85–	الاستعداد للفصح	**(14:12–16)**
86–	نبوَّة التسليم الأخيرة	**(14:17–21)**
87–	العشاء الأخير	**(14:22–25)**
88–	النبوَّة بخصوص إنكار المسيح	**(14:26–31)**
89–	جثسيماني	**(14:32–42)**
90–	قبلة الخائن والقبض	**(14:43–52)**

محاكمة المسيح:

91–	المحاكمة أمام رؤساء الكهنة	**(14:53–65)**
92–	إنكار بطرس	**(14:66–72)**

الحوادث التي انتهت بالقبض على المسيح

(14: 1–52)

82 مؤامرة رؤساء الكهنة

[14:1و2]

(مت 26:1ـ5)

(لو 22:1و2)

هذه رواية قصيرة قدَّمها ق. مرقس كمدخل للحديث عن الآلام، حيث يبدأ ق. مرقس بتعيين زمان ومكان كل حادثة تقريباً. وقد حدث هذا قبل عيد الفصح والفطير «بيومين» وهنا يقول ق. مرقس قولته المشهورة ذات الأهمية البالغة لتحديد زمن الحوادث، والتي أخذها عنه الإنجيليون، وذلك بالنسبة للقبض على يسوع: «**ليس في العيد**». وهذا بالتالي يحدِّد ميعاد عشاء الخميس الذي تمَّ القبض على إثره أنه لم يكن ليلة العيد. وهذا بالتالي يحدِّد انحصار الوقت عن الآية (12) «وفي اليوم الأول من الفطير» وأيضاً بالتالي ميعاد دهن يسوع بالطيب، لأن ق. يوحنا يقول: إنه «قبل الفصح بستة أيام.» (يو 12:1)

والسؤال الآن: متى كان العشاء، هل في ميعاد الفصح؟ أو كما يقول ق. يوحنا إنه وقع في اليوم السابق للفصح.

14:1و2 «**وَكَانَ الْفِصْحُ وَأَيَّامُ الْفَطِيرِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ. وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يُمْسِكُونَهُ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُونَهُ، وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: لَيْسَ فِي الْعِيدِ، لِئَلاَّ يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ**».

«**الفصح**»: tÕ p£sca

ويكتبه يوسيفوس f£ska أيضاً وهو النطق العبري ‘‘للفصح’’ كما ننطقه بالعربية. وهو يعبِّر عن ذبح خروف الفصح، ويكتبها ق. لوقا:

+ «عيد الفطير الذي يُقال له الفصح ˜ort¾ tîn ¢zÚmwn ¹ legomšnh p£sca ¹.» (لو 22:1)

وهذا العيد لا يجوز إقامته إلاَّ في أُورشليم، وذلك بعد الظهر قرب المغرب من يوم 14 نيسان، حين يُذبح الخروف ويقدَّم في العشاء لنفس اليوم في المدة بين غروب الشمس ونصف الليل بحسب ظروف الشخص، على أن اليوم يبتدئ في غروب الشمس فيكون 15 نيسان بحسب التقويم اليهودي.

وعيد الفطير ¥zuma ¦t أي الخبز بدون خميرة، ويسمَّى بالعبرية maçcoth، كان أصلاً عيد الشعير عند حصاده حيث يؤكل بدون خمير. وبعد الخروج من مصر صار يؤكل من 15 نيسان إلى 21 نيسان أو 22 نيسان (خر 12: 1ـ20). ولكن صار هذا العيد الذي للفطير يغطي يوم الفصح أيضاً، حتى إن الاثنين صارا يُذكران معاً كعيد واحد يجمع هذا وذاك (2أي 35:17).

«بعد يومين»:

تأتي هنا غير مفهومة، فبعض العلماء فهموها كما هي بعد يومين، والبعض الآخر فهم أنها تعني ”اليوم **الثاني**“، ويقصد به أن ذلك كان في 13 نيسان ـ أي قبل 14 نيسان ـ فيكون المعنى متفقاً مع قولهم: «لكنهم قالوا: ليس في العيد» وكان اجتماع للمجمع غير عادي، وانتهوا إلى أنه ينبغي استخدام العسكر ـ كعادة اليهود ـ عند الهجوم أو سلب الحقوق.

«ليس في العيد لئلاَّ يكون شغب في الشعب»:

لقد استشعر رؤساء الكهنة القوة المعبَّأة في الشعب المنحاز للمسيح والقادر أن يُبطل أي مساس بالمسيح من قِبَل رؤساء الكهنة، من هنا لجأوا للحيلة «بمكرٍ» وشراء ذمة تلميذ. والفكرة اللئيمة هي أن يقبضوا عليه قبل العيد حتى يحرموه من مواجهة الشعب الآتي من كل أنحاء المسكونة، والذي يقدَّر عدده من 50 إلى 250 ألف حاج، ثم بعد العيد يقتلونه.

ويُلاحِظ القارئ الباحث أن المدوَّن في إنجيل ق. مرقس عن معنى «ليس في العيد» هو القبض عليه بمكر، إذن، فمتى يذبحونه؟ طبعاً وبالضرورة بعد انفضاض الحجاج.

83 الامرأة صاحبة الطيب الكثير الثمن

[14:3-9]

(مت 26:6-13)

(لو 7:36-50)

(يو 12:1-8)

لقد دسَّ القديس مرقس هذه القصة بين الآية الأُولى والآية العاشرة، مع أنها قصة قائمة بذاتها. يقول ق. يوحنا: إنها تمت «قبل الفصح بستَّة أيام» (يو 12:1)، ولكن في إنجيل ق. يوحنا كانت الوليمة في بيت لعازر، والمرأة كانت مريم القديسة أخت لعازر التي جلست تحت رجلي الرب تسمع له، وحسب قول الرب اختارت النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها. فهل عُملت وليمتان في بيتين، واحدة عند لعازر ومريم، وأخرى لدى سمعان الأبرص؟ هذه قضية لم تُحل! والذي يجعل حلها صعباً هو تكرار قارورة الطيب من ناردين بالذات، ولكن الذي يباعد بين الصورتين جداً هو صاحب البيت، فمرَّة هو لعازر ومرَّة هو سمعان الأبرص، كذلك الفارق الصعب قبوله بين مريم والمرأة الخاطئة. ويبدو هنا أنهما تقليدان الواحد بعيد جداً عن الآخر، ولكن قصة لعازر ومريم هي الأقرب لزمن الفصح.

ولكن الذي يسترعي انتباهنا أن ق. مرقس يحدِّد أن الدهن كان على رأس المسيح، وفي هذا إشارة قوية إلى مسحة الملوكية. فالمسيح تعيَّن أن يكون "**ملك الآلام البشرية**" وهذا غير مسحة القدمين لتقديم توبة ببكاء وانحناء. أمَّا ق. يوحنا وق. لوقا فجعلوها مسحة القدمين حيث البشرية تقدِّم توبتها بدموع وانحناء وانكسار، ولكن وأيضاً فالقديس يوحنا يقدِّم امرأة ذات نصيب صالح لن يُنزع منها، وق. لوقا يقدِّم امرأة خاطئة غُفر لها كثيرٌ لأنها أحبت كثيراً.

وهنا يبدو لنا أن تقليد ق. مرقس هو الأول والأقوى، وأخذ عنه ق. متى من جهة مفهوم المسحة، فنحن قادمون توًّا إلى الصليب، وقبل الصليب ضُربت الرأس بالقصبة، فكان لابد للبشرية أن تقدِّم مسحة من أغلى ما عندها لهذه الرأس التي هي رأس البشرية المفَدَّاة. وق. مرقس هو الوحيد الذي قيَّم الناردين **بأكثر** من ثلثمائة دينار، فلمَّا طفحت نفس يهوذا بحسب إنجيل ق. يوحنا (12:4)، الذي يبدو أنه قادَ فرقة النقد عن ادعاء الإتلاف، واعترضوا معاً على هذا البذخ مفضلين

أن الثلثمائة دينار أَولى بها الصندوق الذي كان تحت أمانته وكان يلتقط كل ما يُوضع فيه! فما كان من المسيح إلاَّ أن زجر ذوي النفوس الحاقدة، ودعا للمرأة بالكرامة والتكريم والتذكار الدائم على مدى كل أجيال الكنيسة حيثما يُقرأ إنجيل المرأة صاحبة الطيب. وكان تقييمه لمسحة الناردين بيد امرأة هو هو ما اعتادت النسوة عمله تجاه الجسد قبل الدفن أو بعده، إن كان يوم السبت، «وبعدما مضى السبت، اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة، حنوطاً (عطوراً) ليأتينَ ويدهنَّه» (مر 1:16): «لماذا تزعجونها، قد عملت بي عملاً حسناً ... عملت ما عندها قد سبقت **ودهنت بالطيب جسدي للتكفين»** (مر 14: 6و8). والقصد الوحيد في فكر المسيح أنها نبوَّة عملية عن الموت والدفن الذي سيجوزه بإرادته. ولكن من الأمور المفرحة في تقليد الكنيسة أن الأطياب والحنوط التي وُجِدَت في لفائف الأكفان بعد أن تركها المسيح كما هي وقام، أخذتها الكنيسة وصنعت بها زيت الميرون الذي تستخدمه في دهن المعمَّدين، تعبيراً عن اجتيازهم الموت مع الرب والحصول على القيامة! وإلى الآن هو محفوظ في كل كنيسة وفي كثير من أنحاء العالم.

وبعد كل هذا اتفق العلماء أن امتياز ق. مرقس في ذكر الآتي:

كسر القارورة، ثمنها أكثر من ثلثمائة دينار، «كانوا يؤنبونها» عملت ما عندها، قد سبقت فدهنت بالطيب جسدي للتكفين (تحويل السكب الذي تمَّ إلى الدهن ليلائم التحنيط).

كل هذه البيانات الخاصة بالقديس مرقس وحده تجعله حتماً صاحب القصة في تقليدها الأول.

3:14 **«وَفِيمَا هُوَ فِي بَيْتِ عَنْيَا فِي بَيْتِ سِمْعَانَ الأَبْرَصِ، وَهُوَ مُتَّكِيءٌ، جَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةُ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ. فَكَسَرَتِ الْقَارُورَةَ وَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ»**.

من روح القصة نفهم أن سمعان الأبرص كان شخصية كبيرة وعامة، وأنه غالباً قد نال الشفاء من المسيح، لأنه يستحيل أن يأكل أحد مع أبرص. ولم يخبرنا القديس مرقس عن اسم المرأة المذكورة، ومن المستبعد للغاية أن تكون هي المرأة الخاطئة التي ذُكرت في إنجيل ق. لوقا (37:7). أمَّا في إنجيل ق. يوحنا فهي مريم أخت مرثا ولعازر. ولم يعتنِ ق. مرقس أن يذكر اسم المرأة لكي يركِّز عين القارئ وأذنه على كلام المسيح، وهذا كان همَّه الأكبر دائماً. ولكن من المستغرب أن يذاع ذكرها في العالم كله بدون أن يُعرف اسمها، وربما يقصد ق. مرقس أن يجعل اسمها موصولاً بدهن المسيح وحسب. وقارورة الطيب مصنوعة غالباً من الألباستر الثمين، العطر فيها مذكور اسمه ناردين خالص كثير الثمن، وهو يُستخلص من شجرة اسمها: Nardostachys Jatamansi وهو نبات موطنه الهند.

4:14و5 «**وَكَانَ قَوْمٌ مُغْتَاظِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالُوا: لِمَاذَا كَانَ تَلَفُ الطِّيبِ هذَا؟ لأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هذَا بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثِمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ. وَكَانُوا يُؤَنِّبُونَهَا**».

لقد تعمَّد القديس مرقس أن لا يقول مَنْ هؤلاء القوم وبزعامة مَنْ؟ والقديس متى يفصح قليلاً ويقول: إنهم التلاميذ (مت 8:26). ولكن ق. يوحنا يكشف الغطاء عن المغتاظ والمتضايق من الإتلاف ويذكره بالاسم أنه يهوذا الإسخريوطي، ويبدو أن الكلام يحتمل إشارات ولفتات متبادلة بين الحاضرين، وأن الكلام يحمل كثيراً من الخشونة «وكانوا يؤنبونها» لأن في نظرهم هذا المبلغ الكبير كان يمكن أن يُعطى للفقراء. ويقول ق. يوحنا أن يهوذا لم يكن يبالي بالفقراء، فعينه على المال شأنه شأن حاملي الصناديق الذين يتلهفون على أمانتها لعدم أمانتهم.

6:14-8 «**أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: اتْرُكُوهَا! لِمَاذَا تُزْعِجُونَهَا؟ قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلاً حَسَناً. لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمَتَى أَرَدْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِمْ خَيْراً. وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. عَمِلَتْ مَا عِنْدَهَا. قَدْ سَبَقَتْ وَدَهَنَتْ بِالطِّيبِ جَسَدِي لِلتَّكْفِينِ**».

كان رد المسيح على مشاعر الغيظ، بل والحقد، فيه نقد لاذع. فهي أولاً لم تُخطئ ولم تُتلف شيئاً، بل عبَّرت أحسن تعبير عن مشاعر الإنسانية كلها، فاعتبرها المسيح قد عملت عملاً حسناً لمشاعره، كَمَنْ يقدِّم جسده ذبيحة خلاص عن العالم كله، فكان سكب الطيب على رأسه بمثابة رد جميل من البشرية التي تمثَّلت في هذه المرأة ففازت باستحسان الرب. أمَّا احتجاج يهوذا ومَنْ معه بأن الفقراء أَولى من المسيح ففي ذلك وقاحة، فالعمل التكريمي للمسيح لا يُقارن بملء البطن عند الفقراء. ولكن استطاع المسيح وهو بصدد الدخول إلى آلامه وموته أن يسبق ويتنبأ أيضاً أنه لن يكون معهم بعد ذلك، أمَّا الفقراء فأمامهم كل حين. وتكريم المسيح هو بحد ذاته تكريم لكل فقراء العالم الذين يعتبرهم المسيح إخوته. فالمسيح هو "الفقير الأعظم" وسط أغنياء هذا الدهر، وهو يمثِّل فقراء الدنيا والحامل لهمّهم وآلامهم وخلاصهم وعزائهم. فهذه النظرة التي يقول عنها ق. يوحنا إنها جاءت من يهوذا فهي مناسبة فعلاً ليهوذا الذي باع سيده بالفضة، وبهذا يتحتَّم بحسب المنطق أن تكون الفضة أثمن من المسيح في قرارة نفسه. ثم الذي باع سيده بثلاثين من الفضة يكون ما قيمته ثلاث مئة دينار من الذهب شيئاً مغرياً إلى أقصى حد ممكن أن يراهن عليه ليبيع ضميره وكل شيء. إنها رؤية مَنْ فقد الرؤية، وأفدح ثمن يمكن أن يُشترى به الهلاك!! فبالثلاثين باع الحياة واشترى الموت.

«**عملت ما عندها**»:

تذكِّرنا بالمرأة التي أعطت كل ما عندها، وكل ما كان عندها هما فلسان أعطتهما وقالت كما قالت أرملة بيت صيدا:

+ «فقالت (لإيليا) حيٌّ هو الرب إلهك إنه ليست عندي كعكة ولكن ملء كف من الدقيق في الكوار وقليل من الزيت في الكوز، وها أنذا أقش عودين لآتي وأعمله لي ولابني لنأكله ثم نموت.» (1مل 12:17)

ولكن في الحقيقة الترجمة العربية هنا غير دقيقة فهي ليست «عملت ما عندها» بل «عملت ما تملك » Ö œscen ™po…hsen وهي لا تقل عن كل ما عندها.

وها إله إيليا هنا فهل كثير عليه قارورة طيب تدهن بها جسده! إنها فرصة العمر بل فرصة الأبدية أن تستحوذ هذه المرأة المحظوظة على لمس رأس فادي البشرية، وهو ابن الله، وتسكب عليها طيباً. وليس غريباً أن يقرن المسيح سيرتها بسيرة الكنيسة في الأرض كلها، فقد سكبت الطيب على رأس الكنيسة لتفيح رائحة الكنيسة بالحب إلى مدى الأجيال. ومادرت هذه المرأة أنها كفَّنته لندفنه اليوم، وغداً يقيمنا معه.

«**قد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للتكفين**»:

للتكفين = ™ntafiasmÒn وهي كلمة يونانية تفيد **الدفن**. إذن، الأصح في الترجمة أن تكون أنها **كفَّنتني للدفن**.

ولكن المرأة لم تفهم قط أن عملها هذا هو الدَّهْن لتكفين الجسد، ويقيناً أنها عندما سمعت هذا من فم المسيح جزعت. بل هي حسبته للتطييب وحسب ليشتَمَّ المسيح رائحة عملها كذبيحة شكر. ولكن متى كان المسيح يسمح بتعطير جسده بعطر الناردين؟ إنه هنا يستهزئ بالعطر والعطور إذ حوَّله إلى عمل من أعمال الموت والدفن.

9:14 «**الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضاً بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ، تَذْكَاراً لَهَا**».

«**تذكاراً لها**»: mnhmÒsunon

المرأة في ذاتها لا قيمة لتذكارها، والدليل على ذلك أن ق. مرقس لم يعط اسمها، إنما التذكار هو لعملها الحسن، لأنها أول من اشترك في تكفين الجسد كأول عمل ممهِّد للصليب والقبر. وكون

تذكارها يبقى هكذا إلى الأبد، لأن الجسد لا يزال في السماء يحمل عطر هذه المرأة الذكية التي اشترت بعطرها مكاناً في السماء. ولماذا خُلِّد عملها في الإنجيل والكنيسة إلاَّ لأنه أصبح لها فعلاً حسناً دائماً بدوام الإنجيل والجسد! أمَّا كون ق. مرقس لم يذكر اسم هذه المرأة بعد كل ما قاله المسيح عنها فهو يقطع قطعاً بالحق أن القصة أصيلة وقد أخذها ق. مرقس من التقليد دون أن يضيف إليها حرفاً. وهكذا بدقة ق. مرقس في نقل التقليد أثبت صدقه وأصالته.

أمَّا لماذا قدَّم ق. مرقس قصة هذه المرأة بهذا الوصف والعرض المثير البهيج، وما حازت من مديح المسيح والتذكار في كنيسة كل الدهور، فهو ينطوي على سرٍّ خطير أُرجئ كشفه للموضوع القادم، الذي حينما يعرفه القارئ السعيد كم سيفرح بل كم سيذهل من حكمة هذا الإنجيل الذي للقديس مرقس، والحبك في ترصيص الأخبار المفرحة!!

84 خيانة يهوذا

[10:14و11]

(مت 26:14-16)

(لو 22:3ـ6)

التداعي للرواية هنا واضح، من عمل حسن يخلَّد للحياة أبد الدهر، إلى عمل خسيس خائن لموت ولعنة في جبين الدهر. وكان يجب أن تأتي قضية يهوذا بعد مؤامرة رؤساء الكهنة والكتبة، كيف يمسكونه بمكر مباشرة لضرورة ترتيب المواضيع وتسلسل الرواية، ولكن رأى ق. مرقس أن يدسّ قصة المرأة التي سكبت الطيب لتحتل من عدد (3) إلى (9) كتقدمة موازنة لعمل يهوذا. فالبشرية التي قدَّمت يهوذا والثلاثين من الفضة سبقت فقدَّمت امرأة الناردين الخالص الكثير الثمن الذي يفوق الثلاث مائة دينار ذهبي. إنه ق. مرقس الذكي اللمَّاح الحصيف الرأي الذي كلامه يفوق اللآلئ. ثم يعود ويبدأ يقص قضية يهوذا، ولكن يظل موضع قضية يهوذا حقيقة لا بد أن تأتي ملاصقة لمؤامرة رؤساء الكهنة وقول التقليد: «كيف يمسكونه بمكر» والمكر هنا هو استخدام أحد التلاميذ ـ تلاميذ المسيح ـ الذي قُدَّ قلبه من صخر ولسانه نِصالٌ، الذي يعرف ويرشد بحاسة الذئب عن أماكن استراحة المسيح ليأتوا ليلاً بعساكرهم ويمسكوه. ولم يتسرَّب في التقليد خطوات أو تجسُّسات ليهوذا، ولكن كل الذي يعرفه التاريخ هو أنه مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلِّمه إليهم، ولما سمعوا

فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضَّة، ومن بعدها كان يطلب كيف يسلِّمه في فرصة موافقة حسب الاتفاق. وقد ذكرها ق. متى كحديث سرِّي جداً بين يهوذا ورؤساء الكهنة «ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أُسلِّمه إليكم، فجعلوا له ثلاثين من الفضة» (مت 15:26) ربما على مسمع من نيقوديموس أو يوسف الرامي. والقديس لوقا يضيف أن المؤامرة كانت بين يهوذا ورؤساء الكهنة وقوَّاد الجند (الذين ظهروا فجأة ساعة القبض). أمَّا يوحنا فيبرز دور الشيطان في عملية التسليم: «فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع: ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعةٍ» (يو 27:13). ولم يُرَ يهوذا بعد العشاء إلى أن جاء مع قوَّاد جند الهيكل ليمسكوه وهو يصلِّي في جثسيماني.

في كل هذا يقول العلماء إن رواية ق. مرقس الرزينة والوقورة تبدو بين الأناجيل أنها الأُولى والأصيلة.

ويُلاحَظ هنا أن ق. مرقس يتتبع بدقة مسار التاريخ لحظة بلحظة، ويبدو من رواية ق. مرقس أن يهوذا وقع فريسة في أيدي رؤساء الكهنة وغسلوا مخه أولاً فأقنعوه أن المسيح ليس هو المسيَّا ببراهين جهنمية، فاقتنع التلميذ الخايب ووقع في ضباب الرؤية وفقد القدرة على التمييز. لأنه من المستحيل أن يسلِّم يهوذا معلِّمه إلاَّ إذا كان قد فقد كل الإيمان به. وهذا يوضِّح مهارة رؤساء الكهنة وخداعهم ومكرهم، ولكن في الحقيقة كان دور الشيطان وطغيانه إنما على أيدي رؤساء الكهنة.

10:14و11 «**ثُمَّ إِنَّ يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ، وَاحِداً مِنَ الاثْنَي عَشَرَ، مَضَى إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ. وَلَمَّا سَمِعُوا فَرِحُوا، وَوَعَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً. وَكَانَ يَطْلُبُ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ فِي فُرْصَةٍ مُوافِقَةٍ**».

كان يهوذا الإسخريوطي واحداً من الاثني عشر، بل كان ذا حيثية ورئاسة لأنه كان يحمل الصندوق، وهي أمانة يبدو أنه اغتصبها لنفسه ليكون الأول بينهم: «هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء، بل لأنه كان سارقاً، وكان الصندوق عنده، وكان يحمل كل ما يُلقى فيه» (يو 6:12). «محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذ ابتغاه قوم **ضلوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاعٍ كثيرة**» (1تي 10:6). وهكذا فالذي **يسرق** الصندوق يهون عليه أن **يبيع** سيده!!

وهكذا تمَّ قول المسيح عن النبوَّة: «لكن ليتمَّ الكتاب: الذي **يأكل معي الخبز رفع عليَّ عقبه**. أقول لكم الآن قبل أن يكون، **حتى متى كان تؤمنون** أني أنا هو» (يو 13: 18و19). نعم **هذا كان** وكان بالحرف الواحد: «فأجاب وقال لهم: هو واحدٌ من الاثني عشر، الذي يغمس معي في الصحفة» (مر 20:14). ولكن لشديد الأسف لم يفهم التلاميذ مع أنه وعَّاهم أن الذي سيأكل معه اللقمة هو الذي

سيسلِّمه، وغمس اللقمة وأعطاه (يو 26:13)، ولكن التلاميذ أخذوا يسألون واحداً فواحداً هل أنا؟

«**ووعدوه أن يعطوه فضة**»:

هكذا يقول ق. مرقس، ولكن ق. متى يقول: إنه حدثت مساومة: «ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أُسلِّمه لكم» (مت 15:26). لقد استطاع الشيطان أن يعمي عينيه ويسلبه قدرة التمييز. وهذا يعني أن يهوذا خرج من عند رؤساء الكهنة وفي كيسه ثمن الدم. ويقول العالِم ماك نيل(1) إن الثلاثين من الفضة كانت تساوي أربعة جنيهات إنجليزية وستة عشر بنساً!!

85 الاستعداد للفصح

[16-12:14]

(مت 17:26-19)

(لو 7:22-13)

قبل أن نبدأ بالدخول في ميعاد الفصح الرسمي، وبالتالي ميعاد العشاء الأخير، يلزم قبل كل شيء أن يعرف القارئ أن اليوم اليهودي يبدأ في غروب اليوم السابق، فمثلاً يوم الخميس يبدأ في غروب الأربعاء، ويوم الجمعة يبدأ في غروب الخميس. بعد ذلك ندخل في حقيقة ميعاد الفصح في الأناجيل الثلاثة المتلازمة synoptic والإنجيل الرابع للقديس يوحنا.

فقد ذكرت الثلاثة أناجيل أن الفصح ذُبح الخميس ليلاً صابح الجمعة، أمَّا إنجيل ق. يوحنا فقد ذكر أنه ذُبح يوم الجمعة في الغروب صابح السبت. وبذلك كان العشاء الأخير قبل الفصح بيوم، أي كان الخميس 13 نيسان بالمساء صابح الجمعة بحسب تاريخ إنجيل ق. يوحنا. وذلك بدليل أن إنجيل ق. يوحنا يقول إن رؤساء الكهنة لم يريدوا أن يدخلوا دار الولاية ظهر الجمعة، أثناء محاكمة المسيح، لئلاَّ يتنجَّسوا فيأكلوا الفصح مساءً صابح السبت (يو 28:18)، بمعنى أن الفصح كان سيُعمل مساءً بعد نهاية الجمعة، فيبدأ من غروب الشمس يوم الجمعة صابح السبت. كذلك ذكر إنجيل ق. يوحنا بحسب تاريخ الفصح فيه أن يوم السبت هذه السنة كان عظيماً (يو 31:19)، ولا يسمَّى السبت بالسبت العظيم إلاَّ إذا جاء يوم العيد.

(1) **Mc. Neile, cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 535.**

من هذا نفهم أن المسيح قصد قصداً أن يأكل الفصح، أي يعمله، بالسر بالخبز والخمر قبل عيد الفصح بذبح الخروف بيوم واحد عمداً، ليكون ميعاد ذبحه هو يوم الجمعة بعد الظهر، أي في ميعاد ذبح الخروف، لكي يُحسب المسيح أنه الفصح الجديد، الخروف الناطق الإلهي، فصح الدهور، كما قالها ق. بولس:

+ «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا.» (1كو 7:5)

أمَّا الأناجيل الثلاثة فوضعت العشاء الأخير يوم الخميس مساءً في ميعاد ذبح الخروف، وذلك قصداً منهم لكي يجعلوا العشاء نفسه هو الفصح الجديد، أي حركوا موعد الفصح من يوم الجمعة مساءً وجعلوه يوم الخميس مساءً، وطبعاً السبب في ذلك كله هو ق. مرقس الذي أراد أن يجعل الإفخارستيا هي الصلب الحقيقي، أي كسر الخبز مع كسر الجسد، فذلك اتجاه لاهوتي كان يتملَّك عليه بقوة، وجرى الإنجيليان مجراه لأنهما أخذا من ق. مرقس هيكل إنجيله وتدبير لاهوته.

ولكن المسيح نفسه هو الذي دبَّر تدبيراً إلهياً أن يكون عشاء الخميس قبل الفصح كفرصة ليذبح نفسه بإرادته، ليكون فصح الكنيسة بالسر، قبل أن يذبحه اليهود يوم الجمعة فيكون فصح العالم بالعلن. وهكذا فإن ق. مرقس هو الذي زحزح فصح الجمعة بذبح الخروف وجعله الخميس ليتوافق مع العشاء الأخير ليكون هو فصحنا الجديد. والوصفان لهما عمق لاهوتي، وعسير على الإنسان أن ينقد بفكره ما وُضع. فإذا أكلنا الإفخارستيا اليوم فهي جسد المسيح ودمه كفصح العهد الجديد المقدَّم لنا على مستوى السر في عشاء الخميس، بحسب الأناجيل الثلاثة، وهي نفسها جسد المسيح ودمه كفصح العهد الجديد المذبوح على مستوى الواقع المنظور مساء الجمعة بحسب القديس يوحنا.

12:14 «**وَفِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الْفَطِيرِ. حِينَ كَانُوا يَذْبَحُونَ الْفِصْحَ، قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نَمْضِيَ وَنُعِدَّ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟**».

«**الفصح**»:

وتعني الكلمة هنا: "ذبح الخروف"، وفي الحقيقة كان أول فصح عُمل هو ذبح الخروف في مصر، الذي بواسطة دمه فُدي شعب إسرائيل من الهلاك بيد الملاك المهلك. أمَّا بعد ذلك فكل فصح أُقيم بذبح الخروف في نفس ميعاد الخروف الأول في مصر لم يكن مجرَّد تذكار ـ كما يقول العالِم فنسنت تايلور ـ بل كان فصحاً حقيقياً يتجدَّد فيه ذات الفداء، ويستمد سرَّه الفدائي من قوة سر فداء الخروف الفصحي الأول، لأن رب الأسرة إنما يقدِّم الخروف للذبح ليفدي أولاده بالفعل، كما فدى أجداده في مصر، لأن الفصح ذبيحة فداء دائمة المفعول وليس كمجرَّد الذكرى.

وفي الحقيقة قول ق. مرقس: ‘‘في اليوم الأول من الفطير’’ يعني اليوم الرابع عشر من الشهر بعد غروب الشمس، حيث يكون الفصح حسب الناموس هكذا:

+ «في الشهر الأول، في الرابع عشر من الشهر، بين العشائين، فصح للرب. وفي الخامس عشر من هذا الشهر عيد الفطير للرب، سبعة أيام تأكلون فطيراً.» (لا 23: 5و6)

من هنا يتضح أنه كان من الممكن أكل الخبز المختمر يوم الفصح مساء الرابع عشر من نيسان، وبالتالي في الإفخارستيا، حتى إذا افترضنا أنها تمت يوم الفصح.

ولكن الحقيقة أن الإفخارستيا التي عملها المسيح كانت قبل الفصح بيوم(2) وبالتالي لم يكن فيها ذبح خروف، هذا استحالة لأن الكاهن يستحيل أن يذبح خروفاً للفصح قبل الفصح. إذن إفخارستية المسيح لم تكن دموية ولم يكن فيها لحم بأي نوع. وهذا هو ترتيب المسيح ليكون بالخبز والخمر ذبيحة جديدة، لا بدم حيوان بل بدم ابن الإنسان، ذبيحة جديدة فصحية فيها الخبز هو جسد المسيح والخمر هو دمه، في مفهوم الفصح الإلهي السمائي الجديد غير الدموي!!

وواضح من ملابسات الرواية عند ق. مرقس، والتي ينسج على منوالها ق. متى وق. لوقا، أن التلاميذ حتى اللحظة الأخيرة لم يكونوا على علم بكيفية أكل الفصح ولا بميعاده ولا بمكانه. هذه الأمور احتفظ بها المسيح سرًّا لنفسه ولصاحب العليَّة، حتى لا يعطي الخائن فرصة التسليم قبل أن يصنع العشاء الفصحي الأخير ويقدِّم جسده ودمه بإرادته فصحاً أبدياً للعالم.

13:14و14 «فَأَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمَا: اذْهَبَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيُلاَقِيَكُمَا إِنْسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ. اِتْبَعَاهُ. وَحَيْثُمَا يَدْخُلْ فَقُولاَ لِرَبِّ الْبَيْتِ: إِنَّ الْمُعَلِّمَ يَقُولُ: أَيْنَ الْمَنْزِلُ حَيْثُ آكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي؟».

واضح أن المسيح كان قد رتَّب كل شيء: المنزل والعليَّة والطعام وكل شيء بعيداً عن سمع ونظر الخائن، لذلك جاءت التعليمات كالألغاز: فلما أرسل أرسل التلميذين المؤتمنين ليرتبا الترتيب الأخير مع صاحب البيت للعشاء الأخير. أمَّا الإنسان حامل جرَّة الماء فهو الترتيب الوحيد الذي رتَّبه المسيح بالرؤية غير البشرية. وأمَّا صاحب البيت فلم يكن غير ق. مرقس وأُمَّه، الذي يكتب هذا الإنجيل

(2) وقد أثبتنا ذلك في كتاب ‘‘الإفخارستيا والقداس’’ صفحة 143ـ162 حيث أظهرنا أيضاً المعنى الحقيقي لقول ق. مرقس: «في اليوم الأول من الفطير حيث كانوا يذبحون الفصح» (صفحة 148و149)، حيث أرجعه العالِم يواقيم إرميا إلى أصله الأرامي فوجده يعني: ‘‘قبل يوم الفطير حين كانوا يذبحون الفصح’’.

دون إشارة واحدة إلى نفسه، علماً بأن المسيح كان معروفاً عند صاحب البيت(3).

وبحسب سفر الأعمال كان المنزل منزل مريم أم مرقس (أع 12:12).

14: 15و16 «فَهُوَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً مُعَدَّةً. هُنَاكَ أَعِدَّا لَنَا. فَخَرَجَ تِلْمِيذَاهُ وَأَتَيَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. فَأَعَدَّا الْفِصْحَ».

يقص ق. لوقا نفس القصة بكل ترتيباتها من بعد ق. مرقس كما هي بدون تصرُّف، أمَّا ق. متى فيحذف موضوع حامل جرَّة الماء ويضيف إضافة: «المعلِّم يقول: إن وقتي قريب.» (مت 18:26)

«عليَّة كبيرة مفروشة معدَّة»:

الفرش والإعداد لكي تسع التلاميذ ليجلسوا في متكئات على الأرض، أو شبه ديوانات يمكن أن يجلس عليها الشخص على جنبه وتكون رجلاه خلفه. وفي الوسط شبه مائدة، ويجلسون على هيئة حلقة أو دائرة يجلس المعلِّم في رأسها وعلى يمينه أكبر التلاميذ (حيث تعارك على هذا المقعد بطرس ويهوذا أيهما أكبر) ــ وعلى شماله أصغر التلاميذ وكان ق. يوحنا. ولأن يهوذا كان ملاصقاً للمسيح لم يستطع أحد أن يسأل المسيح عن مَنْ سيسلِّمه إلاَّ ق. يوحنا، فهو أقرب التلاميذ إلى أُذن المعلِّم اليسرى. لذلك حينما كلَّم المعلِّم التلميذ الخائن لكي يسرع بما يريد أن يعمله، لم يسمعه أحد إلاَّ ق. يوحنا، وهو الوحيد الذي سجَّل هذا الكلام. أمَّا بقية التلاميذ فظنوا أنه يقول له أن يشتري شيئاً للعيد. وهنا الترتيب في الجلوس على المائدة في التقليد اليهودي هو على أساس أنه بغياب رب الأسرة يجلس مَنْ كان عن يمينه في موضعه كرئيس، لهذا تعارك بطرس مع يهوذا على شرف المقعد الأول! فالأول منهما أنكره والثاني سلَّمه. أمَّا الجالس على المقعد الأخير فهو الأكثر إيثاراً لقلب المعلِّم لذلك سُمِّي يوحنا **بالحبيب!** أمَّا الذي ترأَّس على أسرة التلاميذ بعد غياب المسيح فكان يعقوب أخا الرب، وسمِّي بالرسول تكريماً. ويكاد أن الرسل لم يجتمعوا معاً إلاَّ في الملمَّات للصلاة وفي العليَّة أيضاً.

من هنا كان ق. مرقس وهو صاحب العليَّة أكثر من تخصَّص في حوادث آلام المسيح وما بعدها، لأنها كانت كلها تدور في العليَّة وأمام نظره وسمعه. فهو كمَنْ ينقل لنا الحوادث بالصوت والصورة.

(3) **Alfred Plummer, *op. cit.*, p. 318.**

«**هناك أعِدَّا لنا** (الفصح)»:

يبدو أن هذا القول قد قِيلَ من فم المسيح مجازاً، إذ لم يكن خروف ولا فصح، لأن المسيح قد رتَّب أن يكون هو الفصح الحقيقي لإسرائيل وللعالم الجديد. أمَّا الطعام فكان يخلو من اللحم إذ لم يُذكر شيء عنه بالمرَّة، ويقتصر على الأكلة الرسمية (دون الخروف) من أعشاب مرَّة وخبز وخمر وصحون أخرى تقليدية، لأنه لم يُذكر قط أي خبر عن شراء خروف الفصح وإعداده مسبقاً للذبح والقيام بإعداده، فهذه العمليات يبدو أنها أُلغيت في مظهرها التنبؤي وأُجريت على حقيقتها الجوهرية، حيث الخل والأعشاب المرَّة مُزجت له على الصليب، وذاق ولم يرد أن يشرب تكريماً للنبوَّة: «العار قد كسر قلبي فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن ومعزِّين فلم أجد. ويجعلون **في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلاً**» (مز 69: 20و21)، هذه هي مميزات أكل الفصح!! علماً بأن هذا العشاء أكله المسيح وتلاميذه قبل أكلة الفصح الرسمية بأربع وعشرين ساعة(4).

أمَّا العشاء نفسه ـ كما سنسمعه ونتأمله ـ ففيه كل الأعمال الفصحية على مستوى الخروف، الذي لا يزال قائماً في السماء مذبوحاً تحقيقاً علنياً أبدياً أنه فصح الدهور، ولم تفرغ البشرية بعد من الأكل منه، ودمه لا يزال يسري في عروق الخليقة الجديدة.

وتنتهي رواية ق. مرقس مرَّة واحدة بقوله: إن التلميذين أتيا إلى المدينة ووجدا كما قال لهما فأعدَّا الفصح! ولكن من ثنايا هذه الرواية ينكشف لنا أن المسيح كان له أصدقاء في أُورشليم، وخدمة وعمل، اختصرها ق. مرقس لينهي خدمة المسيح في سنة واحدة تنتهي برحلة إلى أُورشليم يُسلَّم فيها ويُصلب، ويقوم في اليوم الثالث.

(4) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 538.**

86 نبوَّة التسليم الأخيرة

[14:17-21]

(مت 26:20-25)
(لو 22:14و21-23)
(يو 13:21-30)

يبدأ المسيح حديثه على المائدة برواية التسليم وهم متكئون ويأكلون، ووقتها أعلن عن أن واحداً من الاثني عشر ”منكم“ سيسلِّمني، ثم أضاف إشارة أكثر توضيحاً وأكثر إيلاماً وأكثر فضيحة: «**الآكل معي**». هنا اتهام صارخ مصوَّب لقلب الخائن، ولكن بالرغم من الإشارات السابقة الكثيرة إلى هذا الخائن إلاَّ أن التلاميذ لم يفهموا شيئاً كالعادة. فابتدأوا يحتجُّون احتجاجاً هزيلاً دفاعياً عن النفس هل أنا، هل أنا؟ وطبعاً والعجيب أن يقول الخائن مع القائلين هل أنا؟! وكان قصد المسيح بعد أن قرأ كل الذي في فكر يهوذا أن يعطيه الفرصة الأخيرة مع إنذار مريع بهلاك حتمي لا نجاة منه: فبعد قوله الصريح المريع: «ويل لذلك الرجل الذي به يسلَّم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يُولد!» (مر 14:21)، كان هذا أقصى ما يمكن أن يقوله المسيح للتنبيه والتحذير، فكان قمَّة كل التلميحات السابقة التي كان ينبغي أن تقطع عليه خط الخيانة في هذه الليلة. ولكن للأسف كان الشيطان قد ختَّمه على وثيقة الهلاك وفات الوقت وفلت الأمر. وإلى هذه اللحظة والمسيح يخفي اسم يهوذا ليجعل رجوعه سهلاً دون خجل، ولكنه كان قد فقد معنى الخجل. ففي إنجيل ق. لوقا ردَّ على تحذير المسيح مع مَنْ ردُّوا ببجاحة جبانة غبية ـ في مساءلة التلاميذ بعضهم لبعض مَنْ يا تُرى «هو المزمع أن يفعل هذا» (لو 22:23)، كصبية يلعبون الاستغماية على رهان مَنْ يكون القاتل!! أمَّا المقصود عليه نيَّة القتل فكان هو المعلِّم والسيد والرب. وفي إنجيل ق. متى يقولها بأكثر بجاحة كمَنْ يستعمي سائله: «هل أنا هو يا سيدي» (مت 26:25)، مرتين: الأُولى في وسط هوجة التلاميذ، والمرَّة الثانية مواجهة لما قال المسيح «كان خيراً لذلك الرجل لو لم يُولَد» فأجاب يهوذا مسلِّمه وقال: هل أنا يا سيِّد؟ قال له: «أنت قلت» (مت 26: 24و25).

ولا غرو في ذلك إن كان الشيطان قد لبسه لبساً!! واقترح بعض العلماء مثل ماك نيل(5) أن هذا السؤال وهذا الجواب كان في السر وبالهمس لم يسمعه التلاميذ إلاَّ الأقرب، الذي نقل هذا السر واستودعه التقليد في الكنيسة.

وفي إنجيل ق. يوحنا أعلن المسيح سر الخائن واضحاً:

+ «وكان متكئاً في حضن يسوع واحدٌ من تلاميذه (الجالس عن يساره مباشرة وهو يوحنا)، كان يسوع يحبّه. فأومَأ إليه سمعان بُطرس ـ (ربما بغمز العين لأن بطرس كان جالساً بعد يهوذا الجالس عن يمين المسيح مباشرة فلا توجد أي فرصة لبطرس أن يسأل ويهوذا بجواره) ـ أن يسأل مَنْ عَسى أن يكون الذي قال عنه. فاتَّكأ ذاك على صدر يسوع وقال له: يا سيِّدُ، مَنْ هو؟ أجاب يسوع: هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأُعطيه. فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي. فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع: ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعةٍ.» (يو 13: 23ـ27)

وبقي الاثنا عشر مندهشين لماذا قال المسيح هذا ومَنْ هو المقصود ـ إلاَّ يوحنا وبطرس.

وفي كل هذه البيانات نجد ق. مرقس يتخذ الأسلوب الرزين مع ضبط النفس بلا زيادة أو تعليق، مع أن القصة مثيرة جداً لأعصاب أي إنسان فما بالك تلميذ ومن المقربين! فكل ما أفاد به ق. مرقس ينحصر في المعلومة الكاملة: «إن يهوذا الإسخريوطي، واحداً من الاثني عشر، مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلِّمه إليهم. ولما سمعوا فرحوا، ووعدوه أن يعطوه فضة. وكان يطلب كيف يسلِّمه في فرصة موافقة» (مر 14: 10و11). وبسبب هذه المعلومة ابتدأ المسيح يغيِّر في مواعيد التقابل ومواعيد الفصح واستخدم الأسلوب السرِّي في توصية التلاميذ حتى يفوِّت على يهوذا معرفة أي مكان أو ميعاد ـ حتى يكمِّل فصحه الأخير بسلام!! وهنا تقرير جيد للعالِم مونتفيور:

[مهما كانت أوضاع هذه القصة تاريخياً، فمهابة ورزانة أقوالها المكدَّسة لا يمكن إنكارها.](6)

14: 17و18 «وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ جَاءَ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. وَفِيمَا هُمْ مُتَّكِئُونَ يَأْكُلُونَ، قَالَ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِداً مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي. الآكِلُ مَعِي!»

---

(5) **A. H. Mc Neile, *The Gospel according to St. Matthew*, London, 1915, p. 381.**

(6) **C. G. Montefiore, *The Synoptic Gospels*, London, 2nd ed., 1927, vol. I, p. 325.**

طبعاً هذا الاجتماع والبدء بالأكل يحتِّم أن يكون الميعاد بعد الغروب كبداية 15 نيسان إذا اعتبرنا أن الأكل كان للفصح. ولكن الأرجح بل والمؤكَّد بحسب إنجيل ق. يوحنا أن هذا الاجتماع كان في اليوم السابق، أي مساء 13 نيسان بعد الغروب كبداية ليوم 14 نيسان. وقوله جاء مع تلاميذه لأن الاثنين بطرس ويوحنا كانا متغيبين يعدان الفصح وعادا. وهنا لفتة هامة أن الأكل هنا ليس هو على مستوى أكل الفصح القديم، إذ يقول: وبينما هم **متكئون يأكلون**، لأن الفصح كان يؤكل من أوله إلى آخره وأفراد العائلة وقوفاً وليسوا جلوساً (خر 11:12) رمز الأهمية للسفر للخلاص. ولكن بدأ اليهود يعدلون في التقليد لأنهم ليسوا بعد عبيداً هاربين، بل صاروا أبناءً أصحاب أرض أحراراً.

ويقول العالِم يواقيم إرميا(7) إنه مهما كان فعبارة «فيما هم متكئون يأكلون» لا تدل أن الاجتماع كان لأكل الفصح، لأن اتكاء **أفراد العائلة أو التلاميذ** معناه أن المأدبة كانت **وليمة ضيافة** « **والمتكئات** الأُولى في **الولائم**» (مر 39:12). وهنا يعطي ق. لوقا في تقليده تعبيراً آخر عن الإشارة للخائن «ولكن هوذا يد الذي يسلِّمني هي معي على المائدة» (لو 21:22). كذلك يعطي ق. يوحنا في إنجيله بادرة جديدة بالاعتبار توضِّح مدى تأثير خيانة يهوذا على نفسية المسيح: «لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني» (يو 21:13). وهذا يتفق كثيراً مع ق. مرقس.

14: 19و20 «فَابْتَدَأُوا يَحْزَنُونَ، وَيَقُولُونَ لَهُ وَاحِداً فَوَاحِداً: هَلْ أَنَا؟ وَآخَرُ: هَلْ أَنَا؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يَغْمِسُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ».

إن حزن التلاميذ وانزعاجهم انطبع على تصرفهم وكلامهم. وواضح من سؤالهم المتكرِّر أنهم لا يوجهون أسئلتهم لاتهام آخر، بل يشيرون إلى أنفسهم فقط للتبريئ.

أمَّا إجابة المسيح فهي إعادة الاتهام أنه واحد من الاثني عشر. بمعنى أنه واحد من الذين سألوا وقالوا: هل أنا؟ هو هو!! وأضاف كشفاً لجرأة هذا الخائن: الذي يأكل معه في الصحفة، «ليتم (قول) الكتاب الذي يأكل معي الخبز رفع عليَّ عقبه» (يو 18:13). وبقوله هذا أعطى أول علامة لتصفية هذه الشخصية الخائنة والمتبجِّحة. ولكنها تزداد انكشافاً في إنجيل ق. يوحنا: «أجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه، فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي» (يو

(7) **J. Jeremias, *Die Abendmahlsworte Jesu,* Göttingen, 1935, pp. 22,23.**

26:13). وأمَّا الصحفة فهي قصعة وليست صحناً. أمَّا محتويات القصعة فمجموعة من الأطعمة التقليدية اسمها اليهودي حاروزيث haroseth وهي خليط من البلح (الجاف المنقوع) والعنب والخل، وهو صحن هام في عيد الفصح. ولكن في إنجيل ق. مرقس لم يحدث قط أن أفرز المسيحُ يهوذا أو أشار إليه مباشرة.

21:14 «إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسانِ. كَانَ خَيْراً لِذلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ!»

هنا يركِّز المسيح على حتمية انطلاقه بيد يهوذا أو بدون يهوذا، بمعنى أن خيانة التلميذ لا تؤثِّر في حتمية تكميل رسالته بالانطلاق إلى فوق بعد أن يكمِّل الفداء الذي نزل من أجله. ولكن أن يشترك تلميذ من الاثني عشر في هذا التسليم والقتل فهي مصيبة عظمى في حق التلمذة والتبعية الخائنة، وإذ يرى المسيح بعينيه الخارقة للزمن والحوادث مصير هذا التلميذ كيف سيخنق نفسه ويموت بعيداً عن رحمة الله، يقول قولته: كان خيراً له لو لم يولد.

«ويل لذلك الرجل»: oÙaˆ d

المسيح هنا لا يعطي لعنة، بل ينطق بالحزن على نصيب ذلك الإنسان الذي اختار الهلاك لنفسه.

«كان خيراً لذلك الرجل لو لم يُولد»:

أيضاً هنا لا يعطي المسيح تهديداً أو شماتة، بل يقرِّر حقيقة أُخفيت عن عيني يهوذا، فقد وُلِد ولكنه لم يختر الحياة ليحيا بل اختار الموت للهلاك. خاصة وأن المسيح قد حذَّره عدة مرَّات بالتلميح أولاً ثم بالتصريح ثم بالمواجهة، ولكن ثبت يهوذا على اختياره الهلاك لنفسه.

وقد بحث العالِم يوحنا هاوكنز(8) في رواية ق. مرقس ومقدار توافق ق. متى معه فوجد أن انطباق أقوال إنجيل ق. متى في هذه الرواية ضعف انطباق ق. لوقا على نفس الرواية، فالقديس متى يلتصق بتقليد ق. مرقس حرفياً.

ومن مطلع الآية (19): «فابتدأوا يحزنون ...» هكذا انقلب العشاء إلى محزنة لأن وجود خائن في وسط جماعة محبة مستبشرة جعل إصبع الشيطان ينغرس في كل ما هو مسرٌّ ليقلبه إلى غم.

وبهذا جازت مشاعر التلاميذ الحزينة مشاركة حسيَّة في ذبح المسيح، لأن يهوذا اشترك فعلاً

(8) **Sir John Hawkins, *Studies in the Synoptic Problem*, pp. 76 f.**

في ذبح مشاعر المسيح وانعكست على التلاميذ. وصحَّ القول: «أنتم الذين ثَبَتُوا معي في تجاربي.» (لو 28:22)

وهكذا كان العشاء الأخير، ولو أنه لم يكن فصحياً طقسياً ولكنه كان فصحياً حقيقياً، فيه كان الذبح بسكين يهوذا: «ألين من الزيت كلماته وهي سيوف مسلولة» (مز 21:55). لقد ذهب يهوذا إلى حال سبيله ولكن الذي عمله هو خنجر لا يزال مغروساً في قلوبنا. ولعلَّ سمعان الشيخ كان يخاطب البشرية في شخص مريم العذراء: «وأنتِ أيضاً يجوز في نفسكِ سيف!!» (لو 35:2)

87 العشاء الأخير

[25-22:14]

(مت 26:26-29)

(لو 22:14-20)

(1كو 23:11-25)

رواية هذا الجزء عند ق. مرقس (14: 22-25) ربما تُعتبر الجزء المكمِّل لما سبقه في (14: 12-16) مباشرة، عندما سأل التلاميذ المسيح قائلين له: «أين تُريد أن نمضي ونُعدَّ لتأكل الفصح؟» ولكن الأكثر ترجيحاً أن هذا الجزء هو قطعة مستقلة بذاتها من التقليد، مستقاة من منطوق إفخارستيا أُولى في الكنيسة، لأنها مكررة بمعظم حروفها في الأناجيل وفي رسالة كورنثوس الأُولى (11:23-25)، أي محفوظة حفظاً، فهي نواة الليتورجيا بكل وضوح: «أخذ خبزاً وبارك وكسر وأعطاهم ...» وهي بلهجة يهودية فلسطينية، مما يقوّي الاعتقاد بأنها نواة أقدم ليتورجية لكنيسة أورشليم.

وتُعتبر ظروف وحركات المسيح في غاية الأهمية، وهي مقسَّمة إلى ثلاثة أقوال:

1 - القول الإسخاتولوجي (الأخروي) في آية (25) وهو غير وثيق الصلة بجسم الإفخارستيا الذي فيه يقول: «إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة ... إلخ» (مر 25:14)

2 - القول: «خذوا كلوا، هذا هو جسدي.» (مر 22:14)

3 - آخر جزء هو: «ثم أخذ الكأس ...» (مر 23:14)

ولم يقصد ق. مرقس أن يروي كل ما حدث في هذه الليتورجية الأُولى الثمينة، ولكن اقتصر على ما قاله المسيح وعمل في مضمون الإيمان والعبادة. وهذا الجزء بقي كما هو مفتوحاً لزيادات حتى إلى مائة سنة لاحقة، وكون لهجتها فلسطينية يجعلها غاية في الأهمية. وتتضمن هذه الإفخارستيا تلميحاً واضحاً جداً لظروف صلبه وموته من تمزق جسده وسفك دمه على الصليب وذلك قبل الصليب.

أمَّا قِدَمُها التاريخي فواضح أنها من قبل أن يدوّن الإنجيل سنة 45م.

ويأتي ق. متى ويعطينا توسُّعاً في هذه الإفخارستيا يتناسب مع تقليد زمن كتابة إنجيله بعد ذلك بما لا يقل عن ثلاثين سنة أو أكثر، حيث أضاف في الكأس «**لمغفرة الخطايا**»، وهذه إضافة لاهوتية، وعوض «ملكوت الله» في إنجيل ق. مرقس (25) جاءت في إنجيل ق. متى «ملكوت أبي» (مت 29:26). أمَّا إفخارستية ق. لوقا فتأتي في تقليدها مستقلة عن ق. مرقس وق. متى.

ولكن يشترك الثلاثة في القول: «هذا هو جسدي» وشركة التواجد في ملكوت الله. وتمتاز إفخارستية ق. مرقس وق. متى بأن المسيح يتكلَّم عن دمه باعتباره للعهد الجديد «دمي الذي للعهد الجديد» وأمَّا في الرسالة الأُولى إلى كورنثوس وإنجيل ق. لوقا فقد جاءت: «هذا هو العهد الجديد بدمي» ولكن كل إفخارستية تُحسب أنها أصيلة حسب تقليدها الزمني.

وبالمقارنة يتضح للغاية أن إفخارستية ق. مرقس هي الأقدم، بل وربما تكون من حيث الزمن قديمة إلى أقصى حد في القدم من حيث اعتبار المسيح لموته الفدائي موقَّعاً على الإفخارستيا في أسلوب سرِّي غاية في الروعة والرهبة.

والمحقَّق تاريخياً أن في سنة صلب المسيح جاء الفصح في يوم سبت 15 نيسان، حيث كان ذبح الخروف الجمعة 14 نيسان. وقد حدث أيضاً في هذه السنة أن الفريسيين احتفلوا بالفصح في 14 نيسان في حين احتفل به الصدوقيون (رؤساء الكهنة) في يوم 15 نيسان. وأن الأناجيل الثلاثة اتفقوا مع الفريسيين في ميعاد الاحتفال وفي المقابل اتفق ق. يوحنا (وهو كاهن) مع الصدوقيين.

ومع ذلك يقول العالِم يواكيم إرميا وهو يهودي متنصر، إن هذا الشرح أعلاه لا يبرِّر الاعتقاد بأن الفصح تمَّ الاحتفال به في يومين مختلفين:

ويعطي يواكيم إرميا(9) عشرة أسباب لتحقيق أن العشاء الأخير كانت له خصائص وليمة فصح:

(9) **J. Jeremias., *op. cit.*, pp. 18-46.**

1 ـ أن العشاء تمَّ في أورشليم

2 ـ وأنه تمَّ أثناء الليل.

3 ـ أنه تمَّ بحضور الاثني عشر.

4 ـ أنه مُورس والأعضاء **متكئون**.

5 - أنه تمَّ أكله **بخبز مختمر**.

6 ـ أنه تمَّ بنبيذ أحمر.

7 ـ أنه ذُكر فيه الفقراء.

8 ـ أنه تمَّ بتسبيح شكر.

9 ـ وتبعه خروج في حدود أورشليم.

10 - وأن التلاوة تمَّت على خبز وخمر.

هذه الحقائق تؤكِّد أن العشاء الأخير احتفظ بخواص وشكل وليمة الفصح.

وهذه الحقائق تنطبق على وليمة الفصح إذا كانت قد تمَّت قبل الفصح بأربع وعشرين ساعة، ويلزم أن يُفرِّق القارئ بين وليمة فصح للمحبة، والفصح الطقسي نفسه بذبح الخروف. فوليمة الفصح يمكن أن تُقام قبل الفصح بأربع وعشرين ساعة، خاصة وأن العِلِّيَّة قد أُعدَّت أصلاً لأكل الفصح، ولكنها استُخدمت لوليمة الفصح لظرف طارئ شديد الإلحاح.

ويوجد دليلان يؤكِّدان أن العشاء الأخير تقدَّم الفصح بأربع وعشرين ساعة، هما:

1 ـ الملحوظة الهامة جداً التي وردت في الآية (28) من الأصحاح الثامن عشر من إنجيل ق. يوحنا، أن الكهنة لم يريدوا أن يدخلوا دار الولاية حتى لا يتنجَّسوا لكي يأكلوا الفصح بعد الغروب، إذ كان الفصح في غروب الجمعة صابح السبت.

2 ـ أن ذلك السبت كان عظيماً (يو 31:19)، لأنه وقع في يوم العيد. إذن، كان المساء السابق هو ذبح الفصح.

22:14-24 «**وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ خُبْزاً وَبَارَكَ وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا، هذَا هُوَ جَسَدِي. ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ. وَقَالَ لَهُمْ: هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ**».

هذا النص الإفخارستي قائم بذاته وتداول في جميع الأناجيل وحتى عند ق. بولس في ميعاد مبكِّر، بدليل وروده في الرسالة الأُولى لأهل كورنثوس التي كتبت في ربيع سنة 57م هكذا:

+ «لأنني تسلَّمت من الرب (هنا القديس بولس يعتمد على إنجيل ق. مرقس المرافق له، معتبراً أن تسليم ق. مرقس من الرب يكون هو هو تسليم بولس من الرب) ما سلَّمتكم أيضاً: إن الرب يسوع في الليلةِ التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً وشكر فكسَّرَ، وقال: خُذوا كُلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشَّوا، قائلاً:

هذه الكأسُ هي العهد الجديد بدمي.» (1كو 23:11-25)

ولكن هنا يزيد تقليد ق. بولس المسلَّم إليه بإضافة «**في الليلة التي أُسلم فيها**». ويؤكِّد العالِم فنسنت تايلور بعد فحص الكلمات والحروف أن رواية ق. مرقس مترجمة حرفياً عن الأرامية، وأنها ذات أسلوب فلسطيني. وكذلك ورود كلمة: «أخذ » labèn هي ترجمة عن الأرامية(10).

«**وبارك**»: eÙlog»saj

هي "**الشكر**" لله. وتجيء:

[مبارك أنت يا رب إلهنا ملك المسكونة الذي يُخرج الخبز (القمح) من الأرض].

ويعتقد العالِم دالمان(11) أن المسيح حوَّلها لتكون:

[مبارك أنت أيها الآب الذي أعطانا اليوم خبزنا الجوهري].

ولكن كل من القديس بولس (1كو 24:11) والقديس لوقا (19:22) أعطى المقابل الأُممي لها، فبدل "بارك" قالا مباشرة: "شكر eÙcarist»saj" وقد ذكر هذا اللفظ ق. مرقس في إشباع الأربعة آلاف (6:8): «وأخذ السبع خبزات **وشكر** ...» حيث هذه المعجزة تشير في إنجيل ق. مرقس إلى إفخارستية الأُمم(12) في مقابل إفخارستية اليهود التي استخدم فيها كلمة «بارك» (مر 41:6). وقد كسَّر المسيح بيده وأعطى الكسر للتلاميذ. ويمتاز ق. متى بزيادة «كلوا» بعد «خذوا» وذلك قبل أن تضاف إلى إنجيل ق. مرقس بعد ذلك بتأثير من إنجيل ق. متى في النسخ الأكثر حداثة - حسب تحقيق العالِم ترنر(13). ويُعتبر نص التأسيس للإفخارستيا عند ق. مرقس وبعده ق. متى أقصر النصوص.

«**هذا هو جسدي**»:

ولكن ق. بولس في نسخته في الرسالة الأُولى إلى أهل كورنثوس أضاف: «المكسور لأجلكم» (1كو 23:11)، وتُعتبر هذه الإضافات على سبيل الشرح، وهي موازية للجملة الأصلية عند ق. مرقس. والعجيب حقًّا أن علماء الأرامية بعد دراسة دقيقة وجدوا أن الأصل المترجم: «هذا هو

(10) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 543, citing J. Jeremias, *op. cit.*, p. 88 f.**

(11) **G. Dalman, *Jesus-Jeshua*, Eng. Tr., London, 1929, p. 135, cited by V. Taylor, *op. cit.*, p. 544.**

(12) راجع صفحة 366.

(13) **C. H. Turner, *op. cit.*, p. 68, and *(JTS Journal of Theological Studies)*, xxix, 10.**

جسدي» هو ‘‘dên hû gûphi’’ وتعني: ‘‘هذا هو أنا’’(14)، ولكن باضطرار الترجمة لوجود بعد ذلك «هذا هو دمي» جعلوها: «هذا هو جسدي»

وهذا التعبير صادق جداً وقد أحياه الفن القبطي بوضع رسم سمكة في طبق القربان باعتبارها الرمز الإفخارستي السرّي، واسم السمكة باليونانية: ‘‘إختوس Icquj’’ تشير إلى الحروف الأُولى من عبارة : ‘‘يسوع المسيح ابن الله مخلِّص’’، بمعنى أن المقدَّم في الإفخارستيا هو نفس يسوع المسيح ابن الله = ‘‘أنا هو’’. وهكذا تشرح الأيقونة القديمة جداً سر الإفخارستيا بمنتهى البساطة اللاهوتية.

على أن قول المسيح عن جسده «خذوا كلوا» فهذا يعني مباشرة أنها ذبيحة، وأنها مقدَّمة لله، وأُعطي لهم أن يأكلوا منها. فهذا هو الوضع الأصلي القديم في مفهوم الذبيحة المقدَّسة في العبادة الأُولى. وهنا يلزم أن نرتفع بمفهوم الذبيحة من وضعها الطقسي إلى وضعها الإلهي الفائق الفهم، كممارسة روحية صرف على خبز حقيقي يحمل سر الجسد الإلهي وخمر حقيقي يحمل سر الدم الإلهي الكريم. هذا يرفع من الأفق الروحي في فهم «كسر المسيح الخبز وتوزيعه» إذ يعني أن الآكلين يشتركون بالحق في الذبيحة الإلهية أكلاً!! وبالتالي في قوتها لاجتياز الموت الفدائي، وبالتالي في القيامة الكائنة في كيان الذبيحة الإلهية المقدَّسة التي هي ذات المسيح التي قدَّمها لله.

وهنا تكون طبيعة الخبز والخمر صارت بالتقديس من جهة المسيح والإيمان من جهة التناول هي ذات المسيح المذبوحة لله دون إقحام الحواس.

«اصنعوا هذا لذكري»:

وهي الإضافة التي اشترك فيها ق. لوقا مع نص ق. بولس إلى أهل كورنثوس. ويمتاز تقليد ق. بولس أنه أعطى في النص مسافة طويلة بين تقديس الخبز وإعطائه، وبين تقديس الكأس، إذ جعلها بعد العشاء. وبعدها أعطى هذا النص: «اصنعوا هذا لذكري» وقد أخذها ق. لوقا كما هي.

وقوله: **اصنعوا**، يعني هنا ”**فعلاً**“ وليس ”**فكراً**“ للذكري، والمعنى أن نصنع ونفعل ما عمله المسيح في الإفخارستيا على رسم الصليب وما تمَّ فيه. فهنا الصنع بالفعل يعني تكرار **فعل الذبح وسفك الدم**، ليس لمجرَّد الذكر أو الذكرى، بل التكرار الفعلي للاشتراك في ذات السر. وهذا نحسّه ونفهمه من قوله: «**جسدي المكسور**»، «**دمي المسفوك**»، فهنا في اليونانية فعل دائم خارج عن الزمن. فكلما أكلنا الخبز الإفخارستي وشربنا الكأس فنحن نمارس الكسر الحقيقي والسفك الحقيقي

(14) **G. Dalman, *op. cit.*, p. 141.**

بالضرورة، أي الصليب بكل أسراره الإلهية، فهو يقولها بوضوح: «فإنكم كلما أكلتم ... وشربتم هذه الكأس» (1كو 26:11)، أي الفعل المتكرر بلا استثناء ‘‘كلما’’، يحدث التخبير الفعلي بموت الرب إلى أن يجيء.

فخبز الإفخارستيا فعل وليس فكراً: أكل جسد ممزَّق مع أنه كان في يده خبزاً، وشُرب دم مسفوك مع أنه كان خمراً في كأس، فهو إعلان واستعلان لسر موت الرب الدائم بالإيمان دون الاعتماد على الحواس بالتمزيق والسفك، مستمراً بطول الزمان إلى أن يأتي ليجمع جسده ودمه المأكول والمشروب على وجه الأرض كلها، بجمع المختارين في أقصى الأرض وأقصى السماء. حيث الجسد والدم الواحد للواحد يوحِّد حتماً وبالضرورة كل الآكلين والشاربين بالإيمان بسر ابن الله الوحيد! لأنه إن كان بأكل الإفخارستيا ننال سر المسيح ـ أي سر الخلاص والفداء الذي أكمله ـ فيتحتَّم أن يكون الأكل هو أكل سرِّي بالدرجة الأُولى.

«أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منه كلهم»:

هنا «**الكأس**» سمَّاه القديس بولس: «كأس البركة » tÕ pot»rion tÁj eÙlog…aj (1كو 16:10)، ولأن ق. مرقس لا يذكر إلاَّ كأساً واحداً عاماً، فبهذا يتعذَّر أن يكون كأس الفصح التقليدي الذي يُشرب مع لحم الخروف.

«فشربوا منه كلهم»:

هنا يؤكِّد أنه كأس واحد فقط قد قدَّسه المسيح لعمل معيَّن وليس من أجل طقس، فهنا مفهوم الفصح الطقسي يتلاشى ويبدأ الطقس السرِّي الإلهي. فعراك العلماء والمفسرين على أي كأس هذا؟ وهل هذا عشاء فصحي أو قدوشاه؟ هو عراك خارج الموضوع. هنا المسيح بصدد تأسيس طقس فريد من نوعه، أسَّسه على أن يحمل أو يحتوي حقيقة موته بجسده المكسور على الصليب ودمه المسفوك من أجلنا، فلا الخبز خبز خمير، ولا هو بلا خمير، لأن هذا خارج عن مفهوم الخبز الإفخارستي أصلاً. ولا الكأس هو واحد أو ثلاثة يحمل خمراً، بل هو كأس يحمل دماً ليعبِّر عن فداء شامل.

كذلك فبقوله: «اشربوا منه **كلكم**» لا يقصد الاثني عشر وبينهم يهوذا، بل يقصد شمولية الفداء الذي يشمل الخطاة قبل الأبرار، بل والخاطئ هو أُولى بالدم من البار، والدليل هو أنه لم يستثنِ يهوذا، ولكن يهوذا لأنه تناول بدون استحقاق، لأنه لم يكن يؤمن بالمسيح، لذلك عندما تناول اللقمة دخله الشيطان. كان ذلك بدون استحقاق فصار مجرماً في جسد الرب، بمعنى أنه أجرم في

حق المسيح قبل أن يجرم في حق اللقمة. فغياب الإيمان سهَّل للشيطان عمله فيه. لذلك فالخاطئ الذي يؤمن على أساس التوبة أحق بكأس الرب.

سألتني سيدة تقية يبدو أنها ليست أرثوذكسية: ما هو الاستحقاق بالنسبة لأكل الإفخارستيا؟ فأجبتها هو ''الإيمان''. فالمسيح مات من أجل الخطاة، ودمه على المذبح أصبح فرصتهم الوحيدة في الحياة لينالوا فيه فداءً لهم من خطاياهم مجاناً بالإيمان: «أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً» (إش 1:55). ومن ذا الذي يعطش إلى دم المسيح أكثر من الخاطئ؟ ومَنْ هو أفقر من الخاطئ لكي يأتي وينهب غنى ملكوت الله؟

الإفخارستيا هي وليمة الله للخطاة يدعوهم إليها بلا شرط: «أخرج إلى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي» (لو 23:14)، وقد وضع مثالها يهوه في القديم: «ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة. ولكنه لم يمدَّ يده إلى أشراف بني إسرائيل، **فرأوا الله وأكلوا وشربوا**» (خر 24: 10و11). «وأخذ موسى الدم ورشَّ على الشعب وقال: هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال» (خر 8:24)، وإذ اشترك الشعب في دم العهد نالوا البركة في سيناء. على هذا المستوى من الفهم بالنسبة لدم العهد القديم قدَّم المسيح دمه للعهد الجديد.

«هذا هو دمي الذي للعهد الجديد»:

قالها المسيح وهو مطمئن أن الذين اختبروا بركات العهد القديم في سيناء، يدركون قوة البركة بدم العهد الجديد، دم ابن الله. وهو قائم على أساس لا بركات الحياة في سيناء بل بركات ملكوت الله. ''فالعهد'' في مضمون العهد القديم هو عهد التصاق الشعب بيهوه بالإيمان والعبادة والحب والمخافة، فالعهد بالدم كان يقوم أساساً بين الزوج والزوجة ليلتصقا المثيل بالمثل ليصيرا جسداً واحداً. وهذا تماماً المقصود بعهد الدم، دم المسيح، في العهد الجديد، فالذي يشربه يتحد بالمسيح بالإيمان، فهو عهد زيجة بالدرجة الأُولى: «مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد» (1كو 17:6)، وهنا ليس جسداً واحداً بعد!! لأن دم ابن الله هو حياته!! ودم العهد الجديد لا يعود بمفهوم العهد القديم أنه علامة، بل علاقة ربط برباط إلهي يحدث خلاله تبادل خطية ببر، وجهالة بحكمة، وموت بحياة، فيتسرَّب كل ما فينا من ضعفات ويحتل مكانها تقديس. فالرباط يتحوَّل إلى اتحاد، أي شركة، في ميراث الله وملكوته.

«**الذي يُسفك من أجل كثيرين**»:

السفك هنا له هدف حيّ يساوي الموت ويزيد ألف مرَّة، ويصوِّرها إشعياء النبي باختصار:

+ «أنه سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين.» (إش 12:53)

من أعز خصائص كلمات التأسيس للإفخارستيا أن الأفعال تأتي في الحاضر غير المحدود في اللغة اليونانية، أي بعد أن نتناول منه يبقى كما هو بعد ذلك، لأن الانسكاب قائم لمستقبل لا ينتهي. بمعنى أنه لا يمكن أن تضيع على إنسان الفرصة من التناول من الجسد والدم من المسيح، فهو حاضر كلما طلبته. لذلك وصفه صاحب سفر الرؤيا بأنه، حَمَلٌ قائم كأنه مذبوح، بمعنى أن دمه عليه يتقطَّر بلا نهاية.

وحينما يخصِّص سفك دمه أنه من أجل كثيرين، فهنا الكثرة في الأرامية لا تفيد المحدودية بل تقارب معنى الكل بالنسبة للواحد، وهي في إشعياء (12:53) تبرز معنى غير المحدود.

وفي هذه المقولة التأسيسية للإفخارستيا يعطي المسيح أوضح معنى للبذل الفدائي للإنسان: «من أجل كثيرين» وإن كان باعتراف العلماء جميعاً أن النص الذي ذكره ق. بولس وق. لوقا: «من أجلكم» هو تقليدي أصيل، إلاَّ أنه لا تزال الأنظار مربوطة بنص إنجيل ق. مرقس، وفي دقة فحصهم يميلون دائماً إلى النص المعقَّد المختصر غير المشروح ليكون هو علامة الأصالة النقية التي لم يجرِ عليها قلم الإنسان.

25:14 «**الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ أَشْرَبُ بَعْدُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ اللهِ**».

كأس المحبة الذي قدَّمه المسيح على الأرض هو كأس الإفخارستيا الحامل لدم الفداء كأساس الحب الحاضر: «ليس لأحدٍ حُبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبائه» (يو 13:15)، وأيضاً: «أمَّا يسوع قبل عيد الفصح، وهو عالمٌ أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد **أحبَّ خاصته الذين في العالم، أحبَّهم إلى المنتهى**» (يو 1:13). لقد كان عشاء حب!! نعم لقد انتهت وليمة الحب والمسيح على رأسها ونحن نقيمها كل يوم حسب وصيته، وهو حاضر يكسر ويوزِّع إلى أن نتقابل مرَّة أخرى فنشربها كأساً جديدة، فيها سرّ التغيير والفرح الذي لا يُنطق به ومجيد. هنا شركة حب مؤسَّس على سر الفداء، وهناك الدخول معه في حب الآب!

«أشربه **معكم** جديداً في ملكوت **أبي**.» (مت 29:26)

لقد صيغ التأسيس الإفخارستي كله على حقيقة شركة في آلام المسيح وموته، ولكن بعد الصليب صارت الإفخارستيا أيضاً بالدرجة الأُولى شركة في القيامة مع المسيح القائم من الموت، ملؤها الفرح والابتهاج الأبدي وبلا نهاية(15).

«أشربه جديداً»:

لقد شربه المسيح في مساء الخميس مع تلاميذه حزيناً حاملاً سر ذبيحته، أمَّا هناك فبالفرح والابتهاج الأبدي يشربه معهم بالحب حتى إلى ملء حب الآب.

88 النبوَّة بخصوص إنكار المسيح

[31-26:14]

(مت 30:26-35)
(لـو 31:22-34و39)
(يو 36:13-38)

«ثم سبَّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» مع نبوَّة عن الترك الجماعي والإنكار

قبل أن يغادروا العلية سبحوا بالمزامير (115) إلى (118)، ثم ذهبوا إلى جبل الزيتون، بمعنى أنهم لم يخرجوا عن دائرة أُورشليم بما يحفظ لقانون الفصح حدوده، حيث لا يخرج إنسان عن دائرة أُورشليم. وبعد ذلك يروي ق. مرقس حديث المسيح مع نبوَّات عن كيف سيتركونه جميعاً، ومقطع من نبوَّة زكريا ليجعل هذا الترك جزءاً حيًّا من تحقيق مَاسِيَّانيته، ثم يُعطي نبوَّة عن ما بعد القيامة، كيف سيسبقهم إلى الجليل، وكأن الموت والقيامة جزء من المسيرة. ولكن الغريب أن يعترض بطرس ومعه الكل أنهم لا يمكن أن يتركوه. مما اضطر المسيح أن يعطي نبوَّة إنكارهم وهروبهم الجماعي.

(15) مولانا أسقانا ∴ من خمرة الحب
فدانا أحيانا ∴ يسوع حبيب قلبي

الحديث كله بلغة الحزن وغيوم المستقبل القاتمة تنبئ بزلزلة السماء، فلم يعد إلاَّ ساعات ويتحقَّق كل الإنجيل والتلاميذ لا يزالون غير فاهمين: «ألا تشعرون بعد؟ ولا تفهمون؟ أحتى الآن قلوبكم غليظة؟ »(مر 17:8). ولكن قد أُخفي عن عيونهم إلى أن يروا الصليب حقيقة، ولن يدركوا معنى الموت إلاَّ بعد القيامة.

26:14 «**ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ**».

من المعروف أن تسبيح الفصح يكون بعد نهاية أكل الفصح، ويبدأ بالجزء الثاني من هاليل الكبير وهو المزامير (115-118). وقد أخذت الكنيسة روح التسبيح ذاته، فبعد تكميل الإفخارستيا يُسبِّح الشعب مزمور (150): «سبِّحوا الله. في جميع قديسيه» حيث يُعتبر تسبيح المزمور ذبيحة شكر بحد ذاتها: «فلنقدِّم به في كل حينٍ ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب 15:13). وباعتبار أن هذا هو رد فعل تكميل ذبيحة الخلاص.

27:14 «**وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: إِنَّ كُلَّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ الْخِرَافُ**».

مؤلمة حقًّا أن يقولها المسيح وهو يرى ويُحِسُّ بروحه أن هذا هو واقعهم منذ البدء، فالذي يشك في "الحق" ماذا يكون وبماذا يعيش. أي حزن وأي أسف على عِشرة قضاها بينهم تنتهي على هذا الحال. والعلة الوحيدة التي أعثرتهم هي أنه جاء ليفديهم بحبه، بموته، بصليبه، فحسبوا موته عاراً لهم "حاشاك". نعم كم كلَّف الفداء المسيح غالياً جداً أن يشك التلاميذ في صدق الآب وأمانة الابن! ولكن هذا هو الإنسان وهذه هي خطيته التي كلفته أغلى ما يملك في الحياة: أمانته لله وحياته، التي قضاها في الباطل حتى صار الباطل حياته وإيمانه!!

«**أضرِبُ الراعي فتتبدَّد الخراف**»:

+ «**استيقظ يا سيف على راعيَّ وعلى رَجُل رِفقَتي يقول ربُّ الجنود، اضرب الراعي فَتَتَشَتَّتَ الغنم وأردُّ يدي على الصِغار.**» (زك 7:13)

وكلمة «أضرب» هنا تأتي في الأصل العبري وفي السبعينية بالأمر، ولكن القديس مرقس جعلها في صيغة المستقبل "سأضرب" لأن الأمر كان وشيك الوقوع.

والمسيح يقولها على ضربة الموت على الصليب وتبدُّد التلاميذ فزعاً وهرباً، وأمَّا صغار المؤمنين

فيتعقَّبهم الخوف والشك والتشتُّت معاً! كما تقول النبوَّة: وأرد يدي على الصغار. هذه هي عثرة الصليب التي هي عند العالم جهالة.

28:14 «وَلَكِنْ بَعْدَ قِيَامِي أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ».

ولكن ق. لوقا يتبع تقليداً آخر: «سمعان سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة! ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك. وأنت متى رجعت ثبِّت إخوتك» (لو 22: 31و32). وهذا هو تقليد كنيسة أُورشليم. ولكن تقليد ق. مرقس مُثْبَتٌ مرتين: هنا مرَّة وفي (7:16) مرَّة أخرى وبنفس الألفاظ. ما قاله المسيح قبل الصلب قاله بعد القيامة. كما أن قول ق. مرقس الذي جاء في آية (27) رد عليه بطرس في آية (29) بنفس اللفظ، هذا كلَّه يُمكِّن من صحة التقليد.

وفي قول المسيح: «بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل» توكيد للموت والصليب، وبآن واحد إلغاء لسطوتهما معاً! من أجل ذلك قالها المسيح ليستقبلوا خبر الموت برجاء وثقة أن وراء الموت ستكون قيامة حتماً. ولكن المدهش أن بطرس كأنه لا يفهم ولا يسمع ولا يفكِّر: «ألكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون» (مر 17:8). ومرمى الكلام جيد، لأنه وإن تشتَّتت الغنم فبعد قيامي أجمعهم هناك في الجليل في حضني حيث جبال الحب مراعي الصَبْوَة. ولا تزال لغة الراعي وكلماته في فم المسيح، فقوله: ”أسبقكم“ هي كالعادة كما يسبق الراعي غنماته! ولكن ولأن في القيامة لا زمن ولا مسيرة ولا أسبقية، أصبحت الأسبقية لزاماً عليهم هم لأنهم في الجسد يعيشون: «اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني» (مت 10:28)، بمعنى أنا أسبقهم بقيامتي ولكن عليهم وبآن واحد أن يسبقوا هم إلى هناك حيث يرونني.

29:14و30 «فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: وَإِنْ شَكَّ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ! فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ، إِنَّكَ الْيَوْمَ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ، تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ».

لا ينبغي أن يسترعي انتباهنا هنا أن هذا القول كان بفم بطرس فقط، بل في النهاية تقول الرواية أن هذا كان قول الجميع، وهذا مما يزيد حزننا، فالقول يجيء جزافاً وليس له أي رصيد من إيمان أو إرادة ولا من رجولة. وهنا ينبهنا جداً أن لا تكون تقاريرنا مع الله بهذه الخفة واللامبالاة، نقول شيئاً ونحن لا نؤمن به وغير مستعدين أن ندفع ثمن إيماننا. إنها تُحسب شهادة زور نُغَرَّم حتماً بثمنها. والأخطر من ذلك أننا نؤكِّد ما قلنا عن خفة فتزيد ثقل الخطية تأكيداً وقسماً، والقلب في داخله إحساس بأن هذا كله كذبٌ، فتزيد شهادة الزور زوراً، فندخل في نطاق الضلالة والتضليل.

وللحال أثير المسيح بهذا اللعب في تقرير المصائر، فواجه بطرس بحقيقة حاله بنوع من التأكيد الحزين غير القابل للمزايدة: «الحق أقول لك» ثم عيَّن له اليوم والوقت والساعة (حوالي الساعة 3 فجراً) التي سينكره فيها ثلاث مرَّات. ولكن هي المكابرة المستهترة وعدم الاتزان والثقة الكاذبة في النفس واستعراض الأمانة المطلقة المؤسَّسة على لا شيء. وعاد ق. مرقس في الآية (72) من هذا الأصحاح ليستعرض لنا كيف صاح الديك مرَّتين وكيف أنكر بطرس ثلاث مرَّات مع لعن!! وحلفان!! إني لست أعرف الرجل!!

31:14 «فَقَالَ بِأَكْثَرِ تَشْدِيدٍ: وَلَوِ اضْطُرِرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لاَ أُنْكِرُكَ. وَهكَذَا قَالَ أَيْضاً الْجَمِيعُ».

هي محاولة لا لتأكيد صدقه السابق بل هي تكذيب «للحق أقول لك» التي قالها المسيح له. الرد هنا بحماس واندفاع وتشديد لا يؤيِّده ذرة من الذخيرة الإيمانية أو استعداد حقيقي لدفع الثمن، بل ويزيد على ذلك التطاول على التلاميذ كلهم أنهم لو خانوا وأنكروا فهو لن يسلك مسلكهم ويأنف أن يكون كواحد منهم. ولكن وللأسف أخذ الآخرون عدوى المكابرة والصوت العالي وقالوا ما قال أول التلاميذ، فأهانوا التلمذة وأهانوا تعليم المعلِّم!

ومن حذاقة ق. مرقس أنه لا يعلِّق أبداً ولا بكلمة واحدة، ويقف هنا مرَّة واحدة ليترك الحوادث ترد على هذه السقطة الجماعية المخزية. وقد حرص ق. مرقس بعد ذلك على إبراز الرد على مكابرة بطرس والآخرين: أولاً كيف تركوه جميعاً وهربوا عند القبض عليه، وثانياً كيف أنكر بطرس أيضاً بشدَّة وحماس وزاد الإنكار حلفاناً ولعناً، لمنْ؟ لجارية ارتعب منها مقرِّراً أنه لا يعرف هذا الرجل!

يقدِّم القديس مرقس درساً خطيراً هنا، إذ من خلال الرواية وسرد القصة يقدِّم درساً مرًّا للكنيسة عن ما يستلزمه الإيمان بالمسيح من صلابة الحق والتمسُّك به، والشهادة للاسم بإصرار وثقة حتى الموت، على أساس العون الإلهي الذي لا يمكن أن يحيا الإنسان بدونه.

كذلك لا ننسى دور الشيطان الذي استطاع أن يدبِّر هذه المأساة كلها على أيدي رؤساء الكهنة، فكيف لا يستخدم التلاميذ أنفسهم ليزيدوا المأساة مأساةً. فاليهود جميعاً والسنهدريم والتلاميذ صاروا أدوات فعَّالة في مأساة الصليب، مما اضطر المسيح أن يصلِّي من أجل التلاميذ ومن أجل بطرس بالذات، لأن الشيطان كقول إنجيل ق. لوقا «طلبهم لكي يغربلهم كالحنطة» فالصليب لم يبدأ من فوق الخشبة ولا من قلب قيافا الحقود، بل بدأ بخيانة تلميذ من الاثني عشر.

89 جثسيماني

[14:32-42]

(مت 26:36-46)

(لو 22:40-46)

هذه من أكثر القصص قوّة وحيوية ودقة تفاصيل في كل رواية الآلام. وفي ظننا كما قلنا أولاً أن ق. مرقس صاحب العلية بكل تأكيد، ولمحنا في المقدِّمة أنه صاحب البستان أو العزبة الصغيرة في جبل الزيتون التي اسمها جثسيماني، ومن المفروض أن يكون بها مبنى للإقامة والضيافة، وكان المسيح يقصد هذا البستان كثيراً للصلاة والتأمل والمبيت. وقد قدَّم إنجيل ق. يوحنا معلومة هامة وهي: «وكان يهوذا مسلِّمه يعرف الموضع **لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه**» (يو 18:2). والقديس مرقس هو شاهد عيان عن كل ما حدث في العلية(16)، وفي حديث التلاميذ وبطرس مع المسيح، وكان مرقس مع المسيح وبقية التلاميذ في خروجهم وذهابهم لبستان جثسيماني، وهو الذي أخبر عن نوم التلاميذ وتوبيخ المسيح لهم مرَّتين، وهو الشاب الذي حاول خدَّام الهيكل مسكه لأنه تجرَّأ وذهب وراء المعلِّم في الوقت الذي هرب فيه كل التلاميذ، لكنه هرب منهم تاركاً إزاره، وهو الذي أبلغ عن ترك التلاميذ وهروبهم. وعاد إلى بيته في جثسيماني ولبس ملابسه وأسرع وحصَّل جماعة القبض ولم يترك المسيح قط، وقد انضم إليه القديس يوحنا. وهو الذي كان مع بطرس في الدور الأرضي، وهو الذي سمع وشاهد الإنكار وبلَّغ عنه بدقة متناهية، وهو الذي لمح المسيح وهو ينظر إلى بطرس النظرة الأخيرة التي فهمها بطرس وخرج وبكى بعدها بكاءً مرًّا. وليكن في علم القارئ أن كل بيانات آلام المسيح وصلبه كانت عن شاهد عيان مرافق وهو ق. مرقس حتى إلى الصليب.

ويرى معظم العلماء(17) أن العشاء الأخير قد تمَّ في بيت أم القديس مرقس، وأنه هو الشاب

(16) ومن هذه المعلومة يتضح أمامنا أن ق. مرقس اقتصر رواية إنجيله على السنة الأخيرة من خدمة المسيح، وهي السنة التي يبدو أن ق. مرقس تعرَّف فيها على المسيح منذ أن بدأ يزور أُورشليم وينزل عندهم في العلية.

(17) **Zahn, Burkitt, Plummer, Rawlinson, Allen, Turner, Bartlet, J. M. C. Crum, cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 562.**

الذي تبع المسيح وتلاميذه حتى بستان جثسيماني. ويتساءل العالِم لاجرانج(18): لماذا هذا الشاب كان لابساً إزاراً فقط على عريه في مثل هذه الليلة القارسة في هذا الموسم في أُورشليم؟ ويقول: إن التعليل الوحيد لذلك أنه كان نائماً حينئذ في مبنى الضيافة الموجود في عزبة جثسيماني. ويرى العالِم ألفريد بلومر (1841-1926) وكان عميداً لجامعة دورهام في إنجلترا: إن [الذي أيقظ هذا الشاب هو ضجَّة الحملة التي جاءت للقبض على المسيح فهي التي جعلته يدخل في صميم الموقع](19). وقد سجَّلت بحسب رؤيتي الخاصة نفس هذه الحقائق في المقدِّمة (صفحة 29)، وإن كان ق. بطرس قد أضاف شيئاً في كل هذه الرواية فهو الذي لم يكن قد عاينه ق. مرقس. لأن رواية الآلام من بعد جثسيماني والقبض لم يكن أحد من التلاميذ ولا ق. يوحنا موجوداً فيها. فالبلاغ واضح وصريح: «فتركه **الجميع** وهربوا»(مر 14:50). أمَّا دخول ق. يوحنا بيت رئيس الكهنة فهذا بدالة كهنوته وكان معروفاً عندهم.

ويقول العالِم راولنسن(20):

[إن القصة تاريخية مؤكَّدة ومنزَّهة عن أي تلفيق].

ويقول العالِم مونتيفيور(21):

[إن الإنسان لا يملك إلاَّ أن يتعجَّب على النعمة المدهشة والجمال والحصافة الرائعة والتمييز التي تكشفها القصة].

أمَّا العالِم كلوزنر(22) وهو عالم يهودي فيقول باختصار شديد:

[هذه القصة تمثِّل الختم الذهبي على الصدق البشري].

ويعود كلوزنر ليقول:

[إن الحزن والآلام التي جازها وحيداً ابن الإنسان، بقدر ما هي عميقة لها وقع شديد الوطأة علىكل إنسان ذي قلب رقيق حسَّاس، سواء كان ذلك القلب لمؤمن أو حتى لغير مؤمن بصورة يستحيل أن يمحوها الزمن].

---

(18) **M. J. Lagrange, *Evangile selon S. Marc*, Paris, 1929, p. 397.**

(19) **Alfred Plummer, *op. cit.*, p. 327.**

(20) **A. E. J. Rawlinsen, *op. cit.*, p. 210.**

(21) **C. G. Montefiore, I, 342, cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 551.**

(22) **J. Klausner, *Jesus of Nazareth*, London, 1929, p332, cited by Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 551.**

وكل دارس إن هو درس بروح التمعُّن والفطنة، فحتماً سيرى أكثر مما رأى هؤلاء العلماء العظام حقاًّ. ومن ناحية الوصف وبالأكثر في كلمات المسيح، إن تمعَّن فيها الإنسان يجد نفسه في مواجهة الحقائق نفسها كما حدثت، ولكن بدخولنا في صميم مواقفها الحرجة نستطيع بسهولة أن نتجاوز المكتوب كله لنستشعر وندرك ما هو أكثر من الحقائق المدوَّنة. فقصة الآلام يستحيل أن تحدها صفحات في إنجيل، فوراء الآيات رؤى، وفوق الكلام مناظر وإعلانات حزينة للغاية مفتوحة لمن له العين المفتوحة. ولا يستغرب إنسان كيف تقدَّم المسيح ببأس وشموخ حاملاً صليب العار رافضاً عزاء النسوة الباكيات، فقد قاس الطريق بشبره ودرس معالم الموت والهاوية قبل أن يواجهها.

أمَّا ق. مرقس فقد ترك لنا أسئلة وقفنا أمامها نفكِّر كثيراً:

لماذا قال المسيح: «**نفسي حزينة جداً حتى الموت**»؟

أو: «**أجز عني هذه الكأس**» ما هذه الكأس؟ وماذا تحتويه الكأس؟

لماذا طلب من الثلاثة المختارين أن «**اسهروا معي**»، وما هي «**التجربة peirasmÒj**» التي ينبغي أن يصلُّوا لكي لا يدخلوا فيها؟ وما معنى «**قد أتت الساعة**»؟

صحيح أن كل عالِم استطاع أن يُبدي رأياً ووُضِعَتْ النظريات في ذلك، ولكن هل ق. مرقس كان عالماً بها؟ حتماً. وهنا نأسف إذ ضاع تقليد "**الشرح**" الذي قام على تقليد الرواية.

علماً بأن كل ما استطاع العلم والبحث الحديث أن يستعلنه من هذه الغوامض يقرِّبنا فقط من أصولها التقليدية، مع أن المسيح لا يزال يحمل في صدره أعماقاً عن آلامه التي جازها والتي يجوزها، وهي تحتاج إلى مَنْ يميل على صدره ويسأل.

32:14و33 «وَجَاءُوا إِلَى ضَيْعَةٍ اسْمُهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أُصَلِّيَ. ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ».

«**جثسيماني**»: **وبالعبرية** gat shemanim

وتعني: «معصرة الزيت» وطبعاً زيت الزيتون. والواضح أنها حديقة كبيرة منزرعة زيتوناً وبها عصَّارة زيت، ويسميها ق. يوحنا بستان (حديقة garden = kÁpoj). ويقول ق. يوحنا إن المسيح كان يذهب إليها مع تلاميذه كثيراً (يو 2:18). ويقدر العلماء أنها كانت واقعة في نهاية السفح الغربي لجبل الزيتون مواجهة لأُورشليم. وكما قلنا في المقدمة أن صاحب العلية هو أبو ق. مرقس وقد كان من أغنياء كيريني (في شمال أفريقيا في ليبيا الآن)، وقد جمع ثروته ونزح إلى

أُورشليم واشترى بيتاً كبيراً، وعاش هناك مع زوجته مريم وابنه مرقس وبعض من عائلته ربما سمعان أبو الكسندروس وروفس، ثم اشترى حديقة جثسيماني ليتعيَّشوا منها من عصير الزيتون أي الزيت. والمسيح كان كلما ذهب إلى أُورشليم نزل ضيفاً على بيت ق. مرقس وأمضى لياليه يصلِّي في جبل الزيتون في حديقته هناك. وبهذه الحقائق تتمشَّى معنا حوادث جثسيماني بسهولة، وبدخول المسيح مع تلاميذه البستان دخلوا البيت، وقال لتلاميذه أن «**يجلسوا هنا**» وخرج هو ليصلِّي وأخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا. وطلب منهم أن يحرسوا (بدلاً من أن يسهروا) ربما تحت ظل شجرة زيتون كبيرة بقصد حراسة الجماعة والمسيح، لأنه كان يعلم تماماً أن يهوذا يعرف المكان ولابد أنه سيأتي. والقصد من الحراسة أن لا يُؤخَذوا وهم نائمون. وبالأكثر أن يستطيع التلاميذ الهرب في اللحظة الحرجة. وطلب منهم المسيح أن يصلُّوا لينالوا كرامة الاشتراك في آلامه.

ويعطينا ق. مرقس أول اصطلاحاته الخطيرة «وابتدأ يَدْهَش ويكتئب» وهي دخول النفس في مواجهة فظاعة المعركة أمامه!! فالمسيح الآن، والآن فقط وقف مقابل الشيطان وكل قواته وذلك في وضعه البشري مرفوعاً عنه كل قوة ومعونة من الآب، فوجه الآب قد انحجب: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟»(مر 34:15). وقف حقًّا كابن آدم! الإنسان الجديد عوض آدم تماماً حيث تعيَّن أن يكون هو ابن الله بالقيامة من الأموات، مع استعادة كل مجد لاهوته إن خاض هذه المعركة باسم ابن الله وحيداً كإنسان بلا معونة. لينتقم لآدم أولاً الذي كان قد دخل في مواجهة الشيطان أعزلَ وبغواية امرأة، فلطمه الشيطان لطمة أسقطته إلى الأرض، وأخذ حكم الموت. وها هوذا الإنسان الجديد يدخل نفس المواجهة مع العدو بلا أي معونة خارجية، ولا يملك إلاَّ قداسته وبرَّه الشخصي غير ممسوك بأي خطية ولا أي مدخل للعدو، غير قابل للغواية وقد أخرس العدو في أول تجربة له على جبل التجربة. والمسيح هنا داخل وهو يعلم أن العدو يشهر عليه سلاح الموت آخر قوة يمتلكها وأقوى سلطان له إزاء كل مَنْ لبس جسداً. كذلك فالمسيح عالم أنه داخل ليتقبَّل ضربة الموت، ولكنه يعلم تماماً أنها لن تصيبه إلاَّ بموت موقوت حدَّده هو سابقاً بثلاثة أيام يحتفظ فيها بكل قواه وحياته فيه، وبعدها يقوم ومعه البشرية كلها التي فيه والتي جاء ليمثلها كرأس أمام هذا العدو. لذلك رضي بالمعركة ورضي أن يشرب كأس الموت، لا كأنه عن عقوبة لشخصه، بل لمنْ جاء ليحمل العقوبة من أجلهم. والآن وفي جثسيماني وعلى خلفية من الصلاة أمام الله وكل قوات السماء يدخل هذه الأهوال، أهوال الموت والهاوية بكل آلامها وعارها بإرادته قبل أن تصلبه أيادي الأثمة. المسيح قَبِلَ التحدي على أساس أنه بموته سيحطِّم سلطان الموت الذي بيد الشيطان ويقوم علناً وجهاراً ليحتل أعظم مكانة في السموات عن يمين الآب، ويربط ذلك العاتي القتَّال للناس ظلماً

منذ البدء. فلا يعود له هذا السلطان بعد على كل مَنْ يؤمن به إذ أن كل مَنْ سيؤمن به ينال هذا السلطان عينه!

غير أن الكلمات «**ابتدأ يدهش ويكتئب**» كلمات لا تحمل المعنى الحقيقي للكلمات اليونانية التي تفيد الرعبة والفزع وأعلى درجة من الهول والقشعريرة ـ وقد رفضت أن أخوض في معانيها لأني ارتعبت!! ـ وهي التي تتناسب تماماً مع وقفة إنسان أمام أهوال الموت ورعبته وفزعه كحالة صراع مع صاحب سلطان الموت نفسه. وهذه أول خطوة مريعة خطاها ابن الله على طريق الفداء!! لأن ثمن الخلاص والفداء الذي وقع لا يمكن لأي إنسان أن يقيس عمقه واتساعه:

+ «يمخض قلبي في داخلي وأهوال الموت سقطت عليَّ، خوف ورعدة أتيا عليَّ وغشيني رعب.» (مز 3:55)

هذا الوصف الخطير هنا للقديس مرقس يغيب في إنجيل ق. لوقا، ويختزله ق. متى حتى جعلها: « وابتدأ يحزن ويكتئب» (مت 37:26). ولكن في تقليد ق. مرقس هذا تعتبر أي محاولة لتبسيط هذه الحالة النفسية التي دخلها المسيح بإرادته إنما تسيء بحسب الحق إلى عدالة الله، التي رضي ابن الإنسان أن يتحمَّل ثقلها دفاعاً عن الخطاة بأن يحملها معهم. لأن المسيح يعلم أنه جاء ليتألَّم ويتحمَّل هذه العقوبة بالعدل، وكان كلما تتزاحم فوقه قوات الظلمة بمرعباتها كان ينسحب قليلاً ويسأل عن تلاميذه لماذا لم يسهروا معه ساعة.

34:14 «فَقَالَ لَهُمْ: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ! اُمْكُثُوا هُنَا وَاسْهَرُوا».

هذه الآية تشهد بصدق شرحنا للآية السابقة، إذ لما دخل المسيح بإرادته في مواجهة أهوال الموت ورعبته، وأحس بسلطان الظلمة وهو يُطبِق على نفسه وواجه الهاوية عياناً بكل مفزعات العدو، انعكست على نفسه أحزان الموت ومرعباته ذاتها، فصرخ في ضيقة نفسه أن نفسه حزينة حزن الموت كتحصيل حاصل. نعم هذا دخله بإرادته وهو يلتقط أنفاسه ليصوِّر لتلاميذه ما آلت إليه نفسه في عمق تجربته التي لم ولن يواجهها إنسان بعده ولا قبله، فقد أحاط بالظلمة والظلمة أحاطت به بكل ثقلها ومروِّعاتها لعله ينثني ويتراجع. فلمَّا قال: «نفسي حزينة حتى الموت» كان يريد أن يقول: نفسي حملت كل أحزان الموت حتى النهاية. فالذي ذبح نفسه بسكين الإرادة الهادئة في عشاء الخميس قبل أن تجري عليه وهو مرفوع على الخشبة، هنا أيضاً يجوز بإرادته نفس الموت، وكاد يقول: نفسي قبلت الموت، وذلك بإرادتي قبل أن يفرضه عليَّ العدو بإرادته. لقد اقتنص المسيح الموت لنفسه بأهواله وامتطى موجاته قبل أن يقع تحتها ويجري عليه سلطانه! وصحَّ قول المزمور:

+ «غمر ينادي غمراً عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولجحك طمت عليَّ.» (مز 7:42)

وفي ظاهر الكلام يبدو أن المسيح يخاطب الثلاثة تلاميذ: «نفسي حزينة جداً حتى الموت» وهو في الحقيقة يخاطب الله ويعيد الخطاب لتلاميذه كالصدى!! لقد أراد المسيح أن ينفرد بالموقف وحده فترك تلاميذه للصلاة والسهر وما سهروا وما صلوا، فالذي كان يراه المسيح لم يروه ولن يروه، وأمَّا دعوة المسيح لهم للسهر والصلاة فذلك حتى لا يُؤخَذوا نياماً.

35:14و36 «**ثُمَّ تَقَدَّم قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ. وَقَالَ: يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ**».

بعد أن اطمئن أنه وحده سجد سجود الصلاة، وكان يصلِّي وهو في حالة السجود وتركَّزت صلاته حسب ما وصل لآذان الثلاثة أن تعبر عنه الساعة، ساعة الموت المحتومة hora fatalis. وقد بدأ عدّها التنازلي عند بدأ القبض عليه إذ كرَّرها: «ناموا الآن واستريحوا! (وأي راحة هذه) يكفي! **قد أتت الساعة!**» (مر 41:14)، وأضاف: «إن أمكن» ولكن كيف يمكن أن تجوز عنه الساعة: «ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو 27:12). هي إرادة بشرية طلبت أن تتنفَّس عن إرادتها، ولكن لم يعطها المسيح الكلمة الأخيرة «ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك.» (لو 42:22)

«**يا أبا الآب**»: ¢bb© Ð pat»r

وهكذا سُمع المسيح وهو يخاطب الله: «يا أبا الآب» بدالة البنوَّة التي له. ويُظن أن المسيح قالها باللغتين الأُولى بالأرامية (¢bb©) والثانية باليونانية، لأن المسيح كان يتكلَّم بها أيضاً(23). ويستبعد العلماء أن يكون ق. مرقس هو الذي وضع الترجمة لها، لأن هذا النداء دخل الكنيسة كتقليد. أمَّا ق. متى فقالها: «يا أبي» ووضعتها اللغة العربية: «يا أبتاه » P£ter mou ولكن جعلها ق. لوقا: «أيها الآب » Ð pat»r وفي الثلاث حالات واضح أن النداء يحمل توسُّلاً عاطفياً شديداً ويتعلَّق بالصلة الصميمة التي لهما. ومجيئها في إنجيل ق. مرقس **¢bb© Ð pat»r** كانت المرَّة الوحيدة في إنجيله ولم تأتِ قط في إنجيلي القديس لوقا والقديس متى.

«**كل شيء مستطاع لك**»:

في إنجيل ق. متى يقولها: «إن أمكن» وفي إنجيل ق. لوقا يقولها: «إن شئت» لذلك تظهر هنا

(23) **A. Plummer, *op. cit.*, pp. 327,328.**

في إنجيل ق. مرقس وكأنها نطق لاهوتي ضمن درس لاهوتي. فالإمكانية والاستطاعة للآب مطلقة، لذلك فتقليدها الكنسي قوي ومتمكِّن كحقيقة قائمة *ipso facto*.

«**فأجز عني هذه الكأس**»:

هي إعادة مساومة كان قد اتُفِق عليها في الأزلية لما كان الابن في حضن الآب في ملء الطاعة الروحية، ولكن الآن وقد صار متغرِّباً على أرض شقاء الإنسان ولابساً ما ليس له، لابساً شكل العبد، وقد أتت الساعة، فالأمر يحتاج لإعادة مساومة أو على الأقل تفهُّم جديد بين الآب والابن المتجسّد، فالجرعة شديدة الوطأة على أحاسيس الابن المرهفة، والموقف واضح أمامه أنه يتحتَّم أن يجوزه وحده وبدون أي معونة من الآب. فإن كان كل شيء ممكن لدى الآب، فهل يمكن أن تجوز ساعة المحنة التي جاء إليها الابن خصيصاً؟! وإلاَّ فها ضعفي مجِّدني إن أردت حتى أريد ما تريد أنت. حكم الموت الرهيب قاسه المسيح طولاً وعرضاً وجزع من رعبته لأنها عقوبة وليس مجرَّد موت، لعنة وليس مجرَّد صلب، وإن كان قد جاء ليحملها مع إخوته في البشرية التي لبسها من أجلهم إلاَّ أن شدَّة وطأة العقوبة واللعنة لم يتهيأ لها الابن، وهو نازل من حضن الآب. الجسد يهون أمره ولكن ترك الآب له تركاً كاملاً ولو إلى لحظة أمر مرعب، وهوذا قد اقتربت لحظتها. والآن قاس مرارتها فارتعب، وهناك على الصليب تجرَّعها كأساً بيد الآب فلم يطقها وصرخ: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟» لأنه لكي يموت الابن على الصليب يتحتَّم أن يتركه الآب **لتكمل العقوبة بلا رحمة!! وتحل عليه اللعنة وحده بعيداً عن الآب!!**

المسيح يعلم أنه ليس أصلاً هو موضوع العقوبة ولعنتها، بل أخذها طوعاً واختياراً مع إخوته في البشرية التي حملها لنفسه، لذلك يحلّ له باسم ابن الإنسان أن يطلب رفعها، ولكن استحالة أن يطلب ذلك بعيداً عن إرادة الآب، فهو بعد أن نفَّس عن بشريته عاد وأخضع نفسه تماماً ونهائياً لإرادة الآب مهما كان العذاب ومرارة ترك الآب. وفي هذا نرى وكأن المسيح يروِّض نفسه على قبول عقوبة الموت مع اللعنة في حضرة الآب قبل أن يقبلها وحيداً وبعيداً عن وجهه. إنها قراءة لاهوتية في قوة ومعنى الفداء مطروحة على ضعف البشرية التي فيه لكي تتقوَّى بقوة إرادة الله وتخضع ليتم الفداء بإرادة حاضرة من خلال كأس مرارة الموت والتخلي من الآب.

إنه أروع مقطع لاهوتي في حوار الابن مع الآب بخصوص موته!!

14: 37و38 «**ثُمَّ جَاءَ وَوَجَدَهُمْ نِيَاماً، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: يَا سِمْعَانُ، أَنْتَ نَائِمٌ! أَمَا قَدَرْتَ أَنْ تَسْهَرَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اسْهَرُوا وصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلوا في تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وأَمَّا الجَسَدُ فَضَعِيفٌ**».

حينما يبلغ التوتر مداه في الصلاة، يقطعها المسيح ليرى تلاميذه، لأن في وجودهم بجواره كان عزاءٌ لهم هم، ولكن للأسف لم يكونوا أبداً عند حسن ظنه. وطبيعي أن ينادي بطرس الذي وثق وتعالى بنفسه وكأنه مستعد أن يموت معه وهو غير مستعد أن يصلِّي معه ساعة واحدة. ولكن هنا حدث شيءٌ هامٌ مع بطرس، فقد سحب منه المسيح اسم «الصخرة» وعاد به إلى «سمعان» من هذه اللحظة.

«لئلاَّ تدخلوا في تجربة»: peirasmÒj

تجربة الإنسان بالمحنة لاختبار إيمانه. لذلك أن نصلِّي لكي لا ندخل في تجربة نكون أثبتنا إيماننا وسلَّحنا أنفسنا ضد المجرِّب. فالصلاة كفيلة بأن تضيِّع كل الفرص على العدو أن يجد فينا مدخلاً، لأن أي تجربة تصيب الإنسان يكون هو المسئول عنها إذا لم يكن يصلِّي وصلاته تدوم. فالمسيح أعطانا هنا كما أعطانا في صلاته «أبانا الذي» الدرع الواقي من سهام الشيطان. أمَّا الإنسان الذي لا يسهر ولا يصلِّي فالعدو له قدرة أن يقتحم بابه ويلقي المعثرة أمامه.

وهذه النصيحة التي يقولها المسيح لسمعان والتلاميذ لا تنتمي إلى حال معين، بل هي نصيحة إلهية للعمر كله. أمَّا المناسبة فخطيرة، فالمسيح في مواجهة صريحة مع الشيطان، وهو حتماً له مع التلاميذ إن كان الآن أو فيما بعد جولات، ولكن الآن واضح خطورة النوم والعدو على الأبواب، فالساعة ليست ساعة نوم بل ساعة أعظم محنة دخلها إنسان من أجل الإنسانية حاملاً لقب ابن الله وابن الإنسان معاً. فهو يجوزها باسم الله وباسم البشرية بآن واحد. وهي محسوبة أنها أعظم وأخطر تجربة جازها إنسان لحساب الله ولحساب البشرية التي يمت إليها بالجسد.

أيتها البشرية أما قدرتِ أن تسهري ساعةً، أيها الإنسان الواحد أما قدرت أن تسهر ساعة؟ التجربة والخطية والعثرة والعدو بالمرصاد ولا ينقذنا من براثن التجربة والخطية والعثرة والهلاك إلاَّ السهر على النفس حتى لا تؤخذ في غفلة «لأن المستعدات (فقط) دخلن معه إلى العرس» (مت 10:25). العريس والمخلِّص ساهر علينا ولكن لا يُنقذ إلاَّ الساهر بانتظاره. في وقت لا نعلمه يأتي المخلِّص، فالذي يجده في نعاس الغفلة يفوته العريس ويفوته النور ويفوته الفرح الأبدي والدخول إلى الملكوت. ولكن بماذا نثمِّن السهر، هل هو ثقل هكذا شديد، الرب يطلب ساعة واحدة!! لأنه رتَّب ودبَّر وصمَّم أن في هذه الساعة الواحدة يعطي سر الخلاص ويسلِّم مفتاح الباب وعلامة الطريق والدخول ... ألوف وملايين من الناس يحكون أنها كانت ساعة واحدة بل لحظة من الزمان كان فيها مستيقظاً وصاحياً فسمع الصوت ورأى الرب ونال الخلاص!! الرب لم يحدِّد ميعاد مجيئه، ولكن ترك للإنسان ميعاد التلاقي. اسهروا وصلوا!!

«**أمَّا الروح فنشيط وأمَّا الجسد فضعيف**»:

هذه حقيقة تلميذ المسيح، فهو قد تدرَّب أن يكون صاحياً روحياً حتى وإذا نام بالجسد أو مرض أو انكسر، هذه هي نعمة الإنجيل: «أنا نائمة وقلبي مستيقظ» (نش 2:5). الإنسان المسيحي سريع الانصياع للروح وسماع الإنجيل وطاعة المسيح، لأن الروح فيه تدرَّبت على قيادة الروح القدس ونخسه المستمر لليقظة المستمرة لئلاَّ يبتلعنا العدو لأنه يجول يبحث عن النائمين والمتوانيين والمهملين ليبتلعهم أحياءً. والنائم هو الذي يغفل عن نداء الروح القدس والحديث مع المسيح ليل نهار: «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح؟» (رو 35:8).

ولكن شكراً لله لأن الروح الذي أسكنه الله في قلوبنا يشتهي ضد الجسد وهو بالنهاية غالب باسم الرب.

39:14و40 «**وَمَضَى أَيْضاً وَصَلَّى قَائِلاً ذلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ. ثُمَّ رَجَعَ وَوَجَدَهُمْ أَيْضاً نِيَاماً، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً، فَلَمْ يَعْلَمُوا بِمَاذَا يُجِيبُونَهُ**».

عاد المسيح إلى مكانه للصلاة مكرِّراً الكلام بعينه بحسب ما سمع أحد التلاميذ الثلاثة. ولثاني مرَّة يأتي المسيح فيجدهم نياماً. ويعطي هنا ق. مرقس سبب تثقلهم بالنوم بسبب تثقل عيونهم بالنوم، وهي تأتي من حالة سهر بإعياء وحزن وعدم وجود ما ينشِّط الفكر وينبِّه الأعصاب، وغالباً من اليأس وخيبة الأمل. وهم بهذا الحال لم يجدوا ما يردُّون به. وكانت هذه المهزلة مثار خجل التلاميذ طول حياتهم، وحتى لنا لأنها حُسبت استخفافاً عند كل القارئين دون أن يجد الإنسان لها أي معنى إلاَّ أن الشيطان كان قد لحَّس عيونهم بمادة الجهالة ولذة النوم. أمَّا في تقليد ق. لوقا فحذفها جملة، وأمَّا في تقليد ق. متى فأضاف عليها مرَّة ثالثة للعودة إلى الصلاة والمجيء لحث التلاميذ على السهر فزادها خجلاً على خجلٍ.

41:14 «**ثُمَّ جَاءَ ثَالِثَةً وَقَالَ لَهُمْ: نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا! يَكْفِي! قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ! هُوَذَا ابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ**».

لم يقل المسيح ناموا الآن واستريحوا استصغاراً للتلاميذ، ولكن قوله: «يكفي» يشرح أن العملية انتهت وأن ساعة القبض قد أتت وهوذا ابن الإنسان يُسلَّم لأيدي الخطاة، وما على التلاميذ الآن إلاَّ الهرب فقد ضُرب الراعي.

42:14 «**قُومُوا لِنَذْهَبَ. هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ**».

لقد سلَّم المسيح بالأمر الواقع الذي كان ينتظره، وقد انتهى من نفسه وتسلَّح بإرادة الرضى واستعد بحزم لمد يديه لوضع الرباط.

90 قبلة الخائن والقبض

[52-43:14]

(مت 26:47-56)

(لو 22:47-53)

(يو 18:2-11)

ديباجة طويلة للقديس مرقس وهو الوحيد الذي يقدِّم للقبض، ومن الآية (43-48) كان كلام ق. مرقس، وابتدأ المسيح يتكلَّم عند الآية (48) ولم يتكلَّم إلاَّ بآيتين (48و49)، وفي الآية (51) وبلا مقدِّمات يعطي ق. مرقس قصة الشاب الذي ترك إزاره بأيدي الذين حاولوا القبض عليه وهرب، ويبدو أنه ذهب بعد ذلك إلى البيت في جثسيماني وارتدى ملابسه الجيدة وتبع يسوع خطوة بخطوة. وهذا نستشفه من البيانات التي بدأت تتوارد علينا ولم يكن مع المسيح أحد بالمرَّة إلاَّ هذا الشاب مرقس. وتأتي قصة قطع أُذُن عبد رئيس الكهنة ولكن لا يكشف ق. مرقس عن اسم الذي ضرب بالسيف، ولم يذكره لا ق. متى ولا ق. لوقا، ولكن ق. يوحنا يقول إنه ق. بطرس. واكتفى ق. متى بقوله: «واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أُذُنه» (مت 51:26)، «فقال له يسوع: رُد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون» (مت 52:26). وكان الجمع خليطاً وقد اتجهت الأنظار إلى يهوذا وكنيته: «واحد من الاثني عشر» وما عمله بقبلته كدليل للذين جاءوا للقبض عليه. وكان شائناً جداً أن يواجهه المسيح بالقول: «أبقبلة تسلِّم ابن الإنسان؟» (لو 48:22). فجعل علامة المحبة وسيلة للقتل وسفك الدم. وجاءت رواية ق. مرقس واضحة سهلة مختصرة، أمَّا التي للقديس متى وق. لوقا وق. يوحنا فقد أخذت زيادات ليتورجية إذ دخلت في صميم القراءات الكنسية للعبادة والتعليم. فالأُذُن تحدَّدت باليمنى (إنجيل لوقا) وعُرف اسم العبد وبعض الذين في الجمع أيضاً (إنجيل يوحنا). وحادثة الشاب الذي ترك إزاره وهرب لم يذكروها جملةً لأن الوحيد الذي يعرفها هو الوحيد الذي كتبها. والقديس مرقس هو الذي سجَّل على التلاميذ «فتركه الجميع وهربوا»

ولكن في إنجيل ق. يوحنا يقول التقليد إن المسيح طلب من الذين جاءوا للقبض عليه أن يتركوا التلاميذ: « فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون» (يو 8:18). وهكذا تحقَّق قول المسيح لهم أنهم سيتركونه ويهربون كل واحد إلى خاصته (يو 32:16).

43:14و44 «وَلِلْوَقْتِ فِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ أَقْبَلَ يَهُوذَا، وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ. وَكَانَ مُسَلِّمُهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ عَلاَمَةً قَائِلاً: الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ، وَامْضُوا بِهِ بِحِرْصٍ».

تتضح يد ق. مرقس منذ أول كلمة «وللوقت» ويقصد بها ربط قصة التسليم بقصة جثسيماني، ويعطي هنا ق. مرقس البيانات بطريقة خاطفة، وواضح أن الزيادات بعد ذلك جاءت حسب شرح الكنيسة. ومع اسم يهوذا جاء في المخطوطات الأكثر حداثة لقبه ''الإسخريوطي''. ولكن على العموم لا تأتي الرواية هنا بالبيانات الضافية التي لازمت قصة جثسيماني أو الإنكار. وواضح أن القبض تمَّ على أيدي أُناس مأجورين بالثمن جنود وخدم، ولم يذكر ق. مرقس وجود أحد من هيئة الشرطة ولكن ذكرها ق. لوقا (52:22)، كذلك لم يذكر عساكر الرومان، ولكن ق. يوحنا ذكرهم (3:18و12)، وذكر أيضاً خادماً لرئيس الكهنة وهو الوحيد الذي أوذي والغالبية كانت معهم أسلحة. والسيوف هنا من الصنف القصير وهي أكبر حجماً من السكين، والعصي من الخشب.

ويُلاحَظ أن ق. مرقس لا يذكر رؤساء الكهنة في هذه الجماعة. وقد شرح مسبقاً عن يهوذا والجماعة التي قادها بالليل كيف سيدلّهم على المسيح في البستان وسُمِّي ''بمسلِّمه''، اللقب الذي أثار في الكنيسة الرعب والفزع من عمليته المشئومة، والعلامة التي أعطاها هي «قبلة» يتقدَّم بها بقلب ميت وضمير مباع بالفضة وبسندٍ من أخلاق خسيسة وبحراسة جندٍ. أمَّا القبلة فكانت شائعة بين الربيين وتلاميذهم. وصدق المزمور القائل: «ألين من الزيت كلماته وهي سيوف مسلولة» (مز 21:55). وفي إنجيل ق. لوقا يبادره المسيح بالقول: «يا يهوذا أَبِقُبلة تُسلِّم ابن الإنسان؟» (لو 48:22). أمَّا إنجيل ق. متى ففيه يقول يهوذا: «السلام يا سيدي وقبَّله. فقال له يسوع: يا صاحب لماذا جئت؟» (مت 49:26و50). والمسيح هنا يلقِّبه بالصاحب أو الصديق لأنه قال «أحبوا أعداءكم» !

45:14و46 «فَجَاءَ لِلْوَقْتِ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ قَائِلاً: يَا سَيِّدِي، يَا سَيِّدِي! وَقَبَّلَهُ. فَأَلْقَوْا أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ وَأَمْسَكُوهُ».

«**وقبَّلهُ**»: katef...lhsen

وهي بحسب الكلمة اليونانية: ‘‘قبَّله بحرارة’’، لأن قبَّله فقط = f...lhsen™ فالمعنى قبَّله بحرارة (طبعاً حرارة كاذبة)، حيث تمتد الذراعان ليحتضن الإنسان الآخر. وهذا هو المطلوب وكأنه يمسكه لهم حتى يضعوا عليه الأيادي، فالقبلة صارت بحد ذاتها جزءاً من القبض. وفي إنجيل ق. مرقس لا يعطي المسيح أية ملاحظة ولا أي جواب، ولكن في التقليد بعد ذلك عند ق. متى يقول: «وقال: السلام يا سيدي وقَبَّله. فقال له يسوع: يا صاحب لماذا جئت؟» (مت 26: 49و50) وتأتي هنا «قبَّله» katef...lhsen أمَّا ق. لوقا فكتب: «فدنا من يسوع ليقبِّله فقال له يسوع يا يهوذا أَبِقُبلة تسلِّم ابن الإنسان» (لو 22: 47و48)، وتأتي هنا filÁsai بمعنى أن ق. مرقس هو الذي كتب عن القبلة الحارة أو الشديدة بمد الأذرع وأخذها عنه ق. متى فقط. إلى هنا ينقطع الحديث للدخول في حادثة قطع أذن عبد رئيس الكهنة.

47:14 «**فَاسْتَلَّ وَاحِدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ السَّيْفَ، وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ**».

يأتي هذا المقطع المعترض للحوادث دون أي سابق، ودون ذكر أي اسم هنا كما هي عادة ق. مرقس، ولكن هناك أخيراً في إنجيل ق. يوحنا يُذكر اسمه «ملخُس» أمَّا الضارب فهو بطرس. ويبدو أن الراوي كان يعرف اسم الضارب ولكنه امتنع عن ذكر اسمه حفظاً للسر في ذلك الحين لئلاَّ يقبضوا عليه ويحاكموه. وهكذا نقل ق. مرقس التقليد كما هو. أمَّا ق. لوقا فيجعلها على هيئة سؤال: «فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا: يا رب أنضرب بالسيف» (لو 49:22) وكأنهم لم يعلموا بعد أن معلِّمهم ذاهب إلى الصليب.

48:14-50 «**فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ مَعَكُمْ فِي الْهَيْكَلِ أُعَلِّمُ وَلَمْ تُمْسِكُونِي! وَلكِنْ لِكَيْ تُكْمَلَ الْكُتُبُ. فَتَرَكَهُ الْجَمِيعُ وَهَرَبُوا**».

كان المسيح يخاطب الكهنة بنوع خاص «كنت معكم في الهيكل» فهم الذين استأجروا حاملي السيوف والعصي، ولكن ق. لوقا يوضِّح من عنده أن القادمين كانوا رؤساء كهنة وضبَّاط الهيكل (لو 52:22) ولكن هذا غير تقليد ق. مرقس الذي جاء على المستوى الأقل من الكهنة. والمسيح يدين حركتهم الحقيرة في مستوى وسيلة القبض كأنهم يطلبون لصاً، علماً بأنهم في كل أحاديثهم معه كانوا يلقبونه بالمعلِّم ‘‘رابي’’. ولم يتركهم إلاَّ بعد أن فضح انحطاط مستواهم الكهنوتي في حمل

السيوف والعصي.

ومرَّة أخرى يذكر هنا ق. مرقس: «كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلِّم» هذا التصريح يكشف عن أيام وسنين وتعاليم كثيرة. ولكن ق. مرقس اختزل خدمة الثلاث سنوات إلى سنة واحدة. فكلام المسيح يتناسب مع إنجيل ق. يوحنا الذي رافق الخدمة أكثر من ثلاث سنوات معظمها كان في أُورشليم.

وقول المسيح: «كأنه على لصٍّ خرجتم» يُذكِّرنا بقول إشعياء: «محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستَّر عنه وجوهنا (نستر وجوهنا عن رؤيته) محتقر فلم نعتد به.» (إش 3:53)

وقول ق. مرقس إن الجميع تركوه وهربوا يقصد به التلاميذ. والقديس لوقا يجعل المسيح يخاطب الجمع ومعهم رؤساء الكهنة: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (53:22)، أمَّا ساعة المسيح فكانت القبض. أمَّا ساعة الكهنة ورؤسائهم فهي ساعة اتحاد ظلمة رؤساء الكهنة بظلمة الشيطان: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» كانت ساعة المسيح تمثِّل آخر لحظة من خدمته المجيدة على الأرض، أمَّا ساعة رؤساء الكهنة فكانت ساعة انحسار نور وجه الله عنهم ليدخلوا في ليل العالم الذي طال بهم وليس فجر. ساعة المسيح نقلته من كمال الخدمة إلى كمال المجد، أمَّا ساعتهم فنقلتهم من شعب أحبَّه الله واختاره وتبنَّاه إلى شعب وقع تحت غضب الله.

51:14و52 «وَتَبِعَهُ شَابٌّ لاَبِساً إِزَاراً عَلَى عُرْيِهِ، فَأَمْسَكَهُ الشُّبَّانُ، فَتَرَكَ الإِزَارَ وَهَرَبَ مِنْهُمْ عُرْيَاناً».

أولاً: هناك معنى كون ق. مرقس وحده هو الذي يذكر هذا الحدث القصير المبهم الذي لا يعطي أي مزيد على القصة إلاَّ إن كان وراءه سرٌّ مُخفى. وأمَّا ق. متى وق. لوقا فلا يذكرانه.

ثانياً: إن ق. مرقس اعتنى أن يذكره بعد قوله إن **الجميع تركوه وهربوا!!** وطبعاً إلاَّ هذا الشاب فمَنْ يكون؟

ثالثاً: ما السبب وما الداعي للقديس مرقس أن يدخل في أخص خصوصيات هذا الشاب حتى يعلم أن الإزار كان على عريه؟؟ والوقت ليل!!

رابعاً: ما الذي أحضر هذا الشاب إلى جثسيماني ليلاً، وما الذي جعله يتبع المسيح بعد أن هرب الجميع؟

فلو وضعنا النقط على الحروف نقرأ: أن هذا الشاب هو صاحب الضيعة التي يُقال لها جثسيماني، ولماذا كان لابساً الإزار على عريه؟ إلاَّ لأنه كان نائماً وهكذا كانت عادة سكان الريف

يخلعون الملابس وينامون ملفوفين بإزار، ولما استيقظ فجأة لف نفسه بهذا الإزار وجرى وراء الرب. ولماذا وكيف كان هذا الشاب يتبع المسيح؟ والقصة كالآتي أن المسيح لما قال لهم ناموا واستريحوا، ناموا فعلاً واستيقظ ق. مرقس على ضجة حاملي المصابيح والسيوف والعصي والذين كسروا باب الحديقة، فخرج ق. مرقس سريعاً من البيت وحاول أن يتبع الرب، ولكن إذ جاء متأخراً بعد أن هرب التلاميذ حاولوا أن يقبضوا عليه وحده، فلما هرب ذهب إلى العلية وعاد لابساً ثيابه ورافق المسيح في كل خطوات محاكمته حتى الصليب، وكتب إنجيله كشاهد عيان آلام الرب وكان أقوى وأدق من كتب.

ولا نعدم من العلماء ذوي الفكر المتعمِّق من كاد يتعرَّف على هذا الشاب كالآتي:

- قال العالم فنسنت تايلور(24): هذا الشاب لابد وكان يتبعه من العلية ويبدو أنه كان من عائلة غنية، وتوقف عند ذلك.
- يذكر العالِم الألماني زاهن(25): أنه لابد أن يكون ق. مرقس نفسه وهذه القصة بمثابة كتابة اسمه في زاوية من إنجيله وقد نقل عنه هذه الفكرة هولتزمان(26) .
- أمَّا كرم(27) فقد اقترب جداً من الحقيقة هكذا: إن هذا الشاب الذي تبع المسيح بهذه الصورة في هذه الليلة الباردة وفي الظلام، وعرَّض حياته للخطر، هو ق. مرقس الذي كان يعيش في الفيلا التي له في جثسيماني. وهو إنما كتب هذه القصة لكي يؤكِّد أنه هو كاتب الإنجيل كشاهد عيان.

---

(24) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 561.**

(25) **Th. Zahn, *Introduction to the New Testament,* Eng. Tr. Edinburgh, 1909, II, p. 494.**

(26) **H. J. Holtzmann, *Die Synoptiker,* Tübingen, 1901, p. 176.**

(27) **J. M. C. Crum, *Roadmending on the Sacred Way,* p. 42 f.**

محاكمة المسيح

91 المحاكمة أمام رؤساء الكهنة

[14:53-65]

(مت 26:57-68)

(لـو 22:54و63-71)

(يو 18:19-24)

هذه الرواية مضطربة، تبدأ بمحاولة رؤساء الكهنة إيجاد شهود زور ضد المسيح: عن هدم الهيكل وإعادة بنائه ثم تحدِّي رؤساء الكهنة للمسيح وردّه عليهم وحصولهم على دليل وهمي كاذب (64).

أمَّا بطرس فسبق وتبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة، وبقي في الدور الأسفل مع الخدم يستدفئ. وق. مرقس يستقي تفاصيل ما حدث من سامع وشاهد عيان، ويُعتقد أنه هو نفسه ق. مرقس. لذلك بدت القصة وكأنها ينقصها الدليل، والدليل مختبئ في ركن منها. ويقول فنست تايلور إنه من الواضح أنه لا يوجد أي دليل أن ق. بطرس هو الذي أعطى هذه الرواية(28).

وفي قول المسيح إنه سيأتي على السحاب معتمداً على نبوّة المزمور (110:1) ودانيال (7:13) تصريح خطير أمام رئيس الكهنة أنه هو المسيَّا، الذي اعتبره رئيس الكهنة تجديفاً وأخذه كبرهان يصلح لحكم القتل. أمَّا الشهادة التي لم يعتمدوا عليها أولاً بأنه قال إنه ينقض الهيكل وفي ثلاثة أيام يقيمه فهي **ركن القضية الأول** الذي اعتمدوا عليه فعلاً وعيَّروه به وهو على الصليب. أمَّا **الركن الثاني** في ذهن رؤساء الكهنة فقام أساساً على ادعاء المسيح أنه "المسيَّا". وهذان الركنان هما اللذان **اعتمدت عليهما العقلية اليهودية في طلب حكم الموت والإصرار عليه**. أمَّا باقي الأسباب فهي مبرِّرات **كاذبة إضافية لإقناع القاضي الروماني لإصدار حكم الموت بحسب العقلية الرومانية**. بهذا خرجت القضية بالحقيقة القانونية الآتية:

1 ـ أن المسيح حوكم لدى المحكمة اليهودية على أساس كونه يدَّعي أنه المسيَّا.

(28) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 563.**

2 ـ وأنه حوكم لدى المحكمة الرومانية على أساس أنه يدَّعي أنه ملك وندٌّ لقيصر.

والقضية واحدة، فعند اليهود ادعاء المسيَّا حسبوه تجديفاً على الله. ثمَّ حوَّلوا وجهة نظرهم من مسيَّا اليهود إلى ملك، وهو لقب المسيَّا بالمفهوم الأُممي، فحسبه بيلاطس مقاومة لقيصر (من وجهة نظر اليهود الملفَّقة).

53:14 «فَمَضَوْا بِيَسُوعَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْكَتَبَةُ».

لا نجد في إنجيل ق. مرقس اسم قيافا رئيس الكهنة، بل تُذكر وظيفته دون ذكر اسمه. كذلك لا نجد في إنجيلي ق. مرقس وق. متى ذِكر اسم حنَّان، أمَّا بحسب إنجيل ق. يوحنا فالمسيح حوكم أولاً في دار حنَّان، وقد كان رئيساً للكهنة من سنة 7ـ14م وأُقيل من منصبه بواسطة فاليروس جراتوس، وهو الوالي السابق لبيلاطس، ولكن لسطوته اعتُبر أنه هو رئيس الكهنة الفعلي. وأمَّا قيافا الرئيس الرسمي فهو زوج ابنته، ويبدو أنهما عاشا معاً في نفس القصر، إذ يتضح هذا من إنجيل ق. يوحنا (13:18).

هذا التمهيد الذي يحضِّر القضية للمحاكمة أمام رؤساء الكهنة التي استغرقت من الآية (55ـ65) وبعدها الإنكار من آية (66ـ72) نجده يأتي منسجماً تماماً بعد القول: «فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه» ورئيس الكهنة الذي لم يذكر ق. مرقس اسمه كعادته هو قيافا (مت 57:26) الذي اعتلى وظيفته من سنة 18ـ36م. أمَّا قول ق. مرقس إنه اجتمع إلى قيافا جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة فهو بمثابة انعقاد للسنهدريم بكامل هيئته على عجل في نصف الليل، ولكن لم يكن بصفة رسمية.

54:14 «وَكَانَ بُطْرُسُ قَدْ تَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَاخِلِ دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَكَانَ جَالِساً بَيْنَ الْخُدَّامِ يَسْتَدْفِئُ عِنْدَ النَّارِ».

يُلاحِظ القارئ أن هذه الآية يكمِّلها في قصة بطرس الآية (66) حتى (72) وهذا سيأتي في حينه. أمَّا كيف دخل بطرس دار رئيس الكهنة فيشرحه ق. يوحنا هكذا:

+ «وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع، وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس الكهنة، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة. وأمَّا بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً. فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة، وكلَّم البوابة فأدخل بطرس.» (يو 18: 15و16)

وطبعاً دخل بطرس واندسَّ بين الخدم يستدفئ حول النار لأن الطقس كان بارداً.

55:14و56 **«وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةً عَلَى يَسُوعَ لِيَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا. لأَنَّ كَثِيرِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ زُوراً، وَلَمْ تَتَّفِقْ شَهَادَتُهُمْ»**.

هنا تبتدئ أول محاكمة دخلها يسوع. أمَّا السنهدريم فيتكوَّن بحسب العالِم شورر(29) من 71 عضواً تحت رئاسة الكاهن الأعظم (رئيس الكهنة)، ويتكوَّن من رؤساء الكهنة السابقين والكتبة والشيوخ العلمانيين. ولكن فيما قبل خراب الهيكل لم يكن للسنهدريم صلاحية الحكم في القضايا الكبرى.

ويقول القديس مرقس إن السنهدريم اجتمع بكامل هيئته، ولكن غير معروف إن كانت له رسمياً هذه الصفة وهو مكوَّن على عجل وفي نصف الليل. لذلك يقول ق. لوقا إن المحاكمة تمَّت صباح اليوم التالي (22: 66-71). ولكن المعرفة الكاملة بما تمَّ في هذا المجمع غير متوفرة لعدم وجود أحد التلاميذ، ولكن يُعتقد أن أحد أتباع يسوع كان حاضراً وهو الذي أعطى هذه البيانات إمَّا يوسف الرامي أو نيقوديموس.

وبحسب رواية ق. مرقس كان المجمع يحمل العداوة الرسمية للمسيح، ورؤساء الكهنة هم الذين بحثوا عن شهود زور ضد المسيح بقصدٍ واحدٍ وهو قتله. فالحكم كان جاهزاً قبل تجهيز أركان القضية، وعدم قانونية هذه الإجراءات كلها واضحة وصارخة، والموضوع مبيَّت، فنحن قرأنا في بداية الأصحاح الرابع عشر هكذا: «وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين. وكان رؤساء الكهنة والكتبة **يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه**» (مر 1:14). وكما يقول ق. مرقس، فقد قامت مشكلة عدم اتفاق شهود الزور، والشهود أمر حتمي بحسب الناموس (تث 15:19)، إذ يتحتَّم وجود شاهدين متفقين تماماً وبحجة واضحة معقولة ومناسبة. ولكن إن كان القاضي نفسه حاقداً ومنحازاً لقتل المدّعى عليه فلماذا الشهود ولماذا القوانين. لذلك فقيام الحكم المدني لمواجهة قصور رجال الدين كان أمراً أساسياً وحيوياً وإلهياً. ومن أجمل الصور التي تعبِّر عن القضاء الصحيح المنزَّه عن انحياز القاضي صورة "**رمز القضاء**" على باب محكمة القضاء العالي بأمريكا: امرأة معصوبة العينين وبيدها ميزانٌ. أمَّا لماذا امرأة فلكي يستمد الرمز من المرأة قلبها، وقلوب النساء رقيقة!

57:14-59 **«ثُمَّ قَامَ قَوْمٌ وَشَهِدُوا عَلَيْهِ زُوراً قَائِلِينَ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: إِنِّي أَنْقُضُ هذَا الْهَيْكَلَ**

(29) **E. Schürer, *A History of the Jewish People in the Time of Jesus Christ*, Eng, Tr., Edinburgh, 1901, part II, I, pp. 163-195.**

الْمَصْنُوعَ بِالأَيَادِي، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِي آخَرَ غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِأَيَادٍ. وَلاَ بِهـذَا كَانَتْ شَهَادَتُهُمْ تَتَّفِقُ».

الملاحَظ أن المسيح لم يقل ذلك أنه ينقض، بل «**انقضوا**» أنتم، لأنه في الحقيقة وعين الأمر أن المسيح لم ينقض العبادة اليهودية بل هم أنفسهم رؤساء الكهنة مع السنهدريم والكتبة والفريسيين هم الذين تسبَّبوا في نقض الهيكل والعبادة كلها. أمَّا المسيح فقد كمَّلها في ذاته وبجسده إلى عبادة قائمة ليست عوضاً عنها بل تكميلاً لها حسب (يو 19:2). لأن نقض الهيكل ـ والهيكل محسوب أنه سكنى الله ـ يكون تجديفاً على الله، فالمسيح لم يقل بهذا، ولكنهم هم الذين فعلوا ذلك. فصار ليس بيت الله بل بيتهم: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (مت 38:23). والعجيب حقًّا أن يقف العلماء جميعاً عاجزين عن فهم هذا الاتهام كيف ولماذا جعله ق. مرقس شهادة زور(30) مع أن الإجابة واضحة أمام القارئ.

وكان في هذا القول الذي قاله المسيح إعلان واضحٌ عن ماسيَّانيته، فهذا هو الذي ألهم رئيس الكهنة أن يسأل عن ذلك مباشرة.

14: 60ـ62 «**فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ فِي الْوَسَطِ وَسَأَلَ يَسُوعَ قَائِلاً: أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَؤُلاَءِ عَلَيْكَ؟ أَمَّا هُوَ فَكَانَ سَاكِتاً وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضاً وَقَالَ لَهُ: أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟ فَقَالَ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِياً فِي سَحَابِ السَّمَاءِ**».

أسئلة رئيس الكهنة عن إجابة المسيح على الشهادات المقدَّمة ضدَّه لم تكن في الحقيقة غريبة عن المسيح، لأن كل أسئلتهم هي لمحاولة اصطياد كلمة يأخذونها عليه. ولكن حقيقة صمته أو سكوته الكامل وعدم الإجابة مطلقاً، هي في الحقيقة منهج المسيح العملي الذي جاء لتكميله، **فهو لم يأتِ ليدافع عن نفسه أنه بريء من الخطأ والخطايا، بل جاء خصيصاً لحملها. فكل الاتهامات التي قُدِّمت ضدَّه ارتاح إليها ولم يبرِّئ نفسه منها أو ينفي التهمة عن نفسه، بل رضي بها رضاءً، باعتباره جاء ليحمل أخطاء وخطايا البشرية. فكونه يُحكم بمقتضاها أنه صانع كل الخطايا ويموت بناء على ذلك فهذا صميم رسالة الفداء أن يموت من أجل خطايا البشرية.**

أمَّا السؤال من جهة ماسيَّانيته هل هو المسيح ابن المبارك فمحال أن ينفيه عنه، لأن هذا هو

(30) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 566.**

حقيقته فكيف ينفي الحق، لذلك بادرهم بتأكيد ذلك وزاد عليه ما سيكون لدينونتهم، لأنه معروف أن مجيء المسيَّا هو للدينونة الأخيرة، ومجيئه الثاني هكذا إثبات أنه سيقوم من الموت حتماً.

وسوف يرى القارئ أن المسيح في جميع التحقيقات إذا ما وُجِّه باتهام كان يسكت ولا يجيب بشيء، لا كأنه غير راضٍ بل لأنه موافق على كل أنواع الخطايا التي تُنسب إليه، لأن هذا صميم عمله!! حَمْلُ الخطايا! بل أنه كان كأنه يحرِّض بيلاطس على الحكم بالموت بسكوته، لأن سكوته أمام القاضي معناه الموافقة على الاتهام وبالتالي قبول حكم الصلب. وبهذا يكون قد حقَّق فعلاً أنه صُلب بإرادته وحده!! وعن خطايا العالم.

فإذا كان كما سبق وقلنا إن التهمة الأساسية من اليهود هي أنه قال إنه المسيَّا، وهي التي أزعجتهم حتى شقَّ رئيس الكهنة ملابسه إعلاناً عن أن هذا أعظم تجديف، مع أنه قانوناً ليس تجديفاً، ولكن بسكوته على جميع الاتهامات التي قُدِّمت في حقه وخصوصاً أمام القاضي **يكون المسيح قد صُلب على أنه المسيَّا حامل خطايا العالم**.

14: 63و64 «**فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ: مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ! مَا رَأْيُكُمْ؟ فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ**».

قام رئيس الكهنة بعملية بهلوانية، وهو مرتعب من الواقف أمامه ومرتعب أكثر من ردود المسيح، فقام بعملية تغطية للموقف الضعيف الذي وقفه كمن يقضي قضاء الله في محكمة السنهدريم، أي مجمع الله. إذ لم يتفق شاهدان على قتله. وبسؤاله للمسيح مباشرة رد المسيح عليه بنعم، فكان يجب الانتقال في الحال إلى فحص هذا الادعاء إن كان صحيحاً أو كذباً، فإذا تحقَّق أمام المجمع أنه كذب أصبح من حقّه أن يمزِّق ثياب كهنوت الله التي عليه. ولكن إلى الآن والمسيح مصرٌّ أنه هو المسيَّا، فكيف وبأي منطق وعلى أي أساس يمزِّق ثيابه؟ إذن، فتمزيق ثيابه كانت عملية تغطية لإفلاس المحكمة والقاضي لأنها لم تجد أي برهان على تقديمه للحكم!! ولم يذكرها ق. لوقا في إنجيله.

«**إنه مستوجب الموت**»:

حكم صدر بالإجماع، إذن، فهو مجلس رسمي للسنهدريم مؤهل للنطق بالحكم، ولكن المعروف جيداً أنه لم يكن له الحق بالتنفيذ، لأن القضايا الكبرى التي تختص بالقتل انتقلت إلى صلاحية المحكمة الرومانية وحدها. فكل ما سيجيء بعد ذلك هو محاولة غاشة ومستميتة لإلصاق تهم كثيرة وثقيلة

بالمدان لتدخل في اختصاص المحكمة الرومانية.

ولكن في النطق بالحكم من قبل السنهدريم المنعقد ليلاً مخالفة صريحة لقانون السنهدريم نفسه، إذ لا يجوز النطق بالحكم ـ حكم الموت ـ إلاَّ بالنهار، لذلك عدَّلها تقليد ق. لوقا وجعلها تصدر بالنهار: «ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم» (لو 22:66). وعدَّلوا موضوع تمزيق ملابس قيافا وإصدار الحكم وإثباته: «فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون إني أنا هو. فقالوا ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه» (لو 22: 70و71). وواضح أن هذا تعديل لصيغة وإجراء الحكم الذي تمَّ في تقليد ق. مرقس الذي يُعتقد أنه هو الأصل. وذلك لكي يأخذ الحكم صلاحيته الرسمية ووضعه السليم القانوني.

65:14 «فَابْتَدَأَ قَوْمٌ يَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، وَيُغَطُّونَ وَجْهَهُ وَيَلْكُمُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ: تَنَبَّأْ. وَكَانَ الْخُدَّامُ يَلْطِمُونَهُ».

ينسب القديس لوقا في إنجيله أعمال الإهانة للذين قاموا بالقبض عليه (لو 22: 63ـ65)، والقديس متى ينسبها إلى جماعة السنهدريم (مت 26:67). وكلها أعمال مهانة سبق وذكرها الأنبياء بدقة ويصعب على القلم أن يخوض في هذه الإهانات، ولكنها على أي حال وعلى كل الأحوال لا تزيد كثيراً عمَّا قاله بطرس، الأول بين التلاميذ.

92 إنكار بطرس

[72-66:14]

(مت 69:26-75)

(لو 54:22-61)

(يـو 18:15-18و25-27)

14: 66-68 «**وَبَيْنَمَا كَانَ بُطْرُسُ فِي الدَّارِ أَسْفَلَ جَاءَتْ إِحْدَى جَوَارِي رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. فَلَمَّا رَأَتْ بُطْرُسَ يَسْتَدْفِىءُ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ: وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ! فَأَنْكَرَ قَائِلاً: لَسْتُ أَدْرِي وَلاَ أَفْهَمُ مَا تَقُولِينَ! وَخَرَجَ خَارِجاً إِلَى الدِّهْلِيزِ، فَصَاحَ الدِّيكُ**».

ابتدأ ق. مرقس في الآية (54) يقول إن بطرس تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة، ويكمِّل ق. يوحنا أنه (ق. يوحنا) إذ كان معروفاً لدى رئيس الكهنة كلَّم البوابة فأدخلته، وهنا يكمِّل ق. مرقس في آية (54) أنه كان جالساً بين الخدَّام يستدفئ عند النار. أمَّا في هذه الآية (66) فابتدأ الحوار الخياني الأول مع إحدى جواري رئيس الكهنة.

«**نظرت إليه**»: mblšyasa™

والكلمة اليونانية تعني: ‘‘تأمَّلت فيه’’ أو ‘‘نظرت ملياً إليه فعرفته’’، وقالت: أنت كنت مع يسوع الناصري! ولينتبه القارئ فهنا قطعة روائية واقعية بديعة ذات حيوية وحركة. اسمع قولها: «وأنت أيضاً» اتهام بتحفز وإشارة يد وتحدٍّ ولهجة احتقار ‘‘مع الناصري يسوع’’ هكذا جاءت باليونانية وعدَّلها المترجم إلى العربية خطأً منه.

كل هذه الحيوية الناطقة في الكلام ضاعت عند ق. متى وكذلك عند ق. لوقا: «أمَّا بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار، فجاءت إليه جارية قائلة: وأنت كنت مع يسوع الجليلي» (مت 69:26). أمَّا ق. لوقا فيقول: «ولما أضرموا ناراً في وسط الدار وجلسوا معاً، جلس بطرس بينهم. فرأته جارية جالساً عند النار فتفرَّست فيه وقالت: وهذا كان معه.» (لو 22: 55و56)

فلمَّا واجهته الجارية أجاب بطرس بالنفي، ولكن خانته شجاعته وارتبك لأنه أُخذ على حين غرَّة

وأُسقط في يدي نفسه: «أنا لا أعرفه ولا أفهم ما تقولين!!» وترجمها أحد علماء العبرية توري(31) هكذا: [لا أنا رفيقه ولا أنا أعرفه أبداً هذا الذي تتكلَّمين عنه]. وهذا غريب في الحقيقة أن يصدر من بطرس مثل هذا النفي القاطع المغلّظ. والمعتقد أن بطرس فقد السيطرة على نفسه واهتز نفسياً.

وهكذا جاء الإنكار شديد الوطأة على السامع، وقد أبدع ق. مرقس في وصف الحالة فهو كان شاهد عيان وسمع بالضرورة. أمَّا ق. متى فاختصرها: «فأنكر قدَّام الجميع قائلاً: لست أدري ما تقولين» (مت 70:26)، أمَّا ق. لوقا فقال: «فأنكره قائلاً: لست أعرفه يا امرأة.» (لو 57:22).

«وخرج خارجاً إلى الدهليز، فصاح الديك»:

التصرف الوحيد الذي أنقذه من حالة الارتباك أنه خرج من وسطهم يطلب مكان أمان لنفسه، لأنه لا يستطيع أن يترك الموقع وإلاَّ يزيد الشكوك حوله. ويلاحظ أن ق. مرقس هو الوحيد الذي سجَّل صياح الديك مرتين، لأنه قد سبق وسجَّل من كلام المسيح في نفس هذا الأصحاح أنه: «قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرَّات» (مر 30:14). أمَّا ق. متى وق. لوقا فقد ذكرا صياح الديك مرَّة واحدة.

14: 69و70 **«فَرَأَتْهُ الْجَارِيَةُ أَيْضاً وَابْتَدَأَتْ تَقُولُ لِلْحَاضِرِينَ: إِنَّ هذَا مِنْهُمْ! فَأَنْكَرَ أَيْضاً. وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضاً قَالَ الْحَاضِرُونَ لِبُطْرُسَ: حَقًّا أَنْتَ مِنْهُمْ، لأَنَّكَ جَلِيلِيٌّ أَيْضاً وَلُغَتُكَ تُشْبِهُ لُغَتَهُمْ»**.

يبدو أنها هي الجارية الأُولى رأته وهو في الدهليز مما يوحي بأنها البوابة (عند ق. يوحنا) فلمَّا رأته بدأت تقول للحاضرين في الدهليز (بعيداً عن النار التي في وسط الدار)، وهذه المرَّة كان اتهامها بنوع من التأكيد مع إشارة بكلمة «هذا منهم» في إنجيل ق. متى يقول إنها جارية أخرى: «فأنكر أيضاً بقسم» (مت 72:26)، أمَّا في إنجيل ق. لوقا: «وبعد قليلٍ رآهُ آخرُ وقالَ: وأَنت منهم! فقالَ بُطرس: يا إنسان، لستُ أنا! ولما مضى نحو ساعةٍ أكَّد آخر (رجل) قائلاً: بالحقِّ إن هذا أيضاً كان معه لأنه جليليٌّ أيضاً، فقال بطرس: يا إنسان، لستُ أعرف ما تقول. وفي الحالِ بينما هو يتكلَّم صاح الديك» (لو 22: 58-60). وهكذا عند ق. لوقا كان المتَّهمون جارية ورجلين.

وفي إنجيل ق. يوحنا أتت هكذا: «قال واحد من عبيد رئيس الكهنة **وهو نسيب الذي قطع بطرس أُذنه**، أما رأيتك أنا معه في البستان؟ فأنكر بطرس أيضاً وللوقت صاح الديك.» (يو 18: 26و27)

---

(31) **C. C. Torrey, *The Four Gospels: A New Translation*, p. 303.**

والآن لو رجعنا إلى رواية ق. مرقس نجدها مسربلة بالبساطة المتناهية وقد زكَّاها العلماء أكثر من الآخرين.

ويُلاحِظ القارئ في الآية (70) أن ق. مرقس يقول: «فأنكر أيضاً» أي هذا هو الإنكار الثاني، وهكذا جعل «أيضاً » p£lin تحل محل إعادة كلام بلا ضرورة. ثم يشير إلى الإنكار الثالث بقوله: «وبعد قليل أيضاً » ka... ... p£lin

71:14 «**فَابْتَدَأَ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: إِنِّي لاَ أَعْرِفُ هذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ!**».

تركته الجواري قليلاً، ثم عادوا ينكشون فيه كطائر غريب سقط في وسط قطيع طيور من أهل البيت. والآن وهو في الدهليز وأمام البوابة الذكية العنيدة، التي تذكَّرت حادثة ق. يوحنا أنه ترجَّاها لتُدخل بطرس، فنظرت إليه واستغربته من أول لحظة من جهة ملبسه وكلامه. وفي هذه المرَّة الأخيرة ركَّز الحاضرون الاتهام: «حقًّا أنت منهم» لقد استوثق الحاضرون من تهمة البوابة فقد استطاعت هذه المرأة العنيدة أن تلفت أنظار الجميع نحوه أنه من جماعة الناصري. وقد أعطى الحاضرون إثباتاً لاتهامهم أنه جليليٌّ ولغته تكشفه، فهو واحد من هؤلاء الجليليين الذين دخلوا الدار للمحاكمة.

وأخذ يلعن ¢naqemat...zein **ويحلف** ÑmnÚnai. هنا **ق. بطرس ابتدأ يستدعي اللعنة والغضب** من الله على نفسه. وهكذا كلما بدأ الاتهام يزيد كان الإنكار يتزايد حتى بلغ أقصى ما يمكن الجحود. لعن وحلفان وعدم معرفة لهذا الرجل!

72:14 «**وَصَاحَ الدِّيكُ ثَانِيَةً، فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ لَهُ يَسُوعُ: إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ، تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا تَفَكَّرَ بِهِ بَكَى**».

يقولها ق. متى: «فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مرًّا.» (مت 75:26)، ويقولها ق. لوقا: «فالتفت الرب ونظر إلى بطرس ... فخرج بطرس إلى خارج وبكى بكاءً مرًّا.» (لو 22: 61و62)

نخرج من هذه القصة الحزينة بتعليم يضعه ق. مرقس أمام أعيننا: أنه مهما طغى الشيطان على فكر الإنسان وقلبه وضيَّق عليه الخناق حتى ينكر ويحلف إني لست أعرف يسوع المسيح، فلا يزال أمامه البكاء والتوبة بل و «متى رجعت ثبِّت إخوتك.» (لو 32:22)

الأصحاح الخامس عشر

93 المحاكمة أمام بيلاطس (15:1–15)

94 استهزاء العسكر (15:16–20)

95 الطريق إلى الصليب (15:21و22)

96 الصلب (15:23–32)

97 الثلاث ساعات الأخيرة والظلمة تغطِّي الأرض (15:33–41)

98 الدفن (15:42–47)

93 المحاكمة أمام بيلاطس

[15-1:15]

(مت 1:27-26)

(لو 1:23-25)

(يو 28:18-16:19)

رواية ق. مرقس عن محاكمة المسيح أمام بيلاطس عبارة عن مجموعة فقرات من التقليد جمعها ق. مرقس بحسب أصولها الأُولى. وهو يبدأ بعرض أول فقرة وهي اجتماعٌ ثانٍ للسنهدريم عُقد صباحاً (1:15)، حيث الاجتماع الأول كان في (55:14-64). وهذه الفقرة تقف مستقلة ولكنها كانت خاصة وهامة لإمكانية عرض القضية على بيلاطس، وذلك بحسب تسلسل تاريخ الحوادث.

والملاحَظ أن ق. مرقس يقدِّم عرضاً محدَّداً مختصراً، ولكن عند ق. متى ابتدأ التقليد يتسع مع بعض الإضافات الجديدة التي جُمعت بعد ذلك، مثل موضوع حلم زوجة بيلاطس (مت 19:27)، وغسل أيدي بيلاطس (مت 24:27 إلخ). أمَّا ق. لوقا فيضيف المحاكمة أولاً أمام هيرودس أنتيباس (لو 23: 6-12) كعمل مصالحة بين بيلاطس وهيرودس لأنهما كانا في عداوة.

أمَّا ق. يوحنا فيعطي للقصة شكلاً درامياً مؤثراً، ويصوِّر بيلاطس يخرج من دار الولاية ليكلِّم الكهنة الممتنعين عن دخول دار الولاية (الأُممية) لئلاَّ يتنجَّسوا، وهم يريدون أن يأكلوا الفصح في هذه الليلة. ثم يعود إلى دار الولاية يتناقش مع المسيح في موضوع أن ‘‘المسيح ملك’’. ثم يُخرج المسيح لابساً تاجاً من شوك وثوباً قرمزياً وبيلاطس هاتفاً بالجمع الحاشد «هوذا الرجل» وأخيراً يخضع للتهديد التهكمي: «إن أطلقتَ هذا فلستَ محباً لقيصر.» (يو 12:19)

كل هذه والتطورات في القضية جعلت المحاكمة تحتل مكانة هامة جداً في التقليد، وهي تحمل في مجملها تأكيداً شديداً على براءة المسيح واتهام اليهود أمام الله والتاريخ.

ولكن بالمقارنة نجد تسجيل ق. مرقس يمتاز بالبساطة المتناهية والواقعية، فإن لم يكن هذا عن شاهد عيان مباشرة، وهو الأرجح، فهو حتماً عن شاهد لشاهد عيان.

1:15

«**وَلِلْوَقْتِ فِي الصَّبَاحِ تَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْكَتَبَةُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ، فَأَوْثَقُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ**».

هذه هي الحصيلة النهائية من تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة، الذي بدأ أولاً بانعقاد السنهدريم ليلاً، ووصفه ق. مرقس في (14:55-65). لذلك حُسبت هذه محاكمة ثانية.

«**فأوثقوا يسوع**»: d»santej

لأول مرَّة في إنجيل ق. مرقس ترد هذه الكلمة في رواية الآلام، وهذه هي بدايات آلام وعذابات ابن الإنسان، "**القيود**" في يديْ رب الحرية الحقيقية للإنسان: «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً.»(يو 8:26)

نعم هذه أول غرامة يتحمَّلها المسيح من عالم الخطية، فالخطية بحسب المسيح أقصى قيد تَقيَّد به الإنسان:

+ «الحق الحق أقول لكم: **إنَّ كُلَّ مَنْ يعمل الخطيةَ هو عبدٌ للخطيةِ** ... أنا أعلم أنكم ذُرِّية إبراهيم. لكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم ... ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم. أنتم تعملون أعمال أبيكم ... أنتم من أبٍ هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتَّالاً للناس من البدء.» (يو 8: 34-44)

لقد قبل المسيح القيود في يديه ليستطيع بالنهاية أن يفك قيودهم الأبدية من الخطية والشيطان والعالم. فالقيود كانت الخطوة الأُولى على طريق الصليب.

«**بيلاطس**»:

وهو بنتيوس بيلاطس ووظيفته والي اليهودية من قِبَل الإمبراطورية الرومانية، وبالرغم من سمعته السياسية السيئة جداً، لكن تحتفظ الأناجيل بذكرى حسنة لشخصيته وتصرفاته إلاَّ ضعفه أمام اليهود.

لثلاث مرَّات يعلن بيلاطس في كل من تقليد ق. لوقا وق. يوحنا أنه أراد ملحاً أن يطلق المسيح. ففي هذه القضية واضح أقصى الوضوح أنه يلقي على الأُمة اليهودية ورؤسائها وشيوخها مسئولية موت المسيح.

والقديس مرقس يخص بيلاطس - بالرغم من كشفه لضعفه - أنه لم يقبل أبداً ادعاءات اليهود واتهاماتهم، وق. مرقس إذ يعلم أنه يكتب لتقليد الكنيسة الداخل ليس في التاريخ بقدر ما هو داخل

في العبادات والإيمان بالمسيح، لذلك لم يسترسل في وصف المكان ولا الظروف ولا الحاكم. أمَّا القارئ المسيحي فهو حتماً عارف بكل هذه الأوصاف. فالقديس مرقس يكتب للكنيسة في عَقْدها الثاني من بعد قيامة الرب من الأموات، والأماكن على طبيعتها والأسماء أصحابها أحياءٌ يُرْزَقون.

ويحكي يوسيفوس المؤرِّخ اليهودي أن محل إقامة بيلاطس كان أحد قصور هيرودس الكبير حينما انتقل من قيصرية إلى اليهودية في وقت العيد! ولكن كثير من العلماء يعتقدون أن إقامته كانت في قلعة أنطونيا الموجودة في شمال الهيكل والمطِلَّة عليه.

15: 2-5 «**فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ: أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ تَقُولُ. وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ كَثِيراً. فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ أَيْضاً قَائِلاً: أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ أُنْظُرْ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ! فَلَمْ يُجِبْ يَسُوعُ أَيْضاً بِشَيْءٍ حَتَّى تَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ**».

بلا أي مقدِّمات أو توضيحات للظروف، يسجِّل ق. مرقس مباشرة أول سؤال في تحقيق طلب صلب المسيح: هل أنت ملك؟ وهنا واضح أن الذي وضع في فم بيلاطس هذا السؤال هو اتهام اليهود بأن المسيح يدَّعي أنه «ملك» والمقصود طبعاً أنه ملك على اليهودية. وهذا أول عود ثقاب لإشعال قضية سياسية مؤدَّاها أن المسيح يطالب بمملكة اليهود، وبالتالي يصير عدواً لقيصر ومزاحماً لبيلاطس. واليهود عرضوا الوجه الآخر لاتهامهم هم بأنه هو المسيَّا، فمسيَّا اليهود يكون بالتالي ملكاً ضد قيصر في المستوى السياسي الكَيدي.

ويُلاحِظ القارئ لغة التهكم أو الاستصغار التي طرحها بيلاطس: «أأنت ملك اليهود؟» وأنت هنا مركز التهكم، وذلك طبعاً وبالضرورة راجع لشكل المسيح وهو مقبوض عليه ولبسه وتواضع منظره!! «لا صورة له ولا جمال (ملوكية) فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه (مع أنه كل المشتهى)، محتقر ومخذول من الناس (اليهود)، رجل أوجاع (سبق ضربه في بيت رئيس الكهنة) ومختبر الحزن (على حالي وحالك)، وكمستَّرٍ عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به» (إش 53: 2و3). أأنت ملك اليهود؟؟

وكانت إجابة المسيح: «أنت تقول» لا توحي شكلاً بنعم أو لا، ولكن فيها وفي أعماقها كل الرد. بمعنى ها أنت تقول! لأن المسيح اعتاد أن لا يرد على السؤال إلاَّ بسؤال، أو بقول يُحْرِج السائل. وهنا وَضَعَ بيلاطس في هذا الحرج لأنه ينقل عن آخرين ما لا يؤمن به. وقد أوضح القديس يوحنا هذا الرد هكذا:

+ «أجابه يسوع: أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس: (في الحال لينفي عن نفسه أنه يؤمن بذلك) ألعلي أنا يهودي؟ أُمَّتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليَّ.» (يو 18: 34و35)

«يشتكون عليه كثيراً»:

بمعنى وضعوا اتهامات كثيرة لم يَخُضْ فيها ق. مرقس. ولكن من مُجْرَيات الحديث لم يتحرَّك المسيح أو يرد بأي شيء في مقابل هذه الاتهامات، لأنه كما سبق وقلنا إن المسيح قادم على الصليب ليحمل كل أخطاء وخطايا البشرية، فمهما قدَّموا من اتهامات تُفيد أنه صانع شر: «لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلَّمناه إليك» (يو 30:18)، فهذا يدخل سهلاً مهلاً في مجموع حمل الخطايا الكثيرة جداً: «وضع عليه إثم جميعنا» (إش 6:53)، «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة» (1بط 24:2)

ولكن صمت المسيح لم يستطع أن يجد بيلاطس له حلاًّ!! لذلك تعجَّب، وله أن يتعجَّب جداً، لأن بهذا الصمت سيفقد المتهم حقَّه في أي تبسيط للعقوبة، وسيفقد القضية برمتها، وتُعتبر هذه الاتهامات كلها صحيحة لأن المتهم لم يستطع أن يرد عليها. ولكن ليست الأمور هكذا في مواجهة هذا البريء العظيم في مظهره، الذي كل شيء فيه ينطق لا بالبراءة بل بالبرارة. لذلك في إنجيل ق. يوحنا نسمع أن بيلاطس بدأ أن يخاف منه (يو 8:19).

لقد تحيَّر بيلاطس للغاية: «فدخل أيضاً إلى دار الولاية وقال ليسوع: من أين أنت؟ وأمَّا يسوع فلم يُعطه جواباً. فقال له بيلاطس: أما تكلمني؟ ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصْلِبَك وسلطاناً أن أُطلقك؟ فأجاب يسوع: لم يكن لك عليَّ سلطان البتَّة، لو لم تكن قد أُعطيت من فوق.» (يو 19: 9-11)

ولعل أقوى اتهام ركَّز عليه رؤساء الكهنة هو ما سجَّله ق. لوقا في إنجيله:

+ «وابتدأوا يشتكون عليه قائلين: إننا وجدنا هذا يُفسد الأُمة، ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر، قائلاً: إنه هو مسيحٌ ملكٌ.» (لو 2:23)

ولكن هذا الاتهام عينه ذكره ق. مرقس مبسَّطاً للغاية مما جعل بيلاطس يسأله: «أأنت ملك؟» والجواب على ذلك جاء في إنجيل ق. يوحنا:

+ «مملكتي ليست من هذا العالم.» (يو 36:18)

وأخيراً قال بيلاطس كلمته مؤكِّداً:

+ «وخرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم: **أنا لست أجد فيه علة واحدة.**» (يو 38:18)

وعاد بعد الحوار الثاني يقول:

+ «ها أنا أخرجه إليكم لتعلموا **أني لست أجد فيه علة واحدة.**» (يو 4:19)

وبعدها أيضاً حينما علم أنه ابن الله:

+ «ومن هذا الوقت **كان بيلاطس يطلب أن يطلقه.**» (يو 12:19)

6:15-10 «وَكَانَ يُطْلِقُ لَهُمْ فِي كُلِّ عِيدٍ أَسِيراً وَاحِداً، مَنْ طَلَبُوهُ. وَكَانَ الْمُسَمَّى بَارَابَاسَ مُوثَقاً مَعَ رُفَقَائِهِ فِي الْفِتْنَةِ، الَّذِينَ فِي الْفِتْنَةِ فَعَلُوا قَتْلاً. فَصَرَخَ الْجَمْعُ وَابْتَدَأُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَفْعَلَ كَمَا كَانَ دَائِماً يَفْعَلُ لَهُمْ. فَأَجَابَهُمْ بِيلاطُسُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ؟ لأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوهُ حَسَداً».

يذكر إنجيل ق. يوحنا قصة باراباس، ولكن إنجيل ق. لوقا لم يأت على ذكرها. وقد انتهز بيلاطس فرصة عادة أن يطلق لهم أسيراً يعيِّنونه هم فطلب هو أن يُطلق لهم يسوع. والسبب عجب حقًّا! وهو أنه علم أن رؤساء الكهنة أسلموه حسداً!! إذن، فأساس القضية منهار عند بيلاطس ومزعزع، وأركان القضية قائمة على ضغائن وأحقاد وحسد، وبذلك تكون قد سقطت قانونياً، وهذا ما جعل بيلاطس يحاول أن يتخلَّص من هذه القضية بأي ثمن، فطلب هو أن يطلق لهم يسوع! ليريح ضميره كقاضٍ. وكان قد سبق ـ كما جاء في إنجيل ق. يوحنا ـ أن حاول أن يتخلَّص من هذه القضية أصلاً:

+ «خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم.» (يو 31:18)

وهكذا أراد مرَّتين أن يتخلَّص من القضية بجملتها، وثلاثَ مرَّاتٍ يعلن براءة المتهم!!

كان بيلاطس في قضية المسيح قاضياً نزيهاً للغاية، ويمثِّل القضاء الروماني أصدق تمثيل! ولكن تحت مراوغة اليهود وتهديدهم بقيصر تصرَّف كحاكم ولم يتصرَّف كقاضٍ!!

11:15و12 «فَهَيَّجَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْجَمْعَ لِكَيْ يُطْلِقَ لَهُمْ بِالْحَرِيِّ بَارَابَاسَ. فَأَجَابَ بِيلاَطُسُ أَيْضاً وَقَالَ لَهُمْ: فَمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ أَفْعَلَ بِالَّذِي تَدْعُونَهُ مَلِكَ الْيَهُودِ؟».

لقَّنَ رؤساء الكهنة الشعب المحيط بهم، وهم من أتباعهم وخدَّامهم، لكي ينادوا ويصرخوا أن يطلق لهم باراباس، ولكن ليس بنوع الطلب المهذَّب، بل بالإثارة والهياج كنوع من إظهار القوة

والغضب للتخويف. والناظر من بعيد يتهيأ له أن هذا معقول، فاللص بحسب مهنته وانحطاطه أقرب إلى رؤساء الكهنة والشعب المأجور، أمَّا المسيح فمطلوب التخلُّص منه، ولكن هل إلى هذا الحد؟ أن يُقارَن المسيح بلص فيربح اللص الرهان؟

+ «ظُلم أمَّا هو فتذلَّل ولم يفتح فاه.» (إش 53:7)

لقد قاسى المسيح مشقَّة الفداء ليس على الصليب فحسب، بل في قلوب الرؤساء والخدَّام، وأن يُحسب كلص: «كأنه على لصٍّ خرجتم» (مر 14:48)، ولكن كان اللص أفضل منه! **أطلق لنا باراباس** والمسيح اصلبه! مَنْ يصدِّق؟ ولكن المسيح وافق والسكوت علامة الرضى!! ألم يأتِ ليحمل عن الناس عيوبهم الأخلاقية والنفسية وخطاياهم جملة وتفصيلاً؟ ألم يأتِ لينادي للمأسورين بالإطلاق؟ (لو 4:18)، فلماذا لا يُطلق باراباس؟ فطالما إطلاق باراباس لا يُعطِّل الصليب فليُطلق باراباس. مَنْ يقيس لنا هنا أعماق نفس المسيح؟ مَنْ يكشف لنا أغوار هذا العمق الفدائي الذي صنعه المسيح في نفسه قبل أن يصنعه على الصليب؟ مَنْ يصدِّق؟ مَنْ يحتمل؟ مَنْ يرضى؟ ولكن المسيح صدَّق واحتمل ورضِيَ!! أمَّا أن نَرْضَى نحن فشاق على النفس جداً أن تقبل هذا العرض إلاَّ إذا كانت على مستوى استعداد المسيح، أن تتساوى بلص ويُحسب اللص أفضل منها!!

15: 13و14 «**فَصَرَخُوا أَيْضاً: اصْلِبْهُ! فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: وَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ؟ فَازْدَادُوا جِدًّا صُرَاخاً: اصْلِبْهُ!**».

الصراخ هنا لا محل له على الإطلاق، فالصوت المنادي بإطلاق باراباس كان على مستوى الطلب والرجاء، وهنا صراخ على مستوى الأمر بالصلب. هذا الأمر أخرج بيلاطس عن عقله: «وأي شرٍّ عَمل؟» صراخ بالمزيد!! أصلبه لثلاث مرَّات: «اصلبه! اصلبه! فقال لهم **ثالثة**: فأي شرٍّ عمل هذا؟ **إني لا أجد فيه علة للموت**» (لو 23: 21و22)، «**أنا لست أجد فيه علة واحدة**» (يو 18:38)، «أنا أخرجه إليكم لتعلموا **إني لست أجد فيه علة واحدة**.» (يو 19:4)

وفي إنجيل ق. متى هنا بالذات لم يجد بيلاطس وسيلة لإسكاتهم، ولكن أعلن براءة ضميره:

+ «فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحري يحدث شغبٌ، **أخذ ماءً وغسل يديه قدَّام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار**. أبصروا أنتم. فأجاب جميع الشعب وقالوا: دَمُهُ علينا وعلى أولادنا.» (مت 27: 24و25)

15:15

«فَبِيلاَطُسُ إِذْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ لِلْجَمْعِ مَا يُرْضِيهِمْ، أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ، بَعْدَمَا جَلَدَهُ، لِيُصْلَبَ».

يُلاحِظ القارئ أن بيلاطس قاضٍ غريب عن الأُمة وهو حاكم بآن واحد، وأهم ما يسعى إليه في حكمه على هذا الشعب العنيد أن يفعل ما يرضيه ليكْفِيَ نفسه شر هذه الأُمة التي أتعبت الله إن جاز هذا التعبير. اسمع تقرير موسى اليهودي وهو قاضي، وحاكم، ونبي هذا الشعب، ماذا قال في آخر أيامه:

+ «**إنهم أُمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ... صخرهم باعهم والرب سلَّمهم ... عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة. خمرهم حُمَةُ الثعابين وسُمُّ الأصلالِ القاتل.**» (تث 32: 28و29و32و33)

وأمَّا الجلد فهو قانون عقوبة الذي يُقدَّم للموت. والجلد يتم بسوط من الجلد فيه قطع رصاص. والمحكوم عليه يوثق في عامود ويُضرب على الظهر عارياً. لقد قاسى هذه أيضاً المسيح في مشوار الفداء ووافق مقدَّماً ليكون هو لكل إنسان ظهراً مضروباً لينال بواسطته البراءة. لم يئن، لم يستعفِ أو يطلب الإعفاء لكي لا تقع على مَنْ يؤمن به ضربة واحدة! لقد وفَّى العقوبة بالكامل حتى يتقدَّم ـ باسم المسيح ـ كل خاطئ لينال عن حق وجدارة غفراناً كاملاً:

+ «وبجلدته شفينا.» (إش 53:5، 1بط 2:24)

94 استهزاء العسكر

[15:16ـ20]

(مـــت 27:27ـ31)

(يو 19:2و3)

تبدأ الرواية هنا بعد أن تمَّ الجلد عندما سلَّمه بيلاطس ليُصلب، وتُعتبر الأعداد من (16ـ20) رواية عينية خاصة بذاتها، ويعطي ق. يوحنا مثيلتها في (19: 2و3). غير أن الاستهزاء في إنجيل ق. يوحنا يأتي قبل النطق بالحكم، وهذا بعيد عن الواقع ويُعتبر بالنسبة لتقليد القديس مرقس في الدرجة الثانية. وأمَّا ق. لوقا فيغيب عنده هذا الفصل، وإنما يحل محلَّه عرض المسيح للمحاكمة الجانبية أمام هيرودس (لو 23:11): «فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً وردَّه إلى بيلاطس»

ولكن في رواية ق. مرقس تقع إساءة معاملته مرَّة أُولى قبل هذه بيد رؤساء الكهنة والخدم، وخاصة تسجيل عملية البصق والضرب على الرأس، وذلك قبل تقديمه لبيلاطس (مر 14:65). وهي توضِّح شماتة رؤساء الكهنة ورعاعهم بلا حق، وسواء كان في الموقف الأول أو الثاني نجد رواية ق. مرقس ـ بما فيها من حيوية ويقظة ودقائق التفاصيل ـ أكثر واقعية، وأكثر أصالة، ومسجَّلة تاريخياً بشهادة شهود أوائل. والحقيقة أن أوقع ما فيها من حيوية غير مفتعلة هي إساءة العسكر، إذ تتناسب أعمالهم مع ما يُوصفون به من موت المشاعر. لذلك فقد حسب العلماء بعد أبحاث كثيرة أن تقليد ق. مرقس في وصف الاستهزاء بالرب قطعة واقعية تاريخية تزيد الآلام أصالة.

15:16ـ18 «**فَمَضَى بِهِ الْعَسْكَرُ إِلَى دَاخِلِ الدَّارِ، الَّتِي هِيَ دَارُ الْوِلاَيَةِ، وَجَمَعُوا كُلَّ الْكَتِيبَةِ. وَأَلْبَسُوهُ أُرْجُواناً، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَيْهِ، وَابْتَدَأُوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!**».

«**دار الولاية**»: praitèrion وباللاتينية: praetorium

وهو دار الحكومة حيث يتواجد فيه الحاكم، وهو بحسب الأبحاث إمَّا قصر هيرودس الكبير الفخم أو قلعة أنطونيا. أمَّا اجتماع العسكر كُلِّهم عليه فكانت مأساة أليمة قبلها المسيح وحيداً وسط ذئاب ضارية لا تعرف الرحمة. يا لحزن قلبه الوديع البريء المحب عن مجازاة البشرية التي جازوه بها على يدي هذه الأُمة التي شيمتها الحماقة، هكذا جازوه عوض الحب والبذل الذي أحدره من حضن الآب ليصنع فداءً لبني الإنسان. كان منظره كإنسان سقط في وسط جب أسود جائعة ليتسلُّوا به قبل أن يأكلوه. وقد حرص في نفسه جداً أن لا تقع عينه على أعينهم لئلاَّ يرتاعوا، لئلاَّ يُصعقوا، فكان يتفادى النظر إليهم وكأنما هو غير موجود في تمثيليتهم الوحشية. كان مشغولاً بالتلاميذ وبالأجيال الآتية كيف يُنشيء شعباً جديداً يقدِّم توبة عن هؤلاء وعن ما فعله اليهود الشعب المختار!

وكان إكليل الشوك الذي ضفروه وضغطوه فوق رأسه يُدمي جبهته وأذنيه، فاعتبره الصورة الحتمية على الأرض لإكليل المجد المعد بأيدي الملائكة في السماء. فمجد الله حوَّله الأشرار إلى شوك وخزي وعار بأيديهم. ومجد التجلي والثياب البيضاء كالثلج صارت في أيديهم ثوب هزءٍ لِمَلكٍ مستعار وأعطوه سلام خزيهم. ولكن الذين أسلموه لأيديهم خطيتهم أعظم.

19:15و20 «وَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِقَصَبَةٍ، وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهُ جَاثِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ. وَبَعْدَمَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الأُرْجُوانَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ لِيَصْلِبُوهُ».

والآن بدأوا يمارسون مهنتهم بالضرب والتعذيب، والجسم الغض والرأس الكريمة نالها ما نالها: الجسم ترضضت عظامه والرأس غطَّتها الكدمات. والعجيب أنه بقي رابط الجأش صامتاً بوداعة كالنعجة أمام الذي يجزّها لم يفتح فاه!! لقد سلَّمه لهم اليهود باعتبار أنه مرفوض من الله، فصدقوا الآية وحسبوه مضروباً حقًّا من الله ومذلولاً، فأكملوا كيل اليهود! أمَّا هو فرضي بجروحه إذ حسبها ثمن معاصينا، وقَبِلَ سحق عظامه إذ قيَّمها بآثامنا، وقَبِلَ استهزاء العسكر كتأديب ثمناً لسلامنا!! أما دمه الذي كان يسيل على وجهه ورأسه وظهره فكان لشفائنا. والبصاق ثمن خزينا!

إن كان الخاطئ أو الأثيم إذا وقع بين أيدي العسكر هكذا يصنعون به ولا حرج ولا لوم عليهم ولا تثريب، فما بالك بالذي وُضع عليه إثم جميعنا؟ أليس من حق العسكر أن يضربوا الرأس التي حملت خطية الإنسان وكل فجوره؟ لقد سلَّموه إليهم كصانع شر، فماذا يليق بصانع الشر غير ما صنعوه؟ أمَّا ما هو "**الكأس**" الذي وُضع عليه ليشربه حتى الثمالة فهذا هو كأس تعاذيبه. نعم هذه صورة مصغَّرة من «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟» (يو 12:18). شربها المسيح وهو هادئ النفس والأعصاب لأنه استلمها من يد الآب قبل أن تصل إليه بأيدي الوحوش!!

فالذي سكب للموت نفسه كيف لا يُحصَى مع أثمة؟ والذي جعل نفسه ذبيحة إثم كيف لا ينتثر لحمها بتسع وثلاثين جلدة؟

+ «يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك.» (لو 42:22)

وبعد أن شرب هذه الكأس حَقَّ له أن يستعيد ملابسه ليحمل الخشبة وجروحه مستورة.

95 الطريق إلى الصليب

[21:15و22] (مت 32:27و33)

(لو 26:23ـ32)

(يو 16:19و17)

في الحال يتغير المنظر، فبعد فرقة التعذيب تأتي عساكر بيلاطس الخاصة تسلِّم الحمل لقائد المائة ومساعديه، وفي الحال تتوقَّف أعمال الإهانات وبطش الوحوش، فينشغل الجميع بتنفيذ الأوامر الخاصة بكل انضباط. وحسب العادة وضعوا على المسيح الصليب وحمله حسب إنجيل ق. يوحنا (17:19)، ولكنه لم يقوَ إذ بدأت تخور قواه، فانتبه العسكر لثقل الصليب أنه فوق الطاقة. وإذ تلفتوا رأوا شخصاً قادماً فسخَّروه لحمل الصليب. وهذا الشخص يعرفه ق. مرقس، وهو الوحيد الذي يذكره بالتفصيل مع اسم أولاده، ويذكر بالتفصيل هذه الحادثة المختصة به، وهو سمعان القيرواني وهو بلديات ق. مرقس. ويزيد ق. مرقس التعريف به لغرض في نفسه إذ يقول إنه «أبو ألكسندرُس ورُوفُس» (مر 21:15)، وذلك ليعطينا وقفة تأمل لماذا هنا الأسماء؟ فالقديس مرقس يمتنع نهائياً عن ذكر الأسماء حتى وفي أهم المواقف، حتى إنه لم يذكر اسم رئيس الكهنة، وكان قيافا معروفاً لدى الكل. فلماذا هنا يتوقَّف أمام هذه الحادثة الجانبية جداً ليذكر اسم شخص عابر سبيل ويعرِّفنا بأنه هو سمعان الذي من مدينة القيروان، وأنه أبو ألكسندرُس ورُوفُس. والآن ليس من الصعب أن يزول الغموض إذا عرفنا أن ق. مرقس من القيروان ''كيريني'' بشمال إفريقيا، وأنه نزح منها منذ سنوات قليلة. إذن، فسمعان ليس من بلدياته فقط، لأنه يذكر ابنيه بشيء من العاطفة للتعرُّف على أهميتهما بالنسبة له شخصياً، إذن فهما من العائلة وقد نزحا معاً. وربما ـ ويقدِّر معي بعض العلماء هذا ـ أن ثلاثتهم كانوا يقطنون نفس منزل ق. مرقس. وهكذا يأتينا شعاع من نور يلقي على قصة القبض والآلام وضوحاً أن ق. مرقس كان شاهد عيان. وهذا يكشف لنا لماذا وكيف يعطي ق. مرقس بيانات خاصة ودقيقة للغاية في إنجيله عن آلام المسيح بأكثر دقة من كافة الأناجيل. وهذا هو المقطوع به لدى كل العلماء أن إنجيل ق. مرقس يختص بذكر الآلام.

كان القديس مرقس سائراً وراء المسيح ومرافقاً من بعيد ومن قريب على طول الآلام!! منذ لحظة

أن خرج معهم من العلية إلى جثسيماني وإلى الصليب.

15: 21و22 «فَسَخَّرُوا رَجُلاً مُجْتَازاً كَانَ آتِياً مِنَ الْحَقْلِ. وَهُوَ سِمْعَانُ الْقَيْرَوَانِيُّ أَبُو أَلَكْسَنْدَرُسَ وَرُوفُسَ، لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ. وَجَاءُوا بِهِ إِلَى مَوْضِعِ جُلْجُثَةَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ مَوْضِعُ جُمْجُمَةٍ».

يهتم ق. مرقس كما قلنا في المقدِّمة بذكر اسم الرجل حامل صليب ربنا يسوع المسيح ـ وقد أخذت عنه الأناجيل بدون مناقشة. ويؤكِّد ضمناً أنه يعرفه معرفة شخصية وأُسرية قريبة له للغاية. ولأن ق. مرقس كان سائراً وراء الموكب الحزين يذرف الدمع السخين، يؤكِّد عن معرفة خاصة للغاية أن سمعان كان قادماً من الحقل، حيث الحقل هو خارج أُورشليم. وهذا يكشف لنا بأكثر دقة وبيان أن هذا اليوم لم يكن عيداً للفصح، لأن إنساناً يدخل من أُورشليم مسافراً من الخارج يمنع أن يكون يومه هذا يوم الفصح.

ولكن يمدنا العالِم ألفريد بلومر بمعلومة هنا عن كلمة هامة أوردها ق. مرقس في بداية الجملة لأهميتها وهي كلمة «سخَّروه»

«سخَّروه»: ¢ggareÚousin

ويقول هذا العالِم إنها كلمة فارسية أصلاً وكانت تفيد إلزام الناس لخدمة أمور الملك بلا أجر(1) وهي تشبه الكلمة الرومانية cursus publicus لخدمة الامبراطورية، والكلمة الفرنسية تُقرأ **corvée** ولكن أصبحت الكلمة بعد ذلك شائعة لتفيد الخدمة الإجبارية لدى الحكومة والملك، وذلك حسب رأي دايزمان(2)، ويقول العالِم ألفريد بلومر إن سمعان القيرواني هذا كان أحد الجالية القيروانية اليهودية التي اجتمعت يوم الخمسين (أع 2: 1، 6: 9)، ويبدو أن ق. مرقس نفسه كان أحد أعضاء هذه الجالية بل وكان من أثريائها. ويُلاحَظ أن إنجيل ق. مرقس وحده هو الذي يعرِّفنا بأن سمعان أبو ألكسندرُس وروفس! ويقول ق. لوقا إن العسكر وضعوا الصليب على كتف سمعان كنوع من مساعدة المسيح لثقل الصليب.

«جلجثة»:

ويعطيها كل من ق. مرقس وبعده ق. متى وق. يوحنا شرح اسمها وهي «موضع جمجمة» Kran…ou TÒpoj أمَّا ق. لوقا فيكتفي فقط بالاسم اليوناني Kran…on الذي يعني "جمجمة". ويبدو أن أصل اسمها إمَّا تقليد غير معروف أو بسبب شكل هذه الصخرة. ويخبرنا ق. جيروم (وكان من قاطني أُورشليم فترة طويلة من حياته) بتقليد يقول إن هذا المكان دُعي بهذا الاسم نظراً لدفن جمجمة آدم في هذا المكان، وهكذا صار هو نفس المكان الذي صُلب عليه ربنا يسوع المسيح

---

(1) **Herodot, viii. 98, cited by Alf. Plummer, *op. cit.*, p. 350.**

(2) **Deissmann, *Bibl. St.*, pp. 86,87.**

حتى يتقابل مُعطي الحياة مع مُعطي الموت لتنتصر الحياة بالنهاية. ويبدو أن ق. أمبروسيوس اعتقد هذا الاعتقاد، غير أن جيروم يقول إنه مجرَّد اعتقاد شعبي، وكذلك يقول ذهبي الفم إنه مجرَّد اسم. أمَّا الاسم الإنجليزي: Calvary فهو من اللاتينية في الفولجاتا Calvariae وهو ترجمة لكلمة كرانيون، أي جمجمة.

أمَّا طريق الآلام Via Dolorosa فهو اسم دخل في القرون الوسطى ويُظن أنه الطريق الذي سار عليه الرب حاملاً الصليب.

96 الصلب

[32-23:15]

(مت 27: 34-44)

(لو 23: 33-43)

(يو 19: 18-26)

يقدِّم القديس مرقس قصة مختصرة ذات أساس مكين من التقليد الراسخ وذات اتجاهات تاريخية. والكل مرتَّب على أساس مراحل زمنية من ثلاث ساعات. ولكن تتميز الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة بتركيز شديد ملفت للنظر. ومن هذه الثلاث وقفات ذات العنف الزائد تكمُل القصة. ومنظر النسوة الواقفات كأنهن يقدِّمن صورة للقيامة التي سيشاهدنها كما شاهدن الصليب والمصلوب. وهناك لفت النظر إلى صرخة المسيح العالية مرَّتين في الآية (34و37). أمَّا كل الأشخاص والأسماء الماضية على طريق الصليب فأخذت تختفي واحدة وراء الأخرى ليبقى المسيح وحده ملك القصة المأساوية حيث تتركز فيه كل الاهتمامات. وهكذا نجح ق. مرقس في أن يجذب في النهاية جميع الأنظار إلى المصلوب. ولكن ترتيب القصة في منظرها العريض يثير الإعجاب للغاية. وواضح أن قصة الصلبوت تذهب بعيداً جداً إلى لحظات البداية الأُولى لشاهد عيان قادر على

التسجيل الفوري. ولكن يبدو التقليد واضحاً كيف صاغ من هذه الحوادث المتقطعة هذه القصة المنسجمة المنقطعة النظير. وبالنهاية نحن في هذه القصة نواجه أساسها الأول.

23:15 «**وَأَعْطَوْهُ خَمْراً مَمْزُوجَةً بِمُرٍّ لِيَشْرَبَ، فَلَمْ يَقْبَلْ**».

يقول ق. مرقس في الآية (22): «وجاءوا به إلى موضع جُلجُثة الذي تفسيرة موضع جُمجمة» وكان موضع جلجثة خارج أبواب أُورشليم، وهو الموضع الذي تحتله كنيسة القبر المقدَّس الآن، وقد تعيَّن منذ زمن بعيد جداً. ولمعرفة مكان القبر المقدَّس تقليد قديم في الكنيسة له قصة طويلة، إذ يُقال أن اليهود حاولوا أن يطمسوا معالم القبر المقدَّس بأن كانوا يلقون فوقه المخلَّفات حتى صار كومة عالية من الزبالة. ولما جاءت الملكة هيلانة تبحث عن القبر المقدَّس في القرن الرابع، فبعد جهد كثير دلَّها خبير يهودي على هذه الكومة. وبالحفر عثروا على القبر الفارغ وعليه بُنيت أول كنيسة وتسميت بكنيسة القبر المقدَّس أو كنيسة القيامة.

«**خمراً ممزوجة بمرٍّ**» ■:ŋon ™smurnismšnon o

حاولوا أن يعطوه هذا المشروب الذي كان قد تعوَّد اليهود أن يسقوه لكل مَنْ يقدَّم للصلب حتى يخفِّف عنه الإحساس بالألم، لأن من المعروف أن المر مع الخمر يضعف الحساسية كمخدِّر.

ولكن إنجيل ق. متى يعطي مادة المرارة الحيوانية «col= gall بدل المر myrrh وهو خُلاصة نباتية، غير أن مرارة الحيوان ليس لها أي تأثير مخدِّر سوى أنها مرَّة مذاقاً فقط، فقد كتب من أجل طعمها، ولكن ليس من أجل أثرها الطبي. لذلك فتقليد ق. مرقس هو الصحيح طبياً.

وقد سبقت النبوَّة تصف هذا المرّ: «ويجعلون في طعامي علقماً(3) وفي عطشي يسقونني خلاً» (مز 21:69). والمسيح رفض أن يشرب منها ليس لأنها مرَّة، بل لأنه يعلم أنها مخدِّرة وتزيل الإحساس بالآلام، وإذا أُفرغ الصليب من الألم ما عاد صليباً. ويُقال: إن بعض النسوة أخذن على عاتقهن أن يقدِّمن هذا الشراب المخدِّر بنوع من المواساة الإنسانية وذلك بناءً على وصية سفر الأمثال: «أعطوا مسكراً لهالك وخمراً لمرِّي النفس، يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبه بعد.» (أم 6:31)

المسيح رفض المخدِّر لكي يستقبل الصليب صاحي العقل ويقدِّم الوديعة بمنتهى الوعي. كان الألم بالنسبة للمسيح رفيق رحلة العمر من شتاء بيت لحم القاسي، لتعاذيب الخيانة في بيت قيافا رئيس

---

(3) في هامش الكتاب المقدَّس يصف العلقم بأنه خشخاش أي ‘‘أفيون’’، وهو المادة المخدِّرة جداً، وهي مرَّة أيضاً وهذا ربما يكون أصح تعبير عن إعطاء المتألِّم هذه المادة لكي لا يعود يحس بالألم.

الكهنة، لتمزيق الجسد بجلدات بيلاطس، لمسامير الجند فوق الخشبة. لقد خطَّ الألم في هيكل جسد المسيح خطوطه الأبدية التي لن تُمحى، والتي بها وعلى خلفيتها يقف أمام الآب يشفع في المذنبين. فلو قُدِّر لنا أن نصف المسيح من واقع حياته فيمكن أن ندعوه "مسيح الآلام"! كأعظم صفة تربطنا به، وتعزِّي قلوبنا في رحلة العمر في هذا الدهر وعلى أرض الشقاء هذه. بل إن شركتنا في آلام المسيح تُحسب لاهوتياً أنها مدخلنا الوحيد إلى شركة المجد معه:

+ «إن كنَّا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه.» (رو 17:8)

وأنت لو قُدِّر لك أن تسأل المسيح عن أفضل شيء وجده في عالمنا لأجاب في الحال: "الألم"، لأن به وعلى هَدْيِهِ أكمل رحلته إلى الآب وهو حامل البشرية في جسده. بل ولو أُعطي لك أن تسأل أي قديس استوطن السماء عن أعظم عمل قدَّمه على الأرض ليتأهَّل هكذا أن يستوطن السماء العلى لأجاب: "الألم". وعندما تكلَّم ق. بولس وهو «كمختل العقل» عن مستواه بالنسبة لباقي الرسل قال: إني أفضل من جميعهم لأني تألمت أكثر منهم (2كو 23:11).

وهل بعد هذا كان يمكن أن يشرب المسيح مزيج الخمر بالمرِّ؟؟

ويا لخسارتنا أعظم خسارة لو كان المسيح شرب من الشراب المخدِّر، إذاً لكنا قد فقدنا الكلمات على الصليب واختزلت الآلام.

24:15 «وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا: مَاذَا يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ؟»

«ولَمَّا صلبوه»: staurèsantej aÙtÒn

لقد حُرِمْنَا من أي تعليق من الإنجيليين جميعاً على حادثة صلب المسيح ذاتها، فقد مروا عليها مروراً بلا تعليق. هل لأن الحادث أعظم وأخطر من أن يجوس فيه عقل إنسان.

لقد صُلب المعلِّم، أين التلاميذ؟ أين الذين أحبهم حتى الموت!؟

لم يعطنا أي إنجيل من الأربعة ولا كلمة واحدة غير ما نطق به المسيح على الصليب، ولكن مقدار ما أعطته لنا المزامير من أوصاف وتعابير وأحاسيس وتقارير طبية ونفسانية وعصبية وجسدية، شيء يفوق أي واقع يمكن أن يتخيَّله أي إنسان. وقد صدق القول: «أن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.» (1كو 10:2)

+ «نُسيت من القلب مثل الميت. صرت مثل إناء متلف، لأني سمعت مذمَّة من كثيرين، الخوف

مستدير بي بمؤامرتهم معاً عليَّ. تفكَّروا في أخذ نفسي.» (مز 31: 12و13)

وربما يكون مزمور (22) وحده قد أعطى أعظم تقرير عن حالة مصلوب يعاني سكرات الموت حتى التراب:

+ «فغروا عليَّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر. كالماء انسكبتُ. انفصلت كل عظامي، صار قلبي كالشمع قد ذاب في وسط أمعائي. يبست مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحنكي، وإلى تراب الموت تضعني ... ثقبوا يديَّ ورجليَّ. أُحصي كل عظامي وهم ينظرون ويتفرسون فيَّ. يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون.» (مز 22: 13-18)

+ «قد شبعت من المصائب نفسي وحياتي إلى الهاوية دنت، حُسبت مثل المنحدرين إلى الجب، صرت كرجل لا قوة له. بين الأموات فراشي مثل القتلى المضطجعين في القبر الذين لا تذكرهم بعد، وهم من يدك انقطعوا. وضعتني في الجب الأسفل في ظلمات في أعماق. عليَّ استقر غضبك وبكل تياراتك ذللتني!! أبعدت عني معارفي، جعلتني رجساً لهم، أُغلق عليَّ فما أخرج، عيني ذابت من الذل ...» (مز 88: 3-9)

+ «عند كل أعدائي صرت عاراً وعند جيراني بالكلية ورعباً لمعارفي، الذين رأوني خارجاً هربوا مني.» (مز 31:11)

+ «كل مبغضيَّ يتناجون معاً عليَّ، عليَّ تفكَّروا بأذيتي، يقولون أمر رديء قد انسكب عليه، حيث اضطجع لا يعود يقوم!! أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليَّ عقبه.» (مز 41: 7-9)

+ «المياه قد دخلت إلى نفسي غرقت في حمأة عميقة وليس مقرٌّ. دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرني، تعبت من صراخي، يبس حلقي، كلَّت عيناي من انتظار إلهي، أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب. اعتز مستهلكيَّ أعدائي ظلماً. حينئذ رددت الذي لم أخطفه.» (مز 69: 1-4)

+ «من أجلك احتملت العار، غطَّى الخجل وجهي، صرت أجنبياً عند إخوتي وغريباً عند بني أمي، لأن غيرة بيتك أكلتني وتعييرات معيريك وقعت عليَّ.» (مز 69: 7و8)

+ «نجني من مبغضيَّ ومن أعماق المياه. لا يغمرني سيل المياه ولا يبتلعني العمق ولا تُطبق الهاوية عليَّ فاها.» (مز 69: 14و15)

+ «العار كسر قلبي فمرضت، انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد.» (مز 69: 20)

لأن الوحي يعلم أنه حينما يُرفع المسيح ليُصلب لن يكون هناك مَنْ يحكي ولا مَنْ ينعي ولا مَنْ يُدرك طول هذه الأحزان وعرضها، ومدى الأثر الذي خطَّه الصلبوت بسفك الدم في نفسه وفي جسده. فتبارى سفر المزامير بنوع ممتاز ليرسم صورة واقعية لآلام وأحزان المخلِّص وهو معلَّق على الخشبة!!

ولو أوتي القارئ قلباً فهيماً وقرأ وتأمل وأعاد القراءة والتأمل فيما خطَّته النبوات من مشاعر جدّ عميقة، ومن صور الأحزان وأثرها الفتَّاك من نفس المسيح الوديعة، ومن عمق الحيرة وهو يتلفت فلا يجد محبين ولا معزين ولا تلاميذ ولا أهلين، نعم لو قرأ القارئ وتأنَّ فلن تكفيه أيام وشهور ليستجلي هذه الصورة الأليمة ويستنطقها فتنطق عن قيمتها الإلهية وأثرها في قلب الآب!! لأنه لا ينبغي أن ننسى أن المسيح ولو أنه صُلب من أجلنا، ولكنه صُلب بالدرجة الأُولى طاعة لأبيه، وبالتالي فإن كانت الآلام تخصنا حتماً، فهي في جوهرها استجابة لإرادة الآب. فهو لم يحتمل الآلام من أجلنا نحن فقط بل من أجل تكميل طاعة الآب.

كذلك فإن كان المسيح قد جاز آلام الصليب التي لا يفوقها آلام عند البشر حبًّا لنا: «**أحبني** وأسلم نفسه لأجلي» (غل 2:20)، فمحبة الآب هي التي أعطته القوة لاجتيازها، فلولا محبة الآب له ما استطاع المسيح أن يرتفع فوق الصليب راضياً!! ولا احتمل أهوال الموت هذه.

فإن كان سرّ الصليب يدوّي في عالم الإنسان حتى اليوم وإلى الأبد، فهو في السماء ولدى كل السمائيين قد زلزل أعتاب السماء وسماء السموات لما مات الابن على الصليب!! «إني مرَّة أيضاً أزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضاً» (عب 12:26). فإن تمخَّضت آلام الصليب عن خليقة صوِّرت على الأرض فوطنها الأصيل الباقي والدائم هو في السماوات! وإن كنَّا لم نستعلن بعد لاهوت الصلبوت ومداه فلأننا في الجسد نعيش، أمَّا سرُّه وعمقه ومداه فسوف نُعطى هناك ونُوهب أن نراه مرسوماً على قلب الآب.

لذلك فإن تخاذل الإنسان عن تقييم الصليب هنا فسوف يراه يوماً يملأ بنوره السموات ويضيء وجه كل السمائيين والمفديين.

«**ولمَّا صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ماذا يأخذ كل واحد؟**»:

يوضِّحها ق. يوحنا هكذا:

+ «ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسماً، وأخذوا القميص أيضاً وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق. فقال بعضهم لبعض لا نشقُّه بل نقترع عليه لمِنْ يكون؟ ليتم الكتاب القائل: اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة. هذا فعله العسكر.» (يو 19: 23و24)

وهكذا تكاد حوادث الصلب وأدواته وظروفه ومناسباته وأقواله وأعماله تكون رجعاً تصويرياً عملياً كصدى النبوات بإحكام يفوق العقل. ولن تجد في جميع حوادث العهد الجديد مقداراً من النبوات المتزاحمة والإشارات المزدحمة والدقيقة بقدر ما تجدها تدور حول **الصليب** مع كل أحزانه وأوجاعه. فهو في الحقيقة المحور الأساسي الذي تدور حوله كافة الذبائح وكافة الطقوس والمراسيم وكافة النبوات والإشارات. ولا عجب فهو مركز الموت والحياة معاً للإنسان الجديد.

25:15و26 «وَكَانَتِ السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ فَصَلَبُوهُ. وَكَانَ عُنْوَانُ عِلَّتِهِ مَكْتُوباً: مَلِكُ الْيَهُودِ».

الساعة الثالثة هنا هي بالتوقيت اليهودي الذي يساوي الآن الساعة التاسعة صباحاً، ولكن جاء القديس يوحنا بعد ذلك ويبدو أنه تعمَّد فكتب أنها الساعة السادسة. وهنا يظهر أن ق. مرقس يتبع توقيتاً أو تقليداً خاصاً غير إنجيل ق. يوحنا، لأن الفارق بين التقليدين شاسع للغاية، ما يقرب من خمسين سنة!! وق. مرقس يتبع الساعة الكنسية الليتورجية في أيامه وهي التي لا تزال معمولاً بها في الكنيسة القبطية حتى الآن. فالساعة الثالثة من النهار هي التاسعة صباحاً، والسادسة هي الثانية عشرة والتاسعة هي الثالثة بعد الظهر.

«**ملك اليهود**»: O BASILEUS TWN IOUDAIWN

ولكن تقليد القديس يوحنا يضيف قبل ملك اليهود اسمه الرسمي: «يسوع الناصري» (يو 20:19). وهذه هي علة المصلوب، إذ أن هذا كان نظاماً رومانياً للتعريف بالمصلوب، وهو في حقيقته العلَّة الشرعية التي من أجلها صُلب، ولو أنها كانت موضع احتقار بيلاطس لليهود، ولكنها هي التهمة التي تقدَّموا بها رسمياً لصلبه! وقد كُتب العنوان بالثلاث لغات العبرانية واللاتينية واليونانية. وعندما احتج رؤساء الكهنة لأنها فعلاً جاءت للتشهير بالأمة اليهودية كلها، ردَّ عليهم بيلاطس: «ما كتبت قد كتبت» بكبرياء الحاكم (يو 22:19).

ولكن الحقيقة المرَّة ـ في المنظور الإلهي ـ أن رؤساء الكهنة قتلوا فعلاً ملكهم وعلَّقوه على خشبة! وهكذا وعفوياً حمل المسيح عار الأُمة اليهودية!! ولكن بحسب تدبير الله والمسيح كان هذا

أساساً ليحمل عار البشرية ولعنتها التي قبلها آدم وورَّثها لبني جنسنا.

ولكن لم يقبل المسيح عار الصليب كجزء من رواية كما هو مقدَّم الآن في هذا الفصل، بل إن العار الذي حمله المسيح كسر قلبه: «العار قد كسر قلبي» (مز 20:69). فأن يحمل المسيح كرامة أبيه ولقبه «أنا هو» الذي هو لقب يهوه العظيم، ويؤكِّد أنه جاء باسم أبيه ليعمل مشيئته، ويصنع المعجزات التي تكشف عن أي سلطان يحمل، ثم بعد ذلك يتعرَّى ويُصلب على خشبة كمجرم ويشهَّر به بين الناس، هنا يبلغ العار مضادته العظمى: حامل المجد كيف يحمل عاراً. وهي ليست مضادة مجازية أو فكرية، بل مضادة جوهرية يستحيل حدوثها بأي حال من الأحوال. فعار الابن يلحق الآب ولا محالة!! والعار لعنة، واللعنة إن أصابت الابن أصابت الآب حتماً. لذلك لولا أن المسيح كشف لنا سر اللعنة التي حملها لظلَّ الصليب لغزاً لاهوتياً غير مقبول بل عثرة. هنا كشف المسيح الستار عن كيف تحمَّل المسيح العار **وحده**، عندما رفع صوته بصراخ ليسمعه الجميع وتسجِّله الأناجيل والتاريخ وعلماء اللاهوت: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟» (مر 34:15). هذا هو الترك الحتمي الذي أجراه الله على المسيح حتى يمكن أن يجوز اللعنة وحده من أجل البشرية التي يحملها(4). فلولا هذا **الترك الإلهي** لما صحَّ الصليب ولما صارت اللعنة لعنة بل ضحكاً!! هنا صار الصليب صليباً حقًّا وزادت مرارته ألف مرَّة. فَتَرْك الله الآب له هو أشدُّ هَوْلاً من آلام الصليب مراراً، بل هو الموت حقًّا الذي ذاقه المسيح بالترك قبل أن يذوقه بالموت على الصليب. فالمسيح صُلب مرَّتين، صُلب بترك الآب له عمداً وصُلب بيد الأشرار قهراً. أو هو صليب ذو وجهين، وجه سماوي قاتم قتام الظلام الحالك لا نور فيه لاختفاء وجه الآب، ووجه أرضي اظلمَّت له الدنيا كرجع وصدى لظلمة السماء، فاختفى نور الشمس لاختفاء نور وجه الآب عن الابن رب الخليقة ونورها، كرد فعل للجريمة التي اقترفها الإنسان من نحو الابن!!

27:15و28 «وَصَلَبُوا مَعَهُ لِصَّيْنِ، وَاحِداً عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ. فَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ».

يقول أحد العلماء الظرفاء إنهما كانا من ضمن اللصوص الذين وقع في أيديهم اليهودي المتغرِّب من أُورشليم نازلاً إلى أريحا، ولا نستبعد أنهما كانا قاطعَيْ طريق، وكانا على علم بمحاكمة يسوع

---

(4) **توضيح لاهوتي:**

إن ترك الآب للابن لم يتم من جهة الطبيعة، لأننا نؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين، وأن لاهوت الابن ولاهوت الآب واحد لا ينقسم. ولكن الترك تمَّ فعلاً من جهة **التدبير** أي بانحجاب وجه الآب ومعونته زمنياً عن المسيح المتجسِّد حتى يمكن أن يتقبَّل الموت واللعنة زمنياً ويتم الفداء.

الغاشة وأدرك أحدهما أنه سيد عظيم ورب. وقد وضع تقليد الكنيسة اسم "ديماس" للصِّ التائب والآخر أعطوه اسم "جستاس"(5). وقد داعب العالم ألفريد القارئ بقوله إنهما احتلاَّ اليمين والشمال للرب عوض يعقوب ويوحنا. وفي تقليد القديس متى والقديس لوقا تتكرَّر هذه العبارة: «واحداً عن يمينه والآخر عن يساره» (مت 27:38، لو 23:33). وكأنهما يلمِّحان على يعقوب ويوحنا. ويعود ق. مرقس بعد ذلك في الآية (32) ويقول: «واللذان صُلبا معه كانا يعيِّرانه» ولكن ق. مرقس لم يذكر قصة اللص التائب.

«فتمَّ الكتاب القائل وأُحصي مع أثمة»:

هو كتاب إشعياء النبي في الأصحاح (53). ولكن هذه النبوَّة هنا تحمل معنىً آخرَ عميقاً للغاية. فبرفع المسيح على الصليب يكون بحسب قول ق. بطرس قد «حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة» (1بط 2:24). وبحسب إشعياء: «الرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش 53:6). فليس بسبب اللصين أُحصي المسيح مع أثمة، بل من أجل الخطايا التي حملها، إذ صار بالضرورة محسوباً خاطئاً من الخطاة، بل أخطى الخطاة جميعاً، بل الحامل للخطاة وخطاياهم معاً. فلمَّا نضح من جسده الحامل الخطايا قوَّة غفرانها، على التو أحس اللص اليمين بالتوبة وطلب المغفرة فغُفر له ووُعِد بالفردوس، فكان كنازفة الدم التي اختلست من لمس ثوب المسيح قوة شفاء فشُفيت، وها هو اللص وقد أحس بقوة الغفران تشع من جسد المسيح الدامي فطلبها ونالها.

وهكذا دخل الصليب والمصلوب عليه إلى العالم ينضح قوة غفران ينالها كل مَنْ يطلبها. وقد اعتادت الكنيسة القبطية أن تداعب ق. بطرس وتعيره باللص فيهتف الكاهن في "أمانة اللص" التي تقرأ يوم الجمعة العظيمة قائلاً: "التلميذ (بطرس) أنكر واللص صرخ قائلاً: اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك."

29:15-31 «وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: آهِ يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ! خَلِّصْ نَفْسَكَ وَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ! وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَهُمْ مُسْتَهْزِئُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَعَ الْكَتَبَةِ، قَالُوا: خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا».

كان مكان الصلب في مدخل أُورشليم، فكل الداخلين والخارجين كانوا يميلون لينظروا، فكانوا

(5) **Alfred Plummer, *op. cit.*, p. 354.**

يسخرون من المفارقة الهائلة بين تعليمه وبين ما حدث له إذ حسبوها تخلية من الله. فتمَّ قول إشعياء النبي: «ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً» (إش 4:53). ولا يتعجب القارئ من تهكم الشعب الساذج الذي تبهره المعجزات وتضعفه الكوارث. فالذي نادى بالخلاص للناس كيف لا يخلِّص نفسه، لأنه لم يُستعلَن لأحد بعد أنه «مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره (جروحه) شُفينا» (إش 5:53). ثم لأنهم لم يروا بعد أن الهيكل العظيم معجزة الدنيا نُقض بالفعل ولم يبق فيه حجر على حجر، وأن هيكل جسده قد نقض بالفعل بأيديهم ولم يقم بعد. فمن كان فيهم يظن أن تعاليمه هكذا كملت وهكذا تمَّت، وأن ولا كلمة منها قد زالت ولن تزول ولو زالت الأرض والسماء. ولكن كان لابد أن يكمّل الصليب بالاستهزاء والتهكُّم، فالعار الذي حمله كيف لا يتحوَّل لدى المجتازين إلى فضيحة؟ فالذي حمل العار عليه أن يتحمَّل المعيِّرين. وهل كان منتظراً أن الذي قَبِلَ اللعنة معلَّقاً على خشبة أن يمدحه الغادون والرائحون؟ ولكن هذا كان لابد منه ليتم المكتوب: « تعييرات معييرك وقعت عليَّ» (مز 8:69). والذي تحدَّى رؤساء الكهنة في هيكلهم، وكشف مساوئ عبادتهم، إن هو هكذا استسلم لحكمهم وقَبِلَ السياط على ظهره وإهانة الجند أمام أعينهم، وأخيراً جازت المسامير في جسده مرفوعاً على خشبة ولم يستطع أن ينقذ نفسه ولا هو دافع عن حقه، كيف لا يَشْمَتون فيه؟ كيف لا يُهينُونه ليشعروا في قلوبهم بتفوّقهم عليه ويطمئنوا إلى صحة حكمهم وبرِّ أنفسهم. أليس أن المسيح بقبوله الصلب من أيديهم أعطاهم حق الاستظهار عليه والشماتة فيه. نعم لكي تكون هذه كلها جزءاً لا يتجزأ من صليبه وحمله العار حيًّا وميتاً. قَبِله راضياً من أيديهم ومن لسانهم معاً.

ثم قام من الموت بعد ذلك ناقضاً أوجاع الموت وجراح الصليب وشماتة الأعداء وحقد الحاقدين، فأعاد الإيمان للمؤمنين، وسجَّل الدينونة على رؤوس المعتدين، وحوَّل عثرة الصليب إلى فخر للذين قبلوه وبقيت علة هلاك للرافضين. وإلى اليوم فالصليب باقٍ كما هو حجر عثرة للذين يرفضون وسبب مجدٍ للذين يقبلون.

وكانت أعظم أعمال الصليب وأفخر ثماره وهو معلَّق عليه أن غفر لصالبيه والمتهكمين والشامتين فيه:

+ «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون.» (لو 34:23)

32:15 «لِيَنْزِلِ الآنَ الْمَسِيحُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الصَّلِيبِ، لِنَرَى وَنُؤْمِنَ. وَاللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ كَانَا يُعَيِّرَانِهِ».

وكيف ينزل وهو الذي قبله بإرادته وحده؟ وما دروا أنه صعد ليموت عليه ليُرضي مشيئة الله

أبيه. ويكمِّل حب الآب لهم وللعالم أجمع: «هكذا أحب الله العالم (باليهود الذين فيه) حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 16:3). وإن هو نزل من على الصليب مَنْ ذا الذي يؤمن به، والإيمان بالمسيح لا يكون إلاَّ وهو معلَّق عليه!!؟ وبماذا نؤمن إن نزل من عليه، وإيماننا رهن موته الذي مات فوقه؟ وهل يدرون أن بقاءه على الصليب حتى الموت لا يزال هو الباب الوحيد أمامهم ليؤمنوا به، وإن هم لم يؤمنوا فهلاكهم قائم قيام الأبد؟!

97 الثلاث ساعات الأخيرة والظلمة تغطِّي الأرض

[41-33:15]

(مت 27:45-56)

(لو 23:44-49)

(يو 19:29و30)

33:15 «**وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ السَّادِسَةُ، كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ**».

يتفق الإنجيليون الأربعة أن من الساعة السادسة حتى الساعة التاسعة كانت ظلمة على الأرض كلها. والعلة الوحيدة أن وجه الآب انحجب عن الابن فتحوَّل نور العالم إلى ظلمة!! وفي نهايتها صرخ المسيح: «إلهي إلهي لماذا تركتني» يقول المزمور: «أضيء بوجهك ...» (مز 16:31)، فإذا حجب الله وجهه فالظلام حتمي هو! فإن كان قد دخل المسيح الظلمة وهو نور العالم فمن أين يستمد العالم نوره. وليس هذا مجرَّد توارد خواطر بل هو لاهوت النور والظلمة. فنور الشمس لا يكفي لإنارة عالمنا لأن الشمس تستمد ضياءها من نور الخالق: «تحجب وجهك فترتاع» (مز 29:104). لذلك مادام لنا النور فنحن في النور نعيش، ولكن إن انحجب مصدر النور فقد أدركتنا الظلمة (يو 35:12). ومعنى أن الظلمة غطَّت الأرض من الساعة السادسة إلى التاسعة هو عميق للغاية، إذ معنى ذلك أن الابن المرسَل إلى العالم وهو نور العالم قد انقطعت صلته بالعالم هذه الثلاث ساعات. دخل فيها معركته الفاصلة مع رئيس هذا العالم، فساد الظلام «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو 53:22)، وانتهت بموته على الصليب الذي ظفر به على الرؤساء والسلاطين وأشهرهم جهاراً. فبموت المسيح انقشع سلطان الظلمة من عالم الإنسان. فهذه الثلاث ساعات أساس للمعركة الكبرى التي تمَّت بين سلطان النور وسلطان الظلمة، سادت فيها الظلمة إلى ثلاث

ساعات واكتسحها النور إلى الأبد. ونتيجة هذه الثلاث ساعات لا تزال قائمةً، فظلمة العالم مغلوبة حتى وإن سادت، ومهما طغت علينا فنحن خارجون منها حتماً لأننا نتبع النور. لقد أُعطي للظلمة أن تغلب النور إلى ثلاث ساعات، ولكن النور يبدِّدها بيقين كيقين الفجر بعد ليل!!

34:15 «وَفِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: إِلُوِي إِلُوِي لَمَا شَبَقْتَنِي؟ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلَهِي إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»

«**بصوتٍ عظيم**»: fwnÍ meg£lV

مرّتان أعطى المسيح هذا الصوت العظيم في ندائه للآب، هنا وفي تسليمه الروح (مر 37:15). ولم يكن هذا الصوت العظيم يخصّه بقدر ما يخصنا. وقد سجَّلها ق. مرقس وعنه أخذها ق. متى، وقد نطقها المسيح باللغة الأرامية:

«**ألوي ألوي لما شبقتني**»(6):

هنا النطق الحرفي للغة الأرامية ذات النبرة العبرية، هو مأخوذ من نص المزمور: «إلهي إلهي لماذا تركتني ...» (مز 1:22). وفي إنجيل ق. مرقس يوضِّح النص الأصلي العبري. وقد قدَّم ق. مرقس الترجمة اليونانية مباشرة لمنفعة القارئ الأممي، وهي بآن واحد شرح لتسليم الروح الذي جاء في الآية (37). وطبعاً ليس من السهل أبداً إدراك عمق هذه الصرخة وأهميتها في تكميل الصليب والفداء، لأن ظاهرها معثر وغير مقبول ولا مفهوم، كيف يقول المسيح إلهي لماذا تركتني؟ لذلك لم يذكرها كل من ق. لوقا وق. يوحنا، أمَّا ق. متى فأخذها حرفياً من ق. مرقس.

أمَّا قيمة هذا النداء اللاهوتي الذي يصرخ فيه المسيح من صعوبة وعذاب التخلي وترك الآب له، فهو بند لاهوتي جليل الشأن حسب ما شرحناه سابقاً (صفحة 607). فلولا ترك الآب له ما استطاع أن يُصلب وما أمكن أبداً أن يموت، لأن لعنة الصليب لا يمكن أن يقبلها دون أن يتخلَّى الآب عنه ليتحمَّل اللعنة وحده، وإلاَّ فإنها تمس الآب، **وهي الجزء الأكبر من الفداء** الذي فيه يقبل اللعنة من أجل البشرية التي يحملها فتشترك البشرية في اللعنة معه، وهكذا تكون قد أكملت **الجزء الأول من العقوبة** التي اكتسبها آدم وسلَّمها لبنيه. ولكن الابن بار هو، فإن قَبِلَ اللعنة من أجلنا فبرُّه أقوى منها، لذلك استحالة أن تحتويه اللعنة أو ينصبغ بها. فهو قبلها في جسده مشاركة لنا في كل

(6) راجع شرح هذه الآية في مقالة ”يوم الصليب، يوم القضاء ويوم البراءة“ في كتاب: ”مع المسيح في آلامه حتى الصليب“ (طبعة عام 1987) صفحة 221ـ225.

عمقها، ولكن هيهات أن تطاله في برِّه. فهو قَبِلَ اللعنة في الجسد وبقي باراً كما هو، قبلها لكي يرفعها علناً بعد ذلك بقيامته من الأموات.

أمَّا الجزء الآخر والأكثر فاعلية في الفداء والأكثر مهانة للابن فهو أنه قَبِلَ الموت حتى إلى ثلاثة أيام كامِلَة كطقس الموت والموتى بكل سطوته. فلولا أن الآب تركه ليموت وحده ما كان ممكناً أن يموت البتة. فالترك الإلهي من الآب هو الذي جعل الموت على الصليب ممكناً. وبه أكمل المسيح الفداء، فداء الإنسان من الموت والهاوية. ولكن الموت لم يستطع أن يُمسك بالمسيح أو فيه لأنه بار وبرُّه أقوى من الموت لأنه بر الله، بر الحياة الأبدية. فإن كان المسيح قد رضي بالموت من أجل الإنسان لنموت معه، فبعد أن أكمل الموت وأكملنا الموت معه ووفَّينا العقوبة كاملة، قام المسيح ببرِّه نافضاً الموت عنه، ودائساً على سلطانه وسطوته، ودسناه لما داسه بالحياة الأبدية التي أخذنا. فأقامنا معه في بشريته شركاء قيامة وحياة أبدية، فلن يعود للموت سلطان علينا لأننا وُهبنا حياة الأبد.

وهكذا يتضح لدى القارئ أن ترك الآب للمسيح كان العنصر الفعَّال الذي جعل المسيح يكمِّل الفداء، إذ دخل اللعنة والموت وحده اللذين احتواهما ولم يحتوياه، ورفعهما ببرِّه فتبرَّرت فيه البشرية التي لبسها ببر الله. وحينما أكمل الفداء هكذا بنفسه وحده أقامه الاب بمجد عظيم، وأقامنا معه، فصرنا شركاء قيامة ومجد. فالمجد الذي تسربل به المسيح بالقيامة من الأموات أعطانا: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو 22:17). وكان ثمناً لاحتماله تخلِّي الآب وتكميله اللعنة والموت وحده من أجلنا فاستحققنا ما استحقه!!

35:15 «**فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ لَمَّا سَمِعُوا: هُوَذَا يُنَادِي إِيلِيَّا**».

هكذا تُفسَّر أقوال المسيح حتى اليوم تفسيراً غوغائياً عند الذين لا يتبصَّرون!

36:15 «**فَرَكَضَ وَاحِدٌ وَمَلأَ إِسْفِنْجَةً خَلاًّ وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ قَائِلاً: اتْرُكُوا. لِنَرَ هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا لِيُنْزِلَهُ!**»

أمَّا الخل فشأنه شأن الخمر الممزوج بمرارة (23:15)، والقصد منه تخفيف الآلام عن المحكوم عليه بالصلب. وشَرِبَ المسيح الخل من أجلنا لتتم النبوَّة حتى آخر لحظة «وفي عطشي يسقونني خلاً.» (مز 21:69)

37:15 «**فَصَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ**».

لم يقل هنا أيُّ إنجيل من الأناجيل أن المسيح: «مات» كفعل ماضٍ، ولكنه أسلم الروح بسلطانه وإرادته وحده.

«**أسلم الروح**»: ™xšpneusen = breathed his last

الكلمة اليونانية لا تفيد أنه أسلم الروح بل «**تنفَّس النفس الأخير**». أمَّا ق. متى فقال: أسلم الروح = ¢fÁken tÕ pneàma وهنا أسلم الروح ترجمة صحيحة **yielded up** his spirit أمَّا ق. لوقا فجاءت عنده: «يا أبتاه في يديك أستودع روحي، ولما قال هذا أسلم الروح» (لو 46:23). فالقديس مرقس يتبع قول المسيح نفسه قبل الصليب الذي قاله: «لي سلطان أن أضعها **ولي سلطان أن آخذها** أيضاً» (يو 18:10)، «**لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً**» (يو 17:10) كما سيجيء، فهو وضع نفسه ووضع روحه ليكمِّل واجبات الموت، ولكنها بقيت له وفيه وبها قام **بعد أن أكمل عقوبة الموت معنا حتى التمام إلى ثلاثة أيام**. ‘‘فحياته الأبدية’’ جزء من كيانه الإلهي لم تفارقه ولا لحظة واحدة، فموته الذي ماته ماته ‘‘بالجسد’’ أمَّا نفسه وروحه فلم تُمس. لذلك من الواجب واللازم لاهوتياً أن لا نقول أبداً أن ‘‘المسيح مات وحسب’’ أو أن الابن مات وحسب، بل ينبغي لاهوتياً أن يُقال إنه مات بالجسد أو الابن مات بالجسد. فالآب لم يحيه من موت بل هو الذي قام وحياته فيه، بل وأقامنا معه بحياته وقيامته، ولكن الآب بعد ذلك رفَّعه إلى أعلى السموات. ومجازاً يُقال إن الآب أقامه من الأموات أو أن الروح القدس أقامه من الأموات، لأنه هو ‘‘قام حقًّا’’ قام بقوته وسلطانه وإرادته. ولكن أن يُقال الله أو الآب أو الروح أقامه فهذا جيدٌ، لأن الآب والابن والروح القدس قوة واحدة وسلطان واحد. وهذا اللاهوت يؤمِّن وحدانية الله في أقانيمه ويؤمِّن الوحدة القائمة بين اللاهوت والناسوت.

وغني عن البيان الدقة اللاهوتية في تقرير ق. مرقس ـ وهو الأصل ـ أن المسيح على الصليب تنفَّس النفس الأخير وحسب، الذي على أساسه ينبغي أن يُعاد صياغة اللاهوت.

ولكن ق. يوحنا يقول: paršdwken tÕ pneàma وتعني أسلم الروح = **gave up** his spirit وهكذا نرى في جميعها أن المسيح سلَّم روحه بإرادته وسلطانه وحده.

ومن السهل ملاحظة أن صرخة تسليم الروح مرتبطة تماماً بصرخة «إلهي إلهي لماذا تركتني» حيث لما بلغ الترك أقصاه بلغت الرسالة مداها فكانت النهاية.

وواضح من الإنجيل أن المسيح أسلم روحه على أساس أنه سيستردها بنفسه:

+ «لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً (ثانية). **ليس أحد يأخذها مني** بل أضعها أنا من ذاتي، لي سلطان أن أضعها **ولي سلطان أن آخذها أيضاً** هذه الوصية قبلتها من أبي.» (يو 10: 17و18)

لقد لاحَظَ بيلاطس أن المسيح مات بأسرع من معدَّل موت الآخرين:

+ «جاء يوسف الذي من الرامة وهو مشير شريف، وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله، فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع: فتعجَّب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً، فدعا قائد المائة وسأله هل له زمان قد مات.» (مر 15: 43-45)

هذا يوضِّح لنا أن المسيح لم ينتظر عوارض الموت لتداهمه، بل أسلم روحه لما وجد أن كل شيء قد أُكمل:

+ «فلمَّا أخذ يسوع الخل قال **قد أُكمل** ونكَّس رأسه وأسلم الروح.» (يو 30:19)

هذه كلها براهين واضحة أن **روحه لم تُنتزع منه** بل هو هو الذي أسلمها بإرادته بعد أن أكمل واجبات الموت من آلام.

هذا هو الموت عند المسيح، فهو ليس عدواً يَصرَع وقضاءً مبرماً ونصيباً محتوماً، وصاعقة تنزل في لحظة لا ينتظرها الإنسان، بل هو المسيح الذي اقتحمه بجرأة وقداسة برِّه، لأنه منزَّه عن كل دين للموت، دخله وهو يحمل في كيانه قوة الحياة الأبدية، فوطأ الموت بقدميه وخلَّص من براثنه كل أسرى الرجاء الذين ماتوا وعيونهم شاخصة لله يطلبون الحياة والوطن الأفضل، وهبهم حياته وصعد بهم فتلقاه الآب بجبرؤوت يمينه ورفعه إلى أعلى السموات وأجلسه عن يمينه مع كل أسرى حبه:

+ «وأنتِ أيضاً فإني **بدم عهدكِ قد أطلقتُ أسراكِ من الجب** الذي ليس فيه ماء.» (زك 11:9)

+ «ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء.» (زك 12:9)

+ «لذلك يقول أيضاً: إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً (ضمَّ إليه الذين سباهم الشيطان) وأعطى الناس عطايا، وأمَّا أنه صعد فما هو إلاَّ أنه نزل أيضاً إلى أقسام الأرض السفلى. **الذي نزل، هو الذي صعد** أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل.» (أف 4: 8-10)

38:15 «**وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ**».

يذكر هذه الحادثة الثلاثة الإنجيليون، وفي معناها تكشف عن انفتاح قدس الأقداس، أي قلب الله، للعالم أي الأُمم. بمعنى أن حجاب الغضب الفاصل بين الله والإنسان قد انكسر بانكسار جسد الابن على الصليب. لذلك يقول ق. بولس في سفر العبرانيين: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا **بالحجاب أي جسده**» (عب 19:10). فموت المسيح حُسب بحد ذاته قوة أزالت العقوبة باللعن والموت معاً عن الإنسان، وبارتفاع العقوبة من الوسط تصالح الله مع الإنسان، فرُفع حجاب الغضب الفاصل بين الله والإنسان الذي صنعه الإنسان بعصيانه وتعدِّيه وخطاياه ولفَّه الموت بالسواد. والآن لا خطية بعد ولا موت بل نعمة في بر المسيح وحياة أبدية:

+ «إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم ...» (2كو 19:5)

+ «لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به.» (أف 2: 14-16)

وينبغي أن ننتبه إلى طريقة ق. مرقس في ضم تسليم الروح إلى إنشقاق الحجاب، إذ جعل موت المسيح ذا تعبير لحظي شديد الوقع، وعلى مستوى عيني منظور، وفي أقدس ما يملك اليهود وهو الحجاب الذي يفصل قدس الأقداس عن القدس، حيث قدس الأقداس هو المكان الذي يتراءى فيه يهوه الإله العظيم! إذن فبموت المسيح صار الله ظاهراً للجميع.

39:15 «**وَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ الْوَاقِفُ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هكَذَا وَأَسْلَمَ الرُّوحَ، قَالَ: حَقًّا كَانَ هذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللهِ!**».

وقائد المئة هو المنوط به حراسة المحكوم عليه، فكان واجبه أن يقف طول الوقت في مواجهة الصليب بحيث لا تغيب عنه أي حركة. وقد ذكره هنا ق. مرقس في بساطة متناهية، أمَّا الأناجيل الأخرى فأضافت أنه مجَّد الله على ما رأى، وأنه اندهش مما حدث. ولكن على كل حال **قد وُهِبَ هذا الإنسان أن يرى عن قرب موت المخلِّص وكل حركاته وسكناته، وغالباً أنه دخله خشوع فائق لأن تصرُّف المسيح كان أعلى ما شهده هذا القائد المبارك**. واعتراف هذا القائد يشعرنا أنه نال مسحة من انفتاح البصيرة فأحسَّ بالله وأعماله.

وينبغي أن لا يغيب عن بالنا كيف بدأ ق. مرقس إنجيله بقوله: «إنجيل يسوع المسيح ابن الله» وهكذا انتهز فرصة اعتراف هذا القائد ليختم إنجيله بشهادة أجنبي غريب عن «ابن الله» لما عزَّت الشهادة عند الرؤساء والتلاميذ وذوي القربى. وقد أعطت الكنيسة في تقليدها اسماً لهذا القائد المبارك فأسمته لونجينوس.

40:15 و41 «وَكَانَتْ أَيْضاً نِسَاءٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ، بَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ، وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ وَيُوسِي، وَسَالُومَةُ، اللَّوَاتِي أَيْضاً تَبِعْنَهُ وَخَدَمْنَهُ حِينَ كَانَ فِي الْجَلِيلِ. وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ اللَّوَاتِي صَعِدْنَ مَعَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ».

هنا يقدِّم ق. مرقس بهذه الأسماء لرواية الدفن والقيامة بالضرورة. فقصة الصليب بلغت نهايتها عند ذكر شهادة قائد المئة التي ختم بها ق. مرقس حياة المسيح، مؤكِّداً **أنه ابن الله من البداية للنهاية!** وهذا يُحسب له روعة في تنسيق الإنجيل لاهوتياً على واقع الأحداث!

«مريم المجدلية»:

منسوبة إلى بلدة مجدله (المجدل) على الجانب الغربي من بحيرة طبرية.

«مريم أُم يعقوب الصغير ويوسي»:

ويصفها إنجيل ق. يوحنا أنها زوجة كلوبا (25:19). ويظهر أنها مريم أُم يعقوب الصغير ويوسي وهما شخصان معروفان لدى الكنيسة الأُولى. وأمَّا يعقوب هذا فهو ابن حلفى (مر 18:3) وربما يكون حلفى هو كلوباس، أمَّا وصفه بالصغير لتمييزه عن يعقوب أخي يوحنا، إمَّا صغر كرامة أو قامة أو عمر. أمَّا يوسي فهو يوسف ولا يُعرف عنه أكثر من اسمه.

«سالومي»:

ويجيء اسمها بعد ذلك حالاً في ترتيب الحنوط للجسد. وهي ضمن النسوة اللاتي كُنَّ يخدمن يسوع. هؤلاء وقفن من بعيد، حسب طاقة احتمالهن الرهيفة لأن شناعة تحدِّي رؤساء الكهنة والكتبة وأعوانهم كانت لا تطاق. كذلك لا تحتمل قلوبهن الرقيقة هذا العنف الشديد. ولكن من المعروف أن مريم أم يسوع كانت قريبة من الصليب جداً وربما تحته مباشرة، فقلب الأُم يحتمل الأهوال من أجل نظرة الابن الوحيد!! وقد كلَّمها يسوع عن ق. يوحنا: «يا امرأة هوذا ابنكِ» (يو 26:19) لتكون معه بقية أيام حياتها!! ولكنها ظهرت يوم الخمسين ونالت الحظوى من الروح القدس وصارت شفيعة المؤمنين إلى أبد الآبدين.

98 الدفن

[47-42:15]

(مت 27: 57-61)
(لو 23: 50-56)
(يو 19: 38-42)

نحن هنا أمام أقدم تقليد للكنيسة وأشدها أصالة يمتدحه أشد العلماء نقداً أن الواقعية الأمينة تكاد تنطق في كل كلمة منها. ويحكي التقليد هنا عن آخر العمليات التي تمَّت في موت المسيح يرويها يهودي متنصِّر على غاية من الورع، بأدق التفاصيل وبأكثر حيوية مصوَّرة تصويراً متقناً، وهي مجموعة خصيصاً لتنقل التقليد كما هو ليقرأه الأُمم. والطقوس واضحة أنها فلسطينية صرف، ووصف النسوة الساهرات يعددن الحنوط للأكفان بعد أن زُرن مكان القبر الذي وضَعَ فيه يوسف الجسد وعرفن المكان وكأنهن لم ينمن، ففي الصباح باكراً جداً، أي والظلام باقٍ، يوم الأحد المحسوب أنه أول الأسبوع، خرجن وذهبن وعاينَّ القبر مفتوحاً والحجر مدحرجاً. صورة حية وكأنها لقطات على الطبيعة تنضح بالصدق والعاطفية والانفعال والدهشة. والرواية عند ق. مرقس مختصرة وفي غاية البساطة تكشف عن بدء التقليد كحقائق مرصوصة.

42:15و43 «**وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، إِذْ كَانَ الاسْتِعْدَادُ، أَيْ مَا قَبْلَ السَّبْتِ، جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، مُشِيرٌ شَرِيفٌ، وَكَانَ هُوَ أَيْضاً مُنْتَظِراً مَلَكُوتَ اللهِ، فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ**».

«**ولمَّا كان المساء**»: Ñy...aj

والمساء هو الوقت الذي يبدأ عند اليهود من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى الغروب.

«**إذ كان الاستعداد**»: ™pe ˆ Ãn paraskeu» يبدأ السبت من لحظة الغروب. لذلك كان على يوسف الإسراع جداً ليُنزل الجسد من على الصليب ويكفِّنه بسرعة ويضعه في القبر قبل أن يبدأ السبت. وكان يوسف بالإضافة إلى عامل السبت الذي يسارعه فإنه لو توانى لحظة لأخذ اليهود الجسد ومثَّلوا به شر تمثيل. وعلى أقل تقدير

كان العسكر سيضعونه في مقبرة المجرمين مع اللصين. وحتى لو لم يكن السبت هو عامل الإسراع والخوف من الأعداء والعساكر فإن القانون اليهودي يمنع أن يحل الظلام على جسد مرفوع على خشبة بحسب سفر التثنية (تث 21: 22و23). أمَّا كلمة الاستعداد التي جاءت هنا «paraskeu فهي يوم الجمعة السابق على السبت، وهي لا تزال في طقوس الكنيسة القبطية بلفظها اليوناني. وق. مرقس هنا يشرح هذه الكلمة لأنه يكتب للأُمم. وكلمة ما قبل السبت pros£bbaton كانت كلمة طقسية في العبادة اليهودية.

ويوسف الذي من الرامة، هو من المدينة التي وُلِدَ فيها ودُفن صموئيل النبي (1صم 1:1)، واسم الرامة الأصلي هو راماتيم صوفيم، وتعني: "مرتفع الحرَّاس"(7)، وتقع على أميال قليلة من شمال أورشليم(8). وقول ق. مرقس: «الذي من الرامة» يفيد أنها وطنه فقط وهو لا يعيش فيها بل هي كانت بلده. ويضيف أنه كان يملك مقبرة جديدة في أُورشليم. وق. متى يصفه بأنه «غني» (مت 57:27). أمَّا ق. لوقا فيصفه أنه: «كان مشيراً ورجلاً صالحاً وبارًّا. هذا لم يكن موافقاً لرأيهم (رؤساء الكهنة) وعملهم» (لو 23: 50و51). والواضح أن ق. مرقس بكلمتين استوفى كل أوصافه: «مشير شريف ينتظر ملكوت الله» بمعنى حكيم وصاحب نعمة وعضو سنهدريم.

وقول ق. مرقس أنه تجاسر ودخل إلى بيلاطس يعني أشياءَ كثيرة: فأولاً يوسف ليس من عائلة المسيح، وثانياً الدخول إلى بيلاطس للحديث عن إنسان مصلوب فيه مجازفة، والأخطر من الجميع أنه عضو في السنهدريم فأي تبليغ عنه يصبح قتله أمراً محتملاً. ولكن الوقار والاحترام الشديد الذي كان يحتفظ به يوسف في قلبه من نحو المسيح دفعه أن يعمل هذا العمل العظيم والجريء.

15: 44و45 «فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعاً. فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ: هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟ وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْمِئَةِ، وَهَبَ الْجَسَدَ لِيُوسُفَ».

تعجَّب بيلاطس لأن المعتاد أن يموت المحكوم عليه بعد مدَّة طويلة وفي العادة يومين أو ثلاثة(9) ولكن موت المسيح هنا هكذا سريعاً يوضِّح أنه لم ينتظر عوامل الموت البطيئة لتسري في جسده، فأسلم الروح عندما وجد أن كل شيءٍ قد أُكمل. لأن روحه لم تنزع منه بل هو الذي تنفسها خارجاً.

(7) **Storley, *Sinai and Palestine*., p. 224. cited by Alfred Plummer, *op. cit.*, p. 362.**

(8) **Vincent Taylor, *op. cit.*, p. 600.**

(9) **Ibid., p. 601.**

«وهب الجسد ليوسف»:

هنا عطية الجسد هي بنوع الأمانة كمسئول عن دفنه، وبيلاطس كَسَرَ العرف القانوني لأن المجرم المحكوم عليه بالصلب إنما يُدفن في مقبرة عامة. فهنا نوع من التخصيص.

46:15 **«فَاشْتَرَى كَتَّاناً، فَأَنْزَلَهُ وَكَفَّنَهُ بِالْكَتَّانِ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرٍ كَانَ مَنْحُوتاً فِي صَخْرَةٍ، وَدَحْرَجَ حَجَراً عَلَى بَابِ الْقَبْرِ»**.

إن الاختصار الشديد والرتابة في ذكر الحوادث وراء بعضها لتعطي أقوى صورة صحيحة عمَّا تمَّ بواسطة يوسف في سطر واحد لأمر يُدهش القارئ، فالدقة مع البساطة مع أمانة النقل التاريخي كان هو منهج ق. مرقس من البداية.

وكون ق. مرقس يذكر أول كل شيء أنه اشترى كتاناً، يوضِّح أنه أسرع قبل أن يحل ميعاد السبت حيث لا بيع ولا شراء. والكتان الأبيض هو القماش الموصوف لتكفين الموتى ويكون على هيئة شرائط يُلف بها كل عضو على حدة. أمَّا المقبرة المحفورة في الصخر فهي أفضل أنواع المقابر لأنها تكون في مأمن من الوحوش ولا يقوى على نحتها إلاَّ الأغنياء لأنها مُكَلِّفة، وهي أحياناً من غرفة واحدة أو غرفتين، وعلى الأرجح كانت غرفتين لأن الذين جاءوا بعد القيامة دخلوا ثم نظروا (جانباً). أمَّا حجر الباب للغلق فكان مستديراً حتى يمكن دحرجته وكان يلزم أن يكون ثقيلاً جداً. وق. يوحنا يصف أن القبر كان في حديقة: «وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستانٌ، وفي البستان قبرٌ جديدٌ لم يوضع فيه أحدٌ قط» (يو 41:19). وهكذا تمَّ ما قاله إشعياء النبي: «وجُعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته »(إش 9:53). ولكن يا للحسرة، لم يكن أحدٌ من أقربائه ولا تلاميذه الذين «أحبهم إلى المنتهى» (يو 1:13)، ذهبوا وهربوا ودخلوا بيوتهم وأقفلوا أبوابهم والرعدة أخذتهم مما لا رعدة فيه: «هوذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته، وتتركونني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي.» (يو 32:16)

ولكن ق. يوحنا يكمِّل عمل الدفن هكذا: «وجاء أيضاً نيقوديموس، الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً، وهو حامل مزيج مُرٍّ وعودٍ نحو مائة منًّا. فأخذا جسد يسوع، ولفَّاه (يوسف ونيقوديموس معاً) بأكفان مع الأطياب، كما لليهود عادة أن يكفِّنوا» (يو 19: 39و40). وهكذا تقليد ق. يوحنا يكمِّل التقليد الذي استقى منه ق. مرقس إنجيله.

47:15 «وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يُوسِي تَنْظُرَانِ أَيْنَ وُضِعَ».

هاتان المرأتان عاينتا أين وُضِع يسوع بعد أن كفَّنه يوسف ونيقوديموس. كانت أمانة المرأتين شديدة للغاية بعاطفة جارفة لم تدعهما يغادران مكان الصلب حتى يُلْقِيا النظرة الأخيرة على مَنْ أحببنه حبًّا أقوى من الموت. وحتى بعد أن غادر يوسف ونيقوديموس جلستا تنظران في حزن مرير وتعلَّقت عيونهما وقلبهما بالذي دفنوه. ولم تناما حتى لاح الفجر الذي بعد السبت فقامتا وحملتا معهما الأطياب والحنوط لتكميل تحنيط الجسد.

أي أمانة، أي حب، أي شجاعة هذه؟ نعم من أجل هذه المشاعر العنيفة والحب الطاغي قام المسيح من الأموات ليعطي الحياة الأبدية لكل القلوب التي آمنت وأحبَّت!! نعم كان لابد أن يقوم!!

الأصحاح السادس عشر

القيــامة (16:1-9،8-20):

99 - زيارة النسوة للقبر الفارغ (16:1-8)

100- رؤية القيـــامة

القيـــامة

(1:16–8، 9–20)

نجد في إنجيل ق. مرقس الآيات (1:16–8) مسجّلة بقلمه وروحه وقد شرحناها.

أمّا الآيات الاثنتا عشرة الباقية (9:16–20) فقد أثبتت أبحاث العلماء المدققين أنها فُقدت من الإنجيل، وقد أُعيد كتابتها بواسطة أحد التلاميذ السبعين المسمَّى بأريستون. وهذا التلميذ عاش في القرن الأول. وهذه الآيات الاثنتا عشرة جمعها أريستون من إنجيل ق. يوحنا وإنجيل ق. لوقا ليكمِّل بها القيامة. هذه الآيات لم نتعرَّض لها ولم نشرحها، ولكن أعطينا عوضاً عنها شرحاً مفصَّلاً لمعنى القيامة وحقيقتها الروحية بل وسرها أيضاً.

99 زيارة النسوة للقبر الفارغ

[8-1:16]

(مت 28:1-10)

(لو 24:1-11)

(يو 20:1-10)

هذا الجزء من قصة القيامة كتبه ق. مرقس بحسب التقليد، ولكن من الواضح جداً أنه أخذه كما هو من الكنيسة دون أن يستلمه من شاهد عيان، فجاءت الرواية عبارة عن عناوين تحكي عن زيارة النسوة للقبر فجر الأحد فوجدن القبر فارغاً، مع شهادة من الملاك أن المسيح الذي صُلب ووُضع في هذا القبر قد قام وهو ليس هنا. وتأتي الرواية مدعَّمة بلغة ق. مرقس وأسلوبه وكلماته بكل تأكيد. ويؤكِّد ق. مرقس في هذه الأعداد القليلة من (1-8) بشهادة الملاك أن «**المسيح قام**». ثم يعطي الملاك للنسوة رسالة من فم المسيح أن يذهبن ويقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم. وانتهت الزيارة بوصف حالة الخوف والرعدة التي أصابتهن وخروجهن سريعاً من القبر.

1:16 «**وَبَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ، اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ، حَنُوطاً لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ**».

يوضِّح هنا ق. مرقس أن النسوة انتهزن فرصة انتهاء السبت، وهذا يتحتَّم أن يكون في المساء بعد الساعة 6 مساءً. ولكن ق. لوقا يقول إنهن: «رجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً وفي السبت استرحن حسب الوصية» (لو 56:23). ولكن ق. متى لم يذكر هذا الشراء ولا الإعداد بل يقول مباشرة: «وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر» (مت 1:28). وهنا يتضح أن تقليد ق. مرقس أكثر دقة ومطابقة للواقع إذ يذكر علَّة مجيئهن فقط. والأناجيل الثلاثة تذكر مريم المجدلية مع النسوة، أمَّا إنجيل ق. يوحنا فيذكر المجدلية وحدها: «وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً، والظلام باقٍ. فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر. فركضت وجاءت إلى سمعان وإلى التلميذ الآخر (يوحنا) الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه» ولكنها عادت بعد ذلك إلى القبر: «أمَّا مريم فكانت

واقفة عند القبر خارجاً تبكي. وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر، فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعاً. فقالا لها: يا امرأة، لماذا تبكين؟ قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء، **فنظرت يسوع واقفاً** ...» (يو 20: 1و2و11-14)

من الواضح أن تقليد ق. مرقس انقطع عند قوله: «فخرجن سريعاً من القبر ...» وهنا يكمّله ق. يوحنا بنفس الأسلوب وتداعي الحوادث.

وواضح جداً أن مجيء المريمات كان لتحنيط الجسد الذي رأينه قد وُضع في القبر على عَجَلٍ. ولكن كل من إنجيل ق. متى وق. يوحنا لم يذكر سبب مجيء النسوة إلى القبر باكراً. أمَّا ق. لوقا فاشترك مع ق. مرقس: «ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ...» (لو 1:24). هنا أضاف ق. لوقا على ما ذكره ق. مرقس «حاملات الحنوط الذي أعددنه» ولكن لا ننسى أن ق. مرقس هو أول من تكلَّم عن دهن جسد المسيح بالطيب من أجل تكفينه (مر 8:14)، لأن المسيح كان يعلم ومعه ق. مرقس أيضاً أن جسده الذي أنزلوه من على الصليب لن توجد فرصة لأحد أن يكفنه. فهو ككل نبواته العملية يسبق ويتقبَّل التكفين والطيب قبل أن يُصلب ويموت! وهذا في الحقيقة هو الدهن والتطييب الحقيقي لجسد المسيح الذي لا ينبغي ولا يصح أن يُجرى له إلاَّ حيًّا، فجسده الميت كان يتقطَّر طيباً، لهذا تقبَّله بالحب من صاحبة قارورة الناردين الخالص الكثير الثمن. ولا يزال المسيح يحتاج لمن يطيِّب جسده المصلوب ولكن ليس بالطيب بعد بل بالحب والتمجيد وصنع الخير والإحسان لإخوته الصغار والمرضى والضعفاء لأن هؤلاء هم جسده الجديد.

ولا يزال العلماء عند رأيهم فيما يخص قصة المريمات حاملات الطيب أن تقليد ق. مرقس هو الأقدم والأكثر أصالة(1) .

2:16-4 «**وَبَاكِراً جِدًّا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ إِذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ. وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ: مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ؟ فَتَطَلَّعْنَ وَرَأَيْنَ أَنَّ الْحَجَرَ قَدْ دُحْرِجَ! لأَنَّهُ كَانَ عَظِيماً جِدًّا**».

طلوع الشمس هنا الساعة السادسة صباحاً حين يخرج من الأفق أول شعاع من الشمس في زمن

(1) **Vincent Taylor., *op. cit.*, 604.**

الفصح. ولكن يقول ق. يوحنا إن الظلام كان باقٍ. ويرى الكاتب أن تقليد ق. مرقس صحيح بحسب واقع الحال، فالنسوة قمن من أُورشليم والظلام باقٍ، ولكن وقفن عند باب ''غرب السور'' حتى أشرقت الشمس فاتجهن إلى القبر لأن هناك استحالة أن يخرجن من الباب قبل شروق الشمس حسب قانون المدينة. وتقليد ق. متى يتكلَّم عن حدوث زلزلة ونزول ملاك من السماء دحرج الحجر وجلس عليه. ق. مرقس لم يعلم شيئاً عن هذا الخبر واستمر مع النسوة المحتارات يطلبن من يدحرج لنا الحجر، فلما بلغن القبر وجدن الباب وقد دُحرج الحجر عنه، ويكمِّل ببساطة متناهية أن الحجر كان عظيماً جداً، فهي إفادة ضمنية أن ملاكاً دحرجه.

5:16و6 **«وَلَمَّا دَخَلْنَ الْقَبْرَ رَأَيْنَ شَابًّا جَالِساً عَنِ الْيَمِينِ لاَبِساً حُلَّةً بَيْضَاءَ، فَانْدَهَشْنَ. فَقَالَ لَهُنَّ: لاَ تَنْدَهِشْنَ! أَنْتُنَّ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ. قَدْ قَامَ! لَيْسَ هُوَ ههُنَا. هُوَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ»**.

«**فاندهشن**»: xeqamb»qhsan™

هذه الكلمة جاءت هنا بقلم ق. مرقس وفي (15:9و33:14) ولم تأت في أية كتابات أخرى من العهد الجديد، وهي تفيد الخوف مع الاندهاش. إنها خبرة فردية حينما ينفتح وعي الإنسان لرؤية ما فوق الطبيعة حيث لا يمكن أن يتحد اثنان فيما يريانه أو يسمعانه. فالرؤية تتعلَّق بإمكانيات الانفتاح للوعي وهي موهبة لا يشترك في درجتها اثنان. لذلك لا ينبغي إطلاقاً عمل موازنات بين ما قيل وما رؤي وما سُمع بالنسبة للقيامة التي قامها المسيح. لذلك بكل وضوح لا نجد الجميع يشتركون في رواية بحذافيرها، فكل إنجيل يصف ما سمع أو رأى أو استلم من التقليد. بل والتقليد نفسه يستحيل أن يقدِّم حادثة واحدة من عدة زوايا الأناجيل الأربعة بنفس الكلام أو الوصف أو التأثر. وحتى قارئ الإنجيل أو مَنْ يسمعه بالنسبة للقيامة فهو يسمع ويفهم ويتحقَّق بقدر انفتاح وعيه ولا يشترك اثنان في تحقيق فعل واحد أخروي.

لذلك حينما ندخل إلى حقيقة القيامة نجد الأناجيل تقدِّم خبرات متعددة تشترك في حقيقة واحدة وهي قيامة المسيح من الأموات ولكن بلغة ووصف وتحقيق متعدد المستويات. ولكن تعدد الخبرات والرؤى والتحقيق يجمع في النهاية كل زوايا حقيقة قيامة الرب من بين الأموات في أكمل صورة لها دون الأخذ برواية وترك الأخرى.

وحينما قرر ق. مرقس خبر النسوة أنهن رأين القبر فارغاً كان هذا قناعة من ق. مرقس أن الرب

قام من الأموات بجسده وكامل هيكله الذي كان يعيش به قبل الصليب وعلى الصليب وفي القبر.

فالجسد الذي قام به المسيح من بين الأموات هو "الإنسان الجديد" بأقوى وأكمل وأجمل صورة له. إذ لم يكن في جسد المسيح الذي وُلد به وعاش وصُلب ما يمنعه من التجلي، وقد أعلن هذه القوة التي فيه أمام تلاميذه الثلاثة على جبل التجلي. فالذي حدث في القيامة من الأموات هو حدوث حالة تجلٍ كاملة وكلية وأبدية. إذ أن الجسد الذي أخلاه المسيح بإرادته من مجد لاهوته حتى يستطيع أن يعيش كإنسان ويتألَّم كإنسان ويُصلب ويموت كإنسان لما لم يعد هناك ضرورة للإخلاء، إذ أكمل الفداء الذي من أجله أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، أصبح من المناسب والواقع والضرورة معاً أن يستعيد المسيح ما كان له قبل الإخلاء، فاستوى الجسد قائماً في مجد لاهوته صاعداً إلى السموات العلا مكان راحته في ملء مجده. إذن فالقيامة هي حالة انتهاء زمن الإخلاء والدخول في ما كان له قبل إنشاء العالم: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته، والآن مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو 17: 4و5). بهذا استطاع ق. بولس المفتوح العينين أن يقول: «وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو 4:1). إذ لما قام رُؤي وعُرف أنه هو بالحقيقة ابن الله الذي كان قد «أخلى نفسه آخذاً صورة عبد» (في 7:2). فالقيامة من الأموات هي حالة استعلان حقيقة المسيح أنه ابن الله حقًّا، وإذ شاركنا هو في موته وقيامته أخذنا بالتالي ما هو ليس لنا لا أصلاً ولا أساساً إذ أخذنا شركة في بنوّة الابن وبالتالي أخذنا حق حالة القيامة من الأموات التي دعينا بها: "أبناء الله" ـ وإن لم تكن في تجلِّيها الآن ـ وبالتالي دخلنا في حق شركة مجد الابن لا عن استحقاق بل كامتياز بالإيمان، لا تُرى علنياً الآن.

وبالنهاية اتضح بأجلى صورة أن المسيح مات بنا ليقيمنا معه، وهذا هو غاية خطة الفداء، فقيامته ليست له لأنه هو قائم دائم في حضن أبيه بالمجد والكرامة التي له، ولكنه تنازل عن الكرامة والمجد اللذين له ولبس صورة جنسنا، وقَبل عارنا عليه، ومات لنموت معه، وقام ليهبنا قيامته وهي الخليقة الجديدة للإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في القداسة والحق، لشركة حياة لا تزول مع الآب وابنه يسوع المسيح. «إن كنا نتألم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه» (رو 17:8). وهذه هي القيامة التي نعيشها الآن: «شركة آلامنا مع المسيح» ولأجل المسيح والإنجيل!!

وفي تقليد ق. لوقا في هذا المكان يقول:

+ «لماذا **تطلبن الحيّ بين الأموات**؟ ليس هو ههنا **لكنه قام**.» (لو 5:24)

7:16و8 «**لكِنِ اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتلاَمِيذِهِ وَلِبُطْرُسَ إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ كَمَا قَالَ لَكُمْ. فَخَرَجْنَ سَرِيعاً وَهَرَبْنَ مِنَ الْقَبْرِ، لأَنَّ الرِّعْدَةَ وَالْحَيْرَةَ أَخَذَتَاهُنَّ. وَلَمْ يَقُلْنَ لأَحَدٍ شَيْئاً لأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ**».

واضح أن تخصيص ق. بطرس هنا بعد التلاميذ هو تعويض بديع عن الإنكار، إذ يريد الرب أن يقول: "بطرس كما هو، أخبرنه أيضاً". وهذا هو الوعد الذي كان قد سبق ووعدهم به: «كلّكم تشكون فيَّ في هذه الليلة، لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدَّد الخراف. ولكن بعد قيامتي أسبقكم إلى الجليل» (مر 27:14). والآن قد جاء تحقيق الوعد لكي يروا المسيح في مجد قيامته، والقصد لهم ولنا أنه قد تحقَّق الإنجيل وتحقَّق كل ما قاله ووعد به المسيح. إذن، فالإنجيل هو قول محقَّق ووعد مكمَّل وحياة مستعلنة بطول الزمان تصلح لأن يمسكها الإنسان لتكون له هي هي الحياة: «امسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت» (1تي 12:6). فكلمة «**كما قال لكم**» هي ختم صدق الإنجيل وتمام تكميل الوعد.

ولماذا الجليل؟ لأن هناك أعطى المسيح الوعد بالقيامة، ففيها تستعلن القيامة لينطبق خبر الإنجيل الأول على الآخر والألف على الياء والبداية على النهاية. وهذا هو المسيح في إنجيله.

«**هناك ترونه**»: ™ke‹ aÙtÕn Ôyesqe

هنا الرؤية ليست مجرَّد النظر بل رؤية الاستعلان كما حدَّدها ق. مرقس قبل ذلك:

+ «أنا هو وسوف تبصرون شyesqe ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة.» (مر 62:14)

100 رؤية القيــامة

كما سبق وقلنا، إن رؤية القيامة لا تعتمد على قوى البصر العادية، وتدخُّل الوعي البشري بمراكزه الحسِّية المعروفة، ولكنها حالة انفتاح الوعي الروحي الذي يستمده الإنسان مما هو فوق الطبيعة من قوى غير حسية أو مادية، وهي موهبة لا تُعطى بمعيار واحد للناس، لكن لكل إنسان تُعطى موهبة الرؤية ليرى بقدر إيمانه واستعداده وخبراته الروحية السابقة. وليس ذلك فقط، بل أيضاً المسيح في حالة قيامته يمكن أن يرتفع بإرادته بحالة من الشفافية فلا يُرى على الإطلاق لأي بصيرة

روحية، ويمكنه أيضاً أن يخفِّض من حالة شفافيته حتى يمكن لإنسان عادٍ أن يراه وكأنه إنسان عادٍ. كما استخدم المسيح هذه القدرة الفائقة عندما دخل إلى التلاميذ في العلِّية مساء الأحد والكل مجتمعون، دخل والأبواب مغلقة بقدرة شفافيته الفائقة وظهر أمامهم بجسده العادي، ذلك بعد أن خفَّض من شفافيته تماماً ـ ذلك بعد أن أخفق الكثيرون في التعرُّف عليه وهو في حالة قيامته الفائقة. وإمعاناً في تعريفهم بالقيامة الحقيقية لجسده الحقيقي أراهم جسده: «جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم. ولما قال هذا **أراهم يديه وجنبه** (في وضعهما الطبيعي تماماً) ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب» (يو 20: 19و20). ثم عاد بعد أسبوع وفي نفس الميعاد والمكان وظهر خصيصاً لتوما الذي لم يكن قد رآه في الأسبوع السابق: «ثم قال لتوما هات **أصبعك إلى هنا، وأبصر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي** ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً. أجاب توما (بعد أن وضع يده ولمس جروح الجسد) وقال له ربي وإلهي. قال له يسوع: لأنك رأيتني يا توما آمنت. طوبى للذين آمنوا ولم يروا.» (يو 20: 27و29)

بل وظهر مرَّة أخرى بجسده الطبيعي محسوساً بلحمه وعظامه ذلك بعد أن خفَّض المسيح من شفافيته نهائياً فبدى إنساناً عادياً: «وفيما هم يتكلَّمون بهذا **وقف يسوع نفسه** في وسطهم وقال لهم: سلام لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً. فقال لهم: ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم. **انظروا يدي ورجليَّ** (والجروح التي فيها) **إني أنا هو. جسُّوني وانظروا** فإن الروح (الشفاف) ليس له لحم وعظام كما ترون لي. وحين قال هذا **أراهم يديه ورجليه**» (لو 24: 36ـ40). بل وأعطاهم المسيح تأكيداً أنه قام بجسده وكل ما للجسد الطبيعي من إمكانيات حتى الأكل والشرب هكذا:

+ «وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم: أعندكم ههنا طعام فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قدَّامهم.» (لو 24: 41-43)

هذا هو الدخول الكامل في حالته الأُولى بعد أن خفَّض من شفافيته نهائياً.

بهذا يكون المسيح قد **أعلن ما هو جسد القيامة، إذ برهن لهم أنه جسده الأول تماماً بكل إمكانياته، ولكنه في حالة تجلٍ كامل وشفافية فائقة. فهو لا يُرى ويُرى بآن واحد، وذلك بحسب إرادة المسيح وقدرة الإنسان على الرؤيا. بمعنى أنها حالة جديدة متطورة من الحالة الطبيعية الأُولى إلى حالة فائقة للطبيعة ذات مواصفات جديدة وإمكانيات روحية فائقة للغاية.**

وقد أمكن للمسيح أن يظهر بحالة طبيعية ولكنه أخفى نفسه عن عيون تلميذي عمواس فلم

يعرفاه، وإن كانا قد أحسَّا به في قلبهما: «وفيما هما يتكلَّمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما ولكن **أُمسكت أعينهما عن معرفته**» (لو 24: 15و16). وبعدما كلَّمهما ووبَّخهما على عدم إيمانهما، دخل معهما بيتهما «فلمَّا اتكأ معهما أخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما **فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما**، فقال بعضهما لبعض ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلِّمنا في الطريق ويوضِّح لنا الكتب.» (لو 24: 30-32)

ففي هذه القصة التي لتلميذي عمواس مرَّ جسد المسيح المقام بحالة الشفافية الكاملة والنصف شفافية والحالة الطبيعية جداً. كذلك التلميذان من عدم رؤية تماماً، لنصف رؤية مع حساسية، لرؤية كاملة فاختفى عنهما لما بلغ حالة الشفافية الكلية ثانية.

ولكن عبوراً بحالة الإفخارستيا التي عملها المسيح في بيت تلميذي عمواس ندرك أن عند **كسر الخبز يُستعلن المسيح لذوي العيون المفتوحة. وهذا هو سر القيامة الأعظم**. عند عديمي الإيمان بالمسيح وقيامته وإمكانياته الهائلة يبدو خبزاً ساذجاً وخمراً ساذجاً وكأنها حالة عدم قيامة، وعند ذوي الإيمان بسر المسيح والقيامة فهي حالة قيامة، فالخبز خبز والخمر خمر ولكنهما جسد ودم في حالة قيامة، أي في حضرة الرب يسوع مقاماً من الأموات.

وهناك أيضاً حالة فيها ظهر المسيح بوضعه الطبيعي بدون شفافية وأخذ يكلِّم تلاميذه عن حلول الروح القدس ونوال قوة من الأعالي، وبعد أن أكمل كلامه انتقل إلى حالة الشفافية ثم ما فوق الشفافية فلم يروه: «ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون (حالة نصف شفافية) وأخذته سحابة عن أعينهم (فوق الشفافية)» (أع 1:9). ثم بعد ذلك حاولوا أن يروه عبثاً:

+ «وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلقٌ، إذا رجلانِ قد وقفا بهم بلباسٍ أبيض، وقالا: أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماءِ؟ إن يسوع هذا الذي **ارتفع عنكم إلى السماءِ** سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماءِ.» (أع 1: 10و11)

ثم مرَّة أخرى ظهر المسيح في حالة شفافية منظورة بمجد:

+ «رأيت في نصف النهار في الطريق أيها الملك نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي ... سمعت صوتاً يكلِّمني ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدني؟ صعب عليك أن ترفس مناخس. فقلت أنا مَنْ أنت يا سيد؟ فقال أنا يسوع الذي أنت تضطهده. ولكن قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك ...» (أع 26: 13-16)

هنا رُئِيَ المسيح في حالة تجلٍ كاملة كنور في السماء وتكلَّم مع ق. بولس. فالمسيح في حالة

القيامة في كمال شفافيته يُرى نوراً للعين المفتوحة.

من هذا يفهم القارئ أن حالة القيامة وظهور المسيح هي على درجات، وأن قدرة رؤية الإنسان للقيامة، أي حالة المسيح القائم من الأموات، أيضاً هي على درجات. لذلك ينبغي على القارئ أن يفهم تماماً أنه استحالة أن يتفق اثنان على رؤية واحدة للتجلي حتى ولو ظهر إلى 500 شخص مرَّة واحدة (1كو 6:15). فلو سألت كل واحد من الخمسمائة عن ماذا رأى؟ فسيحكي كل واحد شيئاً غير الآخر. من هنا جاءت أخبار القيامة في الأناجيل الأربعة متفاوتة في الوضوح والكلام والتعبير وحتى لغة الكلام نفسها. لأن تسجيل الأناجيل الأربعة للقيامة هي حالة دخول في مستوى ما فوق الطبيعة الذي لا تدخل فيه قوى الفكر والفهم والتمييز والرؤية الطبيعية للإنسان.

ولكن الذي يهمنا في معرض الشرح عن القيامة أن نكشف للقارئ عن ما هي القيامة. فالقيامة حالة الوجود الحقيقي الثابت غير المتغيِّر غير الزائل الأبدي!! أمَّا الوجود البشري في العالم فهو حالة وجود غير حقيقي لأنه متغير وزائل، فهو وجود ظاهري محسوس ومرئي، **فهو إن لم يتحوَّل إلى قيامة فهو متغيِّر حتماً إلى زوال**، لذلك لا يمكن أن نسمِّي الوجود المادي للإنسان وجوداً حقيقياً، بل هو وجود مزيَّف له منظر وجمال وحركة ولكن سرعان ما يذبل المنظر ويذوي الجمال فتنعدم الحركة وينتهي إلى موت وفساد وزوال. أمَّا القيامة فالوجود فيها جماله لا يذوي، بل يتجلَّى ويتألَّق إلى أفضل، نوره لا ينطفئ لأن نوره مستمد من نور الله غير المتغيِّر. والحركة في القيامة حركة حرَّة للجسد القائم من الأموات لا يحدُّها مكان ولا تضعفها جاذبية، يتحرَّك تلقائياً ليوجد في أي مكان في اللحظة والتو ولا يعترضه أي حائل مادي حتى ولو كان من الفولاذ، بلا جهد ولا عناء لأن حركته غير مادية فكما يشاء يكون.

بهذا يتضح للقارئ أن القيامة بالنسبة للإنسان خليقة جديدة لعالم جديد إمكانياتها هائلة وفوق التصوُّر والوصف. لا توجد فيها العواطف الممسوكة بالجسد الترابي الزائل، ولا تستمد أحاسيسها ومشاعرها من خبرات زمانية، بل عواطف راقية إلى أقصى حدود الرقي. فهي سماوية صرف ومشاعرها هي صدى مشاعر الله وحبه. فإنسان القيامة يوجد ويتحرَّك ويحس ويشاء ويحب في دائرة الوجود الإلهي، والقطب الجاذب لكل ملكات الإنسان هو المسيح والروح القدس الذي يقودها نحو الله.

وقيامة المسيح هي التي أعطت الإنسان طبيعة القيامة وقوتها وحقيقتها كخليقة جديدة مرتبطة به وحيَّة به. لذلك أصبحت قيامة المسيح في الإيمان المسيحي هي الباب المفتوح للحياة الأخرى مع الله.

اسمع بولس الرسول يقول في سفر العبرانيين:

+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده.» (عب 10: 19و20)

أمَّا المسيح فكشف لنا عن سر رحلتنا إلى قلب الله: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي» (يو 14:6)، «أنا هو القيامة والحياة» (يو 25:11). وأن يحيا الإنسان القيامة من الآن يكون قد نفض عنه الخوف من الموت ورهبته: «كل مَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو 26:11)، بمعنى لن يسود عليه الموت بل يصير له الموت واسطة للقيامة للانتقال إلى فوق. والكنيسة تشيِّع موتاها من المؤمنين بقولها في الصلاة عليهم: "لأنه ليس موت لعبيدك بل هو انتقال" (أوشية الراقدين)، لأن الكنيسة تحيا القيامة، لأن الكنيسة عند المسيح هي جسده المقام، والمؤمن عضو فيها أي في جسد المسيح المقام، فأن يموت الإنسان المسيحي في إيمان المسيح يأخذ حياته الجديدة كعضو في جسد المسيح المقام.

20-9:16 بهذا يرتاح ضميري إذ أكون قد قدَّمت للقارئ مفهوماً حقيقياً عن القيامة بما يتناسب مع الجزء الضائع من نهاية إنجيل ق. مرقس، بل ربما يكون هذا القديس البارع قد قصد أن يترك الحديث عن القيامة غير منتهٍ كدعوة منه لقارئ إنجيله أن يمتد بالتأمل الحر في معنى القيامة فوق ما تستطيع الألفاظ والكلمات أن تعبِّر عنه. هذا هو رأينا في معنى الجزء الناقص من الأصحاح السادس عشر في إنجيل ق. مرقس كما يراه قبطي عاش إنجيل ق. مرقس وأحبَّه، بل عشقه.